والركنؤر والمرمقاوير

PRRRRRR PRRRRRRR

والفزوي وكيروج والمخبص

ساعدت جامعة بفداد على نشره

منشورات مكربة النفظة بغداد

SUSCIONARIO CONTRA SUSIONARIO CONTRA SUSCIONARIO CO



لالركتور لاعرمطاوي

الغزوى وكيروع المتغيق

ساعدت جامعة بفداد على تشره

منشورات مكتبة النمطة بعداد

الطبعثة الاولى ١٩٦٧ - ١٣٨٧

- + حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
- + طبع بمطابع دار التضامن ـ بغداد

الإمداء

الي

المؤمنين بالقرآن الكريم وبلاغته ، العاملين به لاسعاد الأمة واقامة دولة العرب الكبرى .

المتعالمة المتعا

عزيزي القاريء:

في صبيحة يوم الاحد 15 تموز ١٩٦٣ (٢٣ صفر ١٣٨٣ هـ) نوقش هذا البحث في كلية الاداب بجامعة القاهرة ، وغال درجة الدكتوراه بمرتبة « الشرف الاولى » • وكانت اللجنة المناقشة برياسة الاستاذة الكبيرة الدكتورة سهير القلماوي « المشرفة » وعضوية الاستاذين الجليلين : الدكتور عبدالحميد يونس ، والدكتور عبدالعزيز الاهواني •

واليوم اقدمه بين يديك _ عزيزي القاريء _ كما قدمته الى اللجنة المناقشة قبل عامين، لاني مؤمن بأن هذا البحث يمثل فترة من حياتي الفكرية . فان وجدت فيه بغيتك ، ووقع من نفسك وقعا حسنا ، فذلك ما أردته وسعيت اليه ، وإن عزفت عنه فحسبي الله ونعم الوكيل .

احمد مطوب

دكتوراه في الاداب بمرتبة الشرف الاولى واستاذ مساعد في كلية الاداب جامعة بغسداد بغداد في : أول آب ١٩٦٥ } دبيع الثاني ١٣٨٥





للاستاذة الكبيرة الدكتورة سـهير القلماوي

كان العرب يجلّون علم البلاغة ، ويضعونه بمنزلة ترقى به فوق سائر العلوم ، لذلك كانوا يؤلفون فيه بدافع لا يتوفر لديهم عندما يؤلفون في العلوم الاخرى ٠٠ انهم يرون فيه الوسيلة الجديرة بالانسان الى الايمان السليم ، لانه الوسيلةالتي بها يتدرك مدى الاعجاز ووجوهه في القرآن الكريم • وهذا محمد بن عبدالرحمن جلال الدين القزويني يقول : « فلما كان علم البلاغة وتوابعها من أجل العلوم قدراً ، وأدقها سراً إذ به تعرف دقائق العربية واسرارها ، ويكشف عن وجوه الاعجاز في نظم القرآن استارها • ألفت مختصراً يتضمّن مافيه من القواعد • »

ويعلق سعدالدين التفتازاني - أحد شراح القزويني - على هذا بقوله: « لاشتماله على الدقائق والاسرار الخارجة عن طرق البشر، وهذا وسيلة الى الفوز بجميع السعادات فيكون من أجل العلوم، لكون معلومه وغايته من أجل المعلومات والغايات ٠٠ » ٠

لذلك كثر التأليف في هذا العلم على مر العصور ، بل كثر التأليف في كل العلوم المتصلة به حتى في العصور التي ضعف فيها الابتكار وقلت الحوافز والدوافع على اضافة الجديد الى العلوم والمعارف •

ويثعكم القزويني بما اضاف في هذا الميدان عكما ضخما لاسباب عدة من أهمها: انه كان آخر من اضاف الى هذا العلم ، فظل طوال قرون وقرون عمدة الدرس البلاغي لابناء اللغة العربية ، لقد ظلوا منذ زمانه في القرن الرابع عشر حتى اواخر القرن التاسع عشر يعيدون في تلخيصه وايضاحه شرحا وتلخيصا وتعليقا حتى قيص الله لنا من بعث الاهتمام بغير القزويني من اعلام البلاغة ، فكان هذا البعث الذي قام به الامام محمد عبده بتدريسه « دلائل الاعجاز »و «أسرار البلاغة» في الازهر الشريف ،

هذه هي الخطوة الاولى في سبيل تناول التراث القديم تناولاً جديداً يُنفُضي الى احيائه وتمكينه من أداء دوره في الابتكار الجديد والخلق الحديث •

ولم يكن من الممكن ان يعيش كتابا القزويني وقد اعتمدا على القسم الثالث من « المفتاح » للسكاكي دون ان يعيش اصلهما الذي عنه نقلاءالا ان تكون للقزويني اضافات الى الاصل تبرر هذه الظاهرة، اما القزويني فيقول في هذا: « وكان القسم الثالث من مفتاح العلوم الذي صنفه الفاضل العلامة أبو يعقوب يوسف السكاكي أعظم ماصنف فيه من الكتب المشهورة نفعا لكونه أحسنها ترتيبا ، وأتمها تحريرا ، وأكثرها للاصول جمعا ، ولكنه كان غير مصون عن الحشو والتطويل والتعقيد ، قابلا للاختصار ، مفتقرا الى الايضاح والتجريد ، ألفت مختصرا يتضمن ما فيه من القواعد ، ويشتمل على ما يحتاج اليه مسن الامثلة والشواهد ، ولم آل جهدا في تحقيقه وتهذيبه ، ورتبته ترتيبا أقرب تناولا من ترتيبه ، ولم آل بالغ في اختصار لفظه تقريبا لتعاطيبه، وطلباً لتسهيل فهمه على طالبيه ، وأضفت الى ذلك فوائد عثرت في بعض وطلباً لتسهيل فهمه على طالبيه ، وأضفت الى ذلك فوائد عثرت في بعض

كتب القوم عليها ، وزوائد لم اظفر في كلام احد بالتصريح بها ولا الاشارة اليها ، وسميته « تلخيص المفتاح » ، وانا اسأل الله تعالى من فضله ان ينفع به كما نفع باصله ، انه ولي ذلك وهو حسبي ونعم الوكيل » •

هذا هو تقدير الرجل لجهده ، أما تقديرنا نحن لهــــذا الجهد فيختلف ، اننا لا نخدع بتواضع العالم ، وانما لابد من ان ندرس هذا الجهد الذي استطاع ان يحجب الاصل طوال هــذه القرون ، والذي استطاع بشكل او بآخر أن " يكون الجذوة المتقدة تحت الرماد حتى هيأ الله في العصر الحديث من أزاح عنها رمادها لتتوهج من جديد ،

إن القزويني الذي يصر بعض مؤرخيه على ذكر أنه من احفاد أبي دلف العجلي قد أثبت ان ثمالة من الميراث البعيد قد وصلت اليه فأبو دلف الذي عاصر الرشيد والمأمون ، كان من الامراء والاجواد،ولي قيادة جيش المأمون ، ولكنا لا نقف من تاريخه هذا على شيء ، ان ما يهمنا هو ما شهر به من الأدب والشجاعة التي جعلت الرواة يروون عنه اخبارا كثيرة ، والأهم من هذا اننا نجد قولهم : «إنه كان عالما مصناعة الغناء يقول الشعر ويلحنه » ، فهل ورث القزويني عبر اربعة قرون ونصف قرن هذا الميل الفني عن جده الاعلى ؟ من الصغب ان تصور ذلك ، ولكن مؤرخي القزويني لسبب او لاخر يصرون على نتصور ذلك ، ولكن مؤرخي القزويني لسبب او لاخر يصرون على ذكر انه « من احفاد ابي دلف العجلي » احساسا منهم بان ثمة رابطة بين هذا الجد الأعلى وبين صاحبنا ، ذلك ان القزويني كما وصفه مؤرخوه « كان حلو العبارة ،أ ديبا ، عارفا بالتركية والفارسسية والعربية ، سمحا ، كثير الفضائل » ،

والعمل الذي شغل به في حياته هو القضاء ، وكم من القضاة قد ساهموا في التأليف البلاغي ! انهم بحكم عملهم يدققون في فهم النص وبقارنون ويعرفون كم يتغير المعنى بابدال حرف بحرف او بحذف دون ذكر ، او بتقديم دون تأخير ، او غير ذلك من الحيل البلاغية ، أننكر

فضل ابن قتيبة وعلي بن عبدالعزيز الجرجاني وغيرهما ؟ لقد ربطوا صناعه القضاء بصناعة البلاغة ربطاً لائقا بعصرهم ، جديراً بطبيعة عملهم، منبئا عن حقيقة ثقافتهم الواسعة .

وهكذا جمع القزويني بين رهافة الحس والذوق ميراثا ، وبين ثقافة القضاء وطباع أهله الذين يدرسون بامانة ودقة وعمق حتى لا ينحرفوا او يخطئوا فيما يقضون به بين الناس ، وبهذا تصدى للقسم البلاغي من كتاب « المفتاح » عرفانا بقدره ، واتجاها سليما نحو اتنفاع الخلف بجهد السلف ، وليس من الممكن ان يكون انتاج القزويني مجرد ظل لما قام به السكاكي ، ان السكاكي قد كتشف المعلومات السابقة كلها ، وضغطها في صورة ميز تها الاولى نظام وجمع لم يعهدا في التأليف البلاغي من قبل ، ولكن أيمكن أن تكون صورة القزويني مجرد ما يرى في مرآة وضعت أمام هذه الصورة السكاكية ؟ إن الصورة الجديدة لوحة جديدة ناطقة بلمسات القزويني الحية القوية ، وليس ذنب القزويني انها لم تفلح رغم حيويتها وقوتها ان تتغلب على اعاصير العوامل الاخرى التي كتمت دوافع الابداع في هذا العلم الجليل قرونا من بعده ،

ان هذه الصورة هي ما حاول الدكتور احمد مطلوب ان يجلوها لنا بكتابه هذا ، فاذا كان بعث الدراسات البلاغية كلها واجبا فان بعث هذه المرحلة التي عندها توقيّف الخلق والابتكار أو الى وأهم ، لأنها لمرحلة التي منها نمسك الخيط القديم لنسير به نحو الجديد ، ولابد لنا من استعراض القديم كله واتقانه ليتسنى لنا ان نضغط على المرحلة الاخيرة تلك ، وهذا ما أعكر به نفسه الدكتور احمد مطلوب ، لقد درس السكاكي دراسة مستفيضة ثم ثنى بالقزويني بهذه الدراسة، ولكنه في كل هذا زاه يقيم دراسته على اساس واضح دقيق من معرفة بكتب البلاغة وأعلامها منذ نشأتها حتى عصورها الراكدة ، بل انه بنات في حيدة علية وشمول واسع الجهود الحديثة ليضع جهده في بتبع في حيدة علية وشمول واسع الجهود الحديثة ليضع جهده في

مكانه بين هذه الجهود ، حرصا منه على ان يكون الجهد علميا منظماً من جهة ، وجَمَاعيا تُكريَّاً من جهة اخرى .

إن بعث الدراسة البلاغية ووصلها بالنقد الاوربي في صورت الاصلية ، قبل صورته المشوهة التي نقل بها الينا اوائل هذا القرن ، فكر "ض" على كل مهتم بالادب ذلك ان نتفا من هنا وهناك وكيفسا اتفق من النقد الاوربي قد هرعت على يد بعض كتابنا لتملأ الفراغ المتخلف من طول انقطاع الصلة السليمة بالقديم ، ومن الفزع الى الغربي المجديد بكل مافيه من اغراء الحيوية والتعبير عن واقع حي " •

إِنَّ الفجوة التي بين ما يجب ان يحيا من قديمنا وبين الحديث الذي استوردناه واصبح جزءً من نقدنا يؤثر في شعرنا قليلا وفي نثرنا رواية وقصة ومسرحية كثيراً لا بد من ان تمسلا بخيوط واصلة ، وأواصر متينة تربط هذا الى ذاك وتؤثر آثارها السليمة في انتاجنا الفني الحديث ،ان هذا الملء او الربط هو السبيل الى الارتفاع بملكة التذوق العربية بحيث تكون قادرة على توجيه كل انتاج فني جديد ليكون عربيا اصيلا قبل أن يكون عالميا ، بل لكي يكون عالميا .

ولقد قام الدكتور احمد مطلوب تدريساً وتأليفا ونكثراً للتراث البلاغي القديم بعمل ضخم عظيم في هذا الميدان و لقد قام في جلد المؤمن و ودقة العالم المتخصص وعمق ادراك العربي الاصيل بهذا العمل تحدوه فيه أشرف الغايات وأنبل المقاصد وكان له من ملكاته سلامة نظر وصحة حكم ورهافة حس ما جعله يستطيع ان يقد مهذا الكثير الذي جمعه ووو "به ودرسه وربطه بالحديث لينتفع به الناس دارسين ومؤلفين و

ولقد تقدم الدكتور احمد مطلوب بهذا الكتاب في شكل رسالة لنيل درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة قسم اللغة العربية وتألفت لجنة من الزميلين الاستاذ الدكتور عبدالحميد يونس ، والاستاذ الدكتور عبدالعزيز الاهواني ومنتي ، لامتحانه ، ولا زلت اذكر يوم امتحان

الطالب وجلستنا بعد المناقشة لنتداول في الدرجة التي نقدرها له على رسالته ومناقشته معا ، لقد اتفقنا في الدقائق الاولى على ان التقدير «ممتاز»، ثم اخذنا في الحديث عن شخصية الطالب ومقدار ما يستطيع ان ينفع به طلابه في جامعة بغداد، وقومه من الدارسين العرب في هذا الميدان ، لقد افضنا في الحديث عنه مدحا واملاء حتى كدنا ننسى ان طالبنا ومن حضروا المناقشة العلنية ينتظرون اعلان النتيجة عليهم ،

ان جزء من املنا في الدكتور احمد مطلوب قد تحقق ، ولكن الفاق آمال الاساتذة في طالبهم وزميلهم الان لا تحدها حدود . وما زالت أمام الاستاذ الشاب احمد مطلوب آمال وآمال معقودة عليه، ذلك انه اهل لتحقيق أوسع الامال وأعرضها بعون الله .

الدكتــورة سهير القلماوي القاهرة في ١٩٦٥/١٠/٢٠

الموت

أخذت البلاغة تعظى باهتمام كبير في الدراسات الجامعية الحديثة، وكان للجامعات العربية أثر في ازدهار الحياة العلمية والادبية، وقد تفجرت فيها طاقات جيلنا، وأخرجت رجالا كان لهم فضل التوجيه وانارة السبيل وكان ايمان هذا الجيل عظيما في بعث حركة فكرية، فيها أصالة التراث الاسلامي العربي، ومنهج الدراسات الحديثة التي تعتمد أول ما تعتمد على المنهج السليم، والرصد العلمي القائم على التجربة الدقيقة والخرة العميقة .

وأيقن هذا الجيل أن لا حياة للادب ولا ازدهار ما له يسد النظر في المقاييس النقدية والبلاغية ، فعكف المتخصصون يحيون ما اندرس من قديم مشرق وضاء ، ويقتبسون ما اوحت الحياة الجديدة ، واستطاع المتطلعون الى حياة نقدية ، ولكن معظم يخرجوا كتبا ترسم الطريق للدراسات البلاغية النقدية ، ولكن معظم الدراسات الجامعية التي ظهرت لم تنطلق الى آفاق ارحب ، ومجالات السراسات الجامعية التي ظهرت لم تنطلق الى آفاق ارحب ، ومجالات اوسع ، فقد عكف الدارسون على بعض اتجاهات البلاغة يبحثونها ويقربونها للناس ، فكانت بحوث عن الجاحظ ، وابن المعتز ، وقدامة ابن جعفر ، وأبي هلال العسكري ، وابن الاثير ، وابن أبي الاصب

المصري ، وغيرهم من أعلام المدرسة الادبية ، وبقي التيار الآخر أي : للاغة الفلاسفة وأهل الكلام ينتظر من يقوم بدراسته وعر ضبه سهلا ميسرا ، ولم تظهر فيه حتى الان الا دراسات قليلة عن عبدالقاهر الجرجاني والزمخشري ،

وعندما قدر لنا أن نخوض غمار الدراسات البلاغية أجلنا الطرف فوجدنا كثيرا من الدراسات في بلاغة العرب، ولم نجد الا بحوثا قليلة في بلاغة الفلاسفة وأهل الكلام، فازداد إيماننا بأن لا نهوض للبلاغة والنقد ما لم تدرس جوانبها كلها، وتمحص اتجاهاتها ومذاهبها المختلفة، وأن المجدد لن يقدر أن يثبت أقدامه في خضم الحياة الادبية ما لم يقتل القديم درسا وبحثا، وينفذ الى أعماق الدراسات كلها، ومن هنا رأينا أن نبدأ بشيخ المدرسةالكلامية السكاكي (٩٦٦ه) الذي عاش في يئة خوارزم الأعجمية، وهي يئة كان للاعتزال فيها حلقات وحركة واسعة المدى بدأت قبله بسنوات يئة كان الزمخشري والرازي ممن طبعوا كتبهم بآراء المعتزلة،

واستطاع السكاكي ان يوجه البلاغة العربية توجيها جديدا في حصر لموضوعاتها وتحديد لمصطلحاتها وانقسمت على يديه الى علمين متميزين هما : علم المعاني ، وعلم البيان ، والى تابع لهما هو المحسنات اللفظية والمعنوية التي اطالق عليها فيما بعد اسم البديع و

وقد انتهينا في هذا البحث الى:

(۱) ان البلاغة العربية لم تقسم الى معان وبيان ومحسنات قبل السكاكي ، وأنه اول من قام بهذا العمل ، وقسمها الى فنونها الثلاثة .

⁽۱) البلاغة عند السكاكي بعث نال به المؤلف الماجستير بدرجة جيد جدا من كلية الآداب بجامعة القاهرة في أول شباط ١٩٦١ م ، وطبع في بفسداد لاول هوة مسسسنة ١٣٨٤ هـ سـ ١٩٦٤ م ،

(٢) ان السكاكي أول من اطلق اسم علم المعاني على البحوث التي سماها عبدالقاهر معاني النحو أو النظم ، وانه أول من سكس التشبيه والمجاز بأنواعه والكناية بيانا ، وانه أول من اطلق على عير هذين العلمين اسم المحسنات او الوجوه التي يثوتي بها لتزيين الكلام ، وقسمها الى محسنات معنوية ولفظية .

اما مصطلح البديع فلم يطلقه السكاكيعلى القسم الثالث من البلاغة، وكان اول من أطلقه عليها « بدرالدين بن مالك » في كتاب «المصباح» الذي كان تلخيصا للقسم الثالث من «مفتاح العلوم» •

- (٣) ان السكاكي أول من استفاد من ركني الجملة ـ المسندوالمسند اليه ـ في بحث موضوعات المعاني، وبذلك منز ق أوصالها، وأحالها حطاما بتقريراته وتحديداته ، واستفاد فائدة عظيمة من بحوث الدلالات العقلية والوضعية ، ومقاييس الفلسفة والمنطق ، وأدخلها في بحث البلاغة ، فضي ق الخناق عليها .
- (٤) ان بلاغة السكاكي امتداد لبلاغة عبدالقاهر ، وبذلك يمكن القول بأن مدرسته ابتدأت بعبدالقاهر ، ثم فخرالدين الرازي ، وبلغت ذروتها على يدي السكاكي ، ولم تكخط خطوات محمودة الا ما كان من قبسات ارسلها ابن قيم الجوزية في « الفوائد » ، والعلوي في « الطراز » ، ولكن صوتهما ما عتم ان أصابه الخفوت ، وسيطرت على مناهج درس البلاغة مدرسة السكاكي وأتباعه من شر"اح وملخصين ،
- (o) ان هذه البلاغة التي تركها السكاكي لا تفيد كثيرا في دراسة البلاغة الحديثة ، ومن هنا دعونا الى تغيير بحثها ، واخراج الغريب منها ، وقد وضعنا لذلك منهجا جديدا فيه من القديم اصالته ، ومن الحديث طرق بحثه ومناهج درسه .

وبعد ان انتهينا من البحث في بلاغة السكاكي شعرنا ان مدرسته بحاجة الى مزيد من الدرس والتحقيق بعد ان انتقلت من خوارزم الى

مصر والشام ، فقررنا ان نطوي المسافات طيا ، ونتابع الزمن حتى التف على آثار مدرسته البلاغية في بيئة العرب ، وهذا ما قدر لنا بعد ان رأى اساتذتنا ان نكمل البحث الذي بدأناه في مرحلة الماجستير ، وتتابع المدرسة الكلامية في بيئة مصر والشام ، فاخترنا « القزويني وشروح التلخيص » موضوعا للبحث نتقدم به للحصول على درجة الدكتوراه من كلية الآداب بجامعة القاهرة ،

ويمكن تلخيص الأسباب التي دفعتنا الى اختيار هذا الموضوع بما يأتى :

- اننا بحثنا في مرحلة الماجستير مدرسة البلاغة الكلامية المتمثلة بالسكاكي في بيئة خوارزم ،وكان علينا أن نتابعها في بيئتها الجديدة لنرى خصائصها واتجاهاتها .
- ان الخطيب القزويني يعتبر الحلقة الاخيرة من مدرسة السكاكي،
 ولكي نعطي صورة واضحة عن هذه المدرسة ينبغي أن ندرس بلاغته وجهوده فيها .
- س ان البلاغة العربية وقفت عند القزويني ، وكان لابد ان نقف عندها لنأخذ منها ما ينفعنا في بلاغتنا الجديدة ، ونترك كل غريب أقحم فيها اقحاما ، ولنرسم طريقنا على تراث قديم له اصالته ، وعلى طريف له أهميته وقيمته في الدراسات الحديثة ولكي نحقق هذا الغرض لابد من الوقوف عند البلاغة العربية في صورتها الاخيرة التي رسمها القزويني وشراح تلخيصه .

هذه الأسباب مجتمعة مع رغبة اساتذتنا في قسم اللغة العربيسة بآداب القاهرة دفعتنا الى اختيار هذا الموضوع لعلنا نستطيع ان نرفع عن هذه البلاغة ما اصابها من حيف ، ونزل بها من ضيم أخرجها عن هدفها الذى درست من أجله .

وسرنا في الطريق الطويل نتعثر حينا ويلوح لنا بصيص من الأمل أحيانا ، حتى قدر لنا أن نَحَثْر ج أخيرا بهذا البحث الذي نرجو أن ينال رضا الدراسين .

ويقع البحث في تمهيد وثلاثة أبواب ، وقد تكلمنا في التمهيدعلي وانقسامها الى مدرستين ، ووقفنا طويلا عند البلاغة في القرن السادس وما بعده ، لأن اتجاهاتها تميزت في هذه الفترة ، واختلفت منـــاهج درسها ، فكان للمشارقة انجاه خاص يهتم بالتحديد والتقسيم ، وكان للمغاربة اتجاه آخر فيه جنوح الى بلاغة ارسطو • وطال وقوفنا عنـــد اتجاه مصر والشام ، لأن القزويني عاش في هـــذه البيئة واضطرب في المدرسة ، وقد اتضح ان ابن سنان الخفاجي كان رأس هذا الاتجاء وأول بلاغي ناقد ، له منهج أصيل في هذه البيئة العربية . وتابعنا هذا الاتجاه وتكلمنا على اسامه بن منقذ ، وابن شيت القرشي ، وضياءالدين ابن الأنير ، وابن الزملكاني ، وابن ابي الاصبع المصري . وعرجنا بعد هذا على خصائص مدرسة مصر والشام البلاغية ، ووضَّحنا معالمها ، وانتهينا الى ان البلاغة في هذه البيئة أخذت طابعا خاصا ، ولكنها لم تَبُقُ على حالتها هذه اذ دخل « مفتاح العلوم » هذه الديار، واختصره بدرالدين بن مالك ، وبذلك امتزجت بلاغة المشرق ببلاغــة العرب ، وكوءنت اتجاها جديدا يبدو في كتب الخطيب القزويني وبهاءالدين السبكي وشر"اح التلخيص الاخرين .

وكان الباب الاول في:

القرويني وآثساره

وهو ثلاثة فصول :

الاول: في « الخطيب القزويني » ، وقد عرضنا فيه لاسرته ، وسيرته ، واساتيذه ، وثقافته ، ومناصبه واولاده • واستطعنا في هذا الفصل ان نجلو الغبار عن حياة هذا الرجل الفذ بعد أن طمستها الايام وقد تقرّنا طويلا عن أخباره في كتب التاريخ واستطعنا على ضوء المعلومات القليلة ، والعبارات المتنائرة هنا وهناك أن نرسم صورة لحياة القزويني إن لم تكن كاملة واضحة فهي أقرب الى حياة الرجل وواقعه، وبذلك تمكنا من أن نعطي فكرة عنه لا يجدها الدارس في كتاب آخر • وختمنا الفصل بمختارات شعرية ، وكلمات قيلت فيه ، وهي تسدل وختمنا الفصل بمختارات شعرية ، وكلمات قيلت فيه ، وهي تسدل دلالة واضحة على ما كان يتمتع به من منزلة عظيمة ، وقدَد و جليل •

والفصل الثاني: في «آثاره ومنهجه» وقد جرنا هذا الى البحث في منهج السكاكي وتقسيمه البلاغة الى علومها الثلاثة ليمكن فهم منهج تلميذه القزويني ووعرضنا لكتابي التلخيص والايضاح، وتكلمنا عليهما بالتفصيل، لنعطي فكرة واضحة عن منهجهما وموضوعاتهما ونسخهما وطبعاتهما و وتكلمنا على ما أثاره « التلخيص »و «الايضاح» من حركة بلاغية وعرضنا لشروح التلخيص والايضاح ومختصراتهما ومنظوماتهما، وهي كثيرة لا تعد ولا تحصى و

والفصل الثالث في: « مصادره » ، وقد تكلمنا فيه على مصادر بلاغته ، واستطعنا ان تتصور تلك الكتب ، ونشبير الى النصوص والاراء التي نقلها عن المتقدمين ، واتضح أن تأثره كان جليابعبدالقاهر والزمخشري والسكاكي ، فاطلنا الوقوف عند هؤلاء الثلاثة واضعين أيدينا على ما اتفقوا عليه ، واختلفوا فيه ، وانتهينا في هذا الفصل الى أن القزويني استفاد من كتب المبرد ، و « النكت في اعجاز القرآن »

للرماني ، و « كتاب الصناعتين » للعسكري ، و « الوساطة بين المتنبي وخصومه » للقاضي الجرجاني ، و « كتاب المفردات في غريب القرآن » للراغب الاصفهاني ، و « سر الفصاحة » لابن سنان ، و « المثل السائر» لابن الاثير ، و « بديع القرآن » و « تحرير التحبير » لابن أبي الاصبع المصري، و « المصباح » لبدر الدين بن مالك ، وكتب التفسير والاحاديث ودواوين الشعراء ، وظهر أثر « دلائل الاعجاز » و « أسرار البلاغة » و « الكشاف » و « المفتاح » واضحا في بلاغته ،

وكان الباب الثاني في :

بلاغسة القزويني

وهو في خمسة فصول:

الأول: في « الفصاحة » ، وقد تكلمنا فيه على الفصاحة ، ومفهومها عند البلاغيين والقزويني، وجرنا هذا الى الخوض في مسألة اللفظ والمعنى التي شغل النقاد بها قديما وحديثا ، وانتهينا الى ان الفصاحة اصبحت عند القزويني قواعد ثابتة لا روح فيها ولا رواء ، وانها بحاجة الى اعادة النظر والاستفادة من كتب البلاغة العربية والنقد الحدث ،

والفصل الثاني: في «علم المعاني» وقد اثبتنا فيه ان القزويني تابع السكاكي، وحاولنا جمع بحوثه وترتيبها، فكان للجملة وما يتبعها بحث، وللفصل والوصل بحث ثان، وللايجاز والاطناب بحث ثالث.

والفصل الثالث: في «علم البيان » وفيه أفضنا القول في ادخال الدلالات العقلية والوضعية في تقسيم فنونه ، ورأينا أن هذا ليسمن الدراسات النقدية في شيء ، وأنته قد أفسد هذا العلم الذي يبحث في الصور البلاغية والخيال الادبي ، وعقدنا للتشبيه والمجاز والكناية بعوثا .

والفصل الرابع : في « علم البديع » وقد تعدثنا فيه عن تطور هذا الفن ، وأشرنا الى عمل القزويني فيه ، وتابعنا هذا الفن بعده ، وتعرضنا للبديعيات ، ووقفنا قليلا عند ابن حجة الحموي صاحب « خزانة الادب » ، لانه رد على القزويني كثيرا ، ورجَّح بعض آرائه أحيانا .

والفصل الخامس: في « السرقات » وهي التي ذكرها القزويني في خاتمة بلاغته ، وقد أفردنا لها فصلا ، لانها باب واسع ، ولان النقاد ورجال البلاغة الاعلام اهتموا بها منذ عهد مبكر .

وقد اتبعنا في هذا الباب طريقة العرض والموازنة والنقد ، وأخذنا كثيرا من آراء القزويني ، ورفضنا بعضها ، وانتهينا الى أن هذا الرجل يمثل النقاد البلاغيين ، ويمتبر عمدتهم في العصر المملوكي ، وقد وقعت البلاغة العربية بعده ولم يأ ت المتأخرون بجديد الا ما كان من شرح وتوجيه والتفاتات تقدية لا تكو تن اتجاها ، أو ترسم منهجا خاصا ، ولعل ابن قيم الجوزية ، والعلوي ، وبهاءالدين السبكي وابن حجة الحموي ، أشهر النقاد البلاغيين الذين جاءوا بعد القرن السابع ، وكان للقزويني تأثير واضح في توجيه البلاغة العربية ، ويتجلى هذا بوضوح في شروح التلخيص التي سيطرت على مجالس الدرس حتى مطلع النهضة الحديثة ،

وكان الباب الثالث في:

شسروح التلخيص

وهو في فصلين :

الاول: في « شروح التلخيص » ، وقد تكلمنا فيه على النقاد ، والبلاغيين المعاصرين للقزويني ، وانتهينا الى انه لا يتصل بهم ، لأنه اتجه اتجاها خاصا وساروا هم باتجاهات اخر ، وعرضنا لاهم الشروح وهي : «عروس الافراح »للسبكي الذي يمثل مدرسة مصر البلاغية

بعد القرن السابع خير تمثيل - ، و « المطو"ل » و « المختصر » سعدالدين التفتازاني الذي يمثل البلاغة في المشرق بعد القزويني ، ثم تكلمنا على حاشية السيد الشريف على « مطو"ل » التفتازاني ، و « مواهب الفتاح » لابن يعقوب المغربي، و « حاشية الدسوقي » بعد البحث عن التفتازاني لان لمؤلفيها علاقة به ، وتكلمنا على « الشرح الإطول » لعصام الدين الاسفراييني ، و « شرح عقود الجمان » لجلال الدين السيوطي .

وكانت طريقتنا في البحث عرض هـــذه الشروح اولا ، ثم تلخيص أهم ما فيها من آراء وردود على القزويني ، وانتهينا الى ان نهذه الشروح قيمة لغوية ونحوية وتاريخية الى جانب فائدتها البلاغية العظيمــة .

والفصل الثاني في : « القزويني والبلاغة الحديثة » وهذا الفصل خلاصة لبلاغة القزويني ، وعرَ "ض" لأهم ما فيها من مفيد ينبغي أخذه، وغريب ينبغي اطراحه .

هذه خطة البحث ومنهجه ، وهو منهج أملته علينا صبيعة الموضوع ولم يكن لنا سبيل لكي نصور القزويني وجهوده في البلاغة العربية الا أن نعرض للبلاغة قبله ولسيرته وآثاره فجاء هذا البحث الذي نرجو ان ينال حظا في الدراسات البلاغية .

* *

أما مصادر البحث فهي كثيرة ويسكن حصرها في ضربين :

الاول: كتب التاريخ والثقافة العامة ، وقد استفدنا منها في تصوير تاريخ البلاغة قبل القزويني، وفي سيرته وآثاره، وأهمها كتب التاريخ التي كتبت في عصره او بعده بقليمل كالسلوك ، والخطط للمقريزي ، والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ، وبدائع الزهور لابن اياس ، وحسن المحاضرة للسيوطي ، والبداية والنهاية لابن

كثير • وقد استفدنا من هذه الكتب فائدة كبيرة ، وإن° كانت المعلومات مبعثرة فيها تحتاج الى جهد في استخراجها وتنسيقها: وعرضها عرضا مقبولا •

العربية ، وقد استفدنا منها في رسم هيكل البحث ووضـــع خطوطه العامة ، وكان لها فوق هذا كله فضل الموازنة والتوجيه. ولكن مادة البحث الاساسية تستقى اصولها من تلخيص القزويني وايضاحه ومن شروح التلخيص المهمة كعروس الافراح والمطوال والمختصر والأطول ومواهب الفتاح • وهـذه الكتب هي التي وجهت البحث واخرجته هذا الاخراج ٠

ومهما يكن من شيء فقد كان لكل كتاب أثبتناه فائدة عظيمة وأثر واضح وكان لاستاذتي الجليلة الدكتورة سهير القلماوي وتوجيهها الكبير ، أعظم النفع وأطيب الاثر •

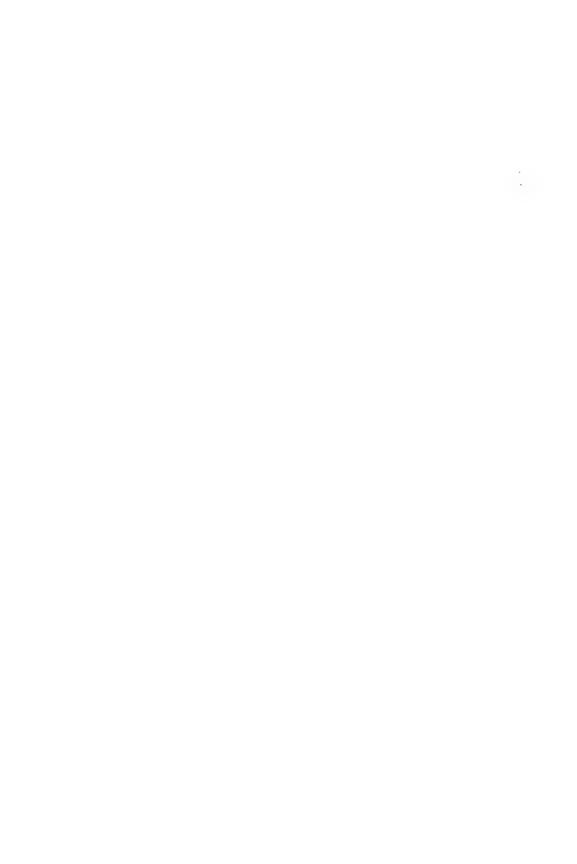
والله نسأل أن يوفقنا لما فيه خدمة امتنا الخالدة •

بغداد _ الجمعـة في } ذي القعدة ١٣٨٢ هـ ۲۹ آذار ۱۹۹۳ م

احمد مطلوب

مَهُمِّيدً

.



البكلاعَه قبكل لفزُويني

١

قيل للفارسي: ما البلاغة ؟ فقال: معرفة الفصل من الوصل • وقيل لليوناني: ما البلاغة ؟ قال: تصحيح الاقسام واختيار الكلام • وقيل للرومي: ما البلاغة ؟ قال: حسن الاقتضاب عند البداهة والغزارة يوم الاطالة •

وقيل للهندي : ما البلاغة ؟ قال : وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الاشارة .

هذا ما ذكره الجاحظ (۱) ، وهو يدل دلالة واضحة على أن العرب عرفوا منذ القديم ما عند الامم والاقوام من علوم وثقافات ، وعرفوا أن لغيرهم بلاغة وتفننا في القول ، ولعل اليونانيين كانوا اول من عثني بالبلاغة وتدوين مسائلها وتبويبها ، وفي كتابي « فن الشمسعر » و « الخطابة » لارسطو اشارات الى الامر ، والاستفهام ، والفصل ، والوصل ، والمجاز ، والتثبيه ، والايجاز ، والاطناب ، والتوريبة ،

⁽۱) البيان والتبيين ج ا مملل .

والتقابل ، والطباق ، والاستعارة ، وصيغ المبالغة(١) .

واشتغل العرب بعد بزوغ فجر الاسلام بالبلاغة وبحثها ، وتحديد مصطلحاتها وأبوابها ، واختلفوافي تعريفها ، فقال بعضهم : « إنَّ البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في تفسه كتمكنه في تفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن » •

وقال آخرون: « البلاغة اسم لمعان تجري في وجوه كثيرة ، منها ما يكون في السكوت ، ومنها ما يكون في الاستماع ، ومنها ما يكون شعرا ، ومنها ما يكون خطبا ، وربسا كانت رسائل »(۲) .

وعرفها رجال البلاغة المتأخرون بقولهم المشهور: « البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته » • ومقامات الكلام عندهم متفاوتة ، فمقام التنكير يباين مقام التعريف ، ومقام الاطلاق يباين مقام التقييد ، ومقام التفديم يباين مقام التأخير ، ومقام الذكر يباين مقام الحذف ، ومقام القصر يباين مقام خلاف ، ومقام الفصل الحذف ، ومقام الوصل ، ومقام الايجاز يباين مقام الاطناب والمساواة ، يباين مقام الوحل ، ومقام الايجاز يباين مقام الاساس قسموا وخطاب الذكي يباين خطاب الغبي • وعلى هدذا الاساس قسموا موضوعات البلاغة ، وبحثوها بحثا يعتمد على العقل وتحكمه أكثر من اعتماده على الذوق والتحليل الادبي وتحسس مواطن الجمال في الكلام •

وليس في تعريف القدماء ما يعطي صورة واضحة للبلاغة ، ولعل قول بعض المحدثين : « انها الجمال في القول ، وان علم البلاغة هو درس فن القول وبيان مواطن الجمال فيه والاسباب التي تساعد على ايجاده » (٣) ، لعل هذا من خبر ما يمكن تعريف البلاغة به، لانه يدل عليها

⁽۱) فن الشعر ص٤٥ ، ٥٩ ، الخطابة ص٨٥ ، ١٩٠ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٢٠ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ .

۱٤ ، ۱۰ کتاب الصناعتین ص۱ ، ۱۶ ،

⁽٣) مجلة المجمع االعلمي العربي بدمشق سجلد ٤ من ٢٤٤٠ .

دلالة واضحة ، وليس فيه فصل لموضوعات البلاغة الى معان وييان وبديع .

وكانت مسائل البلاغة تمتزج بموضوعات النقد وأحكامه ، وكانت الكتب تؤلف في تمييز الكلام الحسن من الرديء ، وفيها الاشارات البلاغية الى جانب الالتفاتات النقدية ، وكان المؤلفون كثيراً مايطلقون السم النقد على كتبهم وهي كتب بلاغية كر « نقد الشعر » ، و « العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده » ،

وقد نشأت البلاغة والنقد عند العرب جنبا الى جنب ، وكانت نشأتها ساذجة ، وتتمثل بذور البحث النقدي في الاحكام التي كان الشعراء وغيرهم يصدرونها ،وليست قصة امرىء القيس وعلقمةالفحل، وقصة النابغة الذيباني الذي كان تضرب له قبة في سوق عكاظ ،وقصة الخنساء وحسان بن ثابت ، وأسواق العرب التي كان الناس يجتمعون فيها فيلقي الشعراء شعرهم ، والخطباء خطبهم وينقد بعضهم بعضا سليست هذه وغيرها الا بداية حسنة للنقد والبلاغة ، وبذورا أثمرت قواعد واصولا بعد قرن أو قرنين .

اثر القرآن:

وقد أثر القرآن الكريم تأثيرا كبيرا في نشأة البلاغة والنقد ، وكانت خدمة كتاب المسلمين مدعاة الى البحث فيها ، فقالوا : « إن أحق العلوم بالتعلم ، وأولاها بالتحفظ بعد المعرفة بالله جل تناؤم علم البلاغة ومعرفة الفصاحة ٠٠ وقد علمنا أن الانسان اذا أغف ل علم البلاغة ، وأخل بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه باعجاز القرآن من جهة ما خصة الله به من حسن التأليف ، وبراعة التراكيب ، وما شحنه به من الايجاز البديع »(١) .

وذهبوا أبعد من هذا فقالوا : « إِنَّ البلاغة : ما بلغ بك الجنة ،

⁽۱) كتاب الصناعتين ص ١

وعدل بك عن النار ، وما بصرك بمواقع رشدك وعواقب غيـّك »(١) .

وكان تأثيره واضحا في اتخاذه مدار الدراسات البلاغية ، وكانت آياته البينات الشاهد البلاغي الرائع • وكانت احدى آياته مدعاة الى أن يؤلف أبو عبيدة كتاب « مجاز القرآن » • يقول : « أرسل الي " الفضل بن الربيع الى البصرة في الخروج اليه ، فقدمت عليه فلمـــــا استأذنت عليه أذرن لي وهو في مجلس له طويل عريض،فيه بساط واحد قد ملأه وفي صدره فرش عالية لا ترتقى اليها إلا ٌ على كرسي وهوجالس عليها ، فسلمت عليه بالوزارة فرد وضحك واستدناني حتى جلست أليه على عرضه ثم سألني ، وألطفني ، وبسطني ، وقال : انشدني . فأنشدته ، فطرب وضحك وزاد نشاطه . ثم دخل رجل في زي الكتّاب له هيئة فأجلسه الى جانبي ، وقال له : اتعرف هذا ؟ قال : لا . قال : هذا أبو عبيدة علامة اهل البصرة أقدمناه لنستفيد من علمه • فدعا لـ الرجل وقر "ظه لفعله هذا ، وقال لي : إني كنت اليك مشتاقا وقــــد سألت في مسألة اتأذن لي أن اعرفك اياها ؟ فقلت هات • قال : قال الله عز وتعالى : « طَـُكُـعُـها كَأنَّه رؤوسُ الشياطينِ »(٢) ، وانما يقع كَنَاتُم الله تعالى العرب على قدر كلامهم،أما سمعت قول امريءالقيس: أبقتلني والمشرفيء متضاجعي ومسنونة" زُرْق" كأنياب ِ أغْوال ِ

وهم لم يروا الغول قط ، ولكنهم لما كان أمر ُ الغول يهولهم أوعدوا به • فاستحسن الفضل ذلك ، واستحسنه السائل ، واعتقدت من ذلك اليوم أن أضع كتابا في القرآن في مثل هذا واشباهه وما يحتاج اليه علمه ، فلما رجعت الى البصرة عملت كتابى الذى سميته «المجاز» (٣) •

وانتهى ابن خلدون الى أنَّ ثمرة علم البلاغة : ﴿ انْمَا هِي فِي فَهُمْ

⁽١) البيان والتبيين ج١ ص١١٤ والعقد ج١ ص ٢٨٥٠

⁽٢) سورة المسافات ، الآية ه٦ .

 ^(*) نزهة الالباء في طبقات الادباء ص٧٠٠ ، ومعجم الادباء ج١٩ ص ١٥٨ .

الاعجاز من القرآن لأن اعجازه في وفاء الدلالة منه بجميع مقتضيات الاحوال منطوقة ومفهومة ، وهي أعلى مراتب الكلام مع الكمال فيما الختص بالانفاظ في انتقائها وجودة رصفها ، وهذا هو الاعجاز الذي تقصر الافهام عن ادراكه »(١) .

أثسر المفسرين:

وأثرَّر المفسرون والفقهاء في نشأة البلاغة وتطورها ، فقد كان من الضروري أن يضعوا بين يدي بحوثهم الدينية وكتب التفسير ، مقدمة في البلاغة تساعدهم على فهم القرآن واستنباط الاحكام الشرعية منه، ولعل تفسير الكشاف للزمخشري من أروع كتب التفسير التي اهتمت بالبلاغة والتأكيد على الاستفادة منها في ايضاح معاني كتاب الله . وفي كتب الاصول بحوث مستفيضة في الخبر والأنشاء، والحقيقة والمجاز، وهي بحوث تدل على استئثار علم اصول الفقه بها • يقول السكاكي : « بل تَصَفَّح معظم أبواب أصول الفقه من أي علم هي ، ومن يتولاها ؟ »(٢) • وقد أشـــار السبكي الى الصلة الوئيقـــة بين علمي المعاني وأصول الفقه بقوله: « واعلم أنَّ علمي اصول الفقه والمعاني في عاية التداخل ، فإن الخبر والانشاء اللذين يتكلم فيهما المعاني هما موضوع غالب الاصول ، وان كل ما يتكلم عليه الأصولي من كون الامر للوجوب ، والنهي للتحريم ، ومسائل الاخبـــار ، والعموم والخصوص ، والاطلاق والتقييد ، والاجمال والتفصيل ، والتراجيح كلها ، ترجع الى موضوع علم المعاني • وليس في أصول الفقهما ينفرد به كلام الشارع عن غيره الا الحكم الشرعي والقياس واشياء يسيرة»(٣).

أثر الكتاب:

وكان للكنتاب أثر "واضح" في البلاغة ، فقد صبغوا كثيرا من بحوثها بصبغة ادبية لما امتازوا به من ادب رفيع ، وذوق سليم • وهم

⁽١) مقدمة ابن خلدون ص ٥٥٢ .

۲) مغتاح العلوم ص۱۹۹

۲) عروس الافراح ج۱ ص ۵۳ .

الذين يقول الجاحظ عنهم: « طلبت الشعر عند الاصمعي فوجد له لا يحسن الا غريبه ، فرجعت الى الاخفش فوجدته لا يتقن الا إعرابه، فعطفت على أبي عبيدة فوجدته لا يتقن الا ما اتصل بالاخبار وتعلق بالايام والانساب ، فلم أظفر بما أردت الا عند ادباء الكتاب كالحسن ابن وهب ، ومحمد بن عبدالملك الزيات (١) • ويقول عنهم: « أمسًا أنا فلم أر قط أمثل طريقة في البلاغة من الكتاب ، فانهم قد التمسوا من الالفاظ ما لم يكن متوعرا وحشيا ، ولا ساقطا سوقيا » (٢) •

أثسر الشسمراء:

ولَعب الشعراء دورا مهما في البلاغة ، وليس ابن المعتز الشاعر العباسي إلا واحدا ممن وضعوا اللبنات الاولى للبلاغة وارسوا قواعدها، يقول عنهم: « البديع اسم موضوع لفنون من الشعر يذكرها الشعراء ونقاد المتأدبين منهم ، فأما العلماء باللغة والشعر القديم فلا يعرفون هذا الاسم ولا يدرون ما هو »(٢) .

أثر الفلسفة:

وكان للفلسفة والمنطق وعلم الكلام آثار عظيمة في البلاغة ونشأتها وتطورها ، وكانت آثارها تتجلى واضحة في التعريف ، والتقسيم ، والتعليل ، واستعمال اساليب المنطق وعلم الكلام ، وقد انتهى السكاكي الى التسوية بين عمل البلاغي ، وعمل صاحب الاستدلال مع ان بينهما بونا شاسعا ومدى بعيدا ، وانتهى الى أن الاستعارة والكناية وغيرهما من مباحث البلاغة ليست الا أقيسة منطقية والتزامات يستعملها المتكلمون لاقناع المخاطبين فيما يريدون اثباته او نفيه من نظريات وآراء ، يقول : « هذا وكم ترى المستدل يتفنن فيسلك تارة طريق التصريح فيتمم الادلة ، واخرى طريق الكناية اذا مهر ، مثل ما تقول المخصم : إن صدق ما قلت استلزم كذا واللازممنتف ، ولاتزيدفتقول:

⁽۱) العمدة ج٢ ص١٠٦٠ -

⁽٢) البيان والتبيين ج١ ص١٣٧٠

⁽٣) انبديع ص ٥٨ -

راتنفاء اللازم يدل على انتفاء الملزوم ، فلزم منه كذب قولك ، وهـــل فصل القياسات ووصلها ينسم غير هذا ؟ »(١) .

مدرستان بلاغيتان:

وكانت نتيجة هذا ان سارت البلاغة في اتجاهين مختلفين ،ونشأت مدرستان هما المدرسة الادبية ،والمدرسة الكلامية ، أو كما يسميها السيوطي: «طريقة العرب والبلغاء ، وطريقة العجم وأهل الفلسفة» (٢) . وكان لكل من هاتين المدرستين خصائصها ورجالها الاعلام .

وأهم خصائص المدرسة الكلامية: اهتمامها بالتحديد ، والتعريفات والتقسيم المنطقي، والاهتمام بالتعريف الجامع المانع، واسستعمال اساليب الفلسفة والمنطق في تحديد الموضوعات وتقسيمها وحصرها، واستعمال الالفاظ الفلسفية والمنطقية (٢) و وساق البلاغيون كثيرا من المقولات عند القول في الملكة حين وردت في تعريف الفصاحة والبلاغة وما صدروا به البيان من مباحث الدلالات الوضعية والعقلية ، وادخلوا فيها بعض مسائل الفلسفة الطبيعية والالهية والخلقية كالكلام في الالوان، والطعوم ، والروائح ، والحواس الانسانية ومقرها ، والوهم ، والحوال فيها من الالفاظ الفلسفية والكلامية المحمول ، والموضوع ، والايجاب ، فيها من الالفاظ الفلسفية والكلامية المحمول ، والموضوع ، والايجاب ، والسلب (٥) ، وغير ذلك من المصطلحات التي لا علاقة لها بالبلاغة .

⁽۱) مفتاح العلوم ص ٢٤٩ ، وينظر كتاب « البلاغة عند السكاكي » للمؤلف ص ١٥٤ وما بعدها . للتوسع في هذه الموضوعات ينظر القسم الاول من كتاب « دروس في البسلاغة وتطورها » للدكتور جميل سعيد .

⁽٢) حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة ج١ ص١٩٠٠ .

⁽٢) ينظر نن القول ص٨٦ ، وكتاب « 'لبلاغة عند السكاكي "ص١٠٢ وما بعدها .

⁽٤) المقولة: صفة من الصفات تحمل على الاشبياء كالمقولات التسبع « الكمية ، الكيفية ، الاضافة ، الكان ، الزمان ، الوضع ، الملك ، الفعل ، الانفعال » . وقد تكون المقولة موضوعا يحمل عليه من صفات آخرى كما في مقولة الجوهر . (ينظر كتاب نظرية ارسطو المنطقية للدكتور ياسين خليل ص ١٤) بغداد ١٩٦٤ .

هو المحمول: هو المحكوم به بأنه موجود أو ليس بموجود لشيء آخر ، الموضوع: هو الذي يحكم عليه بأن شيئًا آخر موجود له ، أو ليس بموجود له ، مثال الموضوع تولنا:

لقد حددوا البلاغة بهذه المقاييس وضبطوا بحوثها بهذه الاعتبارات العقلية التي أزهقت روح البلاغة واحالتها قواعد جامدة لا حياة فيها ، وبذلك نشأ الجدل العنيف ، والنقاش الحاد في كتب البلاغة فأخرجها عن هدفها الادبى وغايتها الفنية .

ومن شواهد الأثر الفلسفي في هذه المدرسة الاقلال من الشواهد والامثلة الادبية ، لان رجالها اهتموا بالتحديد المنطقي ، والحصر ، والتقسيم ، فكانوا يذكرون لكل قاعدة شاهدا واحدا أو مثالا قصيرا، وقد يذكرون أكثر من مثال وشاهد ، وليتهم وقفوا عند هدذا ، فكثيرا ما يذكرون أمثلة لا جمال فيها ، لان صحة الشاهد أو المثال عندهم أصل كل شيء ، أمّا جماله ، وما يبعث في النفس من احساس أو شعور أومتعة فنية فلم يوجهوا عنايتهم اليه ،

وشاعت المدرسة الكلامية في المناطق الشرقية من الدولةالاسلامية حيث يقطن خليط من الفرس والترك والتتر •

ومن خصائص المدرسة الادبية عدم الاهتمام بالتحديد والتقسيم اهتماما كبيرا ، وإن مجنحت الى ذلك فعلى غير تعمق ونفاذ والتزام للتصحيح التام للاصول المنطقية فيه ، إلا أن يكون شيء من ذلك أثرا لعدوى المدرسة الكلامية (١) • ولم تهتم باقتباس المنطقيات والفلسفة ، بل نبذتها وحملت عليها وحاربتها ، وكان ابن الاثير احد أقطاب هذه المدرسة من الذين حملوا حملة عنيفة على الفلسفة ، ورأى في رجالها من امثال ابن سينا والفارابي رجالا أضلهم ارسطو وافلاطون •

[«] زيد » من قولنا: « زيد كاتب » . ومثال المحمول قولنا: « كاتب » من قولنا: « كاتب » من قولنا: « زيد كاتب » . الايجاب: هو ايقاع النسبة وايجادها . وفي الحملية: هو الحكم بوجود محمول لموضوع . السلب: هو رقع النسبة الوجودية بين شيئين . وفي الحملية: هو الحكم بلا وجود محمول لموضوع . (ينظر كتاب النجاة لله مختصر الشغاء لابن سينا لله من ١٨ وما بعدها ، وكتاب المنطق التوجيمي لابي الملا مغيفي ، وكتاب دروس في البلاغة وتطورها للدكتور جميل سعيد ص ٧١) .

⁽١) ينظر فن القول ص ٩٣ ، والبلاغة عند السكاكي ص ١٠٦ وما بعدها .

ومن خصائصها انها تستعمل المقاييس الفنية في الحكم على الادب فنجدها تستطيع التعليل حينا ، ولا تستطيعه حينا آخر ، وترجعه الى الذوق والاحساس الفني • وأسلوب كتبها وتعابيرها سهلة مفهومة لا تحتاج الى عناء كبير في فهمها كما يحتاج في قراءة كتب المدرسية الكلامية التي يقف الباحث فيها على نص أو تعريف وقفة طويلة يحاول فيها فهم ما يرمى المؤلف اليه • وعلة ذلك ان معظم رجال هذه المدرسة عاشوا في بيئة عربية كالعراق والشام ومصر ، وكَانوا الى جانب ذلك شعراء أو كتابًا لهم ذوق أدبي ، واحساس فني صادق ، أما رجيال المدرسة الكلامية فقد عاشوا في بيئة تركيــة أو فارسية فغلبت على كتبهم العجمة ، وعلى أساليبهم التعقيد واللف الذي يحتاج الى تأمل ووقوف، وكانوا الى جانب ذلك علماء بالمنطق، وعلم الكلام.

وأكثر رجال المدرسة الادبية من الشواهد والامثلة الادبية شعرا ونثرا ، وكانوا غالبا ما يذكرون القاعدة بسطر اوسطرين، ويأتون بأمثلة تتجاوز الصفحات ، ولم تكن أمثلتهم مقصورة على الجملة أو بيت الشعر ، وإنما تعدتها الى القطعة الشعرية والرسالة الأدبية . َهُوَ النَّالِيفُ: دُواْفُعُ النَّالِيفُ:

ويمكن القول ان القرآن الكريم كان الدافع الأول الى البحث في البلاغة ، فلكي يبرهنوا على اعجازه ، ولكي يفهموا آياته واسلوبه لاستنباط الاحكام الشرعية ، اتجهوا اليها باحثين فنونها ، موضحين اقسامها . وكانت الحاجة ماسة الى الاهتمام بالبلاغة والبحث فيها الى جانب حاجتهم الدينية ، فقد كانت المقدرة الكتابية في كثير من الاحيان السبيل الممهد للوصول الى المناصب الكبيرة، وكان على من يريد تسنمها أن يكون كاتبا اديبا له جولات عظيمة في الادب وفنونه ، وله طريقة او اسلوب في الكتابة • وليست الامثلة ببعيدة عن الاذهان ، فقد نال آل وهب في العصر العباسي بفضل الكتابة ارفع المناصب والرتب، وتقلدوا الوزارات وتدبير شؤون الدولة ، وتُمسَنَّمُ ابن الاثير منصب

الوزارة في عهد بني أيوب •

ودخلت أقوام شتى في دين الله ، وكان عليها أن تتقن لغة القرآن أو لغة الدولة الرسمية وليس من سبيل الى اتقانها الا ضبط قواعدها ، والتعمق في فنونها ، وكانت حاجة الناس الى تمييز الكلام الجيد من الرديء سببا في التأليف ، والتعمق في بحث مسائلها واصولها •

وقد أشار الى هذه الاهداف أبو هلال العسكري فقال: « إن الحق العلوم بالتعلم ، وأولاها بالتحفظ _ بعد المعرفة بالله جل ثناؤه _ علم البلاغة ومعرفة الفصاحة الذي به يعرف اعجاز كتاب الله تعالى ٠٠ وقد علمنا أن الانسان اذا أغفل علم البلاغة ، واخل بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه باعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف وبراعة التركيب ٠٠ فينبغي من هذه الجهة أن يقدم اقتباسهذا العلم على سائر العلوم بعد توحيد الله تعالى ومعرفة عدله والتصديق بوعده ووعيده ٠٠

ولهذا العلم بعد ذلك فضائل مشهورة ، ومناقب معروفة ، منها أن صاحب العربية اذا أخل بطلبه ، وفرَّط في التماسه ، ففاتته فضيلته ، وعلقت به رذيلة فوته ، عفى على جميع محاسنه ، وعمى سائر فضائله ، لانه اذا لم يفرق بين كلام جيد وآخر رديء ، ولفظ حسن وآخر قبيح، وشعر نادر وآخر بارد ، بان جهله ، وظهر نقصه .

وهو _ أيضا _ اذا اراد أن يضع قصيدة ، أو ينشيء رسالة وقد فاته هذا العلم مزج الصفو بالكدر ، وخلط الغرر بالعرر ، واستعمل الوحشي العكر ، فجعل نفسه مهزأة للجاهل ، وعبرة للعاقل .

واذا أراد أيضا تصنيف كلام منثور ، أو تأليف شعر منظوم ، وتخطئى هذا العلم ساء اختياره له ، وقبحت آثاره فيه ، فاخذ الرديء المرذول ، وترك الجيد المقبول ، فدل على قصور فهمه وتأخر معرفت وعلمه »(١) .

⁽۱) كتاب المسناعتين ص ۱ - ۳ •

ولعل اول ما وصل الينا من الكتب وفيها مسائل بلاغية كثيرة، كتب التفسير الاولى كر « معاني القرآن » للفراء (٢٠٧هـ) و « مجساز القرآن » لابي عبيدة معمر بن المثنى (٢٠٨ هـ) و « وتأويل مشكل القرآن » لابن قتيبة (٢٧٦ هـ) وكتب الادب كر « البيان والتبيين » للجاحظ (٢٥٥ هـ) و « الكامل في اللغة والادب » لمحمد بن يزيد المبرد (٢٨٥ هـ) •

ونسط التأليف في النقد والبلاغة منذ العصور الاولى ، وظهر كتاب « البديع » لابن المعتز (٢٩٦ هـ) وهو أول محاولة ناضجة في هذا الميدان ، فيها التقسيم والعرض الجيد بالنسبة الى كتاب « قواعد الشعر » لأستاذه أبي العباس ثعلب (٢٩١ هـ) • وجاء بعده نقاطام وبلاغيون كبار ، كان لكل منهجه الخاص في البحث ، واصالته في التأليف • ويلاحظ أن الاقاليم الشرقية من الدولة الاسلامية كالعراق وبلاد فارس كانت السباقة في هذا الميدان ، وعلة ذلك أن بغداد كانت عاصمة الدولة العربية الاسلامية ، ومقر الخلافة في عصر بني العباس ، ومحج العلماء وهالة الادب • وقد نشأت في العراق علوم اللغة العربية من لغة ، ونحو ، وصرف ، وبلاغة ، ونقد ، وعروض • وكانت الكوفة،

والبصرة ،وبغداد ، مركز هذه الدراسات ، وفي مساجدها وحلقات درسها تخرج العلماء والادباء ، ومنها تدفقت أفواجهم وسلاوا في البلاد يدرسون ويؤلفون ، وبقي العراق مشعلا وهاجا ، وسراجا منيرا يضيء السبل ، وبقي موئلا يفد الطلاب اليه ، حتى اذا ما ضعف أمر البخلافة العباسية وسيطر البويهيون والسلاجقة على الحكم في بغداد ، انتعشت اقاليم اسلامية وعربية أخرى ، ونشأت فيها حركة علمية وادبية ، فكان في خوارزم ، وفارس ، والشام ، ومصر ، والمغرب العربي ، امارات أخذت ترعى الادب وتهتم بالعلماء ، وتقيم الهم وزنا عظيما ،

اتجاهات بلاغية:

وتميز القرن السادس الهجري بثلاثة اتجاهات بلاغية هي: مذهب المشارقة ، ومذهب المغاربة ، ومذهب أهل مصر والشام ، وكان لكل اتجاه ميزات خاصة ، فمذهب المشارقة «كان اميل الى الاخذ بالمعاني والجوهر لا بالصيغة والالفاظ والبديع »(١) ، ولعل ذلك يعود الىقدم الدراسة الفلسفية والعلوم العقلية في التراث الفارسي ، والى ميل الفرس وغيرهم من الاعاجم بطبعهم الى البحوث العقلية ، ثم الى رد الفعل الذي اوجده طغيان الدراسة الشكلية في حركة البديع عند نقاد القرن الرابع وما بعده ، وقد أشار ابن خلدون الى اهتمامهم بعلمي المعاني والبيان ، واهتمام المغاربة بالبديع ، وعلل ذلك بقوله: «وبالجملة في العلوم اللسانية ، والصنائع الكمالية توجد في العمران ، والمشرق في العلوم اللسانية ، والصنائع الكمالية توجد في العمران ، والمشرق أوفر عمرانا من المغرب ، أو تقول لعناية العجم وهم معظم أهدل المشرق حكفسير الزمخشري ، وهو كله مبني على هذا الفن ، وهو السله »(٢) .

وقد ظهر في البيئة المشرقية بلاغيون أعلام ، كعب دالقاهر ،

⁽١) ضياء الدين بن الأثير وجهوده في النقد ص ٣١٢٠.

⁽۲) مقدمة ابن خلدون ص ٥٥٢ ٠

والزمخشري ، والرازي ، والسكاكي •

ولم يهمل المشارقة البديع اهمالا كبيرا ، وانما اتجه بعضهم الى البحث فيه ، وتأليف الكتب في فنونه ، وقـــد ألف محمد بن عمر الرادوياني كتاب « ترجمان البلاغة » وهو في بديع اللغة الفارسيةالتي تأثرت ببديع العرب وبلاغتهم ،

الوطواط:

ووضع رشيد الدين الوطواط (٣٧٥ هـ) (١) كتاب « حدائق السحر في دقائق الشعر » باللغة الفارسية بعد أن اطبع على كتاب « ترجمان البلاغة » ويقول متحدثا عن الملك العادل خوارزم شاه أتسز : « فأطلعني على كتاب في معرفة بدائع الشعر الفارسي يسمونه « ترجمان البلاغة » ، فلما راجعته وجدت ان ابيات الشواهد المسطرة في هذا الكتاب غير مستطابة وانها جميعها متكلفة النظم ، قد جمعت بطريق التعسف ، وانها بالاضافة الى ما بها من تكلف وتعسف ، لاتخلو من أنواع الزلل واصناف الخلل ، فرأيت من الواجب علي وانسان النظم والنشيء في هذه الاعتاب وأن اكتب هذا الكتاب في معرفة محاسن النظم والنثر في كلتا اللغتين العربية والفارسية »(٢) ه

وتتبع الوطواط خطا « الرادوياني » ، ونقل عنه كثيرا ، وتابعه في أبواب البديع ، ولكنه بقي محتفظا بطابعه الاصيل ، وكتاب « حدائق السحر في دقائق الشعر » بعيد كل البعد عن النزعية الفلسفية التي سيطرت على كتب المشارقة في عصره ، وهو قريب من بديع ابن المعتز في منهجه وطريقته وعرضه للأمثلة والشواهد ، مع فرق واضح وهو ان الشاعر العباسي كان يتخير الأمثلة الجميلة ، ويسدل على مواطن الجودة والاسفاف ، اما الوطواط فقد طغت على كتابه الأمثلة المصنوعة ،

⁽۱) تنظر ترجمته في معجم الادباء ج١٩ ص ٢٩ ، والبلاغة عند السكاكي ص ٢٤٢ , وما بعدها .

⁽٢) حدائق السحر في دقائق الشعرس ٨٩٠.

وبدا التكلف واضحا جليا ، وكان ينظم شعرا ليدعم قاعدته في كثير من الأحيان •

وقد جمع الكتاب الترصيع ، والتجنيس ، وحسن المطلع ، والجمع والتعريف ، والتقسيم ، وتجاهل العارف ، الى جانب الاستعارة ، والتشبيه ، والالتفات ، وارسال المثل ، وطريقته في البحث أن يعر "ف الفن البلاغي تعريفا موجزا ، ثم يذكر الأمثلة من غير شرح وتعليل ، يقول في الترصيع مثلا: «الترصيع في اللغة بمعنى وضع الجواهر وغيرها في الذهب ، ومعناه في أبواب البلاغة : أن يقسم الكاتب أو الشاعر عباراته الى أقسام منفصلة ، ثم يجعل كل لفظ منها في مقابل لفظ آخر يتفق معه في الوزن وحرف الروي ، ومثال الترصيع في القرآن المجيد : «يأن الأبرار كفي نكيم ، وان "الفنجار كفي جكيميم »(١) ، ومثاله من الكلام النبوي : « اللهم اقبل توبتي ، واغسل حوبتي » ، ومن قولى بالعربية :

يا باني الفخر الأشم م أنت المقدم في الهشدى مغنساك للسراجي حمى الليث دونكك في الوغى تلقى بعضرتك المنسى

يا ثاني البحسر الخضم أنت المعظم في الأمسم وذراك لسلاجي حسر م والفيث دونك في الكرم تنفى بفسرتبك الظلكم (٢)

ويقول في الاستعارة: « الاستعارة في اللغة بمعنى طلب العارية ، ومعناها اصطلاحا: أن يكون للفظ معنى حقيقي فينقله الشاعر أو الكاتب من معناه الحقيقي الى معنى آخر يستعمله فيه على سبيل العارية وهذه الصنعة موجودة بكثرة في سائر اللغات والالسنة وواذا كانت الاستعارة مطبوعة ولم تكن بعيدة متصنعة ، فان رواء الكلام يكمل بها وتتم حليته بواسطتها و ومثالها من القرآن الكريم .

⁽۱) سورة الانفطار ، الآيتان ۱۳ و۱۶ .

⁽٢) حدائق السحر في دقائق الشعر ص ٩٠ ـ ١٠ ٠

« واخْفِضْ لهما جَنَاح َ الذَّيْلِ مِن َ الرَّحْمة ِ »(۱) ، ويقول الشاعر: ومن العجائبِ أن ييض سيوفينا تكيد ألنسايا السشود وهي ذكور (۲)

أثر مذهب الشارقة:

وكان لمذهب المشارقة أثر "كبير في تحديد موضوعات البلاغة ، ففي يئة خوارزم انقسمت البلاغة الى علومها الثلاثة على يدي السكاكي (٢٦٦هـ) ، ومنها خرج المنهج البلاغي الذي سيطر على الدراسات البلاغية حتى العصر الحديث ، وليس هذا الاتجاه الا امتدادا لمدرسة عبدالقاهر الذي رفع لواء تحكيم المقاييس النحوية والعقلية في البلاغة والدراسات النقدية ، وكانت نظرية النظم اهم ما تميز به هذا الرجل الذي أرسى قواعد البلاغة وجعلها علما له اصوله واهدافه ،

السرازي:

وقد أثر عبدالقاهر في البلاغة تأثيرا كبيرا ، وتبعه كثيرون ، ومن اشهر تلاميذه في تلك الديار الزمخسري صاحب تفسير « الكشاف » ، والرازي (۱۳) مؤلف « نهاية الايجازفي دراية الاعجاز » ، وهو أول من حاول القضاء على الروح الأدبية في كتابي عبدالقاهر ، وتحويل البلاغة الى وجهة تهتم بالضبط ، والتحديد ، والحصر المنطقي ، وأول مايطالعنا في كتاب الرازي دعوته الى ترتيب أصول البلاغة ووضع قواعد ثابتة لها، فقد وجد أن عبدالقاهر « أهمل رعاية ترتيب الأصول والابواب، وأطنب في الكلام كل الاطناب » (١٤) ، وحاول ضبط هذه الابواب وهي متفرقات الكلام كل الاطناب » (١٤) ، وحاول ضبط هذه الابواب وهي متفرقات الكلام ، ووضع قواعد تضبط البلاغة ، وتحصر موضوعاتها ، وتهم "له

⁽١) سورة الاسراء ، الآية ٢٤ .

١٢٣ – ١٢٢ ص ١٢٢ – ١٢٣ .

 ⁽٣) تنظر ترجمته في تأريخ الحكماء للقفطي ص ٩٠ ، وطبقات الشافعية ج٥ ص٣٣،
 والبلاغة عند السكاكي ص ٢٤٨ .

⁽٤) نهاية الايجاز في دراية الاعجاز ص ٤ .

ذلك ، ورتّب كتابه على مقدمة وجملتين ، تحدث في المقدمة عن اعجاز القرآن وشرف علم الفصاحة ، أما الجملتان ، فالأولى في المفردات ، والثانية في النظم ، وهو بذلك يتابع عبدالقاهر ويستفيد من قول ه : « اعلم أنّ الكلام الفصيح ينقسم قسمين : قسم تعزى المزية والحسن فيه الى اللفظ ، وقسم يعزى ذلك فيه الى النظم (۱) ،

ولا يخرج تقسيم الرازي عما ذكره عبدالقاهر فبحث في الجملة: المفردات وهي في نظره : التجنيس ، والاشــــــتقاق ، ورد العجز على الصدر ، والقلب ، والسجع ، والمزدوج ، والترصيع ، والحقيقة ، والمجاز ، والكناية ، والتشبيه ، والاستعارة . وبحث في الجملـــة الثانيـــة النظم وهو : معنى النظم ، والمطابقـــة ، والمقابلــة ، والمزاوجة ، والاعتراض ، والالتفات ، والاقتباس من القرآن، والتلميــح ، وارســال المثلين ، واللف والنشـــر ، والتعــــديد ، وتنسيق الصفات ، والايهام ، ومراعاة النظير ، والموجه ، والمحتمل اللضدين ، وتأكيد المدح بما يشبه الذم، وتجاهل العمارف ، والسؤال والجواب، والاغراق، والجمع، والتفريق، والتقسيم، والمتزلزل، والتعجب ، وحسن التعليل ، والتقديم والتأخير ، والفصل والوصل ، والحذف والاضمار ، والايجاز وما يتعلق بـ « إِنَّ » و « إنَّمَا » • وقد نجح في بحث البلاغة الى حد كبير ، لولا بعض الامور ، منها : أفه افقد البلاغة روحها الادبية بادخاله الدلالات الوضعية والعقليةوالمباحث الفلسفية، وقضى على النزعة الذوتية التي كانت تطبع كتابي عبدالقاهر، لأنه حاول ان يوجزهما ويرتبهما • يقول : « ولما وفقني الى مطالعــة هذين الكتابين التقطت منهما معاقد فوائدهما، ومقاصد فرائدهما ، وراعيت الترتيب مع التهذيب ، والتحرير مع التقرير ، وضبطت أوابد الاجمالات في كل باب بالتقسيمات اليقينية ، وجمعت متفرقات الكلم في الضوابط العقلية مع الاجتناب عن الاطناب الممل ، والاحتراز عن

⁽۱) دلائل الاعجاز ص ۲۲۹ .

الأختصار الممل »(١) .

وقد أكثر من التقسيم ، وشكب من المسألة الواحدة مسائل كثيرة ، ووتقسيمه البلاغة الى قسمين – وإن أخذه عن عبدالقاهر – لم يكن دقيقا ، لان الاستعارة ، والكناية ، والتمثيل ، وسائر ضروب المجاز من مقتضيات النظم ، وعنها يحدث ، وبها يكون ، لأنه لايتصور ان يدخل شيء منها في الكلم وهي افراد لم يتوخ فيما يبنها حكم من أحكام النحو ، فلا يتصور أن يكون ههنا فعل أو اسم قد دخلته الاستعارة من دون ان يكون قد ألف مع غيره ، أفلا ترى انه إن قد رفي « اشتعل » من قوله تعالى : « واشتعل الرأس شيبا » أن لا يكون « الرأس » فاعلا له ، ويكون « شيبا » منصوبا عنه على التمييز ، لم يتصور أن يكون استعارة ، وهكذا السبيل في نظائر التمييز ، لم يتصور أن يكون استعارة ، وهكذا السبيل في نظائر

وكتاب « نهاية الايجاز » مع هذا كله ، يبقى ذا قيمة عظيمــة في دراسة البلاغة العربية وتطورها ، لأنه يعتبر حلقة الوصل بين بلاغـــة عبدالقاهر ، وبلاغة السكاكى ، وتلاميذه من المتأخرين •

المطــرزي :

ولناصر بن أبي المكارم المطرزي (٦٦٠ هـ) (٣) كتاب «الايضاح» وهو شرح مقامات الحريري ، وقد صدر مقدمة في البلاغة ليعطي قاريء الشرح محك النقد ، وينصب له معيار التمييز بين الحسن والرديء ، وتكلم على البلاغة من غير أن يقسمها كما فعل الرازي أو المتأخرون ،

ويبدو أثر مبدالقاهر واضحا في بحثه ، للحقيقة والمجاز ،

⁽١) نهاية الايجاز في دراية الاعجاز ص ٤ .

⁽٢) ينظر دلائل الاعجاز ص ٣٠٠٠.

⁽٣) ينظر البلاغة عند السكاكي ص ٢٦٠ .

وفي مواضع اخرى صرَّح فيها بالنقل عنه والاشارة الى آرائه •ويبدو أثرَّ رشيدالدين الوطواط جليا فيما يتعلق بفنون البديع •

وطريقته في البحث أن يذكر التعريف والقاعدة ، ثم يعرض الامثلة القليلة ويقول في رد العجز على الصدر: «ومما يعد في أقسام البديع ردالعجز على الصدر: وهو أن تجيء بكلام يلاقي آخره أوله لفظا بوجه من الوجوه اما نثراً واما نظما ، مثاله من التنزيل قوله تعالى : « و تَتَخْشَى الناسَ والله من احتَ أن تخشاه » (۱) وقوله عز وجل : « است تعقروا والله من التكم إنكه كان عَقارا » (۲) وقوله جل وعلا : « لا تنفتتروا على الله كذباً في شروا على الله كذباً في شروا على الحيلة ترك الحيلة » وقولهم: « القتل أنفي للقتل» (۱) وقولهم : « المناس وقائه وقولهم : « القتل أنفي للقتل» (۱) وقولهم : « المناس وقائه وقولهم : « المناس وقائه وقولهم : « القائم المناس وقائه وقولهم : « المناس وقائه وقولهم : « القائم المناس وقائه وقولهم : « القائه وقولهم : « المناس وقائه وقولهم : « وقوله وقولهم : « وقولهم المناس وقائه وقولهم وقائه وقولهم وقولهم وقائه وقولهم وقولهم وقولهم وقائه وقوله وقائه وقوله وقائه وقوله وقائه وق

وقسم السكاكي شيخ المدرسة الكلامية البلاغة الى علمين هما: المعاني والبيان، والى محسنات أو وجوه يصار اليها بقصد تحسين الكلام، وقد قتل البلاغة في هذا التقسيم، وضيق بحثها في كتابه « مفتاح العلوم» الذي كان تلخيصا للصرف والنحو والبلاغة والاسستدلال والعروض وعلم القوافي، ولكن المغاربة حمدوا للمشارقة هذا العمل، وسار بهاء الدين السبكي على خطاهم مرغما مع أنه كان يدعو الى تحكيم الذوق، والمقاييس الفنية في النقد، يقول: « وأما أهل المشرق الذين لهم اليد الطولى في العلوم، ولا سيما العقلية والمنطق، فاستوفوا هممهم السامخة في تحصيله، واستدلوا بجدهم على جملته وتفصيله، ووردوا الشامخة في تحصيله، واستدلوا بجدهم على جملته وتفصيله، ووردوا عنها بملء سجلهم، وكيف لا وقد جلبوا مناهل هذا العلم فصدروا عنها بملء سجلهم، وكيف لا وقد جلبوا عليه بخيلهم ورجلهم، فلذلك غمروا منه كل دارس وعبروا من حصونه المشيدة ما رويد عنه الحارس، وبلغوا عنان السماء في طلبه» (٥٠).

⁽١) سورة الاحزاب ، الآية ٣٧ .

⁽٢) سورة نوح ، الآية ١٠ .

⁽٣) سورة طه ، الآية ٢١ .

⁽٤) الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ١٤.

⁽٥) عروس الافرام ج ١ ص٥ .

ولم تُبُقَ مدرسة المشارقة وتقسيماتها البلاغية في اقليمها ، وانما سارت الى الاقاليم العربية ، فعرفت الشام ومصر والعراق عبد القاهر وكتابيه ، والسكاكي ومفتاحه ، وألفت على غرارها كتب كان لها أثر كبير في توجيه البلاغة على مر العصور .

مذهب الفسارية:

واتجه مذهب أهل المغرب والاندلس الى مذهب المشارقة وانغلب عليه البديع في كثير من الاحيان ، ولكن علماءه لم يأخذوا آراءهم كلها، بل ناقشوها، وعدّلوا فيها ، وعالجوها معالجة تتفق مع شـخصيتهم وطابعهم الخاص الذي اتسم به تفكيرهم وأدبهم ، ومن امارات تلك الشخصية ما نراه في تناول كتب البديع والنقد بالمعارضة ، وقد ألئف ابن رشيق كتابا في الاخذ على قدامة ، ونقل كثير منهم كالشريشي في شرحه لمقامات الحريري عن المشارقة كالحاتمي وقدامة وابن وكيع (١) .

حازم القرطاجني:

وظهر في القرن السابع وما بعده اتجاه جديد في البلاغة والنقد ، وهو اتجاه متأثر بدراسات اليونان وارسطو خاصة ، ويمثل هذا الاتجاه حازم القرطاجني (١٨٤ هـ) صاحب « منهاج البلغاء وسراج الادباء»، وقد قسم كل منهج الى فصول او فقر طويلة يسميها : معلم ، اضاءة ، تنوير ، أو معرف ، اضاءة ، تنوير ، وتتوالى الاضاءة فالتنوير داخل المعلم او المعرف الواحد ، وليس ثمة فرق عنده بين المعلم والمعرف ، ولا بين الاضاءة والتنوير ، بل هي تنويعات في تسمية الاقسام لا تخلو من حذلقة لانها غريبة (٢) .

وقد بدأه بالكلام في المعاني وأقسامها ، والبواعث المختلفة

⁽١) ينظر ضياء الدين بن الاثير وجهوده في النقد ص ٣٥٤.

 ⁽٢) ينظر حارم القرطاجني ونظريات ارسطو في الشعر والبلاغة ص ١ ، وكتاب
 الى طه حسين ص ٨٥ .

للشمر وصلتها بأقسام المعاني ، وتكنم على طبيعة الشاعر وملكته وقسمها الى ثلاثة أقسام: قوة حافظة ، وقوة مائزة ، وقوة صانعة . يقول : « ولا يكمل لشاعر قول على الوجه المختار الا بأن تكون له قوة حافظة ، وقوة مائزة ، وقوة صانعة ، فأما القوة الحافظة فهي أن تكون خيالات منتظمة ممتازا بعضها عن بعض محفوظة كلها في نصابه ، فاذا أراد مثلا أن يقول فرضا ما في تشبيه او مديح ، او غير ذلك وجد خياله اللائق به قد وهبته له القوة الحافظة ، وتكون صور الاشــياء مترقبة جميلة على حد ما وقعت عليه في الوجود ، فاذا أجال خاطره في تصورها فكأنه اجتلى حقائقها • وأكثر خواطر الشعراء تكون معتكرة الخيالات غير منتظمة التصور ، فاذا أجال احدهم خاطره في أوصاف الأشياء وخيالاتها اشتبهت عليه واختلطت ، واخذ فيهاغير ما يليـــق بمقصده وبالموضع الذي يحتاج فيه الى ذلك ، وكأن المنتظم للخيالات كالناظم الذي تكون عنده أنماط من الجواهر مجزأة محفوظة المواضع عنده المفاذا أراد أي حجر شاء على أي مقدار شاء عمد الى الموضع الذي يعلم انه فيه ¿ فأخذها منه ونظمه ¿ وكذلك من كانت خيالاته وتصوراته منتظمة متميزة فانه يقصد بملاحظة الخاطر منها الى ما يشاء فلا يعدوه ٠ والممتكر الخيالات ، كناظم تكون جواهره مختلطة ، فاذا أراد حجرا على صفة ما تعب في تفتيشه ، وربما لم يقع على البغية فينظمه فيمواضع غير ما يليق به »^(۱) •

وتحدث عن الخيالات ومكانتها بين قوى الملكة الثلاث للتناسب بين المعاني المختلفة وبين خيالاتها وصلة ذلك بالبيان خاصة وما يرد فيه من تشبيهات ومبالغات وتخييلات ، وتكلم على المطابقة ، والمقابلة ، وغيرها من فنون البديع والبلاغة .

والجديد في هذا الكتاب هو أنه عقد فصلا طويلا تحدث فيه عن

⁽۱) منهاج البلفاء وسراج الادباء ص ۱۲ ، وينظر ضباء الدين بن الاثير وجهوده في النقد ص ۳۵۵ .

نظرية ارسطو في الشعر والبلاغة ، وهذا ما لا نجده في غيره من الكتب، وبذلك ينقل حازم القرطاجني البلاغة العربية الى جو جديد ، يقول : « وقد ذكرت في هذا الكتاب من تفاصيل هذه الصنعة ما ارجو انه من جملته ما أشار اليه أبو علي بن سينا ، وقد تركت من ذلك أشياء لم يسكني الكلام فيها لكون بعض إغراض النفس تحث على الانحفاز في انتأليف وتعجيل الاتمام له ، ولأن استقصاء القول في هذه الصناعة محوج الى اطالة تتخون أزمنة الناظر وتعوقه عما يجب أن يترقى اليه في هذه الصناعة في هذه الصناعة من العلوم النافعة ، فان النظر في أسرار هذه الصناعة مفتاح للنظر في تلك ومرقاة لها »(١) ،

ولعل أهم ما في الكتاب البحث في المحاكاة وأنواعها ، وقد اسرف حازم في البحث عنها وادخل مفاهيم ارسطو وبلاغة اليونان ، فأخرج البلاغة عن اتجاهها العربي الى اتجاه الفلاسفة ومنطق ارسطو .

الاندلسى:

وظهر الى جانب هذا كتاب « المعيار في نقد الاشعار » لمحمد بن احمد الاندلسي الذي عاش في القرن السابع الهجري وفيه نزعة الى البديع لا نجدها في كتاب حازم ، وقد تكلم فيه على المجاز وأقسامه ، والبلاغة وفنونها ، وضروب البديع كالحذف ، والجناس ، والمطابقة ، والايغال ، والسرقات ، وكلامه لايخرج عن كلام غيره من أصحاب البديع من المشارقة ، وان غلبت عليه الروح الفلسفية ، وتسلل الى كلامه بعض عبارات ارسطو وابن سينا(٢) .

⁽۱) حازم القرطاجني ونظريات 'رسطو في الشعر والبلاغة ص ۱۶ ، كتاب الى طــه حسين ص ۹۸ .

⁽٣) نظر نسياه الدين بن الاثير وجهوده في النقد ص ٣٥٨ .

منهب مصر والشام:

اما أهل مصروالشام فقد كان لهم اتجاه آخر يختلف كل الاختلاف عن مذهب المشارقة الذي اهتم أعلامه بوضع القواعد المنطقية، والحدود النجامعة المانعة ، والابتعاد عن المقاييس الادبية في النقد والموازنة والتحليل ، ويختلف عن مذهب حازم القرطاجني الذي طبق نظريات أرسطو في الشعر والبلاغة على البلاغة العربية .

لقد كان أهل مصر والشام يميلون الى تحكيم الذوق في البلاغة والنقد ، والاهتمام بصور البديع وما توحيه من انفعالات تفسية تتعلق بالاحساس الفني والوجدان ، وقد عرفت هذه الديار معظم كتبالبلاغة والنقد التي ألفت في العراق والمشرق ، ونظرة عابرة في «سر الفصاحة » لابن سنان و « البديع في نقد الشعر » لاسامة بن منقذ تبين لنا أنهم عرفوا كتب الجاحظ والموازنة والوساطة وكتب الرماني وقدامة والحاتمي وكتاب الصناعتين والعمدة واللمع ،

وكان دارسو البلاغة في هذا العصر يرمون الى هدفين :

أولهما : دراسة بلاغة القرآن ومعرفة مظاهر فصاحته • وقد ألفت كتب كثيرة في هذا الميدان اهمها « الاشارة الى الايجاز في بعض أنواع

المجاز » لعزالدين عبدالعزيز بن عبدالسلام (٦٦٠هـ) ويذكره السيوطي اول ما يذكر فيمن ألف في هذا الفن (١) ، و « بديع القرآن » لابن أبي الاصبع المصرى .

وثانيهما: القدرة على تذوق القول الجميل وانتاجه ، ولعل كتب ابن الاثير من خير ما يمثل هذا الاتجاه ، فقد اهتم مؤلفها _ وهو الكاتب القدير _ بهذه الناحية في « المثل السائر » و « الجامع الكبير»، واولاها التفاتا عظيما .

واختلفت ثقافة دارسي البلاغة في هذا العصر ، فكان منهم الادباء، كابن الأثير وابن الزملكاني ، ومنهم من غلبت عليه دراسة النحو كبدرالدين بن مالك ، ومنهم من اشتغل بالمنطق وعلم الكلام كمحمد ابن يوسف الجزري ، ومنهم الفقيه العالم كعزالدين عبدالعزيز بن عبد السلام ، وكان لثقافة كل مؤلف أثر واضح فيما كتب ، وفي توجيب منهجه ، وعرض فنون البلاغة ومعالجتها ،

ويلاحظ أن البلاغة في مصر والشام بعد القرن السادس لم تكن كما كانت عليه في البيئة المشرقية حينماوضع السكاكي « مفتاح العلوم»، وانما كانت تدرس على انها فن واحد، اليه يرجع الاديب والمثقف ليأخذ مقاييسه النقدية ، ويستعين به على فهم الادب، ولم تحدد المصطلحات فيها تحديدا منطقيا أو جامعا مانعا ، كما تحددت في البيئة المشرقية، وعلى الك ان يئة مصر والشام العربية كانت تنحو في كتبها منحى أدبيا يعتمد على الدوق الصافي، والملكة الادبية والحس المرهف ، بينما كانت مدرسة المشرق تعتمد على وضع القواعد ، وتحديد المصطلحات .

ويلاحظ ان المصطلحات لم تستقر حتى هذا العصـــر ، فقد ذكر الزمخشري ان الالتفات يكون من الغيبة الى الخطاب ، ومن الخطاب

١١) ينظر الاتقان ج٢ ص ٣٦ .

وقد طبع كتاب الاشارة الى الايجاز أكثر من مرة، آخرها في مطابع دار الفكر مدمشق ابلا تأريخ) والكتاب في بالبين كبيرين: الاول في أنواع الحدف، والثاني باب المجاز.

الى الغيبة ، ومن الغيبة الى التكلم ، كقوله تعالى : « والله الذي أر "سك الى الغيبة ، ومن الغيبة الى التكلم ، كقوله تعالى : « والله الذي أر "سك الرياح وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات في ثلاثة أبيات هي :

تطاول ليك بالأثمد ونام الخلي ولم ترقد و وبات وباتت له ليل كليلة ذي العائر الأرمد و وذلك من نبا جاءني وخبرته عن أبي الأسود (٢٠)

أما القرشي فقد ذكر أن هذا النوع يسمى الانصراف ، وقال عنه : « الانصراف وهو ان تبتديء المخاطبة بهاء الكناية ثم تنصرف الى المخاطبة بالكاف ، وهذا يحتمل اذا كان الأمر مما تكتبه دون غيره »(٣) .

وترك بلاغيو هذه البيئة كتبا كثيرة ضاع بعضها وبقي البعض الآخر ، وعلى ضوء ما نقرؤه عن هذه الكتب وما نجد من اسمائها في المظان نستطيع ان نرى ان جهودهم كانت تتجه حينا الى دراسة مسائل البلاغة بعامة كما في «قوانين البلاغة » لعبداللطيف البغدادي الذي أتم تأليفه في حلب سنة ١٥ه هـ ، وكما في «رسالة البلاغة»للقاضي الفاضل، و «الطريق الى الفصاحة » للرئيس ابن النفيس ، وكتاب «في البديع والبلاغة » للمرسي السلمى •

وتتجه حينا آخر الى دراسة لون واحد من الوان هذه البلاغة ، كما في كتاب شميم الحليّ الذي دعاه « أنواع الرقاع في الاسجاع »، وكتاب جمال الاسدى « التنبيهات على عجائب التشبيهات » •

وتتجه طورا الى دراسة البلاغة القرآنية لبيان وجه الاعجاز فيها كما فعل ابن ابى الاصبع المصري ٠

وقام بعض العلماء باختصار بعض ماكتب في البلاغة كما اختصر

⁽١) سورة فاطر، الآية ١.

۲) الكشاف ج ١ س ١١٠

⁽٣) معالم الكتابة ومغانم الاصابة ص ٧٦ .

عشمان بن علي الخزرجي كتاب « العمدة » لابن رشيق (١٠٠٠ م

ولكي نرسم معالم اتجاه البلاغة في مصر والشام ينبغي أن تتكلم بايجاز على أعلام هذه المدرسة قبـــل الخطيب القزويني وهم: ابن سنان ،وابن منقذ ، وابن شيث القرشي ، وابن الاثير ، وابن الزملكاني ، وابن أبي الأصبع المصري ، وبدرالدين بن مالك .

ابن سنان الخفاجي:

فأما ابن سنان الخفاجي (٢٦٦ هـ) (٢) فانه كان يرى أن للالفاظ قيمة عظيمة في التعبير ، بينما كان معاصره عبدالقاهر الجرجاني يرى أن ميزة الكلام وروعته في النظم ، وان الالفاظ أوعية للمعاني ، ومن هنا بدأ ابن سنان كتابه « سر الفصاحة » بالبحث في الالفاظ التي يتكون منها الكلام منتقلا الى الجمل فالكلام .

وكتاب «سر الفصاحة » من انفس كتب البلاغة والنقد التي خلفها القرن النامس ، لانه جمع بين النقد والبلاغة ، والتعليل والتحليل ، والدافع الى وضع هذا الكتاب اختلاف الناس في ماهية الفصاحة وحقيقتها ، وقد أراد ان يجلوها للناس ، ويعرضها عرضا سليما ، لأنه بؤمن أن للفصاحة أثرا كبيرا في نظم الكلام على اختلاف تأليفه ونقده ومعرفة ما يختارمنه عما يكره ، وكلا الامرين متعلق بالفصاحة ، بل هو مقصور على المعرفة بها ، فلا غنى لمنتحل الادب عن دراسة الفصاحة على النحو الذى ذكره في الكتاب ،

أقام ابن سنان كتابه على أساس الفرق بين الفصاحة والبلاغية لا تكون فذكر ان « الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ ، والبلاغة لا تكون الا وصفا للالفاظ مع المعاني • لا يقال في كلمة واحدة لا تدل على معنى يفضل عن مثلها بليغة ، وان قيل فيها فصيحة ، وكل كلام بليغ فصيح ،

⁽١) ينظر الحياة العقلية في عهد الحروب الصليبية من ٢٣٣ .

⁽٢) تنظر ترجمته في فوات الونيات ج١ ص ٤٨٩ ، والنجوم الزاهرة ج٥ ص ٩٦ ، ومقدمة كتاب سر الفعاحة ، تحتيق الاستاذ عبدالمتعال الصعيدي .

وليس كل فصيح بليغا كالذي يقع فيه الاسهاب في غير موضعه»(١) . وقد قسمه الى قسمين كبيرين:

الأول: في الفصاحة تكلم فيه على الفصاحة ، وقسمها الى ما يوجد في اللفظة الواحدة ، والى ما يوجد في الالفاظ المنظوم بعضها مع بعض، وهو الكلام في الالفاظ المؤلفة ، وفيه عرض الكلام المئولف على ما ينبغي توفره في الألفاظ المفردة .

والثاني: ما يختص بالتأليف وهو وضع الالفاظ حقيقة أو مجازا لا ينكره الاستعمال و ومن وضع الألفاظ موضعها ألا يكون في الكلام تقديم وتأخير يفسد المعنى ، وألا يكون الكلام مقلوب فيفسد المعنى ويصرفه عن وجهه ، ومنه حسن الاستعارة ، وألا تقع الكلمة حشوا أو يكون الكلام شديد المداخلة ، وتحدث عن التوشيح أو التسهيم ، والكناية ، وعما يجب أن يكنى عنه في الموضع الذي لا يحسن فيه التصريح ، ومن صفات الكلام ألا يستعمل في الشعر والرسائل والخطاب الفاظ المتكلمين والنحويين وأشباههم ، ومنه المناسبة بين اللفظين من طريق الصيغة ، وذكر السجع ، والازدواج، والقوافي ، وعيوبها ، والابتداء في القصائد ، والتصريع ، والجناس ، والطباق ، والايجاز ، والمساواة ، والاطناب ، والوضوح ، والارداف في التمثيل ، وتكلم في باب المعاني على الصحة في التقسيم والاستحالة ، والتناقض ، وصحت التشبيه ، والأوصاف ، والمقابلة في المعاني ، وصحة النسق ، والنظم بحسن والاحتراس بالتعليل ،

هذا هو مختصر موضوعات كتاب « سر الفصاحة » ، وكان لهذا العرض والاسلوب اثر فيمن جاء بعد ابن سنان ، فقد استفاد ابن الأثير منه في كتابيه « الجامع الكبير » و « المثل السائر » ، وإن انكر قيمة الكتاب ، يقول : « فلم أجد ما ينتفع به في ذلك الاكتاب الموازنة

⁽۱) سر الفصاحة ص ٦٠٠

لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي ، وكتاب سر الفصاحة لابي محمد عبدالله بن سنان الخفاجي ، غير ان كتاب الموازنة أجمع اصولا واجدى محصولا ، وكتاب سر الفصاحة وان نبعه فيه على نكت كثيرة فانه قد أكثر مما قل به مقدار كتابه من ذكر الأصوات والحروف والكلام على اللفظة المفردة وصفاتها مما لا حاجة الى اكثره ومن الكلام في مواضع شكذ عنه الصواب فيها ٥٠٠٠على أن كلا الكتابين قد أهملا من هذا العلم أبوابا ، ولربما ذكرا في بعض المواضع قشورا وتركا لبابا »(١) .

وليت المتأخرين استفادوا من سر الفصاحة في بحث البلاغية ورتبوها على هذا الاساس مثلما رتبها المتقدمون ، ولكنهم أسرفوا في أنتقسيمات وادخال الدلالات الوضعية والعقلية في مباحثها .

وبعد أن انتهى من هذا التقسيم عقد فصلا مهما في ذكر الأقوال الفاسدة من التفضيل بين المتقدمين والمحدثين ، ويعتبر هذا الفصل من البحوث المهمة في نقد الكلام ، ثم عقد فصلا في ذكر الفرق بين المنظوم والمنثور وما يقال في تفضيل احدهما على الآخر ، وهذا الفصل هوالذي اعتمد عليه ابن الاثير في التفضيل بين الشعر والنشر(٢) .

وختم الكتاب بفصل فيما يحتاج مؤلف الكلام الى معرفته ،واتتهى الى «أنَّ مؤلف الكلام لو عرف حقيقة كل علم ، واطلع على كل صناعة لأثر ذلك في تأليفه ومعانيه وألفاظه ، لانه يدفع الى اشياء يصنعها ، فاذا خبر كل شيء وتحققه كان وصفه له أسهل ، ونعته أمكن» (٦) وهذا ما أشار اليه ابن الأثير فيما بعد ، وعقد له بحثا طويلا في مقدمة « المثل السائر » و « الجامع الكبير » •

وكان من الخير لو ألحق ابن سنان بكتابه قطعا مختارة من النظم

⁽۱) المثل السائر ج۱ ص ۳ ـ ٤ .

⁽٢) سر الفصاحة ص ٣٣٧ ، والمثل السائر ج٢ ص ٤١٢ .

٣) سر الفصاحة ص ٣٤٣٠

والنشر ليتدرب بالوقوف عليها في فهم مالفكر من أحكام البلاغة ، فقد كان هذا هدفه الا أنه عدل عنه أخيرا وقال : « وإذ قد انتهى بنا القول الى هذا الموضع ، فالواجب أن نختم الكتاب ، لأنا قد وفينا بجميع ما شرطناه في اوله ، وكنا قد عزمنا على أن نصله بقطعة مختارة من النظم والنشر يتدرب بالوقوف عليها في فهم ما ذكرناه من أحكام البلاغة وكشفناه من اسرار الفصاحة ، لكنا فرقنا من الاطالة والتثقيل على الناظر فيه بالملل والسامة ، فعدلنا الى وضع ذلك في كتاب مفرد »(١) .

ولم نعثر على الكتاب الذي وعد بافراده لهذا الغرض ، ولا ندري هل سنحت له الفرصة فوضع هذا الكتاب ، او شغلته عنه الحياة ، ونفسه الطموح .

ويرى الاستاذ عبدالمتعال الصعيدي ان في كتاب سر الفصاحة عيبا كبيرة في الاساس الذي قام عليه ، وخللا ظاهرا في ترتيب أبوابه ، وخطأ ملموسا في توزيع موضوعاته (٢) ، وقد يكون هذا صحيحا اذا طبقنا على الكتاب منهج السكاكي والقزويني ، اما اذا نظرنا اليه نظرة اخرى فيكون الكتاب ذا قيمة علمية ومنهجية ، فلقد سبق ابن سنان عصر الشروح والتلخيصات ، وكان ذا ذوق وحس مرهف ، وكانت لهطريقته ومنهجه في التأليف، وليس من الانصاف أن نطالبه بما لم يكن في عصره ومهما يكن من شيء فقد أحسن ابن سنان واجاد في بحثه ، وكان كتابه من أهم كتب البلاغة والنقد ،

وكان بحثه في اللفظة المفردة من أحسن ما كتب في هذا الموضوع الذي جعله المتأخرون مقدمة لكتبهم ، ولم يقصر الكلام على اللفظة المفردة ، ولكنه تجاوزها الى الكل الذي ينشأ من مجموع الكلمات ، والادب عنده صناعة ، وكل صناعة من الصناعات فكمالها بخسسة أشياء هي : الموضوع وهو الخشب في صناعة النجارة ، والصانع وهو النجار،

⁽۱) سر الفصاحة ص ٣٤٣٠

⁽٢) مقدمة سر الفصاحة ص

والصورة وهي كالتربيع المخصوص ان كان المصنوع كرسيا ، والغرض وهو ان يقصد على هذا المثال ان يجلس فوق ما يصنعه ، واذا كان الامر على هذا ولا تمكن المنازعة فيه وكان تأليف الكلام المخصوص صناعة ، وجب أن تعتبر فيها هذه الاقسام ، فالموضوع هو الكلام المؤلف من الاصوات ، والصانع هو المؤلف الذي ينظم الكلام بعضه مسع بعض كالكاتب والشاعر وغيرهما ، والصورة هي كالفصل للكاتب والبيت للشاعر وما يجريه مجراهما ، والآلة أقرب ما قيل فيها أنها طبع هسذا الناظم ، والعلوم التي اكتسبها بعد ذلك ، ولهذا لا يمكن أحد ان يعلم الشعر من لا طبع لهوان جهد نفسه في ذلك ، لأن الآلة التي يتوصل بها غير مقدورة لمخلوق ، ويمكن تعلم سائر الصناعات لوجود كل ما يحتاج اليه من آلاتها ، والغرض يكون بحسب الكلام المؤلف ، فان كان مدحا كان الغرض به قولا ينبيء عن عظم حال الممدوح ، وان كان هجوا فبالضد ، وعلى هذا القياس كل ما يؤلف واذا تأملته وجدته كذلك» (۱) .

وظهرت روح الخفاجي النقدية وضوحا تاما في مواضع كثيرة من كتابه ، وناقش النقاد والبلاغيين في مسائل كثيرة ، وأبدى وجهة نظره ، ولم يتكثت و بعرض آرائه ، وانما عقد فصلا في ذكر الأقوال الفاسدة في نقد الكلام (٢) و وناقش الآراء التي قيلت في تفضيل كلام على كلام ، وبين فساد رأي من يذهب الى تفضيل المتقدمين في الزمن على المتأخرين ، وانتهى الى ان الطريق الذي يؤدي الى المقصود من معرفة الألفاظ والمعاني ما ذكره في كتابه ، ونبه عليه ،

ولم يقف عند نقد كلام العرب واظهار ما فيه من روعة وجمال ، وانما تجاوزه الى البحث في اعجاز القرآن ، وذكر ان المعجز الدال على نبوة محمد (ص) هو القرآن ، والخلاف فيما به كان معجزا علىقولين:

احدهما: انه خرق العادة بفصاحته وجرى ذلك مجرى قلب العصاحية

⁽۱) سر الفصاحة ص ١٠٢ .

⁽٢) سر الفصاحة ص ٣٢٧٠.

وليس للذاهب الى هذا المذهب مندوحة عن بيان الفصاحة التي وقع التزايد فيها موقعا خرج عن مقدور البشر •

وثانيهما: أن وجه الاعجاز في القرآن صرف العرب عن المعارضة مع أن فصاحة القرآن كانت في مقدورهم لولا الصرف ، وأمر القائل بهذا يجري مجرى الأول في الحاجة الى تحقق الفصاحة ما هي فيقطع على أنها كانت في مقدورهم من جنس فصاحتهم ، ونعلم ان مسيلمة وغيره لم يأ ت بمعارضة على الحقيقة ، لان الكلام الذي أورده خال من الفصاحة التي وقع التحدي بها في الأسلوب المخصوص (۱) .

ويذهب ابن سنان الى أن في كلام العرب ما يضاهي القرآن في تأليفه (٢) وانتهى الى أن القرآن الكريم معجز بالصّر فك ، أي : ان الله ـ سبحانه وتعالى ـ صرف هم ممكه مهم ودواعيهم عن المعارضة ويقول : « واذا عدنا الى التحقيق وجدنا اعجاز القرآن صرف العرب عن معارضته بأن سلبوا العلوم التي بها كانوا يتمكنون من المعارضة في وقت مرامهم ذلك ، واذا كان الأمر على هذا فنحن بمعزل عن ادعاء ما ذهب اليه (٣) من أن بين تأليف حروف القرآن وبين غيره من كلام العرب ، كما بين المتنافر والمتلائم ، ثم لو ذهبنا الى أن وجه اعجاز القرآن الفصاحة وادعينا أنته أفصح من جميع كلام العرب بدرجة ما بين المعجز والمكن له يفتقر في ذلك الى ادعاء ما قاله من مخالفة تأليف حروف له يكن بنفس الحروف الواقعة في الفصيح من كلام العرب ، وذلك أنه لم يكن بنفس هذا التأليف فقط فصيحا ، وانما الفصاحة لأمور عدة تقع في الكلام ، من جملتها التلائم في الحروف وغيره »(٤) ،

⁽۱) سر الفصاحة ص ٤ ٠

⁽٢) سر الفصاحة ص ١١٠٠

⁽٣) أي: الرماني •

⁽٤) سر الفصاحة ص ١١٠٠

وأثر كتاب «سر الفصاحة» تأثيرا كبيرا واعتمد عليه النقاد والبلاغيون، وكان من أهم تلاميذه _ فيما بعد _ ابن الاثير الذي اشاد بالكتاب، وإن غَمزه وفَضَكُل عليه « الموازنة بين الطائيين » ويطول الكلام لو استقصينا جميع المسائل التي رد فيها ابن الأثير عليه في كتابيه «المثل السائر » و « الجامع الكبير » ، أو وافقه عليها ، وقد شكر ح عليه في بحث الفصاحة وشروطها وفنت آراءه في كثير من الأحيان ، ولم يوافقه في بحثه هذا ، واكثاره من دراسة الاصوات الا في بعض المسائل ، منها ما يتعلق بذكر ما يكره سماعه من الالفاظ ، يقول ابن الاثير : « واعلم ما يتعلق بذكر ما يكره سماعه من الالفاظ ، يقول ابن الاثير : « واعلم القرينة معه لكان الامر في استقباحه سهلا وذلك قول الشريف الرضي:

أعْزرِز علي الله وقد خلا عن جانبيك مقاعد العنو ادرِ

فان أبا محمد بن سنان الخفاجي قد ذكر هذا البيت في كتابه فقال: « ان ايراد هذه اللفظة أعني « مقاعد » في هذا الموضع صحيح، الا انه موافق لما يكره ذكره في مثل هذا الشعر لاسيما وقد أضافه الى من يحتمل اضافته اليه وهو العواد، ولو انفرد لكان الامر فيه سهلا، فأما الاضافة الى من ذكره ففيها قبح لاخفاء به مهذه حكاية كلام أبي محمدبن سنان الخفاجي وهو كلام مرضي واقع موقعه في هذا الباب» (۱)، ورد عليه في باب الاستعارة ردا عنيفا ، ورجاح كلام الآمدي في تغيير يبت امرىء القيس ونقده:

فقلت له لما تمطى بصلب وأردف اعجازاً وناءبكلكل (٢)

وهكذا خلق سر الفصاحة جواً من النقد ، وساهم في تطور البلاغة العربية ووضع مقاييسها ٠

⁽١) الجامع الكبير ص ٥٣ ، وينظر المثل السائر ج١ ص ١٨٦ وسر الفصاحة ص٩٣٠.

⁽٢) الجامع الكبير ص ٨٧ والمثل السائر ج١ ص ٣٨٤ .

وألف أبو المظفر اسامة بن منقذ (٥٨٤هـ)(١) كتابه: « البديع في نقد الشعر » جمع فيه خمسة وتسعين نوعا من فنون البديع • وهذه الفنون البلاغية ليست مرتبة كالترتيب الذي وصل الينا عن السكاكي وتلاميذه ، وانما بحثها على اساس انها موضوع واحد ، فلا فكما كين معان ويان وبديع •

وكتاب البديع جَمْع لا تفر ق في كتب المتقدمين التي وقف عليها وهي : البديع لابن المعتز ، والحالي والعاطل ، وحلية المحاضرة للحاتمي، وكتاب الصناعتين لابي هلال ، واللمع للعجمي ، والعمدة لابن رشيق، وقد حاول أن يجمع من هذه الكتب أمتع مافيها ليكون كتابه مغنيا عنها، ولم يكد ع ابتداع فن مما اورده ، وقرر بصراحة أن لهؤلاء فضيلة الاتباع (٢) .

وطريقة اسامة تختلف كل الاختلاف عن طريقة ابن سنان ، وهو أقرب الى ابن المعتز في بديعه وأبي هلال في الصناعتين حيث يأخد الموضوع الواحد وبعد أن يعرفه تعريفا ذوقياً يعرض نماذج ادبية ويميز بين الحسن والرديء ، وتكاد شخصيته تنعدم في الكتاب الا ما كان من نقده لابي هلال ، يقول في بحث الركاكة : « الركاكة : هو أن يكون المعنى متناولا واللفظ متداولا كالكلمات المستعملة والالفاظ المهملة ، فيكون الشعر ركيكا ، والنسج ضعيفا كقول امريء القيس :

الا انني بال على جمل بال يقود بنا بال ويتبعنا بال

ومن العجب ان صاحب الصناعتين جعله من محاسن الشعر ولقبه

 ⁽١) تنظر ترجمته في وفيات الاعبان جا ص ١٧٥ وخريدة القصر وجريدة العصر
 (قسم الشام) جا ص ١٩٨٨) ومقدمة كتاب البديع في نقد انشمر ص ١ وما بعدها .
 (١) البديع في نقد الشمر ص ٨ .

بالتعطف ولا خلف بين العالم والجاهل في ركاكته »(١) .

ومن التفاتاته النقدية ما ذكره عن ابيات لابن سنان اخذها عن مهيار ، وفيها تبدو مقدرته على العرض والتحليل ، واظهار ما في الكلام من روعة وجمال (٢) .

وخالف البلاغيين في المصطحات أحيانا ، فسمى الالتفات انصرافا وقال عنه : « هو أن يرجع من الخير الى الخطاب ، ومن الخطاب الى الخبر ، مثل قوله تعالى : « حتى اذا كُنْتُهُم في الفُلُكُ وجَرَيْنَ بهم » (٣) ولبعض العرب :

أتذكر إذ ودعنا سيليمي بعود أراكة سقي البشام (١)

وخلط بين الكناية ، والتورية ، والتذييل ، والتنميم ، والمبالغة ، والتسهيم ، والترديد ، والتصدير ، والتشعيب ، ووضع فصولا لمسائل بديهية ، ولاحكام عامة كما فعل في باب الظرافة والسهولة(٥) .

وأحسَّ القدماء بما في كتاب اسامة من خلط واضطراب ، فقال ابن أبي الأصبع المصري: « وبديع ابن منقذ على ما فيه من التوارد والتداخل وتسمية أقسام الباب الواحد أبوابا ، وضم أنواع المآخذ ، وأصناف العيوب الى المحاسن ، والاعتداد بها في عدة أبواب ، ومخالفة الشواهد والتراجم الى فنون من الزلل ، وضروب من الخلل يعرف صحتها من وقف على كتابه وأمعن النظر فيه وتدبر جملة معانيه »(1) «

وقال عنه في كتابه تحرير التحبير: « واذا وصلت الى بديع ابن

⁽١) البديع في نقد الشعر ص ١٦٤ ، وينظر كتاب الصناعتين ص ٢٠٠٠ .

⁽٢) ينظر البديع في نقد الشعر ص ١٩٩٠.

٣ سورة يونس ، الآية ٢٢ .

١ البديع في نقد الشعر ص ٢٠٠٠

⁽٥) ينظر البديع في نقد الشمر ص ١٣٤٠

١٦١ بديع القرآن ص ١٣٠٠

منقذ وصلت الى الخبط والفساد العظيم ، والجمع من أشتات الخطأ وأنواعه من التوارد والتداخل ، وضم غير البديع والمحاسن الى البديع ، كانواع من العيوب ، وأصناف من السرقات، ومخالفة الشواهد للتراجم، وفنون من الزلل والخلل يعرف صحتها من وقف على كتاب وانعم النظر فيه »(١) .

وقال ابن حجة: « واذا وصلت الى بديع ابن منقذ وصلت الى الخبط والفساد ، والجمع بين أسباب الخطأ وأنواعه من التداخيل والتبديل »(٢) •

ومهما قيل في الكتاب فانه يمثل وجهة نظر مؤلفه ، ويعكس صورة صادقة لثقافته وثقافة عصره ، ويوضح اتجاه البلاغة والنقد وقتئذ . ويبقى بعد هذا كله مصدرا مهما لما فيه من التفاتات نقدية ، واشارات الى كتب نقل عنها واستفاد منها .

ابن شيث القرشي:

واذا كنا لا نعرف الكثير عن ابن شيث القرشي (٢) ، فاننا نعرفه رجلا اشتغل بالبلاغة ، وترك كتابا فيها هو « معالم الكتابة ومغانم الاصابة » • وهذا الكتابوان لم يكن مثل كتابي ابن سنان وابن منقذ، لكن ينبغي الوقوف عنده قليلا ، لانه يصور اتجاه البلاغة في مصر والشام في القرن السادس وما بعده •

والكتاب في ثمانية أبواب:

الأول: فيما يجب تقديمه ، ويتعين على الكاتب لزومه وقد تكلم فيه على اخلاق الكاتب ، واورد كلاما يذكر ُ بوصايا ابن المقفع في باب الصديق ، أو بوصايا عبدالحميد الكاتب في رسالته الى الكتاب .

١١) تحرير التحبير ص ٩١٠

⁽٢) خزانة الادب ص ١٣٦ .

⁽٣) تنظر مقدمة ناشر معالم الكتابة ومغانم الاصابة ومجلة المشمرق السنة ١٦ العدد ٧ تبوز ١٩١٣ ص ٥٥٥ ٠

الثاني: في طبقات التراجم ، وأوائل الكتب ، وما يكون به التخاطب بين المتكاتبين على مقدارهما .

الثَّالَثُ: في ذكر الخط، وحروفه، وبري القلم، ومسكه · الرابع: في البلاغة وما يتصل بها، وهو أهم أبواب الكتاب ·

الخامس: في الفاظ يقوم بعضها مقام بعض •

السادس: في الأمثال التي يدمجها الكاتب في كلامه ، ويستشهد بها . الثامن: فيما لابد للكاتب من النظر فيه والتحرز منه .

وسقط الباب السابع في النسخة المطبوعة ، لأن الناشر لم يجد منه في الاصل سوى صفحتين، فعدل عن نشرهما ، وبذلك حرمنا منهما، وكان عليه ـ أمانة للعلم ـ أن يذكرهما او يبين ما فيهمـ ليكون القاريء على بينة من امرهما •

وألوان البلاغة التي ذكرها في الباب الرابع يندرج معظمها فيما أطلق عليه بعد ذلك اسم البديع ولم يكن المؤلف موفقا في بحثها ، وكأنه لم يستفد من كتب البلاغة المتقدمة ، أو يحاول تقليدها على الاقل وهذا الباب هو أهم ما في الكتاب وعليه المعول ويقول: «اعلم أنَّ هذا الباب هو الذي عليه المعول في الكتاب، وفيه تتفاوت أقدار الكتاب، وهو الذي فضل الله به من آتاه من عباده فصل الخطاب ، والوقوف على كلام المتقدمين فيه يرهب الخاطر ، ويسحذه ، ويسدد العقول وينفذه »(۱) و

وذكر أن البلاغة مجموعة في قسمين:

أحدهما : أن ° يكون اللفظ قليلا ، وهو دال على معان ٍ ، وهو أعلى القسمين .

والثاني : أن يكون الكلام منطبقا على المعنى لا يفضل عنه .

⁽١) معالم الكتابة ومغانم الاصابة ص ٦١ .

وهذان القسمان هما اللذان كان حذاق الكتاب واقفين عندهما ، ولذلك لم يتكلفوا من السجع ورعاية الالفاظ المصنوعة ما يخرجهم عن ذلك ، الا أنهم كانوا يخاطبون من يفهم عنهم ، فاضطر الكتاب البلغاء الى قسم ثالث وهو أن تكون الألفاظ نقية مسجوعة سجعاحاليافتكون الزيادة منها في حفاوة رونقها وحسنها ، وصار هذا المذهب بينهم هو المسلوك ، وصار ذلك الأول وان كان هو للعرف كأنه متروك ، فاذا المسلوك ، وصار ذلك الأول وان كان هو للعرف كأنه متروك ، فاذا اتفق حصول ذينك القسمين في هذه الالفاظ النقية كان ذلك شاهدا بالتبريز الى غايات العلى ، وأجمع بين محاسن الصور وزينة الحلى ، والعمل كله على أن تكون الالفاظ أهلية انسية ، ولا تكون وحشية ولا من الالفاظ الخاصية ولا العامية ، بل هو في كلتا الحالتين يعطي البلاغة حدّها الخاصية ولا العامية ، بل هو في كلتا الحالتين يعطي البلاغة حدّها وحظها ، ويتوخى جزل الألفاظ ورقيقها ، ويتحامى غليظها وفظها ،

وقد ذكر أن نعوت الشعر كلها تدخل في نعوت النثر الا الوزن، والشاعر المجيد يقدر على أن يكون كاتبا بليغا ، والكاتب اذا لم يكن الشعر في طبعه لا يقدر أن يكون شاعرا ، لأن الشعر ما لم يكن في الطبع لا يكتسب بالممارسة ، لان الوزن أمر ذوقي لا سبيل الى ادراكه بالمعاناة ولو أديم له الكدح والكد ، واحسن السجع ما توازنت فيه الالفاظ والتزم فيه رصف الكلمة التي يوقف عليها في الكلمة الاخرى التي تطابقها في السجع ، وهو نوعان : سجع حال ، وسجع عاطل ،

فالسجع الحالي هو كل كلمتين جاءتا في الكلام المنثور على زنة واحدة تصلح أن تكون احداهما قافية أمام صاحبتها مشل « فلان لا تدرك في المجد غايته ولا تنسخ من الفضل آيته » ، وكفوله عليه انسلام : « يرجعن مأزورات غير مأجورات » ، وبمقدار ما تتوازن اللفظتان ويلزم فيهما من تكرار الحروف يكون التبريز في ذلك ، وأما السجع العاطل فهو أن تقابل اللفظة أختها ولا تجمع بينهما القافية، وكثير من الكتاب البلغاء يقصده لخلوه من التكلف وجريانه على

سجية الكلام دون التصنع ، وهو كقوله : « قَلُ الهل الدين والامانة ، فالى من يسكن وعلى من يعو له ، فقال « يعو ل » في قبالة «يسكن» •

والرجع او الرد عنده نوعان : مجتمع ومفرق ، فالمجتمع كـــل كلمتين جاءتا في الكلام على صيغة واحدة في اللفظ والخط لا تخالف احداهما الاخرى الا بأول الحروف ، ثم يعود ما في كل واحدة من الكلمتين في الاخرى بغير زيادة ولا نقص كقوله تعالى : « ويْلْ " لكل ممنز أق للمرز أو المكرر عبادة :

لانت معاطيف فخيل أنته للخيزران مناسب بعظاميه الأن كنت تنكر ماأقول فجار م أو بار م ، أو ساميه أو هاميه (٢)

والرجع المفرق هو كل كلمتين جاءتا في الكلام المنثور تضمن احداهما من الحروف ما تضمنته الاخرى بغير زيادة ولا نقصان ، إلا انه على غير يتنة ولا ترتيب كما في الرجع المجتمع ، ولكن قد يتقدم بعض الحروف على بعض ، وهو من أحسن أنواع الكتابة مثل : « فلان أرفع القوم عمادا ، وأفرعهم معادا ، وأصدقهم ميعادا » •

والترصيع نوعان: ترصيع حذو ، وترصيع لغو ، وترصيع الحذو كقول تعسالى : « وهم يُحسنون التهم يحسنون التهم يحسنون صمنعا »(٢) • وترصيع اللغو هو كل كلمتين جاءتا في النشر على صورة واحدة في الخط لا يفرق بينهما الا بالشكل والنقط ، الا انه لا يصلح ان تكون احداهما قبالة الاخرى قافية لاختلاف حرف الروى كقوله « أعجبني من نبل فلان شائسه ، ومن نيله سائغه » •

والالمام أن يلم الكاتب في صدر كلامه بكلمة ثم يبني عليها فصلا ثم يتفق أن يستعمل كلمة اخرى أجنبية فينافر ما بين اللفظين ،

⁽۱) سورة الهمزة ، الآية ۱ .

⁽٢) معالم الكتابة ومغانم الاصابة ص ٧٠.

⁽٣) سورة الكهف ، الآية ١٠٤ .

وينافي ما بين المعنيين ، فيعود الى تلك الكلمة التي استعملها في صدر كلامه يعكسها هجاء ، ويعيدها في أول الفصل الثاني مثل « أفاض الله علىك نعمة وأضاف اليك قسمة » •

والتوشيع ان يستعمل الكاتب في صدر كلامه كلمة يقتضي لفظها بمجرده في لغة العرب معنيين فصاعدا ، ثم يبني بعدها فصلا ويأتي بعده بالفصل الذي تقتضيه تلك الكلمة مثل: « ان فلانا يميل الى الخير واتيانه ، وعن الشر واستحسانه » ألا ترى ان لفظ «يميل» يحتمل أن يكون الى الشيء وعنه •

والتنميم أن يأتي الكاتب في كلامه المنثور بكلمة لام الفعل فيها حرف علة، ثم يأتي بكلمة من بعدها لام الفعل فيها حرف صحيح يشبع للاعتماد عليه للاعراب فيحصل من ذلك تنميم اللفظ وتحصيل معنى تكم به في تلك الكلمة الاولى التي أتى بها في صدر كلامه مثل:

يَمُدَّونَ من أيْد عواص عواصم تَصُولُ بأسياف قُواض قواضب

وقد تحدث عن التجنيس ، والمطابقة ، والجزالة ، والسهولة ، والانصراف ، والتكرار ، والفك ، والابتداء ، والختم ، والرشاقة ، والالتجاء ، والجحد ، والتفسير ، والمقابلة ، والموازنة ، والاستخدام، والاستطراد ، والتقسيم ، والعكس ، والاستعارة ، والتورية •

هذه موضوعات الكتاب وفيها يبدو جنوح القرشي الى المدرسة الادبية والابتعاد عن بلاغة أهل الفلسفة والاعاجم و يتضح هذا في اكثاره من الامثلة ، وعدم تحديده المصطلحات تحديدا جامعاً ما معا ، وعدم تقسيم الموضوعات الى فروع كثيرة وأقسام يضيع القاري وفيها ولم يجعل القاعدة محور البحث ، وانما كان الشاهد او المشال محور بحشه وقد صرح بابتعاده عن أهل الفلسفة ، فقال عن التجنيس هو مصدر جنس يجنس تجنيسا اذا ماثل بين الحروف على اصل ما جاء

به الاصمعي في كتاب الاجناس ، لا على حد ما جاء به أصحاب المنطق $^{(1)}$.

ويلاحظ أنه لم يتابع المدرسة الكلامية في المصطلحات ، وانما وضع مصطلحات جديدة ، فاستعمل الهدم في الموضع الذي استخدم فيه البلاغيون الذم بما يشبه المدح، يقول: « الهدم وهو أن تذكر انسانا بصفة في كلامك ثم تنقضها بكلمة من جنسها ، مثاله: « فلان سبط الخلائق ، الا انه جعد الأنامل ، مرفوع الحجاب الا انسه محجوب النائل » (۲) .

واستعمل الفك في الموضع الذي استخدموا فيه الاستدراك وهو ان ينفصل الكلام الاول عن الكلام الثاني بحرف استثناء وغيره (٢) .

واستعمل الانصراف في الموضع الذي استعملوا فيه الالتفات . وقسسهم السبجع الى حال وعاطل ، وهو تقسيم لا نجده عند غيره ، ولا نجده مألوفا اليوم .

ومن هنا نستطيع أن نؤكد عدم اتصال المدرسة الادبية بالمدرسة الكلامية في عصر ابن شيث ، وان اتصلت بها فانها لم تؤثر فيها . تأثيرا قويا .

ابن الاثير:

وأما ضياء الدين بن الآثير (٦٣٧ هـ) فهو من اعظم رجال البلاغة في هذه الفترة ، وقد ألف عدة كتب منها : « المشل السائر في أدب الكاتب والشاعر » ، و « الجامع الكبير في صناعة المنظوم والمنثور » ، و « الاستدراك » ، وهو في هذه الكتب وغيرها ناقد

الكتابة ومغانم الاصابة ص ٧٣.

⁽٢) سمالم الكتابة ومغانم الاصابة ص ٧٧ .

⁽٣) معالم الكتابة ومغانم الاصابة ص ٧٧ .

⁽٤) تنظر ترجمته في ونيات الاميان جه ص ٢٥ ، وفي كتاب « ضياء الدين بن الاثمير وجهوده في النقد » .

كبير وبلاغي مجدد • واعظم كتبه المثل السائر الذي « جمع فيه فأوعى، ولم يترك شيئا يتعلق بفن الكتابة الا ذكره »(١) •

وليست البلاغة عنده كما نعرفها اليوم ، وانما هي طرق تعلم الكتابة ، والحكم على المعاني ، والاستعارة ، والتشبيه ، والتجنيس ، ولزوم ما لا يلزم ، والسرقات ، وكلها علم واحد هو علم البيان الذي يكون « بمنزلة اصول الفقه للاحكام »(٢) ، فلا تميز بين مباحث المعاني أو البيان أو البديع ، وانما هي علم واحد يستعين به الشاعر او الكاتب بعد أن يتمرن على الكتابة ، ويحفظ القرآن الكريم وطرفا من الاحاديث النبوية والشعر العربي الرصين ،

بنى كتابه البلاغي النقدي الكبير « المثل السائر » على مقدمة ومقالتين، فالمقدمة تشتمل على اصول علم البيان وهي عشرة فصول: موضوع علم البيان ، وآلات علم البيان وهي : معرفة العربية من نحو، وصرف ، ولغة ، وامثال ، وحفظ القرآن الكريم ، والاحاديث النبوية الشريفة ، وعلم القوافي والعروض ، والحكم على المعاني ، والترجيح بين المعاني ، وجوامع الكلم ، وفي الحكمة التي هي ضالة المؤمن ، والحقيقة والمجاز ، والفصاحة والبلاغة وأركان الكتابة ، وفي الطريق الى تعلم الكتابة ،

أما المقالة الاولى: فهي في الصناعة اللفظية ، وهي قسمان :القسم الاول في اللفظة المفردة تكلم فيه على شروط اللفظة المفردة ورد على ابن سنان وأيّد و في بعض آرائه • والقسم الثاني في الالفاظ المركبة وهي : السجع والتصريع ، والتجنيس ، والترصيع ، ولزوم ما لا يلزم ، والموازنة ، واختلاف صيغ الالفاظ ، وتكرير الحروف •

والمقالة الثانية : في الصناعة المعنوية وقد تحدث فيها عن الاستعارة، والتشبيه ، والتجريد ، والالتفات ، والتقديم والتأخير ،

⁽۱) وفيات الاهيان جه ص ۲۷ ·

⁽٢) المثل السائر ج ا ص ٣٠

والايجاز والاطناب، والسرقات وغيرها .

وجعل مدار كتابه « الجامع الكبير » على قطبين : الاول : في الأشياء العامة • والثاني : في الاشياء الخاصة •

وقسم القطب الاول الى فنين: الاول: فيما يجب على مؤلف الكلام الابتداء به وهو أربعة ابواب: الاول: في آلات التأليف، والثاني: في أدواته، والثالث: في الطريق الى صناعة النثر والنظم، والرابع: في الحقيقة والمجاز.

والفن الثاني: في الكلام على الألفاظ والمعاني وتفضيل الكلام المنثور على المنظوم ، وهو ثلاثة أبواب: الاول: في الالفاظ المفردة والمركبة ، والثاني: في الكلام على المعاني ، والثالث: في تفضيل الكلام المنثور على المنظوم .

والقطب الثاني فنان: الاول: في الفصاحة والبلاغة ، والثاني: في ذكر أصناف البيان وانقساماتها وهوبابان: الاول: في الصناعة المعنوية، والثاني: في الصناعة اللفظية ، وتكلم في الباب الاول على الاستعارة، والتشبيه ، والالتفات والايجاز والاطناب ، والسرقات وغيرها من الموضوعات التي تحدث عنها في الصناعة المعنوية في كتسابه المثل السائر ، وتكلم في الباب الثاني على السجع والازدواج والتجنيس ، ولزوم ما لا يلزم ، والموازنة ، واختلاف صيغ الالفاظ ، وتكرار الحروف ،

وجمع في كتاب « الاستدراك » بحثين : الاول : مؤاخذته لابن الدهان على مؤاخذاته للمتنبي، والثاني : استدراكه على ما فات ابن الدهان من مآخذ المتنبي ، وبذلك لم يخرج كثيرا عن هذين الهدفين.

ويبدو ان ابن الاثير بعد أن حلق في كتابيه السابقين ، وجال جولات رائعة في علم البيان اراد ان يضع كتابا يطبق فيه بعض نظرياته وآرائه النقدية التي بثها في كتبه الاولى ، فألف الاستدراك بعدالمثل

السائر (۱) . وقدجاء هذا الكتاب جديد في منهجه وآرائه واذا كان المثل السائر عمدة آراء ضياءالدين ونظرياته في البيان والنقد ، فأن الاستدراك هو الصورة العملية الذي يكشف في جلاء عن منهجه في النقد وكيفية تطبيقه لآرائه ونظرياته التي شرعها ، وأرسى اصولها .

ومقدمة الاستدراك أهم ما فيه ، فقد تكلم على الشعر ونقده، والمفاضلة بين الشعراء ، والسرقات الادبية ، وموقف النحويسين واللغويين من الشعر ونقده ، ونقد شرح حماسة أبي تمام ، وأسهب في ذلك وأكثر من الشواهد الشعرية وقارن بينها ، والمقدمة بعد هذا كله « دستور للنقد أتى فيها المؤلف بأشياء جديرة بأن تقيد وتحفظ» (٢) .

ولم يكن ابن الأثير مقلدا فيما كتب وألئف ، وانما كان مجددا وناقدا ثائرا ، وكان موقعه من رجال البلاغة موقف الناقد الموجه ، وقد استخرج فنونا بلاغية جديدة ، وكان هذا التجديد دافعا الى تأليفه « المثل السائر » و « الجامع الكبير » ، يقول : « وكنت عثرت على ضروب كثيرة منه في غضون القرآن الكريم ، ولم أجد أحدا ممن تقدمني تعرض لذكرشيء منها ، وهي اذا عدت كانت في هذا العلم بمقدار شطره »(٢) • ويقول متحدثا عن القرآن السكريم : « فاستخرجت منه حينئذ ثلاثين ضربا من علم البيان لم يأت بها أحد من اولئك العلماء الاعيان، وكان ما ظفرت به أصل هذا الفن ، وعمدته ، وخلاصة هذا العلم وزبدته (٤) •

وكان ابن الاثير الى جانب ذلك كله ناقدا عظيما له منهج في النقد ما يزال كثير من اصوله عمدة النقد في العصر الحديث وقد اعتمد في تقده على شيئين: الذوق والتعليل المبني على العلم والتوجيه الحسن ولذلك نجده يؤكد عليه دائما ويقول: « واعلم أيها الناظر

⁽١) في الاستدراك ص ١١٩ ان ابن الاثير الفهبعد المتل السائر ٠

۲) مقدمة الاستدراك ص ١٠٠

⁽٣) المثل السائر ج اص ٤٠

⁽٤) الجامع الكبير ص ٣٠

في كتابي أن مدار علم البيان على حاكم الذوق السليم الذي هو اتفع من ذوق التعليم $^{(1)}$ • ويقول بعد ذلك : « وملاك هذا كله الطبع ، فانه اذا لم يكن ثم طبع فانه لا تغنى تلك الآلات شيئا $^{(7)}$ ومن أجل هذا حمل حملة عنيفة على المنطق والفلسفة ، ورأى في رجالها من أمثال ابن سينا والفارابي رجالا مغرورين أضلهم ارسطو وأفلاطون •

ولابن الأثير آراء كثيرة سنعرض لها في بحث بلاغة القزويني ، ونذكر هنا رأيه في الزمن والنقد، فهو يرى أن التقدم الزمني ليسله كبير أهمية في تقديم شاعر على شاعر ، فان جريرا والفرزدق والاخطل أشعر ممن تقدم من شعراء الجاهلية وبينهم وبين اولئك فرق بعيد ، وان أبا نمام والبحتري والمتنبي أشعر من الثلاثة المذكورين ، وليس عنده أشعر منهم في جاهلية ولا اسلام ، ويعلل ذلك بقوله : « والعرب وانسبقوا الى نظم الشعر فانهم لم يحصلوا على ما حصل عليه المتأخرون ، فان أولئك قالوه من غير تنقيب ولا تنقير ولا حفظ ولا درس فشذ عنهم الشيء الكثير من المعاني الدقيقة ، وأما الالفاظ فانهم أتوا بمحاسنها ولم يفتهم شيء منها لكنها توجد متدفقة في أشعارهم ويخلطونها بما قبحمن الألفاظ ، والمتأخرون حصلوا على القسمين معا لأنهم نقبواوحفظوا ودرسوا وأتقنوا كثيرا ، فنرى الشاعر منهم وقد حوى شعره ما تفر "ق في أشعار كثير من العرب "(") .

ويرى أن أبا تمام والبحتري والمتنبي: « لات الشعر وعـزاه ومناته » الذين ظهرت على أيديهم حسناته ومحسناته ، وقـد حوت أشعارهم غرابة المحدثين الى فصاحة القدماء وجمعت بين الأمثال السائدة وحكمة الحكماء ويقول: « اما أبو تمام فانه رب معان وصيقل ألباب واذهان و واما أبو عبادة البحتري فانه احسن من سبك اللفظ على المعنى وأراد أن يشعر فغنى ، ولقد حاز طرفي الرقة والجزالــة على

⁽١) المثل السائر ج١ ص ٥ .

⁽٢) المثل السائرج ١ ص ٨٠

⁽٣) الاستدراك ص ٢٥.

الاطلاق •• وأما ابو الطيب فانه أراد /أن يسلك مسلك أبي تمسام فقصرت عنه خطاه ولم يعطه الشعر من قياده ما أعطاه لكنه حظى من شعره بالحكم والامثال واختص بالابداع في وصف مواقف القتال »(۱)•

ووضع للمفاضلة بين الشعراء قواعد وأصولا ، وكان يرى أن المفاضلة تقع بين الكلامين سواء كانا متفقين في المعنى أم مختلفين ، فاذا كانا متفقين فان المفاضلة بينهما ظاهرة مكشوفة كقول بشار بن برد:

من راقب الناس لم يظفر بحاج تربه وفاز بالطيبات الفاتك اللهج وقول سلم الخاسر:

من راقب الناس مات غكا وفاز بالله إلجسور

فالحكم بين هذين البيتين وبين مثلهما من المعاني المتفقة انما يقع في اللفظة خاصة ، وذلك يوجد في شيئين: أحدهما : يتعلق بنظم الكلام الذي هو سبك الألفاظ بعضها مع بعض ، والآخر : يتعلق بالايجاز الذي هو الاختصار .

فاما النظم فان له اوصافا اربعة هي: ان تكون الالفاظ حلوة واضحة بينة ليست بغريبة الاستعمال ، وان تكون الالفاظ حلوة في الفم ، سهلة على النطق ، غير مستثقلة ولا مستكرهة ، وان تكونكل لفظة من الالفاظ ملائمة لأختها التي تليها غير نافرة عنها ولا مباينة لها ، وألا يكون في الالفاظ تقديم وتأخير يستغلق به المعنى فيجيء نظم الكلام مضطربا ، ومتى عري الكلام من هذه الأوصاف لم يكن فصيحا وان عري عن شيء منها نقص منه جزء من الفصاحة ، واذا نظر الى هذين البيتين من جهة السبك وجدا سواء ، فهما اذن متساويان في هذه انجهة ، وأما الايجاز فانه اذا نظر اليهما من جهته وجد بيت سلم أو جرّر من بيت بشار ، لأنه ثماني لفظات وذاك عشر ، فهو اذن افضل أو جرّر من بيت بشار ، لأنه ثماني لفظات وذاك عشر ، فهو اذن افضل

⁽١) المثل السائر ج٢ ص ٣٦٩ .

ورد على الذين كانوا لا يرون ان لا مفاضلة الا بين المعاني المتفقة، ولا يسكن ذلك بين المعاني المختلفة ، فقول امريء القيس : كأنَّ قلوبَ الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العنابُ والحشفُ البالي

وقول النابغة:

ولست بمستبق أخسا لا تلمشه ولست بمستبق أخسا لا تلمشه ولست على شعَث ، أي الرجال المهذب ؟

لا يمكن المفاضلة بينهما لاشتمالهما على معنيين مختلفين •

ويرى ابن الأثير ان هذا المذهب فاسد ، لأن يؤدي الى ترك المفاضلة بين الجيد والرديء من الكلام اذا اختلف المعنى فيهما حتى اذا اسك هذا الباب تعدى الى كلام الله تعالى فلا يقال اذن انه أفضل من غيره ، لأنه لا اتفاق بينهمافي المعنى ، وطبق على هذين البيتين اوصاف النظم الأربعة ، يقول : « اذ الاوصاف الاربعة التي تتعلق بالسبك قد تساويا فيهما فلا يقال : ان هذا أفضل من هذا من هذه الجهة ، واما من جهة المعنى فان بيت النابغة افضل ، وذلك لأنه تضمسن حكمة تعرب عن تجربة الاخوان فيتأدب بها الغر الجاهل ويتنبه لها الفطن الأربب ، والناس أحوج الى معرفته من معرفة التشبيه الذي يتضمنه الأربب ، والناس أحوج الى معرفته من معرفة التشبيه الذي يتضمنه بيت امريء القيس ، وغاية ما فيه أنه رأى صورة فحكاها في الماثلة يينها وبين صورة أخرى ، وليس ثم "سوى ذلك ، وبيت النابغة كلمة مؤدبة تستخرج بالفكر الدقيق » (٢) ،

ووضع قاعدة آخرى للمفاضلة وهي أن ننظر الى قصيدتين لشاعرين ، ونختار جيد هذه وجيد هذه ، فمن كان جيده أكثر بالنسبة

⁽۱) الاستدراك ص ۸۵ ـ ۹۰

⁽٢) الاستدراك ص ٦٠.

الى رديئه حكم له بالفضيلة • أو أن تنظر في ديوان هذا وديوان هذا ، ويجري الأمر على ما تقدم في قصيديهما • ومثال ذلك أن يكون ديوان الحدهما خمسة آلاف بيت منها أربعة آلاف جيدة وديوان الآخر ستة آلاف منها أربعة جيدة ، فالفضيلة المحكوم بها في هذا المقام لصاحب الخمسة دون الستة ، ولكنه يقول : « ان هذه مفاضلة مجازية ، لأن الاقوال لا تكال بالقفوزان وتعشى بها الغرائر (١) ، فرب بيت واحد يعدل مائة بيت »(٢) .

وآراء ابن الأثير في النقد كثيرة عرض لها بالتفصيل الدكتور محمد زغلول سلام في كتابه « ضياءالدين بن الأثير وجهوده في النقد » ولقد صدق المرحوم أحمد أمين حينما قال : « ومن أهم الكتب النقدية كتاب المثل السائر لابن الأثير ، وهو كتاب قييم مملوء بالالتفاتات الأديية الرائعة التي تدل على ذوق بارع » (٣) .

وقد أثر ابن الأثير في البلاغة تأثيرا عظيما ، وكان لكتابه « المثل السائر » صدى في القرون التي تلته ، وانقسم الناس فريقين فمنهم من أيده وآذره ، ومنهم من نقده وأفرط في ذمه ، ولعل أظهر منعارضه ابن ابي الحديد (٦٥٥ هـ) ـ صاحب شرح « نهج البلاغة » في كتاب « الفلك الدائر على المثل السائر » الذي يقول فيه أخوه أحمد بن أبي العديد لما سمع بتأليفه :

المثل السائر يا سيدي صنفت فيه الفلك الدائرا الكن هذا فلك دائر "أصبحت فيه المثل السائرا(٤)

ونَـُقَــُدَــُهُ فِي شرح « نهج البلاغة » ، وكان نقده في الـــكتابين

⁽۱) القفيز: مكيال ، ج: أقفزة وقفزان ، الغرارة: الكيس السكبير من صوف أو شعر توضع فيه الحبوب أو غيرها ، ج: غرائر .

⁽٢) الاستدراك ص ٦١ .

⁽٣) النقد الادبي ص ٥٢ .

⁽٤) فوات الوفيات ج1 ص ١١ .

قاسيا ، وتبدو روح الحاسد الشامت واضحة جلية ، ومن هنا لا نرى لما كتب ابن أبي الحديد قيمة كبيرة .

وألئف محمود بن الحسين الركن السنجاري (٦٤٠ هـ) كتابا يرد فيه على ابن أبي الحديد ، وسماه « نشر المثل السائر وطي الفلــك الدائر » •

وصنف صلاح الدين خليل ابن ايبك الصفدي (٧٦٥ هـ) كتابا سميّاه « نصرة الثائر على المثل السائر » •

واختصر بعضهم المثل السائر •

ابن الزملكاني:

وألف كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف الانصاري السماكي المعروف بابن الزملكاني (١٥٦هـ) (١) كتاب « التبيان في علم البيان المطلع على اعجاز القرآن » وضعه بعد أن ° رأى كتاب « دلائل الاعجاز » لعبد القاهر غير منظم مهذب » فأراد أن يهذب مسائله ويجمعها ليكون قريب التناول سهل التداول » يقول وهو يتحدث عن الفصاحة : « وعلم البيان آخذ بزمامها » مدعو بامامها » يريك البدائع والغرائب ، ويهديك المناقب والعجائب » لغموضه ودقة رموزه » استولت عليه يد النسيان والحقه قصور الهمم بخبر كان » ولم أجد من المصنفات فيه الا القليل مع أنها مشحونة بالقال والقيل » واجمعها كتاب « دلائيل الاعجاز » للامام العالم النحرير علم المحققين عبد القياس الجرجاني التقييد » وهدم سور المعضلات بالتسوير المشيد حتى عاد أسهل بالتقييد » وهدم سور المعضلات بالتسوير المشيد حتى عاد أسهل من النفس وأصحب للفهم من الضوء لشهاب القبس في الغلس » فجزاه من النفس وأصحب للفهم من الضوء لشهاب القبس في الغلس » فجزاه من الخطو

⁽۱) تنظر ترجمته في شدرات اللهب جه ص ٢٥١ ، والدارس في تاريخ المدارس ج١ ص ١٩٣ ، والبداية والنهاية ج١٣ ص ٣٢٥ ومقدمة التبيان في علم البيان المطلع على امجاز القرآن ص ١٠ وما بعدها .

كثيرا ما يكرر الضبط ، فقيد للتبويب ، طريد من الترتيب ، يمل الناظر ويعشى الناظر • وقد سهل بالله تعالى جمع مقاصده وقواعده ، وضبط جوامحه وشوارده ، مع خرائد سمح بها الخاطر ، وزوائدنقلت من الكتب والدفاتر »(۱) •

وألفه في ايام قلائل مع كثرة العوائق والشواغل، وقدمه لوزير الشام ابي الحسن على الأمين، ورتبه على سوابق ومقاصد ولواحق، وجعل من السابق مقدمات ثلاث: أولها في فضل علم البيان، والثانية في حصر مواقع الخلط في اللفظ، والثالثة في طريقة تحصيله.

والمقاصد ثلاثة أركان :

الاول: في الدلالات الافرادية ، ويشمل الكلام في الحقيقة والمجاز وأقسامه من كناية ، واستعارة ، وتمثيل ، والفرق بين الاثبات بالاسم والفعل ، والمعرفة والنكرة ، وفي مفردات شذت عن الضوابط.

والثاني: في مراعاة أحوال التأليف وقد قسمه الى فنون هي: تقديم الاسم على الفعل وتأخيره ، خبر المبتدأ ، تقديم بعض الأسماء على بعض ، المجاز الاسنادي ، التشبيه ، ايجاز ، التأكيد ، الحذف ، المنصوبات ، معرفة الفصل والوصل ، معرفة اسباب التقديم والتأخير ، قوانين كلية ،

والثالث: في معرفة أحوال اللفظ وأسماء اصنافه في علم البديع وفيه مقدمة وأصناف ، أما المقدمة فتشتمل على بحث كلي يتعلم بمخارج الحروف ، وأما الاصناف فهي ستة وعشرون فنا من فنون البديع المعروفة كالتجنيس ، والترصيع ، والتضمين ، والمساواة ، والتتميم وغيرها ، وأهمل أنواعا كثيرة ، أما لأنها ضمن فنون البديع المذكورة ، او لانها مذكورة في الركنين السابقين ،

⁽۱) التبيان في علم البيان ص ٢٩-٣٠ (تحقيق الدكتور احمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي) .

أما اللواحق فتكلم فيها على بيان الجهة التي تحصل بها البلاغة والاعجاز في القرآن ، وقد عرض خمسة آراء للاعجاز فند أربعة منها واعتبرها باطلة ، وتمسك برأي واحد رآه الصوابالذي لا يأتيه الباطل، وهو أن يكون الاعجاز راجعا الى توخي معاني النحو ، وأحكامه في النظم ،

ويغلب على كتاب التبيان الاتجاه النحوي ، ولا عجب فالزملكاني مؤمن بالنحو وبالنظم الذي شرحه عبدالقاهر في « دلائل الاعجاز » وقال عنه : إنه ليس « الا توخي معاني النحو » ، والكتاب وان كان عرضا لآراء عبد القاهر وترديدا لامثلته واقواله للهذا في مقدمة بالتبويب والتنسيق ، وقد أشار المؤلف نفسه الى هذا في مقدمة الكتاب ، ولكنه لم يقف عند ما جاء في « دلائل الاعجاز» وانما تجاوزه الى كتب بلاغية أخرى لم يشر اليها ، ونعتقد انه استفاد من كتاب الى كتب بلاغية أخرى لم يشر اليها ، ونعتقد انه استفاد من كتاب الشعر » لاسامة بن منقذ وكتب ابن الاثير ،

ولم يبق « التبيان » في البيئة الشامية ، بل سار في الاقاليم العربية كمصر واليمن ، وكان أحد المصادر الاربعة التي اعتمد عليها أمسير المؤمنين يحيى بن حمزة العلوي (٧٤٩ هـ) في تأليف كتابسه الضخم « الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز » ، وسار العلوي على خطاه في تفريعاته وتقسيماته ، واكثاره من الاشسارات والتنبيهات .

وكان « التبيان » مصدراً مهما في التأليف ، فنقل عنه السبكي في « عروس الافراح » وأبو حيان النحوي الاندلسي في تفسيره « البحر المحيط » والسيوطى في « الأشباه والنظائر » و « همع الهوامع » •

وألف أبو المطرف بن عميرة احمد بن عبدالله بن عميرة المخزومي (١٩٦٨هـ ١٢٦٠م) كتابا رد" فيه على ابن الزملكاني سماه «التنبيهات

على ما في التبيان من التمويهات »(١) ﴿ ولم نعثر عليه ، لنطلع على موضوعاته ومنهجه ، ونرى موقفه من ابن الزملكاني •

ابن أبي الاصبع المصري:

وأما ابن أبي الاصبع فهو أبو محمد زكي الدين عبدالعظيم بن عبدالواحد المعروف بابن أبي الاصبع المصري العدواني (٢٥٤ هـ) (٢)، وكان شاعراً أديبا ، وعلى ضوء هذه الروح ألف كتبه ، وأهمها في ألبلاغة والنقد : « تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وييان أيجاز القرآن » و « بديع القرآن » •

ألف ابن أبي الاصبع كتاب « تحرير التحبير » ليدرس فيسه الالوان البلاغية التي وجدت الى عصره ، وقسمه الى ثلاثة أقسام : تكلم في الاول على الاصول ، وهي الأبواب التي ذكرها ابن المعتز وقدامة ، وتحدث في الثاني عن الأبواب التي عدها فروعا كالاحتراس ، والمواربة ، والتسهيم ، والتورية ، وتكلم في القسم الشالث على ما استخرجه بنفسه وهو ثلاثون فنا لم يسلم له منها الا انواع قليلة ،

يقول في مقدمة الكتاب: « وبعد فاني رأيت ألقاب محاسن الكلام التي نعتت بالبديع قد انتهت الى عدد ، منه اصول وفروع • فاصوله ما أشار اليها ابن المعتز في بديعه وقدامه في نقده ، لانهما أول من عنى بتأليف ذلك •

أما ابن المعتز فهو الذي سماه البديع ، واقتصر في كتابه بهذه التسمية على خمسة أبواب • • • واما قدامة فضمتن كتابه الموسوم بنقد الشعر عشرين بابا • • • وهذه اصول ما ساقه الناساس في كتبهم من البديع • • • » •

⁽۱) ينظر نفع الطيب ج ا ص ٢٩٣ ، وكثيف الظنون ج ا ص ١٦٣ ، وتأريخ الإدب العربي لبروكلمان (الطبعة الالمانية) ج ا ص ٨٦٥ ، ومقدمة التبيان ص ١٧ .

⁽٢) تنظر ترجمته في فوات الوفيات ج! ص ٢٠٨، وتقديم بديع القرآن ص ٨٠وتحرير التحبير ص ٤ وما بعدها ، وكتاب ابن أبي الاصبع المصري بين علماء البلاغة ص ٣٠ومابعدها .

ويذكر انواع البديع الفروع ثم يقول: « واضفت هـ ذه الابواب الفروع الى تلك الثلاثين الاصول فصارت الفذلكة تسعين بابا • و لما أمرني من لا محيد لي عن أمره ، ولا محيص عن رسمه ، سيد الفضلاء ، وقدوة البلغاء ، وملجأ الأدباء ، ومحط رحال الغرباء ، وامام الكرماء ، القاضي الأجل الفاضل شرف الدين أبي الحسن بن القاضي الاجل الفقيه الامام الورع الرضي جلال الدين المكرم أبي الحسن موسى بن الحسن بن سناء الملك _ أمتعه الله بفضائله كما امتع الفضلاء بفواضله ، ورحم سلفه كما رحم به من عرفه _ بجمع ما في كتب الناس من ذلك على سبيل الاختصار من الشواهد ، وتجنب الاطالة يذكر كل الاشتقاق ، الا ايضاح مشكل ، أو كشف غامض أو زيادة بيذكر كل الاشتقاق ، الا ايضاح مشكل ، أو كشف غامض أو زيادة بسط في الكلام ، على انه من كتاب الله تعالى ، او في بيت قد اهمل وتعالى حالة الشروع في مرسومه ، وسألت الاعانة على بلوغ غرضه ، والهداية الى ما يترجح عنده »ادا) .

وبذلك جمع ابن أبي الاصبع ١٢٥ فناً بلاغيا في كتابه « تحرير التحبير » ، وقد كتبها باسلوب أدبي سهل ، وذكر الشواهد القرآنية والشعرية والنثرية ، وعرض الآراء المختلفة ، والمصطلحات المتعددة .

وألف كتابا خاصا بدراسة « بديع القرآن » أفرده من كتاب هو تتمة « تحرير التحبير » ، يقول عنه : « كتاب بديع القرآن الذي هو تتمة الاعجاز المترجم ببيان البرهان أفردته من كتاب هو وظيفة عمري ، وثمرة اشتغالي في ابان شبيبتي ومباحثي في أوان شيخوختي »(٢) وقسسمه ألى الأقسام الثلاثة التي ذكرها في تحرير التحبير ويبدوأن فكرة بديع القرآن كانت رد فعل لفكرة الباقلاني التي بسطها في اعجاز القرآن التي ذهب فيها الى ان الاعجاز لا يلتمس من ناحية ما اشتمل عليه

⁽۱) تنظر مقدمة تحرير التحبير ص ٨٣ وما بعدها .

⁽٢) بديع القرآن ص ٣ .

من البديع"(١) ، فجاء ابن ابي الأصبع ليظهر للناس ما في القرآن الكريم من بديع وما له من تأثير ، يقول في باب التورية: « واذا وصلت الى ماوقع من التورية في الكتاب العزيز وصلت الى الغاية القصوى ١٠٠٠ .

وكتاب البديع ـ وان كان مفردا من تحرير التحبير ـ يختلف عنه في انه ضم ١٠٩ أبواب بينما ضم الآخر ١٢٥ بابا ، والأبواب التي اهملها : الهزل الذي يراد به الجد ، ائتلاف اللفظ مع الوزن ، ائتلاف المغنى مع الوزن ، التجزئة ، الترصيع ، التصريع ، التشطير ، التطريز ، التوشيح ، الاغراق ، الغلو ، الاشتراك ، التفريع ، الابداع ،الاستعانة المشاكلة ، المواردة ، الحل ، العقد ، الاتفاق ، الهجاء في معرض المدح ، الألفاز والتعمية ، وسبب تركها أنه لم يجد في القرآن الكريم أمثلة لها .

وذكر في « بديع القرآن » أنواعا لم يذكرها في التحبير وهي : التلفيف ، التفصيل ، الالجاء ، التنظير ، الزيادة التي تفيد اللفظ فصاحة وحسنا ، التفريق والجمع ، الرمز والايماء . وهذه أثر من آثار متابعته البحث والتنقير في الكتب وإعمال الفكر .

وليست كتب ابن أبي الاصبع في البلاغة سردا لموضوعاتها وذكرا لأنواع البديع فحسب، بل هي دراسة نقدية تمتاز بالتحليل الرائع والذوق السليم ، ولم يكن مقلدا وانما استطاع أن يضيف ثلاثين فنا من فنون البلاغة نسبها الى نفسه ولكن الناظر فيها يجد اكثرها في الكتب الأولى، وقد سلمت له أربعة عشر فنا هي : التمزيج ، الهجاء في معرض المدح ، العنوان ، الايضاح ، الحيدة والانتقال ، الشماتة ، الاسجال بعد المغالطة ، التصرف ، التسليم ، الافتتان ، القول بالموجب ، حصر الجزئي والحاقه بالكلي ، الابداع ، الانقصال (٣) .

⁽١) ينظر اعجاز القرآن ص ١٦٨ .

⁽٢) تحرير التحبير ص ٢٧٠ .

⁽٣) ينظر بديع القرآن ص ٢٤٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٦ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٢٨٢ ، ٣١٥، ٣١٥٠، ٣١٥، ١١٥٠ ، ١١٥٠ ، ١١٥٠ ، ١١٥٠ ، ١١٥٠ ، ١١٥٠ ، ١١٥٠ ، والبيان الموبى (الطبعة الثالثة) ص ٣٠٨ ـ ٢٠٠٠ .

وأثر ابن أبي الأصبع في شهاب الدين محمود بن سلمان الحلبي (٧٢٥ هـ) صاحب « حسن التوسل الى صناعة الترسل » ، والنويري (٧٣٧ هـ) صاحب (٧٣٣ هـ) مؤلف « نهاية الارب » ، والقزويني (٧٣٩ هـ) صاحب « التلخيص » و « الايضاح » ، وبهاء الدين السبكي (٧٧٣ هـ) صاحب « عروس الأفراح » والسيوطي (٩١١ هـ) صاحب « الاتقان » •

هؤلاء أشهر أعلام البلاغة في مصر والشام قبل القزويني ، وهم يكو "نون مدرسة خاصة لها اتجاهها وخصائصها ، فما هذه الخصائص والمميزات ٠٠؟

خصائص ومميزات:

أول ما يلاحظ ان البلاغة العربية في القرن السادس وما بعده الخذت تتجه الى التحديد والتقسيم ، وكانت في البيئة المشرقية قد وقفت عند منهج معين وضعه السكاكي (٢٦٦ هـ) عندما قسمها الى المعاني : وهو تتبع خواص تراكيب الكلام في الافادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره • والى البيان : وهو معرفة ايراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه والى وجوه يصار اليها لقصد تحسين الكلام ، وهي التي أطلق عليها المتأخرون فيما بعد المحسنات اللفظية والمعنوية أو علم البديع •

وفي الوقت الذي قسمت فيه البلاغة هذا التقسيم في بيئةخوارزم، نجد البلاغة في مصر والشام تنحو منحى آخر بعيداً كل البعد عن هذا

الاتجاه ولو رجعنا الى أهم كتب هذه البيئة لوجدنا ابن سنان يقسم «سر الفصاحة» الى ثلاثة أقسام يتحدث فيها عن شروط الفصاحة في اللفظة الواحدة وشروطها في الألفاظ المنظوم بعضها مع بعض والكلام على المعاني مفردة عن الألفاظ و وتكلم ابن منقذ في «البديع في نقد الشعر » على فنون البديع المختلفة مما دخل في علم المعاني وما دخل في علم البيان ، وما دخل في علم البديع فيما بعد و وبنى ابن الأثسير المثل السائر » على مقدمة ومقالتين .

وفي الوقت الذي نجد السكاكي يضع مصطلحات البلاغة الوضع الاخير ، نجد مدرسة مصر والشام لا تسرف هـــذا الاسراف ، ونجد الاختلاف واضحا في المصطلحات ، فالسكاكي ورجال مدرسته يسمون الرجوع من الغيبة الى الخطاب ، ومن الخطاب الى الغيبة التفاتا ، واسامة وابن شيث يسميانه انصرافا ، وبينما كان الغيبة التفاتا ، واسامة وابن شيث يسميانه انصرافا ، وبينما كان السكاكي وأصحابه يتكلمون في السجع وأقسامه ، كان القرشيي يقسمه الى حال وعاطل ، وهو ما لا نعرفه عند غيره ،

وينما كان السكاكي يعرف الاستعارة بقوله: «هي ان تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخرمدعيا دخول المشبه في المشبه به دالا على ذلك باثباتك للمشبه ما يخص المشبه به »(۱) نجد ابن الأثيريعرفها بقوله: «والذي عندي في ذلك أن يقال: حد الاستعارة نقل المعنى من لفظ الى لفظ لمشاركة بينهما مع طي ذكر المنقول اليه »(۲) وتعريف السكاكي اكثر تحديدا وهو - كما يقول المناطقة - جامع مانع ، اما تعريف الشاني فهو تعريف تسييطر عليه النزعة الفنية اكثر مساتعلى عليه الناحية العقلية البحتة ، ويتجلى هذا بوضوح في قوله عنها وهو يتحدث عن التشبيه: «والتشبيه المحذوف أن يذكر المشبه وهو يتحدث عن التشبيه: «والتشبيه المحذوف أن يذكر المشبه وين المشبه به ، ويسمى استعارة »(۱) وهذه ليست الاستعارة بمعناها دون المشبه به ، ويسمى استعارة »(۱) وهذه ليست الاستعارة بمعناها

⁽۱) مفتاح 'لعلوم س ۱۷۶ .

⁽٢) المنل السائر ج١ س ٣٥٦ .

⁽٣) المثل السائر ج ا س ٣٦٥ .

الواسع الذي عرفه السكاكي وانما هي احد أنواعها الذي اطلق عليــه اسم « الاستعارة المكنى عنها » •

وبذلك نستطيع أن نقرر ان المصطلحات الفنية والتقسيمات الخاضعة للمنطق لم تكن معرفتها قد تمت في هذا العصر، والى ذلك يشير الاستاذ الخولي بقوله: « انسا نرى في الشسرق الأقرب لذلك العهد كتبا بلاغية تؤلف خالية من الاصطلاحات الكلامية أو ناقصا فيها تحديد تلك الاصطلاحات مع ان هذه الاصطلاحات كانت قد تقررت واستقرت في المدرسة الكلامية بالشرق الاقصى منذ عهد غير قصير ، ومن هذه الكتب التي تنقص فيها الاصطلاحات مثل كتاب المثل السائر لابن الأثير »(۱) .

وانصرفت هذه المدرسة عن الفلسفة والمنطق وجنحت الى تحكيم الذوق ولعل ذلك يعود الى طبيعة مصر والشام الخيرة ، والى التحسس بمواطن الجمال في الحياة عامة وفي الأدب خاصة .

وكان رجال هذه المدرسة يرون علماء الفلسفة والمنطق كالفارابي وابن سينا رجالا أضلهم ارسطو وأفلاطون وقد تجلى أثرهذه النظرة في البلاغة بأمرين: قصد دارسي البلاغة الى ابعاد الفلسفة عنها اواطراح الوجوه الفلسفية في فهم التراكيب وعصبيتهم للعرب وتطولهم على اليونان (٢) .

ورأى ابن الأثير انه لا فائدة في تعلم فلسفة أفلاطون ومنطق ارسطو ، مع أن المعاني الخطابية قد حصرت اصولها وأول من تكلم في ذلك حكماء اليونان ،غير ان ذلك الحصر كلي لا جزئي ومحال ان تحصر جزئيات المعاني وما يتفرع عليها من التفريعات التي لا نهاية لها ، ولا جرم أن ذلك الحصر لا يستفيد بمعرفته صاحب هذا العلم ولا يفتقر اليه فان البدوي البادي راعي الابل ما كان يسر شيء من ذلك

 ⁽۱) مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والادب ص ٢٣٤ .

⁽۲) ينظر مناهج تجديد ص ۲٤٥٠

بفهمه ولا يخطر بباله ومع هذا فانه كان يأتي بالسحر الحلال ان قال شعرا او تكلم نثرا وينتهي الى القول بأنه لا فائدة في كتب اليونان وغيرهم ، يقول: « ولقد فاوضني بعض المتفلسفين في هذا وانساق الكلام الى شيء ذكر لأبي علي بن سينا في الخطابة والشعر ، وذكر ضروبا من ضروب الشعر اليوناني يسمى اللاغوذيا ، وقام فاحضر كتاب الشفاء لأبي علي ووقفني على ما ذكره ، فلما وقفت عليه استجهلته فانه طو"ل فيه وعر"ض كأنه يخاطب بعض اليونان ، وكل الذي ذكره لغولا يستفيد به صاحب الكلام العربي شيئا »(١) .

وكان البحتري الشاعر العباسي قد صرخ من قبل بوجه أهــل المنطق والفلسفة قائلا:

كلفتمون حدود منطقكم ولم يكن ذوالقروح يكلم كج بالمذ والشعّر كمشح "تكفى اشارته

في الشعر يك في عن صدقه كذربه طق ما نوعته وما سببه وليس بالهذر طو"لت خطبه

وكان لأهل هذه البيئة الذوق السليم والقدرة العجيبة في تمييز الكلام الحسن ومعرفة الكلام الرديء ، يقول السبكي: « أما أهل بلادنا فهم مستفنون عن ذلك بما طبعهم الله تعالى عليه من الذوق السليم، والفهم المستقيم ، والأذهان التي هي أرق من النسيم ، وألطف من ماء الحياة في المحيا الوسيم ، أكسبهم النيل تلك الحلاوة ، وأشار اليهم بأصبعه فظهرت عليهم هذه الطلاوة ، فهم يدركون بطباعهم ما أفنت فيه العلماء _ فضلا عن الأغمار _ الاعمار ، ويرون في مرآة قلوبهم الصقيلة ما احتجب من الأسرار خلف الاستار:

والسيف ما لم يلثف فيه صيقل من طبعه لم ينتفع بصقال

فيا لها غنيمة لم يوجف عليها من خيل ولا ركاب ، ولم يزحف اليها بِعــُـد °و ِ عـَـد ّية ٍ ولا بلحاق ِ لاحق ٍ ، وانسـكاب سـكاب، فلذلك صرفوا

⁽۱) المثل النسائر جا ص ۳۱۱ .

همهم الى العلوم التي هي نتيجة أو مادة لعلم البيان كاللغةوالنحو والفقه والحديث وتفسير القرآن • وأما أهل بلاد المشرق الذين لهم اليدد الطولى في العلوم ولا سيما العلوم العقلية والمنطق فاستوفوا هممهم الشامخة في تحصيله واستولوا بجدهم على جملته وتفصيله »(١) •

وكان من أثر البيئة أن استجدت موضوعات في البلاغة نستشف منها الروح المصرية المرحة ، واذا ما اردنا أن نوضح ذلك فما علينا الا ان نذكر نماذج لهذه الفنون التي أضافتها هذه البيئة ، وفي هذه الانواع ما يستحق التقدير الخلقي والادبي كالنوع الذي سماه ابن أبي الاصبع المصري النزاهة ، وهو عنده نزاهة ألفاظ الهجاء وغيره عن الفحش حتى يكون الهجاء كما قال أبو عمرو بن العلاء تنشده العذراء في خدرها فلا يقبح عليها كقول جرير :

لو أنَّ تَغْلَبِ جَمَّعَتَ ْ أَحَسَابِهِ اللهِ تَعْلُبِ جَمَّعَتَ ْ أَحَسَابِهِ اللهِ تَعْلُبُ مِثْقَالًا

وكفوله في الراعي النميري :

فُغُضُ الطَّرُفَ إِنَّكُ مِن نُمِيرٍ فُغُضُ الطَّرِفَ إِنَّكُ مِن نُمِيرٍ فلا كلابِا^(٢)

ومن الطريف ما سماه التدبيج ، وهوأن يذكر المتكلم الوانا بقصد الكناية بها والتورية بذكرها عن أشياء من وصف أو مدح او هجاء أو نسيب أو غير ذلك من الفنون ، أو لبيان فائدة الوصف بها كقوله تعالى: « ومن الجبال جندك " بيض " وحمر " مختلف " ألوائها وغرابيب سيود" » (٣) ، والمراد بذلك الكناية عن المستبه والواضح من الطق (٤) .

⁽١) عروس الافراح ج١ ص ٥٠

⁽٢) تحرير التحبير ص ٨٤٥ ، وبديع القرآن ص ٢٩٠ .

⁽٣) سورة فاطر ، الآية ٢٧ .

⁽٤) تحرير التحبير ص ٥٣٢ ، وبديع القرآن ٢٤٢ .

ومن الفنون التي تتجلى فيها خفة الروح المصرية والميل الى التفكه « التهكم » وهو الاتيان بلفظ البشارة في موضع النذارة والوعد في مكان الوعيد تهاونا من القائل بالمقول له واستهزاء به كقوله تعالى : « بشر المنافقين بأن ً لهم عذابا اليما » (١) ، وقوله : « ذُق ْ إِنتَك َ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكُرِيمُ » (٢) •

ومنها التندير ، وهو أن يأتي المتكلم بنادرة حلوة او نكتـــة مستظرفة وهو يقع في الجد والهزل ، ومن لطيف ما جاء منه في الجد وبديعه قوله تعالى : « فاذا جاء َ الخوف ُ رأيتَهُم ْ ينظرُون َ اليك تدور أعينهم كالذي ينغشكي عليه من الموت» (٣) • يقول ابن أبي الأصبع: « فانظر الى مبالغته ـ سبحانه وتعالى ـ في وصف المنافقين بالجبن والخوف ، حيث أخبر عنهم بالخبر الصادق أنهم عند الخوف تدور أعينهم حالة الملاحظ ـــة كحالة من يغشى عليه من الموت ، ولو افتصر سبحانه ـ وهو أعلم ـ على قوله : «كالذي يغشى عليـ من الموت » لكان وافيا في المقصود ، ولكنه لم يقف سبحانه عند ذلك حتى زاد شيئا بقوله: « من الموت » ، اذ حالة المغشي عليه من الموت أشـــد حالة من غيره ، ولو جاء عز وجل في موضع الموت بالخوف لكانالكلام بليغًا ، والذي جاء به التنزيل أبلغ وهو مع ذلك خارج مخرج الحق ، وجار مجرى الصدق فان المنافقين من الجبن والجزع بهذه المثابة ،وذلك الذي دعاهم الى النفاق ، فمن كان قوي النفس شـــجاع القلب ، لا يرضى بالنفاق ، بل يظهر ما يبطنه الخائف لقلة مبالاته بالموت ، وفي هذا الكلام من النذير لمن يتدبره ما يبهرج كل نادرة »(٤) .

وهذه الفنون ، وان لم تسلم كلها لابن أبي الأصبع ، غير أن اهتم بها وبحثها ، فكانت صدى للبيئة العربية ، واستجابة للروح

⁽١) سورة النساء ، الآية ١٣٨ .

⁽٢) سورة الرعد ، الآية ١١ ينظر تحرير التحبير ص ٢٨٥ وبديع القرآنص ٢٨٣ .

⁽٣) سورة الاحزاب ، الآية ١٩ .

⁽٤) بديع القرآن ص ٢٨٥ ، وينظر تحرير التحبير ص ٧١ه ٠

المصرية • وانه لجدة وطرافة ان يدخل المصريون في البديع ألوانا ليست في نظر سواهم من البديع كأن يجعلوا من السهولة لونا ، وكأن يجعلوا من النزاهة لونا ، وكأن يجعلوا من الانسجام لونا ، وكأن يجعلوا من التهكم لونا(١) •

وليس هذا كل ما تمتاز به هذه البيئة ، وانما تمتاز بتحكيم الذوق في النقد والتحليل ، وسيطرة النقد الذاتي على النقد المبني علىالتعليل والقواعد الجافة ، وقد يكتفي احدهم بالاشارة الى مواطن الجمال كما في أبيات ديك الجن :

> لما نظرت الي عن حدق المها وعقدت بينقضيب بان أهيف عفرت خدي في الثرى لك طائعا

وبسمت عن متفتے النو ار وقضیب رمل عقدة الزئار وعزمت فیكعلى دخول النار

يقول ابن الأثير: « وهذه الابيات لا تجد لها في الحسن شريكا ، ولان يسمى قائلها شحرورا اولى من أن يسمى ديكا»(٢) .

واهتم علماء البلاغة في هذه البيئة بالبديع واكثروا من فنونه ، ويلاحظ أنهم اهتموا كثيرا بالبحث في بديع القرآن الكريم ، وألف ابن أبي الاصبع المصري « بديع القرآن » ، وقد تتبع فيه فنون البديع وحررها ونقحها بدقة ، وذكر أمثلة رائعة من كتاب الله الذي كان دافعا لبحث أنواع البديع ، وابتداع فنون كثيرة لم يذكرها القدماء .

هذه أهم خصائص مدرسة مصر والشام البلاغية ، ولكن هـل بقيت البلاغة تسير في هذا الخط وتستلهم مقاييسها وأحكامها من الذوق السليم والطبيعة المرحة ؟•

⁽١) ينظر الحركة الفكرية في مصر ص ٢٤ ، وتنظر هذه الفنون في تحرير التحبير وبديع القرآن .

⁽٢) المثلُّ السائر ج١ ص ٢٧٧ .

لم تبَوْق هذه البيئة سليمة الذوق صافية المزاج ، فقد جاءها من المشرق « مفتاح العلوم » للسكاكي (٦٢٦ هـ) بعد أن ازمع علم البلاغة الترحل وآذن بالتحول عن هذه البيئة فازعا الى مصر ، ملقيا بها عصالتسيار ، منشدا :

أقمت بارض مصر فلا ورائي تخب بي الركاب ولا أمامي(١)

ولا نعلم متى دخل المفتاح هذه البيئة العربية ، وأين قريء ؟ وفي أي معهد علم أو حلقة درس وجد العناية أول الامر ؟ وكل ما نعرفه ان مفتاح العلوم عرف أول ما عرف في هذه البيئة في كتاب « المصباح» لبدر الدين بن مالك (٩٨٦ هـ) (٢٠٠٠ .

بدرالدين بن مالك :

ألف بدرالدين كتابين مهمين في البلاغة العربية هما: « المصباح في اختصار المفتاح » ، و « روض الاذهان في علم البيان » ، وذكر ابن حجة الحموي أن له رسالة في البديع يقول: « وقيل أن الشيخ بدرالدين

۱) عروس الافراح ج۱ ص ٦ .

⁽٢) تنظر ترجمته في بفية الوعاة ص ٩٦ ، وطبقات الشافعية جه ص ١٦ .

ابن مالك أملى كراسة في البديع ، وانا بالاشواق الى رؤيتها »(١) •

والمصباح مختصر القسم الثالث من مفتاح العلوم وقد اشتهرهذا المختصر واستمر ردحا طويلا من الزمن قبلة طلاب البلاغة في بلادالمغرب وعنني بشرحه جماعة من المؤلفين ، فكان مثله في تلك البلاد مثل تلخيص القزويني في البلاد الشرقية ، واعتبره ابن خلدون من أمهات كتب البلاغة المتداولة في عهده (٢) ، وسماه القلقشندي « الايضاح »(٣) ،

وكان لهذا الكتاب أثر واضح في الكتب التي جاءت بعده ونقل عنه المؤلفون واعتبروه أحد مصادرهم المهمة كالامام يحيى العلوي الذي عده رابع الكتب التي طالعها واعتمد عليها في تأليف الطراز (٤) ، وكان من أهم مصادر التلخيص والايضاح وشروحهما .

بدأه بدرالدين بالبحث في علم الأدب وهو معرفة ما يحترز به عن جميع وجوه الخطأ في العربية وقسمه الى ثلاثة فنون: المعاني والبيان والبديع ويختلف قليلا عن «مفتاح العلوم» في منهجه، وطريقة عرضه، وهو أقرب الى كتب القزويني في العرض والتنسيق وأهم ُ اختلافاته مع المفتاح تقسيم المساواة الى نوعين: مساواة مع الاختصار، ومساواة بدونه، والاول: أن يتحرى البليغ في تأدية معنى كلامه أخف ما يمكن فيحتال على الالفاظ القليلة الحروف والكثيرة المعاني التي يعز تحصيل مثلها على من دونه في البلاغة و والثاني: أن يأتي بالمساواة يعز تحصيل مثلها على من دونه في البلاغة و والثاني: أن يأتي بالمساواة كيفما اتفق من غير ما تحر ويسمى ذلك متعارف الإوصاف وهو في باب البلاغة لا يحمد منهم ولا يذم و

وقسم الايجاز الى ثلاثة أنواع: الأول: سلوك طريق التضييق

ا خزائة الادب ص ٦٦ .

⁽٢) تنظر مقدمة ابن خلدون ص ٥٥٢ .

⁽٣) ينظر صبح الاعشى ج١ ص ٦٩٠٠ .

⁽٤) الطرازج ١ ص ٤ ٠

بحذف اللام تحقيقا لقوة الدلالة على معناه • والثاني: سلوك طريق المساواة مع الاختصار • والثالث: أن يكون المعنى خليقا بمزيد البسط فتتركه الى بسط اخصر(١) •

وقسم الاطناب الى ثلاثة أضرب هي : سلوك طريق التوسيع بالتفصيل ، وسلوك طريق التوسيع بمثل التتميم ، والتوسيع بمشل التذييل .

وأدخل الفصاحة في القسم الثالث وهو البديع ، يقول عنه : «هو معرفة توابع الفصاحة »(٢) وقسمه الى ثلاثة فصول : الأول : فيما برجع الى الفصاحة اللفظية وهو أربعة وعشرون ، والثاني : فيما يرجع الى الفصاحة المعنوية ويختص بافهام المعنى وتبيينه وهو تسعة عشر فنا ، والثالث : فيما يرجع الى الفصاحة المختصة بتحسين الكلام وتزيينه الدالة على قوة عارضة المتكلم وتمكنه وهو خمسة عشر نوعا ، وادخل حسن الابتداء وحسن التخلص ، وحسن الخاتمة ، في القسم الثالث ، وتكلم على التتميم ، والاحتراس ، والتكميل ، والتذييل ، والاعتراض، والإيغال ، والتكرار في البديع ، وهذا ما لا نجده عند السكاكي وأكثر علماء البلاغة المتأخرين ،

وقد اجاد في بحث بعض الموضوعات كالمبالغة والائتلاف وانكان تفسه في البحث قصيراً ، وتحليقه في التحليل ليس فيه قدرة ابن الأثير وأضرابه من اعلام مدرسة مصر والشام • والكتاب مع ذلك ليست له قيمة كبيرة بالنسبة للكتب الاخرى ، ولكنه منهم " في معرفة تأريخ البلاغة العربية وتطورها ، وقد تباهى بدرالدين في خاتمته فقال : « وليكن هذا آخر الكتاب ، واعلم أني قد قدمت لك فيه قواعد متى بنيت عليها أعجب كل شاهد بناؤها ، ونهجت لك مناهج متى سلكتها اعترف لك

⁽۱) المصباح س ۳۲ .

[·] ۲۵ المصباح ص

بكمال الحذق والبلاغة ابناؤها ، ونصبت لك أعلاما متى انتحيتها أعثرتها على ضوال منسودة ، وحشدت لك من الامثلة ما ليس عند أحسد بمحشودة ، فمن لم يستضيء بهذا المصباح فليس ينفعه نور الصباح المساح المساح فليس ينفعه نور الصباح المساح المساح فليس المنفعة نور السباح المساح المسا

ونال المصباح اهتماما بالغا من لدن المغاربة ، ووضعت عليه الشروح والتلخيصات من ذلك « ضوء المصباح » لبدرالدين محمد بن يعقوب بن الياس بن النحوية (٧١٨ هـ) وشرحه في مجلدين سماه « اسفار الصباح عن ضوء المصباح » (٢) •

والكتاب الثاني « روض الاذهان في علم البيان » وهو من كتبه التي ذكرها القدماء وسماه القلقشندي روض الازهار (٢) و وكان أحد مصادر كتاب بهاءالدين السبكي ، وقد نقل عنه في مواضع كثيرة (٤) والكتاب لا يزال مخطوطا في مكتبة ليدن (٥) ولا يختلف كثيرا عن كتابه الاول ومنهجه قريب منه ، وقد بدأه بالكلام على علم الادب ، ثم قسمه الى قسمين : الاول في المعاني والثاني في البيان ، ولما انتهى من الفن الثاني عقد فصلا للفصاحة وقسمها الى ضربين : أحدهما راجع الى المعنى والثاني الى اللفظ ، وفي هذا الفصل تكلم على فنون البديع ، وختمه بفصل «ما يطعن به الضلال على كلام رب العزة علت كلمته »وهو في هذا يحذو حذو السكاكي ولا يخالفه الا في القسم الثالث الخاص بالبديع ، ولعل بدرالدين ألف « روض الأذهان » قبل « المصباح »، بالبديع ، ولعل بدرالدين ألف « روض الأذهان » قبل « المصباح »، بالبديع ، ولعل بدرالدين ألف « روض الأذهان » قبل « المصباح »، بالبديع ، ولعل بدرالدين ألف « روض الأذهان » قبل « المصباح »،

وعلى كل حال فقد عرفت مصر والشام « مفتـــاح العلوم » في أواخر القرن السابع ، وكان « روض الاذهان » و « المصباح »الشرارة

⁽۱) المصباح ص ۱۲۸ •

⁽٢) ينظر الدرر الكامنة ج٤ ص ٢٨٦ ، وبغية الوعاة ص ١١٧ .

⁽۲) صبح الاعشى ج١ ص ٢٦٩ .

⁽٤) ينظر عروس الافراح ج١ ص ٣٠، ١٥٩ ، ٣٧٦ وغيرها .

⁽a) لقد حصلنا على نسخة مخطوطة منه ولكن فيها خرما .

التي تحولت نارا أحرقت البلاغة العربية وكادت تودي بها لولا أن تداركها الله فبعث الخطيب القزويني ، ليعيد اليها الحياة ، ويثير حركة بلاغية جديدة شهدتها معاهد دمشق والقاهرة وحلقات الدرس في كل مكان .

فمن هذا البلاغي الجديد ؟



(بنابُرُه ولا) الفروتني واتناره



الفَصَيْلُ الأول

الخطيب القرويني

١

فمن مؤلفهما الذي كتب للبلاغة على يديه ان تأخذ صورتهــــا الاخيرة ؟

جلال الدين:

هو جلال الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن بن عمر بن احمد ابن محمد بن عبدالكريم بن الحسن بن علي بن ابراهيم بن علي ابن أحمد بن دلف بن ابي دلف العجلي القزويني الدمشقي الشافعي (۱) و وذكر بعضهم انه « قاضي القضاة جلال الدين محمد بن عبدالرحيم القزويني الشافعي (۲) و والخلاف في اسمه ليس كبيرا ، فقد اتفق معظم الذين ترجموا له انه « محمد بن عبدالرحمن » الا ابن كثير فقد ذكر انه « محمد بن عبدالرحيم » و محمد بن عبدالرحيم » و محمد بن عبدالرحيم »

ولا نعرف كثيرا عن حياة هذا الرجل العظيم الذي ارسى اصول البلاغة العربية ، ووضع قواعدها ، وقد اغفل القدماء كثيرا من اخباره ، ولم يفصلوا فيها ، ولعل قرب عهد من ترجموا له سبب ذلكفاكتفوا باللمحة العابرة والاشارة الخاطفة ، يقول ابن الوردي في تاريخه «وقرب العهد بسيرته يغنى عن الاطالة »(٣) ، وهو ما قاله ابو الفدا في كتاب (المختصر في اخبار البشر »(٤) ،

نسبه:

وكما لا نعرف كثيرا عن حياته ، لا نعرف صورة واضحة عن اسرته ، وأول ما يتبادر الى الذهن ان الرجل كان اعجميا ، والواقع انه « وان تكن له الى قزوين نسبة ، فانه عربي الدم ربيب البيئة المصرية» (٥) لابه ينتسب الى ابي دلف العجلي • وكان القزويني تفسه يذكر انه من نسل هذا العربي الاصيل الكريم (١) • وليس من السهل بعد هذا

⁽۱) ينظر الايضاح ص () والدرر الكامنة ج ٤ ص ٣) ومغتاح السعادة ج ١ ص ١٢٠ واليدر الطالع ج ٢ ص ١٨٣) وشادرات الدهب ج ٣ ص ١٢٣) وبغية الوعاة ص ٦٣ ٠

⁽٢) البداية والنهاية ج١٤ ص ١٨٤ ٠

⁽٣) تاريخ ابن الوردي ج٢ ص ٣٢٥٠

⁽١) المختصر في اخبار البشرج، ص ١٢٩٠

⁽٥) مناهج تجدید ص ۲۶۱ ۰

⁽٦) ينظر طبقات الشافعية جه ص ٢٣٨٠

ان نخرجه من العنصر العربي وان لصق به اللقب الاعجمي ، فقد اقتضت ظروف العرب الدينية والسياسية والاجتماعية ان يتركواديارهم وينتشروا في الارض ، ليبشروا بالدين الحنيف ، ويطلبوا الرزق والجاه والحياة الحرة الكريمة ، وليس الخطيب القزويني اول عربي ينسبالي مدينة اعجمية ، فقد نسب الى البيئات الاعجمية كثيرون منهم ابو الفرج الاصفهاني صاحب الاغاني وهو من سلالة الامويين ، وبديع الزمان الهمذاني صاحب المقامات المعروفة وهو كما يقول عن نفسه « مضري المحتد ، تغلبي المورد » ، ومجد الدين ابو طاهر الفيروز ابادي صاحب القاموس المحيط » والرازي ، وهما قرشيان من تيم من نسل ابي بكر الصديق، والابيوردي الشاعر الاموي المشهور ، والمروزي المؤرخ كمال الدين عبدالرزاق من احفاد معن بن زائدة (۱) .

آل دلف:

وأبو دلف العجلي (٢٢٦ هـ = ٨٤٠ م) الذي ينتسب اليه جلال الدين ، هو القاسم بن عيسى بن ادريس بن معقل (٢)، أحد قواد المأمون والمعتصم ، وكان كريما سريا جوادا شجاعا مقدما ذا وقائع مشهورة ، أخذ عنه الادباء والفضلاء ، وله صنعة في الغناء • يقول الاصفهاني : « ومحله في الشجاعة ، وعلو المحل عند الخلفاء، وعظم الغناء في المشاهد، وحسن الادب ، وجودة الشعر ليس لكبير احد من نظرائه» (٢) • وكان الشعراء يأتون اليه ويمدحونه ، ومن القصائد الرائعة فيه قصيدة ابي الحسن العكو التي أولها :

ذاد ورد الغي عن صدر ره فارعوى واللهو من وطرم يقول فيها:

انما الدنيا أبو دلك بين معداه ومحتضيره فـــاذا وكي ابو دلف ولت الدنيا على أثــره

⁽١) ينظر هؤلاء الاعلام في تاريخ علماء المستنصرية ص ٣٠٥ .

⁽٢) ينظر نسبه في وفيات الاميان ج٣ ص ٢٣٦٠.

⁽٣) الإغاني ج ٨ ص ٢٨٤ .

كثل من في الارض من عرك ب بن باديا مستعير منك مكرم أ

بین بادیه الی حکفسره یکتسیها یوم مفتخسره(۱)

لقد كانت هذه العائلة الكريمة في بغداد حاضرة الدولة العربية الاسلامية ، وكانت لها هيبتها وسطوتها ، ولكن ما الذي دعاها الى ان تطرح ابناءها في طول البلاد وعرضها ؟

لقد حاولنا ان نعرف كيف انتقل أحد فروعها الى المناطق الفارسية والى قزوين بالذات ، ولكننا لم نوفق الى ذلك توفيقا كبيرا وقد هدانا البحث الطويل الى خيط تمسكنا به لعله يوصلنا الى الحقيقة ويلقي الضوء على ما جرى لهذه العائلة وكان ذلك الخيط بكر بن عبدالعزيز بن أبي دلف الذي ذكرت المصادر القليلة عنه انه كان شاعرا ثائرا من بيت رئاسة ومجد ، امتنع بالاهواز في ايام المعتضد العباسي سنة ٣٨٣ هـ فسير المعتضد جيشا لقتاله فغلفر بكر ، وقدم اصبهان ، فقصده عيسى بن النوشري فقاتله ، وتفرق رجال بكر عنه ، ونجا بكر في نفر يسير من اصحابه ، ومضى الى محمد بن زيد العلوي بطبرستان، وأقام عنده الى ان مات فيها سنة ٢٨٥ هـ ولما وصل خبر موته الى المعتضد اعطى به الف دينار (٣) والمعتضد العلى به الف دينار (٣) والمعتضد اعطى به الف دينار (٣) و المعتضد اعطى به الف دينار (٣) و المعتفد المعتفد

ولو رجعنا الى ما قبل هذا العام لوجدنا ابن الاثير يذكر فيحوادث سنة ٢٨٣ هـ الحرب بين عسكر المعتضد الخليفة العباسي واولاد ابي دلف ، ففي هذه السنة سار عبيد الله بن سليمان الىعمر بن عبدالعزيز ابن أبي دلف بالجبل فسار عمر اليه بالامان في شعبان فاذعن بالطاعة فخلع عليه وعلى أهل بيته ، وكان من قبل ذلك قسد دخل بكر بن عبدالعزيز بالامان الى عبيد الله بن سليمان وبدر ، فولياه عمل اخيه على ان يسير اليه فيحاربه فلما دخل عمر في الامان قالا لبكر : ان اخاك قد دخل في الطاعة وانما وليناك عمله واظهر انه من قبل عمر بن عبدالعزيز

۱۱) الاغاني ج ۸ ص ۲۸۶ ٠

⁽٢) ينظر الكامل في التاريخ ج٧ ص ١٧٣ ، والنجوم الزاهرة ج٢ ص ٤١ ٠

فهرب بكر بن عبدالعزيز فكتب عبيد الله الى المعتضد بذلك فكتب الى بدر ليقيم بمكانه الى ان يعرف حال بكر وسار الوزير الى على بسن المعتضد بالري ولحق بكر بن عبدالعزيز بالاهواز ، فسير المعتضد اليه وصيف بن موشكير ، فسار اليه فلحقه بحدود فارس ، وباتا متقابلين وارتحل الى اصبهان ليلا فلم يتبعه وصيف بل رجع الى بغداد ، وسار بكر الى اصبهان فكتب المعتضد الى بدر يأمره بطلب بكر وحربه ، فأمر بدر عيسى النوشري بذلك فقال بكر قصيدة مطلعها :

عني ملامك ليس حين ملام هيهات اجدب زائد الايام

وفيها يصف شجاعته وبأسه ، ويتهدد بدرا (١) • وفي هـذه السنة قدم عمر بن عبدالعزيز بن أبي دلف بغداد فأمر المعتضد الناس والقواد باستقباله وقعد له المعتضد فدخل عليه واكرمه وخلع عليه ، ولكن بكرا بقي ثائرا الى ان مات سنة ٢٨٥ هـ بطبرستان •

وهذا يظهر لنا ان اولاد ابي دلف العجلي واحفاده ، كانوا ثائرين على المعتضد العباسي ، وكانوا معتصمين بالمناطق الجبلية في شرق الدولة الاسلامية ، ومن هنا نفهم سر انتقال هؤلاء الابناء والاحفاد الى المناطق الفارسية ، إلى طبرستان وقزوين •

ولو حاولنا ان نعيد نسب الخطيب القزويني الى هذين البطلين الثائرين لما استطعنا لانه ينتهي الى علي بن احمد فأبي دلف ويمضي الزمن بهذه الاسرة وتختفي سلسلة النسب حتى اذا ما جاء القرن السادس ظهر عالم جليل من هذه الاسرة هو عبدالكريم بن محمد بن عبدالكريم بن الفضل الامام العلامة امام الدين الرافعي القزويني ، ذكره ابن الصلاح وقال عنه: « ما اظن في بلاد العجم مثله ، وكان ذا فنون ، حسن السيرة » (٢) وقال أبو عبدالله محمد بن محمد الاسفراييني عنه « هو شيخنا امام الدين وناصر السنة ،

⁽١) تنظر القصة في الكامل في التاريخ ج٧ ص ١٧١ .

⁽٢) فوات االوقيات ج٢ ص ٧ ٠

كان اوحد عصره في العلوم الدينية اصولا وفروعا ، وكان له مجلس بقزوين في التفسير وتفسير الحديث ، وكان زاهدا ورعا متواضعا» (١). وقد مات هذا العالم الجليل بقزوين سنة ٦٢٣ هـ .

ونرجح ان القزويني كانت له صلة رحم بهذا العلامة ، فقد ذكر جمال الدين الأسنوي في نسبة الرافعي هذا ما يؤيد الصلة بين الرجلين، يقول : « وسمعت قاضي القضاة جلال الدين القزويني يقول : انرافعان بالعجمي مثل الرافعي بالعربي ، فان الالف والنون في آخر الاسم عند العجم كالنسبة ٢٦ في آخره عند العرب ، فرافعان نسبة الى رافع ، قال: ثم انه ليس بنواحي قزوين بلدة يقال لها رافعان ولا رافع ، بل هو منسوب الى جد له يقال له رافع ، قلت : وحكى بعض الفضلاء عن شيخه قال : سألت القاضي مظفر الدين قاضي قزوين : الى ماذا نسبة الرافعي ؟ فقال : كتب بخطه وهو عندي في كتاب التدوين في اخبار قزوين : انه منسوب الى رافع بن خديج » (٢٦) ،

ومما يؤيد صلة القزويني بهذا العالم الجليل ما ذكره ابو القدا عنه يقول : « وبلغني ان بينه وبين الامام الرافعي قرابة »(٤) .

امام الدين:

ونجد بعد ذلك امام الدين القزويني اخا الخطيب ، وهو ابو المعالي عمر بن القاضي سعد الدين ابي القاسم عبد الرحمن بن الشيخ الامام امام الدين ابي حفص عمر بن احمد بن محمد بن عبد الكريم بن الحسين بن علي بن احمد بن خلف التميمي^(٥) • ولد بتبريز سنة ٣٥٣ هـ وانتقل واشتغل في بلاد العجم والروم ، ثم قدم دمشق في الدولة الاشرفية هو

⁽١) فوات الونيات ج٢ ص ٨٠

⁽٢) في شلرات اللهب جه ص ١٠٩ : « كياء النسبة ، ٠

⁽٣) طبقات الشافعية للاسنوي (مخطوطة الاوقاف ببغداد) ورقة ١٢٤ وينظر كتنب شدرات الذهب جه ص ١٤٩ .

⁽٤) المختصر في اخبار البشرج؛ ص ١٤٩٠.

⁽ه) الدارس في تاريخ المدارس ج ا ص ١٩٥٠

واخوه جلال الدين فقررا في مدارسها ، وتقلدا عدة مناصب في الشام و ودرس امام الدين في سنة ١٩٨٩ هـ بأم الصالح ، وفي عاشر جمادى الاولى سنة ١٩٨٧ هـ بالظاهرية البرانية ، وحضر عنده القضاة والاعيان ، وفي اواخر شوال سنة ١٩٨٤ هـ قدمت من الديار المصرية تواقيع شتى منها تدريس الغزالية لابن صصرى عوضا عن الخطيب المقدسي ، وتوقيع تدريس الامينية لامام الدين عوضا عن نجم الدين بن صصحرى ورسم لاخيه بتدريس الظاهرية البرانية ثم درس بالامينية وانتزع قضاء الشام من بدرالدين بن جماعة في سنة ١٩٦٦ هـ ، وناب عنه اخوه ، وفي جمادى الآخرة من هذه السنة وصل البريد فاخبر بولاية امام الدين الخطابة وتدريس القيمرية التي كانت بيد امام الدين ، وجاء كتاب الخطابة وتدريس القيمرية التي كانت بيد امام الدين ، وجاء كتاب السلطان بذلك وفيه احترام واكرام له ، ودخل الى دمشق عقب صلاة السلطان بذلك وفيه احترام واكرام له ، ودخل الى دمشق عقب صلاة النام وامتدحه الشعراء بقصائد منها قصيدة مطلعها :

تبدلت الايام من عسرها يسرا وأضحت تغور الشام تفتر بالبشرى

وكان حال دخوله عليه خلعة السلطان ومعه القاضي كمال الدين الزواوي قاضي القضاة المالكية ، وعليه خلعة ، وقد شكر امام الدين في السفر وذكر من حسن اخلاقه ورياضته ما هو حسن جميل ، ودرس بالعادلية بكرة يوم الاربعاء منتصف شهر رجب ، واشهد عليه بعسد الدرس بتولية اخيه جلال الدين نيابة الحكم ، وجلس في الديوان الصغير وعليه الخلعة ، وجاء الناس يهنئونه ، وقريء تقليده يوم الجمعة بالشباك الكمالي بعد الصلاة بحضرة نائب السلطنة سيف الدين قبعق المنصوري ،

وفي سنة ٦٩٨هـ وقعت محنة للشيخ تقي الدين بن تيمية ، قام عليه

جماعة من الفقهاء في اواخر دولة لاجين بعد خروج قبحق من الشام ، وارادوا إحضاره الى مجلس القاضي جلالالدين فلم يحضر فنودي في البلد في العقيدة التي كان قد سأله عنها اهل حماة المسماة بالحموية ، فانتصر له الامير سيف الدين، وارسل يطلب الذين قاموا عنده فاختفى كثير منهم وضرب جماعة ممن نادى على العقيدة فسكت الباقون فلما كان يوم الجمعة عمل الشيخ تقي الدين الميعاد بالجامع على عادته وفسر في قوله تعالى: « وانك لعلى خلق عظيم» ، ثم اجتمع بالقاضي امام الدين وم السبت واجتمع عنده جماعة من الفضلاء ، وبحثوا في الحموية وناقشوه في اماكن فيها ، فاجاب عنها بما اسكتهم بعد كلام كثير ، ثم دهب الشيخ تقي الدين وقد تمهدت الامور وسكنت الاحوال .

وعندما توجه غازان المغولي الى الشام ، هرب جماعة من اعيان دمشق الى مصر وكان منهم القاضي امام الدين ، وقاضي المالكيية الزواوي ، وتاج الدين الشيرازي ، وعلم الدين الصوابي والي البر ، وجمال الدين بن النحاس والي المدينة ، والمحتسب وغيرهم من التجار والعوام ، وبقي البلد شاغرا ليس فيه حاكم سوى نائب القلعة ، وتألم امام الدين في الطريق وتوفي في القاهرة بعد اسبوع في يوم الشلائاء الخامس والعشرين من ربيع الآخر سنة ١٩٥٩ هـ ، ودفن بالقرافة بالقرب من قبة الامام الشافعي عن ست واربعين سنة وصار المنصب بعده الى من قبة الامام الشافعي عن ست واربعين سنة وصار المنصب بعده الى ما بيده من الخطابة ،

وكان امام الدين حسن المعتقد ، صالح المقصد ، جميل الاخلاق ، كثير الاحسان ، رئيسا ، قليل الاذى ، وذكر ابن عماد الحنبلي انه «كان تام الشكل ، سمينا ، متواضعا ، مجموع الفضائل لم يكتهل »(١) .

⁽۱) شلرات اللهب جه ص ۱۵۱ ، وينظر البداية والنهاية ج ۱۳ ص ۳۳۲ ، ۱۳۹ و ج ۱۶ مس ۱۳۶ ، ۱۳۹ و ج ۱۶ مس ۱۲۶ ، ۱۹۲ و و ج ۱۶ مس ۱۰۶ ، ۱۹۲ و الشافعية جه ص ۱۳۱ ، والدارس في تاريخ المدارس ج ۱ مس ۱۹۲ ، ۱۹۲ والسلوك ج ۱ مس ۱۰۹ ، وتاريخ ابن خلدون جه ص ۸۹۲ ، وطبقات الشافعية للاسنوي (مخطوطة الاوتاف ببغداد) و ر تة ۲۳۸ .

هذه حياة اخي جلال الدين القزويني ، وهي حياة حافلة بالعلـــم والجاه ، فقد تقلد مناصب التدريس والقضاء في الشام وحظي بمنزلة عظيمة ، وكان لهذا اثر عظيم في توجيه أخيه وجهة صالحة .

وذكر جمال الدين الاسنوي في طبقاته بعد ترجمة امسام الدين والخطيب: « وكان لهما عم يقال له بدر الدين فضل الله • كان يحفظ الوجيز ويكرر عليه وهو في الشيخوخة • وتولى القضاء في بعض يلاد الروم ، وقدم دمشق للحج وأبنا أخيه فيها ، فلم يتفق له ذلك بسبب المرض • ومات في ربيع الآخر سنة ست وتسعين وستمائة »(١) •

أين ولد جلال الدين ؟ ومتى ؟

ذكرنا ان امام الدين ولد سنة ٣٥٣ هـ بتبريز ، وهي مدينة آهلة، كثيرة الخيرات والاحوال والصناعات ، وقد أصبحت في عهد زكريا القزويني صاحب آثار البلاد واخبار العباد قصبة بلاد اذربيجان ، ولكن بعض المؤرخين يذكر انه ولد بقزوين (٢) ، وهي مدينة كبيرة مشهورة في بلاد فارس بينها وبين الري سبعة وعشرون فرسسخا ، واول من استحدثها سابور ذو الاكتاف ، وكان عثمان بن عفان رضى الله عنه ولتى البراء بن عازب الري في سنة ٢٤ هـ فسار منها الى ابهر ففتحها ورحل عنها الى قزوين ودخلت في الاسسلام (٣) ، وكانت يوم نشأ ورحل عنها الى قزوين ودخلت في الاسسلام (٣) ، وكانت يوم نشأ القزويني بقبضة المغول الذين غزوا البلاد الاسلامية ، ودمروا الحضارة العربية الزاهرة ، واحالوا كثيرا من المدن حطاما ،

ويبدو ان اسرة القزويني قد رحلت عن هذه المدينة أو هــــذه الديار بعد ان ولد امام الدين سنة ٣٥٣ هـ ، واستقرت في الموصل ، وهي يومذاك تحت حكم بدر الدين لؤلؤ وابنه الملك الصالح اسماعيل • ولا

⁽١) طبقات الشافعية للاسنوي ورقة ٢٣٨ .

⁽٢) الدارس في تاريخ المدارس ج ا ص ١٩٥٠

⁽٣) ينظر معجم البلدان ج٧ ص ٨٠ ، ودائرة المعارف الاسلامية (الطبعة العربية) ع٢ ص ٨٢٠ .

نعرف سنة هجرتها ولا الدوافع التي حملت الوالد على الرحيل عن ملعب صباه ومرتع احلامه • ولعل اسباب الحياة والرزق تقطعت فيهذه المدينة فضاق بالحياة ، أو لعله هرب من وجه المغول الغزاة الذين قضوا على الخلافة العباسية في بغداد سنة ٢٥٦ هـ •

وبعد أن استقر النازحون في مدينة الموصل ، ولد جلال الدين فيها في شعبان سنة ٦٦٦ هـ (١٣٦٨ م) ، ولكن بعضهم ذكر انه ولد سنة ٦٦٠ هـ ، ولعل مصدر هـذا احد اصول النجوم الزاهرة مع ان مؤلفه يذكر في المنهل الصافي انه ولد سنة ٣٦٦هـ(١) .

الموصل أيام النكبة:

وكانت الموصل يوم ولد جلال الدين خاضعة للتتر ، فبعد سقوط بغداد سنة ٢٥٦ ه ييد المغول ارسل صاحب الموصل بدرالدين لؤلؤ ابنه الملك الصالح اسماعيل ومعه جماعة من عسكره نجدة لهولاكو فاظهر لهم عبسه ، وقال : « انتم بعد في شك من امرنا ومطلتم نقوسكم يوما بعد يوم ، وقد متم رجالا واخرتم اخرى ، لتنظروا من الظافر بصاحبه ، فلو انتصر الخليفة وخذلنا لكان مجيئكم اليه لا الينا ، قل لايك لقد عجبنا منك تعجبا ، كيف ذهب عليك الصواب ، وعول بك ذهنك عن سواء السبيل ، واتخذت اليقين ظنا وقد لاح الصبح فلا تستصبح ؟ » (٢٠) .

وعاد الى ابيه ليخبره بما جرى له مع هولاكو ، فخرج اليه وقدم له الطاعة ثم عاد الى الموصل ، ولكن القدر لم يمهله فمات سنة ٢٥٦هـ وقيل سنة ٢٥٧هـ و تولى ابنه الملك الصالح اسماعيل الموصل ، وابنه علاءالدين سنجار ، وابنه اسحاق المجاهد الجزيرة ،

⁽۱) ينظر الرافي بالوفيات ج٣ ص ٢٤٢ ، والبدر الطالع ج٢ ص ١٨٣ ، والمنارس في تاريخ المدارس ج١ ص ١٩٣ ، والمنهل الصافي ج٣ ص ١٧٥ وسلارت المدارس ج١ ص ١٦٨ ، وبغية الوعاة ص ٦٦ ، ومغتاح السعادة ج١ ص ١٦٨ . (٢) تاريخ مختصر الدول ص ٨٢٤ .

وايدهم هولاكو مظهرا لهم الرعاية والمودة ، ولم تدم الحياة علىهذه الحالة ، فقد شاءالقدر أن ينال الموصل من جعيم المغول ما أصاب بعدادوالشام ، وكأن الايام كانت لها بالمرصاد ، ولئن نجت سنة ٢٥٦ه ولم ينلها التدمير وتنزل بها الكوارث ، فقد نجت الى حين ، وبدأت الفتن تضطرم في كل جانب ، واخذت المؤامرات تحاك وتدبر في الخفاء ودخلها المغول واصابها ما اصاب مدن العالم الاسلامي وحواضره ، فاضطربت الحياة وعمّت الفوضى والفساد ، واصبحت الموصل تخضع مع عمالها للدولة الايلخانية او المغولية ، ويحكمها العمال والضامنون الذين كانوا يضمنونها من الملوك الايلخانيين بمبلغ من الذهب ولذلك لم يكن الامير او الحاكم مهتما بشؤونها ، معمرا ارجاءها ، وانما كان همه منصبا على جمع المال ، وارضاء السلطان ، فاصاب المدينة تدهور وانحطاط بعد ان كانت في العصور العباسية وفي عهد الدولة الاتابكية ونحجه خاص ـ ملتقى الطرق ومنار الوافدين ، ولكن المدينــة لم تخل من حاكم صالح طوال حكم المغول ، فقــد قام منهم ملوك تخيّل من حاكم صالح طوال حكم المغول ، فقــد قام منهم ملوك اتصفوا بالعدل وامتازوا بحسن السيرة وخدمة العلم،

الى بلاد الروم ودمشق:

ويبدو أن المقام لم يطب لاسرة القزويني في هذه المدينة ، فرحلوا عنها الى بلاد الروم • وليس عندنا ما يوضح سبب هجرتها ، ولعل الاضطرابات والفتن والحروب هي التي دفعتها الى هذا ، او لعل اسباب الحياة اوحت اليهم بالهجرة فساروا يضربون في البلاد • ولسنا نعلم سنة رحيلهم عن الموصل ، ولا نعرف اين نزلوا ، واين استوطنوا ، وكيف كانوا يعيشون ، ومن أين يأتيهم رزقهم ؟ وكل ما نعرفه عن جلال الدين انه سكن بلاد الروم مع والده واخيه ، وولي بها قضاء خلال الدين انه سكن بلاد الروم مع والده واخيه ، وولي بها قضاء غير ان ابن تغري بردى يرى أن في ولايته على مذهب الشافعي ببلاد غير ان ابن تغري بردى يرى أن في ولايته على مذهب الشافعي ببلاد

⁽۱) ينظر الوافي بالوقيات ج٣ ص ٢٤٢ .

روم نظرا لان مذهب هذه المناطق السائد كان المذهب الحنفي ، وقد اضاف قائلا: « اللهم الا ان كان تقلد حنفيا في تلك الايام في تلك البلاد ، ثم عاد الى مذهبه بعد ذلك فيمكن ، واما الروم فلم يكر فيها قاض شافعي فيما نعلم »(١) •

ولا ندري كم بقي في هـــذا المنصب ، لانه سافر بعـد ذلك مع اخيـه الى دمشق في عهـد الدولة الاشرفية وقرر في مدارسها ، ويذكر ابن كثير أنَّ قدومهما كان بعـد سنة ١٩٠ هـ(٢) ، وهـذا غير صحيح ، لان امام الدين درس بام الصالح في دمشق سنة ١٨٩ هـ فيكون قدومهما في هذا العام او قبله على أقل تقدير ،

واشتهرت عائلتهما في مصر والشام وعدت من الاسر البارزة فيها الى جانب اسرة الديري، والبارزي ، واسرة ابن بنت الاعز ، وابن جماعة ، وابن عبدالظاهر ، والسبكي ٠

⁽١) المنهل الصاني ج٣ ص ١٧٥٠

⁽٢) البداية والنهاية ج١٤ ص ١٨٥ ٠

ويذكر المؤرخون أنَّ جلال الدين خطيب ، فقيه،اصولي ،محدث، اديب ، عالم بالعربية والمعاني والبيان ، والى ذلك اشار ابن نباته المصري في قصيدته التى مدحه فيها، يقول :

بَحْر فيقه وإن تشافابن بكور فيقه وإن تشافابن بكور في ضروب البيان والتبيين وخطيب يكفي الخطوب بلفظ يستميل الصخور بالتليين يساجع يورق المنابر ميسا فتلذ الاسجاع فوق الغصون واميام المحراب يشهد علم واميام الفراب يشهد علم الفنون (۱)

ثقافتــه:

ومعنى هذا انه كان على جانب عظيم من الثقافة ، والا لم يستطع ان يتولى التدريس والخطابة والقضاء . ومما يؤسف له ان المصادر

⁽۱) سجع المطوق (نسخة دار الكتب بالقاهرة) ص ٢٣ب ، وديوان ابن نباتة المصري ص ٤٩٦ .

لا تذكر شيئا عن ثقافته او ما يلقي ضوء عليها ، وليس في كتبه ما يفيد ذلك وان كانت تدل على ثقافة بلاغية وادبية واسعة ، وتتجمع المصادر على انه كانت له يد في الاصولين : اصول الدين ، واصول الفقه ، او اصول العقائد ، واصول التشريع ، وكانت له ثقافة ادبية واسعة في الشعر والنثر والبلاغة ، وقد انعكست هذه الثقافة في كتبه وخطبه التي كان يلقيها في مساجد دمشق والقاهرة ، وفي تقريظاته لكتب اصدقائه ،

وكان حلو العبارة يتقن العربية والفارسية والتركية ويتحدث بالاخيرتين كما يتحدث بالعربية يقول ابن حجر: « وكان فصيحا بالتركي والفارسي والعربي »(١) وكان يرغيّب الناس في الاشتغال بأصول الفقه وفي المعاني والبيان • ويمكن ان نحكم على انه كانعلى جانب عظيم من الثقافة بما وصل الينا من اشارات عن حياته، فهم يذكرون انه كان فقيها ، خطيبا ، قاضيا ومؤلفا . ومن البديهي انبه لن يكون فقيها ما لم يكن ملما باصول الدين ، واصول الفقه ، وهذا الالمام يحتاج اني دراسة واسعة وتفهم للقرآن الكريم ، وسنة الرسول محمد (ص) ، وكتب الفقه واصوله • ويبدو أنه كان يعطي الفتاوى ، وكان له رأي في كثير من مسائل الفقه ، ومن فتياه التي تشهد له بالتضلع بالفقــه واصوله ما رواه السبكي ، يقول : « افتى القاضي جلالاالدين وهو خطيب دمشق في رجل فرض على نفسه لولده فرضا معينا في كلشهر ، واذن لامه حاضنته في الانفاق والاستدانة والرجوع عليه ، ففعلتذلك، ومات الاب، بان لها الرجوع في تركته • وتوقف معه الشيخ برهـان الدين بن الفركاح لقول الاصحاب ان نفقة القريب تصير ديناً لا بقرض القاضي او اذنه في الاستقراض فان ذلك يقتضي عدم الرجوع ،وقولهم لو قال : اطعم هذا الجائع وعلى صمانه استحق عليه ، ولو قال اعتق عبدك وعلى الفا استحق يقتضي الرجوع • قلت : الارجح ما افتى به القاضي جلال الدين من الرجوع ١٣٠٠٠ .

⁽١) الدر الكامنة ج٢ ص ١٦١ .

⁽٢) طبقات الشافعية جه ص ٢٣٩٠

ولن يكون خطيبا يتولى الخطابة في الجامع الاموي ما لم يكن مفوها ، ذا ثقافة كبيرة تساعده على اداء افكاره وتأثيره في مستمعيه ٠

أما القضاء فانه يحتاج الى رجل مطلع واسع الثقافة عظيم الادراك، وليس تولي القضاء سهلا في أي عصر من العصور ، وكان لنولي القضاء شروط وهي : الذكورية ، والبلوغ ، والعقل ، والحرية ، والاسلام ، والعدالة ، وسلامة السمع والبصر، والعلم باحكام الشريعة ، والعلم بها يشتمل على معرفة اصولها وفروعها ، واصول الاحكام في الشرع اربعة :

أحدها: علمه بكتاب الله عز وجل على الوجه الذي يصبح به معرفة ما تضمنه من الاحكام ناسخا ومنسوخا ، ومحكما ومتشابها ، وعموما وخصوصا ، ومجملا ومفسرا .

والثاني : علمه بسنة رسول الله (ص) الثابتة من أقواله وأفعاله ، وطرق مجيئها في التواتر والآحاد والصحة والفساد .

والثالث: علمه باقاويل السلف فيما اجمعوا عليه واختلفوا فيه ، ليتبع الاجماع ، ويجتهد برأيه مع الاختلاف .

والرابع: علمه بالقياس الموجب لرد الفروع المسكوت عنها الى الاصول المنطوق بها والمجمع عليها حتى يجد طريقا الى العلم باحكام النوازل، ويميز الحق من الباطل.

فاذا أحاط علما بهذه الاصول الاربعة في احكام الشريعة صار من اهل الاجتهاد في الدين ، وجاز له ان يفتي ويقضي ، وان اخل بها او بشيء منها خرج من ان يكون من اهل الاجتهاد ، ولم يجز ان يفتي ولا ان يقضي (١) .

ومن هنا نرى ان ثقافة القاضي ينبغي أن تكون واسعة لكى

⁽۱) ينظر بشان اعمال قاضي القضاء نهاية الارب ج٦، ص ٢٤٨ ، ٢٥٠ .

بستطيع ان يؤدي واجبه خير اداء ، واذا ما اراد السلطان ان يختار قاضيا اخذ هذه الشروط بنظر الاعتبار الى جانب شخصية القاضي وولائه للسلطان في كثير من الاحيان • وكان الاختيار يقع على ابرز فقهاء كل مذهب ، ولو لم يكن القزويني من فقهاء الشافعية البارزين لما اختير لمنصب قضاء الشافعية في دمشق وقاضيا للقضاة في القاهرة ، وهو منصب كبير لا يقدر عليه الا من اوتي علما عظيما ، وتفهما عميقا ، لان الشافعي يكون اعلى القضاة وهو المتحدث على الموازع الحكمية والاوقاف واكثر الوظائف ، ويختص بتوليسة النواب في النواحي والاعمال (۱) .

وليس من السهل ان يكون القزويني مؤلفا عالما في البلاغة لو لم يكن واسع الاطلاع ، عارفا باساليب هذا الفن وكتبه المشهورة ، وتبدو ثفافته واطلاعه الواسع في كتابيه : التلخيص والايضاح ، فقد استطاع ان يتمثل كتب البلاغة ، ويمزج بينها ، ويخرج لنا علوم البلاغة اخراجا آخر فيه تهذيب لبلاغة عبدالقاهر ، وتنسيق لمنهج السكاكي وبلاغته،

ونرجح أنَّ ثقافته الفقهية والدينية كانت اعمق من ثقافته اللغوية لأنه لم يدرس البلاغة إلا لتكون وسيلة لفهم كتب الفقه واصوله والتعبير الفصيح • ولم يؤلف في البلاغة الا بعد أنْ نضجت عقليته ، وتولى المناصب الكبيرة في التدريس والخطابة والقضاء •

أسساتيده:

وكان ابوه أول استاذ تلقى عليه الدرس ، يقول صاحب الدارس في تاريخ المدارس: « وتفقه بابيه »(۱) • ومعنى هذا ان اباه كانفقيها ، عالما وان لم تشر المصادر الى ذلك • وعندما دخل هو وأخوه امام الدين دمشق سمع فيها من العز الفاروتي وطائفة ، واخذ عن الايكي وغيره ،

⁽۱) ينظر صبح الاعشى ج٤ ص ١٩٢٠.

⁽٣) الدارس في تاريخ المدارس ج1 ص ١٩٦٠

وخرّج له البرزالي جزء من حديثه وحدث به وافتى ، واخذ المعقول عن الشيخ شمس الدين الابجي (١) و كان اساتذته ممن يشهد لهم بالبراعة في اصول الدين وعلوم العربية ، فقد كان عزالدين ابوالعباس احمد بن ابراهيم الفاروتي مقرئا واعظا ، ومفسرا خطيبا ، روى عنه الكثير بالحرمين والعراق ودمشق وقرأ عليه القراءات جماعات ، وقدم دمشق في سنة ١٩٦ هـ وولى مشيخة الحديث بالظهاهية وتدريس النجيبية ، وولي خطابة الجهامع بعد ابن المرحل ثم عزل من الخطابة بالخطيب الموفق فتألم لذلك ، وترك الجهات ، واودع بعض كتبه وكانت بالخطيب الموفق فتألم لذلك ، وترك الجهات ، واودع بعض كتبه وكانت بالخطيب الموفق فتألم لذلك ، وترك الجهات ، واودع بعض كتبه وكانت بنيف على الثمانين (٢) ومن هنا نرى ان جلال الدين اتصل باستاذه نيف على الثمانين (٢) ومن هنا نرى ان جلال الدين اتصل باستاذه الفاروتي بعد سنة ١٩٦ هـ وهي السنة التي ولي فيها مشيخة الحديث بالظاهرية ،

أما استاذه الايكي فهو شمس الدين محمد بن ابي بكر بن محمد الفارسي ، كان احد الفضلاء الحلالين للمشاكل ، المفسرين للمعضلات، ولا سيما في علم الاصلين والمنطق وعلم الاوائل ، باشر في وقت مشيخة الشيوخ بمصر واقام يدرس بالغزالية قبل ذلك ، وتوفي يوم الجمعة ودفن يوم السبت ومشى الناس في جنازته منهم قاضي القضااة امام الدين القزويني في الرابع من شهر رمضان سنة ١٩٥٧ هـ ، ودفن بمقابر الصوفية وعمل عزاؤه بخانقاه السميساطية ، وكان معظما من تهوس كثير من العلماء (٣) .

ومن اساتذته عمر بن الياس بن يونس المراغي ابو القاسم الصوفي كمال الدين المولود باذربيجان سنة ٦٤٣ هـ ، قدم دمشق سنة ٢٩٥ وهو ابن نيف وثمانين سنة ، وجاور قبل ذلك بالقدس سنة ، واقام قبلها بمصر

⁽۱) ينظر اللرد الكامنة ج٤ ص ٣ ، منتاح السعادة ج١ ص ١٦٨ ، بغية الوحاة ص ٢٠١ الدارس في تاريخ المدارس ج١ ص ١٦٦ ،

⁽٢) تنظر ترجمته في مراة الجنان ج ع ص٢٢٢ والدارس في تاريخ المدارس ج اص ٣٣٠٠

⁽٣) الدارس في تاريخ المدارس جا ص ٢٢) .

خمس عشرة سنة • ويبدو أن القزويني لازمه قبل مجيئه الى دمشق ، وقرأ عليه ، وحينما جاء المراغي الى دمشق لم يحظ بالتفاتة من تلميذه لذلك نجدهم يقولون عنه : « ولما كان بدمشق كان يذكر ان الجلال القزويني قرأ عليه قديما ، ويعتب عليه في عدم انصافه له »(١) •

ولكن هل أثرت هذه الثقافة في جلال الدين وماذا كانت ثمرة هذا التوجيه ؟ لقد ألتف « التلخيص » و « الايضاح » وهما زبدة كتب البلاغة العربية ، وألقى الخطب الرنانة في مساجد دمشق والقاهرة ، وحاضر ودرس زمنا طويلا •

إن " ثقافته الواسعة ، وتوليه القضاء ، وعصره الذي عاش فيه ، وبيئته التي اضطرب فيها لم تؤثر في كتبه تأثيرا واضحا ، وكأنه حينما وضع كتابيه البلاغيين كان يعيش في جرجان ، وخوارزم ، لا في مصر والشام ، وليته استفاد من اشتغاله بالقضاء في النقد والتحليل كما استفاد من قبل القاضي علي بن عبدالعزيز الجرجاني صاحب « الوساطة بين المتنبي وخصومه » ، فقد كان شأنه في البلاغة والنقد كشأنه حينما كان يجلس للقضاء ينصت الى الشهود ويجمع الادلة من هنا وهناك ، ليقضي بين المتخاصمين ، ويلقي الحكم كما تمليه الادلة ويرضاه الوجدان .

شــــمره:

ولم تذكر المصادر شعرا للقزويني مع انه كان يتذوقه ، ويقرؤه كثيراً ، وكان مولعا بشعر الارجاني ويراه من اكبر شعراء العجم وهو القائل :

أنا اشعر الفقهاء غير مدافع بالعصر او انا افقه الشعراء واختصر ديوانه وسماه « الشذر المرجاني من شعر الارجاني » ،

[:] الدرر الكامنة ج٣ ص ١٥٧ .

وكان كثير الاستشهاد بشعره في الايضاح •

وقد ذكر القدماء انه لم ينظم بيتا واحدا من الشعر مع قوة باعه في الادب(١) ، لكن الدسوقي يذكر له بيتشعر مترجم عن الفارسيةهو:

لو لم تكن نية الجوزاءخدمته لما رأيت عليها عقد منتطق

ويقول: « فهذا البيت له ، وقد وجد بيتا فارسيا في هذا المعنى فترجمه بالعربية بما ذكر »(٢) • والغريب ان القزويني نفسه لم ينسب ترجمة البيت الى نفسه ، وقد قال في التلخيص عنه: « كقوله » وفي الايضاح: « كمعنى بيت فارسي ترجمته »(٢) • وخرج الدسوقي قوله هذا على وجه بعيد فقال: « وقال كقوله ولم يقل: كقولي ، امسالتجريد أو نظر لمعناه فانه للفارسي تأمل » • وكأن الدسوقي – رحمه الله – لم يقرأ كتب البلاغة المتقدمة ، وكان عبدالقاهر قسد ذكره في « اسرار البلاغة » على انه ترجمة معنى بيت فارسي ولم يذكر قائله كما لم يذكر نصه الفارسي ، وذكره العصام في الاطول وهو:

كرنبودي عــزم جوزا خدمتش كس نديدي برميــاناو كمرك

ولعل الذي اوقع الدسوقي في الخطأ ما ذكره التفتازاني في شرحه المطول ، يقول « هذا البيت للمصنف وقد وجد بيتا فارسيا في المعنى فترجمه »(٥) ، ولا نجد غير التفتازاني والدسوقي من ينسب الى القزويني ، وقد ذكره عبدالرحيم العباسي ، ولكنه لم يذكر اسم قائله واكتفى بان ذكر انه مترجم عن الفارسية(١) .

⁽١) بغية الوعاة ص ٦٦ ، ومفتاح السعادة ج إ ص ١٦٨ .

⁽٢) حاشية الدسوني ج ٤ ص ٣٨٠ .

⁽٣) ينظر التلخيص ص ٣٧٨ ، والايضاح ص ٣٧١ .

⁽٤) الاطول ج٢ ص٢١١ . وفي أسرار البلاغة (ط.ريش) هامش ص٢٥٦ ادرميان اوكر .

⁽۵) المطول ص ۹۳۷ .

⁽٦) معاهد التنصيص ج٣ ص ٦٧ .

نشسره:

واذا كان الخطيب القزويني لم يقل بيت شعر واحد فانه قد كتب نشرا، وليست خطبه التي كان يلقيها في المساجد الا نموذجا ممتازا يدل على قدرة فائقة في الانشاء، وتبدو قابليته على الكتابة في كتب البلاغية التي راعى فيها سلامة العبارة والفصاحة مع السهولة والابتعاد عن التكلف والسجع والمطابقة وغيرها مما كان كتاب عصره يوشحون به كلامهم، فيخرجونه هياكل ليس فيها طلاوة او رونق •

ومن امثلة نثره الذي ابتعد فيه عن اسلوب عصره قوله معلقاعلى البيت :

والمجد يدعو أن يدوم لجيده عقد مساعي ابن العميد نظامه

يقول: «فانه شبه المجد بانسان بديع الجمال في ميل النفوساليه، واثبت له جيدا على سبيل الاستعارة التخييلية ، ثم اثبت لجيده عقد ترشيحاً للاستعارة ، ثم خص مساعي ابن العميد بانها نظامه فنبه بذلك على اعتنائه خاصة بتزيينه ، وبذلك على محبته وحده له ، وبها على اختصاصه به ، ونبه بدعاء المجد ان يدوم لجيده ذلك العقد على طلبه دوام بقاء ابن العميد ، وبذلك على اختصاصه به »(۱) ، وهذا اسلوب هاديء ليس فيه تكلف المتحذلقين ولا اغرابهم في الصنعة البديعية ،

واذا كان قد ابتعد عن الزخرفة والمحسنات في كتبه البلاغية فانه لم يستطع الابتعاد عنها فيما كتب من نثر وخطب ، ومن امثلة نثره البديعي تقريظه كتاب « مجمع الفرائد » لابن نباتة المصري (٧٦٨ هـ)، يقول :

« هذا سماء حكم بدائع ، وفقر روائع ، فلا بدع أن سميت مطالع (۲) الفوائد ، واصداف كريمة حوت دررا يتيمة ، فلا غرو ان

۱۱) الايضاح ص ۳۲۵ .

⁽٢) في سجع المطوق مخطوطة الاوقاف ببغداد: « بمطلع » .

رسمت بمجمع الفرائد • وحدائق نتف زاهية ناضرة حقائق بأن تكون وجوه اهل الحقائق الى عيونها ناظره • وابكار افكارهن ضرائرالنجوم وانقاس خواطر اطيب من فوح الازاهر جادتها الغيوم ، ومباني بيان كل مبنى كبانيه كريم • ومغاني معان تحل فيها القلوب فلا يرى قلب عنها يريم • ورياض لطائف سرقت منها لطائم(١) المسك الاذفر • وحياض طرائف برقت عليها سحائب كل ذهن صائب ، فسستح عليها صيبها الاوفر • ومحاسن اذا تليت سورها على البلغاء ظلت أعناقهم لها خاضعين. واذا جليت صورها على الفصحاء بهرت النـــاظرين منهم والسامعين ، فكيف لا وهي صوب العقول ونظم العقود . وقد بدئت بكلام من كلامه الى الحق يقود ، وعن الباطل يذود . أبان مؤلفها ما نبه عليه من معانيه الدقيقة انه معتصم من البراعة في صناعة البلاغة بعروة وثيقة . ودل بما اورد فيها من كلامه الذي هو أدق من اتفاس النسيم وأحق بميل الانفس اليه من العقد النظيم • انه حاز قصبات السبق في حلبات النظم والنثر حتى فخر كل مفاخر ، وفاز من تحقيق الفضائل بما فيه من تصديق القائل: كم ترك الاول للآخر • اعجب بهمفصحا اذا وجه فكره الى المعاني القاصية الجديرة بان تكون على اذهان البلغاء عاصية ادركها في أقرب من لمح البصر وكساها من الفاظه البهية حللا سنية يحول دون محاولة حصر محاسنها الحصر، وكيف وقد غذي بلباب الآداب والفها وعانق عقله عقائل الالباب كما عانقت اللام الفها • وقد زانذلك باسم ملك اضحى المجدفيذراه الشريف ومقامه الانيف مرخىالذوائب، وان سكتت الالسنة عن ذكر مآثره ونشر مفاخره (٢) عجزا أثنت عليــه الحقائب • قمع بصوارمه اهل الفساد والعناد ، وجمع بمكارمه بين الاشباه والاضداد ، وانفذ ايامه ولياليه في طلب العلوم حتى ملك منها الرقاب، واقبلت عليه حقائقها وقد القت كل واحدة عن وجهها النقاب. وسالت لديه اوديتها الزاخرة ، فنالت منها افكاره الزاهرة بما استحق

⁽١) اللطيمة ج لطائم : المسك ، وعاء المسك ، سوق العطارين .

⁽٢) في مخطوطة الاوقاف: « وأن سكتت الالسنة عن ذكر مفاخره ونشر مآثره » .

به ان يلعب مع الحبر بالبحر والعباب • وبالجملة لمحاسنه محاسن اذا نشرت تعطرت الاندية بنشر ندها ، واذا ذكرت كان الوقوف واجبا عند حدها • ادر الله عليه اخلاف النعم ، كما اقر لديه اصناف الكرم • وحرسه بعينه التي لا تنام حتى يكون بابه الشريف للانام حلال المورد وعلى نوائب الايام حرام الحرام • وهتك ستور الجهل بعلمه الذي هو في العالمين علم • وادام لنا نعمة وجوده كما اذام لنا فيض جوده فوجداننا كل شيء بعده عدم »(۱) •

هذا نموذج من نثره ويلاحظ انه استعمل انواعا من البديع ، فهو مرة يزاوج في سجعاته ، وتارة يجانس ، واخرى يقتبس من القرآن الكريم الى آخر ما نجده واضحا في كلامه ، ولم يكن بمقدورالقزويني ان يخرج في هذا النوع من الكتابة عن ذوق عصره واسلوب كتابه الذين اولعوا بالجناس ، والسجع ، والتورية ، والطباق ، وغيرها من فنون البديع الاخرى ،

⁽۱) سجع المطرق ص ٢٠ وما بعدها (مخطوطة دار الكتب في القاهرة) ، وتنظر الرسالة في سجع المطرق (مخطوطة الاوقاف ببغداد) ص ٥٥-٧٥ .

اخلاقــه:

وكان جلال الدين القزويني على جانب عظيم من الخلق الكريم ، وتروي المصادر انه كان لطيف الذات ، حسن المحاضرة ، مفوها حسن الايراد او العبارة ، كريم النفس فصيحا ، حلو العبارة والخط ، سمحا جواداً حليما ، جم الفضائل ، كثير التحمل ، حسسن التقاضي ، لطيف السفارة ، لا يكاد يمنع من شيء يسأل عنه ، مليح الصورة ، موطأ الاكناف ، حاد الذهن ، يراعي قواعد البحث ، ويتوقد ذهنه ذكاء . وكان تقيا ورعا يؤدي شعائر الاسلام ، وقد ذهب الى بيت الله في سنة ١٧٢١هـ وخرج اليها مع ركب الناصر محمد سنة ١٧٧٠٠ .

وكان لهذه الصفات الكريمة أثر في علاقته بالناس فأقبل التلاميذ يجالسونه ويدرسون عليه ، وأقبل العلماء يحضرون مجالسه ويتحدثون اليه ، واهتم به الامراء والسلاطين ، فقربوه ، واسندوا اليه الوظائف الكبيرة كالخطابة والقضاء حتى قيل : « أنه لم يوجد لاحد من القضاة منزلة عند سلطان تركي نظير منزلة جلال الدين »(۲) .

⁽۱) ينظر البداية والنهاية ج١٤ ص ١٠٠ ، والسلوك ج٢ ق٢ ص ٣٥٧ ، والنجوم الزاهرة ج٩ ص ١٠٤ ، والمنهل الصافي ج٣ ص ١٧٦ ، ومفتاح السعادة ج١ ص ١٠٨ ، والمبل الصافي ج٣ ص ١٧٦ ، والبلر الطالع ج٢ ص ١٨٣ ، وشلرات اللهب ح٢ ص ١٨٣ ، وطبقات الشافعية ج٥ ص ٢٣٨ ، والدارس في تاريخ المدارس ج١ ص ١٩٧ ، والوافي بالوفيات ج٣ ص ٢٤٢ ، ومرآة الجنان ج٤ ص ٣٠١ .

⁽٢) الدرر الكامنة ج} ص ٥ .

طلابسه:

وأقبل الطلاب عليه ، وحضروا حلقات درسه في المساجد ومعاهد العلم ، وسمع عنه خلق كثير ، وممن اخذ عنه بدمشق الحافظان ابن رافع البرزالي الذي خرج له جزء من حديثه عن جماعة من شيوخه وحدث به ، والمسند الدمشقي احمد بن هبةالله بن عساكر (١٩٩٩ هـ)، وسمع عنه ابراهيم بن احمد بن هلال بن بدر الدين القاضي برهان الذين الزرعي الحنبلي المولود سنة ٨٨٨ هـ ،

واحمد بن عبدالرحمن بن عبدالمؤمن بن ابي الفتح الصورى (١٠٠ هـ)(١) .

وممن أخذ عنه ، ولازمه : مغلطاى بن قليج بن عبدالله البكجرى الحنفي (٧٣٠هـ)وكان قد لازم الجلال القزويني ، فلما مات ابن سيد الناس تكلم له مع السلطان فولاه تدريس الحديث بالظاهرية »(٢) •

ومن تلاميذه: عبدالله المغربي الاصل المشهور بالمنوفي(٧٤٩ هـ). وعمر بن محمد بن علي بن فتوح (٧٥٢هـ)الذي اخذ عنه البلاغة.

وعبدالله بن عبدالرحمن بن عقيل (٧٦٩ هـ) النحوي المشهور ، وقد املى شرح الفية ابن مالك على اولاد استاذه جلال الدين •

وعبدالرحيم بن الحسن بن علي بن عمر الاموي الاسنوي نزيل القاهرة (٧٧٧ هـ) •

وبهاءالدين السبكي (٧٧٣ هـ) الذي روى عنه « تلخيص المفتاح » وشرحه بكتابه « عروس الافراح » •

ومحمد بن يوسف بن احمد بن عبدالدائم الحلبي محبالدين ناظر الجيش (٧٧٨ هـ) •

⁽١) الدرر الكامنة ج١ ص ١٥ ، ١٦٨ .

٢) الدرر الكامنة ج} ص ١٥٩٠.

ومحمد بن احمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق التلمساني (۱۸۷ هـ)^(۱) ٠

اصدقاؤه:

ولم تكن علاقة القزويني بتلاميذه وبمن أخذ وسمع عنه حسنة فحسب ، وانما كانت له علاقة وثيقة بغيرهم من الاعيان والوجوه ، وكان له اصدقاء يحبونه ويكرمونه وقد نال بعضهم حظوة عظيمة عنده. وكان يتردد كثيرا على اصدقائه ويحضر ندواتهم ومجالسهم ، ويتناقش

ومن اصدقائه احمد بن عثمان المقدمي ابو عبدالله شرف الدين ، وقد جاء الى دمشق سنة ٥٩٥ هـ واتصل بجلال الدين (٢) .

وممن نال حظوة عنده الشيخ شمس الدين محمود الاصبهاني ، يقول ابن كثير : « وكان عند القاضي جلال الدين القزويني »(٣) •

وممن كان يحبهم القزويني ويقدمهم يوسف بن ابي بكــر بن خطيب بيت الآبار ، ولما ولي القضاء بمصر طلبه فولاه نظر الصدقات والانتام (٤)٠

وممن لقيه الفقيهان أبو زيد عبدالرحمن ، وأبو موسى عيسى بن محمد بن عبدالله بن الامام ، وكانا قد رحلا الى المشرق في حدود سنة · ٧٢ هـ فلقيا خلقا كثيرا ولقيا جلال الدين (°) ·

ومنهم أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبد النور « وكانت لـــه رحلة الى المشرق لقي بها جلال الدين القزويني وحلبته »(٦) •

ينظر الدرر الكامنه ج٢ ص ٣١٣ ، ٢٦٧ ، ٣٥٦ ، ج٣ ص ٣٦٢ ، وج٤ ص ٢٩١ ، وبغية الوهاة ص ٣٦٣ ، ٣٨٤ ، ٣٠٥ ، ١١٨ ، ١١٩ .

الدرر الكامنه ج1 ص ٢٠١ . (٢)

البداية والنهاية ج١٤ ص ١١٧ . (4)

الدرر الكامنه ج} ص ٨٣٣ . **(\xi)** (0)

نفح الطيب ج٧ ص ١٥٩ . (7)

نفح الطيب ج٧ ص ١٥٩ .

وممن حضر القزويني عندهم محمد بن يعقوب بن الياس الدمشقي الامام بدرالدين المعروف بابن النحوية ، وقد اجتمع به الجلال وسأله عن قول أبي النجم:

قد أصبحتأم الخيار تكسّعي علي ذنب كله لم أصنت عر

في تقديم حرف النفي وتأخيره فما اجاب بشيء ، قال الصفدي : « وقد تكلم على هذا كلاما جيدا في شرح كتابه ، والسبب في ذلك ان كل من وضع مصنفا لا يلزمه ان يستحضر الكلام عليه حتى يطلب منه، لانه في حالة التصنيف يراجع الكتب المدونة ويطالع فيحرر الكلام ثم يُشذّبُه من »(١) • وقسال ابن حجر : « او يسكون السبب غير ذلك »(١) ، أي كون المجلس لا يحتمل الجواب ونحوه •

وممن حضر عندهم: عزالدين بن قاضي القضاة تقي الدين سليمان عندما جلس للتدريس بالجوزية ، ورشيد الدين الفارقي (٦٨٩ هـ) ٠

وبرهان الدين ابراهيم بن احمد بن هلال الزرعي الحنبلي •

وشهاب الدين بن جهبل ٠

ويحيى الدين الطرابلسي وغيرهم (٣)٠٠

صلابتــه:

ودافع هو واخوه امامالدین عن ابن تیمیة دفاعا مجیدا ، و کانت له مواقف مشرفة فی کثیر من القضایا ، ووقف مع الناس بوجه الطغاة والحکام حینما فرضوا علی الشعب الضرائب الفادحة ، وناله من جراء ذنك اذی کبیر ، و أهین ک وضرب ، ولکنه لم یابک بذلك و بقی علی

⁽١) بغية الوعاة ج٧ ص ١١٧٠

⁽٢) الدرر الكامنه ج} ص ٢٨٦ .

 ⁽٣) ينظر البداية والنهاية ج١٣ ص ٣٥٢ ، والدارس في تاريخ المدارس ج١ ص ٣٥٣ ،
 (٣٠٦ ، ٣٠٢ ، ٣٠٢ .

رأيه و ولما عزل نائب دمشق الذي آذاه تولى منصبقاضي القضاءفيها، وبذلك نال المنصب عن جدارة ، لانه كان صكاباً في الحق لا يخشى احدا .

وقد جاء في ترجمة كراي المنصوري نائب السلطنة بدمشق: «ثم حضر الى دمشق نائبا في اول سنة ٧١١ هـ ، فضيق على الناس كافة ، وقرر على الاملاك اموالا تؤخذ في كل شهر واجتمع القضاة والخطيب والعامة، وحملوا المصحف ، ووقفوا له بسوق الخيل ، فلما رآهم قال لهم انقضى الشغل فامتنعوا ، فاشار عليهم الحاجب بعصا معه ففروا فهرول الذي يحمل المصحف فسقط منه ، فرجموا الحاجب ، فرد كراي الى القصر واخرق بالقاضي نجم الدين بن صصرى وبالخطيب ، فصاح فيه الشيخ مجد الدين التونسي كفرت ، فأمر بضربه فضرب ضربا شديدا وأمر بالقاء الخطيب جلال الدين القزويني ليضرب فشفعوا فيه فنقل ذلك كله الى الناصر فانكره اشد الانكار »(۱) .

⁽١) الدرر الكامنه ج٣ ص ٢٣٥ ، وينظر الدارس في تاريخ المدارس ج٣ ص ٢٩٨ .

مناصبه:

وكان لابد لرجل كالقزويني أن يتسنم المناصب ، ويتقلدالوظائف في دولة المماليك البحرية التي امتد ظلها على مصر والشام ، ووحدت يينهما توحيدا بعث القوة في الاقليمين بعد ان كانت غارات المغول وهجمات الصليبيين واعداء العروبة والاسلام تترى عليهما وتصب حقدها الدفين ، وكانت اولى وظائفه القضاء في ناحية بالروم وهو دون العشرين ، ولم تذكر المصادر اسم هذه الناحية او مدة بقائه في الوظيفة وسيره فيها وعلاقته بالناس ، فهي تنتقل من هذه المعلومات القليلة الى توليه التدريس والقضاء بالشام ، وبذلك تبقى هذه الفترة من حياته غامضة ، ولعلنا نجد في المصادر الغائبة عنا الآن ما يكشف جوانب حياته الاولى ،

وأول ما قام به جلال الدين بعد قدومه الى دمشق الشام الاتصال بحلقات الدرس والعلماء ممن بلغت شهرتهم الآفاق ، ولما استكملت ثقافته وثبتت اقدامه في علوم الدين واللغة العربية ، درس في مدارس دمشق الشام المنتشرة في كل مكان ، يقول ابن كثير في حوادث سنة محمد : « وفي اليوم الثاني والعشرين من شعبان درس بالمسرورية القاضي جلال الدين القزويني أخو امام الدين وحضر أخوه وقاضي

القضاة شهاب الدين ابن الخويي ، والشيخ تقي الدين بن تيمية ،وكان درسا حافلا »(١) .

وفي أواخر شوال سنة ٢٩٤ هـ قدمت من الديار المصرية تواقيع شتى منها تدريس الغزالية لابن صصرى عوضا عن الخطيب المقدسي، وتوقيع بتدريس الامينية لامام الدين القريني عن نجم الدين بن صصرى ، ورسم لاخيه جلالالدين بتدريس الظاهرية البرانيلية عوضا عنه (٢) .

ولم ينَبْقَ القزويني في هذه المدرسة طويلا ، ففي رجب سنة ه ٩٩ هـ درس كمال الدين بن القلانسي بها عوضا عنه • وفي سنة ٦٩٦هـ ناب عن اخيه امام الدين في القضاء (٢) • وفي سنة ٦٩٩ هـ استطاع غازان ملك التتر ان يهزم جيوش المسلمين في الشام ، ويتوجـــه الي دمشق ، وخشي أهلها على انفسهم وخافوا من غازان وتشاوروا مع جماعة من العلماء الذين كانوا بدمشق وخرجوا اليه يطلبون منهالامان، وكان الخطيب القزوينيأحدالخارجين لملاقاته مع قاضي القضاةبدرالدين ابن جماعة الشافعي ، والشيخ زين الدين الفارقي ، وتقي الدين بن تيمية الحراني ، والقاضي نجم الدين بن صصرى ، القاضي عزالدين بن تركى ، والشيخ عزالدين بن القلانسي . ودخل الفاتحون الغزاة دمشق وخطب لغازان على المنابر ، وكان امامالدين أخو الجلال قد ذهب في هذه الاثناء الى مصر • ولم تدم سيطرة الغزاة على الشمام العربية ، فسرعان ما ارغموا على الخروج منها وعادت حرة أبيَّة التعانق الاقليم المصرى في ظل المماليك • وكانت فرحة الشعب في سورية عظيمة حين عادت الوحدة بين الاقليمين ، وخطب لسلطان مصر على منابر دمشق والشام ، يقول ابن كثير : « وفي يوم الجمعة سابع عشر رجب سنة

⁽١) البداية والنهاية ج١٣ ص ٣٣٦ ، والدارس في تاريخ المدارس ج١ ص ٥٦ .

 ⁽۲) البداية والنهاية ج۱۱ ص ۳۳۹ ، والدارس في تاريخ المدارس ج۱ ص ۱۹۵۵) ۲۵
 ۲۲ ، ۱۶۶ .

⁽٣) ينظر الدارس في تاريخ المدارس ج١ ص ١٤٥ والمنهل الصاني ج٣ص ١٧٥ ٠

٩٩٨ ه أعيدت الخطبة بدمشق لصاحب مصر ، ففرح الناس بذلك ، وكان يخطب لغازان بدمشق وغيرها من بلاد الشام مائة يوم سواء ٠٠ وقدم الجيش السامي صحبة نائب دمشق جمال الدين آقوش الأفرم يوم السبت عاشر شعبان ، وثاني يوم دخل بقية العساكر وفيهم الاميران شمس الدين قراسنقر المنصوري ، وسيف الدين قطبك ، في تجمل ومن هذا اليوم فتح باب العريش ، وفيه درس القاضي جلال الدين القزويني بالامينية عوضا عن اخيه قاضي القضاة امام الدين »(١) • وكان امام الدين قد مات في مصر حينما خرج من دمشق بعد دخول التتر بلاد الشام •

وكان القزويني في عهد تدريسه في مدارس دمشق ينوب عن أخيه في القضاء بدمشق ، وناب عن قاضي القضاء الجامع الاموي صصرى في مستهل المحرم سنة ٧٠٥ هـ ، ثم ولي خطابة الجامع الاموي بدمشق بعد وفاة شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الخلاطي ، ففي يوم الاربعاء ثاني شوال سنة ٧٠٦ هـ اذن نائب السلطنة جمال الدين آقوش الافرم لجلال الدين أن يصلي بالناس ويخطب بجامع دمشق عوضا عن الشيخ شمس الدين فصلى الظهر يومئذ ، وخطب الجمعة ، واستمر بالامامة والخطابة حتى وصل توقيعه بذلك من القاهرة عاصمة الاقلمن (٢) .

وحدثت في سنة ٧٠٥ هـ بعض الاضطرابات ، ونتحتي القزويني عن الخطابة عندما دخل قراسنقر دمشق يوم الاثنين الخامس والعشرين من ذي القعدة ، وخطب مكانه القاضي بدرالدين محمد بن عثمان بن يوسف بن حداد الحنبلي في التاسع والعشرين منه باذن نائب السلطنة ، وقريء تقليده على المنبر بعد الصلاة بحضرة القضاة والاكابر والاعيان

⁽۱) ينظر النجوم الزاهرة ج ۸ ص ۱۲۳ ، وبدائع الزهور ج ۱ ص ۱۳۹ وتاريخ ابسين خلدون ج ه ص ۸۸۹ ، والسلوك ج ۱ ق ۳ ص ۸۸۹ .

⁽٢) البداية والنهاية ج١١ ص ١١٠

واستمر يباشر الامامة والخطابة اثنين واربعين يوما ، ثم اعيد القزويني بمرسوم سلطاني وباشر يوم الخميس ثاني عشر المحرم سنة ٧١٠هـ(١) •

الى القاهرة:

وبقي الخطيب القزويني في هذه الوظيفة الى سنة ٢٧٤ هـ ، وفيها خسف القمر ليلة الخميس للنصف من جمادى الآخرة بعد العشاء فصلى صلاة الكسوف باربع سور: (ق، واقتربت، والواقعة، والقيامة)، ثم صلى العشاء وخطب بعدها، ثم اصبح فصلى بالناس الصبح، وركب على البريد الى مصر وكان سلطانها الملك الناصر محمد قد طلبه ، لأن نائب دمشق عزل جمال الدين الزرعي (٢٧٥هـ) قاضي القضاة بها، وعيش جلال الدين، وأعلم السلطان بأنه كان ينوب عن اخيه امام الدين في قضاء الشام، وأنه خطيبها، وأطراه ووصف بالفضل فامر باحضاره الى مصر، وكان في كتاب النائب معه انه كثير البر للفقراء، وانه ارتكب دريننا بسبب ذلك (٢٠)٠٠٠

ووصل الى مصر في يوم الجمعة، واتفق ان اجتمع مع الناصر ساعة وصوله فأمره ان يخطب بجامع القلعة ففعل ، ثم لما فرغ نزل فقبل يد السلطان واعتذر بأنه متعب من اثر السفر ، ولم يكن يظن ان السلطان يأمره بالخطابة فشكره وسأله عن حاله ، وكم عليه من الدين فذكر ان عليه ثلاثين ألفا ، فأمر بوفائه عنه ، وكان تنكز رافع عنه وقال هذا عليه ديون كثيرة وابنه نحس ولا يصلح أن يلي ابوه القضاء فيحمله الناس، فقال الناصر : أنا أوفي دينه وأدع ابنه عندي بالقاهرة ،

ونزل الى خانقاه سعيد السعداء ثم ولاه قضاء القضاة بدمشت وخلع عليه يوم الجمعة ثالث عشر جمادى الآخره سنة ٧٢٤ هـ ٠

 ⁽۱) ينظر البداية والنهاية ج١٤ ص ٢٤ ، والسلوك ج٢ ق١ ص ٣٠ ٠
 البداية والنهاية ج١٤ ص ٥٦ ٠

الى دمشق:

وسافر القزويني على البريد يوم الاثنين رابع عشريه فقدم دمشق خامس رجب على القضاء مع الخطابة ، وتدريس العادلية والغزالية ، فباشر ذلك كله ، وأخذت منه الامينية ، فدرس بها كمالالدين بن القلانسي مع وكالة بيت المال ، وأضيف اليه قضاء العسكر وخوطب بقاضي القضاة جلال الدين القزويني ، وكتب الناصر مع تقليده ابن محمد بن علي بن عبدالواحد بن عبدالكريم الانصاري الدمشقي ابن الزملكاني (٧٢٧ هـ) بقضاء حلب ، وامتنع عن قبول الولايسة فغضب منه النائب وأمر بعزله من جميع وظائفه ، فما مضى الا قليل حتى ورد الخبر بموت قاضيها فقبل ابن الزملكاني الولايسة حينئذ ، وعظم قدره عند النائب لانه امتنع عن قبول الولاية عن رجل حتى مات ، واستناب القزويني يوم الخميس ثامن عشر شعبان سنة ٢٧هـ مات ، واستناب القزويني يوم الخميس ثامن عشر شعبان سنة ٢٤هـ وقد ولي الوكم هما : يوسف بن ابراهيم بن حجلة المحجي الصالحي، وقد ولي القضاء فيما بعد ، ومحمد بن علي بن ابراهيم المصري وحكما ومئذ (۱) ،

وكان الذي ساعد القزويني على تولية قضاء الشام عبداللطيف ابن خليفة شمس الدين ، وساعده بعد ذلك على تولية قضاء الديار المصرية (٢) .

وقد رأى ابن مطوطة عندما زار دمشق الخطيب القزويني ، يقول وهو يتحدث عن ائمة جامع دمشق: « وائمته ثلاثة عشر اماما اولهم امام الشافعية ، وكان في عهد دخولي اليها امامهم قاضي القضاء ، وهو جلال الدين محمد بن عبدالرحمن القزويني من كبار الفقهاء ، وهو خطيب بالمسجد ، وسكناه بدار الخطابة ، ويخرج من باب الحديدازاء

⁽۱) ينظر الدرر الكامنة ج٤ ص ٤ ، ٧٦ والبداية والنهاية ج١٤ ص ١١٢، والسلوك ج٢ ق ١ ص ٢٥٤ ، والدارس في تاريخ المدارس ص ٣٦٥ ، ٢٣٤ .

⁽٢) الدرر الكامنة ج٢ ص ٤٠٦ ٠

المقصورة ، وهو الباب الذي كان يخرج منه معاوية رضي الله عنه ، وقد تولى جلال الدين بعد ذلك قضاء القضاة بالديار المصرية بعد أن أدى عنه الملك الناصر نحو مائة الله درهم كانت درينا عليه بدمشق ، واذا سكتم امام الشافعية من صلاته ، اقام للصلاة امام مشهد علي ، ثم امام مشهد الحسين ، ثم امام مشهد الكلاسة ، ثم امام مشهد أبي بكر، نم امام مشهد عثمان رضي الله عنهم أجمعين »(۱) .

عود الى القاهرة:

وبقي الخطيب على قضاء القضاة حتى دعي الى مصر ليتولى فيها قضاء القضاة بعد أن عمي قاضيها بدر الدين بن جماعة ، وتولى مكانه في الشام كمال الدين أبو المعالي الزملكاني الانصاري السماكي الدمشقي ، وكان ذلك في سنة ٧٢٧ هـ • ففي يوم الجمعة منتصف جمادى الآخرة جاء البريد بطلب جلال الدين الى مصر فدخلها في مستهل رجب فظلع عليه بقضاء مصر ، وارسل ولده بدرالدين الى دمشق خطيبا للجامع الاموي ، وعلى تدريس الشامية الجوانية (٢) •

وعظمت حاله في مصر ، ونال حظوة كبيرة عند السلطان الناصر محمد ، وكان مقدما أثيرا ، ولم تكن صلته بالناصر جديدة فقد عرفه واتصل به منذ أن زار دمشق سنة ٢٠٠ هـ ، وودعه يوم عاد الى القاهرة يوم الثلاثاء تاسع رمضان سنة ٢٠٠ هـ ، مع من ودعه من أعيان دمشق ، كالقاضي ابن صصرى ، وصدرالدين الحنفي قاضي العساكر ، والثميخ كمال الدين بن الزملكاني وغيرهم (٣) ،

ولما جاء الى مصر وتولَّى القضاء فيها علت منزلته ، وكانالناصر لا يرد له طلبا ، وعظم أمره جدا حتى كان يقدم القصص للسلطان في دار العدل فلا ترد له شفاعة وربما رمل على يد السلطان بنفسه ، وحج

⁽١) تحفة النظار (رحلة ابن بطوطة) ج١ ص ٥٦ ٠

⁽٢) الدارس في تاريخ المدارس جا ص ٣٠٦ ، والمنهل الصافي ج٣ ص ١٧٥ .

⁽٣) نظر البداية والنهاية ج١١ ص ٥٦ .

مع السلطان فأعانه(١) .

وحسنت حاله في مصر وبنى على النيل دارا بما يزيدعلى الف الف درهم، وقد اخذت منه عندما خرج الى دمشق قاضيا^(۲) • وكان ـ الى جانب كونه قاضيا ـ خطيبا في بعض مساجد القاهرة ، يتولى خطبة افتتاحها في بعض الاحيان ، وعندما كمل بناء جامع قوصون أقيمت الجمعة فيه يوم الجمعة حادي عشر شهر رمضان سنة ٧٣٠ هـ ، وخلع عليه الامير قوصون بعد فراغه وأركبه بغلة هائلة ، وكان يخطب بجامع القلعــة شريكا لابن القسطلاني^(۱) •

عبث أولاده:

ولكن كيف يستسيغ أهل الحسد ما وصل اليه القزويني من منزلة عظيمة ؟ وكيف يرتاحون وهم يرونه بجنب السلطان وييده الحل والعقد ، وييده القضاء ؟ وما زالوا يسعون به الى السلطان ، وينقلون اليه ما يفعله أولاده ، وما يقومون به من عبث في القاهرة حتى عزلهمن قضاء مصر ونقله الى الشام سنة ٧٣٨ هـ • وكان ولده جمال الدين عبدالله سبب غضب السلطان عليه ونقله الى دمشق •

وقد روت المصادر قصة هذا الولد وما كان عليه من كثرة اللهو والشره والمال ، واخذ الرشوة من القضاة ونحوهم ، وتبسطه في الترف حتى انه اقتنى عدة كثيرة من الخيول ، ورتب لها عدة من الاوجاقية والركابين (٤) وسابق بها ، وكان قد شغف بسماع الغناء ، ومعاشرة الاحداث من اولاد الاكابر ومماليك الامراء ، وتجاهر بالمنكرات ،

 ⁽١) الدرر الكامنة ج٤ ص ٤ وينظر الواني بالوفيات ج٣ ص ٢٤٢ والمنهل الصاني ج٣ ص ١٧٥ .

⁽٢) تاريخ ابن الوردي ج٢ ص ٣٢٥.

⁽٣) النجوم الزاهرة ج١ ص ٦٦ والبداية والنهاية ج ١٤ ص ١٤٨ والوافي بالوفيات ج٣ ص ٢٤٣ .

⁽٤) الاوجانية ومفرده أوجاني واوشاني .

الركابين: ومغرده ركاب أي السائس . (ينظر هامش ص ٤٤٠ ج٢ ق ٢ من كتهاب السهاليك) .

فرفعت فيه قصة الى السلطان تتضمن شعرا بما هوعليه فأخرجه السلطان الى الشام ، ثم اعاده بسعي أبيه بعد مدة بسفارة أمير بكتمر الساقى ، فلم يتم الا نحو ألَّسنة ، وزاد في قبح السيرة فأخرجه السلطان ثانية واقام سنة فلم يطق أبوه غيبته عنه ، وكان قد فتن به حتى انه لشدة حبه اياه لا يكاد يصبر عنه ساعة واحدة فسأل السلطان في عودته ، وضمن توبته ، فأعاده السلطان الى القاهرة ، فانشأ بجوار بيت ابيه على النيل دارا كلف قضاة الاعمال فيها لحمل الرخام وغيره ، واستدعى لها الصناع من الشام ، وبالغ في اتقانها ، فبلغت النفقة عليها زيادة على خمسمائة الف درهم ، وبلغ السلطان ذلك فحدَّث الامراء بما بلغه ، وانكر على القاضي تمكن ولده من هذا • فبعث الامير عزالدين أيدمر الخطيري الى القاضي يعنفه ويشنع عليه ويلومه على انفاق ولده هذا المال الكبير، فاعتذر عنه بأنه اقترض ما عمسٌ به هذه الدار، فانسكني القاهرة لم توافقهم واحتاجوا الى السكني على النيل • واشترى في القاهرة دارا وجددها بما يزيد على مائتي الف درهم فكثر الكلامفيه، هذا مع جفائه للناس ، وقوة نفسه ، وسوء سيرته وسيرة اخوت ، وتغافل أبيهم عنهم وتصامسه عن الشكوى فيهم • فكتب في القاضي عدة اوراق للسلطان ونسب فيها الى انه لا يولي نائبا عنه في بلد حتى يجتمع باولاده • وشنتًع فيها ان القضاة في ايامه انما تلي بالرشوة ، وكانُ السلطان لا يرشى ويعاقب من يرتشي أشد العقوبة • وكانيراعي القضاة لما في نفسه من اجلالهم وتعظيمهم ، الى أن تعاظم أمر اولاد جلال الدين وكثرت القصص فيهم وفي مملوكه . وعمل حسن الغزى الشاعر م فيهم قصيدة « شنيعة » واوصلها الى شهاب الدين احمد بن فضل الله ، فقصد نكاية القزويني ، وأخبر السلطان بها ، وقرأها عليه ، فأثرت فيه ، وغيَّرته على القزويني ومنها :

قاض على الأنام سك صارما بحد م يلتقط الدراهم المحارما وسن من أولاد م لها وما جردهم فانتهكوا المحارما

والشبل في المخبر مثل الأســـدر

* *

وابنه البدري خطيب جُلُق بامرأة الكامل مُشغوف شَقي ماد رِوه بالعرون لله منتقي منابر الاستلام إلا منتقي متروة مروت مروت متروت منابر العفاف مروت منابر العفاف منابر

* *

يا مالك الاسلام يا ذا الهمَّه أزل عن المِلَّة هذي الغُمَّه واحلل بعبد الله سَيْف النَّقْمه فانه حجَّاج هُذي الأمَّه واحلل بعبد الله سَيْف النَّقُم وَدُعَنْهُ وَدُعَ كُلِّ مُفْسِد

* *

فلما حضر القضاة الى دار العدل لم يؤذن لهم في دخوله ،وعندما نزلوا بعث السلطان الى القزويني مع الدوادارأن نائب الشام شكا من البن المجد قاضي دمشق: وقد اقتضى رأيه أن تسافر الى الشام قاضيا كما كنت ، فانه استحى وجهه منك ومن الامراء والناس ، وكل ما عزمك أن ترجع ابنك عما هو عليه لا ترجعه ، فاذا حضرت بدار العدل استعف من القضاء بحضرة الامراء ، واعلم انى آمر نائب الشام انه اذا رأى اولادك على سيرة غير مرضية قابلهم بما يستحقونه ،

عود الى دمشق :

فلما كان الخميس وحضر قاضي القضاة القزويني دار العدل سأل الحاجب ان يسأل له السلطان في تمكينه من التوجه الى دمشق ، فان مصر لم توافقه ولا وافقت اهله ، فأذن له السلطان في ذلك ونزل القزويني فأخذ في وفاء دينه وكان عليه لجهة وقف التربة الاشرفية المجاورة لمشهد السيدة نفيسة مبلغ مائتي الف درهم وثلاثين الف درهم فباع املاكه واملاك أولاده وأثاثهم وتحفهم بربع ثمنها ، وكانت نفيسة فباعوا من صنف الاواني الصيني بمبلغ اربعين الف درهم ، وباع عبدالله احدى عشرة جارية ما بين ثمانية آلاف درهم

الجارية الى اربعة آلاف، ، وباع من اللؤلؤ والجوهر والزركشماقيمته أكثر من مائة وعشرين الف درهم ، وباع داره بالقاهرة بخمسة وثلاثين الف درهم وأدوا ما عليهم من الدين للايتام وغيرهم .

ويقول المقريزي بعد هذه القصة: « وسار قاضي القضاة بأهله واولاده الى دمشق ، وصحبته ستون زوج محاير على الجمال في كل محارة امرأة ، وتأسف الناس على فراقه لمحبتهم له على بغضهم لاولاده فانه كان كريما ، جوادا ، سخيا ، له صدقات ومراعاة لارباب البيوت يهب الالف درهم ، ولم يعرف في دولة الاتراك بمصر قاض له مثل سعادته ولا مثل حظوته من السلطان وقوة حرمته »(۱) .

وكان سفره في جمادى الآخرة سنة ٧٣٨ هـ ، وكانت مدة بقائه في مصر احد عشر عاما .

وفي يوم الاحد ثامن عشر من جمادى الآخرة سنة ١٩٧٨هـ استدعى السلطان عزالدين عبدالعزيز بن قاضي القضاة بدرالدين محمد بن جماعة الشافعي وخلع عليه ، واستقر قاضي القضاة الاربعة وقبلوا يد الدين ، وفي يوم الاثنين تاسع عشره طلع القضاة الاربعة وقبلوا يد السلطان ، واستأذن قاضي القضاة عزالدين عبدالعزيز بن جماعة الشافعي في عزل نواب الحكم فانهم جميعا انما ولوا ببذلهم المال الجزيل أولد القزويني ، وانهم قد أفسدوا في الاعمال إفسادا عظيما ، فاجابه السلطان ان يفعل ما فيه خلاصه من الله تعالى ، فنزل ابن جماعة ، وكتب بعزل قضاة الوجه البحري باسرهم ، وعزل فخر بعزل قضاة الوجه القبلي والوجه البحري باسرهم ، وولكي بعزل قضاء الوجه بن محمد بن مسكين من نيابة الحكم بمصر ، وولكي عوضه بهاءالدين عبدالله بن عقيل ، وعين لقضاء الاعمال جماعة ممن وقع اختياره عليهم فلم يجسر أحد على معارضته ولامخالفته واستخلف عنه في القضاء تاجالدين محمد بن اسحاق المناوي ، وضياءالدين محمد الن ابراهيم المناوي ، وعزل الضياء المحتسب من نظر الاوقاف حتى له

⁽١) السلوك ج٢ ق ٢ ص ٢١} .

يدع احدا بالقاهرة ومصر وأعمالها ممن ولاه القزويني •

يقول المقريزي: « فانكف عن الناس بذلك شركبير وفساد كثير، وسلم رفقاؤه الحنفي والحنبلي (١) مشل سيرته في النزاهـــة والصيانة »(٢) .

والقى القزويني عصا الترحال في دمشق ليكون قاضي القضاة فيها ، وفرح به أهل الشام فرحا عظيما ، لانهم وجدوا فيه رفقا كبيرا ، وتيسرت لهم الارزاق والرواتب والمناصب باشارته ، ولكنه لم يسلم من التهم ، ولم يكنج من حقد الحاسدين فرفعت عنه قصة الى السلطان وفيها أنه يشرب الخمر ويفعل ويفعل ، فاتهم السلطان بكتابتها جماعة ، ثم تأملها كاتب السر فوجد فيها علاءالدين الكونوي بالكاف مكان القاف فعلم ان كاتبها هندي ، وفحصوا عن امرها الى أن وجسدوا فقيرا نزل قرب خانقاه سعيد السعداء ، وكان اولا مقيما بدمشق فوقع بينه وبين القاضي جلال الدين كلام اوجب انتقاله الى مصر فكتب الرقعة ، ودسها الى ان وقعت للسلطان في دار العدل ، وامر بتعزيره وشهرته فوقعت فيه شفاعة واطلق (٢) .

وفاتــه:

ولم تطل حياة القزويني فقد أصيب بالفالج ومات في السابـــع والعشرين من جمادى الاولى سنة ٢٣٧هـ (١٣٣٨ م)(٤) أو في خامس عشــــر جمادى الآخرة(٥) ، أو في منتصف جمادى الاولى(٦) • يقول

⁽۱) جاء في هامش ص ٤٤٣ ج٢ ق٢ من كتاب السلوك « مما يوجب الالتفات هنا أن قاضي القضاة الشافعي كان بيده عزل بعض موظفي الدولة من وظالفهم ، وها عدا ما كان بيده من السلطة التنفيذية بصدد نواب الحكم (القضاة) التابعين للهبه » .

⁽٢) السلوك ج٢ ق٢ ص ٤٤٣ ، وينظر الدرد الكامنة ج٢ ص ٣٧٩ .

⁽٣) ينظر الدرر الكامنة ج ٤ ص ٦ والبدر الطالع ج٢ ص ١٨٣٠

⁽٤) تأريخ ابن الاردى ج٢ ص ٣٢٤ ، والمختصر في أخبار البشر ج٤ ص ١٢٨،ومعجم المؤلفين ج١ ص ١٤٦ .

⁽٥) النجوم االزاهرة ج٩ ص ٣١٨ ٠

⁽٦) شلرات اللهب ج٦ ص ١٢٤ ، ومفتاح السعادة ج١ ص ١٦٨ ، وبغية الوماة ص ٦٦ والبدر الطالع ج٢ ص ١٨٤ .

المقريزي: « وفي مستهل جمادى الاولى (٧٣٩ هـ) صُلتِي صَالاة الغائب على قاضي القضاة جلال الدين محمد القزويني »(١) •

ولم يشذ عن هذه الرواية الا ابن اياس، فقد ذكر وفاته في حوادث سنة ٧٢٠ هـ يقول: « ثم دخلت سنة عشرين وسبعمائة ٠٠ وفي هـذه السنة توفي قاضي القضاة جلال الدين القزويني » (٢) ٠ وهـذا خطأ مبين ، لان القزويني في هذا العام كان ما يزال في دمشق ، ولم يسافر الى مصر ليكون قاضي القضاة فيها ٠

وشيعه عالم عظيم ودفن بمقابر الصوفية الواقعة امام جامعـــة دمشق الآن ، واسف الناس عليه اسفا شديدا ، لانه كان محبوبا ، ذا منزلة سامية في قلوب الشاميين والمصريين.

وتولى بعده قضاء دمشق الشيخ تقي الدين علي بن السبكي ، يقول أبو الفدا: « وفيه _ جمادى الآخرة سنة ٢٣٥ هـ _ ورد الخبر الى حلب ان الشيخ تقي الدين علي بن السبكي تولى قضاء القضاة في الشافعية بدمشق المحروسة بعد ان حدث الخطيب بدر الدين محمد بن القاضي جلال الدين نفسه بذلك وجزم به وقبل الهناء ، فقال فيه بعض أهل دمشق:

قد سَبك السبكي قلب الخطيب فعيشه من بعد ها ما يطيب (٦)

وبذلك انطوت صفحة قاضي قضاة الاقليمين (٤) ، ولكن صفحة عمله البلاغي لم تُطُور ، وستبقى ناصعة الى ما شاء الله .

⁽١) السلوك ج٢ ق٢ ص ٤٦٣ ، وينظر اللنهل العسابي ج٣ ص ١٧٦ .

⁽٢) بدائع الزهور جا ص ١٦١ ٠

⁽٣) المختصر في اخبار البشر ج٤ ص ١٤٩ .

⁽٤) جاء في شادرات اللهب ج1 ص ١٢٣ : (وفيها قاضي الاقليمين جلال الديسين محمد بن عبد الرحمن » .

lekeo:

أما اولاد جلال الدين القزويني فقد تتبعنا اخبارهم ووجدنا منهم عبدالله ، وهو اكبرهم له عبدالله ، وهو اكبرهم له عنه الله ، وهو اكبرهم وكان هذا الابن منذ نعومة اظفاره نبيه فضفظ التنبيه وغيره ، ودرب الاحكام وناب عن ابيه بمصر لما حج مع الناصر ، وكان اولا قد قرر في كتابة الانشاء بدمشق ، وكان حسنا رائع الجمال ، ولما أسن صار ضخما ، ثقيل الحركة ، وكانت له رغبة في اقتناء الخيول والمسابقة عليها فأخرجه السلطان مرتين من الديار المصرية بعد أن كثرت الشكاوى منه لسوء اخلاقه ، وعمر بجزيرة النيل دارا بقال انه أنفق عليها ألف الف درهم ، فلما أخرج من القاهرة باعها ، وكان كثير التنعم بالجواري الحسان والآنية الثمينة ، وعنده من الكتب وكان كثير التنعم بالجواري الحسان والآنية الثمينة ، وعنده من الكتب النفيسة ما ينيف على ثلاثة آلاف مجلد ، وكان خطيب الجامع الاموي وتوفى في خامس عشر جمادى الاولى سنة ٧٤٣ هـ (١) .

ومن اولاده بدر الدين محمد بن محمد ، ولد بعد سنة ٧٠٠ هـ وحضر على ابن الموازيني ، وأجاز له ابن مشرف شرف الدين الفزاري، وتفقه ومهر في الخطابة ، وخطب قبل أن يلي أبوه قضاء القضاة في حياة المشايخ الكبار ، ولما ولي ابوه القضاء استمر على خطابته وكان يدخل

⁽۱) ينظر السلوك ج٢ ق٢ ص ٣٣٦ ، ٣٦٨ ، والدرر الكامنة ج٢ ص ٢٩٤ .

مصر كل سنة فيقيم مدة ويرجع بتشريف ، فكانت له بذلك وجاهة ، ثم ولي قضاء العسكر ، وناب لابيه وكان الامر كله مفوضا اليه ، وولي نظر الأمينية ودرس بعدة اماكن ثم نزع منه السبكي نظر الأمينية بعض رؤساء والي مصر ، وكان وافر الحشمة ، جميل السيرة ، حسن التأدية للخطبة ، طيب النغمة ، ولما مات ابوه سمت همته الى ولاية القضاء فلم يتفق له ذلك، وانتكست أحواله الى ان اكمده الحزن ، ويقال طلعت على قلبه دبلة ، ومات في جمادى الآخرة سنة ٣٤٧هـ(١) ،

ومنهم عبدالرحيم تاجالدين ، ولد في حدود سنة ١٧٠ هـ ، وكان أعلم الشفة ، لكنه فصيح ، ولما مات بدرالدين استقر في خطابة الجامع بدمشق الشيخ تقي الدين السبكي ، فلما ملك الفخري دمشق أعاد الخطابة لتاجالدين ، ولما دخل السبكي القاهرة مطلوبا في أيسام الصالح اسماعيل بلغ تاج الدين أنه ولي الخطابة فصعد المنبر يوم الجمعة وقال وهو جالس قبل الخطبة ، « هذا السبكي اخذ منالخطابه وقطع رزقنا » و وبكي فبكي العوام معه وتعصبوا له ، فلما الخطابه وقطع رزقنا » و وبكي فبكي العوام معه وتعصبوا له ، فلما مات في الطاعون العام في ذي القعدة سنة ٢٤٠ هـ ، يقول الصفدي : « كان يخطب بلحن ويوردها بلا لحن ، ويقرأ طيبا في محرابه ، ويأتي من نغمة النغمة بما هو احرى به ، وكان يتعاجم في كلامه ، وله عند العوام قبول عظيم ، وكان مدرس الشامية الجوانية ، وكان قد قرأ في العربية على ابن عقيل ، وفي الاصول على شمس الدين الاصبهاني ، ولم يكن له يد في شيء من العلوم البتة ، وكانت جنازته حافلة جدا » (٢) .

ومنهم عبدالكريم محمد بن محمد صدرالدين ، تولى التدريس بالاتابكية بدمشق ثاني يوم من ذي الحجة سنة ٧٣٨ هـ • وتولى أخوه الخطيب بدرالدين التدريس في الغزالية والعادلية نيابة عن أبيهما قاضي

⁽١) الدرر المكامنة ج٤ ص ٣٦١ ، ج٤ ص ٨٥ .

⁽٢) الدرر الكامنة ج٢ ص ٣٦١ ٠

القضاة »(۱) • وكان لعبدالكريم ولد أسمه محمد ، مات بدمشق في جمادى الأولى سنة ٥٥٥ هـ ، وقد ذكر ابن حجر انه حينما مات لم يجدوا له كفنا(٢) •

وقد نال القزويني عنت وضيق بسبب هؤلاء الابناء ، ولفقت القصص عليه للتشنيع به ، فكان جزاء اعمالهم ان اخرج من مصر الى الشام .

⁽١) الدارس في تاريخ اللدارس جا ص ١٣٣٠

⁽٢) الدر الكامنة ج} ص ٢٤ ٠

مدائح ومراث:

وللشعراء في جلال الدين مدائح ومراث ٍ كثيرة ، وقد عثرنا على قسم منها نثبتها هنا ، لأنها تعكس قيمته بين معاصريه وعلاقته بعلماء

قال المقري وهو يتحدث عن الموشحات : « وهذا المنحى هو الذي سلكه الجمال ابن نباته اذ قال مادحا جلال الدين الخطيب رحم الله تعالى الجميع »(١) .

> ما ســَحَ محمر مُ دموعي وساح على المسلاح الا وفي قلبي المعنى جــراح

> > * *

مر السطا

اذا خطـــا الا وراح

بي من بني الاتراك حلو الشـــباب عشقته حين عدمت الصواب من الخطا تشكو حشا الغزلان منه النهاب اذا عطها وربما تشكو الغصون اكتئــــاب ما ماس ذاك الغصن بين الوشـــاح قول عذولي كله في الريـــــاح

*** ***

⁽۱) نفع الطيب ج١ ص ٢٩٤ .

دمع أريــق وذا طلبق بدر الفريــق عبد رقيق نهبى اللواح

آها لصبر معه حيث كان هــذا أسير في وجوه الحســان أرَّقَ جسمي بالضنا يوم بان فها أنا اليـوم لــه يا فـــلان یزید اجفانی ندی وارتیاح مشل جلال الدين يوم السماح

* *

لا يفتــرى محل الثري ولا تـــرى نار القرى لها اقتداح

حبر له في الخلق ذكر جميل ماح على غيظ الغمام البخيل ما رأت العين له من مثيل يوقيد في اوطانيه للنزييل شرارها في الكبر حمر صحاح لكنها في القلب عذب قراح

☆ ☆

دع العدا ويجتدى صفو مباح

يا مالك العلم وفيض الندى جزت المدى فابق وكل العالمين الفـــدا انت الذي اصبح غيث الجدا صبح الهدى كم يقتفي منــك وكم يقتـــدى علىم جلسي ونوال صسراح يروي به راوى الرجاعن رباح

* *

ولا وصول لا بالشمول اضحى يقسول

ومغـــرم لا يختشى مــن رقيب معليق القلب بشبجو عجيب يسكر لكن بصفات الحبيب لما رنا الظبي ومــاس القضيب

كم ينتضي جفنا وعطف صفاح على رماح ما ذي محاسن ذي خزائن سلاح

* *

ولابن نباتة المصري قصائد أُخرَ في مدح القزويني ولعل أقدمها قصيدته التي يقول فيها:

يا يروقاعلى رُبى يَبرين (١) أي بيض أغمدت بين الجفون نحرت نصلك الكرى فلهذا سال في مقلتي دم من شجوني وحكت رونق الثغور الى ان ضحكت بالبكا ثغور العيون آه للثغر والفم العذب امسى منهما العقل بين ميم وسين

وغرير ما زلت ألقى الهوى فيـــه بدمع واف وصبــر خؤون

ما عذولي في حب برشيد لا ولا رأي ناصحي بأمين وديار عن الأحبة اقوت فصداها لبعدهم كالانين درست فهي لا تبين الا بالاسي تستفز قلب الحزين أو أرى في أراكها ضوء ثغير كلما ضل رسمها يهديني معبد طالما نعمت وعيشي مستماح اليدين غير ضنين بغصون من أرضه كفدود وقدود من اهله كغصون وجنان الخدود يفتح فيها اللثم صدغا اطلل كالزرفين

كنت فيها اثرى الانام من الصبوة واللهو والصبا والمجون بين راح من الاباريق مكيول ، ولفظ من الغنا موزون ذاك عيش" مضى عزيزا ، ولا غرو لعين تبكي بماء مهين ووجوه مشل الدنانير قد عاجلها دهرها بصيرف المنون

(۱) يبرين: قرية بضواحي حلب (ينظر ابن ثبالة المصري من ١٥٤) .

ملتقى القصد ، مرتقى المدح ، مهوى الرقد، غوث الولي، غيظ القرين

في ضروب البيان والتبيين وخطيب يكفى الخطوب بلفظ يستميل الصخور بالتلين فتلذ الاسجاع فوق الغصون حازه انبه امـــام الفنون وضياء بعزمه المستبين اسملماه وتلته للجبين ضيُّعكة البكر في يد العنيّين ِ مثل فعل المضاف بالتنوين منقذات الجهول والمسكين

بحر ُ فقه وان تشا فابن بحر ساجع يورق المنابر ميس وأمام المحراب يشــــهد علم وسري فضاهي الهلال ارتفاعا ساور الفرقدين عنه الي أن° ضاع مدح یثهدی لغیر علاه فعلت راحتاه في كل عســـــر كل يوم فتــوَّة وفــــــــاورِ

كلما قلل الثناء له نعمى اتانا بجوده بكمين قسما بالضحى لديه من البشر، وبالليل من يراع أمسين

كل يوم لعزمه المسنون كاشتباه الهلل بالعرجون في اقتدار وهيبة في سكون هكذا يفخر المحاول فخرا ليس حسن الوجوه كالتحسين وهن الشهب سابقا واعتدى من عدم العجب وهـو كالمرهون وسمى بينها الى ان أتى منها بلفظ زاه ٍ ورأي رصين لجأ الفضل في عـــلاه بطــود مشسخر ٍ ســـامي المثال ركين ويراع قد كان مرباه قدما في عرين يسقى بغيث هتون

إِنَّ نظم المديح فرض علينــا شبه الناس جوده بالغوادي شرف في تواضع واحتمـــال

فلهذا في الجود حاكى حبا الغيث، وحاكى في اليأس أسد العرين فيه سحر يبين عنا شــكوكا أي سحر كما رأيت مبــين ٍ من اناس سادوا وشادوا معاليهم بشد عند الفعال ولين مثل بيض من الظبا رونقا في صفحــات وجـد"ة في متـون

ملكوا راية البيان وحلوا عنق الدهر بالكلام الشين أيها الماجد الذي حصن الدين بأوراق كتبه في حصون أمر الله أن تسود ويزهى حينك المجتبى على كل حين فابثق سامي المحلداني العطايا سامق المجد دائم التمكين واجتل البكر من ثنائي لا تحتاجمن واصف الى تزييين انت اولى يا بحر علم وبسر كل وقت بمثل هذي النون سلكتراحتاك ما استصعب الناس من الجود والعلى في الحزون أصل هذا الانام ماء ولكن أنت من رائق وهم من أجون (١)

وهذه القصيدة وان لم تكن لهاقيمة فنية فانها تعطينا صورة واضحة عن منزلة القزويني واهميته في الخطابة والقضاء والتأليف ، وقيمت بين رجال عصره من العلماء والادباء .

وقال ابن نباتة في الخطيب القزويني :

حاشاك يا عارض المكارم من قم للعلى والعلوم مشتملاً يعتل عنك النسميم سائده أنت الذي خبسره ومنظره سر لمغناك من مآربنسسا

عارض بأس يضني وتنكيد ثياب ســـراء ذات تجديد وتحمل السقم أعين الغيـــد آذن أمداحنا بتســــديد نجائب فاستوت على الجودي

سقىحماكمن الوسمي باكر مه حتى تبسم من عجب أزاهر ه

⁽۱) ينظر ديوان ابن نباته المصري ص ٩٥ سه ١٩٧ ، وسلجع المطوق (مخطوطة دار الكتب بالقاهرة ص ٢٢ ب) • و (مخطوطة الاوتاف ببغداد ص ٧٧ ـ ٦٠) • () ديوان ابن نباتة ص ١٦١ .

ولا رقيب بمغناها أحسادره سیان أسود مرآهــا وناظره من أرض سلو تنافي الحب ساحره أذاب لاهب قلبي وفاتره فاعجب لمخرب بيتوهو عامره دارت عليه بلا ذنب دوائره إني عليه قريح الطرف ساهره فاستسهلت لمجاريها محاجره علي" والافق داجي القلبكافره كأنما سمترت منها مسامره قاضى القضاة اذا استجداه زائره ذاك الجلال لقد جلت مآثره مخلق تملأ الدنيا بشائسره حتى ينم على فحواي ظاهره ومطلب كانت العليا تجاوره سبل القريض وصاغ القول ماهره باكرصبوحكأهنا العيشباكره وقد ترنمفوق الايك طائره والطيلسان فلا تخفى مفاخره عين الزمان الذي ما زاغ باصره فليس للدهر ذنب وهو غافره كالغيث بارقه السارى فماطره فما عيون المها الا محابره تحيدعن غرض التقوى اوامره إلا محاسن ما ضمت سرائره فما نكاد بنجوانا نجاهره فما نطيق على أمـــر نساتره

يا دار لهوي لا واش ٍ آكاتمه حيث الشبيبة تُصبي كلذي حور من كل محتكم الاجفان يخرجنا ظبى اذا شمت خديه ومقلته يأوي الىبيت قلبفيه مخترب كأنه بيت شعرفي عروض جوى ليهن من باب مسرور بهجعته مجرى الدموع علىطرف تألفها كم ليلة بت أشكو من تطاولها وارقب الشبهب فيه وهي ثابتة حتى بدا الصبح يحكي وجهسيدنا لله صبح تجلَّى للشَّريعة عن افدي البريد وللتقليد في يده يكاد يلمع مطوي السطور به مسرة كان طرف الشرعيرقبها قاضى القضاة اذا استجداه زائره هذيكؤوس الثناوالحمدمترعة واسمعمدائح قدفاه الجمادبها ما أحسن الدين والدنيايسوسهما كأن "أبيض هذا تلو أسود ذا حيث المقاصد في أبوابه زمراً فاستكجئل طلعة ذي بشروذي كرم تصبو لحبر فتاويه لواحظنا وينفذالامر كالسهم القديم فما لا شيء أحسن من مرآه مقتبلا تجلو المهابة في ناديه رونقهـــا ويفهم السر من حاجاتأ تفسنا

ياحاكماصان سوخالدين عاضده و ُلِيِّيتَ بالعلم لا بالحظ مرتبة ً وانظرلحال غكريبالدار مفتقر نعم الفتيأنت قد برّت أوائله في المكرماتوقد أربت اواخره يممته دلفي الاصل منتسبا لا يستقر بكفيه الشراء فما زكا وأمكنه فعل الجميل فما

وقال يمدحه أيضا:

خنت عهدي ولست أول خل خان بعد الولاء والود خيلا

وفاز بالشرف المأثور ظافره فاحكم بعلمك فيما انت ناظره طال الزمان وما سدت مفاقره تأبى معاليه أن تخفى عناصره تلك الحظوظ بها إلا" معابره في الناس لوقصرت جدواه عاذره لقد تفر د بالآداب شاعره (١)

إِن طيفاً عن حال شجواي أملى لست أدري أدسى الامانة أم لا ؟ جاء ضيفا ورده ســـهد عيني فتولى بي الهمــوم وولى ليت طيف الحبيب ينقل جسمي لا حديثي ، فكان يحسن نقلا بسأبي مسن اذا تثنى دلالا أطرقت في رياضها القضب خجلى فاتك اللحظ وهو حلو من الفت ك، فيا حبذا الحسام المحلى وعليه تأصل الحب لمسا مد فرعا ، فصير الفرع أصلا مك صدغا على عذار وخدر فرأينا مرعى وماء وظللا ورنا بعده الغزال فقلنـا: حُطَّ يا ظبي عن جفونك ثقـ لا ليس يسلى هواه من قلب صب ونعم فوق نار خديه يسلى يا سلوي عليه بعداً وسحقا واشتياقي اليه أهلا وسهلا أشتكي جوره التذاذأ بذكرى شخصه كالاريحي منه عدلا عجبى منه ظالما مستطيلا وهو ان ماس أعدل الناس شكلا باخل بالكلام لكن له سيتان لحظ تكلم الناس طفيلا يا بخيـ لا بلفظــه ولقــاه شكه ما قــد بخلت قولا وفعلا

⁽¹⁾ ديوان ابن نباتة ص ١٩٨ - ١٩٩٠

رب، يوم قد كان ريقك فيه لي راحا وكان خدك نقسلا سائلي عن قديم دهري اليها ذاك وقت مضى ودهر تولتى وليال جادت واعقبت الهم ،فيا ليت جودها كـــان بخلا وحبيب جفا ولست بساليه وحاشاك ذاك الجمال وكلا تتقلى بـ العـواذل غبنـاً فهو يهوى ، وعذَّلي فيه تُتقلى عذلوني وفي الحشا عقد ود لم يدع لاستماع عذل محللا أنا في الحب مثل قاضى قضاة الدين في الجود ليس يسمع عذلا معرف في العلى لما فيه يتلو وثناه على البسسيطة يتلى دلفي يوم الفخار يجلى وبه منهم الخطوب تجلي حاز غايات أهله بسماع قد مسه الى السيادة أهلا فأفاض الجودين عسدلا ومآلا وحمى الجانبين حزنا وسهلا همة تحسب النجوم على الافقشعاعا من جرمها تتجلى وعلوم فاضت على الارض بحرأ هاديا لم يعف كالبحر سبلا كم قضى فرض قاصد لحماه ثم والى فاتبع الفرض تفلا كم جنينا منه المواهب شهدا اذ بنينا له الركائب نمسلا كم الى بيت ماله في العطايا قد ضربنا بطالع العيس رملا لائميه على المكارم كف وا إن للعب بالصبابة شغلا يا له سالكا بغير مثير مثيل في طريق من السيادة مثلى واماما اقلامه كمل يمسوم تتلقى الاقسلام قدح معلى صان للفضل ذمة وحوى العلمجميعا ، فلم تقل فيسه إلا لو ارادت شــهب النجوم علاه ما عزا الفيلسوف للشهب عقلا ما ألذ ً النعمي لديه ، وما أشقى حسودا بناره بات يصلى وعدوا ان لم ينازله بالقتلكفاه سيف التحسد قتلا

أضعف الهم جسمه فاذا قاللرجليه بادري كتبت : لا قد بلونا السادات شـرقا وغربا فوجدنا جـلال عليــاه أجلى قيل يعنى عطارد قلت: لا ، بل مشتري الحمد بالنفائس بذلا يا إماما اذا المفاخر نادته ، مشى ساحب الذيول مسد لا أتشكى لك الزمان الذي تملك اصلاحه لدي فهلل لا ؟ ومقام للعلم لولا نظام من مساعيك ما تنظم شملا ومحاريب شدتها بدروس وصلاة تحبى اليك وتجملي حبذا أنوار شخصك في سجّاد محراب النقى والمسلى رب" مدح لولاك أمسى محالا ورجاء لولاك أصبح متحسلا حبذا لي مدائح فيك تبدى من حياء كالروض يحمل طلا طال املاؤها عليك، ولكن لك كف من العطالين يملا عادة لامها النصيح على البذل، فقالت سجية الاصل: مهالا زادك الله بسـطة واقتـــدارا ومقاما على الســـها ومحلاً

وفي ديوان ابن نباتة قصيدتان لم يذكر البشتكي جامع الديوان انهما قيلتا في الخطيب القزويني • والناظر فيهما يحس احساسا قويا بانهما في قاضي القضاة جلال الدين، وقد قيلت احداهما للتهنئة بالحج ، قول فيها:

وكادت تبارينا دمشق بشجوها اليك وقد تشجى الربى والمعالم لنن أوحشتها من نداك المقاسم فوافيتها ، والعيش مقتبل الهنا وعزمتك مبرور" وسرحك سالم

⁽۱) ديوان ابن نباتة ص ٥٥٢ _ ٥٥٥ .

إليك جلال الدين أصبحت العلى وسلتَم أعراب الورى والاعاجم (١) والثانية يشير فيها الى أصل القزويني ، يقول:

بني دلف طبتم وطاب قديمكم فأكرم بكم فرعا، واكرم بكمأصلالا

وكانت قصائد ابن نباتة المصري قد قيلت في القزويني حينما كان يشغل منصب خطيب جامع دمشق ومنصب القضاء فيها • وانقطع ابن نباتة عن المديح ولم يقل في القزويني بعد ذلك إلا مرّثية واحدة بعد عودته الى دمشق ووفاته فيها • يقول:

كل حي قاض عليه زواله والى هذه السبيل مآله يا جلالا عن الزمان تقضى عز رب قضى وجل جلاله ما اقتضى حظنا بقاءك فينا واحدا تشمل الأنام ظلاله هاديا للندى وللعلم ترجى كل يوم أقواله وفعاله أين ذاك الغمام يدنو الى الناس ندى كفه ، ويعلو مناله أين احكامه وأين علاه ؛ أين أقلامه وأيسن نواله ؟ قف بقبر الإمام يا نادب الفضل ، وخل البكاء تهمي سجاله وانثر الدمع حول مثواه نثراً مثلما ينثر الكلام ارتجاله ودع الشعر كان للشعر وقت بنداه وقد تغير حاله وسلا الصب واستراح المعنى لا صباباته ولا عذ اله أقفرت ساحة العلى فبيوت الشعر من بعد بعده أطلاله أقفرت علما ورفسدا بعدما غاض عزمه وأحتفاله المالين علما ورفسدا بعدما غاض عزمه وأحتفاله طالب العلم فيه للنحو نوح لا تسل عنه كيف أصبح حاله طالب الجود مات من كان في الجود تبارى تحني يديه شماله طالب الجود مات من كان في الجود تبارى تحني يديه شماله

⁽۱) دیوان ابن نباتة ص ۳۲ = ۳۳ .

⁽۲) دیوان ابن نباتة ص ۵۹،

طالب العلم مطلقا خال عنه قيد العلم حزنه وكلالسه مات من كان ملتقى كل قصد والى الله قصده واتكاليه عجباً من سريره يوم أودى كيفما أورقت ورقت ظلالـــه عجبًا من زمانه حــــين ولتي كيفما سُيْرِت ودكِّت جبـــاله صعــــدت روحــه لامثالها الزهر وفي الارض أين أين مشـــــاله فتهاوت كواكب الافق تسمعى وانحنى يبدأ السلام هلالمه وعدمنا نحن الندى ولقينا يتقاضى وفد الرجاء جلالي يا له من مصاب دين ودنيـــا طال فينـا اشتغاله واشــتعالة شـــاب كالشيخ طفله وبـــكى الاشياخ فيه كأنهم أطفــاله ونعت مصــر والشام إماما طرزت مجد ذا وذاك خلاله(١) كم مقام كما سمعت ملوكي ولديه تصمرفت افعال كم بيمناه قصة قد أجيبت وسلوول بها أجيب سؤاله كم قريب دعا به وبعيد وهو هام يد الندى هطاله كم أتتني مع الركباب لهاه ووفت لي مع الزميان خصاله لو بقدر الأسى بكيت لسالت مهجة كم وفت لها أفضاله في سبيل العلى غسام تولكي بعدما أخصب الورى اقبالـــه هكذا عادة الزمان بنوه بسط ظل كما ترى وزوال ودفيين على بقايا دفيين مثلما قال من سيرت امثياله كم الى كم هذا التغافل منا عن يقين الردى وهذا التباله جاد يا قاضي القضاة ضريحا كان فيه غيث يسر انهساله وجزى الله جود كفك عنا وتولاك جوده ونوالسه لك منا نشر النسيم ثناء ولنا بالاسمى عليك اعتلاله ٢٠)

ولابن نباتة المصري ترجمة للقزويني في كتابه « سجع المطوق »

⁽۱) في هذه البيت وغيره اشارة الى الوحدة السياسية بين الاقليمين: المسسري والشامي .

⁽٢) ديوان ابن نباتة المصري ص ٤٠٤ _ ٠٠٠ .

ولكنها سجع كلها ، ومدح وتعظيمله •وقد ختمها بالقصيدة النونيــة السابقة ، وبرسالة كتبها اليه في يوم مثلج هي(١) :

« يا مولانا صبحك الله بكل صبيحة بيضاء لا من هذه الثلوج الملحة ، وكل غنيمة باردة لا من هذه الليالي المدلهمة • وكل ثغر باسم، ولا أعني هذه البروق اللامعة ، وكل ضرع حافل ولا أرضى هذه السحب الهامعة •

وسقى ديارك _ غير مفسدها _ صوب الربيسع وديمة تهمي كيف أنت في هذا الجليد الذي أذاب قلب الجليد ، وهذه الرحمة التي أوقعتنا في العذاب الشديد ، وهذا البرد الذي لا تقوى عليه الاجساد اذا كان يقوى على البرد الحديد ، وهل عندك خبر من حسال معتز مغترب ، مضطر مضطرب ، ساجد من شدة الهول مقترب ،

أما أنا فقد تحصنت في هذه الواقعة بظل السماء ذات البروج ، ولبست السحاب الأبلق إلا انه من زرقة الجسد ويساض الثلوج وتقاويت وما قوة من أشابه الضرب صورة ومعنى وشاهدت الموت فليت الأيام أباحت لي من الكسوة كفنا حين أتاحت لي من الثلج قطنا وجربت قول العربي المقرور ان الحسب ليدفيني فما وجدت الحسب إلا يدفنني و واستصوبت قول الآخر وقد رأى أعرابيا في مثل هذا اليوم ينشد:

كساني عامر فكسا بنيه عطاف المجد إِن ً له عطافا

وقال: والله انك الى عطاف عباءة أحوج منك الى هذا العطاف ، وهذا وقت عاطفة من كرم مولانا تعطى على هذا الشين ، وتنصرف من هذا البلد الذي لا ازال فيه من برد جسد وسخنة عين ، وارسالها من ملابسة الشريعة وثيرة الجوانب قوية المناكب أكف بها العبرات والعبر،

⁽۱) هذه القطعة والقصائد السابقة اضيفت في اثناء الطبع لتعطي صورة واضحـــة من ملاقة القزويني بابن نباتة المصري .

واخلف قيس بن عاصم فاصبح سيد أهل الوبر . والله تعالى يعين بكرمه على هذا القطر وقطاره والافق ومطار امطاره ، ويعيننا على هذا البرد وان كان لؤلؤا منثورا ، وهذه السقيا وان كان مزاجها من الثلج کافورا »(۱) .

ويقول في القزويني صلاحالدين خليل بن ايبك الصفدي وكيل المال وامام الادب في عصره من قصيدة امتدحه فيها:

هذا الامام الذي ترضى حكومت خلاف ماقاله النحوي في الصحف له على كل قول بات ينصـــره وجه يصان عن التكليف بالكلف حبر متى جال في بحث وجاد فلا تسأل عن البحرو الهطالة الوطف قد ذب عن ملة الاسلام ذب ً فتى يحمي الحمى بالعو الي السحر و الرعف ومذهب السنة الغراء قام ب وثقفالحق من حيف ومن جنف يأتى بكل دليل قد حكى جبلا فليس ينسفه ما يغلظ النسفي وقد شفى العي لما بات منتصرا للشافعي برغم المذهب الحنفي يحيي دروس ابن ادريس مباحثه فحبذا خلف منه عن السلف فمااری ابن سریج ان یناظره من خیل میدانه فلیمض او یقف ولو أتى مزني الفقع أغرقه ولم يعد قطرة في سحبه الذرف وقد أقام شعار الأشعري فما يشك يوماولا يشكو من الزيف وليس للسيف حد يستقيم بــه ولو تصدى له ألقاه في التلف والكايسي غدا في عينه سقم اذ راح ينظر من طرف اليه خفي من معشر فخرهم أبقاه شاعرهم في قوله : انما الدنيا ابو دلف (٢)

كلمات فيه:

وذكره القاضي شهاب الدين فضل الله العمري في كتابه « مسالك الابصار » فقال : « من ولد أبي دلف ، ومن مدد ذلك السلف ولي أبوه

⁽١) سجع المطوق (مخطوطة دار الكتب في القاهرة ص ٥٥) و (مخطوطة الاوقاف ببغداد ص ٦٠).

⁽٢) طبقات الشافعية جه ص ٢٣٩.

وأخوه وشبهت النظراء ولم يؤاخذوه • ولي الخطابة وسلافيها ، ورقى اعواد المنابر وهز غصنها ، وكان صدر المحافل اذا عقدت وصيرفي المسائل اذا انتقدت • وكان طلق اليدين والكرم وان كان بالدين انتهى »(۱) •

وذكره الشيخ ابن نباتة المصري في سجع المطوق فقال: « الإمام المقدم على التحقيق والغمام المنشيء في مروج مهارقه كل روض أنيق و والسابق لرايات العلوم الذي أخلى له نحوها عن طريق و والبادي المطل على دقائقها التي اعترف له بالتقصير ذوو التحليق والهادي لمذاهب السنة الذي يشهد البحث أن بحر فكره عميق والجبر أندى لا تدعى نفحات ذكره الزهور والصحيح انه أعطر من المسك العتيق ناهيك من رجل على حين فترة من الهمم وظلمة من الدهر لا كالظلم المعلون فسر بنوره الى الأبل صبحا فيحمد لديه الطالب سراه لابل شمسا يتمثل في شخصه علماء الدهر الفابر فكان مرآة مرآه مرآه »(۲) و شمسا يتمثل في شخصه علماء الدهر الفابر فكان مرآة مرآه »(۲) و

⁽١) طبقات الشافعية جه ص ٢٣٩٠

 ⁽۲) سجع المطوق (مخطوطة دار الكتب في القاهرة ص ۲۰) و (مخطوطة الاوقاف بيفداد ص ٥٤) . وينظر طبقات الشافعية ج٥ ص ٢٣٨ .

الفصل الثايي

آتارهُ وَمنهَجُه

نشأت البلاغة العربية مسائل متفرقة في كتب الفراء ، وأبي عبيدة والجاحظ ، والمبرد ، وكان ابن قتيبة _ فيما نرى _ أول من رتب بعض موضوعاتها وبوبها ، وعقد في كتابه « تأويل مشكل القرآن » أبوابا للمجاز ، والاستعارة ، والمقلوب ، والحذف ، والاختصار ، وتكرار الكلام ، والزيادة فيه ، والكناية ، والتعريض ، ومخالفة ظاهر اللفظ معناه ، وكان لهذا التبويب أثر فيما كتب ابن المعتز الذي خطا بالبلاغة خطوة كبيرة نحو التبويب والتهذيب ،

واخذت البلاغة تنمو وتزدهر حتى ظهر عبد القاهر الجرجاني فسار بها نحو الكمال ، وقرّر مسائلها ، وهذبها فكان كتاباه : « دلائل الاعجاز » و « اسرار البلاغة » قمة البلاغة العربية ، تجلت فيهما العقلية الواعية التي تفهم الامور وتتذوق الأدب ، وبدا فيهما التبويب والتقسيم واضحا حتى عده بعض الباحثين واضع علمي المعاني والبيان بمفهومهما الاخير (١) .

⁽۱) ينظر هامش ص : ت ، ث في دلائل الاعجاز وهامش ص ؟ ٦٩ في دائرة المسارف الاسلامية (الطبعة العربية مادة بديع) ، وامالي على عبدالرازق في البيان وتاريخه ص ٢٢٠٠

والواقع ان عبدالقاهر لم يكن واضع هذين العلمين ، لان رجال البلاغة كانوا قد بحثوا موضوعاتهما منذ عهد مبكر ، فتكلموا على المجاز ، والاستعارة ، والتشبيه ، والتقديم والتأخير ، والحذفوالذكر، والاطناب والايجاز ، والتجنيس ، ولم يأثت عبدالقاهر بموضوعات جديدة الا ما كان من تهذيب ، وتبويب ، وتحليل للنصوص الادبية ، وكان بحثه لا يختلف عن السابقين ، وكتاباه المشهوران يضمان موضوعات البلاغة كلها من معان وبيان وبديع ، ولم يفرق بينهما كما فعل المتأخرون ، ولم يقل هذه موضوعات المعاني ، وهده مباحث البيان ، وتلك فنون البديع ، وكانت طريقته في عدم تقسيم البلاغة البيان ، وتلك فنون البديع ، وكانت طريقته في عدم تقسيم البلاغة نظرة تقسيم البلاغة فقال التفتازاني السائر في فلك السكاكي عن كتب نظرة تقسيم البلاغة فقال التفتازاني السائر في فلك السكاكي عن كتب عبدالقاهر : « كأنها عقد قد انفصم فتناثرت لآليه » (۱) ، ومن أجل خلك لا نستطيع أن نقول بان عبدالقاهر واضع علمي المعاني والبيان لسبين :

الاول: ان موضوعاتهما قد بحثت قبله .

الثاني: أنه لم يفصل بينهما كما فعل المتأخرون .

ويمكن القول بانه مهد السبيل الى ذلك وأنه وضع « اسس المنهج التحليلي في دراسة البيان أو المعاني العقلية ومسايرة العبارات نها ودلالتها عليها »(٢) .

وكان عبدالقاهر تفسه يرى ان هناك علما واحدا غاية الخائض في موضوعاته ان يستثير الاسرار التي ترفع من قدرة الكلام وتمنحه رتبة الشرف وتحله ذروة البلاغة .

وتمخضت عن الدراسات البلاغية مدرستان هما: المدرسةالادبية

⁽١) المطول ص ١٠ ٠

⁽٢) البيان العربي ص ١٣٣٠

والمدرسة الكلامية ، وكان لكل منهما خصائصها ومنهجها ، ولكنهما تتفقان في أمور منها : ان كلتيهما لم تقسم البلاغة الى علومها الثلاثة ، وانما كانت موضوعاتها تبحث على اعتبار انها فنواحد الهدف منه استثارة الاسرار التي ترفع من قيمة الكلام ، فلا تمييز بين موضوعات يحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره ، وموضوعات يراد بها معرفة ايراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة أو بالنقصان ، وموضوعات يعرف بها وجوه تحسين الكلام .

منهج السكاكي:

ولم تزل البلاغة تكمل شيئا فشيئا الى أن متخص السكاكي (١) زبدتها ، وهذا مسائلها ، ورتش ابوابها ، فكان أول من قسم البلاغة الى علمين متميزين : علم يتعلق بالنظم سماه « علم المعاني » ، وعلم يتعلق بالتشبيه ، والمجاز ، والكناية ، أو بالصورة الادبية سماه «علم البيان » ، ولم يطلق على القسم الثالث مصطلح « علم البديع » وانما هو عنده وجوه مخصوصة يئوتي بها قصد تحسين الكلام ، ولهذا عراف البلاغة تعريفا لم يدخل فيه البديع فقال : « البلاغة : هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدا له اختصاص بتوفيدة خواص التراكيب حقها ، وايراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها » (٢) ،

وعرف علم المعاني بأنه: « تتبع خواص تراكيب الكلام في الافادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره »(٣) و وقرر _ كسا قرر عيره _ أن كلام العرب ضربان: خبر وطلب ، ولذلك قسم المعاني الى قانونين: الاول يتعلق بالخبر ، والثاني يتعلق بالطلب ، وقسم القانون الاول الى أربعة فنون:

⁽۱) ينظر منهج السكاكي في كتاب « البلاغة عند السكاكي » ص ١١٥ وما بعدها .

⁽۲) مفتاح العلوم ص ۱۹٦ .

⁽٣) مفتاح العلوم ص ٧٧ .

الاول: في تفصيل اعتبارات الاسناد الخبري ، تكلم فيه على انواع الخبر ، واغراضه ، ومؤكداته ، وخروجه عن مقتضى الظاهر .

الثاني: في تفصيل اعتبارات المسند اليه ، تحدث فيه عن حذف المسند اليه ، وذكره ، وتعريفه ، واضماره ، وتكلم على وصف المعرف ، وتأكيد المسند اليه ، وبيانه وتفسيره ، وبدله ، والحالة التي تقتضي العطف والفصل ، وتنكيره ، وتقديمه على المسسند ، وتأخيره ، وقصره ، وخروجه على مقتضى الظاهر ، والالتفات ،

الثالث: في تفصيل اعتبارات المسند ، تحدث فيه عن حذف المسند ، وذكره ، وافراده ، وكونه فعلا ، وتقييده ، وترك تقييده ، وكونه منكرا • وتكلم على تخصيصه ، وتركه ، وكونه اسما معرفا ، وجملة فعلية ، واسمية وظرفية • وتحدث عن تأخير المسسند وتقديمه ، وعقد في هذا الفن فصلا تكلم فيه على الفعل ، وذكر تركه واثباته ، وترك مفعوله واثباته ، واضمار الفاعل واظهاره ، ثم تكلم على اعتبار التقديم والتأخير مع الفعل ، والحسالات المقتضية لتقييد الفعل بالشرط •

انرابع: في تفصيل اعتبارات الفصل والوصل ، والايجاز والاطناب . وبعد أن انتهى من هذا الفن عقد للقصر فصلا خاصا ، لانه ارجأ بحثه الى هذا المكان في كتابه « مفتاح العلوم » .

وقسم القانون الثاني الى خمسة أبوابهي :التمني، والاستفهام، والامر ، والنهي ، والنداء ، وبعد أن انتهى من بحث الخبر والطلب تكلم على استعمال الخبر موضع الطلب ، واستعمال الطلب موضع الخبر ، وذكر اسلوب الحكيم في نهاية بحث المعاني ،

بهذا المنهج بحث السكاكي علم المعاني ، وبهذا التقسيم رتب موضوعاته ، ويلاحظ أنه قدم البحث في الخبر مع أن كثيرا من الموضوعات التي بحثها فيه لا تخص الخبر وحده ، وانما هي مشتركة

ينه وبين الطلب و وعلل التفتازاني هذا المنهج بقوله: « وانما ابتدأ بابحان الخبر لكونه اعظم شأنا وأعم فائدة ، لانه هو الذي يتصور بالصور الكثيرة ، وفيه تقع الصياغات العجيبة ، وبه تقع غالبا المزايا التي بها التفاضل ، ولكونه أصلا في الكلام ، لان الانشاء انمايحصل منه باشتقاق كالامر والنهي أو نقل كبئس ونعم وبعت واشتريت ، او زيادة اداة كالاستفهام ، والتمني ، وما أشبه ذلك ، ثم قدم بحث أحوال الاسناد على أحوال المسند اليه والمسند مع أن النسبة متأخرة عن الطرفين ، لان علم المعاني انما يبحث عن احوال اللفظ الموصوف بكونه مسندا اليه ومسندا وهذا الوصف انما يتحقق بعد تحقيق الاسناد ، لانه ما لم يسند أحد الطرفين الى الاخر لم يصر احدهما مسندا اليه والآخر مسندا ، والمتقدم على النسبة انما هو ذات الطرفين ولا يحث لنا عنها »(۱) .

وقال السكاكي عن البيان: « البيان معرفة ايراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان ، ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه »(٢) ، وحصر موضوعاته حصرا منطقيا فيه تمحل ، واغسراق في الضبط ، وبعُدُد عن روح الادب والفن ، ولما كان ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة غير ممكن بالدلالات الوضعية وانما يتأتى ذلك بالدلالات العقلية ، حصر علم البيان في المجاز والكناية ، لان دلالتهما عقلية فالمجاز انتقال من ملزوم الى لازم ، والكناية انتقال من لازم الى ملزوم يقول: «واذا ظهر لك أن مرجع علم البيان هاتان الجهتان علمت النصباب علم البيان الى التعرض للمجاز والكناية ، فان المجاز ينتقل فيه من الملزوم الى اللازم ، وأن الكناية ينتقل فيه من الملزوم الى اللازم ، وأن الكناية ينتقل فيه من الملزوم »(٣) ،

⁽١) المطول ص ٣٤ ٠

⁽٢) مفتاح العلوم ص ٧٧.

⁽٣) مفتاح العلوم ص ١٥٧٠

أما التشبيه فدلالته وضعية لذلك لا يدخل في علم البيان ، ولكن لما كان في المجاز ما ينبني على التشبيه تعين التعرض له ، يقول : «ثم از المجاز اعني الاستعارة من حيث انها من فروع التشبيه لا تتحقق بمجرد حصول الانتقال من الملزوم الى اللازم لابد فيها من تقدمة تشبيه شيء بذلك من لازم له تستدعي تقديم التعرض للتشبيه ، فلا بد ان نأخذه اصلا ثالثا و تقدمه »(۱) .

ومع هذا الحصر المنطقي فان السكاكي لم يستطع أن يخرج التشبيه من بحث البيان ، ولم يستطع اخيرا الا ان يعترف بأن من مَهَرَ في التشبيه مكك رمام التدرب في فنون السحر البياني • ولم يجعله مقدمة لدراسة الاستعارة ، وانما جعنه اصلا ، لانه متشعب المباحث ، كثير الدوران في الكلام •

وبهذه الطريقة حصر السكاكي مباحث علم البيان في التشبيب والمجاز والكناية وهذا الحصر ـ وان كان فيه اغراق في التكلف كما صرح بذلك السكاكي نفسه قائلا: « والمطلوب بهذا التكلف انما هو الضبط فاعلم »(٢) ـ أدكن من منهجه في بحث علم المعاني •

وقسم التشبيه الى اربعة مطالب ، تكلم في الاول على طرفي التشبيه ، وفي الثاني على وجه التشبيه ، وفي الشالث على الغرض من التشبيه ، وفي الرابع على احوال التشبيه من كونه قريبا أو غريبا، مقبولا أو مردودا ، وهو في هذا التقسيم موفق الى حدِ ما لولا انه اضطرب قليلا في بحث المطالب الاربعة ففرق بعض المسائل هنا وهناك ، وكان من الدقة أن يجمع كل صنف في مطلبه ،

وقسم المجاز كما قسمه السلف ، وعقد له خمسة فصول هي : المجاز اللغوي الراجع الى معنى الكلمة غير المفيد . والمجاز اللغوي

⁽١) مقتاح العلوم ص ١٥٧٠

⁽۲) مفتاح العلوم ص ۱۵۷.

الراجع الى المعنى المفيد الخالي عن المبالغة في التشبيه والاستعارة وهي ثمانية أقسام: المصرح بها التحقيقية مع القطع ، والمصرح بها التحقيق مع القطع ، والمصرح بها المحتملة للتحقيق والتخييل ، والاستعارة بالكناية الاصلية ، والتبعية ، والتجريدية ، والضرب الرابع في المجاز اللغوي الراجع الى حكم الكلمة في الكلام ، والخامس في المجاز العقلي،

وقسم الكناية الى الكناية المطلوب بها نفس الموصوف ،والكناية المطلوب بها تخصيص الصفة ، والكناية المطلوب بها تخصيص الصفة بالموصوف .

اما ما يتعلق بالبديع فان السكاكي لم يُسكمته بهذا المصطلح ، وانما سماه: وجوها مخصوصة يصار اليها لقصد تحسين السكلام ، وقسمه الى ضربين: ضرب يرجع الى المعنى ، وآخر يرجع الى اللفظ ، ومن الاول: المطابقة ، المقابلة ، المشاكلة ، مراعاة النظير ، المزاوجة اللف والنشر ، الجمع ، التفريق ، التقسيم ، الجمع مع التفريق ،الجمع مع التقريق ،الجمع مع التقريق والتقسيم ، الابهام ، تأكيد المدح بما بشبه الذم ، التوجيه، سوق المعلوم مساق غيره، الاعتراض ، الاستتباع، بشبه الذم ، تقليل اللفظ ولا تقليله ،

ومن الثاني: التجنيس، رد العجز الى الصدر، القلب، السجع، انفواصل، الترجيع.

وترك انواعا اخرى من المحسنات لم يركها قيمة كبيرة ، يقول: «ويورد الاصحاب هنا أنواعا مثل كون الحروف منقوطة ، أو غير منقوطة ، أو البعض منقوطا والبعض غير منقوط بالسوية ، فلك ان تستخرج مسن هذا القبيل ما شئت وتلقب كلا من ذلك بما احببت »(١) .

ولا نريد البحث في قيمة هذا المنهج وصلاحه في دراسة البلاغة

۲۰٤ مفتاح العلوم ص ۲۰٤ .

فذلك ما بحثناه في كتابنا « البلاغة عند السكاكي »(١) •

واختصر السكاكي نفسه القسم الثالث من مفتاح العلوم بكتاب سماه « التبيان » ، ولم نجد له أثرا ، ولعله ضاع مع السكتب التي دمرتها النكبات ، ووصل الينا أقدم تلخيصاته « المصباح » وكتاب « روض الاذهان في علم المعاني والبيان » لبدرالدين بن مالك ، وهما سكما رأينا ستخيص أمين لمفتاح العلوم مع اختلافات لا تكورن واتجاها خاصا ، أو مذهبا بلاغيا جديدا ،

مؤلفات القزويني:

واراد جلال الدين القزويني الذي كان يحب الادب ويحاضر به أن يساهم في الادب ويكتب في البلاغة فألف :

- ١ _ التلخيص في علوم البلاغة (تلخيض المفتاح) ٠
 - ٧ _ الايضاح في علوم البلاغة ٠
- ٣ ـ الشذر المرجاني في شعر الارجاني ، او السور المرجاني في شعر الارجاني .
 - ٤ _ كتاب في الاصول •

وذكر القلقشندي ان للساوي لامية ضاهى فيها لامية ابن الحاجب في العروض وللامام القزويني شرح حسن عليها(٢) .

والكتابان الاولان في البلاغة ، أما التأثي فمختارات من ديوان الارجاني الذي كان يراه من مفاخر العجم ، يقول ابن حجر : « وكان يعظم الارجاني الشاعر ، ويقول إنه لم يكن للعجم نظيره ، واختصر ديوانه فسماه الشذر المرجاني من شعر الارجاني »(٣) • وكان لاعجابه

⁽۱) بحث نانا به درجة الماحست، من كلية الاداب بجامعة القاهرة بدرجة جيد جدا في اول شباط « فبراير » ١٩٦١ وطبع لاول مرة في بغداد سنة ١٩٦٤ • (تنظر ص ١١٥ مما بعدها) .

⁽٢) صبح الاعشى ج١ ص ٤٦٩ ٠

⁽٣) الدرر الكامنة ج٤ ص ٥ ، وينظر الواني بالوفيات ج٣ ص ٣٤٣ .

بهذا الشاعر ان استشهد بكثير من شعره في كتبه ٠

ولم نعثر على شعر الارجاني الذي اختاره جلل الدين ، ولم يصفه احد من القدماء والمحدثين ، ولعل الايام تلقي ضوء عليه ، وتكشف لنا جانبا من جوانب القزويني الغامضة وتذوقه للادب وطريقته في اختيار الاشعار ، واغلب الظن انه متأثر في هذا بمن اختار اشعارا لشاعر أو أكثر كضياء الدين بن الاثير الذي اختار من شعر ديك الجن وابى تمام والبحتري .

ولا نعرف شيئا عن الكتاب الرابع غير ما ذكره ابن عمداد الحنبلي ، يقول: «وصنف في الاصول كتابا حسنا »(۱) • والكتاب من غير شك في اصول الفقه الشافعي ، لان القزويني كان شافعيا وقاضي القضاة الشافعيين • ولعل في هذا الكتاب قيمة عظيمة ونفعا كبيرا لمن يريد أن يدرس القزويني ، وهو من غير شك يلقي ضوءعلى حياته الفقهية التي لم نستطع ان نجلوها بوضوح ، ونكشف عنها كشفا تاما لضياع الكتاب ، ولعدم معرفة ما فيه ، وسيملأ العثور عليه الحلقات المفقودة من حياة القزويني •

⁽۱) شلرات اللهب ج٦ ص ١٢٢٠

التلغيص

والكتاب الاول تلخيص للقسم الثالث من « مفتاح العلوم » للسكاكي ، وهو كتاب نال شهرة واسعة ، وطبقت شهرته الخافقين ، واقبل الناس عليه قراءة وشرحا وتدريسا ، وكان عند الازهريسين الكتاب الاول الذي لا يبارى ، والآخر الذي ليس بعده غاية لمطلع ، يقول ابن خلدون : «والتلخيص وهو أصغر حجما من الايضاح، والعناية به لهذا العهد عند أهل المشرق في الشرح والتعليم اكثر من غيره» (١) ،

دوافع تأليفه:

وكان الدافع الى تأليفه ما رأى في كتاب السكاكي من حشو ، وتطويل ، واضطراب ، فاراد ان يهذ به ويصونه عما فيه من تعقيد ، وقد وضح القزويني هدفه في فاتحة الكتاب فقال : « اما بعد فلما كان علم البلاغة وتوابعها من اجل العلوم قدرا وادقها سرا ، اذ به تعرف دقائق العربية واسرارها ، وتكشف عن وجوه الاعجاز في نظم القرآن استارها ، وكان القسم الثالث من مفتاح العلوم الذي صنفه الفاضل العلامة ابو يعقوب يوسف السكاكي اعظم ما صنف فيه من الكتب المشهورة نفعا لكونه احسنها ترتيبا ، واتمها تحريرا ، واكثرها للاصول

⁽١) مقدمة ابن خلدون ص ٥٥٢ .

جمعا، ولكن كان غير مصون عن الحشو والتطويل والتعقيد قابلا الاختصار، مفتقرا الى الايضاح والتجريد: الثقت مختصرا يتضمن ما فيه من القواعد، ويشتمل على ما يحتاج اليه من الامثلة والشواهد، ولم آل جهدا في تحقيقه وتهذيبه، ورتبته ترتيبا أقرب تناولا من ترتيبه، ولم ابالغ في اختصار لفظه تقريبا لتعاطيه، وطلبا لتسهيل فهمه على طالبيه وأضفت الى ذلك فوائد عثرت في بعض كتب القوم عليها، وزوائد لم اظفر في كلام احد بالتصريح بها والاشارة اليها، وسميته و تلخيص المفتاح »(۱).

وتعجب بعض المحدثين من أن يدعي القزويني أن كتابه تلخيص المفتاح وحده مع انه ملخص من كتب عدة الفعبد القاهر فيه الشيء الكثير، ولابن سنان حظ وافر من المقدمة ، وكان من الامانة العلمية ان لا يغمط هذين العالمين فضلهما في كتابه ، بل يشير الى ما لهما من عمل واضح فيه (٢) .

وليس هذا التعجب في مكانه ، لان القزويني لم يك عر أن كتابه تلخيص للقسم الثالث من مفتاح العلوم ، وانما ذكر انه اضاف اليه فوائد عثر عليها في بعض الكتب ، وزاد عليه بما جادت قريحت واسعفته به عقليته في اثناء الكتابة ، وأي دليل اقوى من قوله : « واضفت الى ذلك فوائد عثرت في بعض كتب القوم عليها ، وزوائد لم اظفر في كلام احد بالتصريح بها ولا الاشارة اليها » .

متى ألف ؟

وليس في الكتاب اشارة الى تأريخ تأليفه ومكان كتابته ، ويرى الاستاذ الخولي ان القرويني كتبه في مصر ، يقول : « والراجح عندي

⁽۱) التلخيص ص ۲۲ ـ ۲۳ .

 ⁽٢) ينظر كتاب بحوث واراء في علوم البلاغة ص ٦٢ ، ١٣٧ ، وتاريخ علوم البلاغــة
 ص ٣٤ .

ان القزويني كتب كتابيه تلخيص المفتاح والايضاح وهو بمصر ، لانه وفد من بلاده مبكرا وهو شاب ، وهنا اكتمل واطمأن واشتغل ،ويبدو ان كتابه الايضاح الذي وضعه تبيينا للتلخيص وتوضيحا له انساكان أثرا لحياته في البيئة المصرية الظاهرة الميل الى الطريقة الادبية في دراسة البلاغة »(١) .

وليس في هذا الرأي ما يرجح ان القزويني الف كتب بعد ان استقر قاضيا للقضاء بمصر ، لاننا عثرنا على مخطوطة للايضاح كتبت سنة ٢٧٤ هـ وهي محفوظة في معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية بالقاهرة ، ومصورة عن مكتبة ولي الدين ، والايضاح شرح التخليص ، ومن هنا ينبغي ان يكون التلخيص قد ألف قبل همذا التاريخ أي قبل ان ينتقل المؤلف الى مصر سنة ٢٧٧ هـ ، وبذلك نستطبع ان نرجح ان التلخيص كتب في بيئة الشام قبل سنة ٢٧٤ هـ ، لانه نال مبكرا شهرة واسعة واقبل عليه الطلاب يدرسونه مع «الايضاح» ويعلقون عليه ،

وذكر الاستاذ عزالدين التنوخي أن القزويني التف التلخيص بدمشق بعد ان انتقل الى قضائها ، ثم وضع عليه شرحا سماه الايضاح أو ايضاح التلخيص (٢) • وهذا الرأي كالاول وان كان اقرب منه الى الواقع ، لان القزويني _ كما نعلم _ تولى القضاء في دمشق سنة ٧٢٤ه ، وقد رأينا ان احدى نسخ الايضاح كتبت في هذا التاريخ ، وليس من الممكن ان يكتب الشرح قبل التلخيص ، ولذلك نستطيع ان نقرر ان التلخيص كتب قبل سنة ٤٢٤ه وفي دمشق الشام •

منهجسه

ومنهج الكتاب لا يختلف عن منهج السكاكي اختلافا كبيرا ، فقد بدأه بمقدمة في فصاحة المفرد والكلام ، وعرف البلاغة بقوله: «والبلاغة

⁽۱) مناهج تجدید ص ۲۶۱ ۰

⁽٢) ينظر تهذيب الابضاح ج١ ص ١١٠

في الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته »(١) • وذكر ان مقامات الكلام متفاوتة ، فمقام كل من التنكير ، والاطلاق ، والتقديم ، والذكر يباين مقام خلافه ، ومقام الفصل يباين مقام الوصل ، ومقام الايجاز يباين مقام خلافه ، وكذا خطاب الذكي مع خطاب الغبي ، ولكل كلمة يباين مقام خلافه ، وكذا خطاب الذكي مع خطاب الغبي ، ولكل كلمة مع صاحبتها مقام ، وارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول بمطابقته للاعتبار المناسب ، وانحطاطه بعدمها ، فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب ، فالبلاغة راجعة الى اللفظ باعتبار افادته المعنى بالتركيب ، وكثيرا ما يسمى ذلك فصاحة ، ولها طرفان : اعلى وهو حد الاعجاز وما يقرب منه ، واسفل وهو ما اذا غير الكلام عنه الى ما دونه التحق عند البلغاء باصوات الحيوانات ، وينهما مراتب كثيرة، وتتبعها وجوه آخر تورث الكلام حسنا ،

وان البلاغة مرجعها الى الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد، والى تمييز الفصيح من غيره، والثاني منه ما يبين في علم متن اللغة او التصريف اوالنحو، او يدرك بالحس وهو ماعدا التعقيد المعنوي وما يحترز به عن الاول علم المعاني وما يحترز به عن التعقيد المعنوي علم البيان، وما يعرف به وجوه التحسين علم البديع وكثير "يسمي الجميع علم البيان، وبعضهم يسمي الاول علم المعاني، والاخيرين علم البيان والثلاثة علم البديع و

وعلى هذا الاساس قستم البلاغة الى ثلاثة فنون: الاول: في علم المعاني: « وهو علم يعرف به احوال اللفظ العربي التي بهايطابق مقتضى الحال »(٢) • وحصره في ثمانية أبواب: احوال الاسناد الخبري، احوال المسند اليه ، احوال المسند ، أحول متعلقات الفعال ، القصر ، الانشاء ، الفصل والوصل ، الايجاز والاطناب والمساواة • وعلل هذا الحصر بقوله: « لان الكلام اما خبر أو انشاء ، لانه ان كسان

⁽۱) التلخيص ص ٣٣٠

⁽٢) التلخيص ص ٣٧ .

لنسبته خارج تطابقه او لا تطابقه فخبر ، والا فانشاء ، والخبر لا بد له من مسند اليه ومسند واسناد ، والمسند قد يكون له متعلقات اذا كان فعلا أو في معناه ، وكل من الاسناد والتعلق اما بقصر أو بغيرقصر، وكل جملة قرنت باخرى اما معطوفة عليها او غير معطوفة ، والكلام البليغ اما زائد على أصل المراد لفائدة او غير زائد »(١) .

والثاني: في علم البيان « وهو علم يعرف به ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه »(٢) و ولالة اللفظ اماعلى تمامما وضع له او على جزئه او على خارج عنه ، وتسمى الاولى وضعية ، وكل من الاخيرتين عقلية ، وتختص الاولى بالمطابقة ، والثانية بالتضمن ، والثانثة بالالتزام ، وشرطه اللزوم الذهني ولولاعتقاد المخاطب بعرف او غيره ، والايراد المذكور لايتأتى بالوضعية ، لان السامع اذا كان عالما بوضع الالفاظ لم يكن بعضها اوضح، والا لم يكن كل واحدد الاعليه وبتأتى بالمقلية لجواز ان تختلف مراتب اللزوم في الوضوح، ثم اللفظ المراد به لازم ما وضع له ان قامت قرينة على عدم ارادته فمجاز والا فكناية ، وقدم عليها لان معناه كجزء معناها ، ثم منه ما يبنى على التشبيه فتعين التعرض له فانحصر في الثلاثة ،

وعلى هذا الاساس قسيم علم البيان الى التشبيه والمجاز والكناية، فالتشبيه هو الدلالة على مشاركة امر لامر في معنى ، وقد عقد له فصولا في اركانه وهي : طرفاه ووجهه واداته ، وفي الغرض منه ، وفي اقسامه ، والحقيقة هي الكلمة المستعملة فيما وضعت له في اصطلاح التخاطب ، والمجاز مفرد ومركب ، اما المفرد فهو الكلمة المستعملة في غير ماوضعت له في اصطلاح التخاطب على وجه يصح مع قرينة عدم ارادته ، وكل هنهما لغوي وشرعي وعرفي خاص او عام ، والمجاز مرسل ان كانت العلاقة غير المشابهة والا فاستعارة ، وكثيرا ما تطلق الاستعارة على

⁽۱) التلخيص ص ۳۸ ۰

⁽۲) الدخيس ص ۲۳٦ .

استعمال اسم المشبه به في المشبه • والكناية لفظ اريد به لازم معناه مع جواز ارادته معه ، وهي ثلاثة أقسام : الاولى المطلوب بها غير صفة ولا نسبة ، والثانية المطلوب بها صفة ، والثالثة مطلوب بها نسبة •

وختم بحث البيان بقوله: «أطبق البلغاء على ان المجاز والكناية أبلغ من الحقيقة والتصريح ، لأن الانتقال فيهما من الملزوم الى اللازم فهو كدعوى الشيء ببينة ، وأن الاستعارة أبلغ من التشبيه ، لانها نوع من المجاز »(١) .

والثالث : في علم البديع «وهو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة (Y) • وهي ضربان : معنوي ولفظي •

أما المعنوي فمنه: المطابقة ، مراعاة النظير ، الارصاد ، المشاكلة ، المزاوجة ، العكس ، الرجوع ، التورية ، الاستخدام ، اللف والنشر ، الجمع ، التفريق ، الجمع مع التقسيم ، الجمع مع التقسيم ، الجمع مع التقسيم ، التجريد ، المبالغة ، المذهب الكلامي ، الجمع مع التفريق والتقسيم ، التجريد ، المبالغة ، المذهب الكلامي ، حسن التعليل ، التفريع ، تأكيد المدح بما يشبه الذم ، تأكيد الذم بما يشبه المدح ، الاستتباع ، الادماج ، التوجيه ، الهزل الذي يراد به الجد ، تجاهل العارف ، القول بالموجب ، الاطراد .

وأما اللفظي فمنه: الجناس ، رد العجز على الصدر ، السـجع ، الموازنة ، القلب ، التشريع ، ازوم ما لا يلزم .

واصل الحسن في هذا كله ان تكون الالفاظ تابعة للمعاني •

وختم الكتاب ببحث في السرقات الشعرية ، وما يتصل بها من الاقتباس ، والتضمين ، والعقد ، والحل ، والتلميح ، ثم عقد فصلا في حسن الابتداء ، وحسن التخلص ، وحسن الانتهاء .

⁽۱) التلخيص ص ٣٤٦ .

⁽۲) اللغيس س ۳٤٧ .

والخطيب القزويني ــ وان تابع السكاكي في منهجه وتلخيصــه للقسم الثالث من مفتاح العلوم ـ لم يتقيد تمام التقيد به ، وانما حاول ان يقدم ويؤخر ، ويرتب ويهذب ، ويضيف موضوعات اخرى . واولها بحث الفصاحة الذي صدر به كتابه وجعله مقدمة ، ولعله متأثر في ذلك بابن سنان الذي بحث الفصاحة في أول كتابه « سر الفصاحة » • وكان السكاكي قد تكلم عليها بعد ان انتهى من بحث علم البيان ، لانـــه لا يراها لازمة للبلاغة كما ذهب القزويني اليه • وصنف موضوعاتعلمي المعاني والبيان أحسن من تصنيف السكاكي وترتيبه • وخالفه في المجاز العقلي ، فقد تحدث السكاكي عنه في علم البيان وأنكره بعد ذلك على اعتبار انه استعارة بالكناية ، أما القزويني فقد تكلم عليه فيعلم المعاني، لان الاسناد عنده منه حقيقة عقلية وهي اسناد الفعل أو معناه الى ما هو له عند المتكلم في الظاهر ، ومنه مجازعقلي وهو اسناده الى مثلابكس له غير ما هو له ، بتأول. ولم يتكلم السكاكي على السرقات الشعرية وحسن الابتداء والتخلص والانتهاء ، وان كان غيره قد سبقه الى ذلك . أما القزويني فقد جعلها خاتمة الكتاب، ولعله متأثر بضياءالدين بن الاثير الذي بحثها في خاتمة « المثل السائر » • وبذلك نرى القزويني لا يقف عند ما رسمه السكاكي ، وانما حاول ان يتصرف بالمنهج تصرفا أملته عليه ثقافته وطبيعة البيئة التي عاش فيها •

ونال التلخيص منزلة عظيمة ، واصبح المحور الذي دارت عليه البلاغة العربية حتى العصر الحديث ، وتسابق الناس الى اقتناء مخطوطاته ودراستها ، والتعليق عليها وشرحها ، وأخذوا يبحثون عن نسخه التي كتبها القزويني يبده ، يقول السيوطي في البغية : « وقد ملكته بخطه الحسن ونظمته في ارجوزة »(۱) ويقول في شهرح عقود الجمان : « والتلخيص تأليف قاضي القضاة جلال الدين محمد بن عبدالرحمن القزويني وعندي منه نسخة بخط مؤلفه »(۲) .

⁽١) بغية الوهاة ص ٦٦ .

⁽۲) شرح عقود الجمان ص ۳ .

مخطوطاته:

وانتشرت نسخه في الخافقين ، وما تزال مخطوطاته الكثيرة تملأ المكتبات العامة والخزائن الخاصة، ومن مخطوطاته المحفوظة بدار الكتب بالقاهرة:

- (۱) نسخة مكتوبة بخط حسين بن اينبك فرغ من كتابتها يوم الاربعاء العاشر من شهر جمادى الآخرة سنة ۸۲۹ هـ في مدينة توقات ، وبهامشها تقييدات ورقمها ۱۱ ٠
 - (٢) نسخة بهامشها تقييدات كثيرة ، ورقمها ١٢ ٠
- (٣) نسخة مخطوطة بخط حبيب بن عمر ، فرغ من كتابتها في شهر جمادي الآخرة سنة ١٠٠٦ هـ ، وبهامشها تقييدات ، ورقمها١٠٠
 - (٤) ينسخة ضمن مجموعة مخطوطة رقمها ٧١ ٠
 - (o) نسخة مخطوطة رقمها ٣٥٦ ·
 - (٦) نسخة أخرى بها خرم ، رقمها ٣٥٧ ٠
 - (٧) نسخة مخطوطة بها خرم ، رقمها ٣٥٨ ٠
 - (٨) نسخة أخرى ، رقمها ٢٥٩ ٠
- (٩) نسخة مخطوطة يليها القسم الثالث من مفتاح العلوم للسكاكي ، رقمها ٣٩٦٠
- (١٠) نسخة مخطوطة سنة ١١٣١هـ بهامشها تقييدات ، ورقمها ٥٣٠ .
- (١١) نسخة مخطوطة سنة ٧٠٠ هـ بهامشها تقييدات ، ورقمها ٥٤٥ ٠
 - (۱۲) نسخة أخرى بهامشها تقييدات ، رقمها ٥٥٣ .
 - (١٣) نسخة ضمن مجموعة مخطوطة بخطوط مختلفة ، رقمها ٤٤ م .
- (١٤) قطعة من نسخة اخرى تنتهي الى قوله: « واللام للاشارة الى معهود من باب أحوال المسند اليه ضمن مجموعة مخطوطة ، رقمها ١٦٧ مجاميع ٠
- (١٥) نسخة ضمن مجموعة مخطوطة بخط خليل بن علي البروسي ، فرغ

من كتابتها سنة ١١٨١هـ • ورقمها ٥٠٢ مجاميع •

(١٦) نسخة ضمن مجموعة مخطوطة بقلم معتاد ، تمت كتابتها سنة العرب ١٠٩٧ هـ ، ورقمها ٥٤٣ مجاميع .

(١٧) نسخة ضمن مجموعة مخطوطة ، رقمها ٦١٣ مجاميع •

(۱۸) نسخة بقلم نسخ جميل اولها محلى ومنقوش بالذهب والالوان وباقيها مجدول بالذهب ويظهر انها مخطوطة من القرن الثالثعشر الهجري في ۹۰ ورقةومسطرتها ۱۳ سطرا ۱۱×۱۸ ورقمها ۲۸۹۰ وفي مكتبة الاوقاف العامة ببغداد مخطوطتان مند، الاولى رقمها ۱۹۲۶ وهي ۲۰×۱۲ س ، والثانية رقمها ۱۰۶٤ ، وهي ۱۲×۲۱ س ،

وفي خزانة ولي افندي باستانبول نسخة برقم ٢٧٤١ • وفي خزانة نور عثمانية نسخة بقلم تعليق رقمها ٤٣٧٧ ، وفي خزانة راغب باشان برقم ١٢٢٤ ، ١٢٢٥ ، وعند الاستاذ عباس العزاوي ببغداد نسخ مخطوطة منه (١) •

وفي مكتبات الموصل نسخ مخطوطة ، واحدة في المدرسة المحمدية، وثانية في جامع بكر أفندي ، وثالثة في مدرسة الخياط ، ورابعة في مكتبة جامع الباشا(٢) .

وفي مكتبة المشهد الرضوي بايران نسختان ، كتبت الاولى بخط مبارك شاه ابن هندو بن مبارك المعروف بكركر، في سنة ٢٥٧هـ، وخطها نسخ في الصفحة الواحدة ١٧ سطرا وهي وقف ابن خاتون ، وعدد اوراقها ٥٥ ، وهي برقم ٢ ، وكتبت الثانية بخط محمد بن منصور بن قطب الدين سنة ٧٦٧ هـ ، خطها نسخي في ١٦ و١٧ سطرا ، واوقهها السيد محمد زمان سنة ١٠٢٤ هـ ، وعدد أوراقها ٤٥ ورقة رقمها ٧١٠٠٠.

⁽١) ينظر تاريخ الادب العربي في العراق ج ا ص ٢١١ .

⁽٢) ينظر مخطوطات الموصل ص ٦٩، ٧٧، ١٤٧، ١٤٨.

⁽٣) ينظر فهرس مغملوطات لمشبهد الرصوي ج٣ ص ٥٥ .

ولو مضينا تتبع مخطوطات التلخيص لوجدنا مئات النسخ منتشرة في مكتبات العالم •

طعاته

وطبع عدة مرات منها:

- (١) نسخة طبعت ضمن مجموعة في مطبعة الشيخ حسن الطوخي بمصر سنة ١٢٩٧ هـ ٠
- (٢) نسخة ضمن ست مجموعات طبعت بمطبعة الشيخ محمد أبي زيد سصر سنة ١٣٠٧ هـ ٠
- (٣) نسخة طبعت ضمن مجموعة في المطبعة الخيرية بمصر سنة ٦٣٠٩هـ٠
- (٤) نسخة طبعت ضمن مجموعة في مطبعة الشيخ محمد أبي زيدبمصر سنة ١٣٠٢ هـ ٠
- (٥) نسخة طبعت بمطبعة السيدعلى بمصر ضمن مجموعة سنة ١٣٠٤هـ٠
- (٦) نسخة طبعت ضمن مجموعة في المطبعة الشرقية بمصر سنة ١٣٠٦هـ٠
- (v) نسخة طبعت ضمن مجموعة في المطبعة الحميدية المصرية سينة المامية المحرية سينة المامية المحرية المامية المامي
- (A) نسخة طبعت ضمن مجموعة في مطبعة ابي الذهب بمصر سنة ١٣٢٤ هـ ٠
 - (٩) نسخة طبعت في مجلد ببيروت سنة ١٣٠٢ هـ ٠
 - (١٠) نسخة طبعت في القاهرة بلا تاريخ ٠
 - (١١) نسخة طبعت في القاهرة سنة ١٣١٠ هـ ٠
 - (١٢) نسخة طبعت في القاهرة سنة ١٣٢٣ هـ .
 - (١٣) نسخة طبعت في الاستانة •
 - (١٤) نسخة طبعت في القاهرة طبع حجر سنة ١٢٧٦ هـ
 - (١٥) نسخة طبعت في القاهرة سنة ١٢٨٠ هـ ٠
 - (١٦) نسخة طبعت في المطبعة العثمانية بالقاهرة
 - (١٧) نسخة طبعت في مطبعة الصدق بالقاهرة ٠

(١٨) نسخة طبعت في كلكتة سنة ١٨١٥ م ٠

(١٩) نسخة قام بتحقيقها وطبعها الاستاذ عبدالرحمن البرقوقي منشيء البيان ، وهي أضبط ما طبع من الكتاب وأصح نسخه ، وقسد صدرت طبعته الاولى سنة ١٣٢٢ هـ للامام محمد عبده ، عن البلاغة بقلم المحقق ، مع تقريظ للامام محمد عبده .

يقول الشيخ الامام: « شرحه كثير من الناظرين في الفن وتعلق الاغلب بلفظه ، ولم ينظروا الغاية من وضعه ، فصرفوا الوقت فيه ، وخانتهم البلاغة نفسها بجميع مقاصدها ، فلا هم يحسنون اذا كتبوا ، ولا هم يقنعون اذا خطبوا ، ولا هم يحسنون الاستماع اذا خوطبوا كما هو معروف لانفسهم ولكل من يعرفهم .

شرحه ، فوجدته كافيا في تبيين معنى ما في الكتاب ، موجها نظر الناظر فيه الى ما قصد منه ، ولا حاجة بالسائر الى الغاية من الفن الى ما هو اكثر مما جاء فيه ، وانما الواجب عليه تحصيل الملكة بالعمل ، ومزاولة كلام البلغاء ، وكسب أساليب الفصحاء حتى يتم له من شأنه ما يريد ، ويشهد له كلامه قبل ان يشهد هو لنفسه ، وليس لكلامه ان يشهد حتى بروق العلم واهله ، وعدوه وخله ، واسأل الله ان ينتفع بهذا الشرح مطالعه ، ويستفيد منه مراجعه »(۱) .

وطريقة البرقوقي في الشرح هي أن يذكر معاني المفردات الغامضة ويكمل بعض نصوص القزويني في التلخيص من كتابه الايضاح او من كتب البلاغة الاخرى ، وينقل بعض النصوص من كتابي عبد القاهر، ومن الكشاف للزمخشري ، والمثل السائر لابن الاثير ، ومفتاح العلوم للسكاكي وقد أجاد الشارح ، ويمكن أن نعتبر هذا الشرح وحده كتابا في البلاغة لما فيه من اضافات وفوائد جمة و

١١ التلخيص ص ١٩ س ١٠ ٠

واعيد طبع الكتاب سنة ١٣٥٠ هـ (١٩٣٢ م) وما يزال التعويل على هذه الطبعة في دراسة التلخيص وقراءته ٠

شــروحه:

وشغل الناسبشرح التلخيص والتعليق عليه ونظمه وشرح شواهده، وكان منذ أن ألفه القزويني مداراً لبحوث البلاغة وعمدتها كما يقول بهاء الدين السبكي: «أما بعد، فان تلخيص المفتاح في علم البلاغة وتوابعها باجماع من وقف عليه، واتفاق من صرف العناية اليه، انفع كتاب في هذا العلم صنف، واجمع مختصر فيه على مقدار حجمه ألف »(١)،

ويبدو أن اهل المشرق اهتموا بشرحه قبل غيرهم لاهتمامهم بكتاب السكاكي واعتمادهم على القواعد في دراسة علوم اللغة العربية ، ولكن تلك الشروح التي كتبت في المشرق لم تكن الا مجالا لعرض الآراء الفلسفية والعقائد الدينية ، لا يخرج أولهم على آخرهم ، ولا يضيف من فكره ومن ذوقه ما يجعل شرحه متميزا عن غيره ، وقد اجاد السبكي وصف هذه الشروح وأحسن في تقييمها ، يقول : « ولقد وصل الينا من تلك البلاد على التلخيص شروح رحم الله مصنفيها ، فانهم ماتوا وهم أخيار وييض وجوههم في الآخرة ، كما سودهم بالمعالي في هذه الدار ، لا تنشرح لبعضها الصدور الضيقة ولا تنفتح عندها مغلقة ، ولا ينقدح فيها زناد الفكر عن مسألة محققة ، يتناولون المعنى الواحد بالطرق فيها زناد الفكر عن مسألة محققة ، يتناولون المعنى الواحد بالطرق لا يخالف المتأخر منهم المتقدم الا بتغيير العبارة ، ولا يجد له على حل المثلك على غيره أو استشكال ما اتضح جسارة ، ولا يطمع أن يذوق ما في الاستدراك من اللذة ، ولا تطمح قسه لان يقال برز على من مسقه وبذه ، بل يسري خلف من تقدمه حتى في الكلمة الفذة ، ويسيرأثره مسقه وبذه ، بل يسري خلف من تقدمه حتى في الكلمة الفذة ، ويسيرأثره مسقه وبذه ، بل يسري خلف من تقدمه حتى في الكلمة الفذة ، ويسيرأثره مسقه وبذه ، بل يسري خلف من تقدمه حتى في الكلمة الفذة ، ويسيرأثره مسقه وبذه ، بل يسري خلف من تقدمه حتى في الكلمة الفذة ، ويسير أثره مسقه وبذه ، بل يسري خلف من تقدمه حتى في الكلمة الفذة ، ويسير أثره مسقه وبذه ، بل يسري خلف من تقدمه حتى في الكلمة الفذة ، ويسير أثره مستور المناس المنا

۱) مروس الاقراح ج۱ ص ٤٠

حذو القُدُّة بالقُدُّة (۱) و قصارى احدهم ان يعزو أبياتا من الشواهد لقائليها ، ويوسع الدائرة بما لا يقام له وزن من تكميل نقائصها وانشاد ما قبلها وما يليها ، وينشر للراغب مفردات الالفاظ من واضح كلام العرب ، ويذكر ما لا حرج على مخالفته من اصطلاحات لبعض أهل الادب ، ولا يزيد في شرح عبارة المصنف على الايضاح زينا وجد أم شينا و فلو نطق التلخيص لتلا: ما جئتم به هذه بضاعتنا ردت الينا» (۲) وبمضي السبكي في نقد هذه انشروح مبينا ما فيها من نقص وابتعادعن حقيقة البلاغة و

وشروح التلخيص كثيرة جدا ، وأول شروحه كتاب «الايضاح » للقزويني نفسه ، ثم تتابعت الشروح بعد ذلك ومنها :

- (۱) شرح محمد بن مظفر الخلخالي (۷٤٥ هـ) أوله: « الحمد لله الذي أسبغ على الانسان نعمة ظاهرة وباطنة » وقد ذكر أن المتن مشتمل على مباحث شريفة لا تكاد توجد في غيره من الكتب، ولم يكن له غير ما هو كالشرح له من كتاب الايضاح فشرحه شرحا وافيا مشيرا الى أجوبة ما اعترض به مؤلفه فيه وفي كتاب الايضاح على صاحب مفتاح العلوم، وسماه مفتاح تلخيص المفتاح (۲) ، شرح شمس الدين محمد بن عثمان بن محمد الزوزني (۷۹۲ هـ)
- اوله : « بالله استعين واليه أتضرع » (٣) شرح العلامة سعدالدين مسعود بن عمر التفتازاني (٧٩٢ هـ) وهو شرح ممزوج فرغ من تأليفه في صفر سنة ٧٤٨هـ، ثم شرحه شرحا ثانيا ممزوجا مختصرا عن الاول زاد فيه ونقص ، وفرغ منه بغجروان سنة ٧٥٦ هـ واشتهر الشرح الاول بالمطول والثاني

⁽۱) جاء في اساس البلاغة للزمخشرى ص ٧٥٠ : «قد الريش بالمقد : حدف اطرافه ومنه القدة ، فيقال : « حدو القدة بالقدة » .

⁽۲) عروس الافراح ج ۱ ص ٦٠

⁽٣) ينظر الدرر الكامنة ج} ص ٢٠٦ ، وبفية الوعاة ص ١٠٦ ومفتاح السعادة ح١ ص ١٦٦ وكشف الظنون ج١ ص ٢٤٤ ، وتأريخ علوم البلاغة ص ١٣٧ .

بالمختصر ، وهما أشهر شروح التلخيص وقد طبعا عدة مرات .

حواش على المطول:

وعلى المطول حواش ٍ كثيرة منها :

حاشية السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني (٨١٦ هـ) اولها : « الحمد لله رب العالمين » • وذكر أنه قيد على حواش مجملة حين قرأه بعض الطلبة عليه ، ثم سألوا تعليقها مفصلة ففعل ، فجاءت مشتملة على فوائد منها ما هو توضيح لمقاصده ومنها ما هو تنبيه على مزاله ، وفيها اعتراضات على الشارح وتحقيقات لا بأس بها ، وقد طبعت على حاشية المطول المطبوع في استانبول .

وعلى هذه الحاشية حواش منها:

حاشية مصلح الدين مصطفى بن حسام الرومي ، اجاب فيها عن اعتراضات المولى خسرو على الشريف ، ولكن أطال واطنب • وحاشية المولى يوسف بن حسين الكرماستي (٩٠٨ هـ) • وحاشية الشريف المرتضى •

حواش على المطول:

ومن الحواشي على المطول :

حاشية المولى حسن بن محمد شاه الفناري (٨٨٦ هـ) • وحاشية محمد بن فراموز الشهير بملا خسرو (٨٨٥هـ) • وحاشية أبي القاسم بن أبي بكر الليثي السمرقندي • وحاشية ميرزا جان حبيب الله الشيرازي (٩٩٤ هـ) • وحاشية شيخ الاسلام في مدينة هراة احمد بن يحيى بن محمد الحفيد المتوفى شهيدا سنة (٩٠٦ هـ) •

وحاشية مصلح الدين محمد اللاري (٩٧٩ هـ) . وحاشية الشيخ علاءالدين علي بن محمد الشاهر ودي البسطامي

الشهير بمصنفك (١٧٨ هـ) ٠

وحاشية المولى احمد بن عبدالله القريمي (٨٥٠ هـ) • وحاشية احمد الطالشي •

وحاشية شمس الدين محمد ابن احمد البسطامي (٨٤٢ هـ) • وحاشية عزالدين محمد بن ابي بكر المعروف بابن جماعة (٨١٩هـ)• وحاشية الشيخ يحيى بن سيف (يوسف) السيرامي المصري الحنفي (٨٧٣ هـ) •

وحاشية المولى حسن بن عبدالصمد السامسوني (١٩٦ هـ) • وحاشية نظام الدين عثمان الخطائي (٩٠١ هـ) وهي حاشية لطيفة (١) •

وعلى المطول تقرير لمحمد بن محمد الانبابي المصري الشافعي شيخ الازهر المتوفى سنة ١٣١٢ هـ • وتقرير لعبدالرحمن الشريبني شيخ الجامع الازهر المتوفى سنة ١٣٢٠ هـ •

حواش على المختصر:

وعلى المختصر حواش كثيرة منها:

حاشية نظام الدين الخطائي .

وحاشية عبدالله بن شهاب الدين اليزدي .

وحاشية على حاشية الخطائي للفاضل ميرزا جان حبيب الله .

وحاشية ابراهيم بن احمد الشهير بابن الملا الجلبي .

وحاشية المولى يوسف بن حسين الكرماستي .

وحاشية حميدالدين بن أفضل الدين الحسيني .

وحاشية المولى محمد بن الخطيب الشهير بخطيب زاده الرومي

 ⁽۱) تنظر هذه الحواشي في بغية الوهاة ص ١٤ و ٢٦ وخلاصة الالو ج٤ ص ٢٩٤ وكشف الظنون ج١ ص ٢٧٤ وتأديخ علوم البلاغة ص ٣٦ و١٦٠ و١٦٤ و٢١١ و١٦١ و ١٨٥ و ١٨٠ و ٢٠٠ و ٢٠٠ .

وحاشية شهاب الدين احمد بن قاسم العبادي الازهري (٩٩٤هـ)٠ وحاشية ياسين العليمي (١٠٦١ هـ) ٠ وحاشية الخفاجي (١٠٦٩ هـ) ٠ وحاشية الحنفي (١١٨١ هـ) ٠ وحاشية البناني من علماء القرن الثالث عشر ٠

وحاشية الدسوقي (١٢٣٠ هـ) وهي من أحسن الحواشي واروعها وقد اختصرها الحاج علمي الاقشهري بن عثمان وطبعت في الاستانة سنة ١٢٨٠ هـ ٠

وحاشية الصفوي القلعاوي (١٠٢٥ هـ)(١) •

وعلى المختصر تقرير لمحمد بن محمد الأنبابي شيخ الجامع الازهر (١٣٢١هـ) وعليه شرح قيم لابن يعقوب المغربي سماه «مواهب الفتاح» •

- (٤) شرح العلامة اكمل الدين محمد بن محمود البابرتي (٧٨٦ هـ) ، وهو شرح بالقول اوله « الحمد لله الذي أفاض أنواع الحكم ٥٠» فرغ من تأليفه في رمضان ٧٧٢ هـ ، ونبه على ما ورد عليه من الاعتراضات ، وأشار الى اجوبتها ويقال ان له حاشية على المطول أيضا ٢٠) •
- (٥) شرح بهاءالدين بن احمد بن علي بن عبدالكافي السبكي (٧٧٣هـ) سماه « عروس الافراح » ، وهو من اروع الشروح ،واكثرها فائدة وقيمة ، وعليه حاشية لمحمد بن ابي بكر بن جماعة عزالدين (٨١٩ هـ)(٢٠) .
- (٦) شرح محبالدین محمد بن یوسف بن احمد بن عبدالدائم المعروف بناظر الجیش (۷۷۸ هـ) •
- (٧) شرح جلال الدين رسول بن احمد بن يوسف التباني (٧٩٣ هـ)٠

⁽۱) ينظر تأريخ علوم البلاغة ص ٣٦ و٣٧ و ٢٠١٠

⁽٢) ينظر صبح الاعشى ج١ ص ٦٦} وحسن المحاضرة ج١ ص ٢٦ ، بغيسة الوماة ص ١٠٣ وكثبف الظنون ج١ ص ٧٧) ، وتأريخ علوم البلاغة ص ١٠٣ .

⁽٣) بغية الوعاة ص ٢٦ .

- (۸) شرح الشيخ شمس الدين أبي عبدالله محمد بن يوسف بن الياس القو نوي الحنفی (۸۸ هـ) $^{(1)}$ •
- (٩) شرح محمد بن أحمد بن الموفق القيصري ، فرغ منه في رمضان سنة ٧٦١ هـ ٠
- (١٠) شرح السيد عبدالله بن الحسن المعروف بنقره كار (٥٠٠ هـ)٠
- (١١) شرح عصام الدين ابراهيم بن عربشاه الاسفراييني (٩٤٥ هـ) سماه « الاطول » ٠
- (١٢) شرح محمد بن محمد بن محمد التبريزي ، ســماه « نفائس التنصيص » ، وهو شرح بـ « قال » ٠٠ « أقول » ٠
- (١٣) شرح مسمى « توضيح فتوح الارواح » ، أوله : « الحمد لله الذي ابدع الانسان ببديع قدرته » ، وهو شرح كبير بالقول ، ذكر فيه ان جمال الدين أشار الى تأليفه ٠
- (١٤) ومن شروحه الحديثة شرح الاستاذ عبدالرحمن البرقوقي ، وقد تحدثنا عنه •

هذه بعض شروح التلخيص ، ويوجد كثير منها في دار الكتب بالقاهرة ، ومكتبة جامعة الازهر ، ومكتبة الاوقاف ببغداد ، ومكتبة المتحف العراقي ، ومكتبات استانبول وايران وغيرها .

مختصرات التلخيص:

واختصروا التلخيص ومن مختصراته:

(۱) تلخیص التلخیص لشهاب الدین احمد بن محمد المعروف بالصاحب ($^{(7)}$ ه) سماه « لطیف المعانی » $^{(7)}$.

 ⁽۱) ينظر حسن المحاضرة ج۱ ص ۳۱۰ وبغية الموعاة ص ۱۱۸ و۱۲۵ والدرر الكاممة
 ج٤ ص ٢٩٠ و٢٩٤ وتاريخ علوم البلاغة ص ١٤٦ و١٥٠٠

⁽٢) الدرر الكامنة ج١ ص ٢٤٩٠.

- (٢) تلخيص التلخيص لزين الدين أبي محمد عبدالرحمن بن أبي بكر المعروف بالعيني سماه « تحفة المعاني لعلم المعاني » •
- (٣) تلخيص التلخيص للمولى لطف الله بن حسن التوقاني المتوفى شهيدا سنة (٩٠٠ هـ) ٠
- (٤) تلخيص التلخيص لعزالدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن جماعة (٨١٩ هـ)(١) •
- (o) تلخيص التلخيص للمولى برويز الرومي (٩٨٧ هـ) وله شرحعلى ما اختصره ٠
- (٦) تلخيص التلخيص لنورالدين بن حمزة بن طورغود ، ذكر أنه ألف في طريق الحج سنة ٩٦٦ هـ ، ورتبّبه على مقدمة وثلاثـة مسالك ، وسماه « المسالك » ، وقد شرحه شرحا ممزوجا سماه « الهوادي » ،
- (٧) تلخيص التلخيص المسمى « اقصى الاماني في علم البيان والبديع والمعاني » ، وهو للعلامة ابي يحيى زكريا بن محمد الانصاري الشافعي المولود بـ « ستنيّكة » في بلاد مديرية الشرقية بمصر سنة ٢٦٨هـ، والمتوفى بالقاهرة سنة٢٦٩هـ، وقداختصرفيه تلخيص المفتاح وحذف منه المسائل المختلف فيها، والامثلة والشواهد، وما فيه نظر ، ورتبه على مقدمة وثلاثة فنون ، وفي دار الكتب بالقاهرة نسخة منه ضمن مجموعة في مجلد بقلم معتاد بخط عبدالرزاق بن محمد بن مكتوم المنيلي ، فرغ من كتابته في يوم السبت الرابع والعشرين من شهر الله المحرم سنة ١٢٣٣ هـ ، رقمها ٢٠٤ ، وقد شرحه بشرح سماه « فتح منزل المباني » (٢) ،

⁽١) بغية الوعاة ص ٢٦ ، والأريخ علوم البلاغة ص ١٦٠ .

 ⁽۲) ينظر الكواكب السائرة ج۱ ص ۱۹٦ وتأريخ علوم البلاغة ص ۱۷۷ وفهسرس
 دار الكتب ج٢ ص ۱۷٦ .

(A) تلخيص التلخيص المسمى « انبوب البلاغة » ، اوله « الحمد لله الذي خلق الانسان علمه البيان ٠٠ » للعالم خضر بن محمد الاماسي المفتي باماسية ، الثقه سنة ١٠٦٠ هـ ثم شرحه وسماه: « افاضة الانبوب » أو « الافاضة لانبوب البلاغة » ، وهو شرح ممزوج (١) •

منظومات التلخيص:

وللتلخيص منظومات منها:

- (۱) نظم زين الدين أبي العز طاهر بن حسن بن حبيب الحلبي (۸۰۸هـ) سماه « التلخيص في نظم التلخيص » وهو ألفان وخمسمائة بيت.
- (٢) نظم شهاب الدين احمد بن عبدالله القلجي المولود سنة ٨٢٩ هـ والمتوفى سنة ٨٩٢ هـ ٠
 - (٣) نظم زين الدين عبد الرحمن العيني مختصر التلخيص تفسه ٠
- (ع) نظم الشيخ جلال الدين أبي بكر السيوطي، (٩١١ هـ) سماه : « عقود الجمان في علم المعاني والبيان » ، وشرحه بكتاب سماه : « شرح عقود الجمان » (٢٠) وله نكت على التلخيص وتخريج أبياته مروية بالاسناد مع ذكر القصيدة عليها •
- (o) نظم الشيخ أبي النجا بن خلف المصري المولود سنة ١٤٩هـ (٦) .
- (٦) نظم عبدالرحمن بن محمد بن عامر الاخضري المالكي المتوفى في أواخر القرن العاشر ، سماه : « الجوهر المكنون في الثلاثـــة الفنون » • وهو نظم لمتن تلخيص القزويني ويشتمل على ثلاثة

⁽١) ينظر كشف الظنون ج١ ص ٧٨) .

 ⁽٢) طبع في القاهرة سنة ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م باسم « شرح عقود الجمان في عليم المماني والبيان » .

⁽٣) ينظر كشف الظنون ج١ ص٧٨ و ٧٩ وتأويخ الادب العربي في العراق ج١ ص٢١٦٠.

فنون ۽ أوله :

الحمد لله البديع الهادي الى بيان مهيع الرشاد

وقد شرحه أحمد منهوري بشرح سماه «حلية اللب المصون على الجوهر المكنون » • وشرحه العلامة ابن يعقوب المكناسي (١٢٠٨ هـ) • وشرحه العلامة على الغزي • ووضع تعليقات على شرح الدمنهوري مخلوف بن محمد البدوي من علماء القرن الثالث عشر (١) •

(v) نظم عبدالله محمد بن مرزوق الشهير بالحفيد ، نظمه في حال صغره (۲) .

شرح أبيات التلخيص:

وشرح ابيات التلخيص السيوطي ، يقول العباسي: « ولم أر من عمل على تلك الشواهد شرحا يشفي العليل ويروي الغليل ، غير أن شيخنا المرحوم العلامة الجلال السيوطي ـ سقى الله من صوب الرحمة ثراه واكرم منزله ومثواه ـ عمل على بعضها تعليقا لطيفا لم يكمله، ولم يخرج عن مسودته (٣) .

وشرحها عبدالرحيم بن احمد العبادي العباسي (٩٦٣ هـ) بكتاب سماه « معاهد التنصيص على شواهد التلخيص » ، وقد ذكر فيه معاني الابيات وتراجم قائليها ، ووضع في كل فن ما يناسبه من نظائره الاديية ومزج الهزل بالجد ، وكان الذي حداه الى ذلك انه وجد في تلخيص القزويني من الشواهد الشعرية ما يعزى للاقدمين ، وما ينسب للمولدين الا أن اكثرها مجهول ، وربما عزاه بعض شارحي الكتاب لغير قائليه ، ولذلك رأى بعد أن وجد كتاب شيخه السيوطي غير شاف للغليل ، أن

⁽١) ينظر سلك الدررج ١ ص ١١٧ وتأريخ علوم البلاغة ١٨٠ و ١٨١٠

٣٩٤ ص ٢٩٤ .

١٣٠ معاهد الننسيس ج اس ٢٠

يضع كتابا يشرح فيه أبيات التلخيص • وقد طبع الكتاب بالقاهرة في اربعة أجزاء بتحقيق الاستاذ الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد •

واختصر الكتاب احمد بن أحمد المعروف بالعجمي الاحمدي الوفائي من علماء القرن الحادي عشر ، وفرغ من مختصره سينة ١٠٩٣ هـ(١) .

ولمحمد ذهني شرح أبيات التلخيص وشرحه وحاشية السيد عطبع للمرة الثالثة في استانبول سنة ١٣٢٧ هـ ، وهو في ٢٨٥صفحة مع ثماني صفحات تقريظ وفهارس ، وفي الصفحة الاخيرة ما يشير الى أن الطبعة الثانية كانت في قازان •

هذه أهم شروح التلخيص وتلخيصاته ، وليس لمعظمها قيمة علمية كبيرة ، ولعل اهمها « الايضاح » للقزويني نفسه ، و « المطول » للتفتازاني ، و « عروس الافراح » للسبكي ، و « مواهب الفتاح »لابن يعقوب المغربي ، وقد جمع السيد فرج الله زكي بعض هذه الشروح في كتاب واحد سماه « شروح التلخيص » ، جمع فيه مختصر السعد ، و « مواهب الفتاح » للمغربي ، و « عروس الافراح » للسبكي، ووضع على الحاشية كتاب الايضاح ، وحاشية الدسوقي على شرح السعد ، وطريقته في ترتيبها أن بدأ في صلب الصفحة بشرح السعد ، ثم ثنتي مواهب الفتاح ، وثلث بعروس الافراح ، وصد در الهامش بالايضاح ، وذكر بعده حاشية الدسوقي ،

⁽١) تأريخ علوم البلاغة ص ١٨٢٠

الايضــاح

وأحس الخطيب القزويني بأن في كتابه « التلخيص » غموضا وتعقيدا ، وأن فيه ايجازا والتواء ، فرأى ان يضع شرحا يحل مشكله ويوضح غامضه فألف الايضاح ، يقول : « أما بعد فهذا كتاب في علم البلاغة وتوابعها ترجمته بالايضاح ، وجعلته على ترتيب مختصري الذي سميته « تلخيص المفتاح » ، وبسطت فيه القول ليكون كالشرح له فاوضحت مواضعه المشكلة وفصلت معانيه المجملة ، وعمدت الى ما خلا عنه المختصر مما تضمنه مفتاح العلوم والى ما خلا عنه المفتاح من كلام الشيخ الامام عبدالقاهر الجرجاني - رحمه الله عنه المفتاح من كلام الشيخ الامام عبدالقاهر الجرجاني - رحمه الله في كتابيه : « دلائل الاعجاز » و « اسرار البلاغة » ، والى ما تيسسر في كتابيه : « دلائل الاعجاز » و « اسرار البلاغة » ، والى ما تيسسر ورتبتها حتى استقر كل شيء منها في محله وأضفت الى ذلك ما أدى اليه فكري ، ولم أجده لغيري فجاء بحمد الله جامعا لاشتات هدذا العام » (۱) .

متى ألغه :

وقد ألفه قبل سنة ٧٢٤ هـ أو في هذه السنة على أقل تقدير ، لان

⁽١) الايضاح ص ١ .

احدى نسخه كتبت فيها ، ومن هنا لا نرى وجها لما ذهب اليه الاستاذ النحولي من أن القزويني ألف كتابيه « التلخيص » و « الايضاح » وهو بمصر • وأغلب الظن ان الكتاب ألف في الشام ، لان صاحبه كان في هذا التاريخ وقبله خطيبا في الجامع الاموي وقاضيا لقضاة الشافعية في دمشق •

منهجه:

ومنهج القزويني في « الايضاح » لا يختلف عن منهج التلخيص ، وان كان يختلف عنه في العرض والتحليل اختلافا قليلا ، والمؤلف في هذا الكتاب يجمع بين طريقتي عبدالقاهر والسكاكي في البلاغة ، ويمتاز بجودة أسلوبه وهو أسلوب عربي مبين ليس فيه تكلف واسراف في الصنعة ، ولا التواء الاعاجم في التعبير ، وقد أضاف الاستطراد الى المحسنات المعنوية وكان قد أغفل ذكره في التلخيص ، وناقش السكاكي وعبدالقاهر ورد عليهما في كثير من المواضع مما سنذكره في الفصل القادم ،

والايضاح أهم شروح التلخيص، وأروع كتب مدرسة البلاغة الكلامية التي كان السكاكي شيخها ، وهو أجدى نفعا للدارسين من الشروح الاخرى ، وان كانت المصطلحات العلمية والعبارات الفلسفية والبحوث والتقسيمات النظرية تؤوده وتضفي عليه ظلالا ثقيلة ، والايضاح بعد هذا كله خلاصة بحوث علماء البلاغة العربية منذ نشأتها حتى عصره ،

مخطوطاته:

ومخطوطات الايضاح كثيرة ، منها في دار الكتب بالقاهرة :

- (۱) نسخة كتبها موسى بن عسر ؛ فرغ من كتابتها في العشر الاول من شهر صفر ۷۷۳ هـ ، وبهامشها تقييدات كثيرة رقمها ١ بلاغة ٠
 - (٢) نسخة بها خرم في الاول رقمها ١٤٤٠.

- (٣) نسخة اخرى رقمها ١٦٢ ٠
- (٤) نسخة بخط بدرالدين السيرايي ، فرغ من كتابتها في وقت الضحى من يوم الجمعة الرابع والعشرين من شهر رمضان سنة ٧٣٢ هـ في بلدة خوارزم ، بها خرم في الاول ورقمها ١٩٧ ٠
- (o) نسخة بخط على بن الحسن بن محمد بن عبدالسلام الرجائي الاصفهاني ، فرغ من كتابتها في يوم السبت غرة شهر جمادى الآخرة سنة ٧٧٣ هـ ، ورقمها ٣ م ٠

وفي معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية في القاهرة نسخةقديمة مصورة كتبت سنة ٧٢٤ هـ بخط محمد بن علي بن محمد الجرجاني صاحب « الاشارات في البلاغة » ، والنسخة الاصلية محفوظة في مكتبة ولى الدين بتركية ، وهي ١٤٥ ورقة حجم متوسط .

وفي مكتبة الأوقاف العامة ببغداد نسختان : الاولى رقمها ١٧١٦ وهي ٢٧×١٦ س ، وقدد وهي ٢٣×١٦ س ، وقد كتبت سنة ٧٤١ هـ ٠

وفي مكتبات الموصل نسخ مخطوطة منها نسخة مكتبـــة جامع الباشا ، وجامع الحجيات ، والمدرسة المحمدية ، ومدرسة الملا زكريا .

وفي مكتبة جامعة ييل في نيوهافن بالولايات المتحدة الامريكية نسخة كتبت في دمشق سنة ٧١٥ هـ (١) .

وفي مكتبة المشهد الرضوي بايران نسخة كتبها حسن بن يوسف سنة ٧٦٥ هـ ، خطها نسخ ، ١٣٠ سطرا في الصفحة ، وقد أوقفها حاج سيد محمد سنة ١٣٠٩ هـ ، وعدد اوراقها ٢٢٨ (٢) .

وفي خزانة ولي الدين نسخة مكتوبة بقلم نسخ رقمها ٢٧٤١٠

⁽١) ينظر جولة في دار الكتب الامريكية ص ٧٥.

⁽٢) فهرس مخطوطات المشهد الرنسوي ج٣ ص ٥٣ .

و في خزانة نور عثمانية نسخة كتبت بقلم تعليق رقمها ٤٣٧٧ ٠

وفي خزانة راغب باشا نسختان برقم ١٣٢٤ ، ٢٣٥ ٠

وفي خزانة كوبرلي وعند الاستاذ عباس العزاوي ببغداد نسبخ كثيرة منهده (۱) .

شــروحه:

وعلى الايضاح شروح كثيرة منها :

(۱) شرح جمال الدين محمد بن محمد الاقسرائي المتوفى سنة ۸۰۰هـ سماه: « ايضاح الايضاح » • وفي الشقائق ان السيد الشريف توجه اليه ليقرأ عليه فوصل اليه الشرح المذكور في الطريق فلما رآه قال: هو شرح كالذباب الاصفر على لحم البقر ، لانه كتاب مبسوط لا يحتاج الى الشرح الا في بعض المواضع ، والشارح كتب المتن بتمامه بالمداد الاحمر فبقى الشرح فيما بينها كالذباب على اللحم • وروي انه صنفه لامير قرامان فجعل له كل يوم ألف درهم (۲) • وذكر بعضهم أنه لا يعرف له شه سرحا غير شرح الاقسرائي (۲) •

وفي دار الكتب بالقاهرة نسخة منه مكتوبة بخط رسول بن حمزة بن سليمان ، وقد فرغ من كتابتها سنة ٨١٤ هـ وبهامشها تقىدات ، رقمها ٢ و ٤٥٩ ٠

وفي معهد المخطوطات بالجامعة العربية نسخة كتبت سنة٧٧٧هـ، وهي مصورة عن النسخة المحفوظة بمكتبة البلدية بالاسكندرية . وفي مكتبة الاوقاف ببغداد نسخة منه رقمها ٢٠٠٦ وهي

⁽١) ينظر تأريخ الادب العربي في العراق ج١ ص ٢١٦ ، ٢١٧ .

٢) مفتاح السعادة جا ص ١٦٩ وكشف الظنون جا ص ٢١١ وتأريخ علوم البلاغــة
 ص ١٥٤٠

⁽٣) مفتاح السعادة ج١ ص ١٦٩٠

- ۱۶ × ۲۱ س •
- (٢) شرح علاء الدين على بن عمر الاسود (٨٠٠ هـ) ٠
- (٣) شرح حيدر بن محمد الحوافي المعروف بالصدر الهروي (٨٢٠هـ)٠
- (٤) شرح المولى محيى الدين محمد بن ابراهيم النكساري (٤٠١هـ)٠
- (٥) شرح حيدرة الشيرازي برهان الدين ، وهو شرح ممزوج ذكره السيوطي (١) •

حواش على الايضاح:

وعلى الايضاح حواش منها:

حاشية الشيخ شمس الدين محمد بن محمد الجزري (۸۳۳ هـ) • وحاشية شمس الدين محمد بن احمد النكساري سماها: « الايضاح »(۲) ، وفي مدرسة الخياط بالموصل نسخة من كتاب « توضيح الايضاح » لم يذكر مؤلفها •

والايضاح من كتب البلاغة التي تدرس في المعاهد والجامعات الحديثة ، وقد نال اهتماما كبيرا وشرح وطبع عدة مرات و وأثار حركة قوية في البحث والتأليف الى جانب اثارته الاحقاد والضغائن بين الناشرين والمحققين و وتتجلى هذه الخصومة في المشادة العنيفة التي قامت بين الاستاذين عبد المتعال الصعيدي ومحمد عبدالمنعم خفاجي ، واحتد الجدل وكثر الرد ، وقد صور الاستاذ خفاجي هذا الجدل والنقاش في كتابه « فصول في النقد » ، وفي كتاب الايضاح (٤) .

طبعاته:

ومن طبعات الكتاب:

(۱) طبع بهامش كتاب شروح التلخيص ، وليس عليه تعليق أوشرح،

- (١) بغية الوعاة ص ٢٤٠ ومفتاح السعادة ج١ ص ١٦٩ وتأريخ علوم اللبلاغة ص١٦١٠
 - (٢) كشف الظنون ج اص ٢١١ .
 - (٢) ينظر مخطوطات الموصل ص ١٤٧ .
- 13 ينظر ص 14 ـ 17 من الكتاب الثالث منه ، والايضاح طبعة الخفاجي ح 18 الصفحات الاخرة و ج 18 س 1 ـ 18 .

- (٢) طبع في مطبعة محمد علي صبيح واولاده بالقاهرة عدة مرات، منها سنة ١٣٤٨ هـ ، بتصحيح احمد مصطفى الفقي ، وسنة ١٣٦٦هـ وهاتان الطبعتان من أردأ طبعات الايضاح ، لانها مشحو نة بالاخطاء الفظيعة والتصحيف الكثير ، وليس فيها تصحيحات في الهوامش أو تعليقات توضح غامض الكتاب ، وتجلو معانيه الملتوية ، وليس فيه تكملة لشاهد أو لنص ، ولا نسبة بعضها الى قائلها ، وقد تداخلت بعض العبارات ، وضاعت بينها الابيات الشعرية ،
- (٣) وطبعه الاستاذ عبدالمتعال الصعيدي في اربعة أجزاء ولما رأى فيه غموضا والتواء كشف عن هذا الغموض وجلتى الالتباس بكتابه : « بغية الايضاح لتلخيص المفتاح » ، وهو في اربعة أجزاء وأضاف اليه تمرينات لم يذكرها القزويني ، وبذلك أضفى على الكتاب مسحة مدرسة •
- (٤) وقام بتحقيقه والتعليق عليه الاستاذ محمد عبدالمنعم خفاجي ، وظهرت طبعته الاولى سنة ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م) في ستة أجزاء، وأعاد طبعه مشروحا شرحا وافيا سنة ١٣٧٢ هـ (١٩٥٧ م) ولم يكمله حتى الآن ، يقول المحقق : « هذا شرح جديد للايضاح ، يتناول بالبحث ، والتحليل ، والدراسة ، والتعليق ، والشرح ، جميع مسائله وشواهده ، ويشير الى مصادره ومراجعه التي ألف منها الخطيب هذا الكتاب ، وهو عمل سيكون له أثره في البلاغة العربية وفي خدمة الايضاح ، وتذليل صعوبات البحث فيه »(١).

ويمتاز هذا الشرح بدقة البحث ، ووضوح الشرح ، وتحليل المذاهب المختلفة ، وإن ملاء صاحبه بسا لا يست الى كتاب القزويني بصلة كمقالاته التي نشرها في المجلات .

ومهما يكن من شيء فقد بذل الاستاذ خفاجي جهدا في شرحه واخراجه .

⁽۱) الايضاح ج ا ص ۱۳ ۰

(٥) وطبعه الاستاذ عزالدين التنوخي عضو المجمع العلمي العربي بدمشق وسماه: «تهذيب الايضاح»، وهو في ثلاثة أجزاء، ولم يتبع الشارح ترتيب القزويني في الكتاب، وانما قديم وأخر فكان الجزء الاول للبديع، والثاني للبيان، والثالث للمعاني، وأضاف اليه تمرينات كثيرة ونماذج محلولة، ولم يكتف بهذا وانما حذف من الكتاب ما يتعلق بالقضايا الفلسفية، وكللم القزويني في الملكة، واختلاف ابراهيم النظام والجاحظ من علماء الكلام في مفهوم الخبر، وعبارة السكاكي في بحث لازم فائدة الخبر، وتعريفه للحقيقة العقلية، ودفاعه عن تعريفه، واعتراض القزويني على هذا التعريف، وتعريفه للمجاز العقلي، ودفاعه، واعتراض واعتراض القزويني الذي اعترض عليه بهاءالدين السبكي في واعتراض القزويني الذي اعترض عليه بهاءالدين السبكي في وعروس الافراح»(۱) ه

وحذف فصلا كبيرا من الايضاح ، هو بحث السرقات الذي تكلم عليه البلاغيون والنقاد العرب منذ القديم ، والمحذوف : أنواع الاتفاق في المعنى ، الاتفاق في عموم الغرض وحكمه ، الاتفاق في الدلالة على الغرض وأنواعه ، الاتفاق فيما يشترك الناس في معرفته ، الاتفاق فيما لا ينال الا بفكر ، ضروب الاخذ، الاخذ الظاهر وأنواعه ، الانتحال أو النسخ ، الاغارة او المسخ، الالمام او السلخ ، الاخذ الخفي وأنواعه ، النقل ، القلب ، خير أنواع الاخذ .

وعلل التنوخي عمله هذا بقوله: « ونحن آثرنا حذفه ، لانه من فن النقد ، ولانه ليس كل ما يفيد من غير الفن الثالث مما يجب ذكره وأيضاحه ، ولكننا أثبتنا ما يتصل بفن السرقات كالاقتباس والتضمين والعقد والحل والتلميح ، لانا نرى أن همذه الانواع الخمسة من

⁽١) ينظر تهذيب الايضاح ج٣ ص ٢٦ ، ٨٤ ، ٧٤ وغيرها .

المحسنات البديعية وهي التي لا بأس بذكرها لفائدتها وعلاقتها بتراثن الادبي الذي ندرسه ، وانما جعل هذه الانواع الخمسة مما يتصـــل بالسرقات لانها تشبهها بأن في كل منها اخذ شيء من اخر »(١) •

ولم يضع الفصل الثاني عنوانا لبحث الابتداء والتخلص والانتهاء وانما وضع له عنوان « الخاتمة » وقال : « اخترنا هذا العنوان بدل الفصل الثاني لاننا حذفنا الفصل الاول : فصل السرقات الشعرية ، لانه من بابة النقد »(۲) •

وهذا لا يجوز في التحقيق العلمي، وكان من الدقة أن يذكر هذه المسائل ، ويشير اليها في الهوامش ويشرح ما غمض منها لا ان يحذفها ويغير فيها ، ولعل عذره في ذلك أنه طبع الكتاب ليدرسه الطلاب الذين أشفق الاستاذ عليهم اشفاقا عظيما .

(٦) وقامت بتحقيقه وطبعه لجنة من اساتذة كلية اللغة العربية بجامعة الازهر اختارها وأشرف عليها فضيلة شيخ الكلية الاستاذ محمد محيى الدين عبدالحميد وطبع الكتاب في مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة ، وقد كتبوا لها تقديما في اثنتي عشرة صفحة ، تحدثوا فيها عن البلاغة والنقد ، واشاروا الى القزويني وما عمله في البلاغة وقسموا الكتاب الى جزءين : الاول في المعاني ، والثاني في البيان والبديع ، وهو في مجلد واحد في ٤٦٤ صفحة ،

وتمتاز هذه الطبعة بالدقة والترتيب الجيد ووضع العناوين التي تُسكيّل ُ قراءته والاستفادة منه • ويمكن القول بأن هذه الطبعة من أحسن طبعات الايضاح وأدقها •

هذه آثار الخطيب القزويني التي عرضنا لها بالتفصيل ، ولكن من أين استقى مادتها ؟٠٠ ومن الذين تأثر بهم ونقل عنهم ؟٠

⁽۱) تهذیب الایضاح ج۱ هامش ص ۳۰۰ ۰

⁽٢) تهديب الايضاح ج١ هامش ص ٣٤٠٠

الفصرالثالث

مصادره

ذكر جلال الدين القزويني في فاتحة التلخيص أن كتابه تلخيص للقسم الثالث من مفتاح العلوم ، وانه قام بهذا الجهد لما رأى المفتاح غير مصون عن الحشو والتطويل والتعقيد قابلا للاختصار ، مفتقرا الى الايضاح والتجريد ، ولم يقف عندما جاء به السكاكي ، بل اضاف اليه فوائد عثر عليها في بعض كتب القوم ، وزوائد لم يظفر في كلام احد بالتصريح بها والاشارة اليها ،

وذكر في مقدمة الايضاح أنه وضعه شرحا لكتاب التلخيص ، ولم بكتف بما فيه أو في «مفتاح العلوم» ، وانما أضاف اليه ما خلا عنه من كلام الشيخ عبدالقاهر في كتابه « دلائل الاعجاز » « واسرار البلاغة» ، وما ذكره رجال البلاغة وما هداه اليه فكره ، ولم يذكر في مقدمة كتابيه الا مفتاح العلوم وكتابي عبدالقاهر ، اما الكتب الاخرى التي يبدو أنه استفاد منها فلم يذكرها كما فعل ابن منقذ ، وابن ابي الاصبع المصري وبهاءالدين السبكي الذين ذكر وامصادرهم وقدسارعلى

طريقة بدرالدين بن مالك في «تلخيص المفتاح»، ولم يشر اليه في مقدمته ، ولم يذكر فضله واتجاهه في تهذيب المفتاح وترتيبه و ولا نجد في كتابيه إشارات الا الى القاضي ابي الحسن الجرجاني صاحب « الوساطة بين المتنبي وخصومه » ، وعبدالقاهر ، والزمخسري والسكاكي ، وابن المالاثير ، وابن ابي الاصبع المصري مؤلف « تحرير التحبير »و « بديع القرآن » ، أما غيرهم من علماء اللغة والبلاغة كالمبرد ، والرماني ، والعمري ، وابن سنان ، وبدر الدين بن مالك ، فانه لم يشر اليهم ،

مع المبسرد:

وقد حاولنا أن نجد أثر المبرد (٢٨٥ هـ)(١) قلم نجد أثره في القزويني واضحا الا ما ذكره السبكي ، يقول وهو يتحدث عن المؤكدات: «قال: وتقول لمن يبالغ في الانكار: اني لصادق ، ومن ذلك قوله تعالى حكاية عن رسل عيسى عليه الصلاة والسلام حين ارسلهم الى اهسل انظاكية اذ كذبوا في المرة الاولى « إِنّا اليكم مثر سكلون »(٢) ، وفي الثانية لما تكرر منهم الانكار: «ربتُنايك علم أٍنّا إليكم لكمر أسكلون»(١)، وفقل المصنف هذا الترتيب عن المبرد (٤) .

مع الجرجاني:

وتابع القزويني صاحب « الوساطة » علي بن عبدالعزيز الجرجاني (٣٦٦ هـ) (٥) في التشبيه المحذوف الاداة ، وهل هو استعارة أوتشبيه بليغ • فاذاكان المشبه غير مذكور ولا مقدر مثل: «رنتالنا ظبية» و «لقيته أسدا » فلا خلاف ان هذا ليس بتشبيه ، وان الاسم فيه استعارة ، واذا كان المشبه مذكورا أو مقدرا فاسم المشبه به ان كان خبرا أو في حكم

⁽١) تنظر ترجمة المبرد في تأديخ بغلاد ج١ ص ١٧٠ ، وانباه الرواة ج٢ ص ١٤٣ ٠

⁽۲) سورة يس ، الآية ١٤ .

⁽٣) سورة يس ، الآية ١٦ .

⁽٤) عروس الافراح ج ا ص ٢٠٦٠

⁽٥) تنظر ترجمته في معجم الادباء ج١٤ ص ١٤ ، وطبقات الشافعية ج٢ ص ٣٠٨ ٪

الخبر ، كخبر «كان » و « إِن » ، والمفعول الثاني لباب علمت، والحال، فالاصح "أنه يسمى تشبيها ، وان الاسم فيه لا يسمى استعارة •

هذا رأي القزويني وهو متابعة لصاحب الوساطة الذي فرق بين التشبيه والاستعارة على هذا الوجه أو يقرب منه ، يقول : « وربما جاء في هذا الباب ما يظنه الناس استعارة وهو تشبيه أو مثل ، فقد رأيت بعض أهل الادب ذكر أنواعا من الاستعارة عد فيها قول ابي نواس :

والحبُّ ظهر أنت راكبت فاذا صرفت عنانكه انصرفا

ولست أرى هذا وما اشبهه استعارة ، وانما معنى البيت أن الحب مثل ظهر ، أو الحب كظهر تديره كيف شئت اذا ملكت عنانه فهو اما ضرب مثل او تشبيه شيء بشيء ، وانما الاستعارة ما اكتفى فيها بالاسم المستعار عن الاصل ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها وملاكها تقريب الشبه ومناسبة المستعار له للمستعار منه وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينهما منافرة ولا يتبين في احدهما إعراض عن الآخر »(۱) .

وصرح القزويني بهذه المتابعة فقال: « وهو اختيار المحققين كالقاضي أبي الحسن الجرجاني ، والشيخ عبدالقاهر ، والشيخ جارالله العلامة ، والشيخ صاحب المفتاح _ رحمهم الله _ »(٢) .

مسع الرماني:

وذكر السبكي أن الذي ذكره القزويني في تقسيم الايجاز الى اليجاز الى المجاز قصر ، وايجاز حذف ، وغيره تبع فيه جميعه الرماني المتوفىسنة (٣٨٦ هـ)(٢) • واذا رجعنا الى ما ذكره الرماني ، والقزويني وجدنا

⁽١) الوساطة ص ١١ ، وينظر الايضاح ص ٢٨٠ .

⁽٢) الايضاح ص ٢٨١٠

⁽٣) عروس الافراح ج٣ ص ٢٠٢ ، وتنظر ترجمة الرماني في تأريخ بغداد ج١١. ص ١١) ومعجم الادباء ج١٤ ص ٧٢ .

تشابها بينهما ، ولكن الاخير امتاز بالعرض المفصل ، والشرح المسهب ، والتقسيمات الكثيرة ، فقد ذكر الرماني أن الايجاز حذف وقصر ، والايجاز بعد ذلك على ثلاثة اضرب : الايجاز بسلوك الطريق الاقرب دون الابعد ، وايجاز باعتماد الغرض دون ما تشعب ، وايجاز باظهار الفائدة بما يستحسن دون ما يستقبح ، وانتهى الى ان للايجاز فضيلة وعلوا على سائر الكلام ،

وقسمه الخطيب الى ايجاز القصر وايجاز الحذف ، ويكون الاخير اما بحذف المضاف ، أو الموصوف ، او الصفة ، او جواب الشرط ، او حذف جزء من اجزاء الجملة،أو حذف جملة مضمونها مسبب بعد ذكر، أو جملة مضمونها سبب بعد ذكر مسببه ، او الحذف باكثر من جملة ، وقد فصل في هذه الموضوعات تفصيلا لا نجده عند الرماني (١) .

مع المسكري:

وكان لابي هلال العسكري (٥٩٥هـ)(٢) اثر فيما كتب القزويني عن الحذف ، يقول العسكري : « ومن الحذف الرديء قول الحارث ابن حلزة :

والعيب شخير" في ظلل ل النوك (١) ممن عاش كداً

وانما اراد: والعيش الناعم خير في ظلال النوك من العيش الشاق في ظلال العقل .

ومثله قول عروة بن الورد:

عجبت لهم اذ يقتلون تفوسكم وقتلهم عند الوغى كان أعــ ذرا

يعني: اذ يقتلون نفوسهم في السلم(١) .

⁽١) النكت في اعجاز القرآن ص ٧٠ وما بعدها ، والايضاح ص ١٨٢ وما بعدها .

⁽٢) تنظر ترجمة المسكري في معجم الادباء ج ٨ ص ٢٥٨ ، ويغية الوهاة ص ٣٢١ ، وكتاب « أبو هلال العسكري ومقابيسه البلاغية والنقدية » .

⁽٣) النوك: الحمق .

⁽٤) كتاب الصناعتين ص ٨٨ . ١٨٨

ونقل القزويني هذين المثالين وعلق عليهما بكلام العسكري نفسه ، فقال عن البيت الاول: « فانه اراد العيش الناعم في ظلال النوك خير من العيش الشاق في ظلال العقل » وقال عن الثاني: « انه اراد اذ يقتلون نفوسهم في السلم »(١) • وهذا يكفي للتدليل على اتفاق الرجلين في الموضوع •

ادعساء:

وأول ما يطالعنا في مقدمة « الايضاح » ادعاء مؤلفه بأنه لم يجد فيما بلغه من أقوال في تفسير الفصاحة والبلاغة ما يصلح لتعريفهما به ، ولا ما يشير الى الفرق بين كون الموصوف بهما الكلام ، وكون الموصوف بهما المتكلم ، وهذه دعوى عريضة لا نجد ما يبررها ، لان القدماء أطنبوا في بحث هذه الموضوعات ، وتوسعوا فيها ، ووضحوا كل شيء ، ولعل الجاحظ (٢٥٥ هـ) كان من اقدم الذين تعرضوا لبحث الفصاحة والبلاغة ، وذكر كثيرا من صفات الالفاظ ، وقال : إن من الفاظ العرب الفاظ تتنافر وان كانت مجموعة في بيت شعر لم يستطع المنشد انشادها الا ببعض الاستكراه ، من ذلك قول الشاعر :

وقب رُ حَرَ ْبِ بِمَكَانِ قَفْر وليسقَرُ ْبُ قبرِحَرَ ْبِ قَبْرُ أَ ومن ذلك قول ابن يسير في احمد بن يوسف حين استبطأه:

كم لها وقفة بباب كريم وجعت من نداه بالتعطيب لو لا أديل الآمال بعدك اني بعدها بالآمال جيد بخيل و لم يضرها والحمد لله شيء وانثنت نحوعَز فُ نَقْس ذَهُولُ

يقول الجاحظ: « فتفقد النصف الاخير من هذا البيت ، فانك ستجد بعض الفاظه تتبرأ من بعض »(٢) • ولكن الجاحظ لم يجمع هذه الاحكام في ابواب خاصة ، وانما نثرها في كتابه كاسلوبه في البحث

⁽¹⁾ الايضاح ص ١٧٧٠

⁽٢) البيان والتبيين ج١ ص ٦٦٠

والتأليف ، فكان موضع نقد ابي هلال الذي قال : « الا ان الابانة عن حدود الشعر ، واقسام البيان والفصاحة مبثوثة في تضاعيفه ، ومنتشرة في اثنائه ، فهي ضالة بين الأمثلة لا توجد الا بالتأمل الطويل ، والتصفح الكثير »(١) .

وحاول ابو هلال ان يرتب هذه المسائل ، ويهذبها ، فعقد في «كتاب الصناعتين » فصولا في الابانة عن موضوع البلاغة في اللغة ، والقول في انفصاحة ، وما يتشعب منه ، والابانه عن حد البلاغة وتفسير ما جاء عن الحكماء والعلماء في حدودها ، وفرس تبين الفصاحة والبلاغة ، وذكر أن البلاغة هي كل ما تبلغ به قلب السامع فتمكنه في تفسه لتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن ، وذكر ان الفصاحة قد اختلف في معناها فقال قوم: انها من قولهم افصح فلان عما في تفسه اذا اظهره ، وقال بعضهم : الفصاحة تمام آلة البيان (٢) ،

مع ابن سسنان:

وذكر ابن سنان الخفاجي (٤٦٦ هـ) أن الفصاحة مقصورة على وصف الالفاظ ، والبلاغة لا تكون الا وصفا للالفاظ مع المعاني ، ولهذا لا يقال في كلمة واحدة لا تدل على معنى يفضل عن مثلها بليغة ، وإن قيل فيها فصيحة ، وكل كلام بليغ فصيح وليس كل فصيح بليغا ، وذكر حدودا مختلفة للبلاغة ، ولكنه لم يعجب بواحد منها ، ثم قال : « إن انفصاحة على ما قدمنا نعت للالفاظ اذا وجدت على شروط عدة ، ومتى كاملت تلك الشروط فلا مزيد على فصاحة تلك الالفاظ ، وبحسب الموجود منها تأخذ القسط من الوصف ، وبوجود اضدادها تستحق الاطراح والذم »(٢) ، وقسم تلك الشروط الى قسمين : الاول منها يوجد في اللفظة الواحدة على انفرادها من غير ان ينضم اليها شيء من

⁽۱) كتاب الصناعتين ص ٥ .

⁽٢) كتاب الصناعتين ص ٧ .

⁽٣) سر الفصاحة ص ٦٥٠

الالفاظ وتؤلف معه • والثاني يوجد في الالفاظ المنظوم بعضها مع بعض •

فاما الذي يوجد في الالفاظ المنظومة فثمانية اشياء:

الاول: ان يكون تأليف تلك اللفظة من حروف متباعدة المخارج والثاني: أن تجد لتأليف اللفظ في السمع حسنا ومزية على غيرها وأن تساويا في التأليف من الحروف المتباعدة •

والثالث: أن تكون الكلمة غير متوعرة وحشية • والرابع: ان تكون الكلمة غير ساقطة عامية •

والخامس: أن تكون الكلمة جارية على العرف العربي الصحيح غير شـــاذ .

والسادس: ألا تكون الكلمة قد عبر بها عن أمر آخر يكره ذكره، فاذا وردت وهي غير مقصود بها ذلك المعنى قبحت وان كملت فيها الصفات المذكورة سابقا ٠

والسابع: أن تكون الكلمة معتدلة غير كثيرة الحروف ، فانها متى زادت على الامثلة المعتادة المعروفة قبحت وخرجت عن وجه من وجوه الفصاحة .

والثامن : ان تكون الكلمة مصغرة في موضع عبر بها فيه عن شيء لطيف ، أو خفي ، أو قليل ، او ما يجري مجرى ذلك .

وطبق هذه الشروط على الالفاظ المؤلفة ، ونفى منها ما لم يصح، واثبت ما صح وكان له أثر كبير في الكلام .

وبحث الفصاحة كثير من علماء البلاغة كابن رشيق ، وعبدالقاهر، وجاء ابن الاثير وبحثها بحثا واسعا ، وردَّ على ابن سنان ردا عنيفا ، وفند آراءه ، ولم يأخذ الا بالقليل النادر منها(١) .

⁽۱) ينظر المثل السائر ج١ ص ١٥٢ ، والجامع الكبير ص ٣٤ ، ٣٩ ، ٧٧ .

وكان لبحثي ابن سنان وابن الاثير في الفصاحة اثر فيمن جاء بعدهما، فقد لخصهما علماء البلاغة المتأخرون، وجعلوهما في مقدمة ما يعرضون من علوم البلاغة وعلى هذا الاساس سار القزويني في بحث الفصاحة م فجعلها مقدمة لكتابيه « التلخيص » و « الايضاح » ، وبذلك خرج على السكاكي الذي بحثها بعد موضوعات علم البيان ، وقسمها الى قسمين: قسم راجع الى المعنى وهو خلوص الكلام عن التعقيد، وقسم راجع الى اللفظ وهو ان تكون الكلمة عربية أصيلة ، وعلامة ذلك أن تكون عى ألسنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم كثيرة الدوران، واستعمالهم لها أكثر ، لا مما أحدثها المولدون ، ولا مما اخطأت فيسه العامة ، وأن تكون الجرى على قوانين اللغة ، وأن تكون سليمة عن التنافر ، أما المراد بتعقيد الكلام فهو أن يعثر صاحبه فكرك في متصرفه، ويشعب ظنك الى المعنى ، ويوعر مذهبك نحوه حتى يقسم فكرك ، ويشعب ظنك الى ان لا تدري من اين تتوصل وبأي طريق معناه

وما مثلثه في الناس إلا مملكاً أبو أمّه ِ حي ُ أبوه يقار ِبُ ه وكفول أبي تمام :

ثانيه في كبد السماء ولم يكن كاثنين ِ ثان ٍ اذ هما في الغار (١)

ويرى الاستاذ محمد عبدالمنعم خفاجي أن ما ذكره القزويني في « التلخيص »و «الايضاح» هو خلاصة ما اقتبسه من ابن سنان (۲) وهو رأي لا ينطبق تماما على ما نلاحظه من تفاوت بين الرجلين في البحث ، وان استفاد القزويني من ابن سنان استفادة عظيمة ، ونقل بعض أمثلته وتقسيماته ، ولعل المتابعة التامة تتضح في تقديم بحث الفصاحة على فنون اللاغة الاخرى ،

⁽۱) ينظر مفتاح العلوم ص ١٩٦٠.

⁽٢) ينظر الايضاح (طبعة خفاجي) ج١ هامش ص ٢٦٠٠

ونقل عنه نقلا تاما تعليقه على بيت المتنبي :

ولافتضن فيهم للشجاعة والنتدى وصبرالفتي لولا لقاء شعتوب

وهذا يدلنا دلالة واضحة على ان القزويني استفاد من « ســـر الفصاحة »، ولكنه عرف كيف يُخفي نقله ، ويرتب موضوعات كتابه.

مع ابن الاثير:

ويبدو تأثر القزويني واضحا بابن الآثير في بحث السرقات ، والعقد والحل ، وحسن الابتداء ، والتخلص ، والانتهاء ، وقد اشار اليه في هذه الموضوعات وسماه صاحب « الوشي المرقوم في حل المنظوم » •

لقد تحدث ابن الاثير عن السرقات وألئف كتابا في ذلك لم يصل الينا وبحثها في كتابه «الجامع الكبير» ولكنه بحثها بالتفصيل في: «المثل السائر» وقسمها الى خمسة أقسام: النسخ ، والسلخ ، والمسخ ، والحسف المعنى مع الزيادة عليه ، وعكس المعنى الى ضده ، ويكاد يكون بحث السرقات عند القزويني قريبا من بحث ابن الاثير ، فقسد قسمه الى ضربين : ظاهر ، وغير ظاهر ، والظاهر ان يؤخذ المعنى كله أما مسع اللفظ كله أو بعضه ، وأما وحده، ويسمى الاول : الانتحال او النسخ، والثاني: الاغارة او المسخ ، والثالث: الالمام او السلخ ، والاخذ الخفي أو بقل عني الطاهر أنواع منها أن يتشابه معنى الاول ومعنى الثاني ، أو ينقل معنى الاول الى غير محله ، او ان يكون معنى الشاني نقيض الاول ، وهذه الاقسام لا تخرج عن الاقسام التي ذكرها ابن الاثير وان كانت تختف بعض الاختلاف في الترتيب والامثلة (٢) ،

وتكلم ابن الاثير على التضمين ، وهذا النوع فيه نظر بين حسن يكتسب به الكلام طلاوة ، ومعيب عند قوم ، وهو عندهم معدود من

⁽¹⁾ ينظر سر الفصاحة ص ١٧٥ ، والايضاح ص ١٧٨ -

⁽٢) ينظر المثل السائر ج٢ ص ٣٦٢ وما بعدها ، والإيضاح ص ٤٠١ وما بعدها .

عيوب الشعر ، فالحسن الذي يكتسب به الكلام طلاوة هو أن يضمن الآيات والاخبار النبوية ، وذلك يرد على وجهين : احدهما تضمين كلي، والآخر تضمين جزئي ، فاما التضمين الكلي : فهو أن تذكر الآية والخبر في بحملتهما ، وأما التضمين الجزئي فهو أن تدرج بعض الآية والخبر في ضمن الكلام فيكون جزء منه ، وأما المعيب عند قوم فهو تضمين الاسناد ، وذلك يقع في يبتين من الشعر أو فصلين من الكلام المنثور على أن يكون الاول منهما مسنداً الى الثاني فلا يقوم الاول بنفسه ، ولا يتم معناه الا بالثاني، وهذا هو المعدود من عيوب الشعر وهو عند ابن الاثير غير معيب « لانه ان كان سبب عيه أن يعلق البيت الاول على الثاني فليس ذلك بسبب يوجب عيبا اذ لا فرق بين البيتين من الشعر في تعلق احداهما الاخرى » (۱) أو أن يضمن الشاعر شعره والناثر نثره كلاما آخر بغيره بغيره اللاخرى » (۱) أو أن يضمن الشاعر شعره والناثر نثره كلاما آخر بغيره قصدا للاستعانة على تأكيد المعنى الشاعر البيت من شعره بنصف بيت أوأقل منه كما قال حصف بيت أوأقل منه كما قال حصفة :

قَتُم و فاسقنيها يا غلام وغنني ذ هنب الذين يتُعاش في أكناف مِم

واعتبر القزويني تضمين الكلام شيئا من القرآن أو الحديث اقتباسا • أما التضمين عنده فهو أن يضمن الشعر شيئا من شعر الغير مع التنبيه عليه ان لم يكن مشهورا عند البلغاء (٢) •

وعقد ابن الاثير فصولا في المباديء والافتتاحات ، وفي التخلص والاقتضاب ، وأجاد في بحثها ، وأكثر من الامثلة والشواهد الجيدة، وتكلم القزويني عليها ولكنه لم يستطع ان يحلق كما حلق سابقه ، وأن يجود كما جود في العرض والتحليل .

⁽١) المثل السائر ج٢ ص ٣٤٢ .

⁽٢) الايضاح ص ٤١٦ ، ٨٩ .

مع أبن أبي الاصبع:

واطلع القزويني على ما كتبه ابن ابي الاصبع المصري وان لم يشر الى ذلك ، ونقل عنه القول بالموجب الذي ابتدعه المصري ، وان قال ابن حجة للحموي انه هو واسلوب الحكيم سواء (۱) وهذا ما لا يرضاه الباحث المدقق عندما يمعن النظر في الموضوعين ، ويقارن بينهما وهما وان اتفقافي كون كل منهما اخراج الكلام على غير مقتضى الظاهر ، فانهما يفترقان في الغاية و فالهدف من القول بالموجب رد كلام المتكلم وعكس معناه ، وهدف الثاني : تلقي المخاطب بغير ما يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيها على أنه الاولى بالقصد اوالسائل بغيرما يتطلب تنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيها على أنه الاولى بحاله والمهم له (۲) و وتكلم عليه عبدالقاهر وسماه مغالطة (۳) و وتحدث السكاكي عن اسلوب الحكيم، وقال عنه بأنه تلقي المخاطب بغير ما يترقب كما قال الشاعر :

أتت° تشتكيعنديمزاولة القرى وقد رأت الضيفان ينحون منزلي فقلت: كأني ما سمعت كلامها: هم الضيف جدى في قراهم وعجلي

أو السائل بغير ما يتطلب كما قال تعالى: « يكسَّالُوهُكَ عن الأهلِيّة ، قُلُ هي مكواقيت للناس والحكج من القيد المحملنك على القبعثرى الخارجي للحجاج لما قال له متوعدا بالقيد : المحملنك على الادهم ، فقال متغاييا : مثل الامير يحمل على الادهم والاشهب ، فابرز وعيده في معرض الوعد واراه بالطف عبارة ان مرء مثله مطاع الامر وفي بسطة اليد خيق بأن يعد الا أن يوعد (٥) ،

⁽۱) ينظر خزانة الادب ص ۱۱٦ .

 ⁽۲) ينظر بديع القرآن هامش ص ٣١٤ ، وابن ابي الاصبع المصري بين علماه
 البلاغة ص ٣٢١ .

⁽۳) ينظر دلائل الاعجاز ص ۱۰۷ .

⁽٤) سورة البقرة ، الآية ١٨٩ .

⁽٥) ينظر مفتاح العلوم ص ١٥٥ ـ ١٥٦ .

وتكلم القزويني عليه في « التلخيص »(١) ، وبحثه بالتفصيل في « الايضاح » وقال عنه : « ومن خلاف المقتضى ما سماه السكاكي الاسلوب الحكيم وهو تلقي المخاطب بغير ما يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيها على انه الاولى بالقصد ، او السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سمواله منزلة غيره تنبيها على انه الاولى بحاله أو المهم له »(٢) ، وهو قسمان : الاول : كقول القبعثرى والبيتين المتقدمين ، والثاني : كقوله تعالى: « يسمالونك عن الأهبات ، قال هي مواقيت للناس والحكج »وكقوله: «يسمالونك عن الأهبات ، قال ، ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين والاقربين واليتامى والمساكين وابن الستبيل »(٢) ،

ولو كان الاسلوب الحكيم هو القول بالموجب نفسه لما بحثه القزويني مرتين: مرة في علم المعاني واخرى في فنون البديع ومن هنا يتضح اختلاف هدفي الفنين، وان اتفقا في انهما اخراج الكلام على غير مقتضى الظاهر ويقول ابن أبي الاصبع المصري عن القول بالموجب: «هو أن يخاطب المتكلم مخاطبا بكلام فيعمد المخاطب الى كل كلمة مفردة من كلام المتكلم فيبني عليها من كلامهما يوجب عكس معنى المتكلم، لان حقيقة القول بالموجب رد الخصم كلام خصمه من فحوى كلامه ومثل له بقول ابن حجاج:

قُلُتُ: ثُقَالُتُ اذاً تيت مرارِا قال: ثَقَالُت كاهلي بالأيادي

قُـُلُت مُ : طَـو النُّت مُ قال : لا بل تطولت، وأبرمت م قال : حبل و دادي

وقول ابن الدويدة المغربي في رجل أودع بعض القضاة مالا ً فادعى ضياعه :

۱۱ التلخيص ص ۱۷ - ۱۹ ۰

⁽٢) الأيضاح ص ٧٥٠

⁽٣) سورة البقرة ، الآية ٢١٥ .

القرآن ص ۱۱۶ ،

اِن° قال:قدضاعت فصدِّق انها أو قال: قدوقعت فصدِّق انها

ضاعت ،ولكن منك يعثني لويعي وقعت ، ولكن منه أحسسن موقع

ومن أمثلته ما جاء في القرآن الكريم: « يَقُولُونَ : لَـُـنِنَ وَمَن أَمثلته ما جاء في القرآن الاعكز منها الأذك سي (١) ٠ .

ونرجح أن الخطيب القزويني تأثر بابن ابي الاصبع الذي ابتدع هذا النوع وأضافه الى البديع • ولكن القزويني لم ينقل ماذكره المصري نقلا تاما ، وانما نظر فيه واستفاد منه ، وقسسمه تقسيما لم يذكره السابق ولم يشر اليه ، واضاف اليه أمثلة أخرى •

لقد قسم القزويني القول بالموجب الى ضربين:

أحدهما: ان تقع صفة في كلام الغير كناية عن شيء اثبت له حكم فتثبت في كلامك تلك الصفة لغير ذلك الشيء من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم له أو انتفائه ، كقوله تعالى: « يقولون: لئبن ° رَجَعْنا الى المدينة ليبُخْر جَنَ الأعزة منها الأذك ، ولله العبرة ولرسوليه وللمؤمنين) (٢) .

والثاني : حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه ، كقوله :

قُلْت : ثقلت اذ أتيت مراراً قال : ثقلت كاهلي بالايادي

قلت : طولت ، قال : لا بل تطولت وأبرمت ، قال : حَبُّ لَ ودادي ومنه قول القاضي الأرجاني :

غالطتني اذ كست جسمي الضنا كسوة عرت من اللحم العظاما ثم قالت: أنت عندي في الهوى مثل عيني ، صدقت ، لكن سقاما

 ⁽۱) سورة المنافقون ، الآية ۸ .

 ⁽٢) تكملة الآية: « ولكن المنافقين لا يعلمون » . سورة البقرة ، الآية ٨ .

ومنه قول ابن دويدة المغربي من ابيات يخاطب بها رجلا أودع بعض القضاة مالا ، فادَّعي القاضي ضياعه :

إن قال:قد ضاعت فيصدق انها ضاعت ولكن منك يعنني لو تعى

أو قال: قد وقعت فيصدق انها وقعت ، ولكن منه أحسن موقع

وقريب من هذا قول الآخر :

واخوان حسبتهم درروعها وخلتهم سيهاما صائبيات وقالوا قد صفت منا قلوب"

فكانوها ، ولــكن للاعـادي فكانوها ، وليكن في فؤادي لقد صدقوا ، ولــكن من ودادي

وقال القزويني بعد البيتين الاولين : « ولك ان تجعل نحوهمـــا ضربا ثالثا »(١) •

والتشابه بين الرجلين واضح مما يدعو الى القول بأن القزويني اخذ هذا الفن البديعي من ابن أبي الاصبع ، وان الامثلة لتـــدل دلالة أكيدة على ذلك • والفرق بينهما ان الاول لم يقسم القول بالموجب الى ضربين كما قسمه القزويني ، ولم يذكر له أمثلة كثيرة ، ومن هنا نجد القزويني لا يقلد غيره وآنما يأخذ ما عند المتقدمين ويضيف اليـــه ما يهديه اليه فكره •

وما دام القزويني قد اطلع على كتب ابن ابي الاصبع و نقل عنه القول بالموجب ، فلا بد انه استفاد منه في بحث فنون البديع ، وإن كنا لا نستطيع الجزم بذاك جزما قاطعا ، لان هذه الفنون بتحيثت منذعهد مکر۰

وذهب ابن ابي الاصبع الى ان التدبيج من ابتداعه وانه لم بسبق اليه ، وأيد ابن حجة الحموي هذا قائلا : « نوع التدبيج من مستخرجات ابن ابي الاصبع »(٢) • والحقيقة انه مسبوق اليه من

⁽۱) الايضاح ص ۳۸۲ ·

⁽٢) خزانة الادب ص ١٤١ .

علماء البديع فهو بعينه التورية او الكناية ، أو هو بعينه ما سماه ابن سنان : المخالف ، والحقه بالطباق • ويرى الدكتور حفني شرف أنايس لابن أبي الاصبع في هذا الا الاسم (۱) • وبحثه القزويني في فن الطباق متابعا ابن سنان ، ونرى انه لم يستفد من ابن ابي الاصبع الا في تسمية هذا النوع •

ونقل من شعره أمثلة قليلة منها قوله في بحث احسسن وجوه التضمين ، يقول : « واحسن وجوه التضمين أن يزيد المضمن في الفرع عليه في الاصل بنكتة كالتورية ، والتشبيه في قول صاحب التحبير (٢) :

اذا الوهم ابدى لي لماها وثغر ها تذكرت ما بين العديب وبارق ويذكرني في قدها ومدامعي مجر عو الينا، ومجرى السوابق (١٠)

مع بدرالدين بن مالك:

وتأثر القزويني ببدرالدين بن مالك وان لم يشر اليه ، ويتضح ذلك في متابعته في تلخيص مفتاح العلوم ، وقد سن بدرالدين سنة الاختصار بعد ان لخص السكاكي مفتاحه بكتاب سماه « التبيان» ونرجح أن القزويني تابعه في تسمية المحسنات بالبديع ، لاننا لم نجد احدا قبل بدرالدين اطلق عليه هذا المصطلح الذي اطلقه الرواة وابن المعتز على فنون البلاغة المختلفة ، وان السكاكي الذي قسم البلاغة وصاغها الصياغة الاخيرة لم يسمه بهذا وانما هي عنده « وجوه مخصوصة كثيرا ما يصار اليها لقصد تحسين الكلام »(٤) وقسسمالي ضربين : ضرب يرجع الى المعنى ، وآخر الى اللفظ ،

⁽۱) ينظر ابن ابي الاصبع المصري بين علماء البلاغة ص ۲۸۸ ، وبديع القرآن هامش ص ۲٤۲ ٠

⁽٢) أي تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان اعجاز القران لابن أبي الاصبع المصري ، وقد طبع بتحقيق الدكتور حفتي محمد شرف في القاهرة سيستة ١٣٨٣ هـ _ ١٩٦٣ .

[&]quot; الايضاح ص ٢٢٤.

١١٠ مفتاح العلوم ص ٢٠٠٠ .

ونقل عنه بحث تقديم المسند اليه على المسند ، فقد ذكر بدر الدين أنه يقدم اذا «دل على العموم كما تقول: كل انسان لم يقم ، فيقدم ليفيد نفي القيام عن كل واحد من الناس ، لان الموجبة المعدولة المهملة في قوة السالبة الجزئية المستلزمة نفي الحكم عن جملة الافراد دون كل واحد منها ، فاذا سورت بكل وجب ان يكون لافادة العموم لا لتأكيد نفي الحكم عن جملة الافراد لان التأسيس خير من التأكيد ولو لم تقدم فقلت: لم يقم كل انسان كان نفيا للقيام عن جملة الافراد دون كل واحد منها لان السالبة المهملة في قوة السالبة الكلية المقتضية سلب الحكم عن كل فرد لورود موضوعها في سياق النفي ، فاذا سورت بكل وجب أن يكون لافادة نفي الحكم عن جملة الافراد لئلا يلزم ترجيح التأكيد على التأسيس »(١) .

ولم يتع جب القزويني هذا التعليل فرك عليه قائلا: « وفيه نظر ، لان النفي عن جملة الافراد في الصورة الاولى اعني الموجب المعدولة المهملة كقولنا: انسان لم يقم ، وعن كيل فرد في الصورة الاانية أعني السالبة المهملة كقولنا: لم يقم انسان ، انما افاده الاسناد الى انسان فاذا اضيف «كل» الى «انسان» وحول الاسناد اليه فافاد في الصورة الاولى نفي الحكم عن جملة الافراد وفي الثانية تفيه عن كل فرد منها ، كان «كل» تأسيسا لا تأكيدا ، لان التأكيد لفظ يفيد تقوية ما يفيده لفظ آخر وما نحن فيه ليس كذلك » (٢) .

وقال ان ما ذكره بدرالدين من أن «كل» في النفي مفيدة للعموم تارة ، وغير مفيدة اخرى مشهور وقد تعرض له الشيخ عبدالقاهر وغيره وان كلام عبدالقاهر ليؤيد قول بدرالدين وان اختلفا في التعليل اذ ان كلام صاحب « المصباح » حق ، واكن تعليله غير حسن ، وقد ذكر انقزويني رأي عبدالقاهر ليشير الى التعليل الدقيق .

المصباح س ١٣٠

⁽٢) الايضاح س ٦٥٠

والفرق واضح بين بدرالدين والخطيب في التعليل ، ففي الوقت الذي نرى فيه الاول يسير على اصطلاح أهل المنطق فيذكر السالبة والمهملة والمسورة والمعدولة في هذا التعليل نجد الثاني يبتعد عنها ، وينفر منها، ويدعو الى السير على منهج اهل العربية في الشرح والتعليل ولعل في هذا المثال ما يوضح استفادة القزويني من بدرالدين وعبد القاهر في التوجيه ، وهي استفادة تظهر قدرته على الرد والمناقشة وتفي ما يراه غير مفيد ، وأخذ ما يرى فيه النفع وانارة السبيل .

وكان تأثر القزويني بهؤلاء قليلا ، ولذلك لم يشر الى اكثرهم ، ولم يقف عند آرائهم ، ويناقشهم نقاشا طويلا ، ولعل اشهر من استفاد منهم وأخذ آراءهم ورد عليهم : عبدالقاهر ، والزمخشري، والسكاكي، وقد ذكرهم في كل مسألة وموضوع ، وأخذ عنهم ورد عليهم ، ولنتابعه مع هؤلاء الثلاثة الذين بنوا للبلاغة كيانها ، واشادوا صرحها ، وارسوا ركنها الوطيد ،

القزويني وعبدالقاهر

الف عبدالقاهر الجرجاني (١) كتابين هما: «دلائل الاعجاز » و «أسرار البلاغة »، وهما قمة البلاغة العربية ، وقد سيطرت على الكتاب الاول نظرية النظم ، والنظم عنده: «ليس الا ان تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه واصوله ، وتعرف مناهجه التي نهجت ، فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها » (٢) ، ولا يقصد بالنحو معناه الضيق الذي فهمه المتأخرون ، وانما يريد به المعاني الاضافية التي يصورها النحو ،

⁽۱) تنظر ترجمة عبدالقاهر في طبقات الشافعية ج٣ ص ٢٦٢ ، وشدرات الذهب ج٣ ص ٢٦٠ ، والنجوم الزاهرة ج٥ ص ١٨٨ ، وانبأه الرواة ج٢ ص ١٨٨ .

⁽٣) دلائل الاعجاز س ٦٤٠

وتكلم في هذا الكتاب على الفصاحة ، والبلاغة ، والكناية ، والمجاز ، واللفظ ، والنظم ، والتقديم والتأخير ، والحذف ونكته ، والفصل والوصل ، والقصر ، والاختصاص ، وتحرير القول في الاعجاز ، والفصاحة ، والبلاغة وغيرها .

وأثر َ هذا الكتاب في البلاغة تأثيرا عظيما ، واستفاد السكاكي منه حينما وضع « مفتاح العلوم » ، وقد جعله المحور الاول في «علم المعاني» ، واصبحت موضوعات النظم للتأخرون ، موضوعات علم المعاني ، وسار على منهجه المتأخرون .

والكتاب الثاني في الموضوعات التي اطلق السكاكي عليها فيما بعد: «علم البيان» وقد تكلم عبدالقاهر فيه على التشبيه ، والمجاز بانواعه ، وأطال الوقوف عندها ، فكان اول من مكيّز اقسامها ، وهذّب مسائلها و وامتاز بالتحليل والنقد ، وابراز الصور الادبية في الامثلة الرائعة التي ذكرها والشواهد التي ساقها ، وكانت بحوثه في البيان احسن ما عرفته البلاغة العربية وسار علماء البلاغة على خطا عبدالقاهر ، وكان رائدهم في كل ما كتبوا ، واستاذهم فيما ذهبوا ؛ يه وما ذكروا من آراء ومناقشات ومناقشات والمنافعة على وما ذكروا من آراء ومناقشات والتي المنافعة على على المنافعة على وما ذكروا من آراء ومناقشات واستاذهم في كل ما كتبوا ، ومناقشات والمنافعة على ومناقشات والمنافعة على ومناقشات ومنافها ، وكان والمنافعة على ومناقشات ومنافها ، وكان والمنافعة على ومنافشات ومنافها ، وكان والمنافعة ومنافشات ،

ولم يستطع القزويني وهو يبحث في البلاغة أن ينجو من تأثيره، وكيف يستطيع ذلك وهو يختصر « مفتاح العلوم » الذي كان زبدة كتب عبدالقاهر ؟ وأنتى له الابتعاد عن آرائه وهو يشرح التلخيص ؟ يقول: « وعمدت الى ما خلا عنه المختصر مما تضمنه مفتاح العلوم ، والى ما خلا عنه المفتاح من كلام الشيخ الامام عبدالقاهر الجرجاني والى ما خلا عنه المفتاح من كلام الشيخ الامام عبدالقاهر البرغة » • حرحمه الله في كتابيه « دلائل الاعجاز » و « وأسرار البلاغة » • وهذا اعتراف صريح بأنه استفاد من عبدالقاهر ونقل آراءه •

الفصاحـة:

وقد استفاد منه في بحث الفصاحة ونقل تحليله وتعليقه على أبيات الشعر ، يقول عبدالقاهر معلقا على بيت العباس بن الاحنف:

سأطُّلُبُ بُعُد الدار عنكم لتقربوا وتسكب عيناي الدموع لتجمدا

« بدأ بسكب الدموع على ما يوجبه الفراق من الحزن والكمد فأحسن وأصاب ، لان من شأن البكاء أبدا ان يكون امارة للحزن ، وان يجعل دلالة عليه وكناية عنه كقولهم : ابكاني واضحكني على معنى ساءني وسرني ، وكما قال :

أبكاني الدَّه مْر ويا ر بُتَّما أضحكني الدَّه مْر بماير في

ثم ساق هذا القياس الى نقيضه فالتمس ان يدل على ما يوجبه دوام التلاقي من السرور بقوله « لتجمدا » وظن ان الجمود يبلغ له في افادة المسرة والسلامة من الحزن ما بلغ سكب الدمع في الدلالة على الكآبة والوقوع في الحزن • ونظر الى الجمود خلو العين من البكاء وانتفاء الدموع عنها ، وانه اذا قال « لتجمدا » فكأنه قال: احزن اليوم لئلا احزن غدا ، وتبكي عيناي جهدهما لئلا تبكيا ابدا • وغلط فيما ظن وذاك ان الجمود هو ان لا تبكي العين مع أن الحال حالبكاء ومع أن العين يراد منها أن تبكي ويشتكي من أن لا تبكي ، ولذلك لا ترى أحدا يذكر عينه بالجمود الا وهو يشكوها ، ويذمها ، وينسبها الى البخل ، ويعد أمتناعها من البكاء تركا لمعونة صاحبها على ما به من الهم ، الا ترى الى قوله :

ألا أنَّ عينا لم تَجُدُه يوم واسط عليك بجاري دَمُعها لجمودَ فأنى بالجمود تأكيدا لنفي الجود ، ومحال أن يجعلها لا تجود بالبكاء

وليس هناك التماس بكاء (١) .

ونقل القزويني هذا الشرح والتعليل والامثلة والابيات الشعرية، ولم يختلف عنه الا في تقديم بعض العبارات وتأخيرها وتلخيصها في يعض الاحان (٢) .

وقال عبدالقاهر عن الاضافات : « قال الصاحب: أياك والإضافات المتداخلة فان ذلك لا يحسن ، وذكر انه يستعمل في الهجاء كقول القائل:

يا علي بن حمزة بن عمــــاره أنْتَ والله ِ ثُكَلْجَة ْ في خيــاره

ولا شبهة في ثقل ذلك في الاكثر ، ولكنه إذا سلم من الاستكراه لطف وملح ومما حسن فيه قول ابن المعتز أيضا:

وظكائت تدير الراح أيدي جاذر عتاق دنانير الوجوه ملاح

ومما جاء منه حسناً جميلا قول الخالدي في صفة غلام له:

ويكعُرْ فُ الشِّعُوْرَ مثل معرفتي وهو على أن يَزيدَ مُنجُّتَهِدُ وصيرفي" القريض وزان دينا ر المعاني الدقاق منتقد درا)

وأخذ القزويني هذا الرأى وأمثلة عبدالقاهر ، وأثبته في كتاب رادً على من يذهب الى أن تتابع الاضافات من عيوب الفصاحة . ووضع قاعدة هي : ان التتابع إِن أفضى باللفظ الى الثقل على اللسان فقد حصل الاحتراز عنه ، وإلا فلا يخل بالفصاحة ، وقد قال النبي (ص): « الكريم من الكريم يوسف بن يعقوب بن استحاق بن ابراهيم »(٤) .

دلائل الاعجاز ص ۲۰۷ – ۲۰۹ ، ﴿ ﴿ ﴾ ﴿ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴿ ﴾ ﴿ ﴿ ﴾ ﴿ ﴿ ﴾ ﴿ ﴿ ﴾ ﴿ ﴿ ﴾ ﴿ ﴿ ﴾ ﴿ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّاللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّاللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّاللَّاللَّاللَّاللَّا دلائل الاعجاز ص ۸۲ ، رماج (٣)

النظيم:

واخذ عنه النظم الذي قال عنه: إنه توخي معاني النحو فيما بين الكلام على حسب الاغراض التي يصاغ لها الكلام (١) • ولم يسممة القزويني بهذا الاسم ، وانما سماه تطبيق الكلام على مقتضى الحال • وقال : إنَّ مقتضى الحال مختلف فان مقامات الكلام متفاوتة ، فمقام التنكير يباين مقام التعريف ، ومقام الاطلاق يباين مقام التقييد ، ومقام التقديم يباين مقام التأخير ، ومقام الفصل يباين مقام الوصل ، ومقام الذكر يباين مقام الحذف ، ومقام القصر يباين مقام خلافه، ومقام الايجاز الذكر يباين مقام الاطناب والمساواة ، وكذا خطاب الذكي يباين خطاب الغبي، وكذا لكل كلمة مع صاحبتها مقام (٢) •

وهـذا ما ذكره عبدالقاهر وأشار اليه بقوله: « واعلم أن " ليس النظم الا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه واصوله ، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها ، وذلك انا لا نعلم شيئا يتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه ، فينظر في الخبر الى الوجوه التي تراها في قولك « زيد منطلق » ، و « زيد المنطلق »، و « زيد المنطلق »، و « زيد المنطلق » ، و « زيد هو منطلق » ، و « زيد المنطلق » ،

وفي الشرط والجزاء الى الوجوه التي تراها في قولك : « إِنْ تَخُرُمُ جَ اخْسَرُجُتُ ﴾ ، و « انْ تَخْرُمُ جَ ْ فأنا خار ج " » ، و « أنا خار ج إِنْ خَرَجُت َ » ، و « أنا خار ج إِنْ خَرَجْت َ » ، و « أنا

⁽۱) مماتجدر الاشارة اليه أن القاضي عبد الجبار الاسد آبادي المتوفى سنة ١٥٥هـ قد بحث هذا الموضوع قبل عبد القاهر ، (ينظر المغني في أبواب التوحيد والعدل ج ١٦ ص ١٩٩ وما بعدها) ،

⁽٢) الايضاح ص ٩٠

اِن ْ خَرَجْت ٔ خارج ' » •

وفي الحال الى الوجوه التي تراها في قولك : « جاء زيد مسرعاً»، و « جاء ينسرع » ، و « جاءني وهو مسرع » ، أو « هو يسرع » ، « جاءني قد أسرع » ، و « جاءني وقد أسرع » ، فيعرف لكل من ذلك موضعه ويجيء به حيث ينبغي له ٠

وينظر في الحروف التي تشترك في معنى ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى ، فيضع كلا من ذلك في خاص معناه نحو أَنْ يجيء بـ « ما » في تفي الحال ، وبـ « لا » اذا اريد تفي الاستقبال، وبـ « ان » فيما يترجح بين أن يكون وان لا يكون ، وبـ « إذا » فيما علم أنه كائن .

وينظر في الجمل التي ترد فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل ، ثم يعرف فيما حقه الوصل موضع « الواو » من موضع « الفاء » ، وموضع « الفاء » من موضع « ثم » ، وموضع « أو » من موضع « أم » ، وموضع « لكن » من موضع « بل » •

ويتصرف في التعريف والتنكير ، والتقديم والتأخير في الكلامكله، وفي الحذف والتكرار ، والاضمار والاظهار ، فيضع كلا من ذلك مكانه ويستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي له »(١) .

وهذا ما سماه القزويني مقتضى الحال ومقامات الكلام ،يقول بعد أن تكلم على تفاوت الاساليب لتفاوت المقامات: « وهذا _ اعنى تطبيق الكلام على مقتضى الحال - هو الذي يسميه الشيخ عبدالقاهر بالنظم حيث يقول: النظم تآخي معاني النحو فيما بين الكلم على حسب الاغراض التي يصاغ لها الكلام »(٢٠) .

اللفظ والمعنى:

ونقل كلامه في البلاغة بين اللفظ والمعنى ، ووجَّه ما اضطرب فيه

دلالل الاعجاز ص ٦٤ ــ ٦٥ . ﴿ رَبُّ

الايضاح ص ٩ .

توجيها حسنا • وتلخيص ذلك ان عبدالقاهر ذكر في « دلائل الاعجاز » أن الفصاحة صفة راجعة الى المعنى دون اللفظ ، وصر حفي مواضع منه بأن فضيلة الكلام للفظه لا لمعناه • يقول : ومعلوم أن سيبل المكلام سبيل التصوير والصياغة ، وان سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيءالذي يقع التصوير والصوغ فيه كالفضة والذهب يصاغ منهما خاتم او سوار ، فكما ان محالا اذا أنت أردت النظر في صوغ الخاتم وفي جودة العمل ورداءته ان تنظر الى الفضة الحاملة لتلك الصورة او انذهب الذي وقع فيه العمل وتلك الصنعة ، كذلك محال اذا اردت أن تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام أن تنظر في مجرد معناه ، وكما انالو فضلنا خاتما على خاتم بان تكون فضة هذا أجود أو فصة أنفس نم يكن ذلك تفضيلا له من حيث هو خاتم ، كذلك ينبغي اذا فضلنا وكلام »(١) •

ومعنى هذا ان عبدالقاهر يرى انه لا يمكن معرفة الفضل والمزية بسجرد النظر في معنى الكلام • وقد قال القزويني موجها كلامه: «هذا لفظه ، وهو صريح في ان الكلام من حيث هو كلام لا يوصف بالفضيلة باعتبار شرف معناه ، ولا شك ان الفصاحة من صفاته الفاضلة ، فلا تكون راجعة الى المعنى ، وقد صريح فيما سبق بأنها راجعة الى المعنى دون اللفظ • فالجمع بينهما بما قدمناه بحمل كلامه حيث نفى انها من صفات اللفظ على نفي أنها من صفات المفردات من غير اعتبار التركيب ، وحيث أثبت انها من صفاته على انها من صفاته باعتبار افادته المعنى عند التركيب » (۲) •

تقديم المسند اليه:

ورد عليه في تقديم المسند اليه ، لان عبدالقاهر يرى ان المسند

⁽¹⁾ دلائل الأعجاز ص ۱۹۹ ـ ۱۹۷ مُ کَا رَدُرُ

١) الايضاح ص ١١ •

حرف برا اليه يقدم ليفيد تخصيصه بالخبر الفعلي إن ولي صرف النفي كقولك: « ما انا قلت هذا » ، أي : لم أقله مع انه مقول ، فأفاد نفي الفعل عنك وثبوته لغيرك ، فلا تقول ذلك الا في شيء ثبت انه قول وانت تريد نفى كونك قائلا له ، ومنه قول الشاعر :

وما أنا أســقمت مجسِمي به ولا أنا أضرمت في القلبِ نارا

والمعنى ان هذا السقم الموجود ، والضرم الثابت ما انا جالب لهما فالقصد الى نفي كونه فاعلا لهما لا الى نفيهما ، ولهذا لا يقال : ما انا قلت ولا أحد غيري ، لمناقضة منطوق الثاني مفهوم الاول ، بل يقال : ما قلت أنا ولا احد غيري ، ولا يقال ما انا رأيت أحدا من الناس ، ولا أنا ضربت الا زيدا ، بل يقال ما رأيت او ما رأيت أنا احدا من الناس، وما ضربت او ما ضربت أنا الا زيدا ، لان المنفي في الاول الرؤية الواقعة على كل واحد على كل واحد من الناس ، وفي الثاني الضرب الواقع على كل واحد منهم سوى زيد ، وقد سبق ان ما يفيد التقديم ثبوته لغير المذكوروهو ما نفي عن المذكور فيكون الاول مقتضيا ، لان انسانا غير المتكلم قد رأى كل الناس ، والثاني مقتضيا لان انسانا غير المتكلم قد ضرب من عدا زيدا منهم وكلاهما محال ، وعلل عبدالقاهر امتناع الثاني بأن عدا زيدا منهم وكلاهما محال ، وعلل عبدالقاهر امتناع الثاني بأن قض النفي به «الا» يقتضي ان يكون القائل له قد ضرب زيدا ،

وقال الخطيب القزويني عنه: « وفيه نظر ، لانا لا نسلم ان ايلاء الضمير حرف النفي يقتضي ذلك • فان قيل الاستثناء الذي فيه مفرغ، وذلك يقتضي انلا يكون ضرب احدا من الناس، وذلك يستلزم انلايكون ضرب زيدا، قلنا: ان لزم ذلك فليس للتقديم لجريانه في غير صورة التقديم أيضا كفولنا: « ما ضربت الازيدا » (٢) •

⁽۱) دلائل الاعجاز ص ۹۷ .

⁽٢) الايضاح ص ٥٤ ــ ٥٥ .

الحسنف:

ونقل عنه الحذف الذي قرينته وقوع الكلام جوابا عن سؤال مقدر كقوله تعالى: «جَعلُوا لله شُركاء الجِنَّ» (١) فان لله شركاء ان جعلا مفعولين لـ «جعلوا» ويحتمل الجن وجهين:

أحدهما: ما ذكره عبدالقاهر أن يكون منصوبا بمحذوف دال عليه سؤال مقدر كأنه قيل: « من جعلوا لله شركاء فقيل: الجن ، فيفيد الكلام انكار الشرك مطلقا فيدخل اتخاذ الشرك من غير الجن في الانكار دخول اتخاذه من الجن .

والثاني: ما ذكره الزمخشري وهو أن ينتصب « الجن » بــدلا من « شركاء » فيفيد انكار الشريك مطلقا ايضا^(٢) •

خروج الاستفهام:

ورد عليه في خروج الاستفهام عن معناه ، يقول: «ومنهاالتقرير، ويشترط في الهمزة أن يليها المقرر به كقولك: «أفعلت؟ » اذا أردت أن تقرره بان الفعل كان منه ، وكقولك: «أأنت فعلت؟ »اذا اردت ان تفرر بانه الفاعل ، وذهب الشيخ عبدالقاهر والسكاكي وغيرهما الى ان قوله «أأنت فعكث هذا بالهتنا يا إبراهيم »(٣) من هنذا الضرب قال الشيخ: «لم يقولوا ذلك له عليه السلام وهم يريدون ان يقر لهم بأنه كسر الاصنام قد كان ولكن ان يقر بأنه منه كان وكيف ، وقد أشاروا له الى الفعل في قولهم: «أأنت فعلت هذا؟ » وقال عليه السلام: « بل فككان كبير هم هذا » ، ولو كان التقرير بالفعل في السلام: « بل فكان كير هم هذا » ، ولو كان التقرير بالفعل في

⁽١) سورة الانعام ، الآية ١٠٠ -

⁽٢) الايضاح ص ٨٥ ودلائل الاعجاز ص ٢٢١ ، والكشاف ج٢ ص آكم اله

⁽٣) سورة الانبياء ، الآية ٢٢ .

قولهم: « أأنت فعلت ؟ » ، لكان الجواب: فعلت او لم أقعل ٠

وفيه نظر ، لجواز ان تكون الهمزة فيه على أصلها ، اذ ليـس في السياق ما يدل على انهم كانوا عالمين بأنه عليه السلام هو الذي كسـر الاصنام »(١) .

المُعُولِ الشيئة:

ويبدو تأثره به ونقله عنه واضحا في بحث مفعول المشيئة ، وقد نقل امثلته وتعليقه مع بعض التغييرات (٢).

الاستعارة:

وقل عنه تعليقه على الاستعارة ، يقول عبدالقاهر: «أفلا ترى في الاستعارة العامي المبتذل كقولنا: « رأيت أسدا » ، و « وردت بحرا » ، و « لقيت بدرا » • والخاصي النادر الذي لا تجده الا في كلام الفحول، ولا يقوى عليه الا افراد الرجال كقوله:

أخذنا باطراف الاحاديث ييننا وسالت باعناق المطي الأباطح

اراد: أنتها سارت سيرا حثيثا في غاية السرعة ، وكانت سريعة في لين وسلاسة ، كأنها كانت سيولا وقعت في تلك الاباطح ، فجرت بها . ومثل هذه الاستعارة في الحسن واللطف وعلو الطبقة في هذه اللفظة بعينها قول الآخر:

سالت عليه شعاب ُ الحي ِّ حين دعا أنصار َه بوجوه ٍ كالدنانــــيرِ

اراد أنته مطاع" في الحي ، وأنتهم يسرعون الى نصرته ، وانــه لا يدعوهم لحرب او نازل خطب إلا أتوه ، وكثروا عليــه ، وازدحموا حواليه حتى تجدهم كالسيول تجيء من ههنا وهنا ، وتنصب من هذا

⁽¹⁾ الايضاح ص ١٣٨٠

⁽٢) دلائل الاعجاز ص ١٣٦ ، والايضاح ص ١٠٦ .

وذاك حتى يغص بها الوادي ويطفح منها^(۱) وهــذا ما ذكره القزويني بالنص في بحثه عن وجوه الغرابة في الاستعارة^(۲) •

التمثيل والمجاز الركب:

ووافقه في التمثيل اوالمجاز المركب وقال عن كلام عبدالقاهر في قوله تعالى: «إنَّ في ذلك لذكرى لمن كان له قللب " "("): «هذا معنى كلام الشيخ وهو حق ، لان المراد بالآية الحث على النظر والتقريع على تركه »(١٠) •

ويلاحظ ان القزويني اتخذ من عبدالقاهر إماما له في البلاغة ،وإن خالفه في بعض المسائل ورد عليه احيانا • ونرى أن القزويني كانموفقا الى حد ما في بحث هذه الموضوعات وإن كان عبدالقاهر أكثر تجديدا، وأروع تحليلا •

۲) دلائل الاعجاز ص ۸۸ - ۹۹ .

۲۹۶ - ۲۹۳ - ۲۹۶ (۲)

٣٧) سورة ق ، الآية ٣٧ .

⁽٤) الايضاح ص ٣٠٨٠

القزويني والزمخشسري

لم يؤلف الزمخشري^(۱) (٣٨٥ هـ) كتابا في البلاغة ، وانما نثر كثيرا من مسائلها في تفسيره الكشاف ، وعلما المعاني والبيان عنده من الوسائل المهمة في تفسير القرآن الكريم وما فيه من روعة واعجاز، يقول: « ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق الا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن ، وهما علم المعاني وعلم البيان »(٢) •

ولقد عني في تفسيره عناية كبيرة بتطبيق قواعد البلاغة على القرآن ، والتنبيه الى ما حوى من أسرار الفصاحة والبلاغة حتى قال ابن خلدون عن الكشاف : « وهو كله مبني على هذا الفن ، وهو اصله »(٦) ، ومن هنا كان دارسه يحتاج الى ثقافة بلاغية واسعة ، وقد شعر القدماء بهذه الحاجة فكانوا اذا ما اقدموا على دراسته تزودوا بثقافة بلاغية ، ووضعوا الكتب الخاصة في تعلمها كما فعل العلوي حينما شرع بعض الطلاب يقرأون عليه « الكشاف » فوضع لهم كتاب الطراز ليكون عونا على فهم ما في التفسير ،

وأثرً الكشاف في البلاغة ، وتجلى ذلك في الرازي والسكاكي

⁽¹⁾ تنظر ترجمة الزمخشري في معجم الأدباء ج19 ص ١٢٦ ، وانباه السرواة ج٣ ص ٢٦٥ ، وشدرات اللهب ج١٤ ص ١١٨ ، وبغية الوعاة ص ٣٨٨ .

⁽٢) الكشاف ج اص ك الد ٠

۳) مقدمة ابن خلدون ص ۲٥٥ .

والقزويني ، ويبدو اتجاه الخطيب الى الزمخشري واعتماده عليه واضحا في تخريج الشواهد القرآنية وتحرير المشاكل البلاغية الغامضة ، وقد مكنه اطلاعه على الكشاف ان يقف في اكثر المسائدل الخلافية موقف الحكم الفيصل ، لقد نقل عنه تفسيره لقوله تعالى : الخلافية موقف الحكم الفيصل ، لقد نقل عنه تفسيره لقوله الزمخشري «لا تتخذوا إلهين اثنين إنتما هو اله "واحد" »(۱) ، يقول الزمخشري فيها : « الاسم الحامل لمعنى الافراد والتثنية دال على شيئين : على الجنسية والعدد المخصوص ، فاذا اريد الدلالة على ان المعنى به منهما والذي يساق اليه الحديث هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على القصد اليه به ، الا ترى انك لو قلت : انما هو اله ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل انك تثبت الالهية لا الوحدانية »(۲) ويقول في تفسير قوله تعالى: « وما من ° دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه » (۱) : « معنى ذلك زيادة التعميم والاحاطة كانه قيل : وما من دابة فقط في جميع دلارضين السبع ، وما من طائر قط في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه الا امم امثالهم محفوظة احوالها غير مهمل امرها »(٤) .

الالتفات:

وتأثر به في تعليل حسن الالتفات وقال عنه: « واعلم أن الالتفات من محاسن الكلام ووجه حسنه على ما ذكر الزمخشري هو ان الكلام اذا نقل من اسلوب الى اسلوب كان ذلك احسن تطرية لنشاط السامع، وأكثر ايقاظا للاصغاء اليه من اجرائه على اسلوب واحد» (٥) • ولكنه لم يتابعه تمام المتابعة فقد ذكر الزمخشري ثلاث التفاتات في ابيات امريء القيس الثلاثة:

تطاول ليلك بالاثمـــد ونام الخلي ولم ترقمـد

⁽¹⁾ mecة النحل ، الآية 10 ·

⁽۲) الكشاف ج٢ ص ٧٥٤ ، والايضاح ص ٢٩ .

⁽٣) سورة الانعام ، الآية ٣٨ .

⁽٤) الكشاف ج٢ ص ١٦ ، والايضاح ص ٢٩ ـ ٥٠ ·

ه الايضاح ص ٧٣٠

وبات وباتت له ليله " كليلة ذي العائر الأرمد وذلك من نبأ جساءني وخبرته عن أبي الأسود (١)

يذكر القزويني ان الالتفات في البيت الاول على المشهور ، وفي الثاني التفاتة واحدة فيتعين أن يكون في الثالث التفاتان ، قيل هما في قوله «جاءني» احداهما باعتبار الانتقال من الخطاب في البيت الاول ، والاخرى باعتبار الانتقال من الغيبة في الثاني، ويرى ان في هذا نظر أ، لان الانتقال انما يكون من شيء حاصل ملتبس به ، واذ قد حصل الانتقال من الخطاب في البيت الأول الى الغيبة في الثاني لم يبق الخطاب حاصلا ملتبسا به ، فيكون الانتقال الى المتكلم في الثالث من الغيبة وحدها ، منها ، ومن الخطاب جميعا فلم يكن في البيت الثالث الا التفاتة واحدة وقيل : احداهما في قوله « وذلك » لانه التفات من الغيبة الى الخطاب، وهو والثانية في قوله « جاءني » لانه التفات من الغيبة الى التكلم ، وهو عند القزويني أقرب (٢) •

والغريب ان القزويني لم يستفد في بحث الالتفات مما كتب ابن الاثير الذي و صنح معناه ، ور ح على الزمخشري في وجه حسنه ، ولم يوافقه على رأيه ، يقول : « وليس الامر كما ذكره ، لان الانتقال في الكلام من اسلوب الى اسلوب اذا لم يكن الا تطرية لنشاط انسامع وايقاظا للاصغاء اليه ، فان ذلك دليل على ان السامع يمل من اسلوب واحد فينتقل الى غيره ليجد نشاطا للاستماع ، وهذا قدح في الكلام لا وصف له ، لانه لو كان حسنا لما مثل " »(٣) .

ويرى ابن الاثير ان الانتقال من الخطاب الى الغيبة ، او من الغيبة الى الخطاب لا يكون الا لفائدة اقتضته وتلك الفائدة امر وراء الانتقال من اسلوب الى اسلوب ، وقد شرحه ووضحه في المثل السائر احسن

⁽¹⁾ الكشاف ج1 ص 11 - 11 ٠

⁽٢) الايضاح ص ٧٣٠

⁽٣) المثل السائر ج٢ ص ١٠

توضيح • ولولا متابعة القزويني للزمخشري في كثير من الاحيان لما وقف عند ما ذكره ولاستفاد من علماء البلاغة الذين عاشوا في بيئة مصر والشام • وكان عليه أن يستفيد مما كتب ابن الاثير في هذا الباب ، لا أن يسرف في متابعة أهل المشرق ممن اهتموا بالفلسفة ، والمنطق ، وابتعدوا عن ادراك اسرار الجمال ، وتعليله •

لــو:

وقال في تفسير قوله تعالى: «قُلْ لو أَنتم تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةً ربي »(١): « لو حقها ان تدخل على الافعال دون الاسماء ، فلا بد من فعل بعدها في « لو انتم تملكون » • وتقديره: لو تملكون تملكون ، فاضمر « تملك » اضمارا على شريطة التفسير ، وابدل مسن الضمير المتصل الذي هو الواو ضمير منفصل ، وهو « انتم » لسقوط ما يتصل به من اللفظ ، ف « أنتم » فاعل الفعل المضمر و « تملكون » تفسيره • وهذا هوالوجه الذي يقتضيه علم البيان ، وهو ان «انتم تملكون » فيه دلالة على الاختصاص ، وان الناس هم المختصون بالشح المتبالغ

ونحوه قول حاتم:

لو ذات ٔ سوار ٍ لنظمتني

وقول المتلمس:

ولو غير م أخوالي أرادوا نقيصتي جعلت لهم فوق العرانين ميسما (٢)

تقييد الفعل بالشرط:

وقال القزويني في بحث تقييد الفعل بالشرط: « قال الزمخشري وللجهل بمواقع « إِن ° » و « اذا » يزيغ كثير من الخاصة عن الصواب

السورة الاسراء ، الآية ١٠٠ .

⁽٢) الكشاف ج٢ ص ٣٤٥ ، والايضاح ص ٨٢ .

فيغلطون ، الا ترى الى عبدالرحمن بن حسان كيف اخطأ بهما الموقع في قوله يخاطب بعض الولاة وقد سأله حاجة فلم يقضها ثم شفع له فيها فقضاها:

ذممتولم تحمد وادركت حاجتي تولى سواكمأجر ُها واصطناعها أبنى لك كسب الحمد رأي مقصر ونفس أضاف الله بالخير باعها إذا هي حثت على الخير مرة عصاها وإن همكت بشر أطاعها فلو عكس لاصاب »(١) •

وخالفه في بحث دواعي مخالفة المقتضى في فعلي الشرط والجزاء، يقول: « ومما يتصل بما ذكرناه ان الزمخشري قسدر قوله تعالى « إن « ودوا لو تكفرون » عطفا على جواب الشرط في قوله تعالى « إن يَثقَنَفُوكم يكونوا لكم أعداء ويبُسُطُوا إليكم أيسسديهُم والسنتهُم والسنتهُم بالسوء ، وودو الو تكثفرون »(٢) ، وقال: الماضي وان كان يجري في باب الشرط مجرى المضارع في علم الاعراب فان فيه نكتة كأنه قيل: وودوا قبل كل شيء كفركم وارتدادكم ، يعني انهم يريدون ان يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين جميعا من قتل الانفس ، وتمزيق الاعراض ، وردكم كفارا ، اسبق المضار عندهم وأولها لعلمهم ان الدين اعز عليكم من ارواحكم ، لانكم باذلون لها دونه ، والعدو أهم شيء عنده أن يقصد أعز شيء عنسد صاحب » (٢) ، ويرى القزويني ان عنده أن يقصد أعز شيء عنسد صاحب » (٢) ، ويرى القزويني ان الشرط نظرا ، لان ودادتهم ان يرتدوا كفارا حاصلة وان لم يظفروا بهم فلا يكون في تقييدها بالشرط فائدة ، فالاولى ان يجعل قول « وودوا لو تكفرون » عطفا على الجملة الشرطية كقوله تعالى : « وإن يقاتلوكم فلا يكون في تقييدها بالشرط فائدة ، فالاولى ان يجعل قول « وودوا لو تكفرون » عطفا على الجملة الشرطية كقوله تعالى : « وإن يقاتلوكم فلا يكون في تقييدها بالجملة الشرطية كقوله تعالى : « وإن يقاتلوكم فلا يكون في تقييدها بالجملة الشرطية كقوله تعالى : « وإن شاتلوكم فلا يكون في قالما على الجملة الشرطية كقوله تعالى : « وإن شاتلوكم فلا يكون في قاتلوكم فلا يكون في قاتلوكم في المجلة الشرطية كقوله تعالى : « وإن شاتلوكم في المجلة الشرطية كقوله تعالى : « وإن شي قاتلوكم في المجلة الشرطية كقوله تعالى : « وإن شي قاتلوكم ويورو المين المينا من المينا على المجلة الشرطية كوركم كورك في المجلة الشرطية كوركم كورك في المهرك المينا ويوركم كوركم كوركم

⁽۱) الأيضاح ص ٩٠٠

⁽٢) سورة الممتحنة ، الآية ٢ .

⁽٣) الايضاح ص ٩٤ ـ ٩٥ ، والكشاف ج٤ ص ٤٠٩ .

يُولُوكُم الادبارَ ثم لا يُتنْصَرُون »(١١) .

موضع الفاء والواو:

ونقل تفسير الزمخشري لقوله تعالى : « ولقد آتينا داود وسليمان علما ، وقالا : الحمد شه (٢) ، ، يقول: «فان قلت: اليس هذا موضع الفاء دون الواو كقولك : اعطيته فشكر ومنعته فصبر ؟ قلت : بلى ، ولكنه عطفه بالواو اشعاراً بأن ما قالاه بعض ما احدث فيهما ايتاء العلم وشيء من مواجبه فاضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد كأنه قال : ولقد آتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة »(٣).

الاطناب بالتذييل:

وقال القزويني وهو يتحدث عن الاطناب بالتذييل: « وهو ضربان: ضرب لا يخرج مخرج المثل لعدم استقلاله بافادة المراد وتوقفه على ما قبله كقوله تعالى: « ذلك جَزَيْناهم بما كفروا وهل نتجازي الا الكفور » (٤) ، ان قلنا ان المعنى: وهل يجازى دلك الجسزاء ؟ وقال الزمخشري: وفيه وجه آخر وهو ان الجزاء عام لكل مكافأة يستعمل تارة في معنى المعاقبة واخرى في معنى الاثابة ، فلما استعمل في معنى المعاقبة في قوله « جزيناهم بما كفروا » بمعنى عاقبناهم بكفرهم، قيل: وهل يجازى الا الكفور ، بمعنى: وهل يعاقب ؟ فعنى هذا يكون في الضرب الثاني » (٥) •

وجه الشبه:

ونقل رأيه في وجه الشبه في قوله تعالى : « هـُن ً لِـبــاس ٌ لكم

⁽¹⁾ mece Th and 10 2 18 11 .

⁽٢) سورة النمل ، الآية ه 1 ·

⁽٣) الكشاف ج٣ ص ٢٧٧ - ٢٧٨ ، والايضاح ص ١٩٢ .

⁽٤) سورة سبأ ، الآية ١٧ .

⁽٥) الايضاح ص ٢٠٠ - ٢٠١ ، والكشاف ج٣ ص 600 .

وأنتم لباس لهن كهن الهن المال المنتمل كل واحد منهما على صاحبه في عناقه كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه في عناقه شبه باللباس المشتمل عليه (٢) واستفاد منه في توجه الاستعارة في قوله تعالى : « فأذاقتها الله لباس الجوع والخوف في الله الها على ظاهر قول الشيخ جار الله العلامة استعارة عقلية ، لانه قال: شبه باللباس لاشتماله على الملابس ما غشى الانسان والتبس به من بعض الحوادث وعلى ظاهر قول الشيخ صاحب المفتاح حسية ، لانه جعمل اللباس استعارة لما يلبسه الانسان عند جوعه وخوفه من امتقاع اللون ورثائدة الهيئة » (٤) .

المجاز المركب:

ونقل تفسيره لقوله تعالى: « و كمّا سككت عن مكوسكى الغكضب » وقولهم: « اعتصمت بحبله » في بحث المجاز المركب ، وميز بين « ولما سكت » و « لما سكن » ، ويرى ان الاولى يستفصحها كل ذي طبع سليم وذوق صحيح ، اما الثانية وهي قراءة معاوية بن مرة فلا تجد النفس عندها شبئا من تلك الهزة وطرفا من تلك الروعة (٢) .

وفَضُكُ رأي الزمخشري على رأي عبدالقاهر في شرح بيت لبيد: وغداة ريح قد كشفت وقرة اذ اصبحت بيدالشمال زمامتها

ويرى الزمخشري أنَّ الضمير في « اصبحت » و « زمامها » للقرَّة ، بينما جعلها عبد القاهر للغداة ، يقول القزويني : « والاول

⁽١) سورة البقرة ، الآية ١٨٧ .

⁽٢) الايضاح ص ٢٤٣ ، والكشاف ج١ ص ١٧٤ .

⁽٣) سورة النحل ، الآية ١١٢ .

⁽٤) الايضاح ص ٢٨٠ ، والكشاف ج٢ ص ٤٩٨ .

⁽٥) سورة الاعراف ، الآية ١٥٤ .

⁽٦) الايضاح ص ٣٠٦ ، والكشاف ج٢ ص ١٢٨ .

الكناية والتعريض:

وتكلم الزمخشري على الكناية والتعريض وفرق بينهما ، وجعل كل واحد منهما قائما بنفسه ، يقول : « فان قلت : أي فرق بين الكناية والتعريض ؟ قلت : الكناية أن تذكر الشيء بغير لفظه له كقولك: «طويل النجاد والحمائل » لطول القامة ، و « كثير الرماد » للمضياف •

والتعريض ان تذكر شيئا تدل به على شيء لم تذكره كما يقال للمحتاج اليه : جئتك لاسلم عليك ولانظر الى وجهك الكريم ، ولذلك قالوا :

و حسب في التسليم مني تقاضيا

وكأنه احالة الى عرض يدل على الغرض ويسمى التلويح ، لانه يلوح منه ما يريده «٢٦» .

ولم يبحث القزويني كلا من الكناية والتعريض على انفراد ، ولم يفرق بينهما كما فعل الزمخشري وابن الاثير ، وانما تابع السكاكي في ذلك وقال : « إِنَّ الكناية تتفاوت الى تعريض وتلويح ورمز وايساء واشارة ، فان كانت عرضية فالمناسب أن تسمى تعريضا »(٢) •

فنون بديعيــة:

ومع ان الزمخشري لم يهتم بالبديع كثيرا ، لانه يرى ان القرآن مختص بعلمين هما : المعاني والبيان ، الا انه نثر في تفسيره بعض هذه الفنون • ويرى الاستاذ مصطفى الصاوي الجويني ان الزمخشري لم يذكر الا ثلاثة ضروب من أضرب البديع هي : الجناس والمشاكلة

⁽۱) الايضاح ص ۳۱۰ ۰

⁽۲) الكشاف ج1 ص ۲۱۵ ·

⁽٣) الايضاح ص ٣٢٧٠

واسلوب اللف (۱) • وانحق أن في الكشاف ضروبا أخرى لم ينتبه لها الصاوي مع أن القزويني أشار الى بعضها ، يقول وهو يتحدث عن الاستطراد: « وعليه قوله تعالى: « يا بنني آدَمَ قد أنزلنا عليكم لباسا يتواري سؤاتيكم وريشا ، ولباس ُ التقوى ذلك خير ، هذلك من آبات ِ الله ِ لعلهم يكذ كرو ُن) (۲) ، قال الزمخشري : هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر السوءات، وخصف الورق عليها أظهارا للمنة فيما خلق الله من اللباس ، ولما في العري ، وكشف العورة من المهانة والفضيحة ، واشعارا بان التستر بابعظيم من أبواب التقوى (۳) •

وذكر الزمخشري التوجيه وان لم يسمه بهذا المصطلح ، وانمااطلق علبه اسم ذي الوجهين حينما فسر قوله تعالى: « ويقولون سمعنا وعكميننا واسممع عير مسممع وراعنا لكيت بالسنتهم »(۱) . ونقل القزويني عنه هذا التفسير ، يقول في بحث المحسنات المعنوية « ومنه التوجيه : وهو ايراد الكلام محتملا لوجهين مختلفين . . ، وعليه قوله تعالى : « واسمع غير مسمع وراعنا » قال الزمخشري : غير مسمع ، حال من المخاطب أي اسمع وانت غير مسمع وهو قول ذو وجهين يحتمل الذم أي اسمع منا مدعوا عليك بد « لا سمعت » . . . ويحتمل المدح أي : اسمع غير مسمع مكروها من قولك : اسمع فلان فلانا ، اذا سه » (٥) «

وخلاصة ما تقدم ان الخطيب القزويني لم يستفد من الزمخشري كما استفاد من عبدالقاهر، لا في تحديد مصطلحات البلاغة ولا في التقسيم أو العرض ، وانما استفاد منه في تفسير بعض الآيات وتوجيب الآراء •

⁽١) منهج الزمخشري في تفسير القرآن ص ٢٥٦ _ ٢٥٩ .

⁽٢) سورة الاعراف الآيــة ٢٦.

⁽٣) الايضاح ص ٣٥٠ ، والكشاف ج٢ ص ٧٦ .

⁽٤) سورة النساء ، الآية ٢٦ .

⁽٥) الايضاح ص ٣٧٧ ، والكشاف ج ١ ص ٤٠٠ .

وعلة ذلك ما قدمنا من إن الزمخشري لم يكن مؤلفا في البلاغة أو باحثا فيها ، وانما استفاد منها في تفسير القرآن وتوجيه آياته الكريمة ، ومن هنا كانت متابعة القزويني له في هذا المضمار .

ولم يتأثر القزويني بالكشاف وحده ، وانما استفاد من كتـــابه المفصل في بحث « هل » •

ونرى أن القزويني كان على صلة وثيقة بالسكاكي ، فهو الذي اختصر القسم الثالث من مفتاحه وهو الذي شرح هذا التلخيص ، ومن هنا كانت العلاقة بينهما وطيدة ، وكانت بلاغة القزويني عرضا لبلاغة السكاكي وآرائه ، مع شرح وتوضيح لآراء غيره ، وتنبيه الى ما عرض له ، واستخلصه بنفسه .

القزويني والسكاكي

اختصر الخطيب القزويني القسم الشاك من مفتاح العلوم السكاكي (٦٢٦ هـ)(١) شيخ المدرسة الكلامية ، وبذلك عرف في الاقاليم الاسلامية الوسطى كالعراق والشام ومصر والمغرب ، وان كان بدرالدين قد لخصه بكتابيه « المصباح » و « روض الاذهان» ولكنهما لم ينتشرا ويشتهرا كما اشتهر تلخيص القزويني الذي انكب عليمه المؤلفون منذ عصر القزويني حتى الآن شرحا وتهذيبا، ونظماو تلخيصا والسكاكي هو الذي هذاب مسائل البلاغة ، ومختص زبدتها، ووجد الوضع الاخير ، وعندما جاء القزويني وجد الطريق ممهدا ، ووجد اسباب البحث قد كملت أو كادت فوضع كتاب التلخيص وشرحه وفك عامضه وعويصه بكتاب « الايضاح » الذي يعتبر من خيرة كتب البلاغة الكلامية ، ولم يقف القزويني عندما ذكره السكاكي في مفتاح العلوم ولم يأخذ كل ما جاء به قضايا مسلما بها ، بل وقف عند كل رأي مدققا ، وأخذ ما رآه صوابا قريبا الى الذوق العربي السليم ، ورفض ما لم يجده صحيحا ، او وجد فيه ابتعادا عن جادة الادب ، وسبيل الذوق ،

واذا اردنا ان نرى القزويني والسكاكي معا فليس لنا الا اتباع ما سرنا عليه سابقا • وقبل كل شيء لا بد أن نشير الى أن الخطيب

⁽١) تنظر ترجمته في البلاغة عند السكاكي ص ٢٦ ــ ٧٣٠وتنظر المصادر المذكورةفيه.

خالف السكاكي في المنهج خلافا قليلا ، وقدم وأخر ، وما ذكرناه سابقا عن منهج الرجلين يغنينا عن التكرار .

تعسريف العساني:

عرف السكاكي علم المعاني بأنه « تتبع خواص تراكيب الكلام عرفي الافادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ، ليحترز بالوقوف عليهاعن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره »(١) • ثم قـال : « واعني بتراكيب الكلام : التراكيب الصادرة عمن له فضل تمييز ومعرفة وهي تراكيب البلغاء » •

ويرى القزويني ان هذا الحد غير صحيح اذ التتبع ليس بعلم ولا صادق عليه فلا يصح تعريف شيء من العلوم به ، ولا شك ان معرفة البليغ من حيث هو بليغ متوققة على معرفة البلاغة ، وقد عرفها بقوله : « البلاغة هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها ، وايراد انواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها »(٢) ، ثم قال القزويني : « فان اراد بالتراكيب في حد البلاغة تراكيب البلغاء وهو الظاهر فقد جاء الدور ، وان اراد غيرها فلم يبينه على قوله « وغيره » مبهم لم يبين مراده به »(٣) .

الخبسر:

ولا يرى القزويني في تفسير السكاكي لقوله تعالى وتعليقه عليه : « ولقد عكم أو المن اشتراه مالك في الآخرة من خكا ق ، ولكبئس ما شكروا به أنفستهم لو كانوا يتع لكم ون "(٤) • لا يرى في قُول الوضوح • يقول في بحث اعتبار ما وراء الظاهر بلاغة : « وقد ينزل

⁽١) مفتاح العلوم ص ٧٧ ٠

⁽٢) مفتاح العلوم ص ١٩٦٠

⁽٣) الايضاح ص ١٢ ·

⁽٤) سورة البقرة ، الآية ١٠٢ .

العالم بفائدة الخبر ولازم فائدته منزلة الجاهل لعدم جريه على موجب العلم فيلقى اليه الخبر كما يلقى الى الجاهل باحداهما ، قال السكاكي: وان شئت فعليك بكلام رب العزة : « ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ، ولبئس ما شروا به اتفسهم لو كانوا يعلمون » كيف تجد صدره يصف أهل الكتاب بالعلم على سبيل التوكيد القسمي وآخره ينفيه عنهم حيثلم يعملوا بعلمهم ، ونظيره في النفي والاثبات : « وما رميت إذ ° رميت من إذ ° رميت سنكم فقات لوا أئمة الكثير من بعد عهد هم وطعتوا في دينكم فقات لوا أئمة الكثير إنهم لا أيمان لهم لعلهم ين تتهون » (٢) ويول القزويني . « هذا لفظه ، وفيه ايهام ان الآية الاولى من امثلة تنزيل العالم بفائدة الخبر ولازم فائدته منزلة الجاهل بهما ، وليست منها ، بل هي من امثلة تنزيل العالم بالشيء منزلة الجاهل بهما ، وليست منها ، بل هي من امثلة تنزيل العالم بالشيء منزلة الجاهل به لعدم جريه على موجب العلم ، والفرق يينهما ظاهر » (٣) .

المجاز العقلي:

واختلف عنه في بحث المجاز العقلي ، فقد انكره السكاكي، وأدخله في الاستعارة بالكناية ، اما القزويني فقد رد عليه ولم يعتبره من مباحث علم البيان وانما من المعاني ، لانه يرى ان المسمى بالحقيقة العقليية والمجاز العقلي هو الاسناد لا الكلام ، خلاف السكاكي الذي يرى ان المسمى بهما هو الكلام لا الاسناد • يقول القزويني : « قد تبين بسا ذكرنا ان المسمى بالحقيقة العقلية والمجاز العقلي على ما ذكره السكاكي هو الكلام لا الاسناد ، وهذا يوافق ظاهر كلام الشيخ عبد القاهر في مواضع من « دلائل الاعجاز » وعلى ما ذكرنا هو الاسناد لا الكلام • وهذا ظاهر ما نقله الشيخ أبو عمرو بن الحاجب ـ رحمه الله ـ عن

⁽١) سورة الانفال ، الاية ١٧ .

⁽٢) سورة التوبة ، الآية ١٢ . ينظر الايضاح ص ١٧ ، ومفتاح العلوم ص ٨٢ .

⁽٢) الايضاح ص ١٨٠



Ť.



ı

بالاضافة ، اما للتهويل واما لخلافه . ويرى القزويني انه لخلافه ، واليه ميل الزمخشري ، فانه ذكر أن ابراهيم عليه السلام لم يخل هذا الكلام من حسن الادب مع ابيه حيث لم يصرح فيه أن العذاب لاحق له لاحق به ، ولكنه قال : « إِنّي أخاف من أن يُمَسَّكُ عذاب من الرَّحمن (١) فذكر الخوف والمس ونكر العذاب (٢) .

كسل:

وخالفه في الكلام على «كل» في بحث توكيد المسند اليه وهو يتحدث عن دفع توهم التجوز او السهو أو عدم الشمول فمثل لله السكاكي بقوله: «كل رجل عارف» و «كل انسان حي » وهذا غير صحيح عند القزويني ، لانه يرى ان كلمة «كل » تارة تقع تأسيسا وذلك اذا افادت الشمول من اصله حتى لولا مكانها لما عقل ، وتارة تقسع تأكيدا وذلك اذا لم تفده من اصله ، بل يمتنع ان يكون اللفظ المقتضي له مستعملا في غيره ، اما الاول فهو أن تكون مضافة الى نكرة كقوله تعالى: «كُلُّ حز ب بما لديهم فر حون » (٣) وقوله: «وكُلُّ شيء فصَّلُناه تَفُصِيلًا »(٤) وقوله: « وهم من كُلِّ حكث ب ينسبلون »(٥) ، وأما الثاني فما عدا ذلك كقوله تعالى: « فستجد الملائكة كُلِيهُم »(١) وهي في قوله: «كل رجل عارف» و «كل السان حيوان » من الاول لا الثاني ، لانها لو حذفت منهما لم يفهم الشمول اصلا »(٧) ،

⁽۱) سورة مريم ، الآية ه ؛ .

^{· (}٢) الايضـاح ص ٧٧ ·

⁽٣) سورة المؤمنون ، الآية ٥٣ ، وسورة الروم ، الآية ٣٢ .

⁽٤) سبورة الاسراء ، الآية ١٢ .

⁽٥) سورة الانبياء ، الآية ٩٦ .

⁽٦) سورة الحجر ، الآية .٣٠ .

 ⁽Y) الايضاح ص ۱٥ ، ومفتاح العلوم ص ۹۱ .

التقديم للاختصاص:

والسكاكي ، وكان السكاكي قد اشترط في افادة التقديم الاختصاص امرين:

أحدهما : انه يجوز تقدير كونه في الاصل مؤخرا بأن يكون فاعلا في المعنى فقط مثل: « انا قمت » • فانه يجوز ان تقدر اصله «قمت أنا » على ان « أنا » تأكيد للفاعل الذي هو التاء في « قمت » فقدم انا ، وجعل مبتدأ .

وثانيهما: أن يقدر كونه كذلك .

ولا یری القزوینی هذا الرأی ، وقد عرض لرأی عبـــدالقاهر والزمخشري في ذلك و رك على السكاكي(١) .

الالتفات:

وكما خالف القزويني الزمخشري والجمهور في الالتفات ، نراه يخالف السكاكي فيه فيعرض آراءه ويعلق عليها ، وكان السكاكي قد ذهب الى ان الالتفات غير مختص بالمسند اليه ، بل التكلم والخطاب والغيبة مطلقاً ينقل كل واحد منهما الى الآخر ، كقول ربيعة بن مقروم:

بانتسعاد ً فأمسى القلب مُعمُودا واخلفتك ابنة ُ الحرِّ المواعدا

وقولــه:

تذكرت والذكرى تهيجك زينب واصبح باقي وصلها قد تقضب وحل بفلج فالأباتر اهلمنا وشطَّت فحلت غمرة فمثقباً (٢)

⁽۱) الايضاح ص ٥٩ – ٦٣ · من المرابط العلوم ص ٥٩ – ٩٦ . (٢) مفتاح العلوم ص ٥٩ – ٩٦ .

والمشهور عند الجمهور ان الالتفات: هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها • يقول القزويني: « وهذا أخص من تفسير السكاكي ، لانه اراد بالنقل ان يعبر بطريق من هذه الطرق عما عبر عنه بغيره ، أو كان مقتضى الظاهر ان يعبر عنه بغيره منها • فكل التفاوت عندهم التفات عنده من غير عكس »(۱) • ومثال الالتفات من التكلم الى الخطاب قوله تعالى: « وما لي لا أعْبُدُ الذي فكطرني واليه تر «جمعون » (۲) ، ومن التكلم الى العيبة قوله تعالى: « إنّا أعطيناك الكوثر فكصل للربك وانحر » (۱) ، ومن الخطاب الى التكلم قول علقمة بن عبدة:

طحا بك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عكثر كان مكسب عكلفني ليلي وقد شط وليها وعادت عواد يننا وخطوب

ومن الخطاب الى الغيبة قوله تعالى: «حتى إذا كُنْتُم في الفُلْكُ وَمِنَ الغَيْهُ الفُلْكُ وَمِنَ الغيبة الى التكلم قوله تعالى: « واللهُ الذي وجرَرَيْنَ بهم »(٤) ومن الغيبة الى الخطاب أرسل الرياح فتتثير سكابا فستقناه » (٥) ، ومن الغيبة الى الخطاب قوله تعالى: « ماليك يتو م الدين ، إيثاك نتع بسسد وإيساك بنو م الدين ، إيثاك نتع بسسد وإيساك نستعين »(٢) ، وقول عبدالله بن عبدة:

ما أن°ترى السيدزيدا في تفوسهم كما يــراه بنــوكوز ومرهوب

إِنْ تسألوا الحق نعْط الحق سيائله والدرع محقبة والسيّيف مقروب

⁽۱) الايضاح ص ۷۱ .

۲۲) سورة يس ، الآية ۲۲ .

⁽٣) سورة الكوثر ، الآيتان ١ ، ٢ .

⁽٤) سورة يونس ، الآية ٢٢ .

⁽٥) سورة فاطر ، الآية ٩ .

⁽٦) سورة الفاتحة ، الآيتان ٤ ، ٥ .

وذكر السكاكي أبيات امرىء القيس:

ونام الخلي ولم ترقسد كليلة ذي العائر الأرمد وخبرته من أبي الأسسود

وذكر في تفسيرها وجوها : احدها ان يكون قصد تهويل الخطب واستفظاعه فنبه في التفاته الاول على أن نفسه وقت ورود ذلك النسأ عليها ولهت لك والك الثكلي ، فأقامها مقام المصاب الذي لا يتسلى بعض التسلى الا بتفجع الملوك له وتحزنهم عليه • وخاطبها بـ « تطاول ليلك » تسلية على انها لفظاعة شأن النبأ ابدت قلقا شديدا ولم تتصبر _ فعل الملوك _ فشك في أنها نفسه ، فأقامها مقام مكروب وخاطبها بذلك تسلية • وفي الثاني على انه صادق في التحزن خاطب أو لا ؟• وفي الثالث على أنه يريد نفسه ، أو نبه في الاول على ان النبأ لشدته تركه حائرا فما فطن معه لمقتضى الحال فجرى على لسانه ما كان الفه من الخطاب الدائر في مجاري امور الكبار أمرا ونهيا ، وفي الثاني على أنه بعد الصدمة الاولى افاق شيئا فلم يجد النفس معه ، فبنى الكلام على الغيبة ، وفي الثالث على ما سبق في الوجه الاول • او نبه في الاول على انها حين لم تثبت ولم تتبصر غاظه ذلك فأقامها مقام المستحق للعقاب فخاطبها على سبيل التوبيخ والتعبير بذلك ، وفي الثاني على أنه الحامل على الخطاب والعتاب لما كان هو الغيظ والغضب وسكت عنه الغضب بالعتاب ولى عنها الوجه وهو يدمدم قائلا : « وبات وبات له » وفي الثالث على ما سبق •

يقول القزويني: « هذا كلامه ولا يخفى على المنصف ما فيـــه من التعسف »(١) •

⁽١) الايضاح ص ٧٥ ، ومفتاح العلوم ص ٩٦ وما بعدها ٠

ولم يستطع السكاكي والقزويني ان يضعا الالتفات الوضع الاخير او ان يبحثاه بحثا ادبيا كما فعل ابن الاثير ، فبقي يتــــأرجح بين علم المعاني وعلم البديع • والى هذا أشـــار ابن يعقوب المغربي قائلا: « ويسمى هذا النقل بجميع أقسامه عند علماء المعاني التفات أخذا من التفات الانسان يمينا وشمالا وبالعكس • فان قلت : لاي وجه خصص تسميته بعلماء المعاني مع ان عد الالتفات من البديع أقرب ، لان حاصل ما فيه انه يفيد الكلام ظرافة وحسن تطرية فيصغى اليهلظرافتهوابتداعه، ولا يكون الكلام به مطابقا لمقتضى الحال فلا يسكون من علم المعاني فضلا عن كونه يختص بهم فيسمونه به دون اهل البديع ٠٠٠ قلت: « اما كونه من الاصول التي تذكر في علم المعاني فصحيح كما اذا اقتضى المقام فائدته من طلب مزيد الاصغاء ، لكون الكلام سؤالا ، أو مدحا ، او اقامة حجة،أوغير ذلك فهو من هذا الوجه من علم المعاني • ومن جهة كونه شيئًا ظريفًا مستبدعًا يكون من علم البديع • وكثيرًا ما يوجد في المعاني مثل هذا فليفهم ، واما تخصيص علم المعاني بالتسمية فلا حجر فيه والله اعلم »(١) • وكرر هذا الكلام في مكان آخر (٢) ، ومعنى ذلك ان البلاغيين لم يتفقوا على هذا الفن ، اهو من علم البديع أم هو من علم المعاني ؟ ولم يجرهم الى هذا الا شعورهم باضطراب منهجهم الذي ينوا عليه البلاغة .

القلب:

وخالفه في القلب ، فقد رده قوم مطلقا ، وقبله مطلق قوم منهم السكاكي الذي يقول عنه : « وهو شهم من الاخراج لا على مقتضى الظاهر ولها شيوع في التراكيب ، وهي مما يورث الكلام ملاحة، ولا يشجع عليها الاكمال البلاغة ، تأتي في الكلام وفي الاشعار وفي

⁽¹⁾ مواهب الفتاح ج1 ص (3) - (3)

⁽٢) ينظر مواهب الفتاح ج١ ص ٧٣٤٠

التنزيل »(١) • ويرى القزويني انه ان تضمن اعتبارا اطيفا قبل وإلا ردّ ، لذلك يقول عن قوله تعالى: « وكم من قرية أهاكناها فجاء ها بأسنًا »(٢) ليس واردا على القلب اذ ليس في تقدير القلب فيه اعتبار لطيف ، وكذا قوله تعالى: « ثم دنا فتدكك التي »(٢) وكذا قوله تعالى: « ثم دنا فتدكك التي »(٣) وكذا قوله تعالى: « اذهب بكتابي هذا فألثقه اليهم ثم توك عنهم فانظر ماذا ير جعون »(٤) • فأصل الأول: اردنا اهلاكها فجاءها بأسنا أي اهلاكنا • وأصل الثاني: ثم أراد الدنو من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى فتعلق عليه في الهواء • ومعنى الثالث: تنتج عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه ليكون ما يقولونه بمسمع منه فانظر ماذا يرجعون »(٥) •

وقد رأى السكاكي أن في هذه الآيات قلبا، ولكن القزويني لا يرى ذلك ، ومن هنا جاء الاختلاف بينهما فذهب الاول الى قبوله مطلقا ، وذهب الثاني الى قبوله ان تضمن اعتبارا لطيفا ، ومع ذلك لم يضعه السكاكي في مكانه اللائق من فنون البلاغة ويبين أهميته ، فبقي يتردد في اقسام البلاغة كلها فهو من علم المعاني ان قصدت به المطابقة ، وان لم تقصد فهو في التشبيه المقلوب من علم البيان ، او هو من علم البديع ،

واسرف في الرد عليه في باب ذكر المسند وافراده ، وفي حـــذف المفعول(٦) .

التقــديم:

وقسم السكاكي التقديم للعناية قسمين:

احدهما: أن يكون اصل ما تقدم في الكلام هو التقديم ، ولا

⁽۱) مفتاح العلوم ص ۱۰۱ .

۲) سورة الاعراف ، الآية ؛ .

⁽٣) سورة النجم ، الآية ٨ .

⁽٤) سورة النمل ، الآية ٢٨ .

⁽٥) الايضاح ص ٧٩٠

⁽٦) الايضاح ص ٨٦ ، ١٠٩ – ١٠٩

مقتضى للعدول عنه كالمبتدأ المعرف ، فان اصله التقديم على الخبر نحو: « زيد عارف » وكذي انحال المعرف فأصله التقديم على «الحال» نحو « حرف « جاء زيد راكبا » ، وكالعامل فاصله التقديم على معموله نحو « عرف زيد عمرا » ، وكالفاعل فأصله التقدم على المفعولات وما يشبهها من الحال ، والتمييز نحو : « ضرب زيد الجاني بالسوط يوم الجمعة أمام بكر ضربا شديدا تأديبا له ممتلئا من الغضب » ، وكالذي يكون في حكم المبتدأ من مفعولي باب علمت نحو « علمت زيدا منطلقا » او في حكم فاعل من مفعول باب أعطيت وكسوت ، وكالمفعول المتعدى اليه بغير وساطة فاصلة التقدم على المتعدى اليه بواسطة نحو : « ضربت الجاني بالسوط » ، وكالتوابع فاصلها ان تذكر مع المتبوع فلا يقدم غيرها عليها ،

وثانيهما: ان تكون العناية بتقديمه والاهتمام بشأنه لكونه في نفسه نصب عينك، وان التفات الخاطر اليه في التزايد، كما نجدك قد منيت بهجر حبيبك وقيل لك: ما تتمنى ؟ تقول: وجه الحبيب أتمنى، وعليه قوله تعالى: « وجرعكوا لله شركاء »(١) او لعارض يورثه ذلك كما اذا اخذت في الحديث وتوهمت لقرائن الاحوال من أنت معه في الحديث ملتفت الخصاطر الى معنى ينتظر من مساقك الحديث المامك به فيبرز ذلك المعنى عندك في معرض أمر يتجدد في شأنه التقاضي ساعة فساعة (١).

ولا يرى القزويني فيما ذكره السكاكي ما يدعو الى الاطمئنانفيرد علبه قائلا : « وفيما ذكر نظر من وجوه :

احدها: انه جعل تقديم « لله » على « شركاء » للعناية والاهتمام، وليس كذلك فان الآية مسوقة للانكار التوبيخي فيمنع أن يكون تعلق « اجعلوا » بـ « لله » منكرا من غير اعتبار تعلقه بـ «شركاء » اذ لاينكر

⁽١) سورة الرعد ، الآية ٣٢ .

۱۱۶ – ۱۱۳ ص ۱۱۳ – ۱۱۶ .

ان يكون جعل ما متعلقا به ، فيتعين أن يكون انكار تعلقه به اعتبار تعلقه بد «شركاء » كذلك منكر باعتبار تعلقت تعلقه بد « لله » فلم يبق فرق بين التلاوة وعكسها ، وقد علم بهذا ان كل فعل متعد الى مفعولين لم يكن الاعتناء بذكر احدهما الا اعتبار تعلقه بالآخر، اذا قدم أحدهما على الآخر لم يصح تقديمه بالعناية ،

وثانيها: أنه جعل التقديم للاحتراز عن الاخلال ببيان المعنى ، والتقديم للرعاية على الفاصلة في القسم الثاني وليسا منه .

وثالثها: أن تعلق « من قومه » بـ « الدنيا » على تقدير تأخره غير معقول المعنى الاعلى وجه بعيد(١) .

القصيير:

وبحث القزويني القصر ، والفصل والوصل بحثا اكثر ترتيباوطلاوة من بحث السكاكي ورد عليه في عدة مواضع ، وأخذ عليه اهماله القصر الحقيقي وادخال قصر التعيين في قصر الافراد وعدم اشتراطه في قصر الموصوف أفرادا عدم ننافي الصفتين ولا في قصره قلبا تحقق تنافيهما (٢) وفضكل رأي عبد القاهر على رأيه فيما بين طرق القصر من فروق ويقول السكاكي: ان شرط مجامعة النفي بـ « لا » العاطفة للطريق الثالث من طرق القصر وهو ما كان بـ « انما » ان لا يكون الوصف مختصا بالموصوف كقوله تعالى : « إنما » ستجيب الذين يسمع ، وكذا قولهم : كل عاقل يعلم ان الاستجابة لا تكون الا ممن يسمع ، وكذا قولهم : « انما يعجل من يخشى الفوت » ، ويقول عبد القاهر : لا تحسسن مجامعته له في المختص كما تحسن في غير المختص ، ويقول القزويني : « وهذا أق س » ()

⁽١) الايضاح ص ١١٧ - ١١٨.

⁽٢) الايضاح ص ١٢٠ .

⁽٣) سورة الانعاء ، الآبة ٣٦ .

⁽٤) الايضاح س ١٢٢.

الغصل والوصل:

وركُّ عليه في الفصل والوصل عند كلامه على القطع والجامـع وأنواعه بين الجملتين (١) •

الايجساز والاطناب:

وبَحَثُ الايجاز والاطناب بحثا مفصلا في « مفتاح العلوم »،وهو من امتع البحوث في هذا الموضوع ، وادخل في الاطناب موضوعاتكان المتقدمون قد عدوها من أبواب البديع ، وأفردوا لها فصولا خاصة كالايضاح بعد الابهام ، وذكر الخاص بعد العام ، والتكرار ، والايغال، والتذييل ، والتكميل ، والاحتراس (٢) .

وقسهم الايجاز الى ايجاز قصر وايجاز حذف ، واطنب في الكلام فيهما فتكلم على المحذوف اذا كان جملة او جزء جملة أو أكثر من جملة وهذا ما لم يفعله السكاكي • ورد عليه ردا عنيفا في اول هذا الفصل ، لان السكاكي قال: «أما الايجاز والاطناب فلكونهما نسبيين لا يتيسر الكلام فيهما الا بترك التحقيق والبناء على شيء عرفي ، مثل جعل كلام الاوساط • والاطناب هو اداؤه باكثر من عباراتهم سواء كانت القلة أو الاعتراف بذلك مقيسا عليه ، ولنسمة متعارف الاوساط ، وانه من باب البلاغة لا يحمد منهم ولا يذم • ثم عرف الايجاز والاطناب بقوله وفالايجاز هو اداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعسارف الأوساط • والاطناب هو اداؤه باكثر من عباراتهم سواء كانت القلة أو الكثرة راجعة الى الجمل أو الى غير الجمل »(٣) • وقال ان الاختصار لكونه من الامور النسبية يرجع الى بيان دعواه الى ما سبق تارة والى كون المقام خليقا بأبسط مما ذكر اخرى • ولم ير القزويني في هذا

⁽۱) الايضاح ص ١٥٥ - ١٦٢ ٠

٢) ينظر كتاب الصناعتين مثلا

⁽٣) مفتاح العلوم ص ١٣٣٠.

الكلام ما فيه الصحة والدقة فقال: « وفيه نظر ، لأن كون الشيء نسبيا لا يقتضي ان لا يتيسر الكلام فيه الا بترك التحقيق والبناء على شيء عرفي ، ثم البناء على متعارف الاوساط والبسط الذي يكون المقصود جديرا به رد الى جهالة فكيف يصلح للتعريف ؟ والاقرب ان يقال: المقبول من طرق التعبير عن المعنى هو تأدية اصل المراد بلفظ مساو ك أو ناقص عنه ، واف ، او زائد عليه بفائدة »(١) .

ورد عليه في موضوعات علم البيان ، ومن ذلك بحثه عن المشترك في موضوع الحقيقة والمجاز والتاء في لفظة الحقيقة .

التمثيل:

واختلف عنه في التمثيل اختلافا يسيرا ، فهو يرى - مع متابعته للسكاكي في تقسيم وجه الشبه - ان التشبيه التمثيلي ما كان وجهه منتزعا من امور متعددة سواء كان حسيا ام عقليا ، اما السكاكي فذكر ان التشبيه متى كان وجهه وصفا غير حقيقي وكان منتزعا من عدة امور خص باسم التمثيل (٢) ، والاختلاف بينهما ان السكاكي يرى أنته لابد أن يكون وجه الشبه وصفاً غير حقيقي أي عقليا ، أما الثاني فيرى أن يكون حسيا وعقليا ، وعلى هذا الاساس فان رأي القزويني في التشبيه هو أن كل تشبيه كان وجهه حسيا مفردا تشبيه غير تمثيلي ، وان كل تشبيه كان وجهه عقلياغير عقليا حقيقيا مفردا تشبيه غير تمثيلي ، وأن كل تشبيه كان وجهه عقلياغير حقيقي مركبا تشبيه غير تمثيلي ، وأن كل تشبيه كان وجهه حقيا حقيقي مركبا تمثيلي ، وأن كل تشبيه كان وجهه حقيا عقليا حقيقيا مفردا تشبيه غير تمثيلي ، وأن كل تشبيه كان وجهه حقيا عقليا حقيقيا مفردا تشبيه غير تمثيلي ، وأن كل تشبيه كان وجهه حقياغير حقيقي مركبا تمثيلي ، وأن كل تشبيه كان وجهه حقياغير حقيقي مركبا تمثيلي ، وأن كل تشبيه كان وجهه حقيا عقليا حقيقي مركبا تمثيلي ، وأن كل تشبيه كان وجهه حقيلا حقيقيا مفردا تشبيه غير تمثيلي ، وأن كل تشبيه كان وجهه عقلياغير حقيقي مركبا تمثيلي ، وأن كل تشبيه كان وجهه حقيلا حقيقيا مفردا تشبيه غير تمثيلي ، وأن كل تشبيه كان وجهه حقيا عقليا حقيقي مركبا تمثيلي ، وأن كل تشبيه كان وجهه عقلياغير حقيقي مركبا تمثيلي ، وأن كل تشبيه كان وجهه عقليا عقليا حقيقي مركبا تمثيلي ، وأن كل تشبيه كان وجهه عقليا عقليا حقيقيا مؤيرا تمثيلي ، وأن كل تشبيه كان وجهه عقليا علي و كلاساس فان رأي القرور و كلاساس في كلان و كلاساس في كلان و كلان

استعارة محسوس لحسوس:

وانكر على السكاكي اهماله استعارة محسوس لمحسوس بما بعضه

⁽۱) الايضاح س ۱۷۷ .

⁽٢) مفتاح العلوم س ١٦٤ والايضاح س ٢٤٩.

⁽٣) ينظر فصل التشبيه في الايضاح ، ودراسات لللغة عبدالقاهر ص ٢٥ .

حسي ، وبعضه عقلي كقولك « رأيت شمسا » وأنت تريب انسانا ، تشبيها بالشمس في حسن الطلعة ، ونباهة الشأن . ونقده في القرينة في قول الشاعر :

تقري الرياح وياض الحزن مزهرة الرياح وياض الحرى النوم في الاجفان القاظا^(١)

الحقيقة والمجاز:

وعقد القزويني فصلا رد فيه على السكاكي في باب الحقيقة والمجاز وناقشه ، يقول: «اعلم ان كلام السكاكي في هذا الباب أعني باب الحقيقة والمجاز والفصل الذي يليه مخالف لمواضع مما ذكرنا ، فلابد من التعرض لها ، ولبيان ما فيها »(٢) ، وقد ناقش السكاكي في تعريف الحقيقة والمجاز وتقسيمه للمجاز ، وفي تعريفه الاستعارة التخييلية ، والمكنية ، والتبعية مما سنذكر طرفا منه في باب « بلاغة القزويني » ،

البديسع:

وبعد أن انتهى من البيان عقد للبديع بابا واضاف الى ما ذكره السكاكي فنونا أخرى كالارصاد ، والاستطراد ، والتجريد ، والموازنة، والقول بالموجب ، والتشريع ، وترك أنواعا كثيرة أشار السكاكي اليها، كأوجه التحسين الراجعاة الى الخط دون اللفظ ، أو كون الحروف منقوطة وغير منقوطة ،

وبحثه في البديع احسن من بحث السكاكي الذي أماته ، وأحال ه جملا لا روح فيها ، وعبارات لا توحي بشيء ، أما القزويني فقد توسع في بحثه ، وأكثر من الامثلة ، وقسمها تقسيما ليس فيه التكلف والاسراف في الصنعة حتى أن بعض الباحثين المحدثين في البلاغة وفنونها

⁽۱) الايضاح ص ۲۹۷ ، ۲۰۰ ،

⁽٢) الايضاح ص ٣١١ .

المختلفة أثنى عليه في هذا المضمار ، فقال الاستاذ علي الجندي متحدثا عن الجناس: « ومقارنة ما كتب عن الجناس ، وانعام النظر فيما وردمنه في الشعر يتبين لنا أن تقسيم الخطيب أحْمَدُ هذه التقسيمات جميعا ، وأبعد ها عن الاسراف ، فالانواع التي ذكرها كثيرة الورود قوية الصلة بالطبع ، ولهذا يمكن أن نعدها أصول الجناس » (١) • ويمكن تطبيق كلام الاستاذ الجندي على كثير من أنواع البديع التي ذكرها القزويني ، فهي وان لم تكن الصورة المثلى لبحثه فنون البديع لـ أحسن من كلام السكلكي ، ذلك الكلام الذي سيطر عليه الجفاف ، وسادته روح التقنين الضيق • ولو اطال القزويني في بحثها وذكر الامثلة الحية لعسد من المبرزين في هذا المضمار لما امتاز به من ذوق أدبي صاف ، وطبيعة فنية المبرزين في هذا المضمار لما امتاز به من ذوق أدبي صاف ، وطبيعة فنية صادقة كانت حصيلة بيئة مصر والشام العربية • ومع ذلك فقد رد على السكاكي في بعض المواضع ، واختلف معه في بعض المصطلحات ، فاطلق على سوق المعلوم مساق غيره مصطلح « تجاهل العارف » •

انفسراد:

وانفرد القزويني عن السكاكي بفصلين هما: السرقات ، وحسن الابتداء والانتهاء ، ولم يكن فيهما مجددا ، الا انها انتفاتة حسنة منه تشير الى ما رزق من ارهاف ، وحس ، وتذوق للادب واساليبه .

ومن هنا نجد القزويني يتأثر بالسكاكي في ناحيتين: المنهج، ومادة البحث • ولكنه لم يتابعه متابعة تامة، وانما حاول أن يفند آراءه ويرد عليها، ولعل ما ذكرناه يوضح هذا خير توضيح، ويلقي ضوء على عمل السكاكي والقزويني في البلاغة العربية •

* *

هذا هو منهج القزويني في البلاغة ، وتلك كتبه وآثاره ، ويسكنأن نلخص مصادرها في انه استفاد من كتب المبرد ، و « النكت في اعجـــاز

⁽¹⁾ فن الجناس ص ٦١ .

القرآن » للرماني ، و « كتاب الصناعتين » للعسكري ، و «الوساطة » للقاضي الجرجاني ، و كتاب « المفردات في غــريب القرآن » للراغب الاصفهاني ، و « سر الفصاحة » لابن سنان ، و « المشــل السائر » و « الوشى المرقوم » لابن الاثير ، و « بديــع القرآن » و « تحرير التحبير » لابن أبي الاصبع المصري ، و «المصباح» لبدرالدين بن مالك، ويبدو أثر « دلائل الاعجاز » و « واســرار البلاغة » لعبد القاهر و « الكشاف » للزمخشري و « مفتاح العلوم » للسكاكي واضحا في بلاغة القزويني ، وقد سار على خطاهم ولم يتخلص من بلاغتهم وتأثيرهم الاقليل والله قليلا •

البائرالكاني الأنادي



الغصالأول



١

شغل النقاد منذ القديم باللفظ والمعنى أو بالشكل والمضمون ، والقسموا الى مؤيدين للفظ ومدافعين عن المعنى ، والى من جمع بين الاثنين ، وهذه مسألة من مسائل علم الجمال الحديث وقد شغل بها الاقدمون والعرب ووضعوا مقاييس للفظ والمعنى ، ولعل ارسطو من اوائل الذين شغلوا بهذا الموضوع وكتبوا فيه ،

رأي الجاحظ:

والجاحظ من أوائل الذين أثاروا هذه المشكلة عند العرب حينما قال: « والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي ، والعربي، والبدوي، والقروي ، والمدني ، وانما الشأن في اقامة الوزن، وتخير اللفظ ، وسهولة المخرج ، وكثرة الماء ، وفي صحة الطبع ، وجودة السبك ، فانما الشعر

صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير »(١) •

وظن بعضهم ان الجاحظ يميل الى اللفظ كل الميل ، وانه لا يرى للمعنى قيمة ، والواقع أنه عني باللفظ واعطاه نصيبه من الاهتمام،وهذا واضح لكل من يقرأ كتبه ويمعن النظر فيها .

ولعل دفاعه عن اللفظ في كثير من الاحيان يعود الى ما كان بين العنصرين العربي والاعجمي من صراع ، فقد تشيع الاعاجم للمعنى تشيعا عظيما ، وأتجه العرب الى اللفظ يعظمونه ويضفون عليه صفات كبيرة (٢) • وعرف الجاحظ بكرهه للشعوبية الحاقدة ودفاعه عن العرب فجنح هذا الجنوح في تعظيم اللفظ وتقديره ، مع انه يروي ان بعضهم لا يحفل إلا بالمعنى ، كأبي عمرو الشيباني الذي يرى أن المعنى متى كان رائعا حسنا ظل كذلك في أية عبارة وضع فيها فالبيتان :

لا تكمُسبَنَ الموت موت البلى فانما الموت سؤال الرجال كلاهما موت ولكن ذا أفظع من ذاك لذل السؤال

استحسنهما أبو عمرو على حين ليست عليهما مسحة أدبية سوى الوزن ، وعابه الجاحظ ورأى أنه مسرف في تقديرهما • يقول: « وأنا رأيت أبا عمرو الشيباني وقد بلغ من استجادته لهذين البيتين ونحن في المسجد يوم الجمعة أن كلف رجلا حتى أحضره دواة وقرطاسا حتى كتبهما له وانا ازعم ان صاحب هذين البيتين لا يقول شعرا ابدا ، ولولا ان ادخل في الحكم بعض الفتك لزعمت أن ابنه لا يقول شعرا ابدا » (۱۳) •

ووضع الجاحظ مقاييس للفظ وتكلم على تنافر الالفاظ وما ينبغي تجنبه ، ولكنه لم يهمل المعنى والتأكيد عليه ، ومن هنا لا نتفق مـــع

⁽۱) الحيوان ج٣ ص ١٣١ _ ١٣٢ .

٢) ينظر في النقد الادبى ص ١٦١ وابو هلال العسكري ومقاييسه البلاغيـــة
 والنقديـــة ص ١٣٢٠.

⁽٣) الحيوان ج٣ ص ١٣١ .

ما ذهب اليه بعضهم من ان الجاحظ كرس جهوده في خدمة الالفاظ ، ولاجله خاض عبد القاهر غمار هذا البحث ويرى الدكتور محمدمندور ان كل آراء عبدالقاهر تنحصر في مسألتين :

الاولى: انكاره لما رآه الجاحظ من اهمية فصاحة الالفاظ باعتبار تلك الفصاحة صفة في اللفظ ذاته ، ثم ثورته على مذهب العسكري الذي يرد جودة الكلام الى محسنات لفظية تقف عند الشكل .

الثانية: تعليقه جودة الكلام بخصائص في النظم (١) •

وفيما نقله عبد القاهر من اهتمام الجاحظ بالصياغة والمعنى خير دليل لتفنيد ما ذهب اليه مندور •

رأي ابن قتيبة:

وذكر ابن قتيبة ان الشعر اربعة أضرب : ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه كقول القائل في بعض بنى أمية :

في كف خيزران" ريحه عبق" من كف أروع في عرنينه شمكم للغضي حياء ويُغاضى من مهابته فما يكلم الاحين يباتكسم

وكقول أوس بن حجر:

أيَّتُها النَّفْسُ أجملي جَزَعا إِنَّ الذي تَحْذَرِينَ قَدْ وقَعا

وضرب منه حَسَن لفظه وحلا ، فاذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى كقول القائل :

ولماقتضيّنا من منى كثلَّ حاجة ومنسيَّح بالأركان من هوماسح وشندَّت على حند ب المهسّارى زحالتنا ولا ينظر المسسّادي الذي هو رائسح

⁽١) في الميزان الجديد ص ١٤٩٠

أخذنا بأطراف ِ الاحاديث بينا وسالت ْ بأعناق ِ المَطَى ّ الأباطح مُ

يقول معلقا عليها: «هذه الالفاظ كما ترى احسن شيء مخارج ومقاطع ، وان نظرت الى ما تحتها من المعنى وجدته: ولما قطعنا أيام منى، واستلمنا الاركان ، وعالينا الانضاء ، ومضى الناس لا ينظر الغادي الرائح ، ابتدأنا في الحديث وسارت المطي في الاباطح ، وهذا الصنف كثير »(١) .

ونحوه قول المعلوط(٢):

إِنَّ الذينَ عَدُوا بلبك غادروا و شكلاً بعينك لا يزال معينا غيتضن منعبراتهن وقتلن لي: ماذا لقيت من الهوى ولتقينا

وضرب منه جاد معناه ، وقصرت الفاظه عنه كقول نبيد بن ربيعة : ما عاتب ُ المرء الــــكريم كنفسه والمرء ُيـُصـُلِحه الجليس ُ الصالح ُ

وضرب منه تأخر معناه ، وتأخر لفظه كقول الاعشى في امرأة : وفتوها كاقاحي ً غذاه دائم ُ الهكطُّلِ كما شيب براح بارد ٍ من عكسل ِ النكوُّلِ (٣)

فابن قتيبة يذهب الى « أنَّ البلاغة لا تقتصر على اللفظ فهي قد تكون فيه فقط ، وقد تكون فيهما جميعا ، وقد تكون فيهما جميعا ، وقد تنقصهما جميعا ، فليس اللفظ وحده هو الذي يعطي النماذج الاديسة قيمتها من فن وجمال ، فالممنى يشركه في ذلك اذ يوصف، بالرداءة والقبح كما يوصف بالجودة والجمال » (أ) ، وكأن ابن قتيبة في ذلك يرد على كما يوصف بالجودة والجمال » (أ) ، وكأن ابن قتيبة في ذلك يرد على

⁽۱) الشعر والشعراء س ۸ ٠

⁽۲) يروى البيتان لجرير وهما في ديوانه ص ۷۸ه .

⁽٣) الشعر والشعراء ص ٧ ـ ١٠ ٠٠

⁽٤) في النقد الادبي ص ١٦٢.

الجاحظ مذهبه في تقديم اللفظ على المعنى من حيث بلاغة الكلام • وقد سار ابن طباطبا في « عيار الشعر » على خطاه ، واستمد حديثــــه عن المعانى والالفاظ من فكرته •

واهتم النقاد والبلاغيون بالموضوع فتكلم قدامة بن جعفر على اللفظ وليس في كلامه ما يشير الى تفضيله اللفظ او المعنى بصراحة وإن وضع لكل منهما اصولا وقواعد ، وقال : « نعت اللفظ أن يكون سكم عا ، سهل مخارج الحروف من مواضعها ، عليه رونق الفصاحة مع الخلو من البشاعة »(١) •

وتحدث ابو هلال عنهما وعقد لكل منهما فصلا .

دأي عبدالقاهر:

وكان عبد القاهر ممن اهتم بالمعنى مع اهتمامه بالصياغة ، وإن وهب الى أن الالفاظ خدم للمعاني ، وأوعية لها ، وهبي تتبعها في حسنها وجمالها وقبحها ورداءتها ، يقول : « ولن تجد أيمن طائرا ، وأحسن اولا وآخرا ، وأهدى الى الاحسان ، واجلب للاستحسان من ان ترسل المعاني على سجيتها وتدعها تطلب لأنفسها الالفاظ فانها اذا تركت وما تريد نم تكثتس الا ما يليق بها ، ولم تلبس من المعارض الا ما يزينها فاما ان تضع في تفسك انه لا بسد من أن تجنس أو تسجع بلفظين مخصوصين ، فهو الذي انت بعرض الاستكراه ، وعلى خطر من الخطأ والوقوع في الذم فان ساعدك الجد كما ساعد في قوله :

رُو ْدَ عَانِي أَمْت ْ بِمَا أُو ْدَ عَانِي

وكما ساعد أبا تمام في نحو قوله:

وأنجدتم من بَعد إِنهام د اركم فيادمع أنهجدني على ساكني كجدد

١١٠ نقد الشمر ص ١٠ ٠

وقوله:

هنُنَ الحَمَامِ فإِنْ كَسَـرِنَ عِيافةً

من حسائيهِن ً فانهسن حرمسام

فذاك ، والا اطلقت لسنة العس »(١) .

والالفاظ عند عبدالقاهر لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ، ولا من حيث هي كلم مفردة ، وأن الالفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافهافي ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك بما لا تعلق لهبصريح اللفظ ، ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك ، وتؤ نسك في موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر كلفظ الاخدع في بيت الحماسة :

تكلُّقُت " نحو الحي حتى وجدتني و جعت من الاصغاء لييتا وأخدعا (٢)

وبيت البحتري:

وإِنِّي وإِن° بَكَّغَتني شَــرَف الغِنـــي

واعتقت من رق المطامع أخسد عي

فان لها في هذين المكانين ما لا يخفى من الحسن ، ثم انك تتأملها في يبت أبي تمام:

يا دَ هُـر مُ قَوَّم م من أخدعيك فقدد

أَضْجُجُتَ هـ ذا الانام من خرُ مُقِكُ

⁽۱) اسرار البلاغة ص ۱۹ ـ ۲۰ .

١٢١ الليت : صفحة العنق ، مثناه : ليتان ، ج : اليان .

الاخدع: عرق في صفحة العنق ، يقال : لاقيمن اخدعيك ، أي : لاذهبن كبرك ،وفلان شديد الاخدع: كناية عن العتو والشدة . ج : أخادع .

فتجد لها من الثقل على النفس ، ومن التنغيص والتكدير أضعاف، ما وجدت هناك من الروح ، والخفة ، والايناس ، والبهجة .

ومن أعجب ذلك لفظة « الشيء » فانك تراها مقبولة حسنة في موضع ، وضعيفة مستكرهة في موضع ، وإن اردت أن تعرف ذلك فانظر الى قول عمر بن أبى ربيعة :

ومن ماليء عينيه من شيء غيثره اذا راح نحو الجمرة البيض كالدممي

والى قول أبي حية:

اذا ما تقاضى المرء يوم" وليلة" تقاضاه شيء "لا يمل التقاضيا فانك تعرف حسنها ، ومكانها من القبول • ثم انظر اليها في بيت المتنبي:

لو الفلك الدوار ابغضت سعيه لعوقه شيء عن الدوران فانك تراها تقل ، وتضوّل بحسب نبلها وحسنها •

وينتهي عبدالقاهر الى أن الكلمة لو كانت اذا حسنت ، من حيث هي لفظ ، واذا استحقت المزية والشرف ، استحقت ذلك في ذاتها وعلى انفرادها دون أن يكون السبب في ذلك حال لها مع اخواتها المجاورة لها في النظم ، لما اختلف بها الحال ، ولكانت اما ان تحسن أبدا ، أو لا تحسن ابدا(١) .

ولم يقف عبد القاهر عند الاهتمام بالنظم ، وانما اهتم بالتصوير الادبي الذي لا يكون الا بترتيب الالفاظ والتأليف بينها • يقول: « ومعلوم ان سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة ، وان سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه كالفضة

⁽١) ينظر دلائل الاعجاز ص ٣٨ وما بعدها ٠

والذهب يصاغ منهما خاتم أو سوار • فكما ان محالا اذا أنت اردت النظر في صوغ الخاتم وفي جودة العمل ورداءته ان تنظر الى الفضة • الحاملة لتلك الصورة ، او الذهب الذي وقع فيه العمل وتلك الصنعة • كذلك محال اذا اردت أن تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام أن تنظر في مجرد معناه • وكما انا لو فضلنا خاتما على خاتم بأن تكون فضةهذا اجود ، او فصه أنفس ، لم يكن ذلك تفضيلا له من حيث هو خاتم ، كذلك ينبغي اذا فضلنا بيتا على بيت من اجل معناه ان لا يكون تفضيلا له من حيث هو شعر وكلام • وهذا قاطع فاعرفه »(١) •

فعبد القاهر يرى ان للتصوير الادبي فيمة كبيرة ، ولهذا اطال الكلام في اسرار البلاغة على الوسائل والاساليب التي تجعل الصورة حسنة مقبولة ، ولكنه مع ذلك لا يرى للكلام قيمة في لفظه أو معناه ، وانساهو الترابط بينهما ، ودعاه هذا الى القول بنظريسة النظم ، والنظم عنده سه لينهما ، ودعاني النحو وتعليق الكلم بعضها ببعض ، وجعل بعضها ببعض ، وجعل بعضها بسبب من بعض ، وذهب أبعد من هسدا ورأى أن في الاستعارة ما لا يمكن بيانه الا بعد العلم بالنظم والوقوف على حقيقته ، يقول معلقا على الاستعارة في بيت الشاعر :

سالت عليه شعاب ُ الحي حكين دعا أنصاره َ بوجوه ٍ كالدَّنانـــير

« فانك ترى هذه الاستعارة على لطفها وغرابتها إنها تم لهـــا الحسن وانتهى الى حيث انتهى بما توخى في وضع الكلام من التقديم والتأخير، وتجدها قد ملحت ولطفت بسعاونة ذلك ومؤازرته لها • وان شككت فاعمد الى الجارين والظرف فأز ل كلا منها عن مكانه الذي وضعه الشاعر فيه فقل: « سالت شعاب الحي بوجوه كالدنا نيرعليه حين دعا انصاره» • ثم انظر كيف يكون الحال وكيف يذهب الحسن والحلاوة ، وكيف

⁽۱) دلائل الاعجاز ص ۱۹۲ ــ ۱۹۷

تعدم أريحيتك التي كانت،وكيف تذهب النشوة التي كنت تجدها» (١).

فالفصاحة عنده لا تحصل الا بتوخي معاني النحو أي في النظم ، والالفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربا خاصا من التأليف ، ويعمد بها الى وجه دون وجه من التركيب والترتيب ، فلو انك عمدت الى بيتشعر أو فصل نثر ، فعددت كلماته عكد من كيف جاء وأتفق ، وابطلت نضده و نظامه الذي عليه بني وفييه افرغ المعنى واجري ، وغيرت ترتيب الذي بخصوصيته أفاد كما أفاد وبنسقه المخصوص أبان المراد نحو ان تقول في: «قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل »: «منزل قفا ذكرى من نبك حبيب أخرجته من كمال البيان الى محال الهذيان ، نعم ، واسقطت نسبته من صاحبه ، وقطعت الرحم بينه وبين منشئه بل احلت ان يكون له اضافة الى قائل ونسب يختص بمتكلم (٢) ،

وينتهي الى الحكم بالخطأ على من قصر الفصاحة على الكلمات من حيث هي الفاظ منطوقة واصوات مسموعة ، والكاتب لا يطلب اللفظ بحال وانما يطلب المعنى ، واذا ظفر بالمعنى فاللفظ معه وازاء ناظره وهو في هذا يتفق مع ما يقوله نودييه (Nodier) في هذا المعنى: « انالكلمة ثمرة للفكرة ، فمتى نضجت الفكرة سقطت كما تسقط الثمرة الناضجة ، ولكنها تسقط على كلمتها » ومع ما يقوله جوبير (Joubert) « وعندما تصل الفكرة الى تمامها تصيح بكلمتها » (٣) .

رأي ابن الاثير:

وآثر ضياء الدين بن الاثير جانب اللفظ على المعنى في تقدير البلاغة او تقدير القيم الفنية للادب • وهذا أمر طبيعي في عصره الذي اهتم فيه الكتاب بتخير الالفاظ والتفنن في رصفها ، وكان هذا هو الذي يميز

⁽۱) دلائل الاعجاز ص ۷۸ .

⁽٢) اسرار البلاغة ص ٨٠

⁽٣) ينظر بلاغة ارسطو ص ٣٧٩ ، ونظرية عبدالقاهر في النظم ص ٨٢ ، وينظر دلائل الاعجار ص ٩٤

كاتبا عن كاتب ، وعلى اساسه كان السلاطين والامراء يختارون كتتًاب الانشاء ممن يحسنون الكتابة في الدواوين التي كانت معاني رسائلها معروفة شائعة ليس من فرق بينها الا في اختيار الالفاظ ، وتحبير العبارات ، وتنميق الالفاظ .

رأي ابن خلدون:

وذهب ابن خلدون الى ان صناعة الكلام نظما ونثرا ، انما هي في الالفاظ لا في المعاني ، وانما المعاني تبع لها وهي اصل ، فالصانع الذي يحاول ملكة الكلام في النظم والنثر انما يحاولها في الالفاظ بحفظ امثالها من كلام العرب ليكثر استعماله وجريه على لسانه حتى تستقر له الملكة في لسان مضر ، ويتخلص من العجمة التي رمبي عليها في جيله ، ويفرض نفسه مثل وليد نشأ في جيل العرب ، ويلقن لغتهم كما يلقنها الصبي حتى يصير كأنه واحد منهم في لسانهم • ويرى ان المعاني موجودة عند كل واحد ، وفي طوع كل فكر منها ما يشاء ويرضى فلا يحتاج الى صناعة (١) •

آراء الفربيين:

ولم يكن العرب وحدهم ممن اعتنقوا هذا المذهب في عصورهم السالفة ، وانما اعتنقه جماعة من نقاد الغرب المحدثين ، ونادوا به ، مثل « شارلتن » الذي يقول : إن الشعر مؤلف من الفاظ ومن الفاظ فقط كما تتألف سائر ضروب الكلام ، فكل ما للشعر من سحر يفتن القلوب انما هو صادر عن الالفاظ والالفاظ وحدها ، ويذهب « شيلر » الى ان الفن فيه الشكل وهو كل شيء والمعنى ليس شيئا مذكورا(٢) ولكن كثيرا من نقاد العرب كانوا يعتبرون اللفظ والمعنى سواء ولا يفصلون يينهما ، ولعل صحيفة بشر بن المعتمر (٢١٠هـ) من اقدم الرسائل التي

⁽١) مقدمة ابن خلدون ص ٧٧٥ .

⁽٢) فنون الادب ص } ، وقدامة بن جعفر والنقد الادبي ص ١٨٥.

وصلت الينا بهذا الصدد، فهو ينصح بترك التوعرالذي يسلم الى التعقيد، والتعقيد هو الذي يستهلك المعاني ويشين الالفاظ، ومن اراغ معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما فان حق المعنى الشريف اللفظ الشيريف، ومن حقهما ان يصانا عما يفسدهما ويهجنهما (١) •

رَأي ابن طباطبا:

وكان ابن قتيبة الذي اشرنا الى كلامه فيما سبق ممن يسوي بين اللفظ والمعنى ، وكان ابن طباطبا يرى ان اللفظ والمعنى ضروريان ، يقول وهو يتحدث عن الشعر: « وان نقص جزء من اجزائه التي يعمل بها ، وهي اعتدال الوزن وصواب المعنى ، وحسن الالفاظ كان انكار الفهم اياه على قدر نقصان اجزائه ، ومثال ذلك الغناء المطرب الذي يتضاعف له طرب مستمعه المتفهم لمعناه ولفظه مع طيب الحانه ، فاما المقتصر على طيب اللحن منه دون ما سواه فناقص الطرب »(٢) ، ويذهب الى ان الكلام الذي لا معنى له كالجسد الذي لا روح فيه كما قال بعض الحكماء: « للكلام جسد وروح ، فجسده النطق وروحه معناه »(٣) ، وللمعاني ألفاظ تشاكلها فتحسن فيها وتقبح في غيرها ، فهي لهاكالمعرض وللمعاني ألفاظ تشاكلها فتحسن فيها وتقبح في غيرها ، فهي لهاكالمعرض معنى حسن قد شين بمعرضه الذي ابرزه فيه ، وكم معرض حسن قد ابتذل على معنى قبيح البسه ، وكم من صارم عضب قد انتضاه من وددت لو انه انتضاه فهزه ثم لم يضرب به (٤) ،

دأي ابن رشيق:

وربط ابن رشيق بين اللفظ والمعنى ، وقال : « إنَّ اللفظ جسم ،

⁽١) ينظر البيان والتبيين ج١ ص ١٣٦٠.

⁽٢) عيار الشعر ص ١٥

⁽٣) عيار الشعر س ١١

⁽٤) عيار الشعر ص ٨٠

وروحه المعنى ، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعف ، ويقوى بقوته ، فاذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصا للشمعر وهجنة عليه كما يعرض لبعض الاجسام من العرج والشلل والعور وما أشبه ذلك من غير ان تذهب الروح ، وكذلك ان ضعف المعنى واختل بعضه كان للفظ من ذلك اوفر حظ كالذي يعرض للاجسام من المرض بمرض الارواح ولا تجد معنى يختل الا من جهة اللفظ وجريه فيه على غير الواجب قياسا على ما قدمت من ادواء الجسوم والروح ، فاناختل المعنى كله وفسد بقي اللفظ مواتا لا فائدة فيه ، وان كان حسن الطلاوة في السمع ، كما ان الميت لم ينقص من شخصه شيء في رأي العين الا انه لا ينتفع به ولا يفيد فائدة ، وكذلك ان اختل اللفظ جملة وتلاشى لم يصح له معنى ، لانا لا نجد روحا في غير جسم البتة »(۱) .

وللبحتري أبيات يشارك فيها رأي من يسوون بين اللفظ والمعنى ، يقول :

حجج تخرس الأكد بألف الفوافي هركنت كالجوهر المعدود وممان لو فصلاتها القوافي هركنت شعر جرول وليد حنزن مستعمل الكلام اختيارا وتجنبن ظلمة التعقيد وركبن اللفظ القريب فأد ركن غاية المسراد البعيد كالعذارى غدون في الحلل الصفر إذا رحن في الخطوط السلود (٢)

الصلة بين اللفظ والمعنى:

ولكن هل ترك اصحاب اللفظ المعنى ، وهجر اصحاب المعنى اللفظ؟ إنَّ الباحث في آراء المتقدمين لا يجد حدا فاصلا بين الرأي الاولوالرأي الثاني ، فالذي يفضل اللفظ لا يترك المعنى ، والذي يفضل المعنى لا يطرح اللفظ وان كان جنوحه الى أحدهما أكثر ، وسبب ذلك ان النقاد

⁽١) العمدة ج١ ص ١٢٤٠

⁽٢) ديوان البحتري ج٢ ص ٣٢٩٠٠

والبلاغيين القدماء احسوا ان لكل منهما اهمية وميزة ، ولعل الجاحظ وعبدالقاهر أحسن من يمثل ما نذهب اليه فالاول مع جنوحه الى اللفظ نراه يؤكد على المعنى ، ويلح في الاهتمام به ، والثاني مع تأكيده على المعنى وان الالفاظ لا قيمة لها من غير النظم ، نجده يشير الى الالفاظ وقيمتها وان لم يصرح بذلك فقد كان حذرا في تعبيراته وتعليلاته ، يقول: « واذا رأيت البصير بجواهر الكلام يستحسن شعرا ويستجيد نثرا ، ثم يجعل الثناء عليه من حيث اللفظ فيقول: حلو رشيق ، وحسن أنيق ، وعذب سائغ ، وخلوب رائع ، فاعلم انه ليس ينبئك عن أحوال ترجع الى اجراس الحروف والى ظاهر الوضع اللغوي، بل الى امريقع من المرء في فؤاده ، وفضل يقتدحه العقل من زناده» (۱) .

⁽١) اسرار البلاغة ص ٩ .

الاهتمام باللفظ:

واهتم النقاد العرب بالالفاظ ووضعوا لها قواعد وأصولا ، وكان النجاحظ من اوائل الذين عرضوا لها وسار على نهجه قدامة بن جعفر ، وأبو هلال ، وابن سنان ، وابن الاثير .

وعندما قسم السكاكي البلاغة الى أقسامها المعروفة نم يعقد فصلا للالفاظ ، وانما تكلم على الفصاحة بعد ان انتهى من بحث موضوعات البيان ، وذكر ان الفصاحة قسمان : قسم راجع الى المعنى وهو خلوص الكلام من التعقيد ، وآخر راجع الى اللفظ وهو ان تكون الكلمةعربية أصيلة ، وعلامة ذلك ان تكون كثيرة الدوران على ألسسنة الموثوق بعربيتهم ، واستعمالها أكثر لا مما احدثها المولدون ، ولا مما اخطأت فيه العامة ، وان تكون أجرى على قوانين اللغة ، وان تكون سليمة عن التنافر ، والمراد بتعقيد الكلام هو أن يعثر صاحبه فكرك في متصرفه ويشيك طريقك الى المعنى ويوعر مذهبك نحوه ، حتى يقسم فكرك ، ويشعب ظنك الى أن لا تدري من أين تتوصل ، وبأي طريق معنساه ويشعب ظنك الى أن لا تدري من أين تتوصل ، وبأي طريق معنساه يتحصل كقول الفرزدق :

وما مِثْلُهُ فِي الناسِ إِلا ممل*تُكا أبو أمــه حي* ْ أبوه ُ يثقــَار ِبــه ْ

وكفول أبي تمام :`

ثانيه في كبيد السَّماء ولم يكن كاثنين ثان إذ همما في الغار

وغير المعقد ، هو ان يفتح صاحبه لفكرتك الطريق المستوي ويمهده، وان كان في معاطف نصب عليه النار ، وأوقد الانوار حتى تسلكه سلوك المتبين لوجهته ، وتقطعه قطع الواثق بالنجح في طيته (١) • وجعل السكاكي الفصاحة غير لازمة للبلاغة وحصر مرجع البلاغة في علمي المعاني والبيان ، ولم يجعل للفصاحة مرجعا في شيء منهما •

وعندما اختصر بدرالدين بن مالك القسم الثالث من « مفتاح العلوم » تكلم على الفصاحة بعد موضوعات علم البيان ، واطلق عليها اسم « علم البديع » • وقال عنه : « هو معرفة توابع الفصاحة » وعرف الفصاحة بأنها : « صوغ الكلام على وجه له توفية بتمام الافهام لمعناه ، وتبين المراد منه »(٢) • وقسمها الى معنوية ولفظية ، وذكر ما في مفتاح العلوم من صفاتهما ، وقسم المعنوية الى مختصة بالافهام والتبيين ، ومختصة بالتزيين والتحسين •

وعندما جاء الخطيب القزويني وجد السبيل ممهدا لبحث الفصاحة فاستفاد من علماء البلاغة المتقدمين ، ورتب بحث الالفاظ ترتيبا اقتضته عقليته المنطقية واسلوبه الفلسفي الذي عالج به موضوعات البلاغة كلها ، وخالف السكاكي وبدر الدين في بحث الفصاحة ولم يبحثها بعد موضوعات البيان ولم يدخلها في البديع ، وانما جعلها مقدمة للتلخيص والايضاح ، وفي هذه المقدمة _ التي كانت كشفا عن معنى الفصاحة والبلاغة وانحصار علم البلاغة في المعاني والبيان _ تكلم على صفات الالفاظ وما ينبغي ان تكون عليه ، وبحثه _ وإن لم يكن عميقا عمق الالفاظ وما ينبغي ان تكون عليه ، وبحثه _ وإن لم يكن عميقا عمق

۱۹۷ – ۱۹۲ ص ۱۹۲ – ۱۹۷ .

⁽٢) المصباح ص ٧٥٠

بحث ابن سنان وابن الاثير ـ ، كان ايذانا بجعله مقدمة لعلوم البلاغة منذ عصره حتى اليوم .

رأي القزويني:

بدأ القرويني مقدمته في الفصاحة بقوله: « للنساس في تفسير الفصاحة والبلاغة أقوال مختلفة لم أجد فيما بلغني منها ما يصلح لتعريفهما به ، ولا ما يشير الى الفرق بين كون الموصوف بهما الكلام ، وكون الموصوف بهما المتكلم ، فالاولى ان نقتصر على تلخيص القول فيهما بالاعتبارين »(۱) • وهذا اغراق في الغلو ، واسراف في الابتعادعن الحقيقة ، لان النقاد والبلاغيين اهتموا بهما ، ووضعوا لهمسا حدودا وفر قوا بينهما في مختلف العصور ، وكانت البحوث التي كتبها الجاحظ، وقدامة بن جعفر ، وأبو هلال العسكري ، وابن سنان الخفاجي ، وعبد القاهر الجرجاني ، وضياء الدين بن الاثير ، من خيرة ما كتب ، وأروع ما خطته يد بلاغي ناقد .

لقد ذكر أبو هلال أن "بعضهم قال: إن "الفصاحة من قولهم: أفصح فلان عما في نفسه اذا اظهره و والشاهد على انها هي الاظهار قول العرب: « افصح الصبح » اذا اضاء ، و « افصح اللبن » اذا انجلت عنه رغو ته فظهر و فصح و واذا كان الامر على هذا ، فالفصاحة والبلاغة ترجعان الى معنى واحد وان اختلف اصلاهما ، لان كل واحد منهما انما هو الابانة عن المعنى ، والاظهار له ، وذكر عن بعضهم أن "الفصاحة تمام آلة البيان ، فلهذا لا يجوز أن يسمى الله تعالى فصيحاً ، اذ كانت الفصاحة تتضمن معنى الآلة ، ولا يجوز على الله تعالى فصيحاً ، اذ كانت الفصاحة تتضمن معنى الآلة ، ولا يجوز على الله تعالى الوصف والدليل على ذلك ان الالثغ كلامه بالفصاحة لما يتضمن من تمام البيان ، والدليل على ذلك ان الالثغ والتمتام لا يسميان فصيحين لنقصان آلتهما عن اقامة الحروف فعلى هذا تكون الفصاحة والبلاغة مختلفتين وذلك ان الفصاحة تمام آلة البيان ، والبلاغة فهي مقصورة على اللفظ ، لان الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى ، والبلاغة

⁽٣) الايضاح ص ٢ ٠

إنما هي انهاء المعنى الى القلب فكأنها مقصورة على المعنى(١) .

وذكر ابن سنان ان الفصاحة الظهور والبيان ، ومنهـــا « أفصح اللبن » اذا انجلت رغوته وفصح فهو فصيح • قال الشاعر :

وتكحت الرغوة ِ اللَّابَنُ ۗ الفصيح ُ

ويقال: « افصح الصبح » اذا بدا ضوءه ، و « افصح كل شيء » اذا وضح • وسمي الكلام الفصيح فصيحا ، كأنهم سموه بيانا لاعرابه عما عبر به عنه واظهاره له اظهارا جليا(٢) •

والفرق بين الفصاحة والبلاغة عنده أن « الفصاحة مقصورة على وصف الالفاظ ، والبلاغة لا تكون الا وصفا للالفاظ مع المعاني ولايقال في كلمة واحدة لا تدل على معنى يفضل عن مثلها بليغة ، وإن قيل فيها فصيحة وكل كلام بليغ فصيح ، وليس كل فصيح بليغا »(٣) .

وذكر ابن الأثير أن الكلام الفصيح هو الظاهر البكيتن ، والفرق بين البلاغة والفصاحة ان الاولى شاملة للالفاظ والمعاني وهي أخص من الفصاحة كالانسان من الحيوان فكل انسان حيوان ، وليس كل حيوان انسانا ، وكذلك يقال كل كلام بليغ فصيح ، وليس كل كلام فصيح بليغا ، ولا تكون البلاغة الا في اللفظ والمعنى بشرط التركيب فان اللفظة الواحدة لا يطلق عليها اسم البلاغة ويطلق عليها اسم الفصاحة ، اذ يوجد فيها الوصف المختص بالفصاحة وهو الحمن، وأما وصف البلاغة فلا يوجد فيها لخلوها من المعنى المفيد الذي ينتظم كلاما (٤) .

وليس ما كتبه القزويني في الفصاحة والالفاظ الا خلاصة هــــذه البحوث ، فكيف ــــ إذ ن ° ــــ لم يترك القدماء تعريفا للفصاحة او البلاغة

۱) كتاب الصناعتين ص ۷ ـ ۸ .

⁽٢) سر الفصاحة ص ٥٩ .

⁽٣) سر الفصاحة ص ٦٠٠

⁽٤) المثل السائر ج۱ ص ٦٩ ـ ٧٠ .

يمكن الاعتماد عليه والاستنارة به • ولعله متأثر في هـــذه الدعوى بعبد القاهر الذي يقول: «لم أزل منذ خدمت العلم أنظر فيما قاله العلماء في معنى الفصاحة ، والبلاغة ، والبيان ، والبراعة ، وفي بيــان المغزى من هذه العبارات ، وتفسير المراد بها ، فأجد بعض ذلك كالرمز والاشارة في خفاء ، وبعضه كالتنبيه على مكان الخبيء ليطلب ، وموضع الدفين ليبحث عنه فيخرج • وكما يفتح لك الطريق الى المطلوب لتسلكه وتوضع لك القاعدة لتبني عليها ، ووجدت المعول على انها ههنا نظما ، وترتيبا ، وتأليفا ، وتركيبا ، وصياغة ، وتصويرا ، ونسجا ، وتحبيرا • وان سبيل هذه المعاني في الكلام الذي هي مجاز فيه سبيلها في الانشاء التي هي حقيقة فيها » (١) •

ويقول في مكان آخر: «انا لم نر العقلاء قد رضوا من انفسهم في شيء من العلوم ان يحفظوا كلاما للاولين ، ويتدارسوه ، ويكلم بعضهم بعضا من غير ان يعرفوا له معنى ، ويقفوا منه على غرض صحيح، ويكون عندهم ان يسألوا عنه بيان له وتفسير ، إلا علم الفصاحة ، فانك ترى طبقات من الناس يتداولون فيما بينهم الفاظا للقدماء ، وعبارات من غير ان يعرفوا لها معنى اصلا ، او يستطيعوا أن يسألوا عنها ان يذكروا لها تفسيرا يصح »(٢) .

وهذا صحيح بالنسبة للقرون الاولى ، ولعبد القاهر الذي لم يفرق بين الفصاحة والبلاغة ، لانهما عنده يعبر بهما عن فضل بعض القائلين على بعض من حيث نطقوا ، وتكلموا وأخبروا السلمعين عن الاغراض والمقاصد ، وراموا ان يعلموهم ما في نفوسهم ، ويكشفوا لهم عنضمائر قلو بهم (٦) • والفصاحة والبلاغة والبراعة والبيان مترادفات عنده ، امل بالنسبة للقزويني فغير صحيح ، لانه قد استقرت قبله هذه المصطلحات ،

١) دلائل الاعجاز ص ٢٨ - ٢٩٠

⁽٢) دلائل الاعجاز ص ٣٥٠ ٠

⁽٣) دلائل الاعجاز س ٣٥٠

واصبح للفصاحة مدلولها وللبلاغة مفهومها • وكان ابن سنان ، وابن الاثير قد سبقاه الى ذلك ، ووضعا كل شيء وأتماه ، وان كان ابن الاثير قد دعا الى مثل ما دعا اليه القزويني ورأى ان هذا الباب متعذر على الباحث ، وان القدماء لم يكشفوا أمره ويوضحوا معناه وان ما ذكروه ليبعث الحيرة (١) •

والفصاحة والبلاغة عند القزويني تقع كل واحدة منهما صفية لمعنيين :

أحدهما: الكلام كما في قولك: « قصيدة فصيحة او بليغة » ، و « رسالة فصيحة او بليغة » .

والثاني: المتكلم كما في قولك: «شاعر فصيح او بليغ »،و «كاتب فصيح او بليغ » •

ويرى أبو هلال أن البلاغة من صفة الكلام لا من صفة المتكلم ، فلهذا لا يجوز ان يسمى الله تعالى بليغا اذ لا يجوز ان يوصف بصفة كان موضوعها الكلام ، واما تسمية المتكلم بليغا فتوسع ، وحقيقته ان كلامه بليغ كما تقول فلان رجل محكم ، ثم كثر استعمال ذلك حتى صار كالحقيقة ويرى أنه لا يجوز ان يسمى فصيحا ، لان الفصاحة تتضمن معنى الآلة وهى اللسان (٢) .

فصاحة اللفظة الفردة

والفصاحة خاصة تقع صفة للمفرد ، فيقال : كُلمة فصيحة ، ولا يقال كلمة بليغة ، ووضع القزويني للفظة المفردة شروطا هي : خلوصهمن تنافر الحروف ، والغرابة ، ومخالفة القياس اللغوي .

^{# 5} 중점

⁽١) ينظر المثل السائر ج١ ص ٦٤ ، ٦٥ .

⁽٢) الايضاح ص ٢ وكتأب الصناعتين ص ٦ .

التنافير:

فالتنافر منه تكون الكلمة بسببه متناهية في الثقل على اللسان وعسر النطق بها كما روى ان اعرابيا سئل عن ناقته فقال: « تركتها ترعى الهعخع » • ومنه ما هو دون ذلك كلفظ « مستشرر » في قول امريء القيس:

غدائير مستشنزرات الى العلى تكفل العقاص في مثنكني ومر سكر

ولم يشرح القزويني هذا التنافر، ولم يذكر سببه، وكان ابن سنان قد علل ذلك بقوله: « وعلة هذا واضحة وهي ان الحروف التي هي اصوات تجري من السمع مجرى الالوان المتقاربة، ولهذا كان البياض مع السواد احسن منه مع الصفرة، لقرب ما بينه وبين الاصفر وبعد ما بينه وبين الاسود واذا كان هذا موجودا على هذه الصفة لا يحسن النزاع فيه كانت العلة في حسن اللفظة المؤلفة من الحروف المتباعدة هي العلة في حسن النقوش اذا مزجت من الالوان المتباعدة »(١) .

لقد جمعت لفظة « الهعخع » القبح من اطرافه ، لأن جميع حروفها حلقية ، وحرف حلقى واحد يبعث على النفرة والثقل فكيف اذا اجتمع الهاء والعين والخاء في كلمة واحدة ؟ ولفظة « مستشزرات » _ وان كانت اخف منها _ ثقيلة لتوسط الشين التي هي من الحروف المهموسة الرخوة بين التاء التي هي من المهموسة الشديدة ، وبين الزاي التي هي من المجهورة الرخوة ، ويرى النقاد ان امرء القيس لو قال: «مستشرف» لزال الثقل ،

الفرابة:

والغرابة أن تكون الكلمة وحشية لا يظهر معناها فيحتاج فيمعرفته

⁽۱) سر انفصاحة ص ٦٦٠

الى ان ينقر في كتب اللغة المبسوطة ، كما روي عن عيسى بن عمر النحوي انه سقط عن حمار فاجتمع عليه الناس ، فقال: « ما لكم تكأكأتم على تكأكؤكم على ذي جنة ، افر نقعوا عني » •

فانه لم يعرف ما اراد بقوله « مسرجا » حتى اختلف في تخريجه ، فقيل : هو من قولهم للسيوف « سريجية » منسوبة الى قين يقال له سريج، يريد انه في الاستواء والدقة كالسيف السريجي • وقيل : من السراج ، يريد انه في البريق كالسراج وهذا يقرب من قولهم : « سَرَّج وجهه » ، أي : حسن و « سَرَّج اللهُ و جُهُهُ » ، أي : بهجه وحسنه •

وهذا بحث اهتم به النقاد العرب،ويروى ان عمربنالخطاب(رضي) مدح زهير بن ابي سلمى بمجانبته المعاظلة وقال : « وكان لا يعاظل بين الكلام »(١) •

وتكلم ابن سنان عليه وعاب الذين يكثرون من الوحشى الغريب في كلامهم ، وبيّن ما وقع فيه بعضهم فخرج كلامه عن الفصاحة وبعد الفهم • يقول عن بعضهم : « وقد رأيت أنا جماعة يتعمدون هذا فقلت لهم : إن سررتم بمعرفتكم وحشى اللغة ، فيجب ان تغتموا بسوء حظكم من البلاغة » " • ويرى أن " البدوي صاحب الطبع اعذر من القروي المتكلف ، لان هذا لا يعرف هذه الامور الا بعد البحث والطلب وتجشم العناء في التصفح • ويرى ابن الاثير ان الوحشي ليس المستقبح من الالفاظ ، وانما هو قسمان :

احدهما غريب حسن ، والآخر غريب قبيح ، وذلك انه منسوب الى

⁽١) نقد الشعر ص ١٠٣٠

⁽٢) سر الفصاحة ص ٧٥٠

اسم الوحشي الذي يسكن القفار وليس بأنيس ، وكذلك الالفاظ التي لم تكن مأنوسة الاستعمال ، وليس من شرط الوحشي أن يكون مستقبحا ، بل أن يكون نافرا لا يألف الانس فتارة يكون حسنا وتارة يكون قبيحا ، وعلى هذا فان احد قسمي الوحشي وهو الغريب الحسن مختلف باختلاف النسب والاضافات ، وأما القسم الآخر من الوحشي الذي هو قبيح ، فان الناس في استقباحه سواء ، ولا يختلف فيه عربي بادي ، ولا قروي متحضر ، وأحسن الالفال ما كان مألوفا متداولا ، لانه لم يكن مألوفا الالمكان حسنه ،

والالفاظ تنقسم ثلاثة اقسام: قسمان حسنان وقسم قبيت ، فالقسمان الحسنان: احدهما ما تداول استعماله الاول والآخر ولا يطلق عليه أنه وحشي ، والآخر ما تداول استعماله الاول دون الآخر ويختلف في استعماله بالنسبة الى الزمن وأهله ، وهذا هو الذي لا يعاب استعماله عند العرب لانه لم يكن عندهم وحشيا ، وهو عندنا وحشي ، وقد تضمن القرآن الكريم منه كلمات معدودة وهي التي يطلق عليها «غريب القرآن» وكذلك تضمن الحديث النبوي منه شيئا وهو الذي يطلق عليه «غريب العديث » .

واما القبيح من الالفاظ الذي يعاب استعماله فلا يسمى وحشيا فقط بل يسمى الوحشي الغليظ ، ويسمى المتوعر ، وليس وراءه في القبح درجة اخرى ولا يستعمله الا اجهل الناس ممن لم يخطر بباله معرفة هذا الفن (۱) .

ولم يقسم القزويني الالفاظ الغريبة هذا التقسيم ، ولم يشرحها هذا الشرح وانما عرضها ملخصة ممثلة بمثالين لا قيمة لهما ، وإن كانا يشيران في خفاء الى ان المقصود بالغريبة عنده ما خفي معناه واختلف في تفسيره ، وان كان المثال الاول يوحي بأن المقصود هو الغرابة في المعنى

⁽١) المثل السائر ج اص ١٥٥ ، ٥٧ ، ١٦٣ .

والوحشية في اللفظ • ولم يضع قاعدة ثابتة للوحشي او الغريب من الالفاظ ، ولم يشر الى مذهب اهل الحاضرة والبادية فيها •

مخالفة القياس اللفوي:

ومخالفة القياس كفول الشاعر:

الحَمْدُ للهِ العلي الأجْلكِ الواهب الفضل الكريم المجزل

فان القياس « الاجل من بالادغام ولم يوضح القزويني مخالفة القياس ، ولا ندري هل المقصود ان تكون كلمة على خلاف ما ثبت عن واضع اللغة ، او المقصود مخالفة القياس الصرفي • ولكن الاستاذ عبد المتعال الصعيدي يقول : « وقد حمله على القياس الصرفي ، وهو خطأ لان مخالفة القياس الصرفي لا تخل دائما بالفصاحة اذ توجد كلمات كثيرة فصيحة على خلافه ، وذلك مثل آل وماء ويأبي وعور ويعور »(١) •

وكان ابن سنان قد تكلم على هذا الشرط ،ووضَّحه ، وأدخل فيه كل ما ينكره أهل اللغة ، ويرده علماء النحو من التصرف الفاسد في الكلمة ، وقد يكون ذلك لاجل ان اللفظة بعينها غير عربية ، كما انكروا على أبى الشيص قوله :

وجناح مقصوص تحيف ريشه ريب الزمان تكحيّف المقراض وقد تكون الكلمة عربية الا انها قد عبر بها عن غير ما وضعت له فيعرف اللغة كما قال ابو تمام:

حلت محل البكر من معطى وقد زفت من المعطى زفاف الأيم. وقال البحترى:

يشق عليه الربيح كُلُ عشية جيوب الغمام بين بِكُر وأيِّم

⁽۱) بفية الايضاح ج١ هامش ص ٩٠

وقد يكون على جهة الحذف من الكلمة كقول رؤبة بن العجاج: قواطناً مكة من ورق الحكماً (١)

وقد يكون على وجه الزيادة في الكلمة ، مثل ان يشبع الحركةفيها فتصير حرفا كما قال الشاعر:

وأنْتَ على الغواية حين تُرمى وعن عيبِ الرجالِ بمُنْتَـزَ احرِ

وقد يكون ايراد الكلمة على الوجه الشاذ القليل وهو اردأ اللغات فيها لشذوذه كقول المتنبى:

واذا الفتى طرَ حالكلام مُعرَّضاً في مجلس أخذ الكلام التلذ عنا

وقد يكون لأن الكلمة بخلاف الصيغة في الجمع أو غيره كما قال الطرماح:

واكـــره ان يعيب على قومي هجاي الارذلين ذوي الحنات

ومن هذا النوع ان يبدل حرف من حروف الكلمة بغيره او يظهر التضعيف فيها ، او ان يصرف ما لا ينصرف ، أو ان يمنع الصرف ما ينصرف ، او ان يقصر الممدود ، ويمد المقصور ، ويحدذف الاعراب للضرورة ، او ان يذكر المؤنث ويؤنث المذكر ،

ويرى ابن سنان ان هذه واشباهها ، وان لم تؤثر في فصاحة الكلمة كبير تأثير فانه يُتؤثر صيانتها عنها ، لأن الفصاحة تنبىء عن اختيار الكلمة وحمنها وطلاوتها (٢٠) ،

هذا ما ذكره ابن سنان وفَصَّلَه ، يبد ان القزويني لم يشر الى هذا كله ، ولم يوضح قصده بمخالفة القياس ، وان كان المشال الذي ذكره

⁽١) أي الحمام .

١٦ سر الفصاحة ص ٨٢ سـ ٢١)

يوحي بأنه يريد مخالفة القياس الصرفي ، وهو تضييق للبحث ، وحصر له في ناحية معينة • وقد جال فيه ابن سنان من قبل ، وذكر مواضع مخالفة القياس ، ومثال لها بما أظهر معناها • ولعل ولع المتاخرين بالاختصار ، والتقسيمات الجافة هي التي دفعت القزويني الى ان ينطق بعبارة ويسكت ، من غير ان يشسرحها ، ويشير الى مواطن العيب في مخالفة القياس •

واضاف الى ذلك خلوص الكلمة من الكراهة في السمع بأن تمج الكلمة ويتبرأ من سماعها كما يتبرأ من سماع الاصوات المنكرة ، فال اللفظ من قبيل الاصوات ، والاصوات منها ما تستلذ النفس سماعه ، ومنها ما تكره سماعه كلفظة « الجرشكى » في قول أبي الطيب :

مبارك الاسم أغر اللقب كريم الجرشكي شريف النسب

ووضع القزويني قاعدة للفظة الفصيحة فقال: « ثم علامة كون الكلمة فصيحة أن° يكون استعمال العرب الموثوق بعربيتهم لها كثيرا أو اكثر من استعمالهم ما بمعناها »(١) .

فصاحة الكلام:

وبعد ان انتهى القزويني من بحث فصاحة اللفظة المفردة ، تحدث عن فصاحة الكلام ، وهي : خلوصه من ضعف التأليف ، وتنافر الكلمات، والتعقيد مع فصاحتها .

ضعف التأليف:

ومثل لضعف التأليف بقوله: « ضرب غلامه زيدا » • وهوممتنع عندالجمهور لئلا يلزم رجوعه الى ما هو متأخر لفظا ورتبه ، ورد علىمن يذهب الى أن بيت النابغة الذبيانى:

⁽١) الايضاح ص ٤ .

جزى ربه عني عدى "بن حاتم جزاء الكلاب العاويات وقد فعك من هذا النوع ، وقال : إِن الضمير في « ربه » لمصدر « جزى » ، اي : رب الجزاء كما في قوله تعالى : « اعد لنوا هو أقرب للتقوى » (١) . أي : العدل .

التنافس:

والتنافر ما تكون الالفاظ بسببه متناهية في الثقل على اللسان وعسر النطق بها ، متتابعة كما في البيت الذي انشده الجاحظ:

وقَبُسْرُ حَرَ ْبٍ مِكَانٍ قَنَفْ وليسقُّر ْبَ َقَبُسْرِ حَرَ ْبٍ قَبِرُ

ومنه ما دون ذلك كقول ابي تمام :

كريم" متى أمدحه أمدحه والورى مُعْي، وإذا ما لمته لمته وحدي

وسبب التنافر في « أمدحه » ما بين الحاء والهاء من تنافر ، لانهما حرفان حلقيان • وهذا ما اشار اليه الجاحظ من قبل قائلا: « ومن الفاظ العرب الفاظ تتنافر وان كانت مجموعة في بيت شعر لم يستطع المنشد انشادها الا ببعض الاستكراه »(٢) • ومنثال له بالبيت المتقدم، ثم قال: « ومن ذلك قول ابن يسير في احمد بن يوسف حين استبطأه:

هل متُعين على البكا والعويل أم متُعز على المصاب الجليل ميت "مسات وهو في ورق العيش ، مقيم به وظلل ظليل في عداد الموتى وفي عامر الدنيا ، أبو جعفر أخي وخليلي لم يتمت ميتة الوفاء ولكن مات عن كل صالح وجميل لا أذيل الآمال بعدك إنتي بعدها بالآمال جيد بخيل

⁽١) سورة المائدة ، الآية ٨٠

⁽٢) البيان والتبيين ج١ ص ٦٥٠

كم لها وقفة بياب كريم رَجَعَت من نداه بالتعطيل لم يضر ها والحمد ألله شيء وانثنت نحوعز ف ننفس ذهول

يقول: « فتفقد النصف الاخير من هذا البيت فانك ستجد بعض الفاظه يتبرأ من بعض »(١).

وذهب ابو الحسن على بن عيسى الرماني الى ان التأليف على ثلاثة أضرب: متنافر ، ومتلائم في الطبقة الوسطى ، ومتلائم في الطبقة العليا . ومتثل لتأليف المتنافر بالبيت السابق ، وللتأليف المتلائم في الطبقة الوسطى ، وهو من أحسنها ، بقول الشاعر:

رَ مَتَنْنِي وستر ُ الله بيني وبينها عشية آرام الكناس رميم ُ رميم التي قالت لجيران بيئتها ضمنت لكم ألا يزال يهيم ُ ألا رب يوم لو رمتني رميتها ولكن عهدي بالنيضال قديم ُ

والمتلائم في الطبقة العليا القرآن كله(٢) .

ولم يعجب ابن سنان بهذا التقسيم وقال: إن القسمة فاسدة ، لان التأليف على ضربين: متنافر ومتلائم ، وقد يقع في المتلائم ما بعضه أشد تلاؤما من بعض على حسب ما يقع التأليف عليه ، ولا يحتاج أن يجعل ذلك قسما ثالثا ، وقد اراد ابن سنان من هذا ان يؤيددعواه بأن لا فرق بين القرآن وفصيح الكلام المختار ، ومتى ما رجع الانسان الى نفسه وكان معه أدنى معرفة بالتأليف المختار ، وجد في كلام العرب ما يضاهي القرآن في تأليفه (٢) ، وذكر الامثلة التي ذكرها القزويني وانتهى الى انه اذا كان يقبح تكرار الحروف المتقاربة المخارج ، فتكرار الكلمة بعينها أقبح ، وأشنع الا اذا كانت هنالك اعتبارات اخرى ،

⁽۱) البيان والتبيين ج ا ص ٦٦ .

⁽٢) النكت في اعجاز القرآن ص ٨٧ ـ ٨٨ .

⁽٣) سر الفصاحة ص ١٠٩ - ١١٠ .

التعقيد:

والتعقيد أن° لا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد به ، ول مسيبان

احدهما : ما يرجع الى اللفظ وهو أن يختل نظم الكلام ولا يدري السامع كيف يتوصل منه الى معناه كقول الفرزدق :

وما مثلُّه في الناس إلا مُملك أبو أمِّه حيٌّ أبوهُ يقار بُــهُ "

ووضع القزويني قاعدة للكلام الخالي من التعقيد اللفظي ، وقال انه: « ما سلم نظمه من الخلل فلم يكن فيه ما يخالف الاصل من تقديم او تأخير ، او اضمار ، أو غير ذلك الا وقد قامت عليه قرينة ظاهرة لفظية أو معنوية »(١) •

وهذا ما تكلم عليه عبد القاهر ، وسمتًاه « التعقيد » او « فساد النظم » ، يقول : « وأما التعقيد ، فانما كان مذموما لاجل ان اللفظ لم يرتب الترتيب الذي بمثله تحصل الدلالة على الغرض حتى احتاج السامع ان يطلب المعنى بالحيلة ، ويسعى اليه من غير الطريق » ($^{(Y)}$ • وتحدث عنه في « دلائل الاعجاز » و « اسرار البلاغة » ومَثْثَل له ببيت الفرزدق السابق ، وبيت المتنبي :

الطّيّب أنت اذا أصابك طيب والماء أنت اذا اغتسلت الغاسل وقوله:

وفاؤكما كالرَّبع أشــجاه طاسيمته بأن تُسعِدا والدَّمْعُ أشـفاه سـاجِمته

⁽۱) الايضاح ص ٦

⁽٢) اسرار البلاغة ص ١٦٢ ٠

وقول أبي تمام:

ثانيه في كَبَرِد ِ السَّمَاء ِ وله يَكُن ْ كَاثنين ثان ٍ إِذْ هما في الغـــار ِ وقوله:

یکدی لمن شاء رکھٹن کم یکڈٹق جُرکے آ من راحتیہ دکری میا الصگاب والعکسکل م

وقال عن بيت الفرزدق: « فخذ اليك الآن بيت الفرزدق الذي يضرب به المثل في تعسف اللفظ فانظر أتتصور أن " يكون ذلك للفظه من حيث انك انكرت شيئا من حروفه ، أو صادفت وحشيا غريبا أو سوقيا ضعيفا ، أم ليس إلا لانه لم يرتب الالفاظ في الذكر على موجب ترتيب المعاني في الفكر ، فككد "، وكد "ر ، ومنع السامع ان يفهم الغرض الا بأن يقدم ويؤخر ، ثم أسرف في ابطال النظام وابعاد المراد وصار كمن رمى باجزاء تتألف منها صورة ولكن بعد أن يراجع فيها بابا من الهندسة لفرط ما عادى بين اشكالها وشدة ماخالف بين اوضاعها »(۱) ويرى أن الابيات الاخرى ذمت ، لانها احوجت الى فكر زائد على المقدار الذي يجب في مثله وكدت بسوء الدلالة واودع المعنى في قالب غير مستو ولا يجب في مثله وكدت بسوء الدلالة واودع المعنى في قالب غير مستو ولا في غير مواضعها ، واحلالها في غير أماكنها ،

وأدخله ابن سنان في بحث التقديم والتأخير ، واعتبره ابن الاثير من المعاظلة المعنوية التي يسببها التقديم والتأخير (٢) ، ولكن القزويني ادخله في بحث الالفاظ او الفصاحة .

والثاني: ما يرجع الى المعنى ، وهو ان لا يكون انتقال الذهن من

⁽۱) اسرار البلاغة ص ۲۲ ، وينظر دلائل الاعجاز ص ٦٥ ــ ٦٧ .

⁽٢) ينظر سر الفصاحة ص ١٢٥ ، والمثل السائر ج ١ ص ٢٩٤ ، و ج ٢ ص ٤٤ ومــا بعدهـــــــا .

المعنى الاول الى المعنى الثاني الذي هو لازمه والمراد به ظاهرا كقول العباس بن الاحنف:

ساً طَالْبُ بُعْدُ دَ الدارِ عَنكم لتقر بُوا وتسكب عيناي الدموع لتَجْمُدًا

كَنْتَى بسكب الدموع عما يوجبه الفراق من الحزن وأصاب ،لانَّ من شأن البكاء ان يكون كناية عنه ، كقولهم :

« أبكاني واضحكني » ، أي : أساءني وسرني ، كما قال الحماسي:

أبكاني الدُّهُورُ ويا ربما أضحكني الدُّهُورُ بما يُرْ ْضِي

ثم طرد ذلك في نقيضه فاراد أن يكني عما يوجب دوام التلاقي من السرور بالجمود ، لظنه ان الجمود خلو العين من البكاء مطلقا من غير اعتبار شيء آخر ، يقول : « وأخطأ لان الجمود خلو العين من البكاء في حال ارادة البكاء منها ، فلا يكون كناية عن المسرة ، وانما يكون كناية عن البخل كما قال الشاعر :

ألا ان عيناً لم تَجُد يومواسيط عليك بجاري دَمْعِها لجَمود (١) وهو كلام عبدالقاهر في « دلائل الاعجاز » •

وضبط الكلام الخالي عن التعقيد المعنوي فقال عنه : « ما كان الانتقال من معناه الاول الى معناه الثاني الذي هو المراد به ظاهرا حتى يخيل الى السامع انه فهمه من حاق اللفظ (T) •

وأضاف الى ذلك خلوص الكلام من كثرة التكرار كقول المتنبي:

وتُسْعِدُ ني في غَمَرة بعدغَمُرْة مِ سبوح لها منها عليها شواهد

⁽۱) الايضاح ص ٦٠

⁽٢) الايضاح ص ٦٠

وأنكر أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب تكرر حروف الرباطات وقال في كتابه « الخراج وصناعة الكتابة » : فأما « له منه » أو « منه عليه » او « به له » او ما جرى هذا المجرى ففيه قبح • وسبيل ذلك إذا وقع أن يحتال في فصل ما بين الحرفين بكلمة مثل أن يأتي ما يحتاج الى ان يقال فيه : أقمت شهيدا به عليه فيقال : أقمت عليه شهيدا به » (١) •

وقال أبو هلال: « وينبغي ان تتجنب اعدادة حروف الصلات والرباطات في موضع واحد اذا كتب مثل: منه له عنه ، أو عليه فيه ، أو به له منه »^(۲) • ويرى انه لا يعرف أحدا كان يتتبع العيوب فيأتيها غير مكترث الا المتنبي فانه ضمن شعره جميع عيوب الكلام ما أعدمه شيئا منه حتى تخطى الى هذا النوع كبيته السابق فاتى من الاستكراه بما لا يطار غرابه •

وعقد ابن الاثير فصلا في الالفاظ المركبة عن المعاظلة اللفظية ، تكلم فيه على هذه النقطة وقسمها الى خمسة أقسام (٣):

الاولى : ما يختص بادوات الـــكلام نحو : « من » و « الى » و « عن » و « على » و اشباهها كقول المتنبي :

تبيت وفود ُهم تسري اليه وجدواه التي سألوا اغتفار ُ فخلفهم بــرد البيض عنهم وهـامهم لــه معهم معـار ُ

والشاني: يختص بتكرار الحروف ، وهو الذي ذكره الجاحظ والقزويني عن البيت:

وقبس حسرب بمكان قفسسر وليس قرب قبر حرب قبسسر

والثالث : أن° ترد الالفاظ على صيغة الفعل يتبع بعضها بعضا، فمنها

⁽١) سر الفصاحة ص ١١٨٠

⁽٢) كتاب الصناعتين ص ١٦٠٠

⁽٣) المثل السائر ج1 ص ٢٩٢ وما بعدها .

ما يختلف بين ماض ومستقبل ، ومنها ما لا يختلف • فالاول كقول القاضى الارجاني في أبيات يصف فيها الشمعة :

بالنار فرقت الحوادث بينا وبها نذرت أعود أقتل روحي

فقوله: « نذرت أعود اقتل » من المعاظلة • وأما ما يرد على نهج واحد من الصيغة الفعلية فكقول أبي الطيب المتنبي:

أقل ، انل ، اقطع ، احمل ، عل ، سل ، أعد ، زد ، هش ، بش ، تقض من ادن ، سر ، صل

فهذه الفاظ جاءت على صيغة واحدة وهي صيغة الامر كأنه قال « افعل أفعل » • وهذا تكرار للصيغة وان لم يكن تكرارا للحروف الاانهاخوه، وهذه الفاظ متراكبة متداخلة ، ولو عطفها بالواو لكان أقرب حالا كما قال عبدالسلام بن رغبان :

فَسد الناسُ فاطلب الرزق بالسيف وإلا فمت شديد الهزال أحل، وامرر، وضر، وانفع ، ولن ، واخشن، وابرز ، ثم انتدب للمعالي الاترى انه لما عطف ههنا بالواو لم تتراكب الالفاظ كتراكبها في بيت المتنبي والرابع : هو الذي يتضمن اضافات كثيرة كقولهم : « سرج فرس غلام زيد » ، وعليه قول الشاعر :

حمامة جرعا حومة الجندل اسجعي فانت بمرأى من سعاد ومسمع والخامس: ان ترد صفات متعددة على نحو واحد كقول المتنبي:

دان ، بعید ، محب ، مبغض ، به ج ،

أغر " ، حلو ، مثم ّر ، لین ، شسرس ٔ
ند ، ابی ، غیر ، واف ، اخی ثقیق
جعید ، سری ، نه ، ندب ، رضی ندس ٔ

وهذا كأنه سلسلة ، وقليلا ما يوجد في أشعار الشعراء • تتابع الاضافات:

ومما يتعلق بهذا خلو الكلام من تتابع الاضافات كقول ابن بابك : حمامة جرعا حومة الجندل اسجعي فانت بمرأى من سعاد ومسمع

وكان الصاحب بن عباد قد اشار الى ذلك كما ذكر عبد القاهرقائلا: اياك والاضافات المتداخلة فانها لا تحسن ، وذكر انها تستعمل في الهجاء كقول القائل:

يا علي بن حمـزة بن عمـارة أنت والله ِ ثلجة" في خيــاره

ويرى القزويني ان هذا الشرط لا يؤخذ به دائما ، لان ذلك ان افضى باللفظ الى الثقل على اللسان فقد حصل الاحتراز عنه ، والا فلا تخل بالفصاحة وقد قال النبي (ص): « الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم » • وهذا رأي عبدالقاهر ، يقول ابن « لكنه اذا سلم من الاستكراه ملح ولطف » • ومما حسن فيه قول ابن المعتز:

وظلت تدير ُ الراح ُ أيدي جآذر ِ عتاق ِ دنانـيرِ الوجوه ِ مــلاح ِ ومما جاء فيه حسنا جميلا قول الخالدي يصف غلاما له:

ويعــرف الشّـعـُـرَ مثلَ معرفتي وهو على أن يَزيدَ مجتهــــدُ وصـــيرفي القــريضِ ، وزّان دينـــارِ المعــاني الدقاق منتقـــدُ (١)

وتكلم القزويني على هذا النوع في قسم المحسنات المعنوية ،وأطلق عليه اسم الاطراد ، وهو : « از يأتي بأسماء الممدوح او غيره ، أو آبائه

⁽١) الايضاح ص ٨، ودلائل الاعجاز ص ٨٢.

على ترتيب الولادة من غير تكلف في السبك حتى تكون الاســـماء في تحدرها كالماء الجاري في اطراده وسهولة انسجامه »(١) •كقول الشاعر:

إِن ْيَقْتَلُوكُ فَقَدْتُكُكُ عُرُوشُهُم بَعْتَيْبَةً بِنِ الْحَارِثِ بِن شُهَابِ

وقول دريد بن الصمة:

قتلنا بعبد الله خير لِداتِه ذؤاب بن اسماء بن زيد بن قارب

وفيه تعرض للمقتول به ولشرف المقتول • قيل لما سمعه عبدالملك ابن مروان قال: لولا القافية لبلغ به آدم ، ومنه كلام الرسول المتقدم •

وبذلك نجده قد تكلم على هذا الفن في موضعين مرة في الفصاحة، وتارة في البديع ، مع أن عبدالقاهر ذكره في النظم عندما يتحدفي الوضع، ويدق في الصنع .

ما يتعلق بالالفاظ المركبة:

ومما يتعلق بالالفاظ المركبة الفنون التي اطلق عليها القزويني اسم المحسنات اللفظية ، وهي في الواقع عظيمة الاهمية في دراسة الالفاظ بعد أن تدخل في الجمل وتكون العبارات ، وينبغي أن تدخل هذه الفنون في بحث الالفاظ ، لان لها قيمة في نقد الكلام ، ومعرفة جيده من رديئه، وجميله من قبيحه ، واذا تابع القزويني شيخ المدرسة الكلاميسة السكاكي فتحدث عنها في البديع ، فان دراستها هنا أجدى واكثر تفعا ، وقد سبق الى ذلك علماء البلاغة العربية كأبن الاثير الذي قسم الصناعة اللفظية الى قسمين :

الاول: في اللفظة المفردة •

والثاني: في الالفاظ المركبة • وأدخل فيه السجع ، والتصريع ،

⁽۱) الايضاح ص ۳۸۲ ·

والتجنيس ، والترصيع ، ولزوم ما لا يلزم ، والموازنة ، واختلاف صيغ الالفاظ ، وتكرير الحروف .

ونحن مع ايماننا بأن هذه الفنون ينبغي ان تبحث في همذا الفصل ما المجأنا بحثها الى فن البديع حتى لا نخرج عن المنهج الذي اختطه القزويني لبلاغته •

* *

هذا بحث القزويني في الفصاحة والالفاظ ، وهو بحث جاف ليست له أهمية عظيمة ، وكان من المتوقع ان يبدع القزويني فيها بعد ان كتب ابن سنان ، وابن الاثير بحوثا مستفيضة عنها ، ولكنه رجل سيطرت عليه النزعة التعليمية ، فأحال البلاغة الى قواعد يحفظها الدارسون ، غير ملتفت الى ما تقدمه لهم من ثقافة تؤهلهم لتذوق الادب ، ومن مقاييس يزنون بها الكلام ،

العنسى:

اما ما يتعلق بالمعاني فان القزويني لم يصرح انه من أنصار المعنى ، وإن كان كلامه الذي ينقله عن عبدالقاهر يدل على ذلك . يقول وهو يتكلم على شرط الحسن في المحسنات اللفظية : « واصل الحسن في جميع ذلك _ اعني القسم اللفظي _ كما قال الشيخ عبدالقاهر ، هو ان تكون الالفاظ تابعة للمعاني ، فان المعاني اذا ارسلت على سحيتها ، وتركت وما تريد ، طلبت لانفسها الالفاظ ولم تكتس الا ما يليق بها »(۱) . ويفهم من هذا انه يدعو الى ان يكون اللفظ والمعنى متلازمين والا فلا قيمة للفظ نهتم به ، ونبذل جهدنا وطاقتنا لاجله ، ونترك المعنى . ومما يوضح هذا قوله : « فالبلاغة صفة راجعة الى اللفظ باعتبار افادته المعنى عند التركيب ، وكثيرا ما يسمى ذلك فصاحة »(٢) . وهو بذلك يتابع عبد القاهر الذي لا يرى مزية للفظ من غير تركيب ، وان النظم كلشيء، ولذلك نرى القزويني يتو جمّه كلامه وتردده في البلاغة ، فتارة يراها راجعة الى المعنى دون اللفظ ، ومرة يصرح أن فضيلة الكلام للفظ راجعة الى المعنى دون اللفظ ، ومرة يصرح أن فضيلة الكلام للفظ لا لمعناه ، يقول القزويني بعد ان نقل نصين من « دلائل الاعجساز » لا لمعناه ، يقول القزويني بعد ان نقل نصين من « دلائل الاعجساز »

⁽۱) الايضاح ص ٤٠٠ .

⁽٢) الابضاح ص ١٠٠

للتدليل على الرأيين: «هذا لفظه وهو صريح في ان الكلام من حيث هو كلام لا يوصف بالفضيلة باعتبار شرف معناه • ولا شك ان الفصاحة من صفاته الفاضلة فلا تكون راجعة الى المعنى • وقد صرحفيما سبق بانها راجعة الى المعنى دون اللفظ فالجمع بينهما بما قدمناه بحمل كلامه حيث نفى انها من صفات المفردات من غير اعتبار التركيب ، وحيث اثبت انها من صفاته على انها من صفاته باعتبار افادته المعنى عند التركيب » (1) •

وانه لبديهي ان يتجه القزويني اتجاه عبدالقاهر وهو احد رجال مدرسته البلاغية التي أوصلها السكاكي الى قواعد جافة ، وأصول تضيق بها صدور الدارسين •

ولم يضع القزويني مقاييس للمعاني ، لانه لم يكن ناقدا ذواقة كالامدي ، وابن الاثير ، وانما كان ناقدا بلاغيا يهتم بوضع القواعد ويحسن التقسيمات ، ومع ذلك نستطيع أن نقول انه تكلم على كثير منها في كتابيه « التلخيص » و « الايضاح » ، فالصحة والخطأ والابتكار والتقليد ، والوفاء بالمعنى، والمقياس النفسي ، والصدق والكذب ، والابتداع والاتباع ، والوضوح والغموض ، والالفة والندرة ، أشار اليها في بحوثه البلاغية وان لم يفرد لها فصولا، ونسرى ان تضم الى مقاييس المعنى ما ذكره في المحسنات المعنوية كالمبالغة ، وصحة التقسيم ، والمطابقة ، وقد آثرنا بحثها في علم البديع متابعة للقزويني في منهجه ، وان كان قدامة بن جعفر ، وابن الاثير ، والنقاد الآخرون قد ذكروها في مقاييس المعانى ،

⁽١) الايضاح ص ١١ •

	·	

عدالكاني

لا نعرف احدا قبل السكاكي استعمل مصطلح المعاني، وأطلقه على قسم من علوم البلاغة • وكل ما نعرف ان عبارة معاني النحو وردت في المناظرة التي قامت بين الحسن بن عبدالله المرزباني المعروف بابي سعيد السيرافي (٣٦٨ه هـ) ، وأبي بشر متى بن يونس في مجلس الوزير ابي الفتح بن جعفر بن الفرات • يقول السيرافي « معاني النحو منقسمة بين حركات النحو وسكناته ، وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها، وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير ، وتوخي الصواب في ذلك، وتجنب الخطأ في ذلك ، وإن وزاغ شيء عن النعت فانه لا يخلو ان يكون سائغا بالاستعمال النادر ، والتأويل البعيد ، او مردودا لخروجه عن عادة القوم الجارية على فطرتهم »(١) •

وكان لنظرية النظم أثر "كبير في اظهار هذا النوع من الدراسات البلاغية ، وقد وضحت معالم هذه النظرية وبلغت أو "ج نضجها على يدي عبد القاهر الذي اعاد وكرر في اثباتها والتأكيد عليها • والنظم عنده

⁽١) المقايسات ص ٨٠ ، ومعجم الادباء ج٨ ص ٢١٤

ليس الأ « ان تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه واصوله ، وتعرف مناهجه التي نهجت ، فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك ، فلا تخل بشيء منها »(١) .

إن النظم عنده ليس إلا توخي معاني النحو وأحكامه بين الكلمة ، ولا يقصد بالنحو معناه الضيق الذي فهمه المتأخرون وانما يريد المعاني الاضافية التي يصورها النحو ، وبذلك رسم في « دلائل الاعجاز» طريقا جديدا للبحث النحوي تجاوز اواخر الكلمة وعلامات الاعراب ، وبين ان للكلام نظما ، وأن رعاية هذا النظم واتباع قوانينه هي السبيل الى الابانة والافهام ، وبرهن على أهمية النظم ، ورجوع مزية الكلام اليه بقوله : « فلو انك عمدت الى بيت شعر ، أو فصل نثر ، فعددت كلماته عدا كيف جاء واتفق وابطلت نضده ونظامه الذي عليه بني وفيه افرغ عدا كيف جاء واتفق وابطلت نضده ونظامه الذي عليه بني وفيه افرغ المغنى واجري ، وغيرت ترتيبه الذي بخصوصيته افادكما افاد، وبنسقه المخصوص ابان المراد نحو ان تقول في « قفا بنك من ذكرى حبيب المخصوص ابان المراد نحو ان تقول في « قفا ابنك من ذكرى حبيب محال الهذبان » (« منزل قفا من نبك حبيب » ، اخرجته من كمال البيان الى محال الهذبان » ()

وكان عبدالقاهر سباقا الى شرح نظرية النظم ومن اوائل الذين حللوا الكلام تحليلا يعتمد على نظرية النظم ومنهجه منهج اللغويلانه اهتم بالنحو بمعناه الواسع ، يقول الدكتور محمد مندور عن هذا المنهج: « انه يستند الى نظرية في اللغة ، أرى ويرى معي كل من يمعن النظر ، انها تماشي ما وصل اليه علم اللسان الحديث من آراء و ونقطة البدء تجدها في آخر « دلائل الاعجاز » حيث يقرر المؤلف ملا قرره علماء اليوم من ان اللغة ليست مجموعة من الالفاظ ، بل مجموعة من العام بنى العلاقات sesteme des rapports ، وعلى هذا الاساس العام بنى

⁽۱) دلائل الاعجاز ص ٦٤

⁽٢) اسرار البلاغة في ٨٠

عبد القاهر كل تفكيره اللعُوي الفني »(١) .

وأثرَّت نظرية النظم في البلاغة ، فأدخلها البلاغيون في بحوثهم ، وحِعلوها أحد أقسام البلاغة الثلاثة ، وهو « علم المعاني » . ولكن ما هذه المباحث التي اطلق عليها عبد القاهر اسم النظم ؟

يقول: «اعلم ان ليس النظم الا ان تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها و وذلك انا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير ان ينظر في وجوه كل باب وفروقه فينظر في الخبر الى الوجوه التي تراها في قولك: «زيد منطلق»، و « زيد ينطلق زيد »، و « منطلق زيد »، و « زيد هو المنطلق قيد »، و « زيد هو المنطلق »، و « و و المنطلق و « زيد هو المنطلق »، و « و و المنطلق »، و « زيد هو المنطلق »،

وفي الشرط والجزاء الى الوجوه التي تراها في قولك: ﴿ إِنْ تخرجُ أَخرجُ ﴾ ، و ﴿ إِنْ تخرجُ فانسا خرجُ » ، و ﴿ إِنْ تخرجُ فانسا خارجُ " » ، و ﴿ أَنَا خَارِجٍ إِنْ خَرِجَتَ ﴾ ، و ﴿ أَنَا خَارِجٍ إِنْ خَرِجَتَ كَارِجٍ " » ،

وفي الحال الى الوجوه التي تراها في قولك: «جاءني زيدمسرعا»، و «جاءني يسرع»، و «جاءني وهو مسرع» او «هو يسـرع»، و «جاءني وقد اسرع»، فيعرف لكل من ذلك موضعه، ويجيء بـه حيث ينبغي له ٠

وينظر في الحروف التي تشترك في معنى لم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى فيضع كلا من ذلك في خاص معناه نحو أن يجيء بـ « ما » في نفي الحال ، وبـ « لا » اذا اراد نفي الاستقبال وبـ « إن » فيما يترجح بين ان يكون وان لا يكون ، وبـ « اذا » فيما علم انه كائن .

⁽١) الميزان الجديد ص ١٤٧ ، وينظر النقد المنهجي عند العرب ص ٣٢٨ .

وينظر في الجمل التي تسرد فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل ، ثم يعرف فيما حقه الوصل موضع «الواو» من موضع «الفاء»، وموضع «الفاء» من موضع «ثم » وموضع «او » من موضع «أم »، وموضع «لكن » من موضع «بل » •

ويتصرف في التعريف والتنكير ، والتقديم والتأخير في الكلام كله، وفي الحذف والتكرار ، والاضمار والاظهار فيضع كلا من ذلك مكانه، ويستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي له •

هذا هو السبيل ، فلست بواجد شيئا يرجع صوابه إن كان صوابا وخطؤه إن كان خطأ الى النظم ويدخل تحت هذا الاسم الا وهو معنى من معاني النحو قد اصيب به موضعه ، ووضع في حقه أو عومل بخلاف هذه المعاملة ، فازيل عن موضعه واستعمل في غير ما ينبغي له • فلا ترى كلاما قد وصف بصحة نظم او فساده ، او وصف بمزية وفضل فيه ، إلا وانت تجد مرجع تلك الصحة ، وذلك الفساد ، وتلك المزية، وذلك الفضل الى معاني النحو وأحكامه ، ووجدته يدخل في أصل من اصوله، ويتصل بياب من ابوابه »(۱) •

فالنظم عند عبد القاهر _ كما يتضح من هذا النص _ يشمل الخبر، وأركان الجملة ، وما يحدث فيها من تقديم وتأخير ، وكون المسند اسما او فعلا ، وما يتعلق بالمسند والمسند اليه من شرط وحال ، ويشمل الفصل والوصل ومعرفة مواضعهما ، ومعاني « الواو » و « الفاء» و « ثم » و « بل » و « لكن » وغيرها من ادوات العطف ، ويشمل التعريف والتنكير ، والحذف والذكر ، والاضمار والاظهار ،

وليست هذه الموضوعات الا مباحث « علم المعاني » الذي حصره

 ⁽۱) دلائل الاعجاز ص ٦٤ ... ٦٥ ..

السكاكي بقوله: «إنَّ علم المعاني ، هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الافادة ، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره »(١) .

تساؤل:

ومع ان احدا لم يطلق مصطلح «علم المعاني » على بعض بحوث البلاغة قبل السكاكي ، إلا أن الباحث ليحار حينما يجد مصطلحي « المعاني » و « البيان » مستعملين قبله ، فالزمخشري يشير اليهما في الكشاف ، يفول وهو يتحدث عن التفسير : « ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق ، الا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما : « علم المعاني » و « علم البيان » (۲) ، وكلام الزمخشري هذا غير واضح ، لانه كثيرا ما يردد هذين المصطلحين ، وكثيرا ما يطلق مصطلح « البيان » على البلاغة كلها ، ولم يضع حدا بين موضوعات «علم المعاني » و « علم البيان » ، وإن « ذكر كثيرا من موضوعاتهما ، ولعل سبب ذلك انه لم يكن يبحث في علم البلاغة حينما الف « الكشاف » وانما كان يفسر القرآن الكريم ، ويوضح ما فيه من معان سامية ، وما وانما كان يفسر القرآن الكريم ، ويوضح ما فيه من معان سامية ، وما القرآن واعجازه ، ومن هنا كان « الكشاف » من اهم مصادر البلاغة القرآن واعجازه ، ومن هنا كان « الكشاف » من اهم مصادر البلاغة وان لم يكن مؤلفا من اجلها ،

ونراه يسمي البلاغة بديعا ، فهو في تفسير قوله تعالى : «أولئك الذين اشْتَرُوا الضَّلالَة بالهُدى ، فما رَبِحَت تَبجارَ تُهم وما كانوا مُه تُكدين »(٣) ، يقول : « هـذا من الصنعة البديعية التي تبلغ بالمجاز الذروة العليا ، وهي ان تساق كلمة مساق مجاز »(٤) .

١١) مفتاح العلوم ص ٧٧ .

⁽٢) الكثساف ج اص : ك

⁽٣) سورة البقرة ، الآية ١٦ .

⁽٤) الكشاف ج اس ٥٣ .

ويخالف ما تعارف عليه البلاغيون احيانا ، فيجعل الالتفات من البيان ، ويقول في العدول عن لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب : « قلت : هذا يسمى الالتفات في علم البيان »(١) •

وذكر فخر الدين الرازي (٢٠٦ هـ) مصطلحي « علم المعاني » و « علم البيان » ، ولكنه لم يعرفهما ، ويوضعهما ، ويحدد موضوعاتهما يقول وهو يتحدث عن الخبر : « ولكن الخبر هو الذي يتصور بالصور الكثيرة ، وتظهر فيه الدقائق العجيبة والاسرار الغريبة من علم المعاني والبيان » (٢) ، ويلاحظ ان عبارة « من علم المعاني والبيان » غامضة لا يفهم منها الا معنى عام وهو البلاغة بصورتها الواسعة ، اما معانيهما الخاصة التي حصرها السكاكي فلم يشر اليها الرازي وكأن المعساني والبيان عنده يرادفان البلاغة ،

ويكرر السكاكي بعض العبارات مثل «صناعة علم المعاني» و « الممة و « علماء علم المعاني » و « اذهان الراضة في علماء المعاني » و « المهة علم المعاني » (⁷⁾ ، ولم يحدد معاني هذه العبارات ، ولا ندري ما المقصود بها ؟ ومن وعلماء المعاني وأئمته ؟ لاننا لم نعثر في تاريخ البلاغة قبل السكاكي على علماء اختصوا بالمعاني وبحثوه كما بحثه السكاكي، وحدد موضوعاته ، ولم تكن البلاغة قبله مقسمة الى معان وييان وبديع وبديع وبديع وبديع وبديات وبديع وبديات وبديع وبديات وبديع وبديات وبديع وبديات وبديا

ولما كنا لم نستطع ان تتبين مفهوم المعاني قبل السكاكي ، ولم نستطع ان نعرف احدا كتب في علم المعاني قبله بالطريقة التي وصلت الينا عنه في مفتاح العلوم ، ما دامت هذه الامور لم تتضح مع ورودمصطلحي « المعاني » و « البيان » في « الكشاف » و « نهاية الايجاز » ، فانسا نستطيع على ضوء ذلك ان تقرر ان السكاكي اول من قسم البلاغة الى معان وييان ومحسنات ، وحدد موضوعاتها ، وأثبت قواعدها واصولها و معان وييان ومحسنات ، وحدد موضوعاتها ، وأثبت قواعدها واصولها و سيان و ييان ومحسنات ، وحدد موضوعاتها ، وأثبت قواعدها واصولها و سيان و ييان و معان الله معان اله معان الله معان ال

^(!) الكشاف جا ص ١١٠

⁽٢) نباية الابجاز في دراية الاعجاز ص ٣٦٠

⁽٣) مفتاح العلوم ص ٨١ ، ٩٥ ، ١١٩ ، ١٢١ .

وانه اول من اطلق على الموضوعات المتعلقة بالنظم مصطلح علم المعاني، وعلى الموضوعات التي تبحث في الصورة الادبية ، أي: التشبيه ، والمجاز والكناية ، مصطلح علم البيان • وانه اول من اطلق على غير هذين العلمين اسم المحسنات ، وقسسمها الى ما يختص بالمعنى ، وما يتعلق باللفظ ، مع الاحتراز بانه لم يسمم هذه المحسنات بديعا ، وكان بدر الدين بن مالك هو الذي اطلق عليها هذا المصطلح في كتابه «المصباح» •

وسار القزويني على خطا السكاكي في بحث علم المعاني وهوعنده: «علم يعرف به احوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال»(١). ولم يقبل تعريف السكاكي للمعاني وهو « تتبع خواص تراكيب الكلام في الافادة ، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره »(٢) ، لان التتبع ليس بعلم ولا صادق عليه ، فلا يصح تعريف شيء من العلوم به .

وحصر علم المعاني في ثمانية ابواب: احوال الاسسناد الخبري ، وأحوال المسند اليه ، واحوال المسند ، واحوال متعلقات الفعل، والقصر والانشاء ، والفصل والوصل ، والايجاز والاطناب والمساواة ، ووجه الحصر ان الكلام اما خبر ، او انشاء ، لانه اما ان يكون لنسبته خارج تظابقه او لا تطابقه ، او لا يكون لها خارج ، الاول الخبر والشساني الانشاء ، ثم الخبر لا بد له من اسناد ، ومسند اليه ، ومسند ، واحوال هذه الثلاثة هي الابواب الثلاثة الاولى ، ثم المسند قد يكون لهمتعلقات اذا كان فعلا او متصلا به أو في معناه كاسم الفاعل ونحوه ، وهسذا هو الباب الرابع ، ثم الاسناد والتعلق كل واحد منهما يكون اما بقصد او بغير قصد وهذا هو الباب الخامس ، والانشاء هو الباب السادس ، ثم الجملة اذا قرنت باخرى فتكون الثانية اما معطوفة على الاولى ، او غير معطوفة ، وهذا هو الباب السابع ، ولفظ الكلام البليغ اما زائد على

⁽۱) الايضاح ص ۱۲.

⁽٢) مفتاح العلوم ص ٧٧ .

أصل المراد لفائدة او غير زائد عليه ، وهذا هو الباب الثامن •

وهذا المنهج يختلف عن منهج السكاكي في بحث موضوعات علم المعاني كما رأينا في فصل سابق ، وهو أقرب الى الكمال منه، لان القزويني ضم الموضوعات المتثابهة ووضعها تحت فصل واحد • وكان في طريقته اقل شكلية من السكاكي الذي مزق اوصال البلاغة شرمزق • ومع هذا لن نتخذ منهجه في بحث موضوعات علم المعاني عند القزويني ، لان فيه تمزيقا لموضوعات التقديم والتأخير، والذكر والحذف •

لقد تكلم في باب المسند اليه على الحذف والذكر ، والتعريف والتنكير ، والتقديم والتأخير ، وعاد فذكر الموضوعات نفسها في فصل المسند وبذلك فرق الموضوعات المتشابهة وكان الاولى به ان يجمعها ويوحدها ، فيضع للتقديم والتأخير فصلا ، وللحذف والذكر فصلا ، وللتعريف والتنكير فصلا ، وبذلك يجعل لهذه الموضوعات قيمة وتأثيرا في التعبير ، وقد صنع عبد القاهر وابن الاثير هذا الصنيع من قبل ، وضموا المتشابهات ، ووحدوا الموضوعات ، وأخرجوا للناس كتبا من خيرة ما كتب في البلاغة العربية ،

ونحن في دراستنا لعلم المعاني عند القزويني سنشير الى بحثه للجملة وما يتبعها من تقديم وتأخير ، وحذف وذكر وقصر ، وكلامه على الفصل والوصل ، وخوضه في الايجاز والاطناب ، ولن نقف الا وقفارت ، نعرض ونوجه ونقارت ،

الجملة

الجملة الفاظ مركبة تدل على معنى ، او هي كما يقول النحاة :
« اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها »(١) ، ولا تكون الجملة الا الناه النحوفة ركبين هما : المسند اليه والمسند ، واذا ما حذف من الجملة احد هذين الركنين فان النحاة يلجأون الى التقدير والى التمحلات لتستقيم لهم قاعدتهم ، واستعمل القدماء هذين المصطلحين فقال سيبويه امام النحاة : « هذا باب المسند والمسند اليه وهما ما لا يستغنى واحد منهما عن الآخر ، ولا يجد المتكلم منه بدا ، فمن ذلك الاسم المبتدأ منهما عن الآخر ، ولا يجد المتكلم منه بدا ، فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبنى عليه وهو قولك : « عبدالله الحوك » ، و « هذا الحوك »، ومثل ذلك قولك : « يذهب زيد » فلا بد للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأول بد من الآخر في الابتداء ، ومما يكون بمنزلة الابتداء قولك : « كان عبدالله منطلقا » ، و « ليت زيدا منطلق » ، لان هذا يحتاج الى ما بعده كاحتياج المبتدأ الى ما بعده » (٢) .

والمسند عندهم الفعل التام ، واسم الفعل ، وخبر المبتدأ والمبتدأ المكتفي بمرفوعه ، وما أصله خبر المبتدأ ، والمصدر النائب عن فعل الامر المسند اليه فهو الفاعل ، ونائبه ، والمبتدأ ، وما اصله المبتدأ .

ولم يأخذ النحاة بهذين المصطلحين بعد سيبويه وان اداروهما في

⁽۱) شرح ابن عقیل ج۱ ص ۱۶.

⁽۲) کتاب سیبو یه ج۱ ص ۷.

كتبهم وانما استعملوا ما يقابلهما من مبتدأ وخبر او فعل وفاعل وغيرها مما نجده في كتبهم • ولكن علماء البلاغة أخذوهما وبنوا عليهما دراستهم في علم المعاني ، فانحصرت دراستهم في المسند والمسند اليه ، ومايتبعهماً من ذكر وحذف ، وتقديم وتأخير وقصر • ولا يتجاوزون ذلك الاحينما يتحدثون عن الفصل والوصل ، والمساواة والايجاز والاطناب ، وهو تجاوز لا يبعد عن الجملتين في كثير من الاحيان • وكان اكثر البلاغيين تمسكا بهذا المنهج رجال المدرسة الكلامية كالسكاكي والقزوينىوشراح التلخيص ، اما عبدالقاهر وابن الاثير وغيرهما من اعلام المدرسة الادبية فلم يتجهوا هذا الاتجاه ولم ينحوا هذا المنحى ، وانما كانوا يحكِّمون الذُّوق وتحسس مواطن الجمال في الكلام • ونتج عن هـذا ان مزقت البلاغة العربية شر ممزق ، فكان الحذف في عدة مواضع والذكر في ابواب متفرقة ، لانهما درسا في المسند اليه مرة ، وفي المسند تارة ، وفي متعلقات الفعل تارة ثالثة . ومثل هذا يقال في الموضوعات التي بحثها عبد القاهر وابن الاثير تحت فصول موحدة فيها الروعة والنقع وانارة سبيل الدارسين ، وفيها تهذيب للذوق وتنمية الملكة الادبية . وقد كان بحث القزويني ومن لكفُّ لفه ، وسار على منهجه أقرب الى الدراسات النحوية ، ومن هنا جاءت جافة لا رواء فيها ولا رونق ، ولا تفيد في تربية الذوق وصقله وان كانت فيها بعض الومضات التي يمكن الاستفادة منها في كتابة البلاغة الجديدة •

ومما تجدر الاشارة اليه هنا أن القزويني ابتعد عن مجال الدراسات النحوية المتأخرة من اهتمام بالعامل والاعراب وغير ذلك ، ولكن دراسته هذه لا تجدي نفعا في البلاغة ولا تقدم غذاء فيه النماء والتطور ، لان تحليقه كان دون تحليق عبدالقاهر وابن الاثير ، وإن حكاتق في اجواء غير اجواء النحاة المتأخرين ،

نموذج:

ولكي نبرهن على انه اتجه في معظم بحوثه هذه اتجاها نحويانعرض

بحثه في الذكر والحذف بايجاز • فقد ذكر ان المسند اليه يذكر وهو الاصل ولا مقتضى للحذف الا اذا كانت فائدة لها أثرها في التعبيرويكون ذكره للاحتياط لضعف التعويل على القرينة ، او التنبيه على غباءالسامع، أو لزيادة الايضاح والتقرير ، أو لاظهار تعظيمه ، او اهانته ، او للتبرك او لاستلذاذه،أو لبسط الكلام حيث الاصغاء مطلوب ، كقوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: «هي عنصاي »(١) •

وذكر السكاكي أنَّ المسند اليه يذكر اذا كان الخبر عام النسبة الى كل مسند اليه ، والمراد تخصيصه بمعين مثل : « زيد جاء » و « عمرو ذهب » و « خالد في الدار » ، وقوله :

الله انجح ما طلبت بسه والبرخير حقيبة الرجل وقوله:

النفس مراغبة اذا رغابتها واذا ترد الى قليل تقنع (٢)

ويرى القزويني ان هذا الرأي ليس بصحيح ، لانه ان قامت قرينة تدل عليه ان حــذف فعموم الخبر وإرادة تخصيصــة بمعين وحدهمــا لا يقتضيان ذكره والا فيكون ذكره واجبا^(٣) .

ويذكر المسند لزيادة التقرير، والتعريض بغباء السامع، والاستلذاذ والتعظيم ، والاهانة وبسط الكلام ، او ليتعين كونه اسما فيستفاد منه الثبوت ، أو كونه فعلا فيستفاد منه التجدد ، او كونه ظرفافيورث احتمال الثبوت والتجدد .

وذكر السكاكي انه يذكر للتعجب من المسند اليه بذكره مثل «زيد يقاوم الاسد » مع دلالة قرائن الاحوال ، ولكن القزويني يرى أنَّ

⁽۱) سورة طه ، الآية ۱۸ .

⁽٢) مفتاح العلوم ص ٨٥٠

⁽٣) الايضاح ص ٣٤٠

التعجب يحصل بلا ذكر المسند اذا قامت عليه القرينة(١) .

اما الحذف فهو باب واسع تجول فيه الاقلام ، وميدان فسيح تضطرب فيه القابليات الفنية ، فيحسن استعماله من كانت له معرفة واسعة باساليب التعبير ، وذوق يدرك به اسرار الحذف ، ويكون حذف المسند اليه لمجرد الاختصار ، والاحتراز عن العبث بترك ما لا ضرورة لذكره وذلك مما يكسب الكلام قوة وجمالا ، أو لتخييل ان في ترك تعويلا على شهادة الغقل ، وفي ذكره تعويلا على شهادة اللفظ من حيث الظاهر ، أو لاختبار تنبه السامع له عند القرينة أو مقدار تنبه الانكار إن أن في تركه تطهيرا له عن اللسان ، أو ليكون على سبيل الانكار إن مست اليه حاجة ، أو لان الخبر لا يصلح الاله حقيقة أو دعاء .

ولا نرى في معظم ما ذكره القزويني سببا لغويا في حذفه الا ماذكره من امور عقلية قد تكون بالنحو واساليبه الصق ، وان كان اول كلامه يشير الى ان المسند اليه يحذف ، لان معنى العبارة مفهوم، وان في ذكره زيادة لا فائدة فيها ، وان كنا نحمد له في هذا المقام فاننا نحمد له قوله: « واما لاعتبار آخر مناسب لا يهدى الى مثله الا العقل السليم والطبع المستقيم » (٢) .

ومن امثلة الحذف قول الشاعر:

ساشكر مُ عَمَّرًا إِنْ تراخت منيتني أيادي لم تمنن وان هي جكات ٍ فَتَى غير محجوب الغني عن صديق ِ ولا مظهر الشكوى اذا النعل زاكت ِ

وقول الآخر:

سريع" الى ابن العم يلطم و َج هه وليس الى داعي النشدى بسريع حريص" على الدنيا ، مضيع" لدينه وليس لما في بيت بمضيع

⁽١) مفتاح العلوم س ٩٩ ، والايضاح ص ٨٦ .

⁽٢) الايضاح ص ٣٢.

وهذه أمثلة عبد القاهر والسكاكي • ولم يعلل القزويني جمال الحذف وقيمته ، وان كان عبد القاهر قد قال بعد ذكرها: «فتأمل الان هذه الايبات كلها واستقرها واحدا واحدا ، وانظر الى موقعها في نفسك، والى ما تجده من اللطف والظرف اذا أنت مررت بموضع الحذف منها ، ثم قلبت النفس عما تجد ، والطفت النظر فيما تحس به ، ثم تكلف ان ترد ما حذف الشاعر ، وان تخرجه الى لفظك وتوقعه في سمعك ، فانك تعلم ان الذي قلت كما قلت ، وان رب حذف هو قلادة الجيد وقاعدة التجويد »(۱) •

ويحذف المسند لنحو ما سبق في المسند اليه من تخييل العدول الى أقوى الدليلين ، ومن اختبار تنبه السامع عند قيام القرينة ، او مقدار تنبهه ، ومن الاختصار والاحتراز عن العبث بناء على الظاهر ، أما مع ضيق المقام كقوله:

نحن مختلف وأنت بما عندك راض والمسرأي مختلف

أي : نحن بما عندنا راضون •

واما بدون الضيق كقوله تعالى : « واللهُ ورسولُه أَحَــقُ أَنْ يُرْضُوه ﴾ (٢) • أي : والله احق ان يرضوه •

وقد يكون حذفه لتكثير الفائدة كقوله تعالى: « بل سنو ًلت ٌ لكم أَنْفُسُكُم أَمراً فَصَبْر ٌ جَميل ٌ » (٣) وقوله: « سنورة ٌ انزلناها »(٤) ، وقوله: « وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن ، أَمر ُ تَهُمُ هُ لَيَخْر ُ جُن ٌ قَل ٌ لا تقسموا ، طاعة معروفة » »(٥) .

⁽١) دلائل الاعجاز ص ١١٦ .

⁽۲) سورة التوبة ، الآية ۲۲ .

اً : سورة يوسف ، الآية ١٨ .

⁽٤) سورة النور ، الآية ١ .

⁽۵) سورة النور ، الآية ۵۳ .

فكل منها يحتمل حذف المسند اليه والمسند ، أي : فأمري صبسر جميل " ، او فصبر " جميل اجمل ، وهذه سورة انزلناها ، او فيما اوحينا اليك سورة انزلناها ، وامركم أو الذي يطلب فيكم طاعة معروفة معلومة ، ومنهم من ادخل قوله تعالى : «ولا تقولوا ثلاثة" »(١) في هذا الباب ، ولكن القزويني رد عليه ولم يأخذ برأيه (٢) .

ولا بد للحذف من قرينه كوقوع الكلام جوابا عن سؤال امسا محقق كقوله تعالى : « ولئين مألتهم من خكت السمساوات والارض كقوله : « كذلك يتوحي والارض كيقولتن الله »(٦) ، واما مقدر كقوله : « كذلك يتوحي اليك والى الذين من قبالك الله العزيز الحكيم » (٤) ببناء الفعل للمفعول ، وقد ذكر ان الفعل المتعدي اذا اسند الى فاعله ولم يذكر له مفعول فهو على ضربين (٥) :

الاول: ان يكون الغرض اثبات المعنى في نفسه للفاعل على الاطلاق أو نفيه عنه كذلك فيتنزل منزلة اللازم ، ولا يذكر له مفعول لئلا يتوهم السامع ان الغرض الاخبار به باعتبار تعلقه بالمفعول ، ولا يقدر ، لان المقدر في حكم المذكور ، وهذا الضرب قسمان: لانه أما ان يجعل الفعل مطلقا كناية عن الفعل متعلقا بمفعول مخصوص دلت عليه قرينة ، أو ولا و والاول كفول البحتري يمدح المعتز بالله ويعرض بالمستعين بالله:

شجو مسادره وغیظ عداه ان یری مبصر ویسمع واعر

فجعل مطلق الرؤية كناية عن رؤية محاسنه وآثاره ، ومطلق السماع كناية عن سماع اخباره ، وقد خالف القزويني عبد القاهر في

⁽١) سورة النساء ، الآية ١٧١ .

١٤ – ١٢ ص ٨٣ – ١٨٠ .

⁽٢) سورة لقمان ، الآية ٢٥ .

⁽٤) سورة الشورى ، الآية ٣ .

⁽٥) الايضاح ص ١٠٣ وما بعدها .

هذه المسألة في أمرين:

الاول: انه يرى ان الفعل هنا منزل منزلة اللازم ، ويراه عبد القاهر مما له مفعول مقصود محذوف .

والثاني: انه يجعل الفعل مطلقا كناية عن نفسه متعلق بمفعول مخصوص ، ولا يراه عبد القاهر كناية(١) •

والثاني: كقوله تعالى « قتل مك يَستوي الذين يَعَلَمُون والذين لا يَعَلَمُون الله معنى العلم ومن لا يحدث لا يعدث ٠

والضرب الثاني: أن يكون الغرض افادة تعلق بمفعول ، فيجب تقديره بحسب القرائن ثم حذفه من اللفظ ، اما للبيان بعد الابهام كما في فعل المشيئة اذ لم يكن في تعلقه بمفعوله غرابة كقوله تعالى: « فلو شاء لهداكم أجمعين » (ت) وقوله: « فإن يشأ الله يخترم على قلبك » (٤) ، وقول البحتري:

لو شئت لم تفسد سماحة حاتم كرما ولم تهدم مآثر خالد

فان كان في تعليق الفعل به غرابة ذكر المفعول ليتقرر في نفس السامع كقوله: « لو شئت ان أرد على الامير رددت » ، وعليم قول الشماع :

ولو شئتأن أبكي دما لبكيته عليه ، ولكن ساحة الصَّابْرِ أو سُعَ

وعلة جمال اظهار المفعول به أنه كان بدع عجيب ان يشأ الانسان ان يبكى دما ، فلما كان كذلك كان الاولى ان يصرح بذكره ليقرره في

⁽١) الايضاح ص ١٠٤ ولائل الاعجاز ص ١٢٠ -

۲۲) سورة الزمر ، الآية ۹ .

⁽٣) سورة الإنعام ، الآية ١٤٩ .

⁽³⁾ سورة الشورى ، الآية ٢٤ ·

نفس السامع ، ويؤنسه به • وكذلك الحال متى كان مفعول المشيئة أمرا عظيما او بديعا غريبا فعندئذ يكون الاحسن ان يذكر ولا يضمر فاذا لم يكن مما يكبره السامع فالحذف(١) •

ولا يكتفي القزويني بالنقل ، وانما يصحح ما وقع فيه القدماء فيقول معلقا على قول أبي الحسين علي بن أحمد الجوهرى أحسد شعراء الصاحب بن عبساد:

فلم ينبثق مني الشوق غير تفكشري فلو شئتأن ابكي بكيت تفكشرا

فليس منه ، لانه لم يرد ان يقول: « فلو شئت أن ابكي تفكرا» ولكنه اراد أن يقول: افناني النحول فلم يبق مني غير خواطر تجول حتى لو شئت البكاء فمريت جفوني وعصرت عيني ليسيل منها دمع لم أجده ، ولخرج منها بدل الدمع التفكر • فالمراد بالبكاء في الاول الحقيقي ، وفي الشاني غير الحقيقي ، فالشاني لا يصح ان يكون تفسيرا للاول »(۲) •

ولم يستطع القزويني ان يحلق كما حلّق عبد القاهر في تعليل جمال حذف المفعول بعد المشيئة ، وعلل عبد القاهر ذلك بان في البيان بعد الابهام وبعد تحريك النفس الى معرفته لطفاً ونبلاً لا يكون اذا لم يتقدم ما يحرك ، فانت اذا قلت : « لو شئت » علم السامع انك قد علقت هذه المشيئة في المعنى بشيء فهو يصنع في نفسه أن ههنا شيئا تقتضيه المشيئة فاذا قلت : لم تفسد سماحة حاتم « عرف ذلك الشيء »(٢٠) .

وأما لدفع ان يتوهم السامع في اول الامر ارادة شيء غير المراد كقول المحترى:

⁽۱) دلائل الاعجاز ص ۱۲٦ ٠

⁽٢) الاينساح ص ١٠٦٠

⁽٣) دلائل الأعجاز ص ١٢٥٠

وكم ذدت عني من تحامل حادث وسورة أيام حَزَز ْن الى العَظم

اذ لو قال: «حززن اللحم» لجياز ان يتوهم السامع قبل ذكر ما بعده ان الحز كان في بعض اللحم، ولم ينته الى العظم فترك ذكر اللحم ليبرىء السامع من هذا الوهم، ويصور في نفسه مين أول الامر ان الحز مضى في اللحم حتى لم يرده الا العظم •

واما لانه اريد ذكره ثانيا على وجه يتضمن ايقاع الفعل على صريح لفظه اظهارا لكمال العناية بوقوعه عليه كقول البحترى :

قد طلبنا فلم نجد لك في السُّؤ ° دُر والمجدرِ والمكارم مِثْلا

أي : « قد طلبنا لك مثلا في السؤدد والمجد والمكارم » ، فحذف المثل اذ كان غرضه ان يوقع نفي الوجود على صريح لفظ المثل •

واما للقصد الى التعميم في المفعول ، والامتناع عن ان يقصره السامع على ما يذكر معه دون غيره مع الاختصار كقوله تعالى « والله يدعو الى دار السكلام » (١) ، أي يدعو كل احد .

وأما للرعاية على الفاصلة كقوله سبحانه: « والضَّحى • والسُّللِ الذا سَنَجَى • ما وَ دَّعَـكُ رَبُّكُ وما قَللِ •

وأما لاستهجان ذكره كما روي عن عائشة (رض) انها قالت : « ما رأيت منه ولا رأى مني » تعني العورة ٠

واما لمجرد الاختصار كقوله تعالى: «أُهذا الذي بُعَثُ اللهُ رَّسُولا » (٣) ومنه قوله: « وكُلُّا ورد ماء مك يُن و جَد عليه أَمُّتُهُ مِن الثَّنَاسِ يَسَنْقُونَ ، و و جَد مِن ° د و نِهِم امرأت ين ِ

السورة يونس ، الآية ٢٥ .

 ⁽۲) سورة الضحى ، الآيات ١ - ٣ .

⁽٣) سورة الفرقان ، الآية ١ ، .

تَكُودان قال : ما خَطَّبُكُما ؟ قالتالا نُستْقي حتى يُصَّدرِ الرِعاء َ وأبونا شَيَّخ ' كبير ' • فسقى لهما »(١) •

ومع ان القرويني أكم باكثر مواضع حذف المفعول ، ورتبها ، وهو وبوبها تبويبا حسنا ، غير ان بحثه تعوزه الطلاوة والتحليل ، وهو وبوبها تبويبا حسنا ، غير ان بحثه تعوزه الطلاوة والتحليل ، وهو وقابليته على التحليق ، ولم تكن له اجسادة ابن الاثير في العرض والتحليل وقد علل هذان الكاتبان قيمة الحذف ، وتعليلهما اقربالي الذوق منه الى القواعد وضبط الاصول ، يقول عبد القاهر : « واذ قد عرفت هذه الجملة في حال الحذف في المبتدأ فاعلم ان ذلك سبيله في كل شيء ، فما اسم او فعل تجده قد حذف ثم اصيب موضعه وحذف في الحال فينبغي ان يحذف فيها الا وانت تجد حذفه هناك احسن من ذكره وترى اضماره في النفس اولى وآنس من النطق احسن من ذكره وترى اضماره في النفس اولى وآنس من النطق به »(۳) ، وهذا يدلنا على ابتعاده عن تعليل النحاة ،

وبهذا الاسلوب بَحَثَ القزويني موضوعات الجملة كالتقديم والتأخير ، والتعريف والتنكير ، والتقييد بالتوابع ، والقصر ، والخروج عن مقتضى الظاهر ، ولا نرى في طريقته هذه فائدة كبيرة ، لانه لم يستطع ان يعطي الجملة حقها من البحث ، ولم يقدر ان يحلل كما حلل عبد القاهر ، وبذلك أعطى صورة غير واضحة عن أساليب التقديم والتأخير ، والحذف والذكر ، والقصر ، والتعريف والتنكير وغيرها من الموضوعات التي تدخل في بحث الجملة ،

ونرى أن نضم معظم الموضوعات التي ذكرها والامثلة التي سردها الى فصول النحو لتعطيها حيوية وتكسبها رواء ، وبذلك نخلص البلاغة من جمودها ، ونبعث الحياة في النحو من جديد .

ا) سورة القصص ، الآيتان ٢٣ ـ ٢٤ .

⁽٢) ينظر دلائل الاعجاز ص ١١٨ وما بعدها .

⁽٣) دلائل الاعجاز ص ١١٧ .

الفصل والوصل

قيل للفارسي: ما البلاغة ؟ قال: معرفة الفصل من الوصل و وذهب كثير من بلاغيي العرب الى ما ذهب اليه الفارسي ، واعتبروا الفصل والوصل فنا عظيما ، صعب المسلك ، دقيق المأخذ لا يحيط علما بكنهه الا من أوتي في فهم كلام العرب طبعا سليما ، ورزق في ادراك أسراره ذوقا صحيحا ، ولهذا قصر بعضهم البلاغة على معرفته ولا يرى القزويني هذا الرأي ، يقول: « وما قصرها عليه لان الامر كذلك ، وانما حاول بذلك التنبيه على مزيد غموضه ، وأن أحسدا لا يكمل فيه الاكمل في سائر فنونها ، فوجب الاعتناء بتحقيقه على أبلغ وجه في البيان » (١) .

والوصل عطف بعض الجمل على بعض ، والفصل تركه ولذلك نرى أن يبحث هذا الموضوع بعد بحث الجملة كما فعلنا .

لقد تكلم الجاحظ وأبو هلال (٢) على الفصل ، ولكنهما ليم يوضحا طرقه واساليبه ، لأن عنايتهم بالقضايا الادبية والنظرة الفنية حالت دون ذلك ، ولعل عبد القاهر كان من اوائل الذين بحثوه بحثا مفصلا يقوم على التقسيم ، والتحديد ، وانتعليل ، وانتحليل ، وربطه

الايضاح ص ۱٤٧٠

⁽٢) البيان والتبيين ج١ س ٨٨ ، وكتاب الصناعتين ص ٣٨ ، ٠

بباب العطف عندما ربط البلاغة بمعاني النحو وجعل النظم توخيا له ، وأجمل مواضع الفصل والوصل بقوله: « أن الجمل على ثلاثة أضرب:

جملة حالها مع التي فبلها حال الصفة مع الموصوف والتأكيد مع المؤكد فلا يكون فيها العطف البتة لشبه العطف فيها لو عطفت بعطف الشيء على نفسه •

وجملة حالها مع التي قبلها حال الاسم يكون غير الذي قبله الا انه يشاركه في حكم ويدخل معه في معنى مثل أن يكون كلا الاسمين فاعلا أو مفعولا أو مضافا اليه فيكون حقها العطف •

وجملة ليست في شيء من الحالين ، بل سبيلها مع التي قبلها سبيل الاسم مع الاسم لا يكون منه في شيء فلا يكون اياه ولا مشاركا له في معنى بل هو شيء ان ذكر لم يذكر الا بـــامر ينفرد به ، ويكون ذكر الذي قبله وترك الذكر سواء في حاله لعدم التعلق بينه وبينه رأسا ، وحق هذا ترك العطف البتة ،

فترك العطف يكون اما للاتصال الى الغاية أو الانفصال الى الغاية، والعطف لما هو واسطة بين الامرين وكان له حال بين حالين فاعرفه »(١).

وعلى هذا الاساس وضع عبدالقاهر أصول بحث الفصل والوصل، وقوانينه ، وذكر الامثلة الكثيرة ، وجاء علماء البلاغة فاختصروا بحوثه وبوبوها وقسموها ، وكان تحديدهم اكثر ضبطا ، وقواعدهم اكثر تقييدا ، وكان السكاكي من أشهر السذين اتبعوه ولكنه لم يوضح الموضوع ولم يبحثه كما ينبغي ، وانصرف الى البحث في الجسامع وأنواعه ، واستفاد الخطيب القزويني من الرجلين فكان بحثه للفصل والوصل يجمع بين تحديدالقاعدة ، والشرح والتعليل ، أي بين طريقتي عبد القساهر والسكاكي ،

⁽١) دلائل الاعجاز س ١٨٧ ـ ١٨٨٠ .

يذهب القزويني الى انه اذا أتت جملة بعد جملة فالاولى منهما اما ان يكون لها محل من الاعراب ، أو لا ، وعلى الاول ان قصد التشريك بينها وبين الثانية في حكم الاعراب عطفت عليها ، وهذا كعطف المفرد لان الجملة لا يكون لها محل من الاعراب حتى تكون و قعية موقع المفرد فكما يشترط في كون العطف بالواو ونحوه مقبولا في المفرد أن يكون بين المعطوف عليه جهة جامعة كما في قرله تعالى:

« يَعَلْم مَا يَلَج في الأرض ، ومِا يَخْر ُج منها ، ومِا يَخْر ُج منها ، ومِا يَنْز ِل َ من السماء وما يَعْر ج فيها »(١) • ولهذا عيب على أبي تمسمام قوله :

لا والذي هو عالم أن النَّوى صبر " وأن الحسين كريم

اذ لا مناسبة بين كرم أبي الحسين ومرارة النوى ، ولا تعلق لاحدهما بالآخر ولانه لم يقصد ذلك ترك عطفها .

وعلى الثاني ان قصد بيان ارتباط الثانية بالاولى على معنى بعض حروف العطف سوى الواحد عطفت عليها بذلك الحرف فنقول « دخل زيد فخرج عمرو » • وان لم يقصد ذلك فان كان للاولى حكم لم يقصد اعطاؤه للثانية تعين الفصل كقوله تعالى : « واذا خكرو الله يساطينهم قالوا إنها معكم ، إنما نحن مسته و نون ، الله يسته و يمن الاولى حكم فان كان بين الجملت ين كمال بهم »(٢) • وان لم يكن الاولى حكم فان كان بين الجملت ين كمال الانقطاع ، وليس في الفصل ايهام خلاف المقصود ، أو كمال الاتصال، أو كانت الثانية بمنزلة المنقطعة عن الاولى أو بمنزلة المتصلة بها كذك يتعين الفصل .

١) سورة سبأ ، الآية ٢ .

⁽٢) سورة البقرة ، الآية ١٤ ــ ١٥ .

وأما كمال الانقطاع فيكون لامر يرجع الى الاسناد أو الى طرفيه: الاول: ان تختلف الجملتان خبراً وانشاءا ، لفظا ومعنى كقلول الشاعر:

وقال رائدهم : أرسوا نزاولها فكل حتف امرىء يجري بمقدار أو معنى لا لفظا مثل « مات فلان ، رحمه الله » •

وأسا قول اليزيدى:

مَكَ كُتُهُ حَبِلَــي ولكنَّه القاه مِن زُهَد على غاربي وقال : إِنِي فِي الهوى كاذرِبِ انتقم الله من الكــاذرِبِ

فَعَدَّه السَّكَاكِي من هــــذا النوع ، وحمله عبد القاهر على الاستئناف بتقدير « قلت »(١) .

الثاني: ألا يكون بين الجملتين جامع • وأما كمال الاتصال فيكون لامور ثلاثة:

الأول: أن تكون الثانية مؤكدة للاولى ، والمقتضي للتأكيد دفع توهم التجوز والغلط وهو قسمان:

أحدهما: أن تنزل الثانية من الاولى منزلة التأكيد المعنوي من متبوعه في افادة التقرير مع الاختلاف في المعنى ، كقوله تعالى: « ألم • ذلك الكتاب لا ريْب فيه » (٣) •

وثانيهما: أن تنزل الثانية من الاولى منزلة التأكيد اللفظي مـن متبوعه في اتحاد المعنى كفوله تعالى: « ذلك الكتاب لا ريب فيه هـُد وي للمتقن ﴾ (٦) •

⁽١) مفتاح العلوم ص ١٣ ، ودلائل الاعجاز ص ١٨٣ .

⁽٣) سررة البقرة ، الابتان ١ ـ ٢ .

⁽٣) سورة البقرة ، الآية ٢ .

الثاني: ان تكون الثانية بدلا من الاولى والمقتضي للابدال كون الاولى غير وافية بتمام المراد بخلاف الثانية، او المقام يقتضي اعتناء بشأنه لنكتة ، ككونه مطلوبا في نفسه ، أو فظيعا ، او عجيبا ، او لطيفا • وهو ضربان:

أحدهما : أن تنزل الثانية من الاولى منزلة بدل البعض من متبوعه كقوله تعـــالى :

« أَمَدُ كُمْ ، بِمَا تُعَلَّمُونَ • أَمَدُ كُم بأنعام وبنينَ • وجنات وعيون »(١) •

وثانيهما : أن تنزل الثانية من الاولى منزلة بدل الاشتمال مــن متبوعه كقوله تعالى :

« اتكبعوا المر سكاين ، اتبعوا مسن لا يسألتكم أجراً وهم مهتدون »(٢) .

الثالث: أن تكون الثانية بياناً للاولى ، وذلك بأن تنزل منهـــا منزلة عطف البيان من متبوعه في افادة الايضاح ، والمقتضي للتبيين أن يكون في الاولى نوع خفــاء مع اقتضاء ازالته ، كفوله تعالى : « فَوَسُوسَ البه الشَيْطَانُ قال : يا آدَمُ هَلُ أَذْ لَكُ على شَجَرَة الخُلُد ومُلُك لا يَبْلَى » (٣) .

وأما كون الثانية بمنزلة المنقطعة عن الاولى فلكون عطفها عليها موهما لعطفها على غيرها ، ويسمى الفصل لذلك قطعا ، مثاله قول الشاعر:

وتظن سلمي أكني أبغي بها بدلاً أراها في الضلال ِ تهيم ً

واما كونها بمنزلة المتصلة بها فلكونها جوابا عن سؤال اقتضت

⁽١) سورة الشعراء ، الآية ١٣٢ ـ ١٣٤ .

⁽۲) سورة يس ، الآية ۲۰ - ۲۱ .

⁽٣) سورة طه ، الآية ١٢٠ .

الاولى فتنزل منزلته ، فتفصل الثانية عنها كما يفصل الجواب عسن السؤال ، ويسمى الفصل لذلك استئنافا ، وكذا الجملة انثانية تسمى استئنافا ، والاستئناف ثلاثة أضرب ، لان السؤال الذي تضمنته الجملة الاولى أما عن سبب الحكم فيها مطلقا كقوله :

قال لي : كيف أنت ؟ قلت : عليل مسهر دائم ، وحزن طويل م

واما عن سبب خاص له ، كقوله تعالى « وما أُ بري نَفْسي ، إِنَّ النَفْس ُ لأَمَّارة بالسُّوء » (١) ، واما عن غيرهما كقوله تعالى : «قالوا سلاماً ، قال َ : سكلم ُ » (٢) ، ومنه قول الشاعر :

زعم العواذل ُ أنني في غَـمـُرة ٍ صـد ْقوا ، ولكن غَـمـُرتي لا تنجلي

ومن الاستئناف ما يأتي باعادة اسم ما استؤنف عنه مثل « أحسنت الى زيد ، زيد 'حقيق بالاحسان» ومنه ما يبنى على صفته مثل: «أحسنت الى زيد ، صديقك القديم أهل لذلك » ، وهذا أبلغ لانطوائه على يسان السبب ،

وقد يحذف صدر الاستئناف لقيام قرينة كقوله تعالى: «يتستبيّح ُ لكه ُ فيها بالغند ُو ِ والآصال رجال " »(٢) • فيمن قرأ « يسبح » مبنياً للمفعول ، وعليه نحو قولهم « نعم الرجل او رجلا زيد» • وقد يحذف الاستئناف كله ويقام ما يدل عليه مقامه كقول الحماسي:

زُعمتم أنَّ أخوتكم قريت " لهم إلف وليس لكم إلاف

هـــذه هي المواضع التي يكون فيها الفصل ، فان لم يكن بــين الجملتين شيء من هـــذه الاحوال تعين الوصل اما لدفع ايهام خلاف

سورة يوسف ، الآية ٥٠ .

⁽٢) سورة هود ، الآية ٦٩

۳۲ سورة النور ، آيتان ۳۳ و ۳۷ .

المقصود كقول البلغاء « لا ، وأيدك الله » • وإمّا للتوسيُّط بين حالتي كمال الانقطاع وكمال الاتصال ، وهو ضربان :

احدهما: ان يتففا خبرا أو انشاء ، لفظا ومعنى ، كفوله تعالى: « إِنَّ الابرارَ لفي نعيم ، وإِنَّ الفُجّارَ لفي جَميم »(١) .

والشاني: أن يتتَّففا كذلك معنى لا لفظاً كقوله تعالى: « وإِدْ أَخَذْنا ميثاقَ بني استرائيل لا تعبُدُونَ إِلاَّ اللهُ ، وبالوالدين إِحْسانا ، وذ ِي القربى ، واليتامى ، والمساكين ، وقولوا »(٢) .

وتكلم القزويني بعد هذا على الجامع وأنواعه ، وقستمه الى عقلي، ووهمي ، وحيالي ، وقد تابع السكاكي في ان لصاحب المعاني فضن احتياج الى التنبيّه لانواع الجامع لا سيما الخيالي ، ونرى ان هذه البحوث ليست من البلاغة في شيء، وان صاحب علم المعاني لا يحتاج اليها بدليل اننا ندرس الفصل والوصل الآن ونفهم اسلويهما وطرقهما ولا نعرف شيئا عن الجامع وأنواعه ، وأن صعوبة هذه البحوث في كتب المتأخرين ناتجة عن ادخال هذه الموضوعات الغريبة في البلاغة ،

وبعد أن انتهى من هذه البحوث الفلسفية ، تكلم على الجملة الحالية وحكم الواو معها ، وهذا البحث وان لم يكن من الفصل والوصل الا ان البلاغيين يرون أنه لما كانت الجملة الحالية تارة تجيء بالواو وأخرى بغيرها ناسب الكلام عليها من هذه الناحية في باب الفصل والوصل ، والى ذلك أشار القزويني قائلا : « ومما يتصل بهذا الباب القول في الجملة اذا وقعت حالا منتقلة فانها تجيء تارة بالواو وتارة بغير الواو »(٣) ،

والجملة الحالية ان خلت من ضمير صاحبها ، فهي تارة تأتي بالواو،

الانفطار ، الایتان ۱۳ _ ۱۶ .

⁽٢) سورة البقرة ، الآية ٨٣ .

⁽٢) الايضاح ص ١٦٥٠

وثانية تأتي بدونها ، واذا كانت الجملة فعلية والفعل مضارع مثبت امتنع الواو كقوله تعالى: « ونكذر ُهمُم ْ في طُغْيانِهم يَعْمَهُون » (١) وأما ما جاء نحو قول بعض العرب: « قمت وأصك عينه أو وجهه » ، وقول عبد الله بن همام السلولي:

فلما خشيت أظافيرهم نجوت وأرهنهم مالكا

فقيل: على حذف المبتدأ ، أي: وأنا اصك عينه ، وأنا أرهنهم ، وقيل: الأول شاذ ، والثاني ضرورة .

وان كان الفعل مضارعا منفيا ، فيجوز فيه الامران من غير ترجيح لدلالته على المقارنة لكونه مضارعا ، وعدم دلالته على الحصول لكونه منفيا • أما مجيئه بالواو فكقول مسكين الدارمي :

أكسبته الورق البيض أب ولقد كان ولا يتدعى لأب ا

وقول مالك بن رفيع ، وكان قد جني جناية ، فطلبه مصعب بن الزبير :

بَغاني مصعب" وبنو أبيه فأين أحيد عنهم ؟ لا أحيد أقادوا من دمي وتوعدوني وكنت وما ينهنهني الوعيد

وأما مجيئه بغير واو ، فكقوله تعالى : « وما لنا لا نُـُؤمن بالله ِ »(٢) ، وقول الاعشى :

أتينا أصبهان فهزلتنا وكنا قبل ذلك في نعيم وكان سفاهة مني وجها مسيري ، لا أساير الى حسيم

وان كان ماضيـــا لفظًا أو معنى ، فكذلك يجوز الامران من غير

سورة الانعام ، الآية ١١٠ .

⁽۲) سورة المائدة ، الآية ۸٤ .

ترجيح ، أما مجيئه بالواو فكقوله تعالى: « أنتَّى يكبونُ لي غلامُ وقد بلغنى الكبر »(١) ، وكقول امرىء القيس .

أيقتلني وقد شَغَقْتُ فؤادَها كما شعنف المهنوء والرجل الطاني

وأمــا مجيئــه بلا واو فكقوله تعالى : « أو جاءُ وكم حُصِر تُ صدورُ هم »(۲) ، وقول الشاعر :

وإِني لتعروني لذكراك ِ هزَّة " كماانتفض العصفور ُ بكائله القَطُّر ْ

وان كانت الجملة اسمية ، فالمشهور انه يجوز فيها الامران ،ومجىء الواو أولى ، أما الاول فلعكس ما ذكرناه في المصدرة بالماضي المنبت ، فمجىء الواو كقوله تعالى :

« فلا تَجْعلوا لله أنداداً وأنتم تَعْلَمُونَ »(٣) • وقوله : « ولا تُباشِر ُو ُهُنَ وأنتم عاكِفُونَ في المُساجد » (٤) • وقول الشاعر المرىء القيس :

ايقتُلني والمشرَّفِي مُنضاجعي ومسنونة ورُرْق كأنياب أغوال

والخلو منها كما رواه سيبويه: «كلمته فوه الى في » و « رجع عوده على بدئه » .

وأما الثانى فلعدم دلالة الاسميـــة على عدم الثبوت مع ظهور الاستئناف فيها لاستقلالها بالفائدة، فتحسن زيادة رابط ليتأكد الربط • وقد نقل بعد ذلك كلام عبد القاهر في هذا الموضوع •

ومحسنات الوصل عند القزويني تناسب الجملتين في الاسمية

⁽۱) سورة آل عمران ، الآية ٤٠ .

⁽٢) سورة النساء ، الآية ٩٠ .

⁽٣) سورة البقرة ، الآية ٢٢ .

⁽٤) سورة البقرة ، الآية ١٨٧ .

والفعلية وفي المضي والمضارعة ، الا لمانع، كما اذا أريد باحداهما التجدد وبالاخرى الثبوت ، كما اذا كان زبد وعمرو قاعدين ، ثم قام زيد دون عمرو ، وقلت : « قام زيد وعمرو قاعد » .

وقد جرى القزويني في جعل الفصل والوصل خاصا بالجمل كسا فعل عبد القاهر في « دلائل الاعجاز » والعلوى في « الظراز » وابن قيم الجوزية في « الفوائد » ، وذهب السكاكي الى انهما يأتيان في عطف الجمل والمفردات ، وفي العطف بالواو وغيره من حروف العطف وان المعول عليه في ذلك هو الجهة الجامعة فمتى وجدت صح العطف في الجمل لانواع هذا الجامع والتيقظ لها ، لا سيما النوع الخيالي فان جمعه على مجرى الالف والعادة بحسب ما تنعقد الاسباب في استيداع الصور وخزانة الخيال ، وأن الاسباب لكما ترى الى اي حد تتباين في شأن الجمع بين صور وصور ، فمن أسباب تجمع بين صومعة ، وقنديل، وقرآن ، وتبعه في ذلك المتأخرون ،

والحق ما ذهب اليه عبد القاهر والقزويني ، لان العطف بالواو لا يفيد معنى خاصا كما تفيده حروف العطف الاخر كالفاء التي تفيد العطف باتصال ، و « ثم » التي تفيد العطف باتفصال ، وان دقة الوصل والفصل تظهر في ذلك ، أما عطف المفرد على المفرد فانه يأتى للتشريك في الحكم وكذلك الجمل التي لها محل من الاعراب لوقوعها موقع المفرد ، وبذلك نرى ان عبد القاهر والقزويني ابتعدا قليلا عن اتجاه النحاة في بحث الفصل والوصل ،

وكم كنا نود لو ان القزويني أظهر محسنات الوصل في أثناء بحثه ، ووضع اليد على مواطن الجمال كما فعل عبد القاهر ، ولكنه لم يستفد من تحليله وتعليقه كما استفاد في حصر القواعد وضبطها • ولا

۱۲٤ مفتاح العلوم س ۱۲٤ .

يمكن أن ننظر الى الفصل والوصل هذه النظرة لانه « ليس للعبارة في العلم استقلال بل هى تخضع خضوعاشديدا للعبارات السابقة واللاحقة اذ ليس لها وجود متميز ، وهي ترتبط بما يتقدمها ويتأخر منها ارتباط الاسباب بالمسببات والعلل الحتمية بالمعلومات ، ولهذا الارتباط المنطقي الشديد أو قل الحاد ، ظاهرة نحوية واضحة هي كثرة لا نلاحظها في العبارات الادبية ، بل قد نفقد فيها حروف العطف ، وحتى ان وجدت قلما تنبين وظيفتها في الربط ، ولذلك كان البلاغيون يهتمون بدراسة باب الوصل والفصل ، أو معبارة أخرى باب الاتصال والانفصال بين الجمل الادبية ويتمحلون فيه تمحلات يبدو فيها التعسف ، لانهسم يريدون أن يخضعوا الجمل في الادب لمنطق العقل ، وهي انما يسيطر عليها منطق العاطفة »(١) ،

⁽۱) في النقد الادبي ص ٧٤.

الايجاز والاطناب والساواة

ولقد كان القزويني اكثر توفيقا في هذا البحث منه في بحوث الجملة، والفصل والوصل ، وعلة ذلك _ كما نرى _ أن هذا الموضوع اكثر بعدا من غيره عن بحوث النحو المحضة ، فاستطاع أن ينجو من قيده ويحلق بعيدا ، يضاف الى ذلك أن هذا الموضوع قد بحث قبله وأشبع تفصيلا ، والجديد في بحث القزويني هذا انه جمع شتات الموضوع ووحد فروعه وأبوابه ، فقد كان كل جزء منه يبحث منفردا ، وأوضح مثال على ذلك أنواع الاطناب التي ذكرها ، كالتوشيح ، والتكرار والايغال ، والتذييل ، والتكميل ، والتتميم ، ونظرة في «كتباب الصناعتين » لابي هلال العسكري ترينا كيف كانت هذه الفنون مستقلة الها أبوابها وتقسيماتها ، ولكن القزويني استطاع أن يجمع الاشباه والنظائر ، ويوحيد بينها في باب واحد تقليلا للمصطلحات وابتعادا عن كثرة الابواب ، ومن هنا نرى ان القزويني أحسسَن وأجاد في عمله ، ومنع هذه الفنون من الاضطراب ، فهي عند بعضهم مستقلة ، وهي عند رمن ضروب البديع ،

ولا نعتبر بحث القزويني لهذا الموضوع كاملا ، خاليا من كل عيب فان النقص ليلفه من كل جانب ، ولكننا نرى أن نستفيد منه في بلاغتنا الجديدة ، ولكي نعطي فكرة واضحة عن معالجته للموضوع نذكر التكرار فنقول: انه الحاح على جهة هامة في العبارة يعنى بها الاديب

اكثر من عنايته بسواها (۱) وقد عرفه القدماء من الشعراء والكتاب وعلماء البلاغة والنقد ، وشغل النقاد تكرار القرآن الكريم وذكروا أنواع التكرار واقسامه ومتى يحسن ومتى يقبح وكان الجاحظ قد عرض له في كتبه ، يقول : « وجعل ابن السماك يوما يتكلم وجارية له حيث تسمع كلامه فلما انصرف اليها قال لها : كيف سمعت كلامي ؟ قالت « ما أحسنته ولا أنك تكثر ترداده قال : أردده حتى يفهمه من لم يفهمه وتناول بحثه العلماء الذين تكلموا في اعجاز القرآن كالبساقلاني والسكاكي والعلوي (۱) ، والباحثون في البلاغة والنقد كالعسكري وابن رشيق وابن الاثير (١) ، وقسسمه الاخيران ، وذكرا أبواعه وعرضا أمثلة كثرة له ه

ولم يعرف القدماء من التكرار الا التكرار البياني ، أما تكرار التقسيم والتكرار اللا شعوري فأغلب الظن انهم لم يعرفوهما، ولتكرار البياني أبسط الانواع جميعا وقد أوجدت الحياة الادبية الجديدة فنونا مسن التكرار .

والتكرار اما ان يكون بكلمة ، او بعبارة ، او بمقطع ، وكان اهتمام القدماء بالاول اكثر الا ما كان من حديثهم عن تكرار قوله تعللى : « فبأي آلاء ربكما تكذبان » في سورة الرحمن ،

أما التكرار عند القزويني فليس بالبحسث الطريف فلا تقسيم لانواعه ، ولا عرض لامثلة جيدة • وقد اكتفى بان ذكر ان الاطناب يكون بالتكرار لنكتة كتأكيد الانذار في قوله تصالى: «كلا سوف » تعلمون وثم ثم كلا سوف تعلمون وثم وكزيادة التنبيه على ما ينفى

⁽١) ينظر بحث التكرار في كتاب قضابا الشعر الماسر ص ٢٤٠ وما بعدها .

٢) البيان والتبيين ج١ ص ١٠٤ ٠

⁽٣) اعجاز القرآن ص ١٦٠ ، مفتاح العلوم ص ٢٨١ ، والطراز ج٣ ص ٤٤٣ .

⁽٤) العمدة ج٢ ص ٧٣ ، والمثل السائر ج٢ ص ١٥٧ .

⁽٥) سورة التكانر ؛ الايتان ٣ ، ٤ .

التهمة ليكمل تلقي الكلام بالقبول كما في قوله تعالى: « وقال الذي آمن يا قوم ا تبعون أهد كم سبيل الرشاد ، يا قوم إنها هسنده الحياة الد أنيا متاع سبيل وقد يكرر اللفظ لطول في الكلام كما في قوله تعالى: « ثم إن ربك للذين عملوا السيّوء بجهالة ، ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا ، إن ربسك من بعشدها لغفور تابوا من بعد ذلك وأصلحوا ، إن ربسك من بعشدها لغفور رحيم »(٢) ، وقد يكرر لتعدد المتعلق كما كرر تعالى في قوله: «فبأي آلاء ربكما تكذبان » .

هذه هي المعاني التي ذكرها القزويني للتكرار ولم يفصل فيها، ولم يتوسع في دراستها ، ولو رجعنا الى كلام العرب لوجدنا للتكرار معاني كثيرة فقد ذكروا انه يكون لتأكيد غرض من الاغراض أو للمبالغة فيه وذلك كالغزل والتنويه والاشارة اليه ويشمل المدح ، والهجاء على سبيل التشهير ، والازدراء ، والتهكيم ، والتنقيص ، والتفريع ، والتوبيخ ، والتعظيم ، للمحكي عنه ، والوعيد ، والتهديد ، والاستبعاد ، الرثاء ، والتأبين ، والاستغاثة ، والتفخيم ، والتعجب ، والاستبعاد ، والتهويل ، والانكار ، وغير ذلك (٣) .

ومع ذلك فان هذه البحوث القصيرة خير من بحوث الجملة ، أو الفصل والوصل ، وقد انطنق فيها القزويني ، وابتعد كثيرا عن الاجواء النحوية التي تقتل الاحساس المرهف والشعور الفني .

واذا ما اردنا ان نحكم على بحث القزويني لاساليب التعبير ، فاننا نرى أنه لم يبتعد كثيرا في بحث الجملة ، أو الفصل والوصل ، عــن منهج النحاة وان أشار انى المعاني الاضافية التي تؤديها الجمل أو الى معنى المعنى ، وهو ما لم يشر اليه النحاة ، لان الاعراب والصحةوالخطأ شغلتهم عن هذا كله ، ولعل أحسن ما في بحث علم المعاني عند القزويني

⁽١) سورة غافر ، الآيتان ٣٨ ، ٣٩ .

⁽٢) سورة النحل ، الآية ١١٩ .

⁽٣) تنظر هذه المعانى في كتاب البلاغة العنية ص ١٨٢ وما بعدها .

موضوعات المساواة والايجاز والاطناب ، ويمكن أن نستفيد من تقسيماته في بلاغتنا الحديثة ونضيف اليها ما استجد من أسساليب التعبير مع تعمق في التحليل ، ونظرة شاملة تأخذ الكل أساسا لدراستها لا الجزء الذي لا يجدي في دراسة انفنون الادبية كثيرا ، ويستطيع النحوي المجدد ان يأخذ من اشارات البلاغيين ومنهم القزويني منهجا لتجديد النحو واعادة الحياة اليه ، لان النحو ينبغي ألا يهتم بالصحة والخطأ والاعراب وانما يجب ان يتجاوزه الى معاني العبارات وهو الذي انتبه عبد القاهر اليه ، وأطلق عليه اسم النظم وما أحوجنا الى العودة لمنهج عبد القاهر وتلاميذ مدرسته في دراسة النحو ليكون أقرب الى واقع اللغة العربية ،

ومهما يكن من شيء فقد استطاع القزويني أن يحلق في بحث موضوعات علم المعاني اكثر مما فعل السكاكي، وأن ينسقها تنسيقا فيه دقة ووضوح ٠



الفصل لثالث

عظارالبسيان

عرف العرب كثيراً من ألوان الخيال ، ولكنهم لم يهتموا به ، ولم يقسموه هذا التقسيم الذي تعارف عليه النقاد حديثا ، ووقفوا عند ما يمكن ان يكون الخيال تداعي معان ، فحصروا دراست في أبواب المجاز المرسل والتشبيه والاستعارة والكناية ، وهي مبنيه على تداعي المعاني « لان الصلة في المجاز المرسل غير المشابهة ، ولكن هناك صلة أخرى تجمع بينهما كالصلة بين السبب والمسبب ، والمكان والحال فيه ، والجار ومجاوره ، والجزء والكل ، بما يندرج تحت قدانون تداعي المعاني » (۱) وهذه الفنون ليست غاية في ذاتها ، وانما هي غاية لمعان تصور انطباعات روح الكون في خيال الاديب ولكل أديب استعاراته ، وتشبيهاته ، ومجازاته ، وحيث نستطيع ان نقول أنها صوره ، صور نفسه ، وما انعكس عليها من روح الوجدود .

⁽١) اسس النقد عند العرب ص ٧٢) .

ودراستهم لهذه الموضوعات لا تكاد تخرج عن الجملة أوالجملتين، وليتهم اهتموا بالقطعة الإدبية والعمل الفني الكامل وشخل القدواء بهذه الفنون وعرفوا أساليبها وكان اهتمامهم منصبا على التشبيه في أول الامر ، لانه اقرب الى الواقع الحسي وأقرب الى طبيعة الشعر في العصر الجاهني ، وصدر الاسلام ، حتى أن الدكتور عبدالعزيز الاهواني اعتبره في كثير من الحالات مظهرا من مظاهر البدائية في التفكير والسذاجة الاولية في التعبير(۱) وانتبهوا الى روعة النشبيه وجماله قبل ان يلتفتوا الى روعة الاستعارة وسحرها ، ونعل ما كتب المبرد عن التشبيه خير دليل على اهتمامهم بهذا النوع من اسساليب التعبير ، وقد قسمه الى أربعة اضرب: تشبيه مفرط ، وتشبيه مصيب ، وتشبيه مقارب ، وتشبيه بعيد في قول مجنون بنى عامر:

بلیلی العامریة أو یثراح تمالجه وقد عکلق الجناح فعشهما تصفیقه الریاح ولا بالصبح کان لها براح

كأنَّ القلبَ ليلة قيل يُغذَّى قطاة' عَزها شَكرَكُ فبساتَتَ قطاة' عَزها شَكرَكُ فبساتَتَ لها فرخان قسد غلقا بوكر فلا بالليل ِ نالنْت ما تَرْجِسِي

لقد أحس ً المبرد بما في هذا التشبيه من روعة وجمال ، وقد قال الشعراء قبله وبعده فلم يبلغوا هذا المقدار من الاصابة في التشبيه(٢) •

وعندما تقدمت الدراسات البيانية افرد النقاد والبلاغيون لصور التعبير بحوثا مستفيضة،فتكلموا على التشبيه،والمجاز وانواعه، والكذاية وما فيها من صور خيالية ، لانها هي التي « تخلق الاتزان اللطيف في ثنايا العمل الشعري وتضفي عليه وشاحا من الجمال والرونق اذا

١١. ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر ص ١٢٨٠

⁽٢) الكامل ج٣ ص ٨٥٣ وما بعدها .

⁽۱) الكامل ح ٢ س ٧٤٧٠

استخدمت استخداما طبيعيا لا أثر للتكلف فيه ، واذا ابتعـــدت عن الاغراق في التخيل والتيه فيما وراء الطبيعة »(١) .

وكرس عبد القاهر جهوده في كتاب «اسرار البلاغة » لدراسة التشبيه والاستعارة ، واظهار ما لها من قيمة في التعبير ، ودرسهافي «دلائل الاعجاز » على أنها من النظم ، يقول : «وذلك لانهذه المعاني الني هي الاستعارة ، والكناية ، والتمثيل ، وسائر ضروب المجاز من بعدها من مقتضيات النظم وعنها يحدث وبها يكون ، لانه لا يتصور ان يدخل شيء منها في الكلم وهي أفراد لم يتوخ فيما بينها حكم من أحكسام النحو ، فلا يتصور ان يكون ههنا فعل او اسم قد دخلته الاستعارة من دون أن يكون قد ألف مع غيره أفلا ترى انه ان قدر في «اشتعل » من قوله تعالى : « واشتعل الرأس شيبا » (٢) ان و لايكون الرأس فاعلا له، ويكون « شيبا » منصوبا عنه على التمييز لم يتصور أن يكون مستعارا، وهكذا السبيل في نظائر الاستعارة فاعرف ذلك » (٢) .

واعتبر التشبيه ، والتمثيل ، والاستعارة عمدة الكلام ، وكأن جل محاسنه متفرعة عنها وراجعة اليها ، وكأنها اقطاب تدور عليها المعاني في متصرفاتها واقطار تحيط بها من جهاتها^(٤) وعندما بحثها بحثها بدكر الحقيقة والمجاز ، وبحث التشبيه والتمثيل وبنى بحث الاستعارة عليها ، وقد وفنى هذه الفنون حقها ، وفصل القول فيها تفصيلا .

أدخال الدلالات:

وعندما جاء السكاكي وقستم البلاغة الى المعاني ، والبيان ، والمحسنات اللفظية والمعنوية ، ادخل الدلالات في تقسيم موضوعات علم البيان ، وأقصما فيه اقحاما ، ورأى ان صاحب علم البيان لـــه فضل

١١٠ الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ص ٦] .

⁽٢) سورة مربه ، الآية } .

٢٠ دلائل الاعجاز س ٢٠٠ ـ ٢٠١ .

⁽٤) اسرار البلاغة ص ٣٣٠

الحتياج الى التعرض لانواع دلالات الكلم • ولاجل هذا بحثها ، وذكر أنواعها ، يقول : « لا شبهة في ان اللفظة متى كانت موضوعة لمفهوم أمكن ان تدل عليه من غير زيادة ولا نقصان بحكم الوضع وتسمى هذه دلالة المطابقة ودلالة وضعية • ومتى كان المفهوم ذلك ولنسمه أصليا تعلق بمفهوم آخر امكن ان تدل عليه بواسطة ذلك التعلق بحكم العقل سواء كان ذلك المفهوم الآخر داخلا في مفهومها الاصلي كالسقف مثلا في مفهوم البيت ، ويسمى هذا دلالة التضمن ودلالة عقلية أيضا • او خارجا عنه كالحائط عن مفهوم السقف وتسمى هذه دلالة الالتزام ودلالة عقلية أيضا » (۱) •

فالدلالات التي تحدث عنها السكاكي وذكرها في بحث البيان هي: دلالة اللفظ على تمام ما وضع له ، ودلالة التضمن وهي دلالة اللفظ على جزء ما وضع له او جزء مسماه مع دخوله فيه ، ودلالة الالتزام وهي دلالة اللفظ على معنى خارج عن مسماه لازم له ، وتسمى دلالة المطابقة دلالة وضعية ، لان السبب في ذلك حصولها عند سماع اللفظ او تذكره هو معرفة الوضع دون حاجة الى شيء آخر ، اما دلالتا التضمن والالتزام فتسميان دلالتين عقليتين ، لان حصولهما بانتقال العقل من الكل الى الجزء في الاولى ، ومن الملزوم الى اللازم في الثانية ، بمعنى ان الواضع وضع اللفظ ليفيد جميع المعنى غير ان العقل ما اقتضى ان الواضع وضع بدون جزئه او لازمه (٢) ،

وقد بنى السكاكي تقسيم البيان على هذه الدلالات فاخرج التشبيه، لان دلالته وضعية ، والدلالة الوضعية لا يسكن بها ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة ، ويؤيد ذلك بقوله : « فانك اذا اردت تشبيه الخسد بالورد في الحمرة مثلا وقلت : خد يشبه الورد امتنع أن يكون كلام مؤد لهذا المعنى بالدلالات الوضعية اكمل منه في الوضوح او انقص منه،

⁽١) مغتاج العلوم ص ١٥٦٠

⁽٢) ينظر الطرازج ١ س ٢١ ـ ٢٩ ؛ وفن التشبيه ج١ س ١٨ ـ ١٩

فانك اذا اقمت مقام كل كلمة منها ما يرادفها فالسامع ان كانعالما بكونها موضوعة لتلك المفهومات كان فهمه منه كفهمه من تلك من غير تفاوت في الوضوح ، وإلا لهم يفهم شيئا اصلا ، وانما يمكن ذلك في الدلالات العقلية مثل أن يكون لشيء تعلق بآخر ولثان ولثالث ، فاذا اريسد التوصل بواحد منها الى المتعلق به فمتى تفاوتت تلك الثلاثة في وضوح التعلق وخفائه صح في طريق افادته الوضوح والخفاء »(۱) ،

وهو في هذا قد اخرج التشبيه من البيان ، أما الموضوعات الاخرى فيقول في حصرها: « واذا عرفت ان ايراد المعنى الواحم على صور مختلفة لا يتأتى الا في الدلالات العقلية ، وهي الانتقال من معنى الى معنى بسبب علاقة بينهما كلزوم احدهما الآخر بوجه من الوجوه ، ظهر لك ان علم البيان مرجعه المعاني • ثم اذا عرفت ان اللزوم اذا تصور بين الشيئين فاما أن يكون من الجانبين كالذي بين الامام والخلف بحكم العقل ، وبين طول القامة وبين طول النجاد بحكم الاعتقاد ، او من جانب واحد كالذي بين العلم والحياة بحكم العقل أو بين الاسد والجرأة بحكم الاعتقاد ، ظهر نك ان مرجع علم البيان اعتبار هاتين الجهتين : جهة الانتقال من ملزوم الى لازم ، وجهة الانتقال من لازم الى ملزوم • ولا يربك بظاهرة الانتقال من أحد لازمي الشيء الى الآخر ما اذا انتقل من يباض الثلج الى البرودة فمرجعه ما ذكر ينتقل من البياض الى الثلج ، يباض الثلج الى البرودة فترجعه ما ذكر ينتقل من البياض الى الثلج ، ثم من انثلج الى البرودة فتأمل •

واذا ظهر لك ان مرجع علم البيان هاتان الجهتان علمت انصباب علم البيان الى التعرض للمجاز والكناية ، فان المجاز ينتقل فيه من الملزوم الى اللازم كما تقول « رعينا الفيث » والمراد لازمه وهو النبت وقد سبق ان اللزوم لا يجب ان يكون عقليا ، بل ان كان اعتقاديا اما لعرف او لغير عرف صبح البناء عليه ، واما نحو قولك « امطرت السماء نباتا » أي غيثا من المجازات المنتقل فيها من اللازم الى الملزوم

⁽١) مفتاح العلوم ص ١٥٧٠

فمنخرط في سلك « رعينا الغيث » ، وان الكناية ينتقل فيها من اللازم الى الملزوم كما تقول « فلان طويل النجاد » فلا يصار الى جعل النجاد الطويلا او قصيرا ، إلا " لكون القامة طويلة او قصيرة ، فلا علينا ان نتخذهما اصلن »(١) .

وبهذه الطريقة البعيدة عن دراسة الادب ومقاييسه، حصر السكاكي علم البيان في بحثين هما: المجاز، والكناية ، لان دلالتهما عقلية، والدلالة العقلية هي التي يمكن بها ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه و اما التشبيه فقد أخرجه في هذا الحصر من البيان لان دلالته وضعية ، والدلالة الوضعية لا يمكن بها ايراد المعنى بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه ، لان السامع اذا كان عالما بوضع الالفاظ لم يكن بعضها اوضح دلالة من بعض ، وإلا لم يكن كل منها دالا عليها و

ولم يستطع السكاكي ان يُخرج التشبيه من علم البيان مع انه صرح بأن دلالته وضعية ؛ وأنى له ان يخرجه وهو يعلم أنه باب كشير الاستعمال في اللغة ، وان له مزايا تورث الكلام حسنا وجمالا • ولكن كيف يضمه الى مباحث علم البيان ؟

لقد احتال واصطنع طريقة فيها تكلف وتعسف ، يقول : «ثم ان المجاز اعني الاستعارة من حيث أنها من فروع التشبيه لا تتحقق بمجرد حصول الانتقال من الملزوم الى اللازم ، بل لا بد فيها من تقدمة تشبيه شيء بذلك الملزوم في لازم له تستدعي تقديم التعرض للتشبيه ، فلا بد من ان نأخذه اصلا ثالثا ونقدمه ، فهو الذي اذا مهرت فيه ملكت زمام التدرب في فنون السحر البياني »(۲) .

وليس التشبيه فنا طارئا ــ كما يزعم ــ وانما هو فن كثير الدوران في كلام العرب ، يقول المبرد : « والتشبيه جار في كثير من الكلام أعنى

⁽١) مقتاح العلوم س ١٥٧٠

⁽٢) مفتاح العلوم س ١٥٧٠

كلام المرب حتى لو قال قائل انه اكثر كلامهم لم يبعد »(١) • ولا ندري لماذا أسرف السكاكي في اصطناع هذا الاسلوبوهويعترف بأن التشبيه اذا مهر الانسان فيه ملك زمام التدرب في فنون السحر البياني ، ولكن البلاغيين بحثوه في علم البيان واعتبروه من أهم بحو تسه ، بل اعتبره السكاكي اصلا ثالثا من اصول البيان وقدمه على جميع الاصول • وقد حمل المولى عصام حملة شديدة على السكاكي لعد م التشبيه اصلا ثالثا من اصول البيان وقدمه على المسكاكي المدرد التشبيه الملا ثالثا من اصول البيان وقدمه على المسكاكي المدرد المنازد المنازد المنان المنازد المنازد

ولما جاء القزويني وجد الطريق معبدة ، ووجد فنون البيان قـــــد انحصرت واستقرت ، وسار على هديه فعرفه بقوله : « هو علم يعرف به ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه »(٦) • وكان قوله « بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه »مدعاة للكلام في الدلالات التي ورَّط السكاكي البلاغيين فيها • وقد أطنب في ذكر شروط دلالة الالتزام وذكر ان ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة لا يتأتى بالدلالة الوضعية ، لان السامع اذ كان عالما بوضع الالفاظ لم يكن بعضها اوضح دلالة من بعض وإلا لكم° يكن كل واحد منها دالا، وانما يتأتى بالدلالات العقلية لجواز ان يكون للشيء لوازم بعضها اوضح لزوما من بعض . وقد ظن بعض شراح التلخيص ان دلالة التضمن ليست كدلالةالالتزام، ولذلك يقول السبكي: « وليس كذلك بل الذي يظهر انها تتأتى بالدلالة العقلية تضمنا كانت أم التزاما »(١) . وقسمه كما قسمه السكاكي ، لان اللفظ المراد به لازم ما وصَع له ان قامت قرينة على عدم ارادة ما وضع له فهو مجاز ، والا فهو كناية ، ثم المجاز منه الاستعارة ، وهيماتُبتَـنكي على التشبيه فيتعين التعرض له عفانحصر المقصود في التشبية والمجاز والكنابة • وقد على المجاز لابتناء الاستعارة عليــه ، وقدم

۱) الكامل ج٣ ص ٨١٨ .

⁽٢) ينظر الفوائد العيالية ص ١٩٥، وفن التشبيه ج ص ٢٣٠.

⁽٣) الايضاح س ٢١٢ .

⁽٤) عروس الافراح ج٢ س ٢٧٩ .

المجاز على الكناية لنزول معناه من معناها منزلة الجزء من الكل • ونعل هذا هو السر في ادخال الكناية في البيان ، لانها تحتاج الى قرينة تدل على المعنى المراد منها ، كما ان المجاز في حاجة الى هذه القرينة ، غير ان قرينة المجاز تمنع من ارادة المعنى الاصلي وقرينة الكناية لا تمنع من ارادة المعنى الحقيقى •

وعلى هذا الاساس بحث القزويني اساليب الخيال عند النقاد العرب وجمع التشبيه والمجاز والكناية .

ولنبحث هذه الفنون عند القزويني مكتفين بأهم ما ذكر ، لان غرضنا ليس سرد أنواعها وتقسيماتها الكثيرة ، وانما هدفنا ذكر أهم ما فيها يتسنى لنا فهم ما ذهب اليه القزويني والمتأخرون ، وما ينبغي ان نأخذه منها وما يجب رده ورفضه ، ولنبدأ بالتشبيه :

النشييه

١

رأينا كيف اخرج البلاغيون فن التشبيه من علم البيان، واعتبروه بابا ممهدا لدراسة الاستعارة المبنية عليه ، وهذا رأي لا نفرهم عليه ، لان التشبيه باب واسع وهو اكثر الفنون استعمالا ودورانافي الاساليب العربية ، وكان من أوائل الموضوعات التي بحثت واهتم بها النقاد والبلاغيون ، فدار في كتبهم المختلفة ، وألفت كتب خاصمة بسه ك « التشميهات » لابن ابي عون ، و « الجمان في تشميهات القرآن » (۱) لابن ناقيا البغدادي و « فن التشبيه » للاسمتاذ على الجندي وهو من المعاصرين ،

ولا يختلف القدماء في بيان أهمية التشبيه وقيمت في التعبير ، ولكنهم لا يتفقون على حعله من فنون علم البيان ، ولا يتفقون على اعتباره من المجاز ، ومدرسة السكاكي هي التي لا تعتبره من علم البيان وان بحثته فيه ، لان دلالته وضعية واعتبره كثير من علما البلاغة ركنا اساسيا في بحوث البلاغة ، وذكر بعض من دار في فلك السكاكي ان الاختلاف في وضوح الدلالة وخفائها موجود في التشبيه،

⁽۱) كلفت وزارة التقافة والارشاد العراقية المؤلف والدكتورة خديجة الحديث، بمعقبفه لاخراحه بن سئسلة (احباء الترات العربي الاسلامي " التي تصدرها .

ولذلك فهو فن مستقل عن علم البيان قصدا وان توقف عليه بعض أبوابه ، لأن توقف بعض الابواب على بعض لايوجب كون المتوقف عليه مقدمة للفن (١) .

لقد حاولوا ان يعللوا سبب بحثه منفصلا لا مقدمة للاستعارة ، غير انهم لم يدخلوه فيه ، وكان من الاحسن ان يعتبروه فنا مستقلا من فنون البلاغة ، وبذلك يريحون أنفسهم عناء التعليل ، ويريحون الآخرين عناء الحيرة للتوفيق بين الآراء المضطربة المتناقضة .

اما من حيث اعتباره مجازا او غير مجاز فقد اختلفوا فيه ، فذهب بعضهم الى انه ليس مجازا ، ولعل عبدالقاهر من اوائل الذين صرحوا بذلك ، يقول : « ان كل متعاط لتشبيه صريح لا يكون نقل اللفظ من شأنه ولا من مقتضى غرضه ، فاذا قلت : « زيد كالاسد » ، و « هذا الخبر كالشمس في الشهرة » ، و « لـــه رأي كالسيف في المضاء » ، لم يكن نقل للفظ عن موضوعه ، ولو كان الامر على خلاف ذلك ، لوجب ألا يكون في الدنيا تشبيه ألا وهو مجاز وهو محال ، لان التشبيه معنى من المعاني وله حروف واسماء تدل عليه فاذا صرح بذكر ما هو موضوع للدلالة عليه كان الكلام حقيقة كالحلم في سائر بذكر ما هو موضوع للدلالة عليه كان الكلام حقيقة كالحلم في سائر المعاني فاعرفه » (٢) ، وتبعه فخرالدين الرازي (٦) ، والمطرزي انذي يقول : « التشبيه وان لم يكن من باب المجاز في شيء الا اني اوردته لامرين :

أحدهما: ان يكون توطئة لمن يسلك سبيل الاستعارة، والتمثيل، لانه كالاصل لهما وهما كالفرع له .

والثاني: أنه ركن من اركان البلاغة لاخراجه الخفي الى الجلي،

⁽١) ينظر مواهب الفتاح وحاشية الدسوقي من شروح التلخيص ج٣ ص ٢٩٠٠.

٢) اسرار البلاغة ص ٢٧٦.

⁽٣٠ نياية الايجاز في دراية الاعجاز س ٧٧ .

وادنائه البعيد من القريب »(١) •

وسار على خطوه السكاكي ، والقزويني ، وشرَّاح تلخيصه من المتأخرين ، والى ذلك أشار ابن قيم الجوزية بقوله: «وذهبالمحققون من متأخري علماء هذه الصناعة وحذاقها الى ان التشسبيه ليس من المجاز ، لانه معنى من المعاني وله حروف والفاظ تدل عليه »(٢) •

وذهبت جماعة اخرى الى ان التشبيه مجاز ، والى ذلك اشار ابن الجوزية بقوله : « والذي عليه جمهور أهل الصناعة ان التشبيه من انواع المجاز ، وتصانيفهم كلها تصرح بذلك وتشير اليه »(٣) •

ولعل ابن رشيق من اشهر من صرح بذلك فقال : « وأما كو ِن التشبيه داخلا تحت المجاز فلان المتشابهين في اكثر الاشسياء انمسا يتشابهان بالمقارنة على المسامحة والاصطلاح لا على الحقيقة »(٤) .

وقرر ابن الاثير ان الذي انكشف له بالنظر الصحيح ، ان المجاز ينقسم قسمين : توسع في الكلام وتشبيه ، والتشبيه ضربان : تشبيه تام ، وتشبيه محذوف وهو الاستعارة (٥) • والى ذلك ذهب والد بهاء الدين السبكي في تفسيره (٢) •

وذهبت جماعة تالثة الى ان التشبيه يكون مجازا ، واليه ذهب عزالدين بن عبدالسلام والسبكي (٧) •

ولسنا هنا بصدد البحث في التشبيه عند النقاد العرب ونكتفي بذكر وجهة نظر القزويني فيه مع مقارنات وتوجيهات .

⁽١) الايضاح في شرح مقامات الحريري ص ٥٠

 ⁽۲) الغوائد ص ٥٤ .

٣١) الفوائد ص ٥٤ .

١٤) العمدة ج اس ٢٦٨٠

⁽٥) المنل السائر جا س ٣٥٦ .

⁽٦) عروس الافراح ج٣ ص ٢٩٠٠

٧١ - شروس الافتراح ٣٣ ص ٢٩٠ ، والانقال في عبوم الفرآن ج٢ ص ١) .

تعريف القزويني للتشبيه:

يقول القزويني: « التشبيه الدلالة على مشاركة امر لآخر في معنى »(۱) وهو ما لم يكن على وجه الاستعارة التحقيقية ولا الاستعارة بالكناية ولا التجريد ، وليس في تعريفه ما يوضح معنى التشبيه ، وان كان أحسن من تعريف السكاكي ، لان التشبيه ليس الا لمح صلة بين امرين من حيث وقعهما النفسي ، ومن هنا فليس هناك شرط ان يشبه الادنى بالاعلى والاقل بالأكثر ،

تقسيماته:

ولا يختلف تقسيمه عن تقسيم السكاكي للتشبيه وان كان أكثر لباقة منه في العرض والتحليل ، فقد تكلم على اركانه الاربعة وهي : طرفاه ووجهه واداته ، وطرفاه اما حسيان او عقليان او مختلفان ، والحسي : المدرك هو او مادته باحدى الحواس الخمس الظاهرة فدخل فيه الخيالي كما في قوله :

وكَأَنَّ محمر َ الشقيقِ اذا تصوَّب َ أُو ْ تُصَعَّد ْ أَعلامُ ياقوت ٍ نُشِر ْن َ على بساط ٍ من زَ بَر ْجَد ْ

وقوله:

كُلْتُ بَا باسط اليد نحو نيلوفر نكدي كُلْتُ من وَ بَر ْجَدِ كَدِباييس عَسْمَ جَد ِ قَضْبُها من وَ بَر ْجَدِ

والعقلي: ما عدا ذلك ، وأدخل فيه الوهمي وهو ما ليس مدركا بشيء من الحواس الخمس الظاهرة ، مع انه لو ادرك لم يدرك الا بها ، كقول امرىء القيس:

⁽١) الايضاح ص ٢١٣٠

أيقتلني والمشمر في مضاجعي ومسنونة ورُر ق كأنياب أغثو الر وقوله تعالى: «طَلَعْهُ كَأْنَهُ رؤوسُ الشياطينِ »(١) •

ووجه الشبه: هو المعنى الذي يشترك فيه الطرفان تحقيقا او تخييلا ، والمراد بالتخييل ان لا يمكن وجوده في المشبه به إلا على تأويل، كما في قول القاضي التنوخي:

وكأنَ النجوم َ بين دجاها سُننَن لاح بينهن ابْتُرِـد َاعَ

ومن التشبيه التخييلي قول ابي طالب الرَّقِّيِّ:

ولقد ذكرتك والظلام كأنه يوم النّوى وفؤاد مَن ْ نَم ْ يَعْشَقَ

وهو اما غير خارج عن حقيقة الطرفين أو خارج ، والاول: امسا تمام حقيقتهما كما في تشبيه انسان بانسان في كونه انسانا ، أو جزوهما كما في تشبيه بعض الحيوانات العجم بالانسان في كونه حيوانا والثاني: صفة أما حقيقية أو اضافية ، والحقيقية: امسا حسية وهي الكيفيسات الجسمية مما يدرك بالبصر من الالوان والاشكال والمقادير والحركات وما يتصل بها من الحسن والقبح وغير ذلك ، او بالسمع من الاصوات القوية والضعيفة والتي بين بين ، أو بالذوق من أنسواع الطعوم ، أو بالشم من انواع الروائح ، أو باللمس مسن الحرارة ، والبرودة ، والرطوبة ، واليبوسة ، والخشونة ، والملاسة ، واللين ، والصلابة ، والخفة ، والتيقظ ، والمعرفة والعلم ، والقدرة ، والكرم ، والسخاء ، والغضب ، والحلم ، وما جرى مجراها من الغرائز والاخلاق والاضافية كازالة الحجاب في تشبيه الحجة بالشمس .

١١ سورة السافات ، الآية ٦٥ -

ويمضي القزويني في هـذه التقسيمات الكثيرة التي يتيه المتأدب والدارس فيها ويضل فكره • ويقسم وجه الشُّبَه تقسيماً آخر فهو اما واحد أو غير واحد ، والواحد اما حسي أو عقلى ، وغير الواحد امـا بمنزلة الواحد نكونه مركبا من أمرين أو امور ، أو متعدد غير مركب • والمركب اما حسي أو عقلي أو ومختلف • والمركب اما حسي أو عقلي أو مختلف • والحسي لايكون طرفاه الا حسيين لامتناع أن يدرك بالحس من غير الحسي شيء • والعقلي طرفاه إما عقليان أو حسيان او مختلفان لجواز ان يدرك بالعقل من الحيسي شيء •

وتكلم على أداة التشبيه ، وقسم التشبيه باعتبارها الى مؤكد ومرسل ، وقسمه باعتبار طرفيه أربعة أقسام : تشبيه المفرد بالمفرد وهو ما طرفاه مفردان ، وتشبيه المركب بالمركب وهو ما طرفاه كثرتـــان مجتمعتان ، وتشبيه المركب ، وتشبيه المركب بالمفرد .

وقسمه باعتبار وجهه الى تمثيل وغير تمثيل ، والتمثبل عندد ما وجهه وصف منتزع من متعدد أمرين او امور كقول ابن المعتز:

اصبر على مكفض الحسو د فسان صبرك قاتله فالنسار تأكل بعضها إن لم تجسد ما تاكلته

وبذلك أدخل التمثيل في التشبيه ، واعتبره نوعا منه ، وهو بذلك يتابع عبد القاهر والسكاكي ، ولعل قدامة بن جعفر اول من عد التمثيل مخالفا للتشبيه وهو عنده من نعوت ائتلاف اللفظ والمعنى يقول عنه : « التمثيل وهو ان يريد الشاعر اشارة الى معنى فيضع كلاما يدل على معنى آخر ، وذلك المعنى الآخر والكلام منبئان عما اراد ان يشير اليه ، مثال ذلك قول الرماح بن ميادة :

أَلَمْ تَكُ ۚ فِي يَسِنَى يَدِيكُ جَعَلْتَنِي فَلَا تَجَعَلْنِي بَعَـْدُ هَا فِي شَمَالِكَا ولو أَنني أَذَنبت مَا كُنْتُ هَالكُمَّا عَلَى خَصَلَةً مِنْ صَالْحَاتِ خَصَالِكُا فعدل عن ان يقول في البيت الاول: انه كان عنده مقدما فلا يؤخره ، أو مقربا فلا يبعده ، او مجتبى فلا يجتنب ، الى ان قال انه كان في يميني يديه ، فلا يجعله في اليسرى ، ذهابا نحو الامر الذي قصد الاشارة اليه بلفظ ومعنى يجريان مجرى المثل وقصد الاغراب في الدلالة والابداع في المقالة(١) ،

ولكن عبد القاهر الجرجاني قسم التشبيه الى قسمين:

احدهما: أن يكون تشبيه الشيء بالشيء مسن جهة أمر يبيِّن لا يحتاج فيه الى تأول ، كتشبيه الشيء بالشيء من جهسة الصورة واللون ، أو والشكل ، وكالتشبيه من جهة اللون ، ومن جهة الصورة واللون ، أو من جهة الهيئة ، والشبه في هذا لا يجرى فيه التأويل ولا يفتقر السه في تحصيسل ،

وثانيهما: أن يكون التشبيه محصلا بضرب من التأويل مثل «هذه حجة كالشمس في الظهور » فذلك تشبيه لا يتم الا بتأول (٢) ٠

وهذا هو التمثيل عنده ، فكل تشبيه يكون وجه الشبه فيه حسيا مفردا أو مركبا ، او كان من الغرائز مفردا ، فهو تشبيه غير تمثيلي ، أما اذا كان وجه الشبه فيه عقليا مفردا أو مركبال فهو تشبيه تشيلي ، تشيلي ،

ويرى عبد القاهر ان التمثيل محتاج الى التأول بينما لا يحتاج التشبيه اليه ، ولعل سر ذلك أن وجه الشبه في التشيل ظاهره خلاف المقصود منه ، وأن الاشتراك بين الطرفين في حكم لازم لوجه الشب ومقضي له ، فالجامع في الحقيقة لازم لما ذكر في الكلام أو فهم منه .

وفرَّقَ عبد القاهر بين التثبيه والتنثيل ، والتثبيه عنده عام

⁽۱) نقد الشعر ص ۹۰

٢١) اسراد البلاغة بس ١٠٠ وما بعدها -

والتمثيل أخص منه ، فكل تمثيل تشبيه ، وليس كل تشبيه تمثيـــلا ، فأنت تقول في قول الشاعر :

وقد لاحفي الصبح الثريا لمن أى كعننقود مثلاحييّة حين نوّرا(١)

انه تشبيه حسن ولا تقول هو تمثيل • وكذلك تقول: ابن المعتز حسن التشبيهات بديعها لانك تعنى تشبيهه المبصرات بعضها ببعض وكل ما لا يوجد التشبيه فيه من طرق التأول كقوله:

كأن العيون النرجس الغضحولكها مداهن ُد ّر ِ حشوه يُن عقيق ُ

وقىسولسە:

وأرى الثريا في السماء ِ كأنها قَكْدُم " تَبَكَّت من ثباب ِ حداد ِ

وما كان من هذا الجنس ، ولا تريد نحو قوله :

اصبر على مضض الحسو د فان صبرك قاتك قاتك فالنار تأكل بعضها إن نم تجاد ما تأكلك

ويرى ان المشل الحقيقي والتشبيه الذي هو الاولى بان يسمى تمثيلا لبعده عن التشبيه الظاهر الصريح ، ما تجده لا يحصل الا من الكلام: جملتين أو اكثر ، حتى ان التشبيه كلما كان اوغل في كونه عقليا محضا كانت الحاجة الى الجملة اكثر ، وذلك كقوالمه تعالى: «إنتما مَثُلُ الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط بهنات الارض مما يأكثل الناس والأنعام ، حتى اذا أخدت الارض زخرفها ، واز يُتنت وظن أهلها أنتهم قاد رون عليها ، أتاهما أمر نا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تعنن بالأمس» (٢).

⁽١) الملاح: نبت من نبات الحمض ؛ الواحدة: ملاحة .

⁽٢) سورة يونس ، الآية ٢٤ .

فقد كثرت الجمل فيه حتى أنك ترى في هذه الآيسة عشر جمل اذا فصلت ، والشبه منتزع من مجموعها من غير أن يمكن فصل بعضهامن بعض ، ولا حذف شيء منها ، فلو حذفت منها جملة واحدة من أي موضع كان اخل ذلك بالمغزى من التشبيه (۱) .

ويرى السكاكي ان كل تشبيه يكون وجه الشبه فيه حسيا مفردا او مركبا أو عقليا أو حقيقيا مركبا ، فهو تشبيه تمثيلي ، والى ذلك أشار بقوله « واعلم ان التشبيه متى كان وجهه غير حقيقي وكان منتزعا من عدة أمور خص باسم التمثيل » (۲) •

والتمثيل عند الجمهور اعم مما كان الوجه فيه حقيقيا بان يكون حسيا ، كما في تشبيه النقع مع الاسسياف بالليل مع السكواكب ، فانهما مركبان ، ومما كان غير حقيقى كما في تشبيه حال المنسافقين بحال الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم في قوله تعالى: «مثلتهم كمثل الذي اسستوقد نارا» (۳) ، يقول الدسوقي: «التمثيل: هو هيئة مأخوذة من متعدد ، سواء كان الطرفان مفردين ، او مركبين ، او كان احدهما مفردا والآخر مركبا ، وسواء كان ذلك الوصف المنتزع حسيا بان كان منتزعا من حسي أو عقلياً ، أو اعتباريا وهميا ، وهذا مذهب الجمهور »(1) ، ولذلك فكل تمثيل عند السكاكي تمثيل عند الجمهور ، وليس كل تمثيل عندهم تمثيل عنده ، فبين المذهبين عموم وخصوص مطلق باعتبار الصدق ،

ولا يبتعد القزويني عنهم كثيرا ، فكل تشبيه يكون وجهه مفردا أو عقليا حقيقي مفردا ، فهو تشبيه غير نمشيلي ، أما اذا كان وجهه حسيا مركبا أو غير حقيقي مركبا ، فهو

⁽١) ينظر اسرار البلاغة ص ١٢٢ .

⁽٢) مفتاح العلوم ص ١٦٤ .

⁽٣) سورة البقرة ، الآية ١٧ . ينظر مواهب الفتاح ج٢ ص ٣٣٤ .

⁽٤) حاشية الدسوقي ج٢ س ٤٣٢ .

تشبيه تمثيلي ، والى ذلك اشار بقوله : « التمثيل ما وجهه وصف منتزع من متعدد أمرين او امور »(۱) • ولم يَرَ في تقييد السكاكي ليه وجها •

ولقد وافق القزويني السكاكي في امور كثيرة ، وخالفه ، وخالف عبد القاهر فيما اذا كان الوجه مركبا حسيا ، ورأى انه جدير باسم التمثيل لمشاركته العقلي في مزاياه ، وقد رَجَّح الاستاذ العدل رأيه فقال : « واذا صح ما تقدم فاني ارجح رأي الخطيب ، فان في المركبات الحسية صورا عجيبة تحتاج الى حذق وذكاء »(٢) •

واعترض العصام على القزويني في تفسيم التشبيه الى تمثيل وغيره ، وذكر ان تقسيمه للتمثيل وغيره من تقسيم الشيء نفسه وغيره، لان التمثيل يرادف التشبيه كما ذهب اليه الزمخشري^(٣) .

ويعد كثير من البلاغيين التمثيل مجازا اذا جاء على الاستعارة ، والى ذلك يذهب عبد القاهر وابن قيم الجوزية (٤) مع ان عبدالقاهر فرق بين الاستعارة وهي مجاز والتمثيل ، فالاستعارة تكون في نفظ ينقل عن اصله اللغوى ويجرى على ما لم يوضع له من اجل شبه بين ما نقله اليه وما نقل عنه ، فاذا قلت : « رأيت أسدا » تريد به الرجل الشجاع كانت الاستعارة في كلمة الاسسد ، والتمثيل هو التشبيه المنتزع من مجموع أمور لا تحصل الا بجملة من الكلام أو اكثر (٥) ، ويرى ابن يعقوب المغربي ان فيه استعارة مفرد وكلمة واحدة (١) .

١٤٩ س ٢٤٩ ٠

⁽٢) دراسات تفصیلیة ص ۲۷ ۰

⁽٣) الاطول ج٢ ص ٩٩ ، وتنظر حاشية الدسوقي ج٣ ص ٣٦٤ .

⁽٤) دلائل الاعجاز ص ٥٣ ، ٥٥ ، الفوائد ص ٣٦ ،

⁽٥) ينظر فعمل الفرق بين الاستعارة والتمثيل في اسرار البلاغة ص ٢٧٢ ومابعدها.

⁽٦) مواهب الفتاح ج٢ ص ٢٢٤ .

وهذا يجرنا الى بحث التشبيه المؤكد هل هو استعارة او تشبيه ؟ لقد ذكره قدامة والعسكري والغانمي وابن سنان في الاستعارة ، ولم يذكروا از الاصل فيه انه تشبيه بليغ ، لذلك نجد ابن قيم الجوزية يستغرب من هذا قائلا : « فما أعلم هل ذلك لخفائه عليهم أو انهم عرفوه ولم يذكروه ، وهو الاصل المقيس عليه في التشبيه الذي اجمع عليه المحققون من علماء البيان »(۱) •

وبحث ابن الاثير هسذه المسألة بالتفصيل وذكر ان التشبيه نوعان: تشبيه مظهر الاداة ، وتشبيه مضمر الاداة ، وهذا التشبيب المضمر الاداة خلطه قوم بالاستعارة ، ولم يفرقوا بينهما وهذا خطأ محض ، ووضع قاعدة لمعرفة التشبيه من الاستعارة ، يقول: « اذا ذكر المنقول والمنقول اليه على انه تشبيه مضمر الاداة قيل فيه: « زيد أسد » ، أي كالاسد ، فاداة التشبيه فيه مضمرة ، واذا اظهرت حسن حضورها ولم تقدح في الكلام الذي اظهرت فيه ولا تزيل عنه فصاحة ولا بلاغة ، وهذا بخلاف ما اذا ذكر المنقول اليه دون المنقول فانه لا يحسن فيه ظهور اداة التشبيه ومتى اظهرت أزالت من ذلك الكلام ما كان متصفا به من جنس فصاحة وبلاغة ، وهذا هو الاستعارة ، ولنضرب لذلك مثلا نوضحه فنقول: قد ورد هدذا البيت لبعض الشعيراء وهيو

فرعاء م إِن نهضت لحاجتها عجل القضيب وأبطأ الدعثص م

وهذا قد ذكر فيه المنقول اليه دون المنقول ، لأن تقديره: «عجل قد كالقضيب ، وأبطأ ردف كالدعص » • وبين ايراده على هذاالتقدير وبين ايراده على هيئته في البيت بون بعيد في الحسن والملاحسة • والفرق اذن أن التشبيه المضمر الاداة يحسن اظهار أداة التشبيه فيه والاستعارة لا يحسن ذلك فيها ، وعلى هذا فان الاستعارة لا تكون

١١) الفوائد ص ٥١.

الا بحيث يُـطوى ذكر المستعار له الذي هو المنقول اليــه ، ويُـكتفى بذكر المستعار الذي هو المنقول ١٠٥٠ ٠

ويرى القزويني انه تشبيه لا استعارة ، وان هــذا النوع يسمى تشبيها اذا حذفت فيه الاداة وكان اسم المشبه به خبرا للمشبه او في حكم الخبر .ثل « زيد أسد » وكفوله تعـــالى : « صُمْ يُ بُكُمْ " عُمْنَى" »(٢) أي : هم • ونحوه قول من يخاطب الحجاج :

أسكه" عليَّ وفي الحروب نعامة" فتخاء تنفير من صفير الصافير

ومثل: « رأيت زيدا بحرا »(٣) •

ولم يوضح هذه النقطة وقد شرحها المتأخرون ، وفيصَّلوا القول فيها ، ووضعو! لها قواعد واصولا(٤) .

وقد لا يراد التشبيه او التمثيل ، وانما يراد مجرد الجمع بين شيئين في أمر ، لذلك يترك التشبيه الى الحكم بالتشابه ليكون كل واحدمن الطرفين مشبها به احترازا من ترجيح احد المتساويين على المعنى الآخر، كقول ابي اسحاق الصابي:

تشابه د مُعی اذ جری ومُدامتی فمن مثل مافیالکأسعینی تسکب ً فو الله ما أدرى أبالحَمر أسبلت جفوني ام من عبرتي كنت أشرَب ﴿

وكفول الصاحب بن عباد:

رَقَ الزجاجُ وراقت الخَمَرُ وتشابها فتشاكل الأمرُ وكأنسا قدح ولا خنثر

فكأنما خَمَرْ ولا قُــدَح

المثل السائر ج١ ص ٢٥٧ وتنظر ص ٣٨٨ وما بعدها ٠

سورة البقرة ، الآية ١٨ ، ١٧١ .

الايفسساح ص ٢١٣٠

شروم التلخيص ج٣ ص ٢٩٧ وما بعدها ٠

ولم يكد عم القزويني الى هذا ، إلا ما كان في أذهان البلاغيين من كون التشبيه الحاق الناقص في وجه الشبه حقيقة أو ادعاء بالزائد ، ولذلك يشبه الاقل بالاكثر ، والادني بالاعلى ، وهو ما ذهب اليه السكاكي حينما قال : « المشبه به حقه أن يكون أعرف بجهة التشبيه من المشبه ، واخص فيها ، وأقوى حالا معها »(١) ، والى ذلك ذهب ابن الاثير فقال :

« انه قد تقرر في أصل الفائدة المستنتجة من التشبيه أنه يشبسه الشيء بما يطلق عليه لفظة « أفعل » بما هو أبين وأوضح ، أو بما هو أحسن منسه ،أو أقبح ، وكذلك يشبه الاقسل بالاكثر ، والادنى بالاعلى » (٢) ، ومن هنا نراهم يلجأون الى تسمية ما اتفق فيه المشبه به بالمنزلة: « التشابه » ويرون انه اذا كان المشبه به أتم واقوى من المشبه في وجه الشبه سسمي ذلك « تشبيها مقلوبا » كما سسماه القزويني ، أو « الطرد والعكس » كما سماه ابن الاثير ، أو « غلبة الفروع على الاصول » كما يسميه المتأخرون (٣) ، لانه لا يعقبل ان يشبه شيء عظيم بأصغر منه ،

وهذه نظرة لا نراها صحيحة لان الشاعر عندما يشبه لا يلتفتالى هذه الامور العقلية ، وانما يذهب وراءما تمليه عاطفته واحاسيسه،وقد التب عبد القاهر والقزويني الى ما في هدذا النوع من أثر نفسي ، وعللاه تعليلا ان لم يكن رائعا فان فيه لمحة مما نريده (٤) .

⁽۱) مفتاح العلوم ص ۱۹۴ .

⁽٢) المثل السائر جا ص ٢٢٤ .

⁽٣) ينظر الايضاح ص ٢٤٠ ، والمثل السائر ج١ ص ٢١١ .

⁽٤) ينظر اسرار البلاغة ص ٢٥٧ ، الايضاح ص ٢٤٥ .

اهمية التشبيه والتمثيل:

وتحدث النقاد والبلاغيون عن أهمية التشبيه والتمثيل في التعبير فقال ابن رشيق: « التشبيه والاستعارة جميعا يخرجان الاغمض الى الاوضح ، ويقربان البعيد كما شرط الرماني في كتابه »(١) • ويرى ابن الاثير ان التشبيه يجمع صفات ثلاث هي: المبالغة ، والبيان ، والايجاز • وفائدته: « انك اذا مثلت الشيء بالشيء ، فانما تقصد به اثبات الخيال في النفس بصورة المشبه به او بمعناه ، وذلك أوكد في طرفي الترغيب فيه أو التنفير عنه ، الا ترى انك اذا شبهت صورة بصورة هيأحسن منها كان ذلك مثبتا في النفس خيالا حسنا يدعو الى الترغيب فيها ، وكذلك اذا شبهتها بصورة شيء أقبح منه كان ذلك مثبتا في النفس خيالا قبيحا ، يدعو الى التنفير عنها • وهذا لا نزاع مثبتا في النفس خيالا قبيحا ، يدعو الى التنفير عنها • وهذا لا نزاع فيه » (٢) • وضرب لذلك مثلا فذكر ان ابن الرومي مدح العسل وذمه في بيت من الشعر هو:

تقول : «هذا مجاج ملتحل »تمدحه وان تعبقلت: «ذا قيء الزنابير »

فقد مدح وذم الشيء الواحد بتصريف التشبيه المجازي المضمر

⁽۱) العمدة ج1 س ۲۸۷ ·

⁽٢) المثل السائر ج١ س ٣٩٤٠

الاداة الذي خيل به الى السامع خيالا يحسن الشيء عنده تارة ويقبح اخرى ، ولولا التوصل بطريق التشبيه على هذا الوجه لما امكنه ذلك .

واجاد عبدالقاهر في ذكر فائدة التشبيه والتمثيل وجمالهما وما لهما من تأثير في الكلام ، يقول: « واعلم ان مما اتفق العقلاء عليه ان التمثيل اذا جاء في أعقاب المعاني ، أو برزت هي باختصار في معرضه ، وتقلت من صورها الاصلية الى صورته كساها أبهة واكسبها منقبة ، ورفع من أقدارها »(۱) ، وذكر لذلك عللا واسبابا كل منها يقتضي ان يفخم المعنى التمثيلي ، وينبل ، ويشرف ، ويكمل ، واول ذلك وأظهره ان أنس النفوس موقوف على ان تخرجها من خفي الى جلي نحو ان تنقلها عن العقل الى الاحساس ، وعما يعلم بالفكر الى ما يعلم بالطبع ،

ذلك ان المعاني التي يجيء التمثيل في عقيبها على ضربين:

غريب بديع : يمكن ان يخالف فيه ويدعى امتناعه واستحالةوجوده كقول الشاعر :

فان تَفْتَق الانام وانت منهم فان المسك بعض دم الغزال

وذلك انه اراد إِن فاق الأنام وفاتهم الى حد بطل معه أن يكون يينه وبينهم مشابهة ومقاربة ، بل صار كأنه اصل بنفسه وجنس برأسه، وهذا امر غريب وهو ان بتناهى بعض أجزاء الجنس في الفضائل الخاصة به الى ان يصير كأنه ليس من ذلك الجنس •

والضرب الثاني: ألا يكون المعنى غريب نادرا ، بل ان ينفي عن فعل من الافعال التي يفعلها الانسان الفائدة ، ويدعي انه لا يحصل منه على طائل ثم يمثله في ذلك بالقبض على الله أو الراقم فيه فليس بمنكر مستبعد خطأ الانسان في فعله ، أو ظنه ، وأمله وطلبه كما في قسول الشسساء :

١١، اسرار البلاغة ص ١٢٨ .

فأصبحت من ليلي الغداة كقابض على الماء ِ خانته ُ فروج ُ الاصابع ِ

والشاعر هنا أراد أن يبين مقدار خيبة أمله ، فعندما جاء بالتمثيل أراك رؤية لا تشك معها ولا ترتاب انه بلغ في خيبة ظنه ، وبوار سعيه، الى اقصى المبالغ ، وانتهى فيه الى ابعد الغايات حتى لم يحظ لا بأقل ولا باكثر ، وهذا يعود الى التمثيل لانا نعلم ان المشاهدة تؤثر في النفوس حتى مع العلم بصدق الخبر (١) .

والتمثيل « يعمل عمل السحر في تأليف المتباين حتى يختصر بعد ما بين المشرق والمغرب ، وهو يريك للمعاني الممثلة بالاوهام شبها في الاشخاص الماثلة ، وينطق لك الاخرس ويعطيك البيان من الاعجم ، ويريك الحياة في الجماد ، ويريك التئام عين الاضداد ، ويجعل الشيء قريبا بعيدا معا »(٢) .

والتمثيل « يأتيك من الشيء الواحد باشياء عديدة ويشتق من الاصل الواحد اغصانا في كل غصن شر على حدة ١٠ ويعطيك مسن القمر الشهرة في الرجل ، والنباهة ، والعزة ، والرفعة ، ويعطيك الكمال عن النقصان ، والنقصان عن الكمال ، ويعطيك شبه الانسان في نشأته وتمامه الى ان يبلغ حد التمام ، ثم تراجعه اذا انقضت حدة الشباب ، وكذلك يتفرع من حالتي تمامه ونقصانه فروع لطيفة ، وهكذا ينظر الى مقابلته الشمس واستمداده من نورها ، والى كون ذلك سبب زيادته ، وقصه ، وحصوله في المحاق ، وغير ذلك مما يشبه به من حيث المنظر ، هذا الى ان المعنى إذا إتاك ممثلا فهو في الاكثر ينجلي لك بعسد أن يحوجك الى طلبه بالفكرة ومن المركوز في الطبع أن الشيء اذا نيل بعد الطلب له والاشتياق اليه ، كان نيله أحلى ، وكان مرقعه من النفس أجل والطف ، وذلك يكون بتقرير الشبه بين الاشياء المختلفة (٢) .

⁽١) اسرار البلاغة ص ١٣٨ ـ ١٤٠٠

⁽٢) اسرار البلاغة ص ١٤٨ .

⁽٣) أسرار البلاغة ص ١٥٤ وما بعدها .

وسار القزويني على خطاه فذكر ان مما اتفق العقلاء على شرف قدره ، وفخامة أمره في فن البلاغة ، وان تعقيب المعاني به لا سيما قسم التمثيل منه يضاعف قواها في تحريك النفوس الى المقصود بها مدحا كان او ذما او افتخارا او غير ذلك ، وضرب لذلك امثلة منها قول البحتري:

دان على أيدي العفاة وشاسع عن كُلِّ نيد في النَّدى وضريب كالبدر أفرط في العلو وضوء م العصبة السارين جِد قريب

وقول أبي تمام :

واذا أراد َ الله ُ نَشْر َ فضيلة مِ طُويت أتاح لها لسان حسود ِ لولا اشتعال ُ النار ِ فيما جاورت ماكان يُعْرفطيب ْ عَر ْ ف ِ العود

وذكر أن لهذا الحسن ولهذه الروعة أسبابا ، منها ما يحصل للنفس من الأنس باخراجها من خفي الى جلي كالانتقال مما يحصل لها بالفكرة الى ما يعلم بالفطرة ، او باخراجها مما لم تألف الى ما الفت ، ومما تعلمه الى ما هى به اعلم .

ومن فضائل التشبيه انه يأتيك من الشيء الواحد باشياء عسدة نحو ان يعطيك من الزند بايرائه شبه الجواد والذكي والنجح في الامور ، وباصلاده شبه البخيل والبليد والخيبة في السعي ، ومن القمر الكمال عن النقصان كما قال ابو تمام :

لَهُ في على تلك الشواهد فيهما لو أمهلت حتى تصير شمائيلا لغدا سكو تهما حجى وصباهما حلما ، وتلك الاريحية نائيلا ولأعقب النجم المرذ بديمة ولعاد ذاك الطل جودا وابلا إن الهلك اذا رأيت نمو م أيقنت أن سيصير بدرا كاملا

والنقصان من الكمال كفول ابي العلاء المعري :

وازكنت تبغي العيش فابنغ توسطا فعند التطاول فعند التناهي يقصد التطاول توقى البدور النقص وهي أهلتة وهي كوامدل وبدركها النقصان وهي كوامل أ

وكذا ينظر الى بعده وارتفاعه ، وقرب ضوئه وشعاعه ، فى بحو ما مضى فى بيتي البحترى ، والى ظهوره في كل مكان كمـــا فى قــول المتنبــى :

كالبدر من حيث التفت و جددته ينهدي الى عيسك نوراً ثاقبا

وتكلم على الغرض من التشبيه وقسمه الى قسمين ، قسم يرجع الى المشبه ، وآخر يعود الى المشبه به ٠

واغراضه التى ترجع الى المشبه منها : بيان ان وجود المشبه ممكن، وذلك في كل أمر غريب يمكن أن يخالف فبه ، ويتدَّعَى امتناعه كما في بيت المتنبى :

فان تَفُــق الانام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال

أو بيان حاله كما في تشبيه ثوب بثوب آخر في السواد، إذا علم لون المشبه به دون المشبَّه، أو بيان مقدار حاله في القوة والضعف والزيادة والنقصان كقول الشاعر:

فأصبحت من ليلى الغداة كفابض على الماء خانته فروج الأصابع

أو تقرير حاله في نفس السامع كما في تشبيه من لا يحصل من سعيه على طائل بسن يرقم على للاء،وعليه قوله تعالى: « وإِذَ نَتَكَفنا الجَبَلَ فَو °قهم كأتَّه ظلُكَّة " » (١) .

⁽١، سورة الاعراف ، الآية ١٧١ .

ومنها تزيينه للترغيب فيه كما في تشبيه وجه أسود بمقلة الغلبي أو تشويهه للتنفير عنه كبيت ابن الرومي في العسل • او استطرافه كما في تشبيه فحم فيه جمر موقد ببحر من المسك موجه الذهب، لابرازه في صورة الممتنع عادة • وللاستطراف وجه آخر وهو أن يكون المشبه به نادر الحضور اما مطلقا ، واما عند حضور المشبه كما في قول ابسن الرومي :

ولازوردية تزهـو بزُرقتهـا بين الرياض على حُمْر اليواقيتِ كَانها فوق قـامات ٍ ضعفن بها أوائل ُ النارِ في أطراف ٍ كبريـت

ويقول القزويني: « فان صورة اتصال النار بأطراف الكبريت لا يندر حضورها في الذهن ندرة صورة بحر من المسك موجه الذهب ، وانما النادر حضورها عند حضور صورة البنفسج ، فاذا حضر مع صحــة الشبه استطرف ، لمشاهدة عناق بين صورتين لا تتراءى ناراهما »(۱) .

وليس في هذا التفسير والتعليل ما في قول عبد القاهر من روعة حيث يقول: « ولذلك تجد تشبيه البنفسج في قوله أغر ب، واعجب ، واحق بالولوع ، واجدر من تشبيه النرجس بمداهن در حشوهسن عقيق ، لانه اذ ذاك مشبه لنبات غض يرف ، واوراقه رطبة ترى الماء منها يشف بلهب نار مستول عليه اليبس وباد فيه ألكلف ، ومبنى الطباع وموضوع الجبلة على أن الشيء اذا ظهر من مكان لم يعهسه ظهوره منه وخرج من موضوع ليس بمعدن له كانت صبابة النفوس به اكثر ، وكان بالشغف منها اجدر فسواء في اثارة التعجب واخراجك الى روعة المستغرب وجودك الشيء في مكان ليس من امكنته ، ووجود شيء لم يوجد ولم يعرف من اصله في ذاته وصفته ، ولو انه شبسه البنفسج ببعض النبات ، او صادف له شبها في شيء من المتلونات لم تجد له هذه الغرابة ، ولم يخل من الحسن هذا الحظ »(۲) ،

⁽۱) الايضاح ص ۲۳۸ - ۲۲۹ .

⁽٢) اسرار البلاغة ص ١٤٧ - ١٤٨

وليس فيما ذهب اليه القزويني او عبد القاهر جمال أخساذ وتأثير رائع ، وان النفس لا ترتاح للعلاقة بين زهرة البنفسيج ـ التي توحيالى النفس بالهدوء والاستسلام وفقدان المقاومة وأوائل النار التي تحمل الى النفس القوة والمهاجمة (١) .

وأغراضه التي ترجع الى المشبه به تكون في الغالب ايهام ان المشبه به أتم من المشبه في وجه الشبه ، وذلك في التشبيه المقلوب ، وهو ان يكون الامر بالعكس كقول محمد بن وهيب :

وبدا الصباح كأن عُرُ تنه و جه الخليفة حين يُمتدح

والحسن من القزويني ان انتبه هنا الى ما في هذا التعبير من أثر في النفس ، وان المعاني اذا وردت هذا المورد كان لها نوع من السرور عجيب ، وقد يكون الفرض بيان الاهتمام بالمشبه به وغير ذلك ، واذا اردنا ان نوجز فائدة التشبيه كما رآها القزويني وغيره من البلغيين فاننا نقول انه يأتي للايجاز والاختصار ، او للتوضيح والتبيين ، او للمبالغة ، أو التوكيد ،

هذا بحث القزويني للتشبيه ، وهو بحث تابع فيه القدماء ، وقرر قواعدهم واصولهم التي رأوها ، وابتعد _ كما ابتعدوا _ عن تقرير أثر التشبيه النفسي ، وما يبعثه من ايحاءات وصور جميلة، وتعلقوا بالقضايا العقلية ، والتقسيمات الشكلية التي لا تتجدي نفعا ، ولا توحي بجمال أخاذ وسحر عجيب ، ولذلك اعتمدوا في عقدد التشبيه العقل يعتبرونه رابطا بين امرين او مفرقا بينهما ، ولذلك اعتبر القزويني من التشبيه الرائع قول ابن الرومي :

بذل الوعد للاخلاء سمحا وأبكى بعد ذاك بذل العطاء فغدا كالخلاف يثورق للعين ويأبكى الانسار كثل الابساء

⁽١) ينظر أسس النقد عند العرب ص ٨٨٤ ، ومن بلاغة القرآن ص ١٨٨٠ .

وليس في هذين البيتين ما يدعو الى هذا الاعجاب ،

ولقد جرتهم هذه النظرة الى ان يضطربوا في اغراض التشبيه فذكر القزويني ان من اغراضه بيان ان وجود المشبه ممكن ، وذلك في كل امر غريب يمكن أن يخالف فيه ويدعى امتناعه ومثل له ببيت المتنبي :

فان تَنَفُق الانام وأنت منهم فإنَّ المسكُ بعض مر الغزال

وليس في هذا البيت تشبيه فني مقبول ، فليس الاثر الذي يحدثه المسك في النفس سوى الارتياح لرائحته الذكية ، ولا يمر بالخاطر انه بعض دم الغزال بل ان هذا الخاطر اذا مر بالنفس قلل من قيمة المسك ومن التلذذ به (١) .

وليس من اغراضه ما ذكره القزويني من الاستطراف ، « فليس تشبيه فحم فيه جمر موقد ببحر من المسك موجه الذهب تشبيها فنيا على هذا المقياس الذي وضعناه ، فان بحر المسك ذا الموج الذهبي ليس بهذا المصباح الوهاج الذي ينير الصورة ويهبها نورا ووضوحا » نا» .

وقد كان على البلاغيبين ان يستلهموا القرآن الكريم في بحث التشبيه كما استلهمه ابن ناقيا البغدادي ، ويسيروا على منهج ما جاء في الآيات من تشبيهات رائعة ، ويعقدوا المقارنة بينه وبين كلام البلغاء ، ويشيروا الى ما بينها من تفاوت ، لان التشبيه في القرآن ليس عنصرا اضافيا في الحملة ولكنه جزء أساسي لا يتم المعنى بدونه .

⁽¹⁾ ينظر من بلاغة القرآن ص ١٩٠٠

⁽٢) ينظر من بلاغة القرآن ص ١٩١٠

المجساز

١

واذا ما اصر المتأخرون على جعل التشبيه مقدمة لبحث الاستعارة وأنه ليس من علم البيان ، لان دلالته وضعية ، فانهم لم يستطيعوا ان يخرجوا المجاز منه ، فهو عندهم اصل هذا الفن بل هو علم البيان ، وبه يمكن أيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة فهو كالكناية وان كان اكثر منها استعمالا، وأوسع تفننا في اداء المعاني والصور الادبية.

والمجاز فن قديم قدم التعبير الادبي نفسه ، عرف المتقدمون واتخذه بعضهم عنوانا لكتبهم كمجاز القرآن لابي عبيدة الذي كان من أقدم الكتب التي وصلت الينا وفيها اشارات كثيرة الى مسائل البلاغة وموضوعاتها ، وان لم يقصد المعنى الاصطلاحي له ، وانما عنى بمجاز الآية ما يعبر به عنها (۱) .

واهتم النقاد والبلاغيون بعرض صور المجاز وانواعه وان لم يهتموا به كما اهتموا بالتشبيه والاستعارة ؛ ولم يحدد معنى هذا المصطلح الا بعد القرون الثلاثة الاولى والى هذا يشير ابن تيمية (٧٢٨ هـ) ويذكر ان تقسيم اللفظ الى حقيقة ومجاز اصطلاح حادث بعد القرون الثلانة

⁽١) ينظر البلاغة عند السكاكي ص ٨١٠

الاولى ، والغالب انه كان من جهة المعتزلة ونحوهم من المتكلمين (١) •

تقسيم الاوائل:

وعندما وضع عبد القاهر كتابيه المشهورين اخذ هذا الفن البياني منزلته واستقرت قواعده واصوله ، يقول في تعريفه : « وامسا المجاز فكل كلمة اريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والاول فهو مجاز ، وان شئت قلت : كل كلمة جزت بها ما وقعت له في وضع الواضع الى ما لم توضع له ، من غير ان تستأنف فيها وضعا لملاحظة بين ما تجوز بها اليه وبين اصلها الذي وضعت له في وضعع واضعها فهي مجاز » (٢) ، وقسم المجاز الى عقلي ولغوي ، وفرس ينهما ، وانتهى الى انه « ينبغي ان تعلم ان من حقك ان اردت ان تقضي في الجملة بمجاز أو حقيقة أن تنظر اليها من جهتين :

احداهما: ان تنظّر الى ما وقع بها من الاثبات أهو فيحقه وموضعه أم قد زال عن الموضع الذي ينبغي ان يكون فيه ٠

والثانية: ان تنظر إلى المعنى المثبت اعني ما وقع عليه الاثبات كالحياة في قولك: « أحيا الله زيدا » ، أثابت هو على الحقيقة أم قد عدل به عنه »(٣) •

فمثال ما دخله المجاز من جهة الاثبات دون المثبت قول الشاعر:

أشاب الصغير وأفنكي الكبير كر الغداة وسر العكشي ا

المجاز واقع في اثبات الشيب فعلا لكر الليالي ، وهو الذي ازيل عن موضعه الذي ينبغي أن يكون فيه ، لان من حق هذا الاثبات ألا يكون إلا مع اسماء الله تعالى ، واما المثبت فلم يقع فيه مجاز لانه

١١ كتاب الايمان ص ٣٥٠٠

⁽٢) اسرار البلاغة ص ٣٩٨٠

⁽٣) اسرار البلاغة ص ١١١ .

ومثال ما دخل في المجاز في مثبته دون انباته قوله عز وجلل: «أو مثن كان ميث تفاحييناه، وجعلنا له نورا يمشي به في الناس »(١) فالمعنى على ان جعل العلم والهدى والحكمة حياة للقلوب، ومن الواضح في قوله تعالى: «فاحيينا به الأرض بعد منو "تبها » ١١ جعل خضرة الارض، ونضرتها بما يظهره الله تعالى فيها من النبات والازهار، حياة لها، فكان ذلك مجازا في المثبت من حيث جعل ما ليس بحياة حياة على التشبيه، فاما نفس الاثبات فحقيقة، لان الذي فعل ذلك هو الله التشبيه، فاما نفس الاثبات فحقيقة ، لان الذي فعل ذلك هو الله التشبيه ،

وقد يتصور ان يدخل المجاز للجملة من الطريقين جميعا ، وذلك ان يشبه معنى ، بمعنى ، وصفة بصفة ، فيتستعار لهذه اسم تلك ثم تثبت فعلا لما لم يصح الفعل منه فيكون في كل واحد من الاثبات والمثبت مجاز كما في قول المتنبى:

وتُحييي له المال الصوارم والقنا ويقتل ما يُحيى التبسم والجدا

جعل الزيادة والوفور حياة في المال ، وتفريقه في العطاء قتلا له ، ثم اثبت الحياة فعلا للتبسم مع العلم بان الفعل لا يصح منهما • فاذا كان المجاز في الاثبات لزم الا يحصل الا بالجملة التي هي تأليف بين حديث ومحدث عنه ، وكان المرجع فيه الى العقل المحض وأنه القاضي فيه دون اللغة ، لان اللغة لم تأت لتحكم بحكم أو لتثبت ونبقي وما يعترض على هذه الدعوى من تصديق او تكذيب هو اعتراض على المتكلم وليس للغة في ذلك مدخل في قليل ولا كثير • أما اذا كان المجاز في المثبت كقوله تعالى : « فاحيينا به الارض » فانها كان مأخذه اللغة ، لان طريقه أن اجرى اسم الحياة على ماليس بحياة تشبيها وتمثيلا ، واللغة هي التي اقتضت ان تكون الحياة اسما للصفة التي هي ضد الموت • فاذا تجوز اقتضت ان تكون الحياة اسما للصفة التي هي ضد الموت • فاذا تجوز

⁽۱) سورة الانعام ، الآية ۱۲۲ .

⁽۲) سورة قاطر ، الآية ۹ .

في الاسم فاجري على غيرها فالحديث مع اللغـة ، والاول هو المجاز العقلى ، والثاني المجاز اللغوي .

ولا يكون الكلام مجازا من غير علاقة وهي الامر انذي يكون به الارتباط بين المعنى الحقيقى والمعنى المجازى وبه الانتقال من الاول للثانى كالمشابهة في مجاز الاستعارة ، وكالسببية والمسبية في المجاز المرسل .

وسار البلاغيون على خطا عبد القاهر في بحث المجاز ، وقسسمه السكاكي الى مجاز لغوى ، ومجاز عقلي • وقسسم بحث المجاز السي خمسة فصول هي : المجاز اللغوى الراجع الى معنى الكلمة غير المفيد ، والمجاز اللغوى الراجع الى المعنى المفيد الخالي عن المبالغة في التشبيه ، والمجاز اللغوى الراجع الى حكم الكلمة في الكلم ، والاستعارة ، والمجاز اللغوى الراجع الى حكم الكلمة في الكلام ، والمجاز العقلى • وهذا تقسيم السلف كما صرح السكاكي به ، ولم يقبله ورأى ان المجاز ينبغى ان يكون كله لغويا ، وقسسمه الى مفيد ، وغير مفيد • وقسسم المفيدالي استعارة وغير استعارة ، والاستعارة الى الواعها المختلفة •

تقسيم القزويني:

وعندما جاء القزويني لم يسر على هذا المنهج في تقسيم المجاز ، وانما قسمه الى مجاز مفرد ، ومركب ، وقال عن المفرد: «إما المفرد فهو الكلمه المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح به التخاطب على وجه يصح مع قرينة عدم ارادته » (۱) ، وهو لغوى ، وشرعى ، وعرفى ، وقال عن المركب: «واما المجاز المركب فهو اللفظ المركب المستعمل فيما شبه بعناه الاصلي تشبيه التشيل للمبالغة في انتشبيه »(۲) كقول الوليدبن يزيد: «فاني اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى »، وقوله تعسالى:

١١، الايضاح س ٢٦٨ .

٢٠) الايفساح ص ٢٠٤ .

« والأر "ض جميعاً قَبَ ضَتُه يَو "م القيامة ي " (1) • وهـذا ما يسمى التمثيل على سبيل الاستعارة وقد يسمى التمثيل ، يقول «ومتى فشا استعماله كذلك سمي مثلا ، ولذلك لا تغير الامثال »(٢) والمجاز المفرد اما مرسل أو استعارة • ولم يدخل المجاز العقلي في هذا البحث ، لانه تكلم عليه في علم المعاني •

وقد جرَّ البحث في المجاز الى الكلام على الحقيقة ، فعرفوها ، وذكروا أنواعها ، والى ذلك ذهب القزويني وتابعهم في تعريفه وتقسيماتها ، يقول عنها : « الحقيقة الكلمة المستعملة فيما وضعت له في اصطلاح به التخاطب » (٦) • وقسسمها الى لغوية ، وشرعية ، وعرفية خاصة ، او عامة ، وهذا ما تعارف عليه البلاغيون عند بحث الحقيقة والمجاز •

ولما كنا قد صورنا منهج القزويني في بحث المجاز فاننا نبدأ بجمع مباحثه ، وضَمَّ بعضها الى الآخر .

۱۱) سورة الزمر ، الآية ۲۷ .

⁽٢) الايضاح ص ٣٠٧٠

⁽٣) الايفساح من ٢٦٥٠

المجاز العقلى:

كان عبد القاهر من أوائل الذين بحثوا هذا النوع من المجاز ،وقد أولاه عناية كبيرة ، وفَصَّل فيه تفصيلا عظيما ، يقولَ : « وحَدَّهُ أَنَّ كل كلمة اخرجت الحكم المفاد بها عن موضوعه في العقل لضرب من التأول فهو مجاز »(١) • وسماه مجازا عقليا ، ومجازا حكميا ، ومجازا في الاثبات ، واسنادا مجازيا(٢) • وسماه السكاكي مجازا عقليا وتابعه القزويني في ذلك • وعلل المتأخرون هذه التسميات المختلفة فقـــال المغربي: « ومن الاسناد مطلقا مجاز عقلي ، لأن حصولـــه بالتصرف العقلي ، ويسمى مجازا حكميا لوقوعه في الحكم بالمسند اليه ، ويسمى أيضا مجازاً في الاثبات لحصوله في اثبات احد الطرفين للآخر ، والسلب حقيقته ومجازه تابعة لما يحق في الاثبات كما تقدم ، و سمى اضااسنادا مجازيا نسبة الى المجاز بمعنى المصدر لان الاسناد جاوز به المتكلم « مجاز الملابسة » ، ولا يقال مجاز اسناد لقلة استعمال الاسسناد من الفعل وفاعله أو ما قام مقامه • ولعل الذي دعاه الى ذلك أنه وجدأن علاقة المجاز العقلي هي الملابسة كما يفهم من كلام القزويني ، وانـــه لا بد منها في كل مجاز عقلي، والى ذلك يشير السيوطي بقوله : «المجاز

⁽۱) اسرار البلاغة ص ٣٠٠٠.

⁽٢) دلائل الاعجاز ص ٢٢٧ ، ٢٣١ ، واسرار البلاغة ص ٤١١ .

⁽٣) مواهب المفتاح ج1 ص ٢٣١ .

في التركيب، ويسمى مجاز الاسناد، والمجاز العقلي، وعلاقته الملابسة، وذلك أن يسند الفعل أو شبهه الى غير ما هو له اصالة لملابسته لـــه كقوله تعالى: « وإذا تُليت عليهم آياتُه زادتهم إيمانا » (١) .

واذا ما ذهبنا نستقصي بحث المجاز العقلى عند القدماء فانسا لا نجدهم يشيرون الى اسمه هذا او الى انواعه ، وان رأينابعض امثلته في كتاب سيبويه كفول الخنساء:

ترعى اذا نسيت حتى اذا ادكرت فانما هي إقبال وادبار

لقد لمتنا يا أمَّ غيلان في السرى ونمت وما ليل ُ المطي بنائهم وقول رؤبة بن العجاج :

حارث قد فَرَ جَن عني غَمّي فنام ليلي وتجلَّى هَمّي

وقول العرب « نهارك صائم » و « ليلك قائم » (٢) • وهو في دلك يذهب مذهب سيبويه فيه ، الا انه يرى أن في هذه الاسأليب مبالغة الى جانب السعة والحذف •

ونجد امثلة للمجاز العقلى في « الموازنة » للآمدى ، و «الصاحبى» لاحمد بن فارس ، ولكن هؤلاء لم يتكلموا عليه كما تكلم عبد القاهر ، ومن هنا ذهب الدكتور طه حسين الى أن المجاز العقلى من ابتكار عبدالقاهر الجرجاني^(۱) ، وهسندا رأي كان العلوي قد نبه اليه من قبل وقال : « اعلم أن ما ذكرناه في المجاز الاسنادى العقلى هو ما قرره

⁽¹⁾ سورة الانفال ، الآية ٢ . ينظر الاتقان في علوم القرآن ج٢ ص ٣٦ .

⁽۲) کتاب سببویه جا س ۱۲۹ ، وتنظر ص ۸۸ ، ۸۹ ، ۱۱۸ ، ۱۱۸ ،

⁽٣) الكامل ج ا س ١١٨ ، ١٨٨ ، ج٣ ص ١١٧٠ ،

⁽٤) البيان العربي من الجاحظ الى عبد القاهر .. مقدمة نقد النفر ص ٢٩٠٠

الشيخ النحرير عبد القاهر الجرجاني ، واستخرجه بفكرته الصافية ، وتابعه على ذلك الجهابذة من اهل هذه الصناعة كالزمخشري وابسن الخطيب الرازي وغيرهما »(١) .

والمجاز الواقع في الاثبات عند عبد القاهر متلقى من العقل ، وفي المثبت متلقى من اللغة ، فالاول عقلي والثاني لغوي ، وذلك ان الاثبات اذا كان من شرطه ان يقيد مرتين ولزم من ذلك الا يجعل الا بالجملة التى هى تأليف بين حديث ومحدث عنه ، أو مسند ومسند اليه علمت أن مأخذه العقل وانه القاضي فيه دون اللغة ، لان اللغة نم تأثت لتحكم بحكم أو لتثبت وتنفي (٢) ، وتحدث عنه في كتابيه « دلائل الاعجاز » و «أسرار البلاغة » وفكصكل القول فيه ، وخلاصة ما قاله أن في الكلام مجازا يكون التجوز في حكم يجرى على الكلمة وتكون الكلمة متروكة على ظاهرها ويكون معناها مقصودا في نفسه ومرادا من غير تورية ولا تعريض ، والمثال فيه قولهم « نهار ك صائم " » و « ليلك قائم " » و « نام ليلي و تجلى همي » وقوله تعالى : « فما ر بحت تجار تهم » (٣) وقسول الفرزدق :

سقاها خروق " في المسامع لم تكن علاطا ولا مخبوطة " في الملاغم (١٠)

يقول: «انت ترى مجازا في هذا كله ، ولكن لا في ذوات الكلم وأنفس الالفاظ ، ولكن في احكام اجريت عليها ، أفلا ترى انك نم تتجوز في قولك «نهارك صائم » و «ليلك قائم » في نفس «صائم » و « قائم » ولكن في أن اجريتهما خبرين على النهار والليل ، وكذلك ليس المجاز في الآية في « ربحت » نفسها ولكن في اسنادها الى التجارة،

⁽۱) الطرازج٣ ص ٢٥٧٠

⁽٢) اسرار البلاغة ص ١٩٠٠ .

⁽٣) سورة البقرة ، الآية ١٦ .

⁽٤) علط الناقة: وسمها بالعلاط ، والعلاط: صفحة العنق ، او حبل يجعل في عنف البعير ، الملغم: الفم والانف وما حولهما ، ج: ملاغم ،

وهكذا الحكم في قوله « سقاها خروق » ليس التجوز في « سقاها » ولكن في ان اسندها الى الخروق • أفلا ترى انك لا ترى شيئا منها الا وقد اريد به معناه الذى وضعله على وجهه وحقيقته ، فلم يردبد «صائم» غير الصوم ولا به « قائم » غير القيام ، ولا به « ربحت » غير الربح ، ولا به « سقت » غير السقي ، كما أريد في قوله :

وســـالت باعناق ِ المُطبِي ِّ الأباطح ُ

غير السيل »(١) •

وذكر أمثلة كثيرة له ، وقارنها بمجاز الحذف ، وأظهر ما في المجاز العقلي من روعة لا تكون في غيره (٢) .

ويرى عبدالقاهر انه ليس بواجب في المجاز العقلي ان يكون للفعل فاعل في التقدير اذا انت نقلت الفعل اليه عدت به الى الحقيقة مثل انك تقول في : « ربحت تجارتهم » : ربحوا في تجارتهم ، وفي «يحمي نساءنا ضرب » : نحمي نساءنا بضرب ، فان ذلك لا يتأتى في كل شيء ، ألا ترى انه لا يمكنك أن تثبت للفعل في قولك : « اقدمنى بلدك حق لي على انسان » فاعلا سوى الحق ، وكذلك لا تستطيع في قوله :

و صيئرني هـواك وبي لِحينني ينظر ب المتسل

وقوله:

يَزيدُ لُهُ وَجَهُمُهُ مُسْنَا اذا ما زرد تَك نَظَرَا

ان تزعم أن لـ « صيرني » فاعلا قد نقل عنه الفعل فجعل للهوى كما في « ربحت تجارتهم » و « يحمي نساءنا ضرب » • ولا تستطيع كذلك ان تقدر لـ « يزيد » في قولك « يزيدك وجهه » فاعلا غـــير

⁽١) دلائل الاعجاز ص ٢٢٨ ، واينظر كلامه في اسرار البلاغة ص ٥٠٠ وما بعدها .

⁽٢) ينظر دلائل الاعجاز ص ٣٣٣ وما بعدها .

وهذا المجاز _ كما يرى عبدالقاهر _ كنز من كنوزالبلاغة ،ومادة الشاعر المفلق ، والكاتب البليغ في الابداع ، والاحسان ، والاتساع في طرق البيان ، وسبب اللطف فيه أنه ليس كل شيء يصلح لان يتعاطى فيه هذا المجاز بسهولة ، بل تجدك في كثير من الامر وانت تحتاج الى ان تهيء الشيء وتصلحه لذلك بشيء تتوخاه في النظم ، وان اردت مثالا في ذلك فانظر الى قوله :

تناس طبلاب العامرية إن نأت و بأسلاب العامرية إن نأت و بأسجع مرقال الضحى قلق الضقو الفسفر اذا مسا احسته الافساعي تحيزت شواة الافاعي في مثلمة سمور تجوب له الظلماء عين كأنهسا زجاجة شكر بإغير ملاي ولا صفر

يصف جملا ويريد أن يهتدي بنور عينه في الظلماء ، ويمكن بها أن يخرقها ، ويمضي فيها ، ولولاها لكانت الظلماء كالسد والحاجز الذي لا يجد شيئا يفرجه به ، ويجعل لنفسه فيه سبيلا ، فأنت الان تعلم أنه لولا انه قال « تجوب له » فعلق « له » به « تجوب » لما صلحت العين لان يسند « تجوب » اليها ، ولكان لا تتبين جهالتجوز في جعل « تجوب » فعلا للعين كما ينبغي ، وكذلك تعلم أنه لو قال مثلا « تجوب له الظلماء عينه » لم يكن له هذا الموقع ، ولاضطرب عليه معناه ، وانقطع السلك من حيث يعيبه حينئذ ان يصف العين بما وصفها به الآن فتأمل هذا واعتبره » (٢) .

واستفاد الزمخشري في كشافه من آراء عبد القاهر ومن ذلك

⁽۱) دلائل الاعجاز ص ۲۲۹ ــ ۲۳۰ .

⁽٢) دلائل الاعجاز ص ٢٣١ .

تفسيره لقوله تعالى: « فما ربحت تجارتهم » يقول: « قلت هو من الاسناد المجازي ، وهو ان يسند الفعل الى شيء يتلبس بالذي هو في الحقيقة له كما تلبست التجارة بالمشترين »(١) •

وسار الرازي على خطا عبد القاهر وخالفه احيانا ، فهو بعـــد ان عرض رأى عبدالقاهر قال: « هذا رأيه وفيه نظر ، لان الفعل يستحيل وجوده الا من الفاعل ، فالفعل المسند الى شيء أما ان يسند الى ما هو مستند في ذاته اليه فيكون الاسناد حقيقيا ، واذا لم يسند الى ذلك الشيء فلا بد من شيء آخر يكون هو مستنداً لذاته اليه ، وإلا ً لزم حصول الفعل لا عن الفاعل وهو محال . واما قولك « اقدمني بلدك حق لي » فالاقدام عبارة عن فعل القادر للقدوم ، والقادر في فعلـــه للشيء لا يحتاج الا الى الداعي ، وهو العلم والاعتقاد لكون الفعل مصلحة وذلك هنا حاصل لان علمه بان له في تلك البلدة حقا هـو الحامل له على ذلك الفعل • واذا ثبت ذلك ظهر انه لا مجاز في هـــذا الكلام أصلا ، لان الإقدام حاصل وذلك لا يستدعي الا الغرض والغرض هو ذلك الحق ، فاذن لا مجاز في هذا الكلام ، اللَّهم الا ان يقال الداعي هو العلم بذلك الحق لا نفسه فيكون مجازا من هذا الوجه ، ولكن لو ثبت ذلك بطل دعواه لأن المجاز ههنا اظهر من وجود الحقيقة • وأماقوله « يزيدك وجهه حسنا » فالزيادة في الحسن لها فاعل حقيقي وهو الله تعالى ، وكذلك القول في سائر الامثلة المذكورة (١٥) ٠

ولما وضع السكاكي البلاغة وضعها الاخير ، بحث المجاز العقلي في علم البيان وقال عنه : « المجاز العقلي هو الكلام المفاد به خلاف ماعند المتكلم من الحكم فيه لضرب من التأويل افادة المخلاف لابوساطة وضع كقولك : « أنبت الربيع البقل » و « شفى الطبيب المريض » و

⁽۱) الكشاف جا ص ٥٣ ، وينظر المطول ص ٥٨ .

⁽٣) نهاية الايجاز في دراية الاعجاز ص ٥٢ ـ ٥٣ .

« كسا الخليفة الكعبة » و « هزم الأمير الجند » و « بنى الوزيــر القصر »(١) .

وتابع عبد القاهر ولكنه خالفه في انه لا يجوز ان لا يكون فاعل للافعال في مثل « ســـرتني رؤيتك » و « اقدمني بلدك حق لي على فلان » ، وفي قول الشاعر :

وصيَّ رني هـ والهُ وبي نِحيني ينضْرَبُ المَكُلُ ومشـــل : يزيدُ لهُ وَجُهْمُ حُسْناً اذا مـا زِدْ تَهُ نَظَرَا

لانه يرى أن المجاز لا يتحقق مهما كان بدون حقيقة يكون متعديا عنها لامتناع تحقق فرع من غير أصل ، ولهذا فانه لا يجوز في الامثلة المتقدمة « أن لا يكون أكل من هذه الافعال فاعل في التقدير أذا أنت أسندت الفعل اليه وجدت الحكم واقعا في مكانه الاصلي عند العقل » (٢) • وكان عبد القاهر قد رأى غير هذا ، وذكر أنه ليس بواجد في هذا أن " يكون للفعل فاعل في التقدر •

وبعد أن بحث السكاكي المجاز العقلي في علم البيان ، عاد وأنكره ، ورأى نظمه في سلك الاستعارة بالكناية وذلك بجعل الربيع في « انبت الربيع البقل » استعارة بالكناية عن الفاعل الحقيقي بواسطة المبالغة في التشبيه على ما عليه مبنى الاستعارة ، وجعل نسبة الانبات اليسه قرينة الاستعارة ، وبجعل الاميرفي « هزم الامير الجند » المدبر لاسباب هزيمة العدو إستعارة بالكناية عن الجند الهازم ، وجعل نسبة الهرم البه قرينة للاستعارة (٣) .

⁽۱) مفتاح العلوم ص ۱۸۵ .

⁽٢) مفتاح العلوم ص ١٨٧٠

⁽٣) مفتاح العلوم ص ١٨٩٠

وما ذهب اليه السكاكي حاصل شبهة ذكرها عبدالقاهر، ورد عليها يقول في اسلوب « صاغ الربيع الوشي » : « فان قلت : اليس الـكلام على الجملة معقودا على تشبيه الربيع بالقادر في تعلق وجـود الصوغ والنسج به فكيف لم يجز دخول «كأن » في الكلام من هـذه الجهة ، فان هذا التشبيه ليس هو التشبيه الذي يعقد في الكلام ويفساد بـ « كأنَّ » و « الكاف » و نحوهما ، وانما هو عبارة عن الجهة التي راعاها المتكلم حين اعطى الربيع حكم القادر في اسناد الفعل اليــه ، ووزانه وينصبون بها الخبر فيقولون : « ما زيد منطلقا » فنخبر عن تقــدير قدروه في نفوسهم وجهة راعوها في اعطاء «ما » حكم « ليس » في العمل ، حكما لا يتصور ان يكون قولنا « ما زيد منطلقا » تشبيهاعلي حد « كأن زيدا الاسد » كذلك لا يكون « صاغ الربيع » من التشبيه ، فكلامُنا اذن في تشبيه منقول منطوق به وأنت في تشبيه معقول غير داخل في النطق ، هذا وان يكن ههنا تشبيه فهو في الربيع لا في الفعل المسند اليه • واختلافنا في صاغ وحاك هل يكون تشبيها واستعارة ام لا ؛ فلا يلتقي الشبيهان أو يلتقي المشئم والمعرق »(١) •

وسار السكاكي على ضوء هذه الشبهة فانكر المجاز العقلي، ونظمه في سلك الاستعارة بالكناية ، مع أن علاقة الاستعارة المشابهة وعلاقته خــلاف ذلك .

واعتبر القزويني هذا المجاز مجازا بالاسناد ، وأخرجه من علم البيان ، وادخله في علم المعاني وعقد له فصلا بعنوان « الاستناد منه حقيقة عقلية ومنه مجاز عقلى » وقال عنه : « اننا لم نورد الكلام في الحقيقة والمجاز العقليين في علم البيان كما فعل السكاكي » ومن تبعه لدخوله في تعريف علم المعاني دون تعريف علم البيان » (٢) .

⁽١) اسراد البلاغة ص ٢٩ ٠

⁽٢) الايضاح ص ٣١٠

ابتدأ بحث المجاز العقلى في تعريف الحقيقة العقلية ، وذكر أقسامها، يقول: « اما الحقيقة: فهي استناد الفعل او معناه الى ما هو له عند المتكلم في الظاهر »(۱) • وهي اربعة اضرب: ما يطابق الواقع دون واعتقاده كقول المؤمن: « أنبت الله البقل » ، وما يطابق الواقع دون اعتقاده كقول المعتزلي لمن لا يعرف حاله وهو يخفيها عنه: « خالق الافعال كلها هو الله تعالى » ، وما يطابق اعتقاده دون الواقع كقول الجاهل « شفى الطبيب المريض » ، ومالا يطابق شيئا منهما كالاقوال الكاذبة التي يكون القائل عالما بحالها دون المخاطب • وعرق المجاز فهو اسناد الفعل أو معناه الى ملابس له غير ما هو له بتأول »(۲) •

وللفعل ملابسات شتى ذكرها القزويني ، فهو يلابس الفاعل ، والمفعول به ، والمصدر ، والزمان ، والمكان ، والسبب ، وهذه هي أنواع العلاقة فيه كقوله في المفعول به «عيشة راضية » و « ماءدافق» وفي عكسه « سيل مفعم » وفي المصدر « شعر شاعر » ، وقد ذهب السبكى الى ان هذا المثال ليس صحيحا لان « شعراً » في قولنا «شعر شاعر » المراد به المشعور وهو نفس المنظوم لا الشعر الذي هو المصدر، والمثال الصحيح قول الشاعر :

سيذكرنيقومي اذا جك جرِد مهم وفي الليلة ِ الظلماء ِ يُفتَتَقد ُ الكبد ° رُ

وقوله تعالى « فاذا نُنْفِخ َ في الصُّورِ نَفَـْخَـَةٌ واحبِدةٌ »(٦)

ومنه قولهم في الزمان « نهاره صائم » و « ليله قائم » ، وفي المكان « طريق سائر »و « نهر جار » • وفي السبب « بنى الامير المدينة » •

وذكر التفتازاني ، وابن يعقوب المغربي أنَّ الاسناد العقلي يجري

⁽۱) الايضاح ص ۲۱ .

⁽٢) الإيضاح ص ٢٢٠

⁽٢) سورة الحاقة ، الآية ١٣ . ينظر عروس الافراح ج١ ص ٢٣٦ .

في النسبة غير الاسنادية من الاضافية والايقاعية نحو: « اعجبني انبات الربيع وجري الانهار » ، قال الله تعالى: « ولا تتطيعوا أمثر المسرفين » (١) • ومعنى هذا ان المجاز اوسع مما ذكره السكاكي والقزوينسي •

وعلى المغربي اعتبار النسبة الايقاعية والاضافية مجازية بقوله: « وانما جعلت النسبة الايقاعية والاضافية مجازية لانه تجوز بها عما ينبغي لها من كون الوقوع على المفعول به الحقيقي في الاولى وكون الاضافة الى الفاعل الحقيقي في الثانية الى غيرهما كما تجوز بالاسناد عما ينبغي له الى غيره فكانت النسبة فيما ذكرت مجازية الا انها قسد تكون مع ذلك كناية عن المجاز الاسنادي كقولهم « سل الهموم » (٢) و

وسمي الاسناد في هذين الضربين من الكلام عقليا لاستناده الى العقل دون الوضع ، لان اسناد الكلمة شيء يحصل بقصد المتكلم دون واضع اللغة فلا يصير « ضرب » خبرا عن « زيد » بواضع اللغة ، بل بمن قصد اثبات الضرب لا لاثبات الخروج وانه لاثباته في زمن ماض وليس لاثباته في زمان مستقبل ، فاما تعيين من ثبت له فانما يتعلق بمن اراد ذلك من المخبرين ، ولو كان لغويا لكان حكمنا بانه مجاز في مثل قولنا « خط أحسن مما وشي الربيع » من جهة ان الفعل لا يصح الا من الحي القادر حكما بان اللغة هي التي اوجبت ان يختص الفعل بالحي القادر دون الجماد ، وذلك مما لا يشك في بطلانه ، وهذا ما تكلم عليه عبد القاهر بالتفصيل ، وذكر الامثلة نفسها ، وتابعه القزويني في الشرح والتحليل (٢) .

والمسمى بالحقيقة العقلية والمجاز العقلى عند السكاكي هو الكلام

⁽۱) سورة الشعراء ، الآية ۱۵۱ . ينظر المختصر جا ص ۲٤٠ ، والمطول ص ٥٩ ، ومواهب الفتاح جاص ٢٤٠ وما بعدها .

⁽۲) مواهب الفتاح ج۱ س ۲۶۱

⁽٣) اسرار البلاغة ص ٥٠) والايضاح ص ٢٣٠.

لا الاسناد، وهذا يوافق كلام عبد القاهر في مواضع من « دلائل الاعجاز » ، أما عند القزويني فهو الاسناد لا الكلام وهذا ظاهر ما نقله ابو عمرو بن الحاجب من عبد القاهر وهو قول الزمخشري في الكشاف(١) •

وعلل سبب اختياره هذا الرأي بقوله: « وانسا اخترناه ، لان نسبة المسمى حقيقة أو مجازا الى العقل على هذا لنفسه بلا وساطية شيء ، وعلى الاول لاشتماله على ما ينتسب الى العقل، أعني الاسناد» (٢)، وأيتدء السبكي فقال: « قلت: بل لا يصح من جهة المعنى الاذلك ، والسكاكى في جميع الباب يقول اسناد حقيقة واسناد مجاز كما قال غيره » (٣) .

وقسم الخطيب المجاز العقلى باعتبار طرفيه الى أربعةاقسام، فهما اما حقيقتان مثل « انبت الربيع البقل » وعليه قول رؤبة بن العجاج: حارث قد فكر جُمْت عني غكم في فنسام ليلي وتكجلس هكسي وقسول جسرسر:

وشيئب إيام الفراق مفارقي وانشزن تفسيفوق حكيث تكون وسيئب إيام الفراق مفارقي

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى ونمت وما ليل ُ المطي بنائم ر

واما مجازان مثل « أحيا الارض َ شباب ُ الزمان » •

واما مختلفان مثل: «انبت البقل شباب الزمان »،و « احياالارض الربيع » وعليه قول الرجل لصاحبه « احيتني رؤيتك » ، أي آنستني

⁽۱) ينظر عروس الافراح ج ا ص ۲٤٨٠

٢) الايضماح س ٢٦٠.

٣١) عروس الافراج ج اص ٢٤٨٠

وسرتني • ومثله قول المتنبي :

وتحيي له المال الصوارم والقنا ويقتل ما تحيي التبسم والجدا

وهذه أقسام الحقيقة العقلية نفسها ، لكن يختلف الحال بالنظرلمن صدرت منه من كونه مؤمنا أو جاهلا .

وترك القزويني بيان اقسام الحقيقة لعلمها بالمقايسة ولقلة الاهتمام بحالهـــا .

وما ذكره القزويني من اقسام المجاز العقلى مبني على مذهب ومذهب الجمهور صحدم رده الى الاستعارة المكنية ، وأما على مذهب السكاكي ومن رده اليها « فطرفاه حينئذ لا يكونان الا مجازين إن كان التخييل مجازا ، أو مجازا وحقيقة إن كان التخييل حقيقة »(۱) .

وكرر القزويني ما قاله عبد القاهر والسكاكي من أن المجساز العقلي كثير في القرآن الكريم وضرب له امثلة كقوله تعالى: « واذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً » (٢) • وقول ه « وذلكتم ظنتكتم الذي ظننتم بربكم أرداكم » (٣) • وقوله « يُذَبِّح ُ أبناءَ هم » (٤) • وقوله : « يُنْزع ُ عنهما لباسكم الله المسكم الله وقوله : « ألم تر الى الذين بكالوا نعمة الله كفراً وأحكاوا قومهم دار البوار؟ (١) • وقوله « يكوما يكومكم ألولدان شيبا » (٧) • وقوله « وأخر جن الارض أثقالكها » (٨) •

⁽۱) حاشية الدسوقي ج ۱ ص ۲۶۸ ٠

⁽٢) سورة الانفال ، الآية ٢ .

⁽٣) سورة فصلت ، الآية ٢٣ .

⁽٤) سـورة القصص ، الآية ٤ .

⁽٥) سـورة الاعراف ، الايــة ٢٧ .

⁽٦) سورة ابراهيم ، الآية ٢٨ ٠

⁽٧) سـورة المزمل ، الآيـة ١٧ .

⁽A) سورة الزلزلة ، الآية ۲ .

ولا يختص المجاز العقلي بالخبر بل يجري في الانشاء كقوله تعالى: « وقال فرعون من ياهامان أبن لي صر عا »(١) • وقوله « فأو قيد وقوله ناهامان على الطين فاج عكل لي صر عا »(٢) • وقوله : « في لا ين حر جنت كم من الجنتة في شكر على ٠٠٠٠ •

وفي هذا رد على الظاهرية الذين يذهبون الى عدم وقوع المجاز العقلي في القرآن لايهام المجاز الكذب، والقرآن منزه عنه • وهو رأي بعيد عن اسلوب العرب في التعبير، ونرى ان القزويني وغيره قلم الحسن حينما قرر أنَّ القرآن الكريم لا يخلو من هذا الاسلوب العربي، وان التعبير به حسن جيد ما دامت فيه قرينة تمنع الايهام او الكذب •

ولا بد للمجاز العقلي من قرينة اما لفظية كما في قول ابي النجم :

قد أصبحت أم الخيار تكاعي علي ذب كله نم أصنع مين أن رأت رأسي كرأس الاصلع مين أن رأت رأس مين عنه قنن عا في قند عرض عرض الليالي أبطئي أو اسرعي جدب الليالي أبطئي أو اسرعي

فهو مجاز بدليل قوله بعده:

أفناه قيل الله ِ للشمس ِ : اطلعي حتى اذا واراك أفق و فارجِعي

او غير لفظية أي معنوية كاستحالة صدور المسند من المسند اليه المذكور أو فيامه به عقلا مثل « محبتك جاءت بي اليك » او عادة مثل « هزم الامير الجند » و « كسا الخليفة الكعبة » و « بنى الوزير القصر » وكصدور الكلام من الموحد في قول الحماسي :

٣٦ سورة غافر ، الآية ٣٦ .

⁽٢) سورة القصص ، الآية ٣٨ .

⁽٢) سورة طه ، الآية ١١٧ .

⁽٤) القنزع: الخصلة من الشعر تترك على رأس الصبي ، الشعر حول الراس -

أشاب الصغير وأفنى الكبير كر الغداة ومر العشي

وتابع عبدالقاهر والرازي في انه لا بد من التلطف، عند التجوز ، و بنقل كلام الاول وتعليقه على الابيات المتقدمة في وصف الجمل (۱) وخالف عبدالقاهر في انه لا بد لكل مجاز من حقيقة ، وتابسع الرازي والسكاكي وذهب الى أن الفعل المبني للفاعل في المجاز انعقلي واجب أن يكون له فاعل في التقدير أذا اسند اليه صار الاسناد حقيفة ، وذكر أمثلتهما ولعل في قوله « وفد يكون خفيا لا يظهر الا بعد نظر وتأمل » تعريضا بعبد القاهر وردا عليه •

وذهب المتأخرون الى ان فيما ذهب القزويني اليم تكلفا وتطلبا لما لا يقصد في الاستعمال ولا يتعلق به الغرض في التراكيب ، وان الحق ما ذكره عبدالقاهر ، لانه لم يرد ان هذه الافعال الاعتبارية لا موصوف لها في نفس الامر بكون الاسناد اليه حقيقة ، بل المراد انه لم يستعمل لعدم تعلق الغرض به (٣) .

ولم يُسكِّم القزويني بكل ما ذكره السكاكي ، و َرَكَّ عليه ، و ناقشه في تعريف الحقيفة والمجاز العقليين، ورأى انه لم يحسن حدهما . وقد عدل عن تعريفه لامور:

الاول: انه جعلها صفة للكلام بينما جعلها القزويني للاسناد .

والثاني : انه غير مطرد لصدقه على ما ليس المسند فيه فعلا او في

معناه نحو « الانسان جسم » ، مع انه لا يسسى حقيقة ولا مجازا .

الثالث: انه غير منعكس لعدم صدقه على ما يطابق الاعتقاد سواء

⁽١) ينظر دلالل الاعجاز ص ٢٣١ ونهاية الايجاز في دراية الاعجاز ص ٥٣ والايضارح ص ٢٩٠٠ .

⁽٢) الابضاح ص ٢٩٠

الله شروح التلخيص جا ص ٢٦١ ـ ٢٦٣ .

يطابق الواقع ام لا ، لانه ترك التقييد بقولنا « في الظاهر »(١) .

ويرى بعضهم أنه خرج من تعريف القزويني للاسناد المجازيأمران:

أحدهما : وصف الفاعل ، أو المفعول بالمصدر نحو « رجل عدل »، وقول الخنساء :

ترعى اذا نسيت حتى اذا ادَّكرت فإنَّما هي إقبال وإدبار أ

والثاني: وصف الشيء بوصف محدثه وصاحبه مشل « الكتاب الحكيم » و « الاسلوب الحكيم » • فان المبني للفاعل قد اسند الى المفعول لكن لا الى المفعول الذي يلابسه ذلك المسند بل فعل آخر من افعاله مثل « انشأت الكتاب » •

وأجاب التفتازاني عن هذا قائلا: « ويمكن الجواب عن الاول بانه ليس عنده بمجاز كما انه ليس بحقيقة • وعن الثاني بان الملابسة اعم من ان يكون بواسطة حرف او بدونها • وهذه الصورة من قبيل الاول اذ الاصل هو حكيم في اسلوبه وكتابه ، وبعيد واليم في ضلاله وعذابه ، فيكون مما بني للفاعل واسند الى المفعول بواسطة فتأمل وقس عليه نظائره »(٢) •

ولم يقبل القزويني ما ذهب السكاكي اليه من نظم المجاز العقلي في سلك الاستعارة بالكناية ، لانه يستلزم أن يكون المراد به «عيشة » في قوله تعالى : «فهو في عيشة راضية » صاحب العيشة لا العيشة ، و به «ماء » في قوله تعالى «خُلق من ماء دافق » في قوله تعالى «خُلق من ماء دافق » في الدفق لا المني ، وان لا تصح الاضافة في نحو قولهم «فلان نهاره صائم ، وليله قائم » لان المراد بالنهار على هذا فلان نفسه ، واضافة الشيء الى

١١) المطول ص ٥٥ وما بعدها ، وينظر الايضاح ص ٢٤ - ٢٥ .

٢) المطول ص ٥٨٠

⁽٢) سورة الحاقة ، الآية ٢١ .

٦ سورة الطارق ، الآية ٦ ٠

نصه لا تصح • وان لا يكون الامر بالايقاد على الطين في احدى الآيتين وبالبناء فيهما لهامان مع ان النداء له ، وان يتوقف جواز التركيب في نحو قولهم « انبت الربيع البقل » و « سرتني رؤيتك » على الاذن الشرعي لان اسماء الله تعالى توقيفية ، وكل ذلك منتف ظاهر الانتفاء • يقول : « ثم ما ذكره منقوض بنحو قولهم : « فلان نهاره صائم » فان الاسناد فيه مجاز ، ولا يجوز أن يكون النهار استعارة بالكناية عن فلان، لان ذكر طرفي التشبيه يمنع من حمل الكلام على الاستعارة ، ويوجب حمله على التشبيه ، ولهذا عد نحو قولهم « رأيت بفلان أسدا ولقيني منه اسد » تشبيها لا استعارة كما صرح السكاكي أيضا بذلك في كتابه » (١٠٠٠) وسد » تشبيها لا استعارة كما صرح السكاكي أيضا بذلك في كتابه » (١٠٠٠)

وسار بعض المتأخرين على هدى السكاكي فقال احدهم في توجيه قوله: « اقدمني بلدك حق لي على فلان » يجوز ان يراد بالاقسدام الحمل على القدوم على جهة المجاز المرسل فيكون المعنى حملني على القدوم حق ، ويصح أن يكون في الكلام استعارة بالكناية بأن شبه الحق بمقدم تشبيها مضمرا في النفس ، وطوى ذكر المشبه به وهو المقدم، ورمز له بذكر لازمه وهو الاقدام تخييلا ، وعلى هسذين الاحتمالين لا يكون في الكلام مجاز عقلي (٢) .

ومهما يكن من شيء فللمجاز العقلي أثره وقيمته في التعبير ، وان انكره السكاكي ، ونظمه في سلك الاستعارة بالكناية ، وادخله القزويني في علم المعاني ، ونرى أن يبحث في المجاز لا في الاستناد كما فعل القزويني ، وقد كان منهجه هذا مثار نقد المتأخرين السائرين في ركابه ، يقول التفتازاني : « وفيه نظر ، لان علم المعاني انما يبحث عن الاحوال المذكورة من حيث انها يطابق بها اللفظ مقتضى الحال ، وظاهر ان البحث في الحقيقة والمجاز العقليين ليس من هذه الحيثية فلا يكون داخلا في علم المعاني ، والا فالحقيقة والمجاز اللغويان ايضا من احوال المستند

⁽۱) الايضاح ص ۳۱ ٠

⁽٢) تنظر حاشية الدسوقى ج١ ص ٢٦٢٠

اليه أو المسند »(١) .

ولا تتفق مع ما ذهب اليه الدكتور بدوي طبانة حيث يقول انهذا «البحث أولى به ان يضم الى مباحث علم الكلام ، لانه كلام في الاثر والمؤثر والصنعة والصانع » (٢) • نعم قد يكون هذا صحيحا لو انشغل البلاغيون بالمناقشات العقلية وحدها ، ولكنهم اوضحوا ميزة المجاز العقلي وأثره ، وان ما نقلناه عن عبدالقاهر والقزويني ليدل دلالةواضحة على ان هذا الضرب من المجاز كنز من كنوز البلاغة ، وذخر يعمد اليه الكاتب البليغ والشاعر المفلق ، والخطيب المصقع • وليس ادل على ما نذهب اليه من ان العرب المتقدمين استعملوه ، واشار اليه النقاد والبلاغيون القدامي ، وذكروا امثلته وان لم يطلقوا عليه اسم المجاز العقلي • وهذا كله يدل على انه لون من التعبير واسلوب له قيمته وأثره • ونحن حينما نعيد بحثه في بلاغتنا الجديدة ينبغيأن نحذف كل وأثره • ونحن حينما نعيد بحثه في بلاغتنا الجديدة ينبغيأن نحذف كل ما فيه من مناقشات كلامية بعيدة عن جو النقد والبلاغة ، وتذوق النص ما فيه من مناقشات للامية بعيدة عن جو النقد والبلاغة ، وتذوق النص الادبي • وان فيما كتبه عبد القاهر والسكاكي والقزويني لمادة غزيرة لها اهميتها في بلاغتنا الجديدة •

١) المطــرل ص ٥٤ .

⁽۲) البيان العرب ی رف ۲) س ۲۹۰ .

المجاز الرسل:

قسم القزويني المجاز المفرد الى قسمين: مرسل ، واستعارة ، لان العلاقة المصححة ان كانت تشبيه معناه بما هو موضوع له فهو استعارة ، والا فهو مرسل ، وعرف المرسل بقوله: « وهو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة غير التشبيه »(١) كاليد اذا استعملت في النعمة او في القدرة ، وكالراوية للمزادة مع كونها للبعير الحامل لها ، وكالاكاف في قول الشاعر:

إن لنا المحسرة عجافا يأ كلن كل ليلة اكافاله

وسمي همدا النوع مرسلا لان الارسال في اللغة الاطلاق ، والمجاز الاستعاري مقيد بادعاء ان المشبه من جنس المشبه به ، والمرسل مطلق من هذا القيد ، وقيل : انما سمي مرسلا لارساله عن التقييد بعلاقة مخصوصة ، بل ردد بين عملاقات ، بخلاف المجماز الاستعاري فانه ، فيد بعلاقة واحدة وهي المشابهة (٢) .

ولم نجد أحداً أطلق اسم المجاز المرسل على هذا النوع قبـــل

الایضاح ص ۲۷۰ .

⁽٢) الاكاف: برذعة الحمسار .

⁽٣) تنظر حاشية الدسوقي ج} ص ٢٩٠

القزويني ، وكان القدماء قد ذكروا أنواعه كأبي حامد الغزالي ولم يُسكميّه ، يقول ابن الاثير : « وقسم المجاز الى اربعة عشر قسما وتلك الاربعة عشر ترجع الى الثلاثة التي اشرت اليها وهمدى : التوسع ، والاستعارة ، ولا تخرج عنها » (١) .

والانواع التي ذكرها له ورد عليها هي :

جعل الشيء بسبب المشاركة في خاصة كقولهم للشجاع « اسد » . وتسميته الشيء باسم ما يؤول اليه كقوله تعالى : « إني أراني أعصر خَمْراً » (٢) .

وتسمية الشيء باسم فرعه كقول الشاعر:

وما العيش ُ إِلَّا نومة ٌ وتشرق ٌ وتُمثَّر ٌ على رأس ِ النخيل ِ وماء ُ

وتسمة الشيء باسم اصله كقولهم للآدمي « مضغة » •

وتسمية الشيء بدواعيه كتسميتهم الاعتقاد « قولا » .

وتسمية الثيء باسم مكانه كقولهم للمطر « سماء » •

وتسمية الشيء باسم مجاوره كقولهم للمزادة « راوية » •

وتسمية الشيء باسم جزئه كقولك لمن تبغضه « ابعد الله وجهــه عني » •

وتسمية الشيء باسم ضده كقولهم للاسود والابيض «جون» .

وتسمية الشيء بفعله كتسمية الخمر « مسكرا » .

وتسمية الشيء بكله كقولك في جواب « ما فعل زيد؟» : «القيام» • والزيادة في الكلام لغير فائدة كقوله تعالى : « فبما ر حمّ م من الله لنثت لهم (٢) •

⁽۱) المثل السائر ج۱ ص ۳٦۸ .

٣٦ سورة يوسف ، الايسة ٣٦ .

⁽٣) سورة آل عمران ، الآية ١٥٩ .

وتسمية الشيء بحكمه كقوله تعالى: « وامرأة مؤمنة إن و محبت نق مؤمنة إن أراد النبي أن يستنكحها »(١) و هبت نق سلما للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها المدى و النقصان الذى لا يبطل به المعنى كحذف الموصوف واقامة الصفة مقامه كقوله تعالى: « و مَن يكسب خطيئة أو إثما ثم ير م به بريئا »(٢) أي شخصا بريئا ٠

وكحذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه كقوله تعالى «واسْأَلُ القَرْ يَهُ ﴾ (٣) ، أي : أهلها ٠

وهذه الانواع التي ذكرها الغزالي لا تختص كلها بالمجاز المرسل ، وانما فيها ما يتعلق بالاستعارة ، ومجاز الزيادة ، ومجاز الحذف ، ولكن اكثرها مما ادخله المتأخرون في المجاز المرسل .

وتكلم عبد القاهر عليه في بحث الاستعارة ، ولم يسمع ، لانه قسم الاستعارة الى مفيدة ، وغير مفيدة ، وجعل غير المفيدة ما استعملت في شيء بقيد مع كونها موضوعا لذلك الشيء بقيد آخر من غير قصد التشبيه ، وصرّح بأن الشفة والانف موضوعان للعضوين المخصوصين من الانسان ، فان قصد التشبيه صار اللفظ استعمارة كفولهم في مواضع الذم « غليظ المشفر » فأنه بمنزلة أن يقال كمأن شفته في الغلظ مشفر البعير وعليه قول الفرزدق:

فلو كنت ضبياً عرفت قرابتي ولكن ّ زنجري عليظ المشافر (١٠)

وتكلم السكاكى عليه ، ولم يسمه مجازا مرسلا ، وانما قسسم المجاز اللغوى الى مفيد وخال عن الفائدة ، يقول عن غير المفيد « المجاز اللغوى الراجع الى معنى الكلمة غيرالمفيد هوأن تكون الكلمة

⁽١) سورة الاحزاب ، الآبية ٥٠ .

⁽٢) سورة النساء ، الآية ١١٢ .

⁽٣) سورة يوسف ، الآيــة ٨٢ .

⁽٤) ينظر اسرار البلاغة ص ٣٦ وما بعدها والايضاح ص ٢٧٧٠

موضوعة لحقيقة من الحقائق مع قيد فتستعملها لتلك الحقيقة لا مع ذلك القيد بمعونة القرينة » (١) • مثل أن تستعمل المرسن وأنه لمعنى الاتف مع قيد أن يكون اتف مرسون استعمال الاتف مسن غير زيادة قيد بمعونة القرائن كقول العجاج:

وفساحما ومرسنا مسترسجا

ويقول عن الآخر: « المجاز اللغوي الراجع الى المعنى المفيد الخالي عن المبالغة في التشبيه ، وهو ان تعدى الكلمة عن مفهو مها الاصلى بمعونة القرينة الى غيره لملاحظة بينهما ونوع تعلق ، نحو أن تراد النعمة باليد »(٢) • وهذا النوع هو الذي اطلق عليه المتأخرون اسم: « المجاز المرسل » •

والمجاز المرسل عند السكاكي نوع من الاستعارة ، فاذا كانت المشابهة في العلاقة قوية بحيث يمكن ادعاء ان هذا هـــو ذاك كان استعارة ، وإلا كان مجازا مرسلا ، ويشهد لصحة ذلك قول السكاكي في المجاز المرسل انه « الخالي عن المبالغة في التشبيه » ، ولم يقل « الخالي عن التشبيه » ، وهذا قريب من رأي عبدالقاهر ،

وتابع بدر الدين بن مالك السكاكي في تقسيم المجاز ولم يكأ ت بتقسيم جديد (١٥ هـ) وكان بحث ابن قيم الجوزية (٧٥١ هـ) معاصرً القزويني من اوسع بحوث المجاز المرسل ، واكثرها تفصيلا .

وخطا القزويني خطوة حسنة في دراسة المجاز المرسل ، وذكر لــه تسعة وجوه غير اطلاق اليد على النعمة والقدرة بعلاقة المجاورة ، وقد ذكر التفتازاني ان انواع العلاقة المعتبرة فيـــه كثيرة ترتقي الى خمسة وعشر بن (١) ،

⁽١) مفتاح العلوم ص ١٧٢.

⁽٢) مفتاح العلبوم ص ١٧٢٠.

⁽٣) المصباح ص ٥٩ وما بعدها .

⁽٤) المطول ص ٥٥٥ .

والانواع التي ذكرها القزويني غير ما ذكر في اول ِبحثه هي :

تسمية الشيء باسم جزئه كالعين في الربيئة وعليه قوله تعالى: « قم الليل َ إِلا قليلا » (١) أي: صكر من و نحوه: « ولا تكتُم فيه ابدا» أي: لاتصل م

ومنها عكس ذلك أي التجوز باسم الكل عن الجزء كقوله تعالى: « يجعلون ً اصابعهم في آذانهم »(٢) •

ومنها تسمية المسبب باسم السبب كقولهم « رعين الغيث » أي النبات ، وعليه قوله تعالى : « فكن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » (٣) وعليه قول عمرو بن كلثوم :

ألا لا يجهلَن ° أحد" علينا فنجهل فوق جَهـ الجاهلينا

ومنها تسمية السبب باسم المسبب كقولهم « امطرت السماء نباتا» وقوله تعالى: « وأنزل كم من الأنعام ثمانية أزواج » (٤) وقوله: « و يُثنز ل ل كم من السَّماء ر ز قا » (٥) • وجعل من هذا النوع قولهم « فلان اكل الدم » أي الدية التي هي مسببة عن الدم ، قال الشاساعر:

أكلت دما ادلم ارعك بضر "ق بعيدة مهوى القرط طيبة النكش مر

وقد رد التفتازاني عليه قائلا « وأورد في الايضاح في امثلة نسمية السبب باسم المسبب قولهم « فلان اكل الدم » أي الدية المسببة عن الدم وهو سهو ، بل هو من تسمية المسبب باسم السبب »(٦) •

⁽١) سورة المزمل ، الآية ٢ .

⁽٢) سورة البقرة ، الآية ١٩ .

⁽٣) سورة البقرة ، الآية ١٩٤ .

⁽३) سورة الزمر ، الآپة ٦ .

⁽٥) سورة غافر ١١٠يـة ١٣٠٠

⁽٦) المختصر ج٤ ص ٣٨ ، وينظر مواهب الفتاح ج٤ ص ٣٩ .

ومنها تسمية الشيء باسم ما كان عليه كفوله عز وجل: « وآتوا اليكتامي أمثو الهم »(١) اي الذين كانوا يتامي اذ لا يُتهُم بعد البنوغ. ومنها تسمية الشيء باسم ما يؤول اليه كقوله تعالى: « إني أراني أعصر خكرا »(٢) أي: عنباً .

ومنها تسمية الحال باسم محله كقوله تعالى : « فكثيت دع مناديه » أي اهل ناديه ٠

ومنها عكس ذلك نحو قوله تعالى : « وأما الذين ابيضتَّتْ وجوهتُهُم ففي رحمة ِ الله ِ » (١) • أي في الجنة •

ومنها تسمية الشيء باسم آلته كقوله تعالى: « وما أر°سكنا من رسول إلا" بلسان قومه » (ه) أي بلغة قومه ، وقوله تعالى «واجعل لي لسان صد ق في الآخرين) «(١) ، اي ذكرا جميلا ، وثناء حسنسساً .

واكتفى القزويني بذكر هذه الانواع ووضع للمجاز المرسل قاعدة عامة ، يقول : « وكذا غير ذلك مما بين معنى اللفظ وما هو موضوع له تعلق سوى التشبيه »(۲) • وكان اهماله لكثير من انواعه مشار نقد المتأخرين مما سنذكر بعضه في فصل آخر •

ولم يوضح القزويني بلاغة المجاز المرسل واهميته لانه يراه قسما من المجاز الذي تكلم على أهميته بصورة عامة بعد ان انتهى من بحثه، والاديب عندما يستعمل هذا النوع من المجاز لا يستعمله عبث وانما

⁽١) سورة النساء ، الآية ٢ .

⁽٢) سورة يوسف ، الآيــة ٢٦ .

⁽٣) سورة العلق ، الآية ١٧ .

⁽٤) سورة آل عمران ، الآية ١٠٧ .

⁽٥) سورة ابراهيم ، الآية ؟ .

⁽٦) سورة الشعراء ، الآية ٨٤ .

⁽٧) الإيضاح ٢٧٦٠

يجد فيه تعبيرا عن فكرته وافصاحا عن عواطفه ومشاعره لما بين السبب والمسبب ، او الجزء والكل او غير ذلك من علاقة واضحة يدركها بشعوره ويحسها بملكته الادبية ، وقد احسن المغربي في بيان بلاغت حينما قال : « ان الانتقال في المجاز المرسل واضح والابلغية فيه ليست الا من جهة تقرير المراد في الذهن لاشعار الملزوم باللازم ، وسروق القرينة الى خصومه فكأنه قرر مرتين »(۱) •

⁽۱) مواهب الفتاح ج} ص ۲۷۲

الاستعارة:

لعل الجاحظ أول من عرّف الاستعارة بقوله « الاستعارة تسمية الشيء باسم غيره اذا قام مقامه » (۱) ، وهذا تعريف لغوي ليس فيه حصر لانواعها ، وتابعه البلاغيون الاوائل كابن قتيبة ، والمبرد ، وابن المعتز ، وكان عبد القاهر من أدق الذين حصروا هذا المصطلح حصرا منطقيا حيث يقول : « الاستعارة ان تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع ان تفصح بالتشبيه ، وتظهره ، وتجيء الى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه »(۲) ، و كذاتم بحثها على التشبيه ، والتمثيل ، لانه يحلها بين فنون القول مكانة رفيعة ، وقاساتها الى استعارة مفيدة وغير مفيدة ، وتكلم على الحقيقية ، والتخييلية ، والتمثيلية ،

وجاء الرازي فضبط أقسامها ، وحدد رسومها ، وذكر الاصلية والتبعية ، وتكلم على ترشيح الاستعارة وتجريدها والاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية (٢) ، واستفاد السكاكي من الرازي ويكاد تعريفه للاستعارة وتقسيمها الى عدة انواع لا يخرج عما ذكره ، يفول في تعريفها : «هي ان تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر

⁽۱) البيان والتبيين ج١ ص ١٥٣ ٠

⁽٢) دلائل الاعجاز ص ٥٣٠

⁽٣) نباية الايجاز في دراية الاعجاز ص ٨٩ ، ٩٢ ، ١٠٢ .

مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به ، دالاً على ذلك باثباتك للمشبه ما يخص المشبه به » (۱) • وفي هـذا التعريف حصر للاستعارة التصريحية والمكنية ، وهو أدق التعريفات تحديدا ، وأحسنها ضبطا ويعتبر السكاكي هذا انتعريف أحسن من تعريف الذي قال : « إنها نقل العبارة من معني الى معنى » ، لان الاستعارة لا يمكن ان تكون الا ادعاء لا نقلا لان فيها ما لا يتصور تقدير النقل فيه كقول لبيد :

وغداة ريح قد كشمت وقرة و اذ أصبحت بيد الشمال زمامها

انه لا يمكن أن تزعم أن لفظ « اليد » قد نقل عن شيء الى شيء الانه ليس المعنى على أنه شبه شيئا باليد فيمكن أن تزعم أنه نقل لفظ اليد اليه ، وانما المعنى أنه اراد أن يثبت للشمال في تصريفها الغداة على طبيعتها شبه الانسان قد اخذ الشيء بيده يقلبه ويصرفه كيف يريد ، ولا يمكن أن يكون هذا الادعاء • وكان عبد القاهر أول من تنبه الى الاستعارة ادعاء الاسم للشيء لا نقل الاسم عن الشيء (٢) •

وقسمها السكاكى انى ثمانية أنواع: الاستعارة المصرح بهسا التحقيقية مع القطع ، الاستعارة المصرح بها التخييلية مسع القطع ، الاستعارة المصرح بها المحتمل للتحقيق والتخييل ، الاستعارة بالكناية، الاستعارة الاستعارة الاستعارة الاستعارة وترشيحها .

ولم يبتعد القزويني عن السكاكي وهو يختصر « مفتاح العلوم» أو يشرح تلخيصه فقسم المجاز المفرد الى مجاز مرسل واستعارة ، والاستعارة عنده : « هي ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له» (٣) وهذه هي الاستعارة التحقيقية عنده ، أو التصريحية التي يذكر فيها

⁽۱) مغتاح العلوم ص ۱۷۴ .

⁽٢) دلائل الاعجاز ص ٣٣ وما بعدها .

⁽٣) الايفــا- س ٢٧٨ .

المشبه به دون المشبه و سبب تقييد هذا النوع من الاستعارة بالتحقيقية لتحقق معناها حسا او عقلا ، أي التي تتناول أمرا معلوما يمكن ان ينص عليه ويشار اليه اشارة حسية أو عقلية فيقال: أن اللفظ نقل من مسماه الاصلي فجعل اسما له على سبيل الاعارة للمبالفة في التشبيسه .

ومثال الحسي: « رأيت أسدا »أي: رجلا شجاعا ، والعقلي: «ابديت نورا» أي: حُبُّة ، يقول عبدالقاهر عن هذه الاستعارة: «فالاسم في هذاكله كما تراه متناولا شيئا معلوما يمكن أن ينص عليه فيقال انه عنى بالاسم وكنى به عنه ونقل عن مسماه الاصلي فجعل اسما له على سمبيل الاستعارة والمبالغة في التثبيه »(١) •

ونبه القزويني الى ما ذكره فى بحث التشبيه من حذف اداةالتشبيه هل يكون تشبيها أو استعارة ووضع هاتين القاعدتين :

الاولى: ان لا يكون المشبه مذكورا ولا مقدرا مثل « رنت لنا ظَهَيَّهُ " » وأنت تريد امرأة ، وهذا بلا خلاف ليس بتشبيه وان الاسم فيه استعمارة .

الثانية: ان يكون المشبه مذكورا أو مقدرا ، فاسم المشبه به ان كان خبرا أو في حكم الخبر كخبر «كان »و «إن » والمفعول الشاني لباب «علمت » ، والحال ، فالاصح أن يسمى تشبيها ، وأن الاسم فيه لا يسمى استعارة .

وان لم یکن اسم المشبه به خبرا للمشبه ولا فی حکم الخبر کقولهم « رأیت بفلان اسدا » و « لقینی منه است. » سمی تجرید! ، ولم یُسکم استعارة ، لانه انما یتصور الحکم علی الاسم بالاستعارة اذا جری بوجه علی ما یدعی انه مستعار له ، اما باستعماله فیه ، أوبا ثبات

⁽١) اسرار البلاغة ص ٥١ .

معناه له ، والاسم في مثل هذا غير جار على المشبه بوجه ، ولانه يجيء على هذه الطريقة ما لم يتصور فيه التشبيه فيظن انه استعارة كقول تعالى : « لهم فيها دار والخلاد »(١) اذ ليس المعنى على تشبيه جهنم بدار الخلد اذ هي نفسها دار الخلد ، وكقول الشاعر :

يا خير من يركب المطبي ولا يشرب كأسا بكف من بخيلا

فانه لا يتصور فيه التشبيه ، وانما المعنى انه ليس ببخيل ، ولا يسمى تشبيها ، لان اسم المشبه به لم يجتلب فيه لاثبات التشبيه .

والاستعارة عنده مجاز لغوى ، ودليله على ذلك كونها موضوعة للمشبه به لا للمشبه ولا لامر اعم منهما ، كالاسد فانه موضوع للسبع المخصوص لا للرجل الشجاع ولا للشجاع مطلقا، لانه لو كانموضوعا لاحدهما لكان استعماله في الرجل الشجاع من جهة التحقيق لا من جهة التشبيه ، وايضا لو كان موضوء للشبجاع مطلقا لكان وصفا لاسم جنس ، وهو في ذلك يتابع السكاكي في جعلها مجازا لغويا ، وليس له او لاستاذه ان يرى غير هذا الرأي ، لان السكاكي انكر المجاز العقلي ، ونظمه في سلك الاستعارة بالكناية ، وليس عنده الا المجاز اللغوي ، وبحث القزويني العقلي " في الاسناد ، ولم يدخله في علم البيان ، ولم يبق الا المجاز اللغوي فعد الاستعارة منه ،

وعرض القزويني رأي من يذهب الى ان الاستعارة مجاز عقلي ، سعنى ان التصرف فيها في امر عقلي لا لغوي لانها لا تطلق على المشبه الا بعد ادعاء دخوله في جنس المشبه به ، لان نقل الاسم وحده لوكان استعارة لكانت الاعلام المنقولة كر « يزيد » و « يشكر » استعارة ، ولما كانت الاستعارة ابلغ من الحقيقة لانه لا بلاغة في اطلاق الاسسم المجرد عاربا عن معناه ، ولما صح ان يقال لمن قال « رأيت اسدا » بعني زيدا: انه جعله اسدا .

⁽١) سورة فصلت ، الآية ٢٨ ٠

واذا كان نقل الاسم تبعا لنقل المعنى كان الاسم مستعملا فيما وضع له ولهذا صبح التعجب في قول ابن العميد:

> قـــامت تـُـظللني من الشَّـمس ِ فـــامت° تـُظللني ، ومن عـَـجَب ٍ

شكميْس" أعز علي من تكيي شكميْس" تظللني من الشمس

والنهي عنه في قول الآخر :

قد زَرَ أزراره على القَمَرِ

لا تعجبوا من بلى غلالتـــه

وقولىــه:

نور" من البدر أحيانا فيبليها والبدر في كل وقت طالع" فيها تری الثیاب من الکتان یلمحها فکیف تنکر أ°نتبلی معاجرها^(۱)

ولكن القزويني لا يرى هذا الرأى ، ويرجت أن الاستعارة مجاز لغوي ، وينقض هذا الرأي بقوله : « والجواب عنه أن ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به لا يخرج اللفظ عن كونه مستعملا في غير ما وضع له ، واما التعجب والنهى عنه فيما ذكر فلبناء الاستعارة على تناسى التشبيه قضاء لحق المبالغة »(٢) .

وهنا يعترضه سؤال من قال : إِنَّ اصدرار المتكلم على ادعاء الاسدية للرجل ينافي نصب قرينة مانعة من ان يراد به السبع المخصوص • ويجيب القزويني قائلا « لا منافاة » وهنا يستعين بما ذكره السكاكي •

ووجه التوفيق كما ذكر السكاكي أن تبنى دعوى الاسدية للرجل على ادعاء أن افراد جنس الاسد قسمان بطريق التأويل: متعارف وهو

⁽١) المعجر: ثوب تشده المرأة على رأسها ٠

⁽٢) الايضاح ص ٢٨٦٠

الذي له غاية الجرأة ونهاية قوة البطش ، مع الصورة المخصوصة ، وغير متعارف وهو الذي له تلك الجرأة وتلك القوة لا مع تلك الصورة بل مع صورة اخرى على نحو ما ارتكب المتنبي هذا الادعاء في عد نفسه وجماعته من جنس الجن ، وعد جماله من جنس الطير حين قال :

نحن قوم" م الجن في زي ناس فوق طير لها شخوص الجمال

مستشهدا لدعواه هاتيك بالمخيلات العرفية ، وان تخصص القرينة بنفيها المتعارف الذي يسبق الى الفهم ليتعين الآخر .

ومن البناء على هذا التنويع قول عمرو بن معد يكرب الزبيدى : وخيل قد دلفت لها بخيل من تحية بينهم ضرب وجيع من و

وقولهم «عتابك السيف» وقوله تعالى « يَـوَ°مَ لا يَسَـُفعُ مالُّ ولا بنون َ ، إِلاَّ مَـن ْ أَتَى الله َ بقلبٍ سليم »(١) ومنه قول الشاعر : وبلدة ٍ ليس بها أنيس ُ الا اليعافير ُ وإِلاَ العيس ْ(٢)

ولا نرى لهذه التعنيلات فائدة في فهم الاستعارة ، وتذوقها ، وكان عليهما أن يبتعدا عن هذا التمحل والاغراق في التأويل ، وان الاستعارة سواء كانت مجازا لغويا أم عقليا تورث الكلام حسنا وجمالا ، وتضفي على الادب خيالا وصورا رائعة ، ولا يقع الاديب في ورطة الكذب ان استعملها لانها تفارقه من وجهين : بناء الدعوى فيها على التأويل ، ونصب القرينة على أن المراد بها خلاف ظاهرها ، وهسنذان الامران يمنحانها القوة في التعبير والتأثير العظيم ،

وقرينة الاستعارة اما معنى واحد مثل « رأيت أسدا يرمي » : أو

⁽۱) سورة الشعراء ، الايتان ۸۸ - ۸۹ .

⁽٢) ينظر مفتاح العلوم ص ١٧٦ والايضاح ص ٢٨٦ – ٢٨٧ .

أكثر كقول بعض العرب:

فان تعافوا العدل والايسانا فإن في أيمانسا نيرانسا

أي سيوفا كأنها شعل نيران •

أو منعان مربوط بعضها ببعض كما في قول البحتري:

وصاعقة ٍ من نصله ِ تنكفي بها على أرؤس ِ الاقران حُمس ُ سحائب ِ

عنى بـ « خمس سحانب » انامل الممدوح .

وقسسهم القزويني هذا النوع من الاستعارة اقساما كثيرة ، قسمها باعتبار الطرفين ، وباعتبار الجامع ، وباعتبار طرفيها والجامع معا ، وباعتبار اللفظ ، وباعتبار الخارج ، وهذه تقسيمات لم نرها عند المتقدمين وسنشرع بذكرها لانها جديدة وجديرة بالعرض والتحليل ،

ا - انقسام الاستعارة باعتبار الطرفين:

وهى قسمان ، لان اجتماعهما اما ممكن أو ممتنع ، والاولى وفاقية ، والثانية عنادية ، أما الوفاقية فكقوله تعالى « أحييناه » في قوله « أو مكن ° كان مكي تا فأحييناه » (١) ، فان المراد هديناه ، وأما العنادية فمنها ما كان وضع التشبيه فيه على ترك الاعتداد بالصفة وان كانت موجودة لخلوها مما هو ثمرتهاوالمقصود منهاواذا ما خلت منه لم تستحق الشرف كاستعارة اسم المعدوم للموجود اذا لم تحصل منه فائدة من الفوائد المفلوبة من مثله ، فيكون مشاركا للمعدوم في ذلك ، أو اسم الموجود للسعدوم اذا كانت الآثار المطلوبة من مثله موجودة العاصرة المحمد منه المحمد منه المحمد عنه المحمد منه المحمد في ذلك ، والضدن المحمد والمحمود في ذلك او اسم الميت للحي المحمد في ذلك ، والضدن ان كانا قابلين للشدة والضعف كان استعارة للسيت في ذلك ، والضدن ان كانا قابلين للشدة والضعف كان استعارة

١٠ صورة الإنعام ، الأيسة ١٢٢ .

اسم الاشد للاضعف اولى ، فكل من كان اقل علما واضعف قوة كان اولى بان يستعار له اسم الميت ، وكذا في جانب الاشد فكل من كان اكثر علما كان اولى بأن يقال له « انه حي » وكذا من كان اشرف علما وعليه قوله تعالى : « او من كان ميتا فاحييناه » •

وأدخل القزويني في هذا النوع ما سمي بالأستعارة التهكمية او التمليحية ، وذلك اذا استعمل في ضد معناه او نقيضه كقوله تعالى : « فَبَسُتُر ْهُمُ م ْ بعذابٍ أليم ٍ » (١) •

٢ - انقسام الاستعارة باعتبار الجامع:

وهي قسمان :

أحدهما : ما يكون الجامع فيه داخلا في مفهوم الطرفين كاستعارة الطيران للعد و ، كقول الشاعرة ترثى قتيلاً :

لو يشـــاً طاربه ذو ميعــة للحق الآطال ِنهـُد ُ ذو خصل (٢)

وكاستعارة الفيض لانبساط الفجر في قول الشاعر:

يتراكمون على الاسنة في الوغى كالفجر فاض على نجوم الغيهب

وكاستعارة التقطيع لتفريق الجماعة وابعاد بعضهم عن بعض في قوله تعالى : « و ُقَطَّعُ ناهم في الأرضِ أُ مَمَا »(٢) • وكاستعارة الخياطة لِمَرَ د الدرع في قول القطامي :

لم تلق قوما هم شر ً لاخوتهم منتاعتشية يجري بالدم الوادي نقريهم لهذميات نتقده بها ما كان خاطعليهم كلل وركاد (٤٠)

⁽۱) سورة آل عمران ، الآیة ۲۱ .

⁽٢) ميعة القرس: أول جريه الأطال جمع أطل: الخاصرة ، نهد الفرس: كان نهد ، ونهـــد: أسرع .

⁽٣) سورة الاعراف ، الآيسة ١٦٨ .

آ٤) اللهذم: الحاد القاطع من السيوف •

وكاستعارة النثر لاسقاط المنهزمين وتفريقهم في قول المتنبي: هُوَتُهُ الْمُعُونُ الْعُرُوسِ الدراهمُ لَتُرْتُهُمْ فُوقَ الْعُرُوسِ الدراهمُ للشرَّتُهُمْ فُوقَ الْعُروسِ الدراهمُ

والثانى: ما يكون الجامع فيه غير داخل في مفهوم الطرفين مثل قولك: « رأيت شمسا » أي انسانا يتهلل وجهه، فالجامع بينهما التلألؤ، وهو غير داخل في مفهومهما ٠

وتتقسم باعتبار الجامع ايضا الى عامية وخاصيّيّة ، فالعامية المبتذلة لظهور الجامع فيها مثل « رأيت اسدا » • والخاصية الغريبة التى لا يظفر بها الا من ارتفع عن طبقة العامة كقول طفيل الغنوي :

وجعلت كُوري فوق ناجية يقتات شكحهم سنامها الرَّحُلُ (١)

والغرابة قد تكون في الشبه نفسه كقول يزيد بن مسلمة :

واذا احتبى قر َ بوسك بعنانه علك الشكيم الى انصراف الزائر (٢)

شبه هيئة العنان في موقعه من حنو السرج بهيئة الثوب في موقعه من ركبة المحتبي • وقد تحصل بتصرف في العامية ، كما في قول الشماعير :

ولما قضينا من منى كل حاجة ومستَح بالأركان من هو ما سح وشدت على دهم المهارى رحالنا ولم ينظر الغادي الذي هو رائح أخذنا باطراف الاحاديث بيننا وسالت باعناق المطتي الأباطح

وكقول ابن المعتز :

سالت عليه شعاب ُ الحي حين دعا أنصاره َ بوجوه كالدنانير

⁽¹⁾ الكور : الرحل، وهو ما يجعل على ظهر الجعل كالسرح ، الناجية : الناقة السريع ، الناجية : الناقة السريع ، (٢) احتبى احتباء : جمع بين ظهره وساقيه بعمامة ، بالتوب اشتمل به والتف ، الفريوس : حنو السرج ، اي قسمه المفرس المرتفع من قدام المقعد ومؤخره ، الشكبم ، حديده اللجام المعترضة في فم الفرس ،

وقد تحصل الغرابة في الجمع بين عدة استعارات لالحاق الشكل بالشكل كقول امرىء القيس:

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازاً وناء بكلكل

ولم يخرج القزويني في تحليل هذه الامثلة عن عبد القاهر وتحليله واعجابه بالاستعارات(١) •

٢ ـ انقسام الاستعارة باعتبار طرفيها والجامع:

وهي ستة أقسام:

استعارة محسوسلحسوس بوجه حسي كقوله تعالى: «فأخرر ج لهم عجد الله عبد الله خوار " " (") و فالمستعار منه ولد البقرة والمستعار له الحيوان ، والجامع لهما الشكل والجميع حبي واستعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلي كقوله تعالى: « وآية "لهم الليل نكسك خ منه النهار " " " و فالمستعار منه كشط الجلد وازالت عن الشاة ، والمستعار له ازالة الضوء عن مكان الليل وهما حسيان ، والجامع لهما ما يعقل من ترتب أمر على آخر و واستعارة محسوس لمحسوس بما بعضه حسي وبعضه عقلي مثل « رأيت شمسا » أي انسانا شبيها بالشمس في حسن الطلعة ونباهة الشأن و

واستعارة معقول لمعقول كقولسه تعالى: « مَن ْ بَعَثْنَا مِن ْ مَرَنْ بَعَثْنَا مِنْ مِرقَدِ نَا »(٤) فالمستعار منه الرقاد ؛ والمستعار له الموت ، والجامع لهما عدم ظهور الافعال: والجميع عقلي ٠

واستعارة محسوس لمعقول كقوله تعالى : « فاصَّد َع ْ بمــــا

⁽١) ينظر دلائل الإعجاز ص ٥٨ وما بعدها ؛ والايضاح ص ٢٩٢ وما بعدها

⁽٢) سيررة طه ، الآية ٨٨ .

⁽٣) سورة بس ، الآية ٣٧ .

⁽٤) سيورة يس ، الآية ٥٢ .

تُـوُ °مـر ^ »(١) • فان المستعار منه صدع الزجاجة وهوحسي والمستعار له تبليغ الرسالة والجامع لهما التأثير وهما عقليان •

واستعمارة معقول لمحسوس كقوله تعالى: « إنّا لَمَّا طَعْمَى المَاءُ » (٢) فالمستعار منه التكبر والمجامع الاستعلاء المفرط وهما عقليان .

وكان الرازى والسكاكى قد قسماها الى استعارة اسم المحسوس للمحسوس بسبب المشاركة في وصف محسوس ، واستعارة المحسوس لمعقول ، واستعارة المحسوس للمعقول ، واستعارة المعقول للمحسوس (٣) .

وأخذ القزويني هذا التقسيم وأضاف اليه قسما سادسا ، وهو استعارة محسوس لمحسوس بما بعضه حسي وبعضه عقلى و ولعل الرجلين اهملاه لشهرته ، ولان معظم الاستعارات المعروفة من هالنوع ، وقد علل التفتازاني اهمال السكاكي لهذا النوع بقوله: « وقد أهمل صاحب المفتاح هذا القسم لندرة وقوعه ، ولانه في الحقيقة استعارتان ، فان الجامع في احداهما حسي وفي الاخرى عقلى ، فيدخل فيما تقدم ولا يكون نوعا آخر » (1) ، وللسبكي كلام قريب من هذا ، وان اختلف عنه بعض الاختلاف ،

ويمتاز القزويني عن الرازى والسكاكي انه لم يك شك بالنقل، وانما حك م ذوقه وعقله في كثير من الامثلة، ومن أمثلة نقده ما قاله في قوله تعالى: « واشتعل الرأس شيبا »(٦) فقد جعله الرازي

١) سورة الحجر ، الآية ١٤ .

⁽۲) سـورة الحاقة ، الآية ۱۱ .

٣٠ نهاية الايجاز في دراية الاعجاز ص ٩٩ ، ومفتاح العلوم ص ١٨٤_١٨٨ .

⁽٤) المطـول ص ٣٧٠٠

⁽٥) عروس الافراح ج} ص ١٠٢٠

⁽٦) سـورة مريم ، الآية ؟ .

والسكاكي من استعارة محسوس لمحسوس بوجسه حسي ، ورأى القزويني أنها ليست من هذا النوع ، يقول: « واما قوله تعسالي: « واشتعل الرأس شيبا » فليس مما نحن فيه وان عد منه ، لأن فيه تشبيهين: تشبيه الشيب بشواظ النار في بياضه وانارته ، وتشبيسه انتشاره في الشعر باشتعالها في سرعةالانبساط مع تعذر تلافيه والاول استعارة بالكناية والجامع في الثاني عقلي ، وكلامنا في غيرهما » (۱) ، ومن أمثلة ذلك ما ذكره في استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلي فقد جعل السكاكي منه قوله تعالى: « إذ "أر "سلنا عليهم الريح العقيم » (۲) وقال: « فالمستعار له الريح ، والمستعار منه المرء ، والجامع المنع من ظهور النتيجة والأثر فالطرفان حسيان ووجه الشبه عقلي » (۲) ، ورد عليه قائلا: « وفيه نظر ، لان العقيم صفة للمرأة لا اسم لها ، وكذلك جعلت صفة للريح لا اسما ، والحق أن المستعار منه ما في المرأة من الصفة التي تمنع من التي تمنع من الحمل ، والمستعار له ما في الريح من الصفة التي تمنع من انشاء مطر والقاح شجر والجامع لهما ما ذكر » (٤) .

٤ - انقسام الاستعارة باعتبار اللفظ:

وهي قسمان ، لأنه ان كان اسم جنس فأصلية كأسد وقتل ، وإلا فتبعية كالافعال والصفات المشتقة منها والحروف ، لان الاستعارة تعتمد التشبيه والتشبيه يعتمد كون المشبه موصوفا وانما يصلح للموصوفية الحقائق والصفات المشتقة منها والحروف ، ومدار قرينة التبعية في الافعال والصفات المشتقة منها على نسبتها الى الفاعل كما في قولنا «نطقت الحال » ، او الى المفعول ، كقول ابن المعتز :

جُمع الحق لنا في امام قَتكل البُخلُ وأحيا السَّماحا

⁽١) الايضاح ص ٢٩٦، وينظر نهاية الايجاز في دراية الاعجاز ص ٩٩ ومفتـــاح العلـــوم ص ١٨٣٠

⁽٢) سورة الذاريات ، الآية ١١ .

 ⁽۳) مفتاح العلوم ص ۱۸۲ - ۱۸۶ .

⁽٤) الايضاح ص ٢٩٧٠

أو الى المفعولين الاول والثاني كقول الحريري :

واقري المسامع إما نطقت عياناً يقودالحر و ن الشَّموسا

او الى المجرور كفوله تعالى: « فبشّر همّم بعذاب أليم »(١). • وأضاف السكاكي أنها تكون الى الجميع كقول الشاعر:

تقرى الرياح رياض الحزن مزهرة ً اذا سرى النوم في الاجفان إيقاظا

ولم يقبله القزويني ورأى ان فيه نظرا^(٣) .

ه ـ انقسام الاستعارة باعتبار الخارج:

وهي ثلاثة أقسام: المطلقة: وهي التي لم تقترن بصفة ولا تفريع كلام، والمراد المعنوية لا النعت. والمجردة: وهي التي قرنت بما يلائم المستعار له كقول كثير:

غسر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال

وعليه قوله تعالى: «فأذاقها الله لباس الجوع والخوف » (") واختلف الزمخشرى والسكاكى في استعارة هذه الآية فذهب الأولى النها استعارة عقلية ، يقول: «فأن قلت: الأذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحتهما والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة ايقاعهما عليه ؟ قلت: أما الاذاقة فقصد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر واذاقه العذاب ، شبه ما يدرك من أثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر والبشع ، وأما اللباس فقد شه به به

⁽١) سيورة آل عمران ، الآية ٢١ .

⁽٢) الايضاح ص ٣٠٠ ، وينظر مفتاح العلوم ص ١٨١ .

⁽٣) سـورة النحل ، الآية ١١٢ .

لاشتماله على الملابس ما غشي الانسان والتبس به من بعض الحوادث ، واما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع والخوف فلأنه لما وقع عبارة عسا يغشى منهما ويلابس فكأنه قيل : فأذاقه الله ما غشيهم من الجوع والخوف »(۱) ، واعتبرها السكاكي استعارة حسية ، يقول : «الظاهر على اللباس عند اصحابنا الحمل على التخييل ، وان كان يحتمل عندي ان يحمل على التحقيق وهو أن يستعار لما يلبسه الانسان عند جوعهمن انتقاع اللون ورثاثة الهيئة »(۲) ، واستفاد القزويني من تفسير الآية في توجيه الاستعارة ،

والمرشحة: هي التي قرنت بما يلائم المستعار منه كقوله:

يُنازعني ردائي عبد عَمْرو رويدك يا أخا عمرو بن بكر بكر لي الشطر الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر (٦)

وعليه قوله تعالى: «أولئك الذين اشتروا الضَّلالة بالهُدى فما رَبِحْت تجارتُهم »(٤) • وقد يجتمع التجريد والترشيع كميا في قُول زهير:

لكدى أسدٍ شاكي السلاح مقذف له لبد أظفاره لم تثقلكم

ويرى القزويني ان الترشيح ابلغ من انتجريد لاشتماله على تحقيق المبالغة ، ولهذا كان مبناه على تناسي التشبيه حتى انه يوضع الكلام في علو المنزلة وضعه في علو المكان (٥) ه ونقل هنا الامثلة التي ذكرها السكاكي وزاد أمثلة اخرى ، ومعظم ما جاء به لا يخرج عما ذكره السكاكي في الامثلة والتعليل ، وما اروع عبارة السكاكي في هذا

⁽۱) الكشاف ج٢ ص ٩٨ ٠

٢) مفتاح العُلـوم س ١٧٩ .

⁽٣) اعتجر اعتجارا بالعمامة : لفها على رأسه ، ورد طرفها على وجهه .

⁽٤) سيورة البقرة ، الآية ١٦ -

⁽٥) الايفسياح س ٣٠٢ .

الموضوع: يقول بعد ان ذكر الامثلة: «أو ماترى هؤلاء فيما فعلوا كيف نبذوا أمر التشبيه وراء ظهورهم، وكيف نسبوا حديث الاستعارة كأن لم تخطر منهم على بال ولا رأوها ولا طيف خيال و واذا كانوامع التشبيه والاعتراف بالاصل يسوغون أن لا يبنوا الا على الفعل فهم الى تسويغ ذلك مع جحد الاصل في الاستعارة اقرب »(١) و وهذه نظرة بعيدة عن تمحلات الفلسفة وتعليلات المتحذلقين، وانها لالتفاتة حسنة من السكاكي الذي غاص في الفلسفة وعلم الكلام حتى نسي انه يبحث في فن جميل و

وبعد ان انتهى القزوينى من الاستعارة التحقيقية تحدث عـــن المجاز المركب وهو ما أشرنا اليه سابقا ، ثم عقد فصلا خاصا في « بيان الاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية (٢) وســب افرادهما أنهما عنده أمران معنويان غير داخلين في تعريف المجاز .

الاستعارة بالكناية:

و عرف الاستعارة بالكناية بقوله: «قد يضمر التشبيه في النفس فلا يصرح بشيء من أركانه سوى لفظ المشبه ، ويدل عليه بأن يثبت للمشبه أمر مختص بالمشبه به من غير أن يكون هناك أمر ثابت حساأو عقلا أجري عليه اسم ذلك الامر فيسمى التشبيه استعارة بالكناية أو مكنيا عنها ، واثبات ذلك الامر للمشبه استعارة تخييلية »(٢) .

وقرينة المكنية عنده يجب أن تكون تخييلية ، خلافا للزمخشرى الذي يذهب الى انه ليس من الواجب ان تكون تخييلية ، بل ان تكون تحقيقية فان في قوله تعالى : « يَنتْقَلَّضَتُونَ عَهد اللهِ »(١) استعارة بالكناية بتشبيه العهد بالحبل والنقض استعارة لابطال العهد ، وبذلك

⁽١) مفتاح العلوم س ١٨٣٠

⁽٢) الايفسام س ٣٠٩ وما بعدها .

⁽٣) الايضاح ص ٣٠٩٠

⁽٤) سيورة البقرة ، الآية ٢٧ .

وجد هذا النوع من الاستعارة بدون التخييلية (١) • وضرب القزويني لذلك مثلا قول لبيد:

وغداة ريح قد كشفت وقرة اذ أصبحت بيد الشمال زمامتها

فقد أثبت للشمال يداعلى سبيل التخييل مبالغة في تشبيهها بالانسان المصرف لزمامه • وان الامر المختص بالمشبه به المثبت للمشبه ، منه ما لا يكلمل وجه الشبه في المشبه به بدونه كما في قول أبي ذؤيب الهذلي:

واذا المنية أنشبت أظفار َها الفيت كُلُّ تميمة ٍ لا تنفع َ

ومنه ما به يكون قوام وجه انشبه في المشبه به كما في قول الشاعر: فلئن نطقت بشكر برر "ك" مفصحاً فلئن نطقت بالشكاية أناطئ

وذكر بيت زهير :

صحا القلب عن سلمي وأقصر باطلته وعثر ىأفراس الصبّباورواحيلته

ورأى أنه يحتمل أن يكون استعارة تخييلية ، أو استعارة تحقيقية يقول: «أما التخييل فأن يكون أراد ان يبين أنه ترك ما كان يرتكبه أو ان المحبة من الجهل والغي واعرض عن معاودته فتعطلت آلاته كأي امر وطنت النفس على تركه فانه تهمل آلاته فتنعطل ، فشبه الصبابجهة من جهات المسير كالحج والتجارة قضي فيها الوطر فأهملت آلاتها فتعطلت فأثبت له الافراس والروحل ، فالصبا على هذا من الصبوة بمعنى الميل الى الجهل ، والفتوة لا بمعنى الفتاء ، وأما التحقيق فان بكون اراد دواعي النفوس وشهواتها والقوى الحاصلة لها في استيفاء باللذات ، أو الاسباب التي قلما تتآخذ في اتباع الغي الأوان الصباه التحقيق فان اللذات ، أو الاسباب التي قلما تتآخذ في اتباع الغي الأوان الصباه المناه المناه المناه اللذات ، أو الاسباب التي قلما تتآخذ في اتباع الغي الأوان الصباه التي قلما تتآخذ في اتباع الغي الأول السباب التي قلما تتآخذ في اتباع الغي الأول السباب التي قلما تتآخذ في اتباء الغي الأول السباب التي قلما تتآخذ في اتباء الغي الأول السباب التي قلما تتآخذ في اتباء الغي الألف المناه المناه الته المناه المناه المناء المناه الته المناه المناه

⁽١) ينظر الكشاف ج١ ص ٩٠ والاطول ج٢ ص ١٦٣ وحاشية الدسوقي ج٤ ص١٥٩

⁽٢) الايضاح ص ٣١١ ٠

والامر في هذا النوع من الاستعارة لا يتعدى التخيل والوهسم والتقدير في النفس من غير أن يكون هنساك شيء يحس وذات تتحصل (۱) • ولعل تفريق عبد القاهر بين التحقيقية والتخييلية كان من أحسن ما كتب في هذا الموضوع ، فقد ذكر ان الفصل بين القسمين هو أنك اذا رجعت في القسم الاول الى التشبيه الذي هو المغزى من كل استعارة تفيد وجدته يأتيك عفوا ، وان رمته في القسم الثاني وجدت لا يواتيك تلك المواتاة وانما يتراءى لك التشبيه بعد ان تخرق اليه سترا ، وتعمل تأملا وفكرا ، وبعد أن تغير الطريقة وتخرج عسن الحسذو الاول .

وطريقة اخرى في بيان الفرق بين القسمين هو ان الشبه في القسم الاول وصف موجود في الشيء الذي استعرت له ، واليد في « اذ اصبحت بيد الشمال زمامها » ليست توصف بالشبه ولكنه صفة تكسبها اليد صاحبها وتحصل له بها وهي التصرف على وجه مخصوص »(۲) ،

والمكنية والتخييلية عند القزويني أمران معنويان أي فعلان من افعال المتكلم القائمة بنفسه ، وهما غير داخلين في تعريف المجاز الذي هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة ما نعة ، فالمجاز من عوارض الالفاظ ، وهما عنده ليسا بلفظين لان احدهما التشبيه المضمر والآخر اثبات لوازم المشبه به للمشبه ، وهذا خلاف ما ذكره عبد القاهر والزمخشري والسكاكي ، فقد ذهب الاولان الى ان الاستعارة بالكناية اسم المشبه به المحذوف والمرموز له باثبات شيءمن لوازمه للمشبه ، وصرح الزمخشري في تفسير قوله تعالى : « الكذين لوازمه للمشبه ، وصرح الزمخشري في تفسير قوله تعالى : « الكذين ين عند ميثاقه سي "" ، أن من اسرار

⁽۱) ينظير اسرار البلاغة ص ٥٣ .

⁽٢) اسراد البلاغة ص ٥٣ - ٥٨ .

⁽٣) سورة البقرة ، الآية ٢٧ .

البلاغة ولطائفها أن يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ، ثم يرمزوا اليه بذكر شيء من روادفه فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه ، ونحوه قولك « شجاع يفترس أقرانه وعالم يغترف منه الناس »(۱) .

وذهب السكاكى الى انها لفظ المشبه المستعمل في المشبه به ادعاء بقرينة استعارة ما هو من لوازم المشبه به لصورة متخيلة متوهمسة ويستفاد من كلام السكاكي في موضع من مفتاحه انها اسم المشبه به المحذوف، يقول: «ويسمى المشبه به مذكورا أو محذوفا مستعارا منه ، واسمه مستعارا ، والمشبه به مستعارا له »(٢) .

وللعصام رأي رابع في الاستعارة بالكتاية فقد ذكر بعد أن اورد رأي القدماء والسكاكي والقزويني ان الاستعارة بالكتاية فيما بين الاستعارات استعارة مقلوبة مبنية على التشبيه المقلوب لكمال المبالغة في التشبيه فهو ابلغ من المصرحة فكما ان قولنا: « ان السبع كالمنية » تشبيه مقلوب يعود الغرض منه الى المشبه به ، كذلك أنشبت اظفارها استعارة مقلوبة استعير بعد تشبيه السبع بالمنية المنية للسبع الادعائي ، واريد بالمنية معناها بعد جعلها سبعا تنبيها على ان المنية بلغت في الاغتيال مرتبة ينبغي ان يستعير السبع عنها اسمها دون العكس فالمنية وضعت موضع السبع " ورجح الانبابي في حاشيته على الرسالة البيانية رأي القزويني وجعله مستنبطا من كلام عبد القاهر (٤) .

الاستعارة التخييلية:

واختلف القوم في الاستعارة التخييلية ، فذهب عبــــد القاهر والزمخشري والقزويني الى انها اثبات لازم المشبه به للمشبه ، ورأى

⁽۱) الكشساف ج ۱ ص ۹۰ ۰

⁽١) مفتاح العلوم ص ١٧٤ .

⁽٣) الاطول ج٢ س ١٥٠٠

⁽٤) ينظر الايضاح ، طبعة خذاجي ، ج٥ هامش ص ١٤٠ .

السكاكي انها اسم لازم المشبه به المستعار الصورة الوهمية التي اثبتت نلمشبه ، وهي عند القزويني حقيقة ، ولفظ الاظفار في قول الشاعر: واذا المنية أنشبت أظفار ها ألفيت كل تميمة لا تكنفع م

مستعمل في معناه الحقيقي وليس مجازا اصلا ، وانما التجوز في اثباتها للمنيـــة .

حسن الاستعارة:

ووضع البلاغيون لحسن الاستعارة وجمالها شروطا ، يرى عبد القاهر ان جمالها يعود الى ما توخي في جملتها من نظم ، وما توخي في وضع الكلام من ترتيب على نحو خاص، وأخذ لذلك مثلا قول الشاعر: سالت عليه شعاب الحي حين دعا أنصاره بوجوه كالدنانسير

يقول: «فانك ترى هذه الاستعارة على لطفها وغرابتها انما تم لها الحسن ، وانتهى الى حيث انتهى بما توخي في وضع الكلام من التقديم والتأخير ، وتجدها قد ملحت ولطفت بمعاونة ذلك ومؤازرته لها ، وان شككت فاعمد الى الجارين والظرف ، فأزل كلا منها عن مكانه الذي وضعه الشاعر فيه فقل: « سالت شعاب الحي بوجوه كالدنانير عليه حين دعا أنصاره » ثم انظر كيف يكون الحال وكيف يذهب الحسن والحلاوة وكيف تعدم اريحيتك التي كانت ، وكيف تذهب النشوة التي كنت عجدها » (۱) ،

ويذكر أن سر جمالها ليس في نقل كلمة من معنى الى معنى ، لأن ذلك يفقدها قوتها بل يضيع معناها ، لاننا لو نقلنا « الاسد » من معناه الحقيقي الى معنى الرجل الشجاع لصار معنى « رأيت أسدا » رأيت رجلا شجاعا فتفقد الاستعارة قوتها ولا تكون أقوى من الحقيقة في

⁽۱) دلائل الاعجاز س ۷۸ .

شيء ولكن مصدر قوتها انما هي في ادعاء أن الرجل من جنس الاسد حقيقة له صفاته وطبيعته .

وذهب القزويني مذهبا آخر في التعليل ، ورأى أن من شروط جمال التحقيقية والتمثيل أن لا تشم رائحة التشبيه من اللفظ لذلك ينبغي أن يكون الشبه بين طرفيها جليا بنفسه أو عثر في أو غيره ، وإلا صار تعمية والغازا لا استعارة وتمثيلا ، وإذا ما قوي الشبه بين الطرفين بحيث صار الفرع كالاصل لم يحسن التشبيه ، وتعينت الاستعارة ، ويكون حسن المكني عنها برعاية جهات حسن التشبيه ، ولا تخرج عن هذه القاعدة الا التخييلية فأنه يرى أن حسنها بحسب حسن المكني عنها ، لانها لا تكون الا تابعة لهالاً ،

وبذلك لم يستطع القزويني ان يظهر لنا قيمة الاستعارة كما ينبغي وكما توحيه وربط بينها وبين التشبيه ، لانه يرى انها مبنية عليه ، وهذا على الدهب اليه عبد القاهر فاكد في كتبه انها ليست تخييلا وانما هي مبنية على التشبيه ، يقول : « واعلم ان الاستعارة لا تدخل في قبيل التخييل لان المستعبر لا يقصد الى اثبات معنى اللفظة المستعارة ، وانما يعمد الى اثبات شبه هناك فلا يكون مخبره على خلاف خبره ، وكيف يعرض الشك في أن لا مدخل للاستعارة في هذا الفن ، وهي كثيرة في التنزيل على ما لا يخفى كقوله تعالى : « واشتعل الرأس شيبا » ثم لا شبهة في أن ليس المعنى على اثبات الاشتعال ظاهرا ، وانما المراد اثبات في أن يسمه » (٢) ، وشرح معنى التخييل قائلا : « وجملة العديث الذي شبهه » (٢) ، وشرح معنى التخييل قائلا : « وجملة العديث الذي أن يده بالتخييل ههنا ما يثبت فيه الشاعر أمرا غير ثابت اصلا ويدعي ما ترى ، أما الاستعارة فان سبيلها سبيل الكلام المحذوف في انك اذا رجعت الى اصله وجدت قائله وهو يثبت أمرا عقليا صحيحا ويدعي

⁽١) ينظر الايضاح ص ٣١٧٠

⁽٢) اسرار البلاغية ص ٣١٠ ٠

دعوى لها شبح في الاصل • وستمر بك ضروب من التخييل هي أظهر أمرا في البعد عن الحقيقة تكشف وجهه في انه خداع للعقل وضرب من التزويق $^{(1)}$ •

ويؤكد عبد القاهر على ان الاستعارة ضرب من التمثيل فيقول: «أما الاستعارة فهى ضرب من التشبيه ونمط من التمثيل »(٢) • وهو عندما يعلل حسن الاستعارة يذكر ان حسنها يكون على قدر اخفاء التشبيه ، يقول: « واعلم ان من شأن الاستعارةانك كلما زدت ارادتك التشبيه اخفاء ازدادت الاستعارة حسنا حتى انك تراها أقرب ماتكون اذا كان الكلام قد أليف تأليفا ان أردت أن تفصح فيه التشبيه خرجت الى شيء تعافه النفس ، ويلفظه السمع ومثال ذلك قول ابن المعتز:

أشمرت أغصان راحتيه بجنان الحسن عنابا

ألا ترى انك إن حملت نفسك على ان تظهر التشبيه ، وتفصح به احتجت الى ان تقول: أثمرت أصابع يده التي هي كالاغصان لطالبي العسن شبيه العناب من اطرافها المخضوبة ،وهذا مالاتخفىغثاثته الحين ولكنه يرى أن الاستعارة ادعاء وليست نقلا ، لاننا في كثير من الاحيان نرى في الاستعارة ما لا يتصور تقدير النقل فيه ، يقول: «فقد تبين من غير وجه أن الاستعارة انما هى ادعاء معنى الاسم للشيء لا نقل الاسم عن الشيء و واذا ثبت انها ادعاء معنى الاسم للشيء علمت ان الذي قالوء من انها تعليق للعبارة على غير ما وضعت له في الغة ونقل لها عما وضعت له ، كلام قد تسامحوا فيه ، لانه اذا كانت الاستعارة ادعاء معنى الاسم لم يكن الاسم مزالا عما وضع له بل مقرا عليه » (٤) .

ولم يَنْسَ عبد القاهر وهو يتحدث عن حسن الاستعارة ومزيتها

⁽١) اسرار البلاغة ص ٣١١ ٠

⁽٢) اسرار البلاغة ص ٢٦٠

⁽٣) دلائل الاعجاز ص ٣٤٦٠

⁽٤) دلائل الاعجاز ص ٣٣٥ ، وتنظر ص ٣٣٣ .

النَّظْمُ الذي شغل نفسه به وأخذ يعيده ويكرره في كتبه ، ويرى أن حسنها يعود في كثير من الاحيان الى النظم ، وضرب لذلك مشلا ان اللفظة الواحدة تستعار في مكان فتكون جميلة حسنة واكنها تكون أجمل واحسن اذا استعيرت في مكان آخر ، مشال ذلك ان تنظر الى لفظة الجسر في قول ابى تمام:

لا يطمع المرء ان يجتاب لجته بالقول ما لم يكن جسراً له العمل

وقولـه:

بصرت بالراحة ِ العظمى فلم ترها تنال إلا على جسر من التَّعبُ

فنرى في الثاني حسنا لا نراه في الاول ثم تنظر اليها في قول ربيعة السرقــــى:

قولي نعم ، ونعم إِن° قلت واجبة قالت: عسى،وعسى جسرالي نعمر

فنرى لها لطفا ، وخلابة ، وحسنا ليس الفضل فيه بقليل » (١) .

لقد استطاع عبدالقاهر بما أوتي من ذوق وحس مرهفين ومقدرة على التحليل والتعليل أن يظهر لنا قيمة الاستعارة وميزتها مع انها في رأيه ورأى القزويني مبنية على التشبيه ، وكان جديرا بالقزويني أن يستفيد منه في هذه الناحية فيجعل من الاستعارة فنا له قيمته وأثره في التعبير ، وفي ايحاء الصور والاخيلة الجميلة ،

وفكرة بناء الاستعارة على التشبيه مقتبسة من خطابة أرسطونقلها قدامة وأشار اليها صاحب « الوساطة » وصاحب « الموازنة » وابن رشيق في « العمدة » ، وآمن بها عبد القاهر ومن بعده من علماء البيان (*) كالقزويني وشراح تلخيصه ، والذي دعاهم الى ذلك نظرة

⁽١) دلائل الاعجاز ص ٦٢ .

⁽٢) ينظر عبدالقاهر والبلاغة العربية ص ١١١ .

بعضهم الى المجاز على أنه كذب وقد فرَّقَ عبد القاهر والقزوينى بين الاستعارة والكذب ، وانها مبنية على التأويل ونصب القرينة على أنَّ المراد بها خلاف الظاهر ، وذلك ليبتعدا عن هذه الشبهة .

ولا نرى أن تبنى الاستعارة على التشبيه لاننا لا نستطيع في كثير من الاحيان أن نثبته في الاستعارة التخييلية ، وانه لمن الخير لهذا الفن أن ينظر اليه نظرة أديية محضة وان نشير الى ما يوحيه من صور ويبعث من أخيلة ، وقد استطاع ابن رشيق ان يتخلص من سيطرة هذه النزعة ، ورأى انها من التشبيه ولكن بغير اداته وعلى عير أسلوبه ، والتشبيه عنده تخيل وأيهام لا تحقيق واثبات واقع ، وهو داخل تحت المجاز ، لان المتشابهين في اكثر الاشياء انما يتشابهان بالمقهال بالمقهال المسامحة والاصطلاح لا على الحقيقة (۱) ، ولذلك لا نذهب الى ان الاستعارة من باب التشبيه ، لان كثيرا من اقسامها مبني على التخييل بحيث كالتخييلية ، يضاف الى ذلك ان بعض الاستعارات شديدةالتخييل بحيث تنوسي فيها التشبيه كالابيات التي ذكرت في الاستعارة الترشيحية كقول ابسى تمسام:

ويصعد حتى يظن الجهول^

وقول ابن الرومي :

يا آل نوبخت لاعدمتكم إن صكح علم النجوم كان لكم كم عالم فيكسم وليس بأن أعلاكم في السماء مجد كم شافهتم البدر بالسؤال عن ال

بأن له حاجةً في السماء

ولا تبدلت بعد كم بكالا حقا اذا ما سواكم اتتحالا قاسى ، ولكن بان رقى فعالا فلستم تجهلون سا جهالا أمار الى ان بلغتم زحال

⁽١) ينظر العمدة جاص ٢٦٨٠

وقـول بشـار:

ولم تك تبرح الفلكـــا

اتتنى الشمس زائرة

وقول المتنبى:

ونم أر ُ قبلي من مُ شي البدر ُ نحو َ ه ولا رجلا قامت تعانقه الأ سدد ً

وقد ذكر القزويني نفسه ان الترشيح مبناه على التناسي ، وليس من البعيد ان تكون الاستعارة كلها مبنية عليه ، يقول : « والترشيح ابلغ من التجريد لاشتماله على تحقيق المبالغة ، ولهذا كان مبناه على تناسي التشبيه » (۱) ، وبذلك نخلص من تقدير التشبيه الذي يكون في كثير من الاحيان قبيحا لا قيمة له ، ونخلتص انفسا من النقاش في بعض الاستعارات وهل هي تشبيه ام استعارة ،

⁽۱) الايفسياح ص ٣٠٢ .

انواع اخرى من المجاز:

بحث علماء البلاغة المتأخرون كثيرا من المعاني المجازية في غير بحث المجاز أو علم البيان ، وعلة ذلك انها جاءت في اماكن لا علاقة لها بعلم البيان في نظرهم كبحثهم الخروج على مقتضى الظاهر ، ومعاني الفنون الانشائية ، وبعض فنون البديع ، ونرى ان هذه الموضوعات تختص ببحث المجاز ، ولا نبعد كثيرا في هذا الرأي او نخالف البلاغيين ، لانهم صرحوا بهذا واشاروا اليه ، ولعل ابن قتيبة اقدم من اشار الى ذلك حينما عقد بابا في « مخالفة ظاهر اللفظ معناه » (۱) ، وذكر خروج المدعاء ، والاستفهام ، والامر الى معان أخر غير مطلوب بها المعنى الحقيقي ، فالدعاء يأتي على جهة الذم كقوله تعالى : « قتبل الانسان ما أكثفر من " (۲) ، والتعجب مثل : «قاتله الله ما احسن ما قال »، والاستفهام يكون للتقرير كقوله تعالى : «أأنت قتلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله » وللتعجب كقوله : « عم " يتساءلون وأمي الهين من دون الله » والتوبيخ كقسوله : « أتأتون الذ كران في واليالي العظيم » (٤) ، والتوبيخ كقسوله : « أتأتون الذ كران في العياليين » (٥) ، والتوبيخ كقسوله : « أتأتون الذ كوان في العياليين » (١) ، والتوبيخ كقسوله : « أتأتون الذ كوان في العياليين » (١) ، والتوبيخ كقسوله : « أتأتون الذ كوان في العياليين » (١) ، والتوبيخ كقيب كول المنات المنات النابين » (١) ، والامر يكون للتهديد كقوله : « أتأتون الذ كوان في العياليين » (١) ، والامر يكون للتهديد كقوله : « أتأتون الذ كوان ما الميالي المنات المنات به والامر يكون للتهديد كقوله : « أتأتون الذ كوان المنات المنات

⁽١) ينظر تاويل مشكل القرآن ص ٢١٣ وما بعدها .

⁽١٢) سورة عبس ، الآية ١٧ .

٣) سورة المائدة ، الآية ١١٦

⁽٤) سورة النبأ الآيتان ١ ، ٢ .

⁽٥) سيورة الشعراء ، الآية ١٦٥ .

شيئشتُم " »(۱) ، وللتأديب كقوله : «وأشهدوا دوري عند و أي منكم » (۲) وقوله: « واه مُجرُوه مُن في المضاجع واضر بوه مُن ، (٦) وللاباحة كقوله : « فكاتربوهم إِن عكرمته فيهم خيرا » (١) • ومنه عام ووصف الجميع بصفة الواحد .

واشار ابن قيم الجوزية الى هذه الناحية وعقد فصلا في التجوزفي الافعال وفصلا في التجوز بالحروف(٥) • وقرر ان الخروج عن الظُّاهر مجاز ، ولذلك عد منه التجوز بالماضي عن المستقبل ، والتعبير بالمستقبل عن الماضي ، وان خروج الخبر والانشاء مجاز . وذهب ابعد من هـــذا فذكر رأي من يذهب الى ان التقديم والتأخير مجاز ، لان فيه تقديم ما رتبته التأخير كالمفعول ، وتأخير ما رتبته التقديم كالفاعل والمفعول به في نقل كل واحد منهما على رتبته وحقه(٦) ٠

الاستفهامية كثيرا ما تستعمل في غير الاستفهام مما يناسب المقام بمعونة القرائن ، وتحقيق كيفية هذا المجاز وبيان انه من أي نوع من أنواعه مما لم يحم احد حوله »(٧) .

الظاهر : « لعلك تقول غالب ما سبق او كله من انواع المجاز ومحلـه علم البيان ، فالجواب ان الامر كذلك ولكن جرت عادة اكثرهم بذكر هذه الانواع في هذا العلم فتبعناهم ، وتداخل علم البيان وعلم المعاني

سورة فصلت ، الآية ، ١٠ ٠

سورة الطلاق ، الآية ٢ .

سورة النساء ، الاسة ٣٤ .

سورة النور ، الآية ٣٣ .

الفوائد ص ٣٢ وما بعدها ٠ (0)

الفوائسة ص ٨٢ . (7)

المطينول ص ٢٣٥٠ (Y)

كثير »(١) • وذهب الى ان بعض انواع البديع مجاز كالمشاكلة ، والتورية المرشحة ، والاستخدام(٢) •

وذهب العصام الى اذ الخبر عندما يخرج عن معناه يكون مجازا لاستعماله في غير ما وضع له ويحتمل بعضها الكناية (٦) .

وذهب ابن يعقوب المغربي الي ان اغراض الانشاء والخبر مجاز له علاقة وان في المشاكلة ، والتورية مجازاً ،

وبحث السيوطي المجاز اللغوي او المجاز المفرد ، وقسَّمه الى أنواع كثيرة وأدخل فيه خروج الخبر والانشاء الى معان مجازية ، واشار الى من يذهب الى ان التقديم والتأخير ، والتأكيد ، والالتفات ، والتغليب من المجاز (د) .

وفصسً الدسوقي الكلام في هـذه الموضوعات ، وذهب الى أن معظم الخروج عن الظاهر مجاز مرسل ، وبذلك اكمل ما اشـار اليه التفتازاني من ان هذا البحث لم يحم حوله احد .

ولاجل هذا سنجمع البحوث المتعلقة بالمجاز في هذا الفصل بعد ان فرقها القزويني في مواضع مختلفة ، فذكرها في علم المعاني تارة وفي علم البيان اخرى .

مجاز الحذف والزيادة:

واول ما نبدأ بذكره هنا مجاز الحذف والزيادة ، فقد ذكرهما القزويني في علم البيان بعد مناقشة السكاكي وقال ان الكلمة كمسا توصف به لنقلها عن اعرابها

⁽١) عروس الافراح ج١ ص ٤٩٣٠

⁽٢) ينظر عروس الافراح ج؟ ص ٣١١ ، ٣٢٥ ، ٣٢٧ .

⁽٣) الاطول ج ا ص ٢٥٣.

⁽٤) مواهب المفتاح ج٢ ص ٣٣٧ ، وج٤ ص ٣٠٩ ، ٣٢٢ .

⁽٥) الاتقان في علوم القرآن ج٢ ص ٣٦ وما بعدها

الاصلي الى غيره لحذف لفظ او زيادة لفظ ، فالحذف كقوله تعالى: «واسأل القرية »(١) أي أهل القرية فاعراب القريسة في الاصل هو النجر فحذف المضاف واعطي المضاف اليه اعرابه ، والزيادة كقوله تعالى: «ليس كمثله شيء »(٢) على القول بزيادة الكاف أي: ليس مثله شيء وليس كل حذف او زيادة توجب وصف الكلمة بالمجاز ، وانما يكون كذلك اذا اوجب الحذف او الزيادة تغيير الاعراب ، فان كان الحذف او الزيادة لا يوجب تغير الاعراب نحو قوله تعالى : «أو كصيب من السماء »(٦) وقوله : «فبما رحمة من الله لنت لهم «هذا المجوز فيه بنقله لغير محله ، لان الموصوف بالتجوز المذكور والمسمى بلفظ المجاز هو نفس الاعراب ، فالنصب في القريبة مثلا يوصف بانه تجوز فيه بنقله لغير محله ، لان القرية بسبب التقدير معل جر ، وقد اوقع فيها النصب ، ويسمى ذلك الاعراب بنفسه مجازا كما وقع التجوز فيه ورأيه فيه ان يعد ملحقا بالمجاز ، ومشبها له مجازا كما وقع الشراكهما في التعدي عن الاصل الى غير أصل، لا بينهما من الشبه وهو اشتراكهما في التعدي عن الاصل الى غير أصل، لا ان يعد مجازا ، ولاجل هذا لم يذكر حكده شاملا(٢) .

والمسمى بالمجاز الموصوف بالتجوز عند القزويني هو الكلمــــة المعربة لا اعرابها ، ويرى المغربي ان هذا هو الاقرب لوجهين :

أحدهما: كون مدلول لفظ المجاز في الموضعين هو الكلمة بخلاف اطلاقه على الاعراب، فانه يقتضي مخالفة في المدلولين اذ يكون لفظ المجاز هنا كيفية الكلمة لا نفسها، ومدلولها فيما تقدم نفس الكلمة .

وثانيهما: ان اطلاق لفظ المجاز على الاعراب كما هو ظاهر كلام

⁽١) سورة يوسف ، الآية ٨٢ .

⁽۲) سورة الشورى ، الآية ۱۱ .

⁽٣) سورة البقرة ، الآية ١٩ .

⁽٤) سورة آل عمران ، الآية ١٥٩ .

⁽٥) الايضاح ص ٣١٧ - ٣١٨ ·

⁽٦) مفتاح العلوم ص ١٨٥٠

السكاكى سببه كما تقدم ان الاعراب وقع في غير اصله ، وذلك ربسا يدعى ظهوره في النقصان لان المقدر كالمذكور ، فالقرية في قوله تعالى « واسأل القرية » حكمها الجر بتقدير المضاف فقد وقع النصب في محل الجر الذي هو الذكر ، فصح ان العراب في النقصان الذي يستدعي التقدير في غير محله فيسمى مجازا (١) .

وبالغ عبدالقاهر في النكير على من اطلق القول بوصف الكاسة بالمجاز للحذف او الزيادة ، ولكسسن السيوطى يرى ان المشهور في الحذف انه من المجاز وان انكره بعضهم ، لان المجاز اسستعمال اللفظ في غير موضعه والحذف كذلك (٢) ، والى هذا ذهب الرماني وابن رشيق ، يقول الاخير وهو يتحدث عن الايجاز : «والضرب الثاني بما ذكره الرماني وهو قول الله عز وجل : « واسسال القرية » يسمو ته الاكتفاء وهو داخل في باب المجاز » (٣) ،

الخروج على مقتضى الظاهر:

وثانيهما: الخروج على مقتضى الظاهر ، وهو ما ذكره القزويني في علم المعاني فقد يخرج المسند اليه على مقتضى الظاهر فيوضع المضمر موضع المظهر كما في باب « نعم وبئس » مثل: « نعم رجلا زيد » و « بئس رجلا عمرو » • وكما في ضمير الشان والقصة نحو قوله تعالى: « قَلْ هُو اللهُ أَحَد » (٤) ، وقوله: « إِنَّ هُل لَمْ نُفْلِح الكافرون) (٥) وقوله: « فإنتها لا تعمى الأبصار * (١) •

⁽۱) مواهب المفتاح ج٤ ص ٢٣٤ - ٢٣٥

⁽٢) ينظر اسرار البلاغة ص ٥٥٧ ، والاتقان في علوم القرآن ج٢ ص ٠٤٠

⁽٣) العمدة ج١ ص ٢٥١ ٠

⁽٤) سورة الاخلاص ، الآية ١ .

⁽٥) سورة الانعام ، الآية ١٣٥ .

⁽٦) سورة الحج ، الآية ٦٦ ·

وقد يعكس فيوضع المظهر موضع المضمر ، فان كان المظهر اسم اشارة فذلك اما لكمال العناية بتمييزه لاختصاصه بحكم بديع كقوله:

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه وجاهل جساهل تلقاه مرزوقًا هذا الذي ترك الاوهام حائرة وصيَّر العالم السِّحرير زنديقا

واما للتهكم بالسامع كما اذا كان فاقد البصر ، او لم يكن ثم مشار اليه اصلا ، واما للنداء على كمال بلادته بانه لا يدرك غير المحسوس بالبصر ، أو على كمال فطانته بان غير المحسوس بالبصر عند غيره ، واما لادعاء انه كمل ظهوره حتى كأنه محسوس بالبصر ،

وان كان المظهر اسم اشارة فالعدول اليه عن المضمر اما لزيادة التمكين كقوله تعالى: «قل هو الله احد والله الصمد» و واما لادخال الروع في ضمير السامع وتربية المهابة و واما لتقوية داعي المأمور ، مثالهما قول الخلفاء: «أمير المؤمنين يأمرك بكذا» و واما للاستعطاف كقول في المناهمة ال

إلهي عبد ُك العاصي أتاكـــا مقرأ بالذنوب وقـــد دعاكا إلهي عبد ُك العاصي أتاكـــا

وقد يخرج غير المسند اليه على مقتضى الظاهر كفول الشاعر: تعاللت كي أشجى وما بك علة" تثريدين قتلي قد ظفرت بذلكا

وكفوله تعالى : « وبالحق أنزلناه ، وبالحق نزل » (١) وقوله: « فَبَكُ الذين ظَلَمُوا قولاً غير الذي قيل لهم، فأنزلنا على الذين ظَلَمُوا » (٢) • وقول الشاعر :

إِنْ تَسَأَلُو االَحَقَ نُعْطُ ِ الْحَقِ سَائِلُهُ وَ الْدَرَعُ مَحَقَبَةً وَ السَّيْفُ مَقْرُوبِ

⁽١) سورة الاسراء ، الآية ١٠٥٠

⁽٢) سورة البقرة ، الآية ٥٩ -

ومن الخروج على مقتضى الغاهر التعبير عن المستقبل بلفظ المضي تنبيها على تحقق وقوعه وان ما هو للوقوع كالواقع كقوله تعالى: « ويكوم يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَكَرَعِ مَن فِي السماواتِ ، ومَن في ا

ومثله التعبير عنه باسم الفاعل كقوله تعالى : « وإِنَّ الـــدينَ لواقع" »(۲) . وكذا اسم المفعول كقولــــه تعالى : « ذلك يتو°م" مُجموع" له الناس" ، وذلك يُنو م" مُنشهْنود" » (٣) وهذا ما تكلم عليه ابن الاثير وعدَّه من الالتفات .

وذهب بعضهم الى ان تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر من باب الكناية ، وقيل انهمن قبيل الاستعارة بالكناية والتخييل ،ولكن الدسوقي يقول : « والحق انه لا يقال فيه شيء من ذلك ، لان المجاز والكناية انما هو اعتبار المعاني التي يوضع لها اللفظ ، وهذا بخلاف ذلك اذ لم يستعمل اللفظ فيه لانها معان عرضية » •

وادخل القزويني في هذا البحث الالتفات والاسلوبالحكيم والقلب وهو عند غيره من البديع •

الانشاء المجازي:

وثالثها : خروج الانشاء عن معانيه ، فإن الفاظ الاستفهام تستعمل في معان غير معانيه بحسب ما يناسب المقام منها: الاستبطاء كقوله تعالى: « حتى يقول َ الرسول ُ والذين آمنوا معه ، مسى نكث ر ُ الله ؟ »(٤)٠ والتعجب كقوله: « ما لي لا أرى الهُدُ هُدُ؟ »(°) • والتنبيه على الضلال

⁽١) سورة النمل ، الآبة ٨٧ .

⁽٢) سورة الداريات ، الآية ٦٠

سورة هود ، الآلة ١٠٣ . (٣) (٤) سورة البقرة ، الآبة ٢١٤ .

⁽٥) سورة النمل ، الآية ٢٠ .

كقوله: « فأين تك هبون »(۱) • والوعيد كقوله: « ألنم ْ نُهمُلِكُ الْأُولِينَ ُ »(٣) • والأمر كقوله: « فَهَلَ أنتم مُسلمون »(٣) والتّقرير كقوله تعالى: « أأنْت فَعَكْت َ هذا بآلهتنا يا إبراهيم ُ »(٤) •

ويرى القزويني ان الهمزة هنا يجوز ان تكون على اصلها اذ ليس في السياق ما يدل على انهم كانوا عالمين بأنه عليه السلام هو الذي كسر الاصنام (٥) و والانكار اما للتوبيخ نحو: «أعصيت ربك »، او للتكذيب بمعنى: «لم يكن» كقوله تعالى: «أفأصفاكم ربتكم بالبنين واتتخذ من الملائكة إناثا » (١) ، أو بمعنى « لا يكون » كقوله تعالى: «أنكر مكموها وأنتم لها كار هون » (٧) ، وعليه قول امرىء القيس:

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة ورُرْق كأنياب أغوال

ومن مجيء الهمزة للانكار قوله تعـــالى : « أليس الله م بكاف عَبُدَهُ * (^^) .

وقول جرير:

ألستم خيش من ركب المطايا واندى العالمين بطون راح

والتهكم كقوله تعالى: «أصلاتُك تأمرُكُ أَنْ نَتَثْرُكُ مايَعَّبُدُ آباؤنا أو° أنْ نَصْعَلَ في أموالِنا ما نشاء »(٩) .

والتحقير كقولك : « من هذا؟» • والتهويل كقراءة ابن عباس رضي

التكوير ، الآيـة ٢٦ .

⁽٢) سورة المرسلات ، الآيــة ١٦ .

⁽٣) سورة هود ، الآية ١٤ .

⁽١) سورة الانبياء ، الآية ٢٢ .

⁽٥) الايضاح ص ١٣٨٠

⁽٦) سورة الاسراء ، الآية ، ٤٠ .

⁽٧) سورة هود ، الآية ٢٨ .

⁽٨) سورة الزمر ، الآية ٣٦ .

⁽۹) سورة هود ، الآية ۸۷ ·

الله عنهما: « وَلَقَدَ ° نَجِينا بني إِسرائيل من العَدَابِ المُهينِ • مِن ° فَرِعون ﴾ (١) بلفظ الاستفهام •

والاستبعاد كفوله « أنتَّى لهم الذكرى وقد جاءهم رســـول" مُبين" • ثُمَّ تَـُو كَتُوا عنه ، وقالوا مُعـَكَّم " مجنون" » (٢) •

والتوبيخ والتعجب جميعا كفول : «كيف تكثفرُون بالله وكنتُم أمواتاً فأحياكم ثُم يُميتكم ثم يُحييكم ثم الله تُر مُجَعُون »(٣)٠٠

وتستعمل صيغة الامر، في غير طلب الفعل مجازا بحسب مناسبة المقام كالاباحة في قول كثير:

أسيئي بنا أو أحسني لاملومة لدينا ولا مقلية ان تقلتت

والتهديد كفوله تعانى: « اعملوا ما شئته » (٤) • والتعجير كقوله: كقوله: « فاتوا بسورة من مثله » (٥) • والتسخير كقوله: « كونوا قرركة خاسئين » (٦) • والأهانة كقوله: « كونوا حجارة أو حكديدا » (٧) • والتسوية كقوله: « أنْفقوا طكو عا أو كر ها لن يُتَعَبَّل منكم » (٨) • والتمني كقول امرىء القيس:

ألا أيها الليل الطويل الاانشجك بصبح وما الاصباح منك بأمثل

والدعاء كقوله تعـــالى : « رَبِّ اغفَر ْ لي ولوالدي َّ »(٩)٠

⁽١) سورة الدخان ، الآيتان ٣٠ ، ٣١ .

⁽٢) سورة الدخان ، الابتان ١٣ ، ١٤ .

⁽٣) سورة البقرة ، الآية ٢٨ .

⁽٤) سورة فصلت ، الآبة . ٤

⁽٥) سورة البقرة ، الآية ٢٣ .

٦٥ سورة البقرة ، الآية ٥٦ .

⁽٧) سورة الاسراء ، الآية . ٥ .

⁽A) سورة التوبة ، الآبة ٥٣ .

⁽٩) سورة نوح ، الآيــة ٢٨ .

والالتماس كقولك لمن يساويك في الرتبة : « افعل » بدون الاستعلاء ، والاحتقار كقوله تعالى : « ألثقتُوا ما أنتم متُلثقتُون » »(١) .

ويستعمل النهى في غير معناه كالتهديد وغيره •

وتستعمل صيغة النداء في غير معناه مجازا ، كالاغراء في قولك لمن أقبل يتظلم: « « يا مظلوم »، والاختصاص في قولهم: «أنا أفعل كذا أيها الرجــــل » •

ويقع الخبر موقع الانشاء للتفاؤل أو لاظهار الحرص في وقوعـــه وغير ذلك (٢) .

ولم يذكر القزويني علاقات المجاز في هذه الانواع ، ولعــــــــل الدسوقي كان من أول من فصل فيها ، فذكر أن معظم هذه الفنون مجاز مرسل له علاقــة .

التغليب:

ورابعها: التغليب الذي عده التفتازاني ، والدسوقي من المجاز ، يقول الاخير: « وبالجملة فالتغليب اما مجاز مرسل علاقته الجزئية أو المصاحبة ، او من قبيل عموم المجاز »(٣) .

⁽۱) سورة يونس ، الآيـة ۸۰ .

۱۲۷ – ۱۳۷ – ۱۲۷ ۰ ۱۲۷ ۰

⁽٣) حاشية الدسوقي ج٢ ص ٥١ ، وينظر المطول ص ١٥٩ .

الكنانة

للكناية عدة معان ، فقد جاءت بمعنى الضمير ، والكنية ، وبمعناها الاصطلاحي ، وذكرت إنواعها في الكتب الاولى ، وبقي مدلولها لغويا حتى ضبطها عبد القاهر بقوله : « الكناية أن يريد المتكلم اثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكنه يجيء الى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومي به اليه ويجعله دليلاعليه» (١) ،

والكناية لون من ألوان الخيال ، وقد عني بها نقاد العرب ، وعرفوا لها مكانتها في الايضاح والتأثير، ويرى ابن الاثير أنها جزء من الاستعارة ولا تأتي الا على حكسها خاصة ، لان الاستعارة لا تكون الا بحيث يطوى ذكر المكنى عنه ، ونسبتهاالى الاستعارة نسبة خاص الى عام فيقال : كل كناية استعارة ، وليس كل استعارة كناية ، فالكناية وان كانت جزء من الاستعارة الا ان بينهما ثلاثة فروق : الخصوص والعموم ، والتصريح وعدمه ، والحمل على جانب الحقيقة والمجاز ، ومن هنا قد يأتي ما يجوز أن يكون كناية ، ويجوز أن يكون استعارة وذلك يختلف باختلاف النظر اليه بمفرده والنظر الى ما بعده كقول نصر ابن سيار :

أرى خكك الرماد وميض جَمْرُ فان النارَ بالزنــدين تُـورَى

⁽١) دلائل الاعجاز ص ٥٢ ٠

أقول من التعجب: ليت شعري أأيقاظ أميه أم أم يام ؟ فإن هبوا فذاك بقياء ملك وإن رقددوا فاني لا أنام

فالبيت الاول لو ورد بمفرده كان كناية ، لانه يجوز حمله على جانب الحقيقة وحمله على جانب المجاز ، أما الحقيقة فانه أخبر أنه رأى وميض جمر في خلل الرماد وأنه سيضطرم ، وأما المجاز فانه أراد أن هناك ابتداء شر كامن ومثله بوميض جمر من خلل الرماد و واذا نظرنا الى الابيات جملتها أختص البيت الاول منها بالاستعارة دون الكناية (١) .

وقسم ابن الاثير الكناية الى ما يحسن استعماله ، وما يقبح ، وقسم الاول الى التمثيل ، والارداف ، والمجاورة ، ولكنه عاد وأنكر التقسيم الاخير في « المثل السائر » ، ورأى انه غير صحيح ، لان شرط التقسيم أن يكون كل قسم منه مختصا بصفة خاصة تفصله عن عموم الاصل ، واكتفى بتقسيمها الى ما يحسن استعماله ، وما لا يحسن ، ووضح ما يراد من التمثيل والارداف والمجاورة (٢) ،

ولم يفرق كثيرون بين الكناية والتعريض ، ولكن الزمخشرى فرق بين بينهما وجعل كلا منهما قائما بنفسه ، يقول : « فان قلت : أي فرق بين الكناية والتعريض ؟ قلت : الكناية أن تذكر الشيء بغير لفظه له كقولك: « طويل النجاد والحمائل » لطويل القامة و « كثير الرماد » للمضياف •

والتعريض أن تذكر شيئا تدل به على شيء لم تذكره ، كما يقول للمحتاج اليه « جئتك لاسلم عليــــك ولانظر الى وجهك الكريم » ولذلك قالوا:

وحسبك بالتسليم مني تقاضيـــا

⁽۱) المثل السائر ج٢ ص ١٩٧٠

⁽٢) ينظر المثل السائر ج٢ ص ١٩٩ وما بعدها . والجامع الكبير ص ١٥٦ ومابعدها

وكأنه احالة الى عرض يدل على الغرض ، ويسمى : « التلويح ، لانه يلوح منه ما يريده »(١) •

وشدد ابن الاثير النكير على من خلط بينهما كالغانمي ، وابن سنان ، وأبي هلال ، وذهب الى ان لكل منهما حدا خاصا ، وأغراضا معينة ، والكناية عنده «كل لفظة دلت على معنى يجوز حمله على جانبى الحقيقة والمجاز بوصف جامع بين الحقيقة والمجاز » »(۲) ،

والتعريض: « هو النفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي »(٢) .

فالفرق بينهما ان الكناية تشمل اللفظ المفرد والمركب معا فتأتي على هذا تارة وعلى هذا أخرى ، أما التعريض فانه يختص باللفظ المركب ولا يأتى في اللفظ المفرد البتة ، والدليل على ذلك أنه لايفهم المعنى فيه من جهة الحقيقة ولا من جهة المجاز ، وانما يفهم من جهة التلويح والاشارة ، وذلك لا يستقل به اللفظ المفرد ، ولكنه يحتاج في الدلالة عليه الى اللفظ المركب .

وكان على السكاكي وهو المولع بالتحديد والتقسيم أن يفرق بين الكناية والتعريض ، ولكنه لم يفعل واكتفى بان قال : « متى كان الكناية عرضية على ما عرفت كان اطلاق اسم التعريض عليها مناسبا ، واذا لم تكن كذلك نظر ، فان كانت ذات مسافة بينها وبين المكنى عنه متباعدة لتوسط لوازم كما في كثير الرماد وأشباهه كان اطلاق اسم التلويح عليها مناسبا ، لان التلويح هو ان تشير الى غيرك عن بعد ، وان كانت ذات مسافة قريبة مع نوع من الخفاء كنحو عريض القفا ، وعريض الوسادة كان اطلاق اسم الرمز عليها مناسبا »(٤) ، وذكر أن التعريض

⁽١) الكشاف ج اص ٢١٥٠

⁽٢) المنل السائر ج٢ ص ١٩٤٠

⁽٣) المنل السائر ج٢ ص ١٩٨٠

⁽٤) مفتاح العلوم ص ١٩٤٠

يكون على سبيل الكناية تارة وعلى سبيل المجاز تارة اخرى •

وسار القزويني على خطا السكاكي ، ولم يخرج عما كتبه عسن الكناية ، يقول: « الكناية : لفظ أريد به لازم معناه مع جواز ارادة معناه حينئذ » (۱) • وفرَّق بينها وبين المجاز على أساس هذا التعريف أي من جهة ارادة المعنى مع ارادة لازمه ، لان المجاز يتنافى مع ذلك ، ورفض ما ذهب اليه السكاكي من أن الفرق بينهما هو أن مبنى الكناية على الانتقال من اللازم الى الملزوم ومبنى المجاز على الانتقال من الملزوم الى الملزوم ومبنى المجاز على يكن ملزوما يمتنع ان ينتقل منه الى الملزوم فيكون الانتقال حينئذ من الملزوم الى اللازم • ولو قيل : « الملزوم من الطرفين من خواص الكناية دون المجاز أو شرط لها دونه اندفع هذا الاعتراض ، لكن اتجهمنع الاختصاص والاشتراط » (۲) •

رأي القزويني:

والكناية عند القزويني واسطة بين الحقيقة والمجاز ، اما عند السكاكي فهي حقيقة لاستعمال اللفظ في معناه وان اريد منه لازم ذلك المعنى • وذهب ابن الاثير الى ان « الكناية ما جاز حمله على جانب المحقيقة كما يجوز حمله على جانب المجاز » (٢٠) •

وعلل المتأخرون مذهب القزويني فقال الدسوقى: « الكنـــاية اخراجها بناء على انها واسطة لا حقيقة ولا مجاز ، أما انها ليستحقيقة فلأنها كما سبق اللفظ المستعمل فيما وضع له والكناية ليست كذلك ، وأما انها ليست مجازا فلأنه اشترط فيه القرينة المانعة عن ارادة الحقيقة، والكناية ليست كذلك ، ولهذا اخرجها من تعريف المجاز » (٤) .

⁽۱) الايضاح ص ۲۱۸ .

⁽٢) الايضاح ص ٣١٩٠

⁽٣) المثل السائر ج٢ ص ٢١٠ ٠

⁽١) حاشية الدسوقى ج١٤ س ٢٦ ٠

وقد لخص السيوطى المذاهب المختلفة في الكناية ، يقول : «الكناية وفيها اربعة مذاهب :

أحدها: أنها حقيقة ، قاله ابن عبد السلام ، وهو الظاهر ، لانها استعملت فيما وضعت له ، واريد بها الدلالات على غيره .

الثاني: أنها مجاز ٠

الثالث: أنها لا حقيقة ولا مجاز ، واليه ذهب صاحب التلخيص لمنعه في المجاز أن يراد المعنى الحقيقي مع المجازي وتجويزه ذلك فيها ٠

الرابع: وهو اختيار الشيخ تقى الدين السبكى ، أنها تقسم السى حقيقة ومجاز ، فان استعملت اللفظ في معناه مرادا من لازم المعنى أيضا فهو حقيقة ، وان لم يرد المعنى بل عبر بالملزوم عن اللازم فهو مجاز لاستعماله في غير ما وضع له »(۱) .

وقسم القزويني الكناية الى ثلاثة أقسام:

الاول: الكناية المطلوب بها غير صفة ولا نسبة ، ومنها ما هو معنى واحد كقول الشاعر كناية عن القلب:

الضاربين بكل أبيض مخذم والطاعنين مجامع الاضغان

وبيت البحترى:

فاتبعتها أخرى فأضللت نصلها بحيث يكون اللب والرعب والحقد

ومنها ما هو مجموع معان كقولنا كناية عن الانسان: «حسي مستوي القامة ، عريض الاظفار » •

الثاني: المطلوب بها صفة ، وهي ضربان قريبة وبعيدة ، والقريبة ما ينتقل منها الى المطلوب بها لا بواسطة ، وهي اما واضحة كقولهم

١١، الاتقان ج٢ ص ١١.

كناية عن طويل القامة : «طويل نجاده ، وطويل النجاد » • ومنها قول الحماسي :

أبت الروادف والثدى مس البطون وأن تمس ظهورا

واما خفية كقولهم كناية عن الابله : « عريض القفا » •

والبعيدة ما ينتقل منها الى المطلوب جها بواسطة ، كقولهم كنايةعن الأبله : « عريض الوسادة » فانه ينتقل من عرض الوسادة الى عرض التفا ومنه الى المقصود • وكقوله :

وما يك في من عيب ٍ فاني جبان ُ الكلب ِ مهزول ُ الفصيل ِ

ومن هذا النوع قول نصيب:

وغيرهم منن ظاهسره ودار ُك مأهولة عامره من الأم بالابنة الزائره لعبد العزيز على قومــــه فبابك أسهـــل ُ أبوابهــــم وكلبــــك آنس بالزائريــن

الثالث: المطلوب بها نسبة كفول زياد الاعجم:

إِنْ السماحة والمروءة والندى في قبُّة ضربت على ابن ِ الحَشْرج ِ

ونظيره قولهم: « المجد بين ثوبيه ، والكرم بين برديه » • وهذا النوع من الكناية جعله عبد القاهرمن قبيل المجاز الاسنادى ، وأنشد عليه قول يزيد بن الحكميمدح يزيد بن المهلب وهو في سجن الحجاج:

أصبح في قيدك السماحة والمج د وفضل الصلاح والحسب (١)

وأشار القزويني الى انه قد يظن أن هنا قسما رابعــا ، وهو أن

⁽١) دلائل الاعجاز ص ٢٣٨ ، وينظر عروس الافراح ج؟ ص ٢٥٨ .

يكون المطلوب بالكناية الوصف والنسبة معاكما يقسال: « يكثر الرماد في ساحة عمرو » في الكناية عن أنَّ عمراً مضياف ويقول: «وليس بذاك ، اذ ليس ما ذكر بكناية واحدة بل هو كنايتان: أحداهما عن المضيافية ، والثانية: عن اثباتها لعمرو »(۱) .

هذه هى اقسام الكناية التى ذكرها السكاكى والقزوينى ، وقال السبكى أن الطيبى ذكر نوعا من الكناية وهو اختصاص الموصوف بالصفة واعاده السبكي الى الانواع الاخرى ، وذكر ان الزمخشري استنبط نوعا من الكناية وهو أن يعمد الى جملة معناها على خلاف الظاهر فيأخذ الخلاصة منها من غير اعتبار مفرداتها بالحقيقة أو المجاز ولكن السبكى يرى أن يكون هذا من الاستعارة بالتمثيل كما فيقوله تعالى : « والأر ش جميعاً قب ضته يوم القيامة ، والسماوات مطويات بيمينه » (٢) .

وليس في هذه التقسيمات فائدة كبيرة ، ونرى ان نعود الى تقسيم ابن الانير فنقسمها الى ما يحسن اسنعماله ، وما لا يحسن و ونضع لها بعض القواعد والاصول ، وبذلك نخلص البلاغة من كثرة التقسيمات ، واضطراب المصطلحات ، واختلاف البلاغيين فيها .

ونقل القزويني ما ذكره السكاكي من ان الكناية تتفاوت السي تعريض ، وتلويح ، ورمز ، وإيماء ، واشارة ، فان كانت عرضية فالمناسب أن تسمى تعريضا ، والا فان كان بينها وبين المكنى عنه مسافة متباعدة لكثرة الوسائط كما في «كثير الرماد » وأشباهه فالمناسب أن تسمى تلويحا ، لان التلويح هو أن تشير الى غيرك عن بعد ، والا فان كان فيها نوع خفاء فالمناسب ان تسمى رمزا ، لان الرمز هو ان تشير الى قريب منك على سبيل الخفية ، والا فالمناسب ان تسمى ايماء واشارة كول آبى تمام يصف ابلا :

⁽۱) الايضاح ص ۳۲۷ .

⁽٢) سورة الزمر ، الآيـة ٦٧ . ينظر عروس الافراح ج٤ ص ٢٦١ .

والكناية صور مختلفة لا يمكن حصرها ، وقد صدق عبد القاهر حينما قال : « وليس لشعبهذا الاصل ، وفروعه، وأمثلته ، وصوره، وطرقه ، ومسالكه ، حكة ونهاية » (١) .

والتعريض قد يكون مجازا مثل « آذيتني فستعرف » وأنت لا تريد المخاطب ، بل تريد انسانا معه، وان اردتهما جميعا كان كناية .

اهمية الكناية:

وليس في بحث القزويني ما ينفع في دراسة الكناية على اعتبارانها لون من الوان الخيال ، ووسيلة من وسائل التعبير ، ولعل ما كتبه ابن الاثير في « الجامع الكبير » و « المثل السائر » يغنى الباحث في هذا الموضوع ، فقد جعل لهذا الفن روحا ، وبعث فيه حياة ، فاذا بالكناية صور متحركة ، واذا بالامثلة توحي بكل بديع عجيب ،

وليت المتأخرين استفادوا مما ذكره ابن الاثير ، وتركوا ما كتب، السكاكي والقزويني وراءهم ظهريا .

قيمة هذه الفنون:

وبعد أن أتنهى القزوينى من بحث المجاز والكناية ذكر ان البلغاء اطبقوا على أن المجاز أبلغ من الحقيقة ، وان الاستعارة ابلغ من التصريح بالتشبيه ، وان التمثيل على سبيل الاستعارة ابلغ من التمثيل لا على سبيل الاستعارة ، وان الكناية ابلغ من الافصاح بالسندكر .

ولم يئأت القزويني بجديد في ذلك ، وانما لخص ما ذكره عبد القاهر في « دلائل الاعجاز » و « اسرار البلاغة » • وليته نقل عنه

⁽١) دلائل الاعجاز ص ١١٥٠.

تحليله للامثلة وتعليقه عليها ،ووقوفه عندمواطن الجمال وتحسسها(۱) ولكنه اعرض عنه واكتفى بذكر نتف قليلة لا تدل على شيء ، ولا تزيد المجاز والكناية قيمة ، أو تجعل لها أثرا في التعبير ، وان كان ما ذكره الحق . يقول السبكي : « وبالجملة ،الذي قاله المصنف هو الحق ولكنه لم يتوصل اليه بطريقه » (۲) .

ولا يرى الاستاذ الخولى قيمة في تعليل القزوينى والقدماء للبلاغة والمجاز والكناية ، وأن تعليلاتهم لا تخرج عن الاحكال القضائية ، يقول بعد ان ذكر آراءهم : « يقولون هذا ثم لا يعللون شيئا منه كله إلا بالفكرة السابقة في تأكيد المدح بما يشبه الذم من قولهم : « انه كدعوى الشيء ببيئنة » ، ويعودون الى الاستدلال والتلازم والانفكاك و شهد الله والادباء وأولو الفن أن ليس شيء من ذلك الاستدلال ، ولا تلك البينة ، ولا هاتيكم الشهادة قد مر بخاطر القائل أو السامع ، أو وجدته نفس ادبية ، ولو كانت العرب الما تصوغ عباراتها ، وتبتدع أساليبها على هذا المنوال من الاستدلال القضائى ، لكانت عبارة التوثيقات المؤكدة ، ولغة الاشهادات المسهبة الفضائى ، لكانت عبارة التوثيقات المؤكدة ، ولغة الاشهادات المسهبة العرب لم تفعل ذلك ولا قام عليه ذوقها الفني ، ولعل الاعتبارات الموب لم تفعل ذلك ولا قام عليه ذوقها الفني ، ولعل الاعتبارات النفسية في تداعى المعانى وتجاذب الصور ونحو ذلك مما يكشف حسن هذه التعابير ويجسم ناحية القوة فيها دون برهان ولا اعادة ولا مقاضاة او احتجاج » (۳) ،

وما ذهب اليه الاستاذ الخولى أمر ينبغي أن يؤخذ به ،ويستفاد منه في البلاغة ، لا سيما بعد أن اصبح لعلم النفس أثر في الدراسات الادبية والنقدية في هذه الايام .

⁽۱) ينظر دلائل الاعجاز ص ٥٦ وما بعدها بشأن المجاز و ص ٢٢٧ و ٣٤٣ ومد: بعدها بصدد الكناية .

⁽٢) عروس الافراح ج٤ ص ٢٨١ .

⁽٣) مناهج تجدید ص ۱۹۸ .



الفضاالرابع

ع أرالب ديع

۹.

في اللفية:

جاء في لسان العرب:

« بدع الشيء يبدعه بدعا ، وابت دعه : أنشأه ، وبدأه ، وبدع الركية : استنبطها واحدثها ، وركى بديع:حديثة الحفر، والبديع والبدع: الشيء الذي يكون اولا ، وفي التنزيل : « قتل ما كنت بيد عا من الشرستل » (۱) ، أي : ما كنت اول من ارسل ، قد ارسل قبلي رسل كثير ، والبدعة : الحدث وكل محدثة ، والبديع: المحدث العجيب، والبديع والمبدع ، وابتدعت الشيء اخترعته لا على مثال ، والبديع من اسماء الله تعالى لابداعه الاشياء واحداثه اياها ، وهو البديع الأول قبل كل شيء ، وسقاء بديع : جديد ، وكذلك زمام بديع ، وأنشد ابن قبل كل شيء ، وسقاء بديع : جديد ، وكذلك زمام بديع ، وأنشد ابن

⁽١) سورة الاحقاف ، الآيــة ٩ .

الاعرابي في السقاء لابي محمد الفقعي :

نضحن ماء البدن المسريي نضح البديع العنق المصفرا

وحبل بديع: جديد • والبديع المبتكدع والمُبُّتكدَع ، وشيء ابدع ـ بالكسر ـ أي متبوع ، وابدع الشاعر: جاء بالبديع(١) •

الرواة والبديع:

ولا يخرج معنى كلمة البديع في المعاجم الاخرى عن معنى الجدة والبراعة ، وقد كان الرواة اول من اطلق معنى البديع على المستطرف الجديد من الفنون الشعرية ، وعلى بعض الصور البيانية التي يأتي بها الشعراء في اشعارهم فتزيدها حسنا وجمالا ، يقول الجاحظ معلقا على بيت الاشهب بن رميلة :

هُمْ ساعد ُ الدُّهرِ الذي يُنتُّقى به وما خير ُ كُفٍّ لا تنوء ُ بساعد

« قوله _ هم ساعد الدهر _ انما هو مثل ، وهذا الذي تسميه الرواة البديع » (٢) • وقد دفع _ غلوه في حب العرب والرد على الشعوبية الحاقدة الى ان يقول : «والبديع مقصور على العرب ، ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة ، وأربت على كل لسان » (٦) •

المولدون والبديع:

وكان المولدون من شعراء الدولة العباسية قد أكثروا في أشعارهم من الصور البيانية التى سماها الجاحظ « البديع » • فكلثوم بن عمرو يذهب بشعره هذا المذهب ، وقد تبعه كثير من الشعراء كمنصور النمري ، ومسلم بن الوليد الانصاري ، وبشار بن برد ، وابن هرمة •

⁽۱) لسان العرب (بدع) .

⁽٢) البيان والتبيين ج} ص ٥٥ .

٣١) البيان والتبيين ج إ س ٥٥ ، وينظر ج ا ص ٥١ .

وهذه ظاهرة ليست عجيبة غريبة بعد أن خرج العرب من جزيرتهم وأتصلوا بالعالم ، ودخلت حياة الترف مجتمعهم الجديد وتأقوا في حياتهم المعاشية ، فكان لا بد أن يصطبغ أدبهم بهذه الصبغة الجديدة وأن يكثر الشعراء في شعرهم من البديع ، وقد حمل لواء هذا الاتجاه بشار ، وابن هرمة ، وابو تمام ، وأضرابهم من الشعراء ، وشاع هذا الاتجاه في الادب ، ولج المولدون في استعماله ، وتباهوا بانهم السباقون اليه مما حدا بالخليفة العباسي الشاعر عبد الله بن المعتز ان يؤلف كتاب « البديع » ، ليعلم ان بشار ومسلما وابا نواس ومن يؤلف كتاب « البديع » ، ليعلم ان بشار ومسلما وابا نواس ومن اشعارهم فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم ، فأعرب عنه ودل عليه ، وليعرف أن المحدثين لم يسبقوا المتقدمين الى شيء مسس عليه ، وليعرف أن المحدثين لم يسبقوا المتقدمين الى شيء مسس

اول كتاب في البديع:

وظن بعض الباحثين أنَّ كتاب البديع كان أول مؤنف في البلاغة يتناول الادب تناولا فنيا ، يقول الدكتور بدوي طبانة : « انه اول كتاب يتناول الادب تناولا فنيا » (٣) • ويقول توري عن ابن المعتز : «وكتابه الذي يعد فتحا جديدا هو البديع » (٤) •

والواقع ان كتاب البديع لم يكن فتحا جديدا في البلاغة ، وانما كان خطوة جديدة في تقدمه وتطورها ، فقد سبقه الجاحظ بما كتب فيها وان لم يكن بحثه مبوبا كتبويب ابن المعتز ، وسبقه ابن قتيبة الذي نظم قسما كبيرا من موضوعات البلاغة في كتابه «تأويل مشكل القرآن » ، وبحث استاذ ، ثعلب البلاغية ، بطريقة لا تختلف عن القرآن » ، وبحث استاذ ، ثعلب البلاغية ، بطريقة لا تختلف عن

⁽۱) تقيل: اشبه .

⁽۲) البديع ص ١ – ٣ ·

⁽٣) دراسات في نقد الادب العربى ص ١٧٧

⁽٤) دائرة المعارف الاسلامية ج1 ص ٢٨٠ مادة « ابن المعتز » .

طريقته كثيرا ، ولعل عدم اطلاع بعض الباحثين على كتابي « تأويل مشكل القرآن » لابن قتيبة ، و « قواعد الشعر » لثعلب ، كـان سبب اعتبار بديع ابن المعتز فتحا جديدا .

وليس البديع عند ابن المعتز ما تعارف عليه المتأخرون من وجوه تحسين الكلام اللفظية والمعنوية ، وانما هو معنى واسع أو مصطلح عام تنطوي تحته كثير من موضوعات البلاغة كالاستعارة ، والجناس، والكناية ، والتشبيه ، والطباق .

وعاصر قدامة بن جعفر الشاعر ابن المعتز ، وجمع من البديع أنواعا كثيرة كالتصريع ، والسجع ، والجناس ، والطباق ، والالتفات، ولكنه لم ينظر اليه غير نظرة معاصم و وتبعهما في ذلك ابو هلال العسكرى ، وعقد الباب التاسع من «كتاب الصناعتين » في شرح البديع وهو عنده مختلف الصور البيانية من استعارة ، وتعريض ، وتطريز ، وتشطير ، ولم يهتم علي بن عبد العزيز الجرحانى باصناف البديع ، ولم يذكر منها الا انواعا قليلة ، ويبدو انه يسمي جميعفنون القول بديعا كما كان الباقلاني يسميه ،

واهتم المغاربة بالبديع اهتماما كبيرا ، وكان أشــهر من كتب فيه ابن رشيق ، ويقصد به فنون البلاغة كلها •

ولم يفرق ابن سنان بين موضوعات البلاغة وكان معاصره عبد القاهر مثله ، فهو في كتابه «أسرار البلغة »أطلق البديع على التشبيه ، والتمثيل ، والاستعارة ، وعلى سائر أقسام البديع كالتجنبس، والحشو ، والطباق ، وحسن التعليل ، ويسمى هذه الموضوعات وبحوثا اخرى دخلت في علم المعاني - : « يبانا » في كتابه « دلائل الاعجاز » • فكلمتا البيان والبديع متقاربتا المعنى عند عبد القاهر ، ولم يكن لهما المدلول الخاص الذى اطلقه السكاكي والمتأخرون •

وزاد الاهتمام بالبديع في القرنين السادس والسابع ، واختلف

اتجاه اهل الشام ومصر عن المشارقة في بحثه ، فالبديع وان كان في هذا العصر يميل الى الشكلية اكثر من اتجاهه الى المعنى ، فأن اهـل مصر والشام كانوا في بحثهم يعتمدون على الذوق الادبي ، وكان ابن منقذ وابن أبي الاصبع المصري خير من يمثل هذا الاتجاه .

البديع عند السكاكي:

وكان للبيئة المشرقية التي عاش فيها السكاكي أثر" في بحثه انواع البديع ، فلم يهتم به اهتماما كبيرا ، ولعله كان ينظر اليه نظرة عبد القاهر والزمخشري وغيرهما ممن اهتم بعلمي المعاني والبيان ، ولم يذكر في البديع الاستة وعشرين نوعا ، ويرى انه اكثر من هذا ، يقول : « فلك ان تستخرج من هذا القبيل ما شئت ، وتلقب كلا ممن ذلك بما احببت » (١) ولم يسم السكاكي هذا القسم من البلاغة بديعا ، وانما هو محسنات أو وجوه كثيرا ما يصار اليها لقصد بديعا ، وانما هو محسنات أو وجوه كثيرا ما يصار اليها لقصد المصطلحات ، وكان الذي اطلق مصطلح البديع على المحسنات بدر الدين بن مالك (٢٨٦ هـ) وقال عنه : « هو معرفة توابع الفصاحة» (٢) وقسام ،

ولم يدخل السكاكى البديع في البلاغة ، لانها عنده تختص بعلمي المعانى والبيان ويتضح هذا من تعريفه البلاغة ، يقول « البلاغة مسي بلوغ المتكلم في تأدية المعانى حداله اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها ، والراد أنواع التشبيه ، والمجاز ، والكناية ، على وجهها » (٣).

⁽١) مفتاح العلوم ص ٢٠٤ .

⁽٢) المسباح ص ٧٥٠

⁽٣) مفتاح العلوم ص ١٩٦٠

وبعد ان انتهى من بعث المعاني والبيان قال: «واذ قد تقرر ان البلاغة بمرجعيها ، وان الفصاحة بنوعيها مما يكسو الكلام حلة التزيين ، ويرقيه أعلى درجات التحسين ، فها هنا وجوه مخصوصة كثيرا ما يصار اليها لقصد تحسين الكلام ، فلا علينا ان نشير الى الاعرف منها وهى قسمان: قسم يرجع الى المعنى ، وقسم يرجع الى اللفظ »(۱) .

فمن القسم الاول: المطابقة ، والمقابلة ، والمشاكلة ، ومراعاة النظير ، والمزاوجة ، واللف والنشر ، والجمع ، والتفريق ، والتقسيم ، والجمع مع التفريق ، والجمع مع التفريق ، والجمام ، والأبهام ، وتأكيد المدح بما يشبه الذم، والتوجيه ، وسوق المعلوم مساق غيره ، والاعتراض ، والاستتباع ، والالتفات ، وتقليل اللفسط .

ومن القسم الثاني التجنيس ، ورد العجز الى الصدر ، والقلب ، والسجع ، والفواصل ، والترصيع .

البديع عند القزويني:

وكان هذا من السكاكي فتحا جديدا في تقسيم البلاغة ، وفصل المعاني والبيان ، وتبعه القزويني وفصل البديع فصلا تاما عن البلاغة ، وجعلها محصورة في المعاني والبيان ، يقول : «إن البلاغة في الكلام مرجعها الى الاحتزاز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد والى تمييز الكلام الفصيح من غيره ، والثاني اعنى التمييز منه ما يثبت في علم متن اللغة ، أو التصريف ، أو النحو ، أو التمريف ، وهو ما عدا التعقيد المعنوى ، وما يحترز به عن الاول يعنى الخطأ هو علم المعاني ، وما يحترز به عن الاول عني النعقيد المعنوي علم البيان ، وما يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه هو علم البيان ، وما يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه

⁽١) مفتاح العلوم ص ٢٠٠٠ .

على مقتضى الحال وفصاحته هو علم البديع »(١) ه

وقال عن البديع : « هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة (7) .

والبديع – عنده – ضربان: ضرب يرجع السى المعنى ، وضرب يرجع الى اللفظ ، وقد تكلم في الاول على المطابقة ، والمقابلة ، ومراعاة النظير ، والارصاد ، والمشاكلة ، والاستطراد ، والمزاوجة ، والعكس والتبديل ، والرجوع ، والتورية، والاستخدام ، واللف والنشر، والجمع والتفريق ، والتقسيم ، والجمع مع التقريق ، والتقسيم ، والجمع مع التقسيم ، والتمريد ، والمبالغة والمذهب الكلامي ، وحسن مع التقليل ، والتفريع ، وتأكيد المدح بما يشبه الذم ، وتأكيد الذم بما يشبه الذم ، وتجاهل العارف ، والقول بالموجب ، والاطراد ،

وتكلم في الثانى على الجناس ، ورد العجز على الصدر، والسجع، والموازنة ، والقلب ، والتشريع ، ولزوم ما لا يلزم .

والقزويني في هذا يتابع السكاكي في تقسيمه الى هذين النوعين ، ولكنه زاد عليه فَعَدَّ من المعنوى ثلاثين ضربا في «التلخيص»وواحدا وثلاثين في «الايضاح» ليس من بينها الالتفات، والاعتراض ،والايجاز والاطناب و واكتفى بذكرها في علم المعاني ، وجعل الطباق مشتملا على المقابلة متأثرا بابن سنان .

والفنون البديعية التي زادها على ما ذكر السكاكي في المعنوية: الارصاد ، والعكس ، والرجوع ، والاستخدام ، والتجريد ، والمبالغة، والمذهب الكلامي ، وحسن التعليل ، والتفريع ، وتأكيد الذم بما يشبه المدح ، والادماج ، والهزل الذي يراد به الجد ، والقول بالموجب ،

١١١ الايفساح ص ١١٠

⁽٢) الايضاح ص ٣٣٤٠

والاطراد ، والاستطراد • وزاد على المحسنات اللفظية : الموازنـة ، والتشريع ، ولزوم ما لا يلزم •

وذكر القزويني أنَّ اصل المحسنات في القسم اللفظي أن تكون الالفاظ تابعة للمعاني ، فان المعاني اذا إرسلت على سجيتها وتركت وما تريد ، طلبت لانفسها الالفاظ ولم تركثتس إلا ما يليق بها ، فإن كان خلاف ذلك كان كما قال أبو الطيب :

اذا لم تشاهد غير حسن شياتها واعضائها فالحسن عنك منعيب

وذكر رأيه في المتأخرين واهتمامهم بالبديع فقال: « وقد يقع في كلام بعض المتاخرين ما حمل صاحبه فرط شغفه بامور ترجع الى ما له اسم في البديع على ان ينسى انه يتكلم ليفهم ، ويقول ليبين ، ويخيل اليه انه اذا جمع عدة من اقسام البديع في بيت فلا ضير أن يقع ما عناه في عمياء ، وأن يوقع السامع من طلبه في خبط عشواء »(١) .

وذكر أن بعضهم يذكر اشياء في البديع لا قيمة لها ، وقد تركها لعدم دخولها في فن البلاغة نحو ما يرجع في التحسين الى الخط دون اللفظ على انه لا يخلو من التكلف ككون الكلمتين متماثلتين في الخط، وكون الحروف منقوطة أوغير منقوطة ،ونحو ما لا أثر كه في التحسين كما يسمى الترديد ، أو لعدم جدواه نحو ما يوجد في كتبب بعض المتأخرين مما هو داخل فيما ذكره ، كما سماه الايضاح فافه في الحقيقة راجع الى الاطناب ، أو خلط فيه كما سماه حسن البيان ، كما انهم يدخلون فيهما يخص السرقات ،وحسن الابتداء، والتخلص ،والانتهاء، وقد عقد لها فصلين ختم القرويني بهما كتابه ،

إِنَّ البديع عند القزويني وغيره يعود على الكلام بالتحسين العرضي لا الذاتي ، مع ان كثيرا من الوان البديع يقتضيها الحال ، ويحتاج اليها

⁽۱) الايضاح ص ٤٠٠ - ٤٠١ .

الاديب في شعره ونثره • وقد استطاع الدكتور حفني محمد شرف ان يظهر ذلك فعرض في كتابه: « ابن ابي الاصبع المصري بينعلماءالبلاغة» لالوان منه هي: صحة التقسيم ، والطباق ، والتسهيم ، واللف والنشر • وانتهى الى أنَّ تحسينها ذاتي لا عرضي ، وختم كلامه بقوله: « ولعلي بعد سياقة نلك النصوص ، وهذه الامثلة أن أكون قد ألقيت شيئا من الوضوح على ذلك الغموض الذي اكتنف البديع فاعتبروه ذيلا من ذيول البلاغة ، وجعلوا تحسينه عرضيا لا ذاتيا »(۱) •

المتأخرون والبديع:

وسار أكثر البلاغيين على خطاه ، وخالفه بعضهم ، يقول السبكى معلقا على تعريف القزوينى للبديع: « يحتمل أن يراد بعد معرفة رعاية تطبيقه وضوح الدلالة ، ويكون المراد هو قواعديعرف بها وجوه التحسين ووجوه التطبيق والوضوح ، ومعرفة التطبيق والوضوح سابقان على معرفة التحسين فيكون المعاني والبيان جزأين للبديع ، ويحتمل ان يراد قواعد يعرف بها بعد معرفة التطبيق والوضوح وجوه التحسين ، فلا يكون المعانى والبيان جزأين للبديع بل مقدمتين له ، وقد صرحوا بان المراد هو الاول ،

والحق الذى لا ينازع فيه منصفان البديع لا يشترط فيه التطبيق ولا وضوح الدلالة ، وان كل واحد من تطبيق الكلم على مقتضى الحال ومن الايراد بطرق مختلفة ، ومن وجوه التحسين قد يوجد دون الاخرين • وأول برهان على ذلك انك لا تجدهم في شيء من أمثلة البيان يتعرضون لاشتماله على التطبيق والايراد ، بل تجد كثيرا منها خاليا عن التشبيه ، والاستعارة ، والكناية ، التي هي طرق علم البيان هذا هو الانصاف وان كان مخالفا نكلام الاكثرين »(٢) •

⁽۱) ابن ابى الاصبع المصرى بين علماء البلاغة ص ٩٤ .

۲۸۲ – ۲۸۳ ص ۲۸۳ – ۲۸۱ ۰

واضطربوا في توزيع فنون البديع ، فوضع قسم منها في علم المعانى ، وأعيد بحثه في علم البديع ، وعلة ذلك انهم كانوا ينظرون اليه من زاويتين الأولى: ان تحسينه عرضي، والثانية: ان تحسينه ذاتي، فان كان من الأول فهو من البديع ، وان كان من الثاني فهو من علم المعانى ، والى ذلك اشار الدسوقى بقوله: « واعلم ان المحسنات البديعية انما يكون تحسينها عرضيا اذا اعتبرت من حيث انها محسنة ، وهي من هذه الجهة يبحث عنها في علم البديع ، واما اذا اعتبرت من ويث انها مطابقة لمقتضى الحال لكون الحال اقتضاها كانت موجبة للحسن الذاتى ، ومن هذه الجهة يبحث عنها في علم المعانى ، ولهذا لخيسن الذاتى ، ومن هذه الجهة يبحث عنها في علم المعانى ، ولهذا كر المصنف فيه الالتفات الذي هو من المحسنات البديعية »(۱) .

وكان ابن يعقوب المغربي قد ذهب الى هذا من قبل وقال: « ان البديعيات اذا قصد بها مناسبة الاحوال التي اوردت لاجلها عادت معاني. والمعاني اذا ذهل عن تلك المناسبات فيها واتي بها لاجل ظرافتها فقط كانت بديعيات » (٢) .

ولكن المتأخرين لم يحاولوا ان يصلحوا من منهج القزويني في البديع ، وان وضع بعضهم بديعيات تكلموا فيها على فنون البديع المختلفة واكدوا على البديع بصورة خاصة ، وساروا على هذا المنهج حتى عصرنا الحديث ، وإنه لمن المفيد حقا ان يعاد النظر فيه ، لان العصر الحاضر لن يستغني عن دراساته ما دام مقياسا بلاغيا جماليا يقاس به أدبنا الموروث وأدبنا الحديث ،

لقد وقفت دراسة البديع عند القزويني وشر "اح تلخيصه ، ولم تسمع الا على يدي ابن حجة الحموي صاحب « خزانة الادب » ، ويلاحظ ان القزويني لم يقدم جديدا في هذا الفن البلاغي • وكل ما بعله توزيع موضوعاته على المعسسنات المعنوية واللفظية ، وبذلك

⁽١) حاشبة الدسوقي ج١ ص ١٣١٠

⁽٢) مواهب المفتاح ج٣ ص ٢٢٤٠

أوقف هذا الفن البديع ، وجعله هياكل لا تغني ولا تفيد في دراسة الادب ونقده • ولكن الباحث مع ذلك من يستفيد كثيرا من مصطلحات البديع عنده ، لانها الصورة الاخيرة التي وقفت عندها كما يستفيد من بعض التقسيمات والامثلة التي عرضها ، وهي استفادة لا بأس بها •

نموذجـان:

ولكي نعطي صورة واضحة عن البـــديع عند القزويني نعرض نموذجــين منــه •

التقسيم:

فمن قسم المحسنات المعنوية التقسيم ، وهو أول أبواب قدامة بن جعفر ، وهذا ليس مذهبا عربيا في النقد ، وإن كان الشعراء وغيرهم يستعملونه في اساليبهم ، وانما نقلوه عن حكماء اليونان وهو من اوائل مباحث المنطق (١) ، ولكن ابن الاثير حينما يتكلم عليه يميز بين نوعين منه:

الاول: ما تقتضيه القسمة العقلية كما يذهب اليه المتكلمون كقولهم: « الجواهر لا تخلو اما ان تكون مجتمعة ، أو مفترقة ، أو لا مجتمعة ولا مفترقة ، أو مجتمعة ومفترقة معا ، أوبعضها مجتمعة وبعضها مفترقة ، وهذه القسمة صحيحة من حيث العقل لاستيفاء الاقسمام جميعا ، وان كان بعضها ما يستحيل وجوده .

والثاني: ما يقتضيه المعنى مما يمكن وجوده مسن غير ان يترك قسم واحد (٣) . وهذا ما يبحثه علماء البيان،أما القسم الاول فلا دخل له في البحوث البلاغية ، لانه يقتضي اشياء مستحيلة وقد استفاد منه

⁽١) ينظر نقد الشمر ص ٧٠ ، وقدامة بن جعفر والنقد الادبي ص ٢٤١ ومابعدها.

⁽٢) المتل السائر ج٢ ص ٣٠٤ .

واختلفت العبارات في التقسيم ، ولكنها كلها راجعة الى هدف واحد ، ويرى ابن حجة ان كلام ابن ابي الاصبع اكثرها دلالة عليه وبذلك يعجبه تعريفه : « التقسيم عبارة عن استيفاء المتكلم اقسام المعنى الذي هو آخذ فيه بحيث لا يغادر منه شيئا »(١) ، ويبدو انه لم يعجب بتعريف القزويني في « التلخيص » و « الايضاح » ، فقد قال عنه : انه « ذكر متعدد ثم اضافة ما لكل اليه على التعيين »(٢) ، كقول ابسى تمسام :

ونقل تعريف السكاكي وشواهده ، وانتهى الى !ن التقسيم أعم من اللف والنشر . وقد يأتى في الكلام جمع مع تفريق وذلك ان يدخل شيئان في معنى واحد ، ويفرق بين جهتي الادخال كقول الوطواط : فوجهك كالنار في ضوئها وقلبي كالنار في حرّها

ومنه قوله تعالى : « وَجَعَالنا اللَّيلَ والنهارَ آيتينِ ، فمحونا آيةَ اللهارِ مَنْ صِرَةً »(٣) .

وقد يجيء جمع مع تقسيم ، وهو جمع متعدد تحت حكم ، ثم تقسيمه ، أو تقسيمه ثم جمعه فالاول كقول المتنبي :

حتى أقدام على أرباض خرشنة تشقىبه الروم والصلبان والبيع للسبي ما نكحوا ، والقتل ما ولدوا والنهب ِ ما جمعوا، والنار ما زرعوا

⁽۱) بديع القرآن ص ٦٥ ، وخزانة الادب ص ٣٦٢ .

⁽٢) الايضاح ص ٣٥٨٠

⁽٣) سورة الاسراء ، الآيــة ١٢ .

والثاني كقول حسان :

قوم اذا حاربوا ضرّوا عدوهم أو حاولو! النفع في أشياعهم نفعوا سجية" تلك منهم غير محدثة إنّ الخلائق َفعالم شرها البدع أ

وقد يكون في الكلام الجمع مع التفريق والتقسيم كقوله تعالى: « يكو م يأتي لا تكككم نكس إلا باذنه ، فمنهم شقي وسعيد و فأمكا الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشكهيق خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك ، إن ربك فككال لما يريد وأمكا الذين سكيد وا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك عكاء عير مكذوذ »(١) .

وقد يطلق التقسيم على امرين:

أحدهما: ان يذكر احوال الشيء مضافا الى كل حال ما يليق بها كقول المتنبى:

سأطلب حَقيِّي بالقنا ومشايخ كأنهم من طول ما التثموا مرُدُ تقال" اذا لاقوا،خفاف" اذا دعنوا كثير" اذا شدوا ، قليل " اذا عند وا

والثاني: استيفاء أقسام الشيء بالذكر كقوله تعالى: « ثُمَّ أورثنا السكتاب الذين اصطفينا من عباد نا ، فمنهم ظالم "لنفسيه ، ومنهم مُقتَّتُ صِد" ، ومنهم سابق "بالخيرات باذن الله "٢١) • وقول نصيب :

فقال فريق القوم: لا ، وفريقهم: نعم، وفريق: لا يمن الله ِ ما ندري

ولم يتكلم القزويني على فساد التقسيم ، مع أن قدامة بن جعفر عقد له باباً ، وجعل هذا الفساد أنواءاً منها : التكرار ، كقول هذيل

۱۰۸ – ۱۰۸ – ۱۰۸ ، ۱۲یات ۱۰۸ – ۱۰۸ ،

⁽٢) سورة فاطر ، الآية ٣٢ .

الاشتجعي:

فما بررحت ومي إلي بطرفها وتومض أحيانا اذا خصمها غفل م

لان « تومض » و « تومي بطرفها » متساويان في المعنى • ودخول أحد القسمين في الاخر كقول أحدهم :

ابادر اهلاك مستته لك م العابث

ف « عبث العابث » داخل في « اهلاك مستهلك » •

أو أن يكون القسمان مما يجوز دخول أحدهما في الآخر كقولأبي عـــدي القرشي:

غير ما أَنْ اكون نلت نوالاً من نداها عفوا ولا مهنيا

فـ « العفو » قد يجوز إن يكون مهنيا ، و « المهني » قد يجوز ان يكـــون عفـوا .

أو ان يترك بعض الاقسام مما يحتمل الواجب تركه ، كقول جرير في بنى حنيفة :

صارت حنيفةأثلاثا فثلنهم من العبيد وثلث من مواليها (١)

ويلاحظ أن القزويني لم يستطع ان يوضح قيمة هـــــذا الفن البديعي ، أو أن يشير الى اهميته في الكلام مع ان قدامة بن جعفر وغيره من علماء البلاغة المتقــدمين تحدثوا عنه ، وذكروا أقسامه وأمثلته الرائعة .

⁽۱) ينظر نقد الشعر ص ۱۱۹ ، وتدامة بن جعفر والنقد الادبي ص ١٢٤ .

الجناس:

ومن المحسنات اللفظية الجناس ، وهو فن قديم عرف قبل أن يؤلف ابن المعتز بديعه ، حيث ألف الاصمعي « كتاب الاجناس » ، وكانت فكرة تشابه الالفاظ في الشكل تراود ذهنه ، وتبعه القاسم بن سلام، « وكان الجناس بعينه ضمن قضية اللفظ والمعنى التي اثارها بيان القرآن » (۱) ، يقول ابن المعتزعنه : «هو ان تجيء الكلمة تجانس اخرى في بيت شعر وكلام ، ومجانستها لها ان تشبهها في تأليف حروفها » (۲) ،

وأصبح الجناس أحد الفنون التي يدير فيها البلاغيون أقـــلامهم ، ويذكرونها في كتبهم ، وهو عنـــد بعضهم «غرة شـــــادخة في وجـــه الكلام »(٣) .

وشر قوا في بحثه وغر بوا ، واختلفوا فيما يينهم • وأهتم المشارقة ببحثه ، وفكك فيه رشيد الدين الوطواط ايما تفصيل ، وقسكمه الى سبعة اقسام : التجنيس النام ، والتجنيس الناقص ، والتجنيس الزائد، والتجنيس المركب ، والتجنيس المكرر ، والتجنيس المطرف ، وتجنيس الخط »(٤) .

واستفاد السكاكى منه ، وتابعه القزويني في معظم تقسيماته ، وإن كان قد أجاد في بحثه وذكر امثلته ، يقول : « الجنساس بين اللفظين وهو تشابههما في اللفظ »(د) ، وقسسمه الى : التام وهو ان يتفق اللفظان في أنواع الحروف وأعدادها وهيئاتها وترتيبها ، فان كانا من نوع واحد كاسمين سمي مماثلا كقوله تعالى : « ويوم تقوم السساعة م يتقسم

⁽١) اثر القرآن في تطوير النقد العربي ص ٢٢٣٠.

⁽٢) البديع ص ٥٥ .

⁽٣) المثل السائرج ١ ص ٢٤٦٠

⁽٤) حدائق السحر في دقائق الشعر ص ٩٤ وما بعدها .

⁽٥) الايضاح ص ٣٨٢٠

المجرمون ما لبيثوا غير ساعة »(١) • وان كانا من نوعين كاسم وفعل سمي مستوفى كقول أبي تمام:

ما مات من كرم ِ الزمان ِ فانه يحيا لدى يحيى بن عبدالله و نحوه قول الآخر:

وسميته يحيى ليحيا فلم يكن الى ركة أمثر الله فيه سبيل

وإِنْ كان أحد لفظي التام مركبا سمي جناس التركيب ، ثم ان كان المركب منهما مركبا من كلمة وبعض كلمة سموه مرفواً كقول الحريري :

ولا تله عن تذكار ذنبك وابكه بدمع يحاكي الوبل حال مصابه ومثل لعينيك الحمام ووقعكه وروعة ملقاه ، ومطعم صابه

وإلا فان اتفقا في الخط سمي متشابها كقول أبي الفتح البستي: اذا ملك لم يكسن ذاهبه فك عنه فسدولته ذاهبه

وإِنْ اختلفا سمي مفروقا كقول أبي الفتح:

كلكم قد أخذ الجـــا م ولا جـام لنــا ما الذي ضـر مدير ال جـام لو جاملنــا

وإن اختلفنا في هيآت الحروف سمي محرفا ، والاختلاف قسد يكون في الحركة كقوله تعالى: « ولقد أر سلنا فيهم متنذرين . فانظر كيف كان عاقبة المتندرين » (٢) ، وقد يكون في الحركة والسكون كقولهم: « البدعة شرك الشير "ك ، وقول أبي العلاء:

والحُسن يظهر في بيتين رونقه ميت" من الشعر أو بيت من الشُّعكر

⁽١) سورة الروم ، الآية ٥٥ .

⁽٢) سورة الصافات ، الآيتان ٧٢ ، ٧٣ .

وإِنْ اختلفا في اعداد الحروف سمي ناقصا ، ويكون ذلك على وجهــــين :

أحدهما: ان يختلفا بزيادة حرف واحد في الاول كقوله تعمالى: « والتفَّت السَّاقُ بالساق إلى ربك يومئه المسكاقُ »(١) ، أو في الوسط كقولهم: « جدي جَهدي، » ، أو في الآخر كقول أبي تمام:

> يَمدون من أيد ٍ عواص ٍ عواصم ٍ تصول باسياف ٍ قواض ٍ قواضب ِ

> > وقد يسمى هذا مطرفــا ٠

والثاني : ان يختلفا بزيادة أكتر من حرف واحد ، كقول الخنساء:

إِنْ البِكَاء و الشفا عُمن الجوى بين الجوانح

وربما سمى هذا الضرب مذيلا •

وان اختلفا في انواع الحروف اشترط ان لا يقع الاختلاف باكثر من حرف ، ثم الحرفان المختلفان ان كانا متقاربين سمى الجناس مضارعا ويكونان اما في الاول كقول الحريرى « يبنى وبين كنى ليل دامس وطريق طامس » • واما في الوسط كقوله تعالى « وهمم " يكنهون عنه ويكناون عنه » (٢) • واما في الآخر كقول النبي (ص) : « الخيسل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة » وان كانا غير متقاربين سمى لاحقا ، ويكونان في الاول كقوله تعسالى « وكيل" لكل همكزة للمنزة ي » (١) • واما في الوسط كقوله : « ذلكم بما كنتم تكفر حمون المنزة مناه بما كنتم تكفر حمون المناه بماكنتم تكفر حمون المناه بما كنتم تكفر حمون المناه بما كنتم تكفر حمون المناه بما كنتم تكفر كوناه بما كنتم تكفر كوناه بما كنتم تكفر المناه بما كنتم تكفر كوناه بما كنتم تكفر

⁽١) سورة القيامة ، الآيتان ٢٩ ، ٣٠ .

۲٦ سورة الانعام ، الآية ٢٦ ٠

⁽٣) سورة الهمزة ، الآية ١ .

في الأرضِ بغيرِ الحقِ وبما كنتم تُمَرَّحُونَ » (١) • واما في الآخر كقوله « واذا جاءهم أمر من الامن » • وقول البحتري :

هل لما فات من تلاق ملك على الصبابة من المن الصبابة من الصبابة من الصبابة من الصبابة من الصبابة من الصباب الصبابة من الصبا

وان اختلفا في ترتيب الحروف سمي جناس القلب وهو ضربان: قلب الكل كقولهم: «حسامه فتح لأوليائه، حتف لاعدائه»، وقلب البعض كما جاء في الخبر: « اللهم استر عوراتنا ، وآمن من روعاتنا » وعليه قول المتنبى:

مُمَنَّعة" مُنْكَمَّمة" رَداح" يكلف لفظّها الطير الوقوعا

واذا وقع احد المتجانسين جناس القلب في اول البيت والآخر في آخره سمي : مقلوبا مجنحا ، واذا ولي احد المتجانسين الآخر سمي مزدوجا ومكررا ومرددا ، كقوله تعالى : « وجيئتك من سكباً بنبأ يتقين » (۲) .

وهذا تقسيم القزويني للجناس ، وقد وهم المرشدي فقال عن السيوطى انه تبع الخطيب في تلخيصه وايضاحه بجعل الجناس المحرف في اقسام الجناس التام لان القزويني عده قسما مستقلا ، وانما بدأ به بعد التام لقربه منه (٣) وتقسيمه لا بأس به وبمقارنة ما كتب عن الجناس وامعان النظر فيما ورد منه في الكلام يتبين ان تقسيم القزويني أحسن هذه التقسيمات وابعدها عن الاسراف ، ولهذا يمكن ان نعدها اصول الجناس •

⁽١) سورة غافر ، الآية ٥٧ .

⁽٢) سورة النمل ، الآية ٢٢ .

 ⁽٣) ينظر المرشدي على العقود ج٢ ص ١٣ ، ومواهب الفتاح ج٤ ص ١٩٤ ، ونن
 الجناس ص ٨٧ .

والحق القزويني بالجناس شيئين:

أحدهما: ان يجمع اللفظين الاشتقاق كقوله تعالى: «فأقرِم وجُهـكُ للدين ِ القيّم ِ »(١) ، وقول البحتري :

يعشى عن المجد الغبي ولن ترى في سؤدد اربا الهير أريب

والثاني: ان يجمعهما المشابهة وهي ما يشبه الاشتقاق وليس به كقوله تعالى: « اثنّاقنكنتُم الى الأرض ِ أرضيتم بالحياة ِ الدنيا من الآخرة ِ »(۲) وقوله: « و جَنى الجنتين دان ٍ »(۲) ،

والاشتقاق هو الذي استخرجه أبو هلال يقول « وقد عرض لي بعد نظم هذه الانواع نوع آخر لم يذكره أحد ، وسميته المشتق » (٤) و والغريب ان ابن حجة يذكر ان هذا النوع لم يأت في كتابي «التلخيص» و « الايضاح » ، وهذا سهو ، لان السكاكي ذكره والحقه بالجناس واعتبره ابن الاثير كذلك ، يقول : « اعلم ان جماعة من علماء البيان يفصلون الاشتقاق عن التجنيس وليس الامر كذلك بل التجنيس أمر عام لهذين النوعين في الكلام » (٥) .

وتابعهم القزويني في « التلخيص» و« الايضاح » .

ويذكر علماء البديع المتأخرون نوعا آخرللجناس وهو الجناس المعنوي، ولم يذكره القزويني ولم يشر اليه، وكان ابن حجة الحموي قد تكلم عليه فيما بعد ، يقول : « المعنوي طرفة من طرف الادب عزيز الوجود ، ولم يذكره الشيخ جلال الدين القزويني في التلخيص ولا في الايضاح »(٦).

⁽١) سورة الروم ، الآية ٣ .

⁽٢) سورة التوبة ، الآية ٣٨ .

⁽٣) سورة الرحمن ، الآية ،٥ .

⁽٤) كتاب الصناعتين ص ٣٦، ، وخزانة الادب ص ٣٦٨ ، وابو هلال العسكرى ومقابيسه البلاغية والنقدية ص ٢٢٥ .

⁽٥) المثل السائر ج٢ ص ٣٣٧ .

⁽٦) خزانة الادب ص ١١ ٠

وهو ضربان: تجنيس اضمار ، وتجنيس اشارة ، والمعنوي المضمر هو ان يضمر الناظم ركني التجنيس ويأتي في الظاهر بما يرادف المضمر للدلالة عليه ، فإن تعذر المراد أتى بلفظ فيه كناية لطيفة تدل على المضمر بالمعنى كقول أبى بكر بن عبدون ، وقد اصطبح بخمرة ترك بعضها الى الليل فصارت خلا:

ألا في سبيل اللهو كأس مدامة أتتا بطعم عهده غير ثابت مكت بنت بسطام بن قيس صبيحة وأمست كجسم الشنفري بعد ثابت

والضرب الثاني من المعنوي: جناس الاشارة والكناية ، وسبب وروده في النظم ان الشاعر يعقد المجانسة في بيته بين الركنين في الجناس فلا يوافقه الوزن على ابرازهما فيضمر الواحد ، ويعدل بقوته الى مرادف فيه كناية لطيفة تدل عليه ، وهذا لا يتفق في الكلام المنثور(١) .

ونرى ان هذا لا تعلق له فيما نحن فيه ، ولذلك أهمله القزوينى، ولم يشر اليه مع ان فخر الدين الرازى ومعاصره الشهاب محمود ذكرا تحنيس الاشارة .

وللجناس تأثيره وقيمته لما فيه من ايهام النفس بان الكلمة المكررة ذات معنى واحد فاذا امعن المرء فيها النظر رأى للكلمتين معنيان مختلفين فيدفع ذلك الى الاعجاب بالكاتب أو الشاعر الذى اهتدى الى هذا الاستخدام (٢) .

وللتجنيس أصله في الدراسات النفسية ، فهو لا يخرج عن نظرية تداعي الالفاظ وتداعي المعاني في علم النفس ، وجماله « يأتي في أن السامع كان ينتظر معنى فخاتله الاديب وردد اللفظ بمعنى آخرفالسامع استفاد شيئا جديدا وهو يعاني انفعال المخاتلة والخداع الادبي ، وبعد أن يفهم الجديد في الجناس يقع في انفعال آخر من المسرة والاعتراف

⁽١) خزانة الادب ص ١٤ وما بعدها .

⁽٢) ينظر اسس النقد عند العرب ص ٤٤٣٠

بان مستواه في الذكاء أقل من مستوى الاديب »(١) .

ولكن هل أحس القزويني بجمال الجناس وروعته ؟

ان القزويني لم يبين أثره وجماله ، ولم تكن اشاراته عن حسنه الا اشارات عابرة وان كانت تدل على ذوق وادراك فني ، يقول في الجناس التام: « ووجه حسن هذا القسم ، حسن الافادة مع ان الصورة صورة الاعادة » (۲) .

ويقول في بيت أبي تمام:

يمـــدون من أيد عواص عواصم تصول باسياف ٍ قواض ٍ قواضب ِ

بعد ان ذكر الجناس المطرف: « ووجه حسنه أنك تتوهم قبل ان يرد عليك آخر الكلمة كالميم من « عواصم » انها هي التي مضت ، وانما اتي بها للتأكيد حتى اذا تمكن آخرها في نفسك ووعاه سمعك، انصرف عنك ذلك التوهم، وفي هذا حصول الفائدة بعد ان يخالطك اليأس منها» (٣) وهذه التفاتة حسنة منه ، وان كان عبد القاهر يحمل على الذين يذهبون الي أن فصاحة الكلام تكون بالتجنس من غير الالتفات ألى نظمه وترتيبه ، وان التجنيس لا يكون مقبولا حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه ، وأن جماله لا يعود الى اللفظ ابدا ، يقول بعد ان ذكر بيت ابى تمام:

ذهبت بمذهبه السماحة والتوت فيه الظنون أمذهب أم مذهب

واذا نظرت الى تجنيس أبي تمام: «امذهب أم مذهب» فاستضعته والى تجنيس القائل « حتى نجا من خوفه وما نجا » ، وقول المحدث:

⁽۱) بلاغة ارسطو بين العرب واليونان ص ١٢٠ ، وقدامة بن جعفر والنقد الادبى ص ٢٩٧ .

⁽٢) الايضاح ص ٣٨٤٠

⁽٣) الايضاح ص ٣٨٦ .

فاستحسنته ، لم تشك بحال ان ذلك لم يكن لامر يرجع الى اللفظ ولكن لانك رأيت الفائدة ضعفت في الاول وقويت في الثانى ، وذلك انك رأيت أبا تمام لم يزدك بمذهب ومذهب على أن اسمعك حروف مكررة لا تجد لها فائدة ان وجدت الا متكلفة متمحلة ، ورأيت الآخر قد أعاد عليك اللفظة كأنه يخدعك عن الفائدة ويوهمك انه لم يزدك وقد احسن الزيادة ووفاها ، ولهذه النكتة كان التجنيس وخصوصا المستوفى منه مثل : « نجا نجا » من حلى الشعر »(١) .

ولعل بهاء الدين السبكى كان اكثر توفيقا من القزوينى في اظهار روعته وجماله ، فقد نقل عن صاحب «كنز البلاغة » أن أهميته هى الميل الى الاصغاء اليه ، فان مناسبة الالفاظ تحدث ميلا واصغاء اليها ، ولان اللفظ المشترك اذا حمل على معنى ثم جاء المراد به معنى آخركان للنفس تشوف اليه (٢) .

ولعل في هذين المثالين ما يوضح اتجاه القزويني في البديع ، وهو اتجاه لا نحمده عليه كثيرا ، لان اخراج البديع عن البلاغة واعتباره ملحقا بها يؤتى به للزينة وتحسين الكلام غير صحيح ، بل المعنسي هو الذي يتطلبه ، وقد يجيء فن بديعي وحده في الكلام فيزينه ، ويجعل له تأثيرا عظيما ، وقد اتبه القدماء لاهمية فنون البديع واعتبروها كفنون البلاغة والنقد الاخرى ، لها قيمتها وأثرها في التعبير ، وإن ما ذكره القزويني منها ضروري ولا يمكن الاستغناء عنه ، اما ما ذكره المتأخرون فمعظمه لا قيمة له ، لان البديع ليس حلية يؤتى بها قسرا ، وقد جرد القزويني كتابه منها ولم يئات إلا بما فيه النفع وله اهمية في التعبير ،

⁽١) دلائل الاعجاز ص ٤٠٢ ، وينظر اسرار البلاغة ص ١٣ ، ١٤ .

⁽۲) ينظر عروس الافراح ج٤ ص ١١٦ - ١١٣ .

السيعيات:

وكان لفصل البديع عن المعاني والبيان وجعله ذيلا لـ ه كما فعل القزويني أثر في اتجاه الادباء في عصر القزويني وما بعـ ده الى البديع ودراسته دراسة عميقة واسعة وقد بدأت هذه الدراســات مبكرة ، ولكنها قويت في هذا العصـر فكان « بديع القرآن »و «تحرير التحبير» لابن أبي الاصبع المصري •

واتجه الشعراء ينظمون البديع في مدح الرسول المنقذ محمد (ص) أو في الغزل ، ويحصرون فنونه في قصائد اطلق عليها اسم البديعيات، ومن أهم بديعيات عصر القزويني وما بعده بديعية صفي الدين الحلي (٧٥٠ هـ) (١) وهي في مائة وخمسة واربعين بيتا من بحسر البسيط وروي الميم مطلعها:

إِنْ جَـِئْتُ سَلْعَا فُسَكُ عَنْ جَيْرَةً الْعَكْمُ واقْرُ السَّسِلَامُ عَلَى عَرْبِ بِذي سَلَمْ

وضمن كل بيت فيها محسنا من محسنات البديع ، وقد ضمت مائة وخمسين محسنا ، حيث جعل فيها للجناس اثني عشر ضربا نظمها في الحيات الخمسة الاولى ، وستماها « الكافية البديعية في المدائح

⁽١) تنظر ترجمته في الدرر الكامنة ج٢ ص ٣٦٩ ، وقد طبعت بديعيته مع شرحها .

النبوية » ، وشرحها بكتاب سمّاه : « النتائج الالهية في شرح الكافية البديعية » • وصنف عبد الغنى النابلسي على هذه القصيدة شرحاسماه « الجوهر السنى في شرح بديعية الصفى » •

« الجوهر السني في شرح بديعية الصفي » • ونظم أبن جابر الاندلسي (٧٨٠ هـ)(١) بديعية وهي كالبردة في الوزن والروي والموضوع ، وضمن كل بيت فيها نوعاً بديعياً من غير أن سمه ، ومطلعها:

بطيبة َ انزل ْ ويَمَّم ْ سَيد الأمـــم وانْشُر ْ له المدح وانْشُر ْ أطيب َ الكلّـِم ِ

وسماها: «الحلة السيّرافي مدح خير الورى » • وقد شرحها ابو جعفر احمد بن يوسف بن مالك الرعيني الغرناطي (٢٧٩هـ) بكتاب سماه: «طراز الحلة وشفاء الغلة »(٢) • وقد م لها مقدمة تتعلق بفن البديع ، تحدث فيها عن معناه لغة واصطلاحا ، وعن الفصاحة وشروطها في الكلمة والكلام المركب ، وتكلم على البلاغة والفرق بينها وبين الفصاحة • واشار الى ان ابن جابر اتبع في سرد المحسنات البديعية الخطيب القزويني في كتابيه « التلحيص »و « الايضاح » ، ولكنه بدأ بالقسم المتعلق باللفظ ، وأخر القسم المتعلق بالمعنى ، وهو في ذلك يمضي على غرار بدر الدين بن مالك في كتابه « المصباح » •

يقول الرعيني: « وقد آن أن آخذ في الكلام على أبيات القصيدة حسبما تحصل به الفائدة ، ويعود على الناظر فيه بأحسن عائدة ، فنقول: ان المصنف تبع في هذه القصيدة القاضي جلال الدين القزويني صاحب الايضاح والتلخيص ، فذكر من ألقاب البديع ما ذكره ، إلا أن

⁽۱) تنظر ترجمته في شذرات الذهب ج Γ ص ۲٦٨ ، والدرر الكامنة ج Γ ص ٣٣٩ و ونكت الهميان ص Γ .

⁽٢) في مكتبة الاوقاف ببغداد سيخة منها برقه ١٢١٤٢ (ينظر وصفها في كتاب المستدرك لعبدالله الجبوري ص ٢٦٧ ـ ٢٦٩) ، وفي دار الكتب بالقاهرة ثلاث نسخ منها، برقم ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٨ بلاغة ،

المصنف بدأ بالقسم الذي يتعلق باللفظ ، وأخر القسم الذي يتعلق بالمعنى على ما ستقف عليه ، وهو في هذا النرتيب موافق لصاحب المصباح ، وهو ترتيب حسن ، لأن اللفظ وسيلة الى المعنى ، وحق الوسيلة أن تكون متقدمة، وايضافان ما يتعلق بالمعنى لا يكون الا بعد التراكيب بخلاف ما يتعلق باللفظ ، وحال الافراد مقدم على حال التركيب » (١) ،

ونظم عز الدين الموصلي (٨٩ هـ) (٢) بديعية التزم فيها تسمية الفن البديعي مورياً بكلمة عنه في البيت الذي يتضمنه ، ومطلعها :

براعة" تستهل الدمع في العلم عبارة عن نداء ِ المفرد ِ العكم

وظهر في هذه الفترة اديب ناقد كان له أئر كبير في البديعيات أو في البلاغة العربية ، وذلك الناقد أبو بكر علي بن حجة الحموي المولود في حماة سنة ٧٩٧ هـ أو ٧٧٧ هـ والمتوفى فيها سنة ٨٣٧ هـ (٦) • وقد وجد ابن حجة عصره يزخر بالبديعيات وكان قد أعجب ببديعيتي الحلي والموصلى فاراد ان يضع بديعية تفوقهما وتعفو عليهما ، ووضع بديعيته وضمن كل بيت نوعا بديعيا مع الأشارة الى اسم هذا الفن في البيت نفسه ، وسماها « تقديم أبى بكر » وأبياتها مائة واثنان واربعون بيتا، وهى على البحر البسيط ، وروي الميم مطلعها :

لي في ابتدا مدحكم يا عُمُر ْبِ ذي سكلَم ِ براعـــة * تستهل الدمع أفـــي العكلَم ِ

يقول مفتخرا بها: « فجاءت بديعية هدمت بها ما نحته الموصلي

⁽١) طراز الحلة وشفاء الفلة ص ١٧ (مخطوطة الاوقاف ببفداد) .

⁽٢) تنظر ترجمته في الدرر الكامنة ج٣ ص ٣٤ .

⁽٣) تنظر ترجمته في الضوء اللامع ج١١ ص ١١٤ وشلرات الذهب ج٧ ص ٢١٥ ، وللاستاذ محمود رزق سليم دراسة عنه بعنوان « تقى الدين بن حجة الحموى » وكتب عنه فصلا كبيرا في كتابه « عصر سلاطين المماليك » ج٦ .

في بيوته من الجبال ، وجاريت الصفي مقيدا بتسمية النوع وهو مسن ذلك محلول العقال ، وسميتها « تقديم ابى بكر » ، عالما انه لا يسمع من الحلي والموصلي في هـذا التقديم مقال »(١) ، وتضمنت هـذه البديعية نحو مائة واربعين نوعا .

ورأى ابن حجة ان هذه البديعية لن تكون ذات فائدة وقيمة كبيرة ان بقيت ابيات شعر تحفظ وتروى من غير تفهم وتبصر بفنونها البديعية فوضع لها شرحا سماه «خزانة الادب وغاية الارب » ووازن بينها وبين بديعتي الموصلي والحلي •

ومنهجه فيها يختلف عن منهج البلاغيين الذين عرفوا في عصره بعد سيطرة تلخيص القزويني وشروحه على الدراسات البلاغية ، فلم يقسم البلاغة الى فنونها الثلاثة ، ولم يلتزم بالحدودوالتقسيمات التى فرضتها بلاغة السكاكي والقزويني ، وانها سلك مذهبا آخر فيه ابتعاد عن كل ما يفسد الذوق ، وينفر الناس عن دراسة البلاغة والنقد ، لقد كان ابن حجة يعرض الفن الذي ضمنه بيتا من البديعية ، فيعر فه تعريف بلاغيا ، ويذكر أمثلة شعرية ونثرية كثيرة ، ويرد على بعضهم إن كان ابن هناك مجال للرد والمناقشة ، ويوازن بين الآراء المختلفة ،

ويمكن ان نعد « خزانة الادب » من خيرة كتب النقد والبلاغة بعد القزويني ، لأن مؤلفها لم يلتزم بالمنهج السائد ، ولم يقلد المتقدمين تقليداً اعمى ، وانما جاء بكل طريف جديد بالنسبة لكتب عصره الذى سادته موجة التقليد واجترار الماضي وللكتاب أهمية تقدية وبلاغية وتاريخية ، أما أهميته النقدية فلان ابن حجة كان ناقد ماهرا في هذا الكتاب يعرض الامثلة ، ويوازن بينها ، ويعطي رأيه في كشير من الاحيان .

وأما أهميته البلاغية فقد شرح المؤلف فيه معانى الفنون البلاغية،

⁽۱) خزانة الادب س ٣ .

وذكر التعريفات والآراء المختلفة ، ونجد فيه كثيرا من أقوال علماء البلاغة الذين طمس الزمان آثارهم ، وعفتى عليها ، ومن هنا كانت له أهمية بلاغية كبيرة .

وأما فائدته التاريخية والادبية فهى ان المؤلف يذكر أخبارا ادبية، ويسوق كثيرا من الامثلة الشعرية والنثرية مما لا يمكن العثور عليها في كتب أخرى • وقد خلد صفحات كثيرة من شعر معاصريه وأدبهم ، ولولا الخزانة لضاع واندثر ، وان الباحث ليستطيع ان يستخرج منها شعرا كثيرا لمعاصريه أو ممن عاشوا في العصر المملوكي •

ولا يخلو الكتاب من آراء شخصية ، والتفاتات نقدية صائبة كرأي ابن حجة في الجناس فهو يرى ان لا قيمة لما فيه من محسن لفظى، وانما تأتى أهميته وقيمته في كونه محسنا معنويا له أثر في التعبير والاداء ، ومن أجل هذا بحث الجناس المعنوى الذى اهمله القزويني وغيره من علماء البلاغة ، يقول : «أما الجناس فانه غير مذهبي ومذهب من نسجت على منواله من أهل الادب ، وكذلك كثرة اشتقاق الالفاظ فان كلم منهما يؤدي الى العقادة والتعقيد عن اطلاق عنان البلاغة في مضمار المعاني المبتكرة كقول القائل واستحيى أن اقول انه ابو الطيب :

فقلقلت بالكهم الذي قلقل الحكشا قلاقل عيش كلهن قلاقل م

ولقد تصفحت ديوانه فلم اجد لوافد هذا النوع نزولا الا ما قل في أبياته وهو نادر جدا ، ولا العرب من قبله خيمت بابياتها عليه غيرأن هذا البيت حكمت على أبى الطيب به المقادير » (١) .

وفي «خزانة الادب » آراء كثيرة مبثوثة يمكن الاستفادة منها في بلاغتنا الحديثة • والى جانب هذا كله آراء يناقش فيها القزويني ويرد عليه ، وقد يوافقه أحيانا • واول ما نرى اشارته الى اهمال القزويني

⁽۱) خزانة الادب ص ۲۰.

الجناس المعنوي ، فقد قسمه الحموي الى ضربين : تجنيس اضمار ، وتجنيس اشارة • وهو عنده من أروع انواع الجناس لانه يتعلق بالمعنى ، ويضفى على الكلام جمالا دونه جمال الجناس اللفظى ، يقول عنه : « فان المعنوي طرفة من طرف الادب عزيز الوجود جدا ، ولم يذكره الشيخ جلال الدين القزويني في التلخيص ولا في الايضاح ، ولا ذكره ابن رشيق في العمدة ، ولا زكي الدين بن ابي الاصبع في التحرير ولا ابن منقذ في كتابه » (١) •

والجناس المعنوي عنده: « ان يضمر الناظم ركني التجنيس، ويأتي في الظاهر بما يرادف المضمر للدلالة عليه ، فان تعذر المراد أتى بلفظ فيه كناية لطيفة تدل على المضمر بالمعنى »(٢) •

ونقل عن القزوينى تعريف الاستطراد ، ويراه أقرب الى الغرض وأوفى بالمرام ، يقول « وحد صاحب الايضاح الاستطراد بحد أتى فيه بالغرض بعدما بالغ في الايجاز فانه قال : الاستطراد هو الانتقال من معنى الى معنى آخر متصل به ، ثم يقصد بذكر الاول التوصل الى الثاني، ففي قوله « متصل به » جل القصد ، وعدم الاحتياج الى الكلام الكثير » (1) .

وادخل القزويني المقابلة في المطابقة (٤) ، ولكن الحموي لا يقبل رأيه لانهما شيئان مختلفاذ ، يقول: « المقابلة أدخلها جماعة في المطابقة وهو غير صحيح ، فان المقابلة أعم من المطابقة وهي التنظير بين شيئين وأكثر وبين ما يخالف وما يوافق ٠٠ وهذا مذهب زكي الدين بن ابي الاصبع (٥) ٠ والفرق بين المطابقة والمقابلة من وجهين :

⁽١) خزانة الادب ص ٤١ ٠

۲) خزانة الادب ص ۱۱ .

⁽٣) خزانة الادب ص ٤٤ ، وينظر الايضاح ص ٣٤٩

⁽٤) ينظر الايضاح ص ٣٤١٠

⁽ه) خزانة الادب ص ٥٧ ٠

احدهما: ان المطابقة لا تكون الا بالجمع بين ضدين ، والمقابلة تكون غالبا بين أربعة أضداد ، ضدان في صدر الكلام ، وضدان في صدر عجره .

والثانى: ان المطابقة لا تكون الا بالاضداد ، والمقابلة بالاضداد وغير الاضداد ، ولكن بالاضداد أعلى رتبة ، وأعظم موقعا .

وهذا اختلاف شكلى بين الفنين ، وأى فرق بين الجمع بين ضدين أو اكثر ، ولكن ابن حجة ومن قبل ابن ابى الاصبع كانا مولعيين بالتقسيمات وتفريع الفن الواحد ألى عدة فروع لاجل التباهى بايجاد فنون بلاغية أو بديعية جديدة ، ونرى ان القزويني كان اسلم نظرا ، وأصوب رأيا ، لانه لم يرد ان يفرع الفن الواحد الى فنون ، تقليلا للمصطلحات والاقسام التى لا قيمة لها في البلاغة والنقد ،

واعجب ابن حجة ببيت القاضي الارجانى الذى جاء به القزوينى شاهدا في الطباق يقول: « ومن لطيف هذا الطباق ما أورده القاضي جلال الدين القزويني في ايضاحه على تلخيصه وهو قول القاضي الارجهاني:

ولقد نزلت من الملوك بمأجد فقر الرجال اليه مفتاح الغني(١)

ونقل عن القزويني تفسيم القول بالموجب الى ضربين:

أحدهما: ان تقع صفة في كلام الغير كناية عن شيء أثبت له حكم فتثبت في كلامك تلك الصفة لغير ذلك الشيء من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم له أو انتفائه عنه •

والثانى: حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده ممسا يحتمله بذكر متعلقه . وهذا هو القسم الذي عرف بين الناس ونظمه

⁽١) حزانة الادب س ٧١ ، وينظر الايضاح س ٢٣٥ .

اصحاب البديعيات •

وكان ابن ابى الاصبع قد تكلم عليه ، ولكنه لم يقسمه هـــــذا التقسيم فنقله ابن حجة عن القزوينى الا انه خلط بينه وبــين اسلوب الحكيم ، وذكر الامثلة التى ذكرها السكاكى والقزوينى في اسلـوب الحكيم في علم المعانى ، وأدخلاه في بحث خروج الكــلام على مقتضى الظاهر(١) .

ونقده في بحث التورية ، لانه لم يفصل الكلام فيها ، ولم يعرض أنواعها التى عاشت في كلام المتأخرين ، يقول : «واما صاحب التلخيص فانه قال مشيرا الى البديع : ومنه التورية وتسمى الايهام ايضا ، وهى ان يطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد وهى ضربان : مجردة ومرشحة ، ولم يزد على ذلك »(٢) .

وهذا القول صحيح بالنسبة لما ذكره القزويني في التلخيص، ولكن فيه بعدا عن الحقيقة بالنسبة لما جاء في الايضاح فقد تكلم عليها وذكر أمثلة كثيرة (٦) ، ولكن الحموي لم يكفه هذا كله لان التورية في عصره استأثرت بجزء غير قليل من ادب العصر المملوكي ، وكان ميدانها مراح تسابق لادبائه ، والف الصفدي فيها كتاب « فض الختام عن التورية والاستخدام » ، وكان ابن حجة متعصبا لها تعصبا عظيما ومتحمسا تحمسا شديدا وهي عنده في أعلى مراتب الادب ، يقول : « هذا النوع اعني التورية ما تنبه لمحاسنه الا من تأخر من حذاق الشعراء وأعيان الكتسابة ، ولعمري انهم بذلوا الطاقة في حسن سلوك الادب الى ان دخلوا اليها من باب التورية ، فان التورية من اغلى فنون الادب واعلاها رتبة ، وسحرها ينفث في القلوب ، ويفتح بها ابواب عطف ومحبة ، وما برز شمسها من غيوم النقد الاكل ضامر مهزول ، ولا احرز قصبات

⁽۱) ينظر مفتاح العلوم ص ١٥٥ ، وتحرير التجبير ص ٥٩٩ ، وبديع القرآن ص ٣١٤، والايضاح ص ٧٥ ، ٣٨٠ ، وخزانة الادب ص ١١٦ .

⁽۲) خزانة الادب ص ۲۶۲ .

⁽٣) التلخيص ص ٣٥٩ ، والايضاح ص ٣٥٣ .

سبقها من المتأخرين غير الفحول »(١) • ومن هنا أفاض في بحثها ، وفكصس في انواعها وامثلتها واخذت جزء كبيرا من كتابه ، واستغرق بحث التورية ١٤٠ صفحة ، ويمكن ان يعد هذا البحث وحده كتاباكاملا عن التورية اضافة الى كتابه عن التورية المسمى «كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام » الذى استدرك فيه على الصفحدى ، وأوفى التورية حقها من البحص • ومن هنا رأى ان القزويني لم يذكر شيئا عنها عنها عنها و

ويرى الحموى ان تعريف السكاكى والقزوينى للتقسيم ليس بذى قيمة اذا ما قورن بكلام ابن ابى الاصبع وتعريفه ، يقول بعد ان ذكر تعريفيهما : « ويعجبني بلاغة زكي الدين بن ابى الاصبع فانه قال : التقسيم عبارة عن استيفاء المتكلم أقسام المعنى الذى هو آخسن فيه »(۲) • وقد قال السكاكي : « والتقسيم ، وهو ان تذكر شيئا ذا جزءين أو اكثر ثم تضيف الى كل واحد من اجزائه ما هو له عندك »• وقال القزويني : «هو ذكر متعدد ثم اضافة مالكل اليه على التعيين»(۳) •

ويلاحظ أن تعريفي السكاكي والقزويني أقرب الى مفهوم هـــذا الفن ، وانهما يدلان على معناه .

ويفضل رأى القزويني في الرجوع وتسميته ، ولا يرى وجها في تسمية ابن المعتز وابي هلال وغيرهما لهذا الفن استدراكا واعتراضا ، ونقل تعريف القزويني له ، وأثنى عليه ثناء عظيما⁽³⁾ ، وذكر انه لم يبحث الاشتقاق ، يقول وهو يتحدث عنه : « وهسذا النوع أعنى الاشتقاق استخرجه الامام ابو هلال العسكرى وذكره في اخرالبديع من كتابه المعروف الصناعتين وعرفه بان قال : هو ان يشتق المتكلم من

⁽۱) خزانة الادب ص ۲۳۹ .

⁽٢) خزانة الادب ص ٣٦٢ .

⁽٣) مفتاح العلوم ص ٢٠١ ، والايضاح ص ٣٥٨ ، والتلخيص ص ٣٦٤ .

⁽٤) خزانة الادب ص ٣٦٧ .

الاسم العلم معنى في غرض يقصده في مدح او هجاء أو غيره • وهذا النوع ما ذكره القاضي جـــلال الــــــدين القزوينى في التلخيص ولا في الايضــــــاح » (١) •

وهذا نكران من الحموى ، لأن القزوينى تكلم عليه ولكنه لم يفرده بالبحث ، وانما الحقه بالجناس لذلك يقول في التلخيص: « ويلحق بالجناس شيئان: احدهما: ان يجمع اللفظين الاشتقاق نحو: «فأقم وجهك للدين القكيم » • والثاني: ان يجمعهما المشابهة وهي ما يشبه الاشتقاق نحو: «قال اني لعملكم من القالين »(۲) •

وقد اتخذ الحموى من اقوال القزويني تأييدا الى ما ذهب اليه، يقول في الايداع ، دعما لرأيه :

«ومما يؤيد قولي هذا قول القاضي جلال الدين القزويني في التلخيص و الحسنه ما زاد على الاصل بنكتة كالتورية والتشبيه » (٣) و وتقل عنه تعريف التجريد ، ولكنه لم يستفد من أمثلته البديعة ، وذكر أمثلسة لا رونق فيها ولا رواء كقول الشاعر :

ا ُعانِق ُ غُصُن َ البان ِ من لِين ِ قَدْهِا وأجني جَنْبِي ؓ الور ٌدْ ِ مِن ْ وَجَنَاتِها

فانه جرد من قدها غصنا ، ومن وجنتيها وردا(٤) .

هذا ما نقله ابن حجة الحموى عن القزويني وما وافقه فيه أو خالفه، وهو يوضح لنا أثر الخطيب في البلاغة على نطاق واسع ، فلم ينج منه حتى اولئك المدين ابتعدوا عن منهجه ، وخاضوا في بحسوث البحديع .

⁽۱) خزانة الالادب ص ۳٦۸ ٠

⁽٢) التلخيص ص ٣٩٢ ، وينظر الايضاح ص ٣٨٩ ٠

۳۷۰ خزانة الادب ص ۳۷۰ .

⁽٤) خزانة الادب ص ٣٦٦ .

ويلاحظ أن الحموى _ وان استفاد من الخطيب القزوينى _ استطاع ان يصبغ تلك الفائدة بصبغة جديدة ، وان يضفي عليها ظلالا ، ولم يكن الحموي ليستطيع ان يقلده في كل شيء وهو يشسرح بديعيته التي كان لها تنسيق خاص لموضوعات البلاغة انتي لم يقسمها كالقزويني الى المعاني والبيان والبديع ، ولم يوزعها كأبن الاثير في بابين كبيرين هما : الصناعة اللفظية والصناعة المعنوية ، ومن هنا كانت له الحرية في ترتيب الموضوعات ، وعرضها ، وكانت له الحرية في الشرح والتحليل فجاء بديعه اندى من بديع القزويني ، واكثر روعة وتأثيرا ، يضاف الى ذلك ان الحموي كان اديبا موهوبا ، وشاعرا مطبوعا فأثر يضاف الى ذلك ان الحموي كان اديبا موهوبا ، وشاعرا مطبوعا فأثر هذا كله في بلاغته ، اما القزويني فلم تكن له اليد الطولي في الادب والشعر ، وانما كان عالما فقيها فأثر ذلك في بلاغته ، وطبعها بطابع علمي ليس فيه من التحليل الادبي ، وتحسس مواطن الجمال ما في خزانة ليس فيه من التحليل الادبي ، وتحسس مواطن الجمال ما في خزانة

ومهما يكن من شيء فان الحموى قدم للبديع أكثر مما قــــدم القزويني ، وابدع في بحثه ، وعرض اقسامه وامثلته أكثر مما فعل الخطيب ، ومن هنا نرى ان قيمة « خزانة الادب » كبيرة لا تدانيها قيمة ايضــاح القزويني •

* *

وللسيوطى بديعية سماها « نظم البديع في مدح خير شفيع » ول عليها شرح • ونظمت عائشة الباعونية (٩٢٢ هـ) بديعية سمتها «الفتح المبين في مدح الامين » أولها :

في حُسن مطلع اقماري بذي سكم أصبحت في زمرة العشاق كالعكم

وقد نظمتها على منوال بديعية ابن حجة مع عــــدم تسمية النوع

البديعي تمسكا بطلاقة الالفاظ وانسجام الكلمات ، وشرحتها كما فعل ابن حجة واعتمدت عليه كثيرا ، تقول : « وبعد فهذه قصيدة صادرة عن ذات قناع شاهدة بسلامة الطباع ، منقحة بحسن البيان ، مبنية على أساس تقوى من الله ورضوان ، سافرة عن وجوه البديع ، ساميةبمدح الحبيب الشفيع ، مطلقة من قيود تسمية الانواع ، مشرقة الطوالع في افق الابداع ، موسومة بين القصائد النبويات ، بمقتضى الالهام الذي هو عمدة اهل الاشارات بالفتح المبين في مدح الامين ، استخرت الله تعالى بعد تمام نظمها ، وثبوت اسمها ، في شيء يروق الطالب موارده ، وتعظم عند المستفيد فؤاده ، وهو ان اذكر بعد كل بيت حسد النوع الذي بنيت عليه ، وأقر شاهده فان ذلك مما يفتقر اليه وأنحو في ذلك سبيل الاختصار ولا أخل بواجب ، وأنبه على ما لا بد منه قصدا لنفع الطالب ، والمسؤول من الفتاح بتأسيسها على قواعد اذن الله ان ترفع ومن مثبت رفعها بوجاهة مدح الوجيه المشفع ان يصلى ويسلم عليه ويجعلها خالصة لوجهه الكريم » (۱) ،

ولصدر الدين بن معصوم الحسيني المدني (١١١٧ هـ) (٢) بديعية مطلعها:

حُسنْنُ ابتـــدائمي بذكرى جيرة ِ الحرمِ ِ لَا اللهُ ال

ونظم عبد الغنى النابلسي المتوفى سنة (١١٤٣ هـ -١٧٣١ م) (٣) بديعيتين لم يلتزم في أولاهما تسمية النوع والتزمها في الثانيــة، ومطلــع الاولى:

يا منزل َ الركثبِ بين البانِ فالعلمِ من سَـَفْحَ ِ كاظمةً عِـثَـيِّــت َ بالدِّيمَــِ

⁽۱) شرح بديعية الباعونية ـ حاشية خزانة الادب ص ٣١٠ - ٣١١

⁽٢) ننظر ترجمنه في البدر الطالع ج١ ص ٢٨٤ ، وروضات الجنات ص ٢١ .

٣) تنظر ترجمته في سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر للمرادي ، ج٣ ص ٣٠٠٠

ومطلع الشانية:

يا حُسنْنَ مطلع ِ من أهوى بذي سَلَم ِ براعة ُ الشَّوق ِ في استهلالهــــا ألمي

وسمى منظومته « نسمات الاسحار »(١) .

وهناك بديعيات أخر ، وكلها من البحر البسيط ومعظمها على روي الميم وفي مدح الرسول محمد (ص) واصحابه (٢) .

وبقي البديع على هذه الحال تتقاذفه أشعار أصحاب البديع ، وتقضي على طلاوته كتب المختصرين والناظمين حتى أصبح قوالب جامدة ليس فيها النفع وانارة السبيل ، وما أحوجنا اليوم الى ان نعيد النظر في فنونه على ضوء الدراسات الحديثة ، فنأخذ منها ما كثر استعماله في كلام العرب ، وما كان له تأثير في ادبنا الحديث ، وبذلك نبعث الحياة فيه من جديد، ونعطيه حقه في الدراسات البلاغية والنقدية ،

⁽۱) تنظر دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة العربية) ج٣ هامش ص ٧٠} ، والبلافة تطوي وتأريخ ص ٣٦٤ ـ ٣٦٥ .

 ⁽٢) تنظر دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة العربية) ج٣ ص ٧٠٤ ، والبلاغة تطور وتأريخ ص ٣٦٥ ـ ٣٦٧ .



الفضاائخامس

الترقيات

A,

الابتداع والاتباع:

فطن النقاد العرب الى التجديد والتقليد ، وفرقوا بين الابتداع والاتباع ووضعوا لذلك قواعد واصولا ، وقسموا المعانى الى ضربين: ضرب يبتدعه مؤلف الكلام من غير ان يقتدي فيه بمن سبقه ، ومن ذلك ما ورد في شعر ابى تمام في وصف مصلبين :

بكروا واسروا في متون ضوامر قيدت لهم من مربط النُّجار الاُسفار الا يبرحون ومن راهم خالهم أبدا على سنفر من الأسفار

وهذا المعنى مما يعثر عليه عند الحوادث المتجددة ، والخاطر في مثل هذا المقام ينساق الى المعنى المخترع من غير كبير كلفة لشاهــــد الحال الحاضرة .

وضرب يحتذى فيه على مثال سابق ومنهج مطروق ، وهو جل ما يستعمله ارباب صناعة الكلام ٠

وقدسمى ابن رشيق النوع الاول المخترع ، والثانى التوليد (١). وكان هذا مدعاة للبحث في السرقات ومتابعة الشعراء والكتاب فيما ابتدعوه وأخذوه ، وتفصيل انواع الاخذ .

السرقات قديمة:

والسرقات قديمة في الادب العربي وقدوجدت بين شعراءالجاهلية، وفطن اليها النقاد والشعراء جميعا ، ولحظوا مظاهرها بين امرىء القيس وطرفة بن العبد ، وبين الاعشى والنابغة الذبياني ، وبين أوس ابن حجر وزهير بن أبي سلمى ، وكان حسان بن ثابت يعتز بكلامه وينفي عن معانيه الأخذ والاغارة فيقول:

لا أسرق الشعراء ما نطقوا بل لا يوافق شمعرهم شعرى

وكانت السرقة من موضوع الملاحاة بين جرير والفرزدق ، كُلُّ ادَّعى أن صاحبه يأخذ منه ، ومن ذلك قول الفرزدق يخاطب جرير :

إِنْ تذكروا كرمي بلؤم ابيكم وأوابدي تتنحلوا الاشــعارا

وغضب على البعيث المجاشعي لما اخذ احد معانيه فقال فيه:

اذا ما قلت قــافية شرودا تنحلها ابن حمراء العجان

ولما قال بشار بن برد:

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

وتبعه سلم الخاسر فقال:

من راقب الناس مات غكت وفاز باللذة الجسور

⁽١) ينظر العمدة ج١ ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، والمشل السائر ج١ ص ٣١٠ وما بعدها .

غضب منه بشار « وان کان بیت اسلم اخصر واجود سبکا واقرب الی الغایة » (۱) •

وقد قال علي بن عبد العزيز الجرجانى: « والسرق _ ايدك الله داء قديم وعيب عتيق ، وما زال الشاعر يستعين بخاطر الاخر ، ويستمد من قريحته ، ويعتمد على معناه ولفظه »(٢) ، وقال الآمدى: « انهاب ما يعرى منه أحد من الشعراء الا القليل » (7) وقال في موضع آخر انه « باب ما تعرى منه متقدم ولا متأخر » (3) • وقال ابن رشيق انها « باب متسع جدا ، ولا يقدر احد من الشعراء ان يدعي السلامة منه » (9) •

وكان الجاحظ قد اشار قبلهم الى السرقات ، ومهد للباحث ين السبيل ، يقول: « لا يعلم في الارض شاعر تقدم في تشبيه مصيب تام ، وفي معنى غريب عجيب ، أو في معنى شريف كريم ، أو في بديع مخترع، الا وكل من جاء من الشعراء من بعده أو معه ان هو لم يعدم على لفظه فيسترق بعضه أو يدعيه بأسره فانه لا يدع أن يستعين بالمعنى ويجعل نفسه شريكا فيه ، كالمعنى الذى تتنازعه الشعراء فتختلف الفاظهم وأعاريض اشعارهم ولا يكون أحد منهم أحق بذلك المعنى من صاحبه ، أو لعله ان يجحد انه سمع بذلك المعنى قط ، وقال: « انه خطر على بالى من غير سماع كما خطر على بال الاول » (1) .

ولذلك نجد العرب يهتمون بدراسة السرقات ومشكلاتها ، وقد الفوا فيها الرسائل والكتب ولم تنفرد ببحثها جماعة دون جماعة ، وانما

⁽۱) ينظر اصول النقد الادبي ص ٢٦٤ .

⁽٢) الوساطة ص ٢١٤ ٠

⁽٣) الموازنة ص ١١٥٠

⁽٤) الموازنة ص ٢٥٠ ٠

⁽٥) العمدة ج٢ ص ٢٨٠٠

[&]quot;) الحيوان ج٣ ص ٣١١ ٠

اهتمت بها جماعات مختلفة فنجدها في كتب الطبقات والتراجم كمسا نجدها في كتب الادب والنقد والبلاغة .

كتب قديمة في السرقات:

وباب السرقات من أهم ابواب النقد العربي ، لانها كانت عماد الشعر وأساسه ، وقد ظهرت دراستها قبل وجود الحركة النقدية حول أبي تمام ، ومن اقدم الكتب التي تبحث في ذلك كتاب «سرقات الكميت من القرآن وغيره » لابي محمد عبدالله بن يحيى المعروف بأبي كناسة (٢٠٧ هـ) ، وكتاب «سرقات الشعراء وما اتفقوا عليه» لابن السكيت (٢٠٠ هـ) ، وكتاب « إغارة كثير على الشعراء » للزبير بن بكار بن عبد الله القرشي (٢٥٦ هـ) ، وكتاب « سرقات الشعراء » لاحمد بن أبي طاهر طيفور (٢٨٠ هـ) ، وكتاب « سرقات الشعراء » لاحمد بن

واحتدم الصراع في القرن الثالث الهجرى وما بعده ، والفت كتب كثيرة في السرقات وكان لابي تمام والبحتري أثر في ذلك حيث انقسم الناس الى قسمين : فمن مؤيد لهما ، ومن منقص قدرهما موضحا ما اخذه البحترى من ابى تمام أو ما اخذه الشاعران من غيرهما ، والفت كتب في ذلك منها : « كتاب السرقات » لجعفر بن حمدان أبي انقاسم الفقيه (٣٢٣ هـ) ، يقول ابن النديم : « ولم يتمه ولو أتمه لاستغنى الناس عن كل كتاب في معناه » (٣) ، وكتاب « سرقات البحتري من الناس عن كل كتاب في معناه » (٣) ، وكتاب « سرقات البحتري من الناس عن كل كتاب في معناه » (١) ، وكتاب « سرقات البحتري من الناس عن كل كتاب في معناه » (١) ، وكتاب « سرقات البحتري من الناسي ضياء بشر بن يحيى بن علي النصيبي ، و « الموازنة بين الطائيين » للآمدى وغيرها ،

ابن طباطبا والسرقات:

وعالج محمد بن احســـد بن طباطبا العلوى (۳۳۲ هـ) موضوع

⁽۱) ينظر فهرست ابن النديم ص ۱۱۶ ، ۱۲۷ ، ۲۱۵ ، ومعجم الادباء ج۲ ص ٥٢، ج١١ ص ١٢٤ .

⁽٢) فهرست ابن النديم ص ٢١٩

السرقات في كتابه «عيار الشعر» ، وتكلم فيه على المعانى الشعرية ، وكيف ان الشعراء السابقين غلبوا عليها فضاق السبيل امام المحدثين ولم يكن من التقليد والاخذ بد ، ويرى انه ينبغي ألا يغير الشاعر على معاني الشعر فيودعها شعره ، ويمزجها في أوزان مخالفة لأوزان الاشعار التي يتناول عنها ما يتناول ، لان هذا لا يستر سرقته ، وانما ينبغي عليه أن يديم النظر في الاشعار لتعلق معانيها بفهمه وترسخ أصولها في قلبه (۱) ، واذا تناول الشاعر المعانى التى سبق اليها فأبرزها في أحسن من الكسوة التى عليها لم يعب بل وجب له فضل لطفه واحسانه فيه كقول ابى نواس:

وان جرت الألفاظ منا بمدحة يلفيرك أنسانا فأنت الذي نعني

أخذه من الاحوص حيث يقول:

متى ما أقل في آخر الدهر مدحة فما هي الالابن ليلى المكرم وكفول دعسل:

ع جا اسا

أحب الشيب كا قيل ضيف كحبي للضيوف النازلينا

أخذه من الاحوص حيث يقول:

فبان مني شبابي بعد لذته كأنما كان ضيفا نازلا رحلا

وكقول دعبل:

لا تعجبي يا سلم من رجل ضكعا المشيب برأسه فبكى

أخذه من قول الحسين بن مطير :

كل يوم بأقحوان جديد تضحك الأرض من بكاء ِ السماء ِ

⁽۱) عيار الشعر ص ١٠٠٠

ويحتاج من سلك هذه السبل الى الطاف الحيلة ، وتدقيق النظرفي تناول المعانى ، واستعارتها ، وتلبيسها حتى تخفى على نقادها والبصراء بها ، وينفرد بشهرتها كأنه غير مسبوق اليها فيستعمل المعانى المأخوذة من غير الجنس الذي تناولها منه (١) .

وليس في بحث ابن طباطبا تقسيم لهذا الفن ، وتنويع لمسائله ، ولو أنه قرر بعض أصول السرقات .

الجرجاني والسرقات:

وذكر علي بن عبد العزيز الجرجاني (٣٦٦ هـ) أن الشاعر لايزال يستعين بخاطر الآخر ، ويستمد من قريحته ، ويعتمد على معناه ولفظه ، لان من تقدم استغرق المعاني وسبق اليها واتي على معظمها ، ومن هنا يعذر أهل عصره از، اخذوا من غيرهم واعتمدوا عليهم ، ولا يدعى الجرجاني القدرة على الاحاطة بجميع السرقات أو امكان تمييزها ،وهو يدعو الى التحرز من الاقدام قبل التبيش والحكم الا بعد الثقة . والسرقات كثيرة وقد حصرها في : السرق ، والغصب ، والاغارة ، والاختلاس، والالمام، والملاحظة، والمشترك الذي لا يجوز ادعـــاء السرق فيه ، والمبتذل الذي ليس أحد اولى به ، ووضع قاعدة عامة وهي أن المعاني المشتركة والمتداولة لا تعتبر سرقة يقول: « فَمْتَى نَظْرُتْ فُرَأَيْتُ أن تشبيه الحسن بالشمس والبدر ، والجواد بالغيث والبحر ، والبليد البطيء بالحجر والحمار ، والشجاع الماضي بالسيف والنار ، والصب المستهام بالمخبول في حيرته ، والسليم في ســـهره ، والسقيم في أنينـــه وتأمله ، أمور متقررة في النفوس متصورة للعقول، يشترك فيهاالناطق، والأبكم ، والفصيح ، والاعجم ، والشاعر ، والمفحم ، حكمت بأن السرقة عنها منتفية والاخذ بالاتباع مستحيل ممتنع »(٢) . ولا يمكن

⁽١) عياد الشعر ص ٧٦ وما بعدها .

⁽٢) الوساطة ص ١٨٣ .

أن نطلق السرقة الا في الامور المنسوبة نشاعر أو كاتب بعينه ، فالناس لا يزالون يشبهون الورد بالخدود ، والخدود بالورد نثرا ونظماوتقول فيه الشعراء فتكثر وهو من الباب الذى لا يكمن ادعاء السرقة فيه الا بتناول زيادة تضم اليه أو معنى يشفع به كقول على بن الجهم :

عشية حياني بورد ٍ كأنَّه خدود ' أضيفت بعضهن الى بعَ ْض ِ

فأضاف بعضهن الى بعض له ، وان° أخذ فمنه يؤخذ واليه ينسب، وكفول ابن المعتـــز:

بياض في جوانب احمرار "كما احمر "ت من الخرجل الخدود "

والخجل انما يحمر وجنتاه ، فاما منبت الاصداغ ومحط العذار فقليلا ما يحمران فهذا التمييز مسلم به ، وان لم يكن يسبق اليه ولو اتفق له أن يقول : «حمرة في جوانبها بياض » لكان قد طبق المفصل ، وأصاب الطرف ، ووافق شبه الخجل ، لكن أراد أن البياض والحمرة يجتمعان فجعل الاحمرار في جوانب البياض فراغ عن موقع التشبيه ثم قال أبو سعيد المخزومي :

والورد فيه كأنما أوراقه ُ نزعت ورد مكانهن خــدود

فلم يزد على ذلك التشبيه المجرد ، لكنه كساه هذا اللفظ الرشيق، فصرت اذا قسته الى غيره وجدت المعنى واحداً ، ثم أحسست في تفسك عنده هزة ، ووجدت طربة تعلم لها انه انفرد بفضيلة لم ينازع فيها .

يقول في السرقة الممدوحة: « ومتى جاءت السرقة هذا المجيء لم تعد من المعايب ، ولم تحص في جملة المثالب ، وكان صاحبها بالتفضيل أحق ، وبالمدح والتزكية أولى » (١) •

⁽١) الوساطة ص ١٨٨٠

وقد يحصل التفنن في السرقة ، ولا ينتبه اليها الا الحاذق الفطن وذلك كأن وفخذ النسيب فيحول الى المديح كقول كثير:

أريد لأنسى ذركر ها فكأنما تمثل لي ليلى بكل سبيل

أخذه أبو نواس فقال مادحا:

ملك تصور في القلوب مثاله فكأنه لم يَخْلُ منه مكان ً

وليس من شك في أن أحدهما من الآخر ، وإن كان الاول نسبيا والثاني مديحا(١) . ومن لطيف السرق ما جاء على وجه القلب وقصد به النقض كقول المتنبى:

أأحبه وأحب فيه ملامة إنْ الملامـة فيــه من أعدائيه

نقض قول أبي الشيص:

أجِدُ الملامة في هواك لذيذة عبا لذكرك فليلمني اللُّو مُمْ

وأصله لابي نواس في قوله :

إذا غاديتني بصبوح عكن ل فممزوجاً بتسمية الحبيب فأني لا اعسد اللسُّوم فيه عليك إذا فعلت من الذنوب (٢)

ولعل أحسن ما في بحث القاضي الجرجانى تفصيله القول في انواع السرقة الممدوحة ، وتحرزه في الحكم على السرقة ، وبذلك تظهر لنا روح القاضي الذى لا تأخذه في الحق لومة لائم ، ولا يدين أحسدا الا بعد ثبوت التهمسة .

۱۱) الوساطة س ۲۰۶ - ۲۰۰

⁽۲) الوساطة ص ۲۰٦ - ۲۰۷

الامدى والسرقات:

ويرى الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي (٣٧١ هـ) أن لا سرقة في المعانى في الالفاظ ، لانها مباحة غير محظورة ، وانما السرقة تتحقق في المعانى المشتركة بين الناس، البديعة المخترعة التى يختص بها شاعرلا في المعانى المشتركة بين الناس، الجارية في عاداتهم والمستعملة في أمثالهم ومحاوراتهم مما ترتفع النائدة فيه عن الذى يورده ، أن يقال أخذه من غيره يقول : « وانما السرق في البديع الذى ليس للناس فيه اشتراك » (١) ، ويؤمن أنها ليست في البديع الذى ليس للناس فيه اشتراك » (١) ، ويؤمن أنها ليست عنه متقدم ولا متأخر » (٢) ، ويؤمن بالسرقة الممدوحة والأخسد الحسن ، ويقرر أن تقارب بيئة الشاعرين يجعلهما متفقين في كثير من المعانى يقول : « غير من للمعانى » (٣) ، وهذا ما كرره أبو هـ لال حيث أن يتفقا في كثير من المعانى » (٣) ، وهذا ما كرره أبو هـ لال حيث في قول : « واذا كان القوم في قبيلة واحدة وفي ارض واحدة فان خواطرهم تقع متقاربة كماأن اخلاقهم وشمائلهم تكون متضارعة» (١) ،

المسكرى والسرقات:

وعني أبو هلال العسكرى (٣٩٥ هـ) بالسرقات الشعرية في كتاب الصناعتين وجعل هذه الدراسة في فصلين :

الاول: في حسن المأخذ، وهو أن تأخيذ المعنى وتكسوه لفظا جديدا أجود من لفظه الاول ومن فعل ذلك كان أحق بالمعنى مين صاحبه الاول، وقد فصل الكلام في وسائل الاخيذ الحسن وهى: أخذ معنى منظوم وايراده في كلام منثور أو من نثر فيورد في نظم،

١١) الموازنة ص ٧٤٠

⁽٢) الموازنة ص ٢٥٠ .

٣١) الموازنة ص ٢٧ .

⁽٤) كتاب الصناعتين ص ٢٣٠ .

والنقل من غرض الى غرض • أما حل المنظوم ونظم المنثور فقد قسمه الى اربعة أضرب: ضرب منها يكون بادخال لفظة بين الفاظه ، وضرب ينحل بتأخير لفظة منه وتقديم أخرى فيحسن محلوله ويستقيم ، وضرب منه أن توضع ألفاظ البيت في مواضع ولا يحسن وضعها في غيرها فيختل اذا نثر بتأخير لفظ وتقديم آخر ، وضرب تكسو ماتحله من المعانى ألفاظا من عندك ، وهذا ارفع الدرجات •

والثانى: في قبح الأخذ ، وهو أن يعمد الى المعنى فيتناوله لفظه كله أو اكثره ، او تخرجه في معرض مستهجن (١) •

فما أخذ بلفظه ومعناه ، وأدعي أخذه ، أو ادعي له انه لم يأخذه ، ولكن وقع له ما وقع للأول قول طرفة :

وقوفاً بها صحبي علي مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتُجَلُّكُ و

وهو قــول امرىء القيس:

وقوفاً بها صحبي علي مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتُجُمُّل ِ

وهذا الاخذمعيب وان ادُّعيٰي ان الآخر لم يسمع الاول بلوقع لهذا كما وقع لذاك، فان صحة ذلك لا يعلمها الا الله عز وجل، والعيب لازم للآخر.

والضرب الآخر من الاخذ المستهجن أن يأخذ المعنى فيفسده أو بعوصه أو يخرجه في معرض قبيح وكسوة مسترذلة كقول أبي كرسمة:

قفاه وجه ثم وجه الذي قفاه وجه يشبه البدرا

⁽۱) ينظر كتاب الصناعتين ص ٢١٦ وما بعدها ، وابو هلال العسكرى ومقاييسه الملاعية والنقدية ص ١٧٢ .

أخذه من قول أبي نواس:

بأبي أنت من مليح بديع بديع بذحسن الوجوه حسن قفاكا

وأحسن ابن الرومي فيه فقـــال :

عندي ولكن سراني

ما ســــاءني إعــراضـُه سالفتـــــاه عــــو′ض''

وقد تابع أبو هلال في دراسته هذه حسه الفنى ، وساير ذوقه الادبى وتخلص فيها من أساليب العلماء ومناهج المتكلمين (١) • ويرى الاستاذ محمد مصطفى هدارة أن أبا هلال سار في الاتجاه الذي يرمي الى ابعاد مشكلة السرقات عن محيط النقد الادبى ، وربطها بالبلاغة • وذلك واضح في كلامه على كمال الحلية والصياغة والحذق في رصف الالفاظ وعقد المنثور أي السرقة من النثر (٢) وهذا حق لان أبا هلال لم يكن ناقدا بحتا وانماكان رجلا عالما وضع للبلاغة أصولها وقواعدها وكان من الطبيعى ان يضع لهذا البحث أصوله ويقنن قواعده • وبذلك ابتعد عن طريقة القاضي الجرجاني والآمدي في بحثها ، لأنهما سارا فيها في محيط النقد الادبى ، ولم يضعا القواعد ، ويضبطا الاصول كما فعل أبو هلال والمتأخرون •

ابن رشيق والسرقات:

وألم ابن رشيق القيرواني (٢٥٦ هـ) بآراء من سبقه من النقاد والبلاغيين في بحث السرقات ، ويعتبر كتاباه : « العمدة » و « قراضة الذهب » من خيرة الكتب التي تطرقت لهذا الموضوع ، وإن كان الاول أوفي وأكثر تفصيلا ، وقد استهل ابن رشيق بحثه بقوله : « هــــذا باب متسع جداً لا يقدر أحد " من الشعراء أن يدعى السلامة منه ، وفيه باب متسع جداً لا يقدر أحد " من الشعراء أن يدعى السلامة منه ، وفيه

⁽۱) ينظر ابو هلال العسكرى ومقاييسه البلاغية والنقدية ص ١٧٢٠.

⁽٢) ينظر مشكلة السرقات ص ٩٨٠

أشياء غامضة الاعن البصير الحاذق بالصناعة ، واخر فاضحة لا تخفى على الجاهل المغفل »(١) • ويكون السرق في البديع الذي يختص به الشاعر لا في المعانى المشتركة الجارية في عاداتهم المستعملة في أمثالهم ومحساوراتهم •

وقد ذكر أنواع السرقات وحدد مصطلحاتها ، وحصر أمثلتها وفنونها، فتكلم على الاصطراف ، والاجتلاب أو الاستلحاف ، والانتحال، والادعاء ، والإغارة ، والغصب ، والمرافدة أو الاسترفاد ، والاهتدام أو النسخ ، والنظر ، والملاحظة ، والالمام ، والاختسلاس أو النقسل ، والموازنة ، والعكس ، والمواردة ، والالتقاط ، والتلفيق أو الاجتذاب ، والتركيب ، وكشف المعنى ،

ويمتاز ابن رشيق بائله حدَّد هذه المصطلحات ، ووضعها وضعاً يكاد يكون نهائيا بالنسبة لهذه البحوث .

والاخذ الحسن عنده يكون في اختصار المعنى ، أو بسطه ، أو تسينه أو أن يختار له حسن الكلام ، أو رشيق الوزن ، أو صرفه عن وجهه الى وجه آخر ، وسوء الاتباع أن يعمل الشاعر معنى رديئا مستهجنا ، ثم يأتي من بعده فيتبعه على رداءته (٢) ، كقول أبي تمام :

ضربت بأبواب الملوك طبولا

باشرت أسباب الغنى بمدائح

فقال أبو الطيب:

إِذَا كَانَ بَعْضُ النَّاسُ سَيْفًا لَدُولَةً فَيُ النَّاسُ بُوقَاتُ لَهَا وَطَبُولُ مُ

واتبع ابن رشيق في «قراضة الذهب» سبيلا آخر ، وحصر السرقات في الانواع البديعية ، يقول: « السرقة انما تقع في البديع الناد

⁽۱) العمدة ج٢ ص ٢٨٠٠

⁽٢) ينظر العمدة ج٢ ص ٢٩١٠

والخارج عن العادة ، وذلك في العبارات التي هي الالفاظ »(١) . وجعل المطابقة والتجنيس أفصح سرقة من غيرها ، لان التشبيه ومسا شاكل يتسع فيه القول ، والمجانسة والتطبيق يضيق فيما تناولسه اللفظ(٢) . ومضى في ذكر أنواع السرقات البديعية كالايغال ، والتتبع، والمبالغة ، والتتميم ، والالتفات .

واذا ما أردنا أن نقارن بين « العمدة »و « القراضة » في بحسث السرقات نجد أن ابن رشيق سار في الاول سيرة علماء البلاغة ، وأولع بالتحديد والتقسيم ، وذكر المصطلحات الكثيرة ، بينما نحا في الشانى منحى نقديا ، وكان لملكته الادبية ، وذوقه الصافي أثر واضح فيه .

عبدالقاهر والسرقات:

ودرس عبد القاهر (٧١ هـ) السرقات في كتابيه «أسرار البلاغة» و « دلائل الاعجاز » ، وجعل المعانى في قسمين :

الاول: عقلى يتفق العقلاء على الاخذ به ، والحكم بموجبه في كل جيل وأمة ، ويوجد له أصل في كل لسان ولغة ، ويكون مجراه في الكتابة الادبية مجرى الادلة التي يستنبطها العقيلاء والفوائد التي تثيرها الحكماء،ولذلك تجد الاكثر منهذا التجنيس منتزعا من أحاديث النبي (ص) ، وكلام الصحابة ، ومنقولا من آثار السلف الذين شأنهم الصدق ، وقصدهم الحق ، أو ترى له أصلا في الامثال القديمةوالحكم الماثورة عند القدماء ، فمثلا قول المتنبى:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

مضى يقول لم يزل العقلاء يقضون بصحته ، ويرى العـــارفون بالسياسة الأخذ بسنته وبه جاءت أوامر الله ســبحانه ، وعليــه جرت

⁽۱) قراضة اللهب ص ۱۶ . '

⁽٢) قراضة اللهب ص ١٨٠

الاحكام الشرعية والسنن النبوية وبه استقام لاهل الدين دينهم وانتفى عنهم أذى من يفتنهم ويضرهم اذ كان موضع الجبلة على ألا تخلو الدنيا من الطغاة الماردين والغزاة المعاندين (١) .

الثانى : تخييلى ، وهو الذى لا يمكن ان يقال انه صدق ، وانه ما أثبته ثابت ، وما نفاه منفى ، هو مفتن المذاهب كثير المسائك لا يكاد يحصر ، ومنه قول ابى تمام :

لا تنكري عُـطُـل الكريم ِ من الغنى فالسيل حرب للمكان ِ العالي

فهذا تدخيل الى السامع الكريم اذ كان موصوفا بالعلو والرفعة في قدره وكان الغني كالغيث في حاجة الخلق اليه وعظم نفعه وجب بالقياس ان ينزل من الكريم نزول ذلك السيل عن الطود العظيم ، ومعلوم انه قياس تخييل وايهام ، لا تحصيل واحكام .

ومن هذا القسم نوع يجيء مصنوعا في تلطف ، واستعين علبه بالرفق والحذق حتى أعطي شبها من الحق وغشي رونقا من الصدق كقول بشار :

الشيب كره ، وكره أن يفارقني أعجب بشيء على البغضاء مودود

هو من حيث الظاهر صدق وحقيقة ، لان الانسان لا يعجب ان يدرك المشيب ، فاذا ادركه كره ان يفارقه فنراه لذلك ينكره ويكرهه ، الا أنك اذا رجعت الى التحقيق كانت الكراهية والبغضاء لاحقة للشيب على الحقيقة ، فاما كونه مرادا ومودودا فمتخيل فيه وليس بالحقق والصدق (٢) .

وعقد فصلا في « الأخذ والسرقة والاستمداد والاستعانة » (٢) ، وجعل الاتفاق بين الشاعرين على وجهين :

⁽۱) ينظر اسرار البلاغة ص ۲۹۸ ـ ۳۰۱ .

⁽٢) ينظر اسرار البلاغة ص ٣٠٢ ـ ٣٠٣ .

⁽٣) اسرار البلاغة ص ٣٨٣ وما بعدها .

الاول. أن يكون في الغرض على العموم وهذا الاتفاق لا يدخل في الاخذ، والسرقة، والاستمداد، والاستعانة، كوصف المسدوح بالشجاعة، والسخاء، أو حسن الوجه والبهاء.

الثاني : الاشتراك في وجه الدلالة على الغرض ، وذلك بان يذكر ما يستدل به على اثباته له بالشجاعة والسخاء مثلا ، يقول في هــــذا : « وأما الاتفاق في وجه الدلالة على الغرض فيجب ان ينظر فيه ، فـان كان مما اشترك الناس في معرفته وكان مستقرا في العقول والعادات ، فإن عكم ذلك وان كان خصوص المعنى حكم العموم • من ذلك التشبيه بالاسد في الشجاعة ، وبالبدر في النور والبهاء ، وبالصبح في الظهور والجلاء وفي الالتباس عنه والخفاء ، وكذلك قياس الواحد في خصلة من الخصال على المذكور بذلك والمشهور به ، والمشار اليــه . سواء كان ذلك ممن حضرك في زمانك ام كان ممن سبق في الأزمنة الماضية والقرون الخالية ، لان هذا مما لا يختص بمعرفته قوم دونقوم ولا يحتاج في العلم به الى رؤية واستنباط وتدبر وتأمل ، وانما هو في حكم الغرائز المركوزة في النفوس والقضايا التي وضع العلم بها في القلوب، وان كان مما ينتهي اليه المتكلم بنظر وتدبر، ويناله بطلب واجتهاد ، ولم يكن كالاول في حضوره أياه ، وكونه في حكم ما يقابله الذي لا معاناة عليه فيه ، و لاحاجة به الى المحاولة والمزاولة ، والقياس، والمباحثة ، والاستنباط ، والاستثارة »(١) · فهو الذي يجوز أن يدعى الاختصاص فيه والسبق والتقدم .

واتجه اتجاها آخر في « دلائل الاعجاز » ، ورأى ان السرقية ليست مجرد لفظ ومعنى وانما الامر صياغة وتصوير ، وأجمل فكرته في حقيقة الاخذ طبقا لنظرية النظم التي نادى بها ، يقول : « وجملة الامر انه كما لا تكون الفضة خاتما أو الذهب سوارا أو غيرهما من أصناف الحلى بانفسهما ، ولكن بما يحدث فيهما من الصورة كذلك

⁽١) أسرار البلاغة ص ٣٨٥.

لا تكون الكلم المفردة التي هي اسماء وافعال وحروف كلاما وشعرامن غير ان يحدث فيها النظم الذي حقيقته توخي معاني النحو وأحكامه ، فاذن ليس لمن يتصدى لما ذكرنا من ان يعمد الى بيت فيضع مكان كل لفظة منها لفظة في معناها الا ان يترك عقله ويستخف ، ويعد معد الذي حكى انه قال انى قلت بيتا هو اشعر من بيت حسان ، قال حسان :

يغشون حتى ما تهر كلابتهم لا يسألون عن السواد ِ المُقْبَرِل ِ وقلت :

يغشون حتى ما تهر كلابهم أبداً ولا يسألون عن ذا المقبل فقيل هو بيت حسان ولكنك قد افسدته » (١) .

وجعل المعنى المتداول بين الآخذ والمأخوذ منه قسمين :

الاول: ترى فيه أحد الشاعرين قد أتى بالمعنى غفلا ساذجا ،وترى الآخر قد أخرجه في صورة تروق وتعجب، ويكون ذلك أما لأن متأخرا قصر عن متقدم ، وأما لان هدي متأخر لشيء لم يهتد اليه المتقدم .

الثانى: ترى كل واحد من الشاعرين قد صنع في المعنى وصور ، وهذا يدل على أن المعنى ينتقل من صورة الى صورة (٢) •

واهتم عبد القاهر بهذا النوع اهتماما كبيرا باعتبار أن النوع الاول ليس مجال دراسة البلاغيين ، لانه أمر ظاهر للعيان ولكن هذا القسم هو الميدان الذي يصول فيه البلاغي ليستخدم أدواته في الحكم على أي الصورتين أجمل من الاخرى ما دام المعنى واحدا »(٣) .

ويبدو من هذا الكلام كله أن عبد القاهر لم يُعبر السرقة والأخذ كبير اهتمام ، ولم يبحثها الاعلى أنها لون من الوان أشتراك الشعراء

⁽۱) دلائل الاعجاز ص ۳۷۳ .

⁽٢) دلائل الاعجاز ص ٣٧٤ ، ٣٨٥ .

⁽٣) مشكلة السرقات ص ١٤١٠

في المعنى ، وسبب يمهد للموازنة بين المعانى ، ويرى الفرق في الصور التي يتناول بها الشعراء معنى واحدا .

ابن منقذ والسرقات:

وعقد أسامة بن منقذ فصولا مختلفة في : « البديع في نقد الشعر» وبين المقبول من السرقات وغير المقبول ، وجمع جمعا يكاد يكون تاما ما قيل أن المتنبي أخذه عن ارسطو فكسكك سبيل الموازنة بين شعر الشاعر وافكار الفيلسوف اليوناني ، وعقد بابا في الحل والعقد ، تكلم فيه على المناقلة بين أرسطو طاليس وأبي الطيب ، وأطال الحديث في هذا الموضوع (١) ، ولم يفته في البحث أن يذكر كلام أرسطو ثميذكر بيت المتنبي مثل : « قال الحكيم : اذا كانت الشهوة فوق القدرة كان هلاك الجسم دون بلوغ الشهوة ، وقال أبو الطيب المتنبى :

وإِذَا كَانْتُ النَّفُوسُ كَبَارًا تُعْبِتُ فِي مُرَادِهِمَا الأَجْسَامُ عَبِينَ فِي مُرَادِهِمَا الأَجْسَامُ

واستمر في بحث سرقات المتنبي بهذه الطريقة ، وليس لاسامة شيء في هذا البحث الطويل ، وانما هو « الرسالة الحاتمية فيما وافق المتنبي في شعره كلام ارسطو في الحكمة » للامام أبي علي محمد بن محمد بن المحسن بن المظفر البغدادي ، وقد نقلها ابن منقذ نقلا يكاد يكون تاما، ولم يشر الى ذلك ، ولا الى الرسالة الحاتمية في مصادره التى ذكرها في مقدمة كتابه مع أنه ذكر كتابي : « الحالي » و « المحاضرة »للحاتمي، وعدهما من جملة مصادره التي وقف عليها واستفاد منها ، ولم ينتب الدكتوران أحمد احمد بدوي وحامد عبد المجيد محققا «البديع في نقد الشعر» الى هذا واكتفيا في المقارنة بين كلام المتنبي وكلام ارسطو بالرجوع الى شرح العكبري لديوان المتنبي ، مع أن رسالة الحاتمي طبعت ثلاث مسرات (٢) ،

١١) البديع في نقد الشعر ص ٢٦٤ ـ ٢٨٣ .

⁽٢) ظهرت الطبعة الاولى في مجموعة للقس انطون بولاد دعاها راشد سوريا وطبعها

ابن الاثير والسرقات:

ولعل أوفى دراسة للسرقات ، وأوسعها ، وأكثرها تفصيلا ، ما كتبه ابن الاثير في « المثل السائر » و « الجامع الكبير » و « الاستدراك »، وقد اتبع منهجا فيه تحديد وحصر ، وعرض وتحليل ، وبذلك جمع بين القواعد البلاغية والنقد الذوقى في هذه الكتب الشيلانة ، ولا نعرف شيئا عن منهجه في كتابه الخاص بالسرقات الذى ذكره في المثل السائر، وليس من سبيل الى معرفة السرقات الشعرية والوقوف، عليها الا بحفظ الاشعار الكثيرة التي لا يحصرها عدد يقول : «فمن رام الاخذ بنواحيها، والاشتمال على قواصيها بان يتصفح الاشعار تصفحا ، ويقتنع بتأملها ناظرا » (۱) .

وكان ما كتبه ابن الاثير في هذا الموضوع خاتمة البحوث النقدبة في السرقات وقد قسمها الى خمسة أقسام:

الاول: النسخ ، وهو أخذ اللفظ والمعنى برمته من غير زيادة عليه مأخوذاً ذلك من نسخ الكتـــاب .

الثانى: السلخ ، وهو أخذ بعض المعنى ، مأخوذا من سلخ الجلد. الثالث: المسخ ، وهو احالة المعنى الى ما دونه ، مأخوذا ذلك من مسخ الآدميين قردة .

الرابع: أخذ المعنى مع الزيادة عليه • الخامس: عكس المعنى الى ضــــده •

والنوعان الاخيران لم يذكرهما في كتابه الاستدارك ولا في كتابه عن السرقات الذى قسمها فيه الى نسخ ، وسلخ ، ومسخ ، وقد تنبه اليهما في المثل السائر ، يقول : « وههنا قسمان أخللت بذكرهما في

في بيروت سنة ١٨٦٨ م وظهرت الطبعة الثانية في مطبعة الجوائب في القسطنطينية سينة 1٢٠٢ هـ (١٨٨٤م) في مجموعة التحفة البهية والطرفة الشهية ، وظهرت الطبعة الثالثة سنة ١٩٣١ مطبوعة بالمطبعة الكاثوليكية بتحقيق فؤاد افرام البستاني .

⁽١) المثل السائر ج٢ ص ٣٦٦ ٠

الكتاب الذى ألفته ، فأحدهما : أخذ المعنى مع الزيادة عليه ، والآخر : عكس المعنى الى ضده • وهذان القسمان ليسا بنسخ ، ولا سلخ ، ولا مسلخ » (١) •

وقسم هذه الاقسام الى فروع كثيرة وجعل النسخ على ضربين:
الاول: يسمى وقوع الحافر على الحافر كقول امرىء القيس:
وقوفا بها صحبي علي مطيهم يقولون لا تكماك أسى وتجمال وكقول طرف

وقوفا بها صحبي علي ً مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتنجك و

الثانى : وهو الذى يؤخـــذ فيه المعنى وأكثر اللفظ كقول بعض المتقدمين يمدح معبدا صاحب الغناء :

أجاد طويس والسريجي بعده وما قصبات السبق إلا لمعبد

ثم قـــال أبو تمــام:

محاسن أصناف ِ المغنين جَمَّة" وما قصبات السبق إلا معبد

وقَسَّمَ السلخ الى أحد عشر نوعا ، يقول: « وهـــذا تقسيم أوحته القسمـة » (٢) .

الاول: ان يؤخذ المعنى ويستخرج منه ما يشبهه ولا يكون هو إيّاه وهذا من أدق السرقات مذهبا ، وأحسنها صورة ، ولا يأتي الا قليلا ، فمن ذلك قول بعض شعراء الحماسة:

لقد زادني حباً لنفسي أنني بغيض الى كل أمرىء غير طائل ِ

⁽۱) المتل السائر ج٢ ص ٣٦٦ .

⁽٢) المثل السائر ج٢ ص ٣٧٣٠

أخذ المتنبي هذا المعنى واستخرج منه معنى آخر غيره الا أنهشبيه بـ فقـــال:

واذا أتتك مذمتي من ناقِص فهي الشهادة لي بأني كامل ً

الثاني: أن يؤخذ المعنى مجردا من اللفظ ، وذلك مما يصعب جدا ، ولا يكاد يأتي الا قليلا ، فمنه قول عروة بن الورد من شعراء الحماسة: ومن يك مثلي ذا عيال ومقترا من المال يطرح فسه كل مطرح ليبلغ عذراً أو ينال رغيب أو ومبلغ نفس عندرها مثل منجح

أخذ أبو تمام هـ ذا المعنى فقال:

فتى مــات بين الظَّر ْب والطعن ميتة ً تقوم مقام النصر إِن ْ فاته النَّصْر ْ

وهذا الضرب في سرقات المعانى من أشكلها ، وأدقها ، وأغربها ، وأبعدها مذهبا ، ولا يتفطن له ويستخرجه من الاشعـــار الا بعض الخواطر دون بعض .

والثالث: وهو أخذ المعنى ويسير من اللفظ ، وذلك مــن أقبح السرقات ، وأظهرها شناعة على السارق • فمـن ذلك قول البحتري فـــلام:

فوق ضعف الصغير إِن وكل الام حر اليه ِ ودون كيد الكبار

سبقه أبو نواس فقال:

لم يخف من كبر عما يُرادُ به من الامور ولا أزرى من الصغر

الرابع: وهو أن يؤخذ المعنى فيعكس وذلك حسن يكاد يخرجه حسنه عن حد السرقة ، فمن ذلك قول ابن جعفر:

ولما بدا لى أنها لا تريدني

تمنیت ٔ أن° تهوی سوای لعلها

وقال غيره:

ولقد سر"ني صــدودك عني حذراً أن° أكون مفتاح غيري

في طلاسك وامتناعك مني وإذا ما خلوت كنت التمنى

وأنَّ هواها ليس عني بمنجلي

تذوق صبابات الهوى فترق لى

أما ابن جعفر فانه تداءب وألقى عن منكبه رداء الغيرة ، وأما الآخر فجاء بالضد من ذلك وتغالى به غاية الغلو .

الخامس : وهو أن يؤخذ بعض المعنى ، فمن ذلك قول أمية بن أبي الصلت يمدح عبد الله بن جدعان:

عطاؤك زين" لامرىء ان° حبوته ببـــذل وما كل العطـــاء يزين ً

وليس بشين لامرىء بذل وجهه اليك كما بعض السؤال يشين

أخذه أبو تمام فقال:

كانت فخاراً لمن يعفوه مؤتنفا تدعى عطاياه وفرا وهبي إن شهرت ما زلت منتظراً أعجوبة زمنا حتى رأيت سؤالا يجتني شرفا

السادس: وهو أن يؤخذ المعنى فيزاد عليه معنى آخر ، فمما جاء منه قول الاخنس بن شهاب:

اذا قَكَرَت أسيافنا كان وصلها خطانا الى أعدائنا متضارب

أخذه مسلم بن الوليد فزاد عليه وهو قوله :

إن قتصر الرمح لم يكمشر الخطأ عددا أو عرد السيف لم يهمم بتعريد

السابع: وهو أن يؤخذ المعنى فيتكسكي عبارة أحسن من العبارة

الاولى ، وهذا هو المحمود الذي يخرج حسنه عن باب السرقة ، فمن ذلك قول أبي تمنام:

جذلان من ظفر ، حران ان رجعت مخضوبة منكم أظفاره بدم

أخذه البحتري فقيال:

اذا احتربت يوما ففاضت دماؤها تذكرت القربي ففاضت دموعتها

الثامن: وهو إن يؤخذ المعنى ويسبك سبكا موجزا ، وذلك من أحسن السرقات لما فيه من الدلالة على بسطة الناظم في القول ، وسعة باعه في البلاغة ، فمن ذلك قول بشار:

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات ِ الفاتك اللهج م

أخذه سلم الخاسر وكان تلميذه فقال:

من راقب الناس َ مات غَـَمّا وفاز باللذه ِ الجَسُور ُ

التاسع : وهو أن يكون المعنى عاما فيجعل خاصا ، أو خاصــــا فيجعل عاما ، وهو من السرقات التي يسامح صاحبها ، فمن ذلك :

لا تَننُهُ عن خُلُتُق وتأتي مثلك عليك اذا فعلت عظيم الخسيدة أبو تمام فقال:

أألوم من بخلت يداه واغتدي للبخل قربا ؟ ساء ذاك صنيعا

العاشر : وهو زيادة البيان مع المساواة في المعنى ، وذلك بانيؤخذ المعنى فيضرب له مثال يوضحه فمما جاء منه قول أبي تمام :

هو الصنع ان يعجل فنفع وان يرث فللريث في بعض المواطن أنقع م أخذه المتنبى فأوضحه بمثال ضربه له وذلك قوله:

ومن الخير بطء سيبك عني أسرع السحب في المسير الجهام

الحادى عشر: وهو اتحاد الطريق ، واختلاف المقصد • ومثاله أن يسلك الشاعران طريقا واحدة فتخرج بهما الى موردين أو روضين • وهناك يتبين فضل أحدهما على الآخر (١) •

وفي هذا الضرب تظهر قدرة ابن الاثير على التحليل ، والنقد د وعرض الصور المختلفة ، والموازنة بينها ، وقد اختار قصائد معينة وحللها وقارن بينها ، وحلل قصيدتي أبي تمام والمتنبي في رثاء طفل ، وقصيدتي البحترى والمتنبى في وصف الاسد ، وبذلك ينتقل مسسن النظرة الجزئية الى النظرة العامة التى ترى العمل الادبي كثلاً متكاملا لا يقبل التجزئة ، ولا النظرة الضيقة ، ولا يرى الدكتور محمد مندور علاقة لهذا النوع بالسرقات ، وان ابن الاثير خلط بين السرقسات والموازنات حرصا على كثرة الابواب واستقصائها (٢) ، ومن ينظر في هذا البحث يجد أنه من السرقة لا من الموازنة وان اتخذ ابن الاتسبر المقارنة سبيله الى ذلك ، ونرى أن هذا العمل من أجل اعمال دراسة السرقات، وحبذا لو استمر ابن الاثير في هذا المنهج ليأتي بكل ما يدهش، ويبعث على الاعجاب ، ولكنه اكتفى بهذه النماذج القليلة عسارضا ، ومسوازنا ، وناقسدا ،

وتحدث عن السرقات في كتابيه الآخرين: « الجامع الكبير » و « الاستدراك » (۱ و كان بحث الاستدراك اكثر نضجا ، وأبعد عن تقنين القواعد والتقسيمات ، وبذلك اضاف الى هذه الدراسة أشياء كثيرة لها قيمتها في النقد والموازنات الادبية ، وقد تعرضنا لبعضه في فصل سابق و ونرى أن بحث ابن الاثير في السرقات من امتع واروع ما كتب فيها وينبغي ان تبعه في بحنه وفي كل موازنة تعقد بين أديبين

⁽١) المثل السائر ج٢ ص ٣٧١ وما بعدها .

⁽٢) النقد المنهجي عند العرب ص ٣٦٨ - ٣٦٩ .

 ⁽٣) الجامع الكبير ص ٢٤٢ وما بعدها ، والاستدراك ص ٩ وما بعدها وص ٦١ وما نقدها .

تأثر أحدهما بالآخر • وكان ابن الاثير في هذا الميدان واسع الأفق ، عظيم الادراك ، وقدجاء بالكثير مما لم يفعله غيره ، يقول: «وقد أوردت في هذا الموضوع من السرقات الشعرية ما لم يورده غيرى ، ونبهت على غوامض منها »(١) • وهذا حق ، لانه استفاد فائدة عظيمة ممن سبقوه كالجرجاني والآمدي •

واحتضرت المواهب وكادت تموت بعسد ابن الانير ، وانصرف البلاغيون والنقاد الى العبث ، والتفلسف في البحث ، و حَسَّر ما لا يمت الى البلاغة والنقد بصلة امعانا في التعقيد والفلسفة وعلم المنطق ، فاخرجوها عن اهدافها الادبية ، وكان نصيب السرقات كنصيب فنون الادب الاخرى فاصابها الجمود وصارت قواعد لا تغني كثيرا .

⁽١) المشل السائر ج٢ ص ٣٧١ .

السرقات في عصر القزويني:

وشاعت السرقات في عصر القزويني ، وألفت الكتب فيها ، وكانت مثارا لحركة نقد محمودة ، ومن لطيف ما قال مجير السدين بن تميم (٦٨٤ هـ) منوها بسرقاته وتضميناته :

أطـــالع كُل ديوان أراه ولم أزجر عن التضمين طيري أمُّ ضُمِّن كُل بيت فيه معنى فشعري نصفه من شعر غيري (١)

واشتهرت سرقات ابن نباتة من علاءالدين الوادعي (٧١٦هـ) ، وسرقات صلاح الدين الصفدي من ابن نباتة ولما وقف جمال الدين بن نباتة على سرقات الصفدى منه ألف في ذلك كتابا أسماه « خبز الشعير » لانه مأكول مذموم ، وقد نقد الصفدي فيه ، وأورد كثيرا من سرقاته واستهل الحديث بقوله : « ر ب اغفر لي ولو الدي ولمن د كل يبتي مؤمنا » (٢) .

ويلاحظ أن أدباء هذا العصر لم يهتموا بدراسة السرقات النثرية ، وانما اتجهوا اتجاها تاما الى دراسة السرقات الشعرية وان كـــان

⁽۱) فوات الوفيات ج٢ ص ٣٤٠ .

⁽٢) سورة نوح الآية ٢٨ . ينظر عصر سلاطين المماليك ج٦ ص ١٢١ .

القزويني والسرقات:

ولم يترك القزويني وهو من أعلام القرن السابع البحث في السرقات فدلا بدلوه ، وألحقها بالبديع ، فبعد أن انتهى من بحث فنون البديع المختلفة ذكر ان للبديع ملحقات ينبغى أهمالها وملحقات لا مانع مسن ذكرها وهي : القول في السرقات الشعرية وما يتصل بها ، والقول في الابتداء والتخليص والانتهاء وهذا اتجاه جديد بالنسبة لدراسة السرقات ، وقد رأينا ان المتقدمين تكلموا عليها مع فنون البلاغة والنقد الاخرى ولم يجعلوها من البديع أو يلحقوها به ، وإن محسان بعض الباحثين يرى ان ابن وكيع (٣٩٣ هـ) أول من ربط بين السرقات وعلم البديع في دراسة منهجية وسار على منهجه ابو هلال وابن رشيق (٢٠) والواقع أن هؤلاء لم يجعلوه من البديع الذي فهمه المتأخرون ، لان البديع عندهم فنون البلاغة كلها قبل ان يقسمها السكاكي الى معان ، وييان ، ومحسنات ، وقد أثار العلوي هذه المشكلة وتساءل قائلا : للمسألة وتساءل وجهين :

أحدهما: أنها تكون معدودة فيه ، لان كل واحد من السابق واللاحق ، انما يتصرف في تأليف الكلام ، ونظمه ، وترديده بين الفصيح والافصح ، والاقبح والاحسن ، وهذه هي فائدة علم البديع وخلاصة جه هسره .

وثانيهما : أنها غير معدودة في علم البديع ، لأن معنى السرقة هو

⁽۱) ينظر صبح الاعشى ج٢ ص ٢٢٩٠

⁽٢) مشكلة السرقات ص ١١٨ ، ١٦١ ، ١٧٩ .

الاخذ ، ومجرد الاخذ لا يكون متعلقا باحوال الكلام ولا بشيء من صفاته فلاجل هذا لم تكن معدودة في علم البديع(١) .

واختار العلوى الاول وهو عدها من جملة اصناف البديع وأكد هذا بقوله: « والبرهان القاطع على ما ذكرناه هو ان علم البديع أمر عارض لتأليف الالفاظ، وصوغها، وتنزيلها على هيئة تعجب الناظر، وتشوق القلب والخاطر وهذا موجود في السرقات الشعرية، فان الشاعرين المفلقين يأخذ كل واحد منهما معنى صاحبه، ويصوغه على خلاف تلك الصياغة، ويقلبه على قالب آخر، فاما زاد عليه وأما نقص غنه وكل ذلك انما هو خوض في تأليف الكلام ونظمه، وإذن الأخلق عدها منه لما ذكرناه، بل هى اخلق بذلك، لانا اذا عددنا الطباق، والتجنيس، والترصيع، والتصريع، من علوم البديع مع انها انسا اختصت بما اختصت به من التأليف وتنزيلها على تلك الهيئات من لسان واحد فكيف حالها اذا كانت مختصة بما ذكرناه من لسانين على هيئتين مختلفتين »(٢) ه

ولا نذهب الى ما ذهب اليه العلوي والقزويني في اعتبار السرقات الشعرية من البديع او ملحقة به ، لان هذا الفن باب اصيل من ابواب النقد له اصوله وفروعه ، وهو ليس حلية تقتسر لتزيين الكلام وتنميقه وانما هو باب واسع يجول فيه الناقد جولات ، فيوازن ، ويحلسل ، ويشير الى الاخذ والاتفاق ، والى الابداع والاتباع ، وكيف يكون جزء منه ، وفيه من العيوب ما لا يرضاه البديع ولا تقبله الزينة البديعية التى وقف عندها المتأخرون ، كالنسخ ، ولعل بحث ابن المعتز لحسن التضمين في كتاب البديع هو الذي دفع المتساخرين الى ال يعتبروا السرقات من علم البديع أو ملحقاته ،

۱۱) الطراز ج۳ ص ۱۸۹ ۰

⁽۲) الطراز ج۳ س ۱۸۹ – ۱۹۰ ۰

ونرى ان يكون هذا البحث فنا مستقلا من فنون البلاغة والنقد لا ان يلحق بالبديع او بغيره من فنون البلاغة ، لانه موضوع هام ولان السرقات « ليست مشكلة صياغة وتباين في أوجه البديع فحسب ، ولكنها تطور المعنى من عصر لعصر ، ومن شاعر لآخر مما يخرج عن نطاق علم البديع» (۱) و ويس ما ندعو اليه بجديد فقد بحثه المتقدمون على هذا الاساس ، وادخله ابن الاثير في ابواب الصناعة المعنوية الى جانب التشبيه ، والاستعارة، والكناية ، والتقديم والتأخير، والالتفات، وبذلك كانت نظرته اليه نظرة واسعة ، نظرة فيها فهم عميق لاهمية هذا الموضوع وعلاقته بفنون البلاغة والنقد الاخرى ،

ولم أر قبل القزويني من ربط السرقات بعلم البديع وجعلها ملحقة به ، وان كل من كتب فيها اعتبرها فنا من فنون البلاغة الاخرى ، ولم استطع ان اضع يدى على الكتاب الذى استفاد منه في هذا الموضوع والتقسيم ، فالسكاكي لم يتكلم على السرقات في كتابه «مفتاح العلوم» مطلقا ، ولا ندري كيف جاز للاستاذ محمد مصطفى هدارة ان يقول: « أن جمود السرقات قد بدا واضحا في كتاب السكاكي » (٢) ، ولعله ظن ان القزويني لم يضف شيئا في تلخيصه للمفتاح على ما ذكره السكاكي فوقع في هذه الشبهة ، وبذلك كان القزويني اول من الحقها بالبديع في هذه الاشياء في بالبديع حدة الاشياء في المسرقات وحسن الابتداء بالبديع فقال : « وانما جمع هذه الاشياء في الخاتمة ، ولم يجعلها بابا من البديع او يجعل كل واحد منها بابا على حددة لوجهين:

أحدهما: أن كلا منها ليس أمرا يعم كل كلام ويغلب مكان جريانه في كل موطن ، أما في السرقات فظاهر لخروج النثر فيما يتصل بها لاختصاصها بالاخذ عن الغير ، واما في الابتداء والانتهاء والتخلص

⁽١) مشكلة السرقات ص ١١٤٠ ٠

⁽٢) مشكلة السرقات ص ١١٩٠

فلخروج ما ليس في تلك المحال ، وهذا الوجه بعينه يمكن ان يجعل هو السر في جمعها لاشتراكها فيه .

والوجه الثانى: ان الحسن فيها دون الحسن في غيرها مع سهولة التناول فلم تجعل بابا لقلة الاهتمام بشأنها ويسرها باعتبار غيرها وان كان الناس يهتمون بامورها ، أما في السرقات فلما علم من ان الابتداع ارفع واصعب من الاتباع ، وان كان فيه تغيير ما وكذا فيما يتعلق بها ، واما في الابتداء وما والاه فلما علم من ان رعاية تمام الحسن في جميع أجزاء الكلام أعلى واصعب ، ويمكن جعل هذا ايضا هو السر في حمعها الله الله والله .

ومهما حاول انصار البديع ان يدعموا رأيهم ويبرهنوا على وجهة نظرهم ، فان السرقات الشعرية ببقى فنا قائما بذاته الى جانب فنون البلاغة ، ولا يمكن ان تعتبر خاتمة للبديع او ملحقة به ، وان ما ذهب اليه بعضهم من ان هذا الفن لا يحتاج الى كبير عناء لا اساس له لان المتقدمين بذلوا في بحثه كل جهد وصرفوا كل طاقة وأشاروا الى ما فيه من صعوبة ، والى ما يحتاج اليه من اعتناء واهتمام ، وقد قسال ابن الاثير : « ومن المعلوم ان السرقات الشعرية لا يمكن الوقوف عليها الا بحفظ الاشعار الكثيرة انتى لا يحصرها عدد فمن رام الاخذ بنواصيها والاشتمال عليها على قواصيها بان يتصفح الاشعار تصفحا ويقتنع والاشتمال عليها على قواصيها بان يتصفح الاشعار تصفحا ويقتنع

واذا كانت السرقات لا قيمة لها وكانت من اليسر والسهولة بمكان، فلماذا أفرد المتقدمون كتبا فيها ، وذكروا انواعها ، ووازنوا بين الشعراء وبيئنوا كل ما يتعلق بالابتداع والاتباع ، واوضحوا السرقات ، ودلوا عليها ، وارجعوها الى اصحابها ، وكانت مثار جدل وتقاش ، واختلاف في الرأى طوال القرون الماضية، واصبحت في العصر الحديث فصلامهما من فصول النقد الادبى، وبحثا له قيمته في الدراسات الادبية الحديثة،

⁽۱) مواهب الفتاح ج} ص ۷٥٠ .

⁽٢) المثل السائر ج٢ ص ٣٦٦ .

ما السرقسية ؟

وقد ابتدأ القزويني بحث السرقات بالكلام على انواع الاتفاق فذكر ان اتفاق القائلين ان كان الغرض على العموم كالوصف بالشجاعة والسيخاء والبلادة والذكاء فلا يعد سرقة ولا استعانة ولا نحوهما ، لان هذه امور متقررة في النفوس متصورة للعقول يشترك فيها الفصيح والاعجم ، والشاعر والمفحم ، وان كان في وجه الدلالة على الغرض وينقسم الى اقسام كثيرة منها التشبيه بما توجد الصفة فيه على الوجه البليغ ، ومنها ذكر هيئات تدل على الصفة لاختصاصها بمن له الصفة ، كوصف الرجل حال الحرب بالابتسام وسكون الجوارح وقلة الفكر كقوله :

كأن ونانيراً على قسماتهم وان كان قد شف الوجوه لقاء

وكذا وصف الجواد بالتهلل عند ورود العفاة والارتياح لرؤيتهم ، ووصف البخيل بالعبوس وقلة البشر على سعة ذات اليد ومساعدة الدهر ، فان كان مما يشترك الناس في معرفته لاستقراره في العقول والعادات كتشبيه الفتاة الحسنة بالشمس والبدر ، والجواد بالغيث والبحر ، والبليد البطىء بالحجر والحمار ، والشجاع الماضي بالسيف والنار ، فالاتفاق فيه كالاتفاق في عموم الغرض .

وان كان مما لا ينال الا بفكر ، ولا يصل اليه كل أحد فهذا الذي يجوز ان يدعى فيه الاختصاص والسبق ، وان يقضى بين القائلين فيه بالتفاضل وان احدهما فيه افضل من الآخر وان الثانى زاد على الاول او نقص عنه ، وهذا نوعان :

أحدهما: ما كان في أصله خاصيا غريبا .

والثانى : ما كان في اصله عاميا مبتذلا ، لكن تصرف فيه بما اخرجه من كونه ظاهرا ساذجا الى خلاف ذلك .

اقسام السرقة:

وبعد ان قدم هذا التمهيدللسرقات ، قَسَّمَ الاخذ والسرقة الى نوعين : ظاهر وغير ظاهر ، فالاخذ الظاهر هو ان يؤخذ المعنى كله ،اما مع اللفظ كله او بعضه ، واما وحده ، وتكلم على أنواع الاخذ الظاهر وهو ثلاثة أضرب :

الاول: الانتحال أو النسخ ، وذلك اذا أخذ الكلام كله من غير تغيير لنظمه فهو مذموم مردود ، لانه سرقة محضة كما حكي ان عبد الله بن الزبير دخل على معاوية فأنشده:

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته على طرف الهجران ان كان يعقل ويركب حدالسيف من ان تضيمه اذا لم يكن عنشفرة السيف مزحل

فقال له معاوية: لقد شعرت بعدى يا أبا بكر • ولم يفارق عبد الله المجلس حتى دخل معن بن أوس المزني فأنشد كلمته التي اولها:

لعمرك ما ادري وانبي لأوجل ُ على أينا تعدو المنية أول ُ

حتى أتى عليها وفيها ما أنشده عبدالله فأقبل معاوية على عبدالله وقال له : ألم تخبرني أنهما لك ، فقال المعنى لي واللفظ له ، وبعد فهو

أخي من الرضاعة وأنا أحق بشعره •

وروي لبعض المتقدمين يمدح معبداً:

أجاد طويس" والسريجي بعده وما قصبات السبق إلا لمعبدر

ولأبى تمـــام:

محاسن أصناف المغنين جَمَّة "وما قصبات السبق إلا لمعبد

وفيهذا المعنى ما كان التغيير فيه بابدال كلمةأو اكثربما يُراد ِفُها كَقَــُول امرىء القيس:

وقوفاً بها صحبي علي مطيهم يقولون: لا تهلك أسي و تَجَمَّل ِ

وقول طرفة:

وقوفاً بهاصحبيعلي مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتنجكك و

وهذا النوع معيب باتفاق النقاد ، وليست له قيمة ، ويؤاخذ عليه، وهذا الذي سماه النقاد وابن الاثير : « وقوع الحافر على الحافر » .

والثانى: الاغارة أو المسخ ، وذلك ان كان مع تغيير لنظمه أو كان المأخوذ بعض اللفظ ، فان كان الثانى ابلغ مسن الاول لاختصاصه بفضيلة كحسن السبك ، أو الاختصار ، او الايضاح أو زيادة معنى ، فهو ممدوح مقبول كقول بشار:

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات ِ الفاتك اللهج م

وقول سلم الخاسر:

من راقب الناس مات غميًا وفاز باللذة الجسور

فبيت سلم أجود سبكا وأخصر •

وكقول الآخر:

خلقنا لهم في كل عين وحاجب بمشمر القنا والبيض عيناً وحاجبا

وقول ابن نباتة بعده:

خلقنا بأطراف القنافي ظهور ِهم عيونا لها وقع السيوف حواجب

فبيت ابن نباتة أبلغ ، لاختصاصه بزيادة معنى وهو الاشارة الى انهزامهم • ومن الناس من جعلهما متساويين •

وان كان الشانى دون الاول في البلاغة فهو مذموم مردود كقول أبى تمام:

هيهات لا يأتي الزمان بمثله إن الزمان بمثله لبخيل

وقول المتنبي:

أعدى الزمان سخاؤه فسخا به ولقد يكون به الزمان بخيلا

فان مصراع أبى تمام أحسن سبكا من مصراع ابى الطيب ، لقد أراد أن يقول : « ولقد كان الزمان به بخيلا » فعدل عن الماضي الى المضارع للوزن • وان كاز مثله فالخطب فيه أهون ، وصاحب الثانى أبعد من المذمة والفضل لصاحب الاول كقول الشاعر :

يا قوم اذني لبعض الحي عاشقة" والاذن تك شكق قبل العين أحيانا

وقول ابن الشحنة الموصلي:

وإنى امرؤ أحببتكم لمكارم سمعت بها والاذن كالعين تعشق

وكقول القاضي الارجــاني:

لم يبكني إلا عديث فراقكم لما أسر بـــه التي مـودعي

هو ذلك الـــدر الذي أودعتم في مسمعي ألقيت من مدمعي

وقول جــار الله الزمخشرى :

وذكر في هذا الضرب نوعا قبيحا جدا ، وهو ما يدل على السرقة باتفاق الوزن والقافية كقول ابى تمام :

مقيم الظن عندك والاماني وان قلقت ركابي في البــــلاد ولا سافرت في الآفـاق الا ومن جـدواك راحلتي وزادي

وقــول المتنبــي:

واني عنه عد غد لغاد وقلبي عن فنائك غير غهاد محبك حيثما اتجهت ركابي وضيفك حيث كنت من انبلاد

والثالث : الالمام أو السلخوهو ان يكون المأخوذالمعنى وحده وهو ثلاثـة أنواع :

اولها، كقول البحترى:

تصد حياء " ان تراك باوجــه اتى الذنب عاصبها فليم مطيعها

وقــول المتنبـي:

وجرم جرّه سهاء قوم وحل بغير جارمه العذاب

فان بيت ابى الطيب احسن سبكا وكأنه اقتبسه من قول تعالى : « أَتُه عُلِكُنا بِمَا فَعَلَ السَفِهَاء مُنتًا ؟ »(١) .

⁽١) سورة الاعراف ، الآية ١٥٥ .

وثانيها ، كقول بعض الاعراب:

وريحها أطيب من طيبها والطيب فيه المسك والعنبر ُ

وقــول بشـار:

واذا أدنيت منه بصلل غلب المسك على ريح البصل

وقـول أشجع:

وعلى عدوك يابن عم محمد رصدان : ضوء الصبح والاظلام فاذا تنب وعته واذا هدا سلت عليه سيوفك الاحسلام

وقــول أبي الطيب :

يرى في النوم رمحك في كلاه ويخشى أن يراه في السهاد

وثالثها ، كفول الاعرابي :

ولم يك اكثر الفتيان مالا ولكن كان أرحبهم ذراعا

وقــول أشجع:

وليس بأوسعهم في الغنى ولكن معروفه أوسع

وأما الأخذ غير الظاهر فمنه ان يتشابه معنى الاول ومعنى الثاني كقــول الطرمــاح:

لقد زادني حب النفسي أنني بغيض الى كل امرىء غير طائل وقدول المتنبي :

واذا أتتك مذمتي من نــاقص ٍ

وأوضح من ذلك قول جرير :

فلا يمنعك من أرب لحاهم سواء ذو العمامة والخمار

فهي الشهادة لي بأثِّي كامل ُ

- 294 -

وقــول المتنبـــي : ومن في كفه منهم قنـــاة

كمن في كف منهم خضَّابُ

يقول القزويني: « ولا يغرك مـــن البيتين المتشابهين أن يكون أحدهما نسيباً ، والآخر مديحاً أو هجاء أو افتخاراً أو غير ذلك ، فــان الشاعر الحاذق اذا عمد الى المعنى المختلس لينظمه تحيَّل في اخفائه فَعَيَّر لفظه ، وعدل به عن نوعه ووزنه وقافيته » (١) .

وعد ابن الاثير هـــذا النوع من السلخ ، وهو ان يؤخذ المعنى ويستخرج منه ما يشبهه ولا يكون هو إيَّاه ، وهذا من أدق السرقات مذهبا ، وأحسنها صورة ، ولا يأتى الا قليلا (٢) .

ومنه النقل، وهو أن ينقل معنى الاول الى غير محله كقول البحنري: سلبوا وأشرقت الدماء عليهم محمرة فكأنهم لم يسلبوا

نقله المتنبي الى السيف فقال:

يبس النجيع عليه وهو مجرد معن عن عمده ، فكأنما هو منع مد

ومنه أن يكون معنى الثاني أشمل من معنى الاول كقول جرير:

إذا غضبت عليك بنو تميم وجدت الناس كُلُّهم غيضابا

وقول أبى نواس:

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

ومنه القلب، وهو أن يكون معنى الثاني نقيض معنى الاول، سُمِّيَ

⁽۱) الايضاح ص ۱۳٪.

⁽٢) المثل السائر ج٢ ص ٣٧٣.

بذلك نقلب المعنى الى نقيضه كقول أبى الشيص:

أجد الملامة في هو الدُلذيذة عبا لذكرك فكاليكُ مُني اللُّو عُمُ

وقول أبي الطيب:

أأحبه وأحب فيه ملامة المادة الملامة فيه من اعدائه

ومنه أن يؤخــــذ بعض المعنى ويضاف اليه زيادة تحسنه كقول الأفوه الاودى ":

وترى الطير على آثارنا وأي عين ثقة ان ستمار

وقــول أبى تمـــام:

وقد ظللت عقبان أعلامه ضحى بعقبان طير في الدماء نواهـــل ِ أقامت مع الرايات حتى كأنتها من الجيش ، الا أنها لم تقـــاتل ِ

وهذه الانواع ونحوها اكثرها مقبولة •

ومنها ما أخرجه حسن التصرف من قبيل الاخذ والاتباع الى حيز الاختراع والابتداع ، وكلما كان اشد خفاء كان اقرب الى القبول ، وهذا خير انواع الاخسف ، ولكن متى يحكم على أحد الشاعرين بالاخسف ...؟

لم يترك القزويني هذه النقطة من غير ان يُشير اليها ، ويضع لها حكما وهو القاضي الذى شهدت له محافل دمشق والقاهرة بالعدل والانصاف وحسن السيرة ،ولم يكن ليلقي القول جزافا في السرقات لانه كثيرا ما تتوارد الخواطركما يحكى عن ابن ميادة انه انشد لنفسه:

مفيد ومتلاف اذا ما أتيته تهلل واهتز اهتزاز المهنئد

فقيل له : أين يذهب بك ؟ هذا للحطيئة • فقال : الآن علمت أنى

شاعر اذ وافقته على قوله ولم اسمعه و و وارد الخواطر لا يمكن انكاره فاللغة الواحدة ، والبيئة الواحدة ، والجنس الواحد ، والثقافة الواحدة قد تؤدي الى ان يفكر اكثر من اثنين بمسألة واحدة ، وأن ينطقوا بعبارات واحدة ، وقد يصدرون عن نزعة انسانية مشتركة ليس لاحد فيها فضل السبق ، ولذلك فالحكم بالسرقة ليس سهلا الا اذا علم بان الثاني كان يحفظ كلام الاول ، أو أخبر هو عن تفسه أنه أخذه منه وهو بذلك لا يدين الثاني بالسرقة والاخذ من غير دليل ، يقول : « ولهذا لا ينبغي لاحد بت الحكم على شاعر بالسرقة ما لم يعلم الحال ، وإلا فالذي ينبغي ان يقال : قال فلان كذا ، وقد سبقه اليه فلان فقال كذا ، فيغتنم به فضيلة الصدق ، ويسلم من دعوى العلم بالغيب ، ونسبة النقص الى الغير » (۱) ، وهذا شأن القاضي الذي يحكم بين الناس بالعدل ، وقد اتبع القاضي الجرجاني صاحب يحكم بين الناس بالعدل ، وقد السبيل فكان منصفا عادلا ،

والقزويني متأثر الى حد كبير بالمتقدمين في بحث السرقات ، وقد استفاد ـ كما يبدو جليا ـ من « الوساطة » و « كتاب الصناعتين » وكتابي « أسرار البلاغة » و « ودلائل الاعجاز » و « المثل السائر »، ولكننا لا نقبل ما ذهب اليه الاستاذ هـدارة قبولا تاما حيث قال : « الملاحظ في كتاب القزويني وفي الشروح جميعا نقلهم المباشر لكلام عبد القاهر الجرجاني في اتفاق القائليين في الغرض على العموم أو في الدلالة على الغرض » (٢) ، لاننسا رأينا ان عبد القاهر لم يبحث الموضوع بهذه الطريقة ولم يقسمه هذه التقسيمات ، وان الحديث الناق القائلين في الغرض أو في الدلالة عليه قديم ، وانسا لنجده في الوساطة والموازنة ، ويمكن القول ان القزويني استفاد من عبد القاهر الي حد ما ، أما استفادته الكبيرة فقد كانت من « الوساطة »

الاینساح س ۱۵ ـ ۱۱٪ .

⁽٢) مشكلة السرقات ص ١١٩٠

و « الصناعتين » و « المثل السائر » • ونستطيع على ضوء ما تقدم أن نعرف العبارات التى نقلها عن الوساطة بكل سهولة ، وهى تدل على نفسها اذا ما قورنت بالكلام الذى ذكرناه عن المتقدمين •

والجدير بالذكر انسا نجد القزويني لا يتابع احدا في التقسيم وان نقل عبارات او امثلة من غيره ، ونحن لا نجد عند غيره هذا التقسيم الثنائي ، الاخذ الغااهر والاخذ الخفي ، فابن الاثير مم مثلا مع تفصيلاته الكثيرة وتعمقه في البحث ملم يقسمها هذا التقسيم ، وانما جمع أضرب الاخذ الخفي في بحث السلخ واعتبرها انواعا منه ،

وقد وفق القزويني في بحث السرقات الى حد ما ، بيد أن لنا ملاحظة تتعلق بطريقة العرض وهي انه لم يهتم بالموازنة والتحليل اهتماما كبيرا ، وكانت اشارته الى الموازنة بين بيت وآخر قليلة وحتى اذا وجدت ، فهي التفاتات جزئية لا تنظر الى الكل نظرة عامة فتوازن، وتحسن التعليل والتحليل ، وهذه النظرة لم ينفرد بها انقزويني وحده وانما هي نظرة اكثر نقاد العرب ، وحبذا لو استفاد القزويني مسن موازنات ابن الاثير في الضرب الحادي عشر من السلخ حينماقارن بين قصيدتي ابي تمام والمتنبي في رثاء طفلين ، وبين قصيدتي البحتري والمتنبي في وصف الاسد ، فقد اتسعت نظرته في هذا البحث ، ورأى والتصائد وحدة متكاملة بما فيها الالفاظ ، والمعاني ، وانصور الادبية، وبما بينها من اتفاق ، وافتراق ، واتباع ، وابتداع ،

وألَّحَق القزويني ببحث السرقات الاقتباس، والتضمين، والعقد، والحل، وانتلميح وهي موضوعات بحتها المتقدمون، وافردوا لكل منها فصلا أو بابا كأبن الاثير الذي تكنم على الحل والعقد في الفصل العاشر من مقدمة المثل السائر، وبحث التضمين في الفصل السابع والعشرين من المقانة الثانية المتعلقة بالصناعة المعنوية .

وختم القزويني بلاغته بالبحث في حسن الابتداء والتخلص

والانتهاء ، يقول: «ينبغى للمتكلم ان يتأنق في ثلاثة مواضع مسن كلامه حتى تكون أعذب لفظًا واحسن سبكا واصح معنى • الاول: الابتداء ، لانه اول ما يقرع السمع فاذا كان كسا ذكرنا أقبل السامع على الكلام فوعى جميعه وان كان بخلاف ذلك اعرض عنه ورفضه وان كان في غاية الحسن •••

والثاني: التلخيص، ونعني به الانتقال مما شبب الكلام به من تشبيب أو غيره الى المقصود مع رعاية الملاءمة بينهما، لان السامع يكون مترقبا للانتقال من التشبيب الى المقصود كيف يكون على فاذا كان حسنا متلائم الطرفين، حرَّك من نشاط السامع وأعان على اصغائه الى ما بعده، وان كان بخلاف ذلك كان الامر بالعكس ٠٠

الثالث: الانتهاء لانه آخر ما يعيه السامع ويرتسم في النفس فان كان مختارا كما وصفنا جبر ما عساه وقع فيما قبله من التقصير ، وان كان غير مختار كان بخلاف ذلك وربما انسى محاسن ما قبله » (١) .

وليس في بحث القزويني لهذه الموضوعات جديد ولذلك لم تقف عليها ، ونرى ان العودة الى كتب المتقدمين أجدى وانفع ، فقد بحثها ابن الاثير في « المثل السائر » و « الجامع الكبير » بحثا موفقا ، وعرضها عرضا حسنا ، وذكر الامثلة الرائعة ، وقارن ، وحلل ، وبذلك اعطى للموضوعات قيمة كبيرة ، أما القزويني فقد جعلها قواعد جامدة ، وامثلة لا تنبض بالحياة .

* *

هذه بلاغة القزوينى ، وهو يمثل فيها النقاد البلاغيين ، ويعتبر عمدتهم في العصر المملوكى • وقد وققت البلاغة عندها ولم يسأت المتأخرون بشيء جديد الا ما كان مسن شرح ، وتوجيه ، والتفاتات

⁽۱) الايضاح ص ۲۸۸ ـ ۳۵۹ ۰

تقدية لا تكتون اتجاها ، أو ترسم منهجا خاصا ، ولعل ابن قيم الجوزية ، والعلوى ، وبهاء الدين السبكى، وابن حجة الحموى أشهر النقاد البلاغيين الذين جاؤا بعدالقرنالسابع الهجرى ، وكان للقزوينى تأثير واضح في توجيه البلاغة العربية ويتجلى هاذا الاثر بوضوح في شروح التلخيص التى سيطرت على مجالس الدرس بعد القزوينى ،

فما هذه الشروح ؟ وما قيمتها ؟ وما قيمة بلاغة القزويني ٠٠٠



البائرالثالث من عن المناب عن المناب



الفكش لأالأول

شرُوحُ النلجِيص

النقد والبلاغة في عصر القزويني:

لقد شغل الناس بكتاب « مفتاح العلوم » للسكاكى ، فطفقوا يضعون عليه التلخيصات والشروح ، وكان المشرق اول من خطا هذه الخطوات ، لان المفتاح ولد فيه ، ومنه انتشر الى الاقاليم الاسلامية والعربية فدخل مصر والشام ، ووضع بدر الدين بن مالك كتاب « المصباح » وكتاب « روض الاذهان » تلخيصا للقسم الثالث منه ، وتوالى بعده الشرح والتلخيص حتى ايامنا .

وكان الخطيب القزويني من اعظم الذين هذَّ بوا المفتاح ، ورتبوه ، وصاغوه صياغة جديدة ، فيها من روح السكاكي التحديد والتقسيم والحصر المنطقي ، ومن روح مصر والشام تحكيم الذوق والسير في العرض والتحليل و ولا نريد هنا ان تتحدث عن معاصري القزويني ممن عاشوا في البيئة المشرقية ، لانه لم تكن له صلة بهم لبعد الدار

واختلاف الحياة • ففي شيراز ولد محمود بن مسعود بن مصلح ابو الثناء قطب الدين الشيرازي سنة ٦٣٤ هـ ، وشرح مفتاح العلوم بكتاب سماه « مفتاح المفتاح » • ولو رجعنا الى نسخته المحفوظة . في مكتبة الاوقاف العامة ببغداد لوجدنا الرجل لم يبعد كثيرا عن منهج السكاكي ، وأنتى له ذلك وهو يشرح القسم الثالث من مفتاح العلوم؟ وليس في هذا الشرح مسحة ادبية فهو وليد البيئة المشرقية التي غلبت عليها العجمة وسيطرت عليها النزعة العقلية المحضة • وقـــد أوغل الشيرازى في التمحلات فهو يرى ان صاحب علم المعانى يحتاج الى معرفة انواع الدلالات كما يحتاجها صاحب علم البيان عند تقسيمه البيان الى فنونه المختلفة ، يقول : « وصاحب علم المعانى وان احتاج الى معرفة الدلالات لكن بالذات ، لانه ينظر في مدلولات الدلالات أي فيما يفيد منها التراكيب ليختص بعلم المعانى وهو ينظر في انفس الدلالات فلهذا قال _ أي السكاكي _ « فضل احتياج » ليعرف ان لصاحب علم المعانى احتياجا الى معرفة انواع الدلالات ولكن لا الى تلك الغاية »(١) • والشيرازي معاصر للقزويني لانه توفي في الرابع عشر من شهر رمضان سنة ٧١٠ هـ ، ولكننا لم نر في كتب القزويني اشارة اليه او نقلا عنه ، وإن التشابه بين الرجلين في المنهج أو المادة مرجعه كتاب مفتاح العلوم الذي عكف الرجلان عليه فشرحه الاول، ولخَّصَّه ثُمَّ شرحه الثاني •

وعاصر محمد بن النحوية (٧١٨ هـ) الخطيب القزويني ، فقد ولد بحماة سنة ٢٥٩ هـ ، وانتقل الى دمشق ، ولقي القزويني فيها ، وقد سبق ان ذكرنا ان القزويني قابله في دمشق وسأله عن قول ابى النجم « كله لم اصنع » من جهة تقديم حرف السلب وتأخيره فما أجاب بشيء يعتد به ، واختصر ابن النحوية « المصباح » لبدر الدين ابن مالك وسماه « ضوء المصباح » وشرحه بعد ذلك شرحا لطيفا ،

⁽۱) مفتاح المفتاح ص ۲۹۱

وليس بين القزويني وهذا الرجل علاقة ، وكل ما بينهما من تشابه ان القزويني استفاد من بدر الدين فنقل من مصباحه بعض المسائل كما رأينا ، وقد لخص ابن النحوية المصباح وشرحه ، فكان لابد أن يلتقي الرجلان في كثير من الامور .

ولن نذهب بعيدا في البحث عن معاصري القزويني وسنكنفي ببعض الامور لنرى ما كان في عصره وفي بيئته من نشاط في النقد الادبى والبلاغة •

لقد كانت هذه البيئة محط انظار العالم ، إذ " بعد سقوط بغداد سنة ٢٥٦ هـ اتجه الناس اليها ينهلون العلم من معاهدها ، ويأخذون عن علمائها المنتشرين في مصر والشام والاقاليم العربيسة الاخرى ، ونشطت الحركة النقدية في هذا العصر وانقسم النقد الى قسمين : نقد بلاغى ، ونقد ادبى ، وكان النقد وليد هذه البيئة التى غلبت عليها أساليب معينة ، ويكاد معظم الادباء في هذا العصر لا يخرجون عما رسمه القاضي الفاضل (٢٩٥ هـ) كبير ادباء العصر الايوبى ، وما خطه شاعر الاقليم المصري جمال الدين بن نباتة (٧٦٨ هـ) ، وكان لا بد للنقد أن يتابع الادب في هذا الاتجاه ، وأن يستخلص أحكامه من الادب في عصوره الاولى ، ولما كان الادب في مفده الفترة يميل الى الزخرفة والاهتمام بالمحسنات ، وجدنا النقد والبلاغة تؤكد عليها ، وتجعلها الهدف الاسمى في نقد الادب واصدار الحكسم عليه ،

وانتعشت الحياة الادبية والنقدية لاهتمام السلاطين والامراء بالحركة العلمية ، وبعث الروح الادبية في كل مجال ، ولم يكن هذا لان السلاطين والحكام كانوايتذوقون الادب، ويحسون بجماله ولكن ليكون لهم عونا في الملمات ، وليتخذوا منه دعاية في كل مكان، ولاجل هذا قربوا العلماء ، وشجعوا الادباء ، واجزلوا لهم الهدايا والعطاء ،

وثارت بين الادباء المناقشات، وطال الجدل في الادب، وانقسم الناس مذاهب شتى، فمنهم من كان يفضل طريقة القاضي الفاضل في الكتابة واتجاه ابن نباتة في الشعر، ومنهم من حمل عليها واعتبرها مفسدة للادب، وكانت مجالس السلاطين والحكام والامراء وغيرهم من الادباء والعلماء ميدانا للحركة النقدية والادبية ، وفي كتب التاريخ والادب نماذج كشسيرة لهذه المجالس والاحكام، ويرى المقريزي ان الملك الاشرف خليلا عاد في سنة ، ١٩٥ هـ من الشام بعد ان فتح عكا فلقيته القاهرة برجالها في صفلها:

زر والديك وقف على قبريهما فكأننى بك قد نقلت اليهما

فتطير الاشرف من هذا البيت ، ونهض قائما حانقا وهو يقول : « ما وجد هذا شيئا يقوله سوى هذا البيت » (١) .

وذكر تاج الدين السبكى عن تاج الدين المراكشي انه دخل عليه مرة وهو ينشد قول ابن تقى:

حتى اذا مالت به سنة الكرى زَحْزِحَتُهُ شيئًا ، وكان معانقي أبعدته عن أضلع تشتـاقه كي لا ينام على وساد خافق

وقول الحكم بن عقال : كان لا بد من رقـــاد فاضلعی هاك من وســاد

ان كان لا بد من رقداد فاضلعي هاك من وساد ونم على خفقتها هدوءاً كالطفل في هرزة المهاد

وهو ومن عنده يقولون: ان قول الحكم اجدر بالصواب، فانه لا يناسب المحب ان يبعد حبيبه، وينشدون قول صلاح الدين الصفدى في ذلك ردا على ابن تقى:

⁽۱) خطط المقريزي ج} ص ٢٢٠ ، وينظر عصر سلاطين المماليك ج٦ ص ١١٩ .

ابعدته من بعد ما زحزحت ان شئتقل:أبعدت عنه اضالعي أو قل فبات على اضطراب جو انحي

ما أنت عند ذوي الغرام بعاشق ليكون فعل المستهـام الوامق كالطفل مضطجعا بمهد خافق

فقال السبكى: ان ابن تقى وان ساء لفظا فقد قال « ابعدته » وهو أحسن معنى لانه وصف أضلعه بالخفقان والاضطراب الزائد الذى لا يستطيع الحبيبالنوم معه عليها ،فقد م مصلحته على مصلحته، وترك ما يريد لما يريد ، وابعده عما يقلقه ، ولو قال « أبعدت عنه أضلعا تشتاقه » لاحسن لفظا كما أحسن معنى ، واما الحكم فانه وصف خفقانه بالهدوء ، وهو خفقان يشبه اضطراب سرير الطفل، وهذا نقص ، فوقع النزاع في ذلك وارسلوا الى القاضي شهاب الدين احمد ابن فضل الله صورة سهوا من الرجلين ابن تقي والحكم ايهما المصيب ؟ فكتب: قول ابن تقى عليه مأخذ لكنه قول المحب الصادق:

يكفيه في صدق المحبة قوله كي لا ينام على وساد خسافق ما الحب الا ما يهد له الحشا ويهد أيسره فؤاد العساشق (١)

هذا مثل من أمثلة المجالس الادبية والنقدية في عصر القزويني ، وهو يمثل ما كانت عليه البلاد يومذاك من اتجاه الى النقد ، وان كان اتجاها تعوزه الاداة والذوق الذي احتضر ، وكاد يموت منذ عهد بعيد .

كتب نقديسة:

وَالْفَت كتب نقدية ، في هذه الفترة ، ولكن مؤلفات النقد الادبى كانت تتجلى في الكلام على شعر ابن سناء الملك ، والنقد الموجه اليهمن ابن جبارة وابي حيان النحوي الاندلسي ، وصفي الدين الحلي ، وفي انتصار صلاح الدين الصفدى له والذب عنه ، وكانت هذه الحركة

⁽١) طبقات الشافعية ج٥ ص ٢٣٣ ، وينظر عصر سلاطين المماليك ج٦ ص ١١٩ .

النقدية مناضلات ، أو مراجعات في آراء أديبة ، ومباريات في توجيهات لغوية يقصد منها تثبيت الآراء وتعيين التوجيهات في تاريخ النقد الادبي ومصادره (١١) •

ومن الكتب التي صورت حركة النقد في عصر القزويني:

كتاب «نظم الدر في نقد الشعر »للقاضي الرئيس الشيخ شرف الدين أبي الحسن علي بن اسماعيل بن ابراهيم بن جبارة الكندي التجيبي السخاوي المولود في القاهرة سنة ٥٥٥ هـ (١١٥٩ م) والمتوفى بها سنة ٩٣٢ هـ (١٣٣٥ م) •

وكتاب « نقد الشعر » للشيخ أبي حيان أثير الدين محمد بن يوسف الاندلسي النحوي المولود سنة ٢٥٥ هـ (١٢٥٦ م) والمتوفى بالقاهرة سنة ٥٤٥ هـ (١٣٤٤ م) ٠

وكتاب « العاطل الحالي والمرخص الغالي » للشيخ صفي الدين الحلي المتوفى ببغداد سنة ٧٥٠ هـ (١٣٤٨ م) ٠

وكتاب « الاقتصار على جواهر السلك في الانتصار » لابن سناء الملك .

وكتاب « الفيث الذي انسجم في شرح لامية العجم » و « نصرة الثائر على المثل السائر » للشيخ خليل بن ابيك الصفدي المتوفى بدمشق سنة ٧٦٤ هـ (١٣٦٣ م) •

وكتاب «خبز الشعير » لجمال الدين بن نباتة المصري المولود بالقاهرة سنة ٦٨٦ هـ (١٣٦٦ م) • والمتوفى سنة ٧٦٨ هـ (١٣٦٦ م) • وغيرها من الكتب التي كانت تبحث في النقد (٢) •

⁽¹⁾ ينظرتاريخ الادب العربى في العراق ج1 ص ٣٤٦ ، ومقالة النقد الادبـــى ومعادره للاستاذ عباس العزاوى المنشورة في مجلة المجمع العلمي العراقى (المجلد السابع). (٢) تنظر هذه الكتب في تأريخ الادب العربى في العراق ج1 ص ٣٤٥ وما بعدها ، ومثالة النقد الادبى ومصادره ،

الشهاب الحلبي:

ولسنا نبحث هنا حياة النقد ، وانما نريد ان نصور ما كانت عليه البلاغة في عصر القزويني ، ونلقي الضوء على بعض معاصريه قبل البحث في شراح التلخيص ، لنرى مدى تأثير مفتاح العلوم في البيئة العربية ومدى علاقة القزويني بعلماء عصره من رجال البلاغة • وأول ما يلاحظ ان منهج السكاكي لم يسيطر سيطرة تامة على البلاغة في هـذا العصر ، فقد كانت هناك بقايا للمدرسة الادبية تتمثل في كتاب « حسن التوسل الى صناعة الترسل » ، لشهاب الدين الحلبي (٧٢٥ هـ) الذى « اراد فيه مؤلفه ان يبين للناشيء المتأدب أفضل الوسائل ، وأنجع الطرق التي بها يستطيع ان يكون كاتبا ومنشئا ، ويبرز له الادوات التي ينبغي ان يحتازها ، والمزايا التي عليه ان يتحلى بها ليسلك في عـــد الادباء المنشئين »(١) • وتتضح في الكتاب ثلاثة أقسام متمايزة ، فقد تكلم على ما ينبغي للمتأدب معرفته ، وفنون البلاغة المعروف. ، وذكر في خاتمته أمثلة تطبيقية ونباذج متعددة ورسائل شتى كلها من انشاء المؤلف في أغراض كتابية مختلفة ، بعضها مما كتبه في الديوان ، وبعضها مما كتبه تمرينا لقريحته وتمثيلا للناشئين • ولا تبدو فيه علاقة بكتابي الخطيب القزويني لأن الحلبي درس البلاغة كما درســـها الاوائل ، ولم يفرق بين فنونها بل عقد لها فصولا متوالية ، ويمكن القول ان كتـــاب « حسن التوسل » من خيرة الكتب التي تمثل المدرسة الادبية في عصر القزوينسي ٠

العلموي:

ومن هذه الكتب « الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز » للسيد يحيى بن حمزة العلوي المولود بمدينة صنعاء في ٢٧ من صفر سنة ٦٦٩ هـ والمتقلد باليمن امارة المؤمنين سنة ٢٧٩ هـ ،

⁽١) عصر سلاطين المماليك ج٦ ص ١٢٥٠

والمتوفى سنة ٧٤٩ هـ (١) • والباعث على تأليف الكتاب أن جماعة من أصدقائه واخوانه ، شرعوا عليه في قراءة كتاب «الكشاف» للزمخشرى، ولما كان هذا التفسير يعتمد على البلاغة كثيرا ، وان اسسه قائمة عليها فقد سأله بعضهم ان يملي في البلاغة كتابا يكون عونا لهم في دراسة تفسير الزمخشري •

وبحث العلوي يختلف عن غيره ، ففيه اتجاه نحو المدرسة الادبية مدرسة مصر والشام ، وفيه جنوح نحو مدرسة السكاكي حينما فصل بين فنون البلاغة ، يقول موضحا منهجه «ونشرع الآن في شرح مقاصده فنذكر ما يتعلق بذكر علوم البيان في مواقع المجاز في البلاغة ، ثم نردفه بما يتعلق بالمعاني الافرادية وهو المعبر عنه بعلم المعاني ، ثم نذكر على أثره ما هو منه وهو ما يتعلق بمراعاة أحوال التأليف وهو المعبر عنه بعلم المعانى ايضا ، ثم نذكر خاتمة الفن فيمسا يتعلق بمجموع الافراد والتركيب وهو المعبر عنه بعلم البديع فهذه أبواب اربعة » (٢) .

ويتضح من كلامه انه يسير على منهج السكاكي وانه يفرق بين مصطلحات المعاني والبيان والبديع ولكنه يتبع طريقة أخرى فيها ميل الناحية الادبية وفيها نقد وتحليل •

اما مصادر الكتاب فذكر العلوي في المقدمة انه لم يطالع من الكتب المؤلفة في البلاغة الا اربعة هي : « المشل السائر في ادب الكاتب والشاعر » لضياء الدين بن الاثير (١٣٧ هـ) » «والتبيان في علم البيان المطلع على اعجاز القرآن » لعبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني (١٥٠ هـ) » « ونهاية الايجاز في دراية الاعجاز » لفخر الدين الرازي (٢٠٠ هـ) » « والمصباح في اختصار المفتاح » لبدر الدين بن مالك

 ⁽۱) تنظر ترجمته فى البدر الطالع ج٢ ص ٣٣١ ، ومقدمـــة الطراز ، وتاريــخ عنوم البلاغة والتعريف برجالها ص ١٣٨ .

⁽۲) الطراز ج اس ۱۹۲۰

(٦٨٦ هـ)(١) • ويبدو أثر ضياءالدين واضحا ، فالعلوي ينقل من كتابه المثل السائر كثير: ، وغالبا ما يرجح آراءه ولكنــه لا يسلم له في جميع القضايا والآراء فنراه ينقده ويزيف آراءه واقواله ، وبذلك يكون الطراز أمتداداً لمدرسة ابن الاثير او مدرسة مصر والشام العربية مع فرق واضح ، وهو ان العلوي بحث البلاغة بحثاقريبا من منهج السكاكي ومدرسته عندما قسم الفن الثاني من كتابه الى ما يتعلق بالمعاني ، والى ما يتعلق بالبيان ، وألى ما يتعلق بالبديع ، وهذا ما لم يفعله أبن الاثير في كتابة البلاغة وتقسيم بحوثها وتبويبها ، كما تأثر بعبدالقاهر وان لم يطلع على كتابيه « دلائل الاعجاز » و « اسرار البلاغة » _ كما يزعم ـــ(٢) • ولكنه تأثر به بصورة غير مباشرة بما كتب ابن الزملكاني في كتاب التبيان ، وما مطره الرازي في نهاية الايجاز ، وأثنى على عبد القاهر ثناء عظيما ، وذكر انه أول من أسس من علم البلاغة قواعــده ، وأظهر فوائده ، ورتب أفائينه ، وقد شك الدكتور طبانة فيما ادعماه العلوى من عدم اطلاعه الا على اربعة كتب في البلاغة ، يقول : « وأنا أشك في ان العلوى قصر اطلاعه على هذه الكتب الاربعة مهما تكن قيمتها ، ومهما تكن الموضوعات والمباحث التي عالجهـ كل منها ، فلا تكفي تلك لتكون وحدها المراجع لهذا البحث المستفيض والدراسية الخصبة التي نجدها في الطراز ، وانا لنجد في ثنايا الكتاب نقولا كثيرة عن المطرزي وقدامة بن جعفر ، والحاتمي ، والغـــانمي ، وأبى هلال العسكري ، وغيرهم من علماء البلاغة والبيان »(١) . وقد فات الدكتور طبانة أن المثل السائر كان زبدة البلاغة العربية ، جمع فيه مؤلفه آراء كثيرة ونقل عن الغانسي ، وقدامة ، والعسكري وغــيرهم ، وبذلك أغنى هذا الكتاب العلوي ، وامدُّه بمادة غزيرة لا حصر لها ولا حد ، يضاف الى ذلك ان الرازي وابن الزملكاني وبدر الدين ذكروا

⁽١) ينظر الطرازج ١ ص ١ .

⁽٢) الطراز ج١ ص ٤ .

⁽٣) البيان العربي (ط ٣) ص ٢٦١ .

آراء كثيرة للمتقدمين ، ولم يكن كتابا الاولين الا تهذيبا لكتابي عبــــد القاهر ، وتنسيقا لهما ، ولم يكن كتاب الاخير الا تلخيص القسم الثالث البلاغة العربية وخلاصة آراء البلاغيين المتقدمين ؟ أما تأثر العلوي بالسكاكي فيبدو واضحا في بعض المسائل ، ولعل أوضح ذلك استفادته منه في تقسيم البلاغة الى فنونها الثلاثة ، ولم يذكر العلوي « مفتاح العلوم » مصدرا من مصادر بحثه فمن اين جاءت معرفت به ، وكيف نقل عنه وذكر بعض آراء السكاكي ؟ لا نستطيع الجزم انه رأى مفتاح العلوم ، لانه لم يشر الى ذلك في المقدمة، وأنه عندما ينقل رأياً للسكاكي أو جملـــة عنه يقول « حكى السكاكي » ، وغير ذلك من العبارات التي تدل على انه لم ينقل عن كتاب السكَّاكي مباشرة وانســا نقل عنه بطريقة أخرى ، فمن أين ؟ لا بد أن العلوي عرف مفتاح العلوم عن طريق مصباح بدرالدين بن مالك الذي كان أحد مصادره الأربعة التي لم يطالع غيرها ولم يعتمد على سواها كما يقول ، ولذلك يجـــد الناظر في كتاب الطراز ، والتلخيص ، والايضاح ، تشابها في كثير من الموضوعات وفي المنهج وطريقة التأليف • والحقّ ان كلا من العلوى والقزويني لم يطلع أحدهماعلى كتاب الاخر، لانهما وان كانا متعاصرين فانهما عاشا في بيئتين مختلفتين ، فالأول عاش في اليمن وتولى بها امارة المؤمنين ، والثاني عاش في الشام ومصر وتولى فيهما القضاء .

لقد اختلف الرجلان في كثير من الامور وان اتفقا في المنهج احيانا ، لانهما ــ كما رأينا ــ سارا على هدى السكاكي في تقسيم البلاغـــة الى فنونها الثلاثة ، ورتب العلوي كتابه على ثلاثة فنون :

الأول: في مقدمات تفسير علم البيان، وبيان ماهيته وموضوعه، ومنزلته من العلوم الادبية، والطريق الى الوصول اليه، وبيان ثمرته وما يتعلق بذلك من ماهية البلاغة والفصاحة، والفرق بينهما، ومعاني الحقيقة والمجاز وبيان أفسامهما الى غير ذلك مما يكون تمهيدا وقاعدة

لما يريده من المقاصيد .

والثاني: لذكر ما يتعلق بالمباحث المتعلقة بعلم المعاني وعلومها ، وأردفه بالمباحث المتعلقة بعلوم البيان واقسامها، وشرح فيه ما يتعلق بهمن المباحث من علم البديع وخصائصه واحكامه اللائقة به .

والثالث: ذكر فيه ما يكون كالتتمة والتكلمة لهذه العلوم الثلاثة، وعرض فيه لفصاحة القرآن الكريم وانه قد وصل الغايـة التي لا غاية فوقها وان شيئا من الكلام وان عظم دخوله في البلاغة والفصاحة فانـه لا يدانيه ولا يماثله ، وذكر كونه معجزا للخلق لا يستطيع أحد ان يأتي بمثله ، وشرح وجه اعجازه ، وأظهر الوجه المختار فيه •

وأضاف الى الكتابفوائد أ خَر ونكتا غزيرة استنبطهاهو بذوقه وعقله أو تابع فيها عيره •

ولم يتبع القزويني هذا المنهج ، وقد رأينا سابقا انه تابع السكاكي في كل شيء وقسم كتابيه الى ثلاثة فنون : المعانى والبيان والبديع ، واضاف مقدمة في الفصاحة ، وختمه ببحث في السرقات ، وحسن الابتداء ، والتخلص ، والانتهاء ، وهذه بحوث ذكرها العلوي في خضم كتابه الزاخر من غير ان يفصلها كما فعل القزويني .

وهناك فرق واضح بين الرجلين ، فبينما نجد القزويني لا يخرج كثيرا عما رسمه السكاكي ، نجد العلوي يحلق بعيدا فيشرح ، ويحلل ، وينقد ، ويعلل ، ويعطي احكاما أملتها عليه تجربته ، ودوقه ، وحسه الصافي ، وثقافته الواسعة ، واطلاعه الكبير ، ومع انه يميل الى تحكيم العقل في مناقشاته وتقسيماته وعرض الآراء المختلفة والرد عليها ، زاه يجنح الى الذوق وعدم تحكيم العقل المجرد في فنون الادب وتذوق النصوص ،

ولم يضع القزويني منهجا خاصا في عرض الامثلة ، فهو ياتي بالشاهد او المثال كيفما اتفق بينما سار العلوي على خطة واحدة أتبعها

في كتابه كله تقريبا ، وهو أن يأتي بمجموعة من الامثلة بعسد كل فصل ويقسم الامثلة الى اضرب فالاول: الآيات القرآنية ، والثانى: الاخبار النبوية ، والثالث: كلام الامام علي بن أبي طالب (ع) ، وهذه الاضرب الثلاثة هى القسم الاول من شواهده ، والقسم الشاني: الشواهد المنظومة من كلام الشعراء الذين شهد لهم بالعبقرية والبلاغة، ولا نجد هذا الاهتمام بالامثلة وتقسيمها عند القزويني ، ولا نعثر على شواهد يختم بها كل فصل أو بحث من بحوث الكتاب ، وهذا فرق بين طبيعتي الرجلين ، وليس في « التلخيص » أو « الايضاح » بحث عن عجاز القرآن ، ولكن الطراز اهتم به اهتماما كبيرا ، وعقد الفن الثالث فيه ، وذكر الآراء في ذلك ، وكرك على المطاعن التي يزعمها الملحدون، ونستطيع ان نقول ان العلوي يقترب من السكاكي في هذه الناحية وان أوسع منه أفقا واكثر تفصيلا ،

هذه أهم الفروق بين العلوي والقزويني ، ولكي نوضح ميل العلوي الني المدرسة الادبية واهتمامه بالتحليل، والابتعاد عن التقسيم والتحديد، نقل نموذجا مما كتبه في الاستعارات القرآنية يقول: « اعلم ان من حق الاستعارة وحكمها الخاص ان يكون المستعار له مطوي المذكر ، وكلما ازداد خفاء ازدادت الاستعارة حسنا، فان ادخلت على الاستعارة حرف التشبيه فقلت في قولك « رأيت اسدا »: « رأيت رجلا كالاسد» فقد وضعت تاجها، وسلبت ديباجها ، فمن ذلك قوله تعالى: «وضر بالله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة أيتيها رز قنها رغكا من كل مكان ، فك فرية كانت آمنة مطمئنة أيتيها رز قنها رغكا من كل مكان ، فك فرية كانت آمنة مطمئنة المناب الجوع والخوف » (١) وفانظر اللي ما اشتملت عليه هذه الآية من المجازات البليغة ، والاستعارات الرشيقة ، فقد تضمنت استعارات اربعا : الاولى منها القرية للاهل ، والثانية استعارة اللباس في الجوع والزابعة الستعارة اللباس في الجوف ، فهذه الاستعارات كلها متلائمة ، والرابعة استعارة اللباس في الخوف ، فهذه الاستعارات كلها متلائمة ،

⁽۱) سورة النحل ، الآبة ۱۱۲ .

وفيها من التناسب ما لا خفاء به »(١) •

أين هذا في تفسير الآية وتحليل ما فيها من استعارات مسن كلام الزمخشري والسكاكي فيها ، فقد اختلف الرجلان ، وذهبا مذاهب شتى فرأى الزمخشري أن الاستعارة في « لباس الجوع والخوف » عقلية ، وذهب الآخر الى انها استعارة حسية (٢) ، وانشغلا بهذا الامر من غير أن يوضحا بلاغة الآية ، وقيمة الاستعارة وأثرها .

وليس معنى هذا ان العلوي كان أديبا بعيداً عن التقسيم والتحديد، فقد بدا أثر المنطق والاستدلال في كتابه واضحال ، وظهرت نزعته العقلية جلية وأول ما يلقانا هذا في مطلع كتابه فيقول في تفسير علم البيان وماهيته: « اعلم ان كثيرا من الجهابذة والنظار من علماء البيان وأهل التحقيق فيه ، ما عوالوا على بيان تعريفه بالحدود الحاصرة والتعريفات اللائقة ولا أشاروا الى تصوير حقيقة يعرف بها بين سائر العلوم الادبية والعلوم الدينية كعلم الفقه ، وعلم النحو ، وعلم الاصول، وغيرها من سائر العلوم ، فانهم اعتنوا فيها نهاية الاعتناء ، وأتوا فيها بماهيات تضبطها ، وتفصلها من سائر العلوم ، وعلى الجملة فان ذلك غفلة لامرين : أما اولا فلأن الخوض في تقاسيمه ، وخواصه ، وبيان أحكامه فرع على تصور ماهيته لان من المحال معرفة حكم الشيء قبل فهم حقيقته ، واما ثانيا : فلأن الخوض في أسراره ودقائقه ، انما هو خوض في المفردات ، ولا شك ان معرفة المفرد سابقة على معرفة المركب، خوض في المفردات ، ولا شك ان معرفة المفرد سابقة على معرفة المركب، ولاجل ما ذكرناه لم يكن بد من بيان معقوله ، ومعرفة ماهيته » (٣) ،

وصفوة القول ان كتاب الطراز قد تميز عن غيره من كتب المدرسة الادبية والمدرسة الكلامية ، لانب مزج بين الطريقين ، واستفاد من المدرستين ، ولكن الغلبة كانت في النهاية لمدرسة الادباء او لطريقسة

⁽۱) الطراز ۱ س ۲۱۱ - ۲۱۲ ۰

⁽٢) ينظر الكشاف ج٢ ص ٩٨٤ ، ومغتاح العلوم ص ١٧٩٠ .

۳۱، الطراز ج۱ س ۹ ۰

العرب البلغاء ، لاهتمام مؤلفه بالنقد والتحليل ، وكثرة الشواهد والنصوص الادبية المنتخبة من القرآن الكريم وكلام الرسول الاعظم محمد (ص) ، وعلي بن أبى طالب (رض) ، وفصحاء العرب وكبار شعرائها .

وكتاب الطراز فوق هذا كله من خيرة كتب البلاغة في القرن الشامن الهجري لما فيه من ضبط لمسائل البلاغية، وما فيه من أمثلة رائعة مختارة، وتحليل يدل على فهم كبير لاساليب العرب، وهو بحق المثل الاعلى لكتب البلاغة في ذلك العصر لولا التقسيمات والتفريعات التي أولع العلوي بها كثيرا، وبذلك يبدو البون واسعا بين كتابي القزويني وكتاب العلوي، وإن عنح الرجلان الى مدرسة السكاكي، واستفادا منه في التقسيم والتبويب •

ابن قيم الجوزية:

واذا سار العلوي على منهج السكاكي ومسدرسته ، وقسسم البلاغة الى فنونها المعروفة فقد أبتعد ابن قيم الجوزية (٧٥١ هـ) (١) عنها ابتعادا كبيرا حينما وضع كتابه « الفوائد المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان » الذى ألفه ليبين ما تضمنه الكتاب الكريم مسن أنواع البيان ، وأصناف البديع ، وفنون البلاغة ، وعيون الفصاحة ، واجناس التجنيس (٢) وأوضح انه لا يمكن ان يعرف فضل القرآن الامن عرف كلام العرب وبلاغتهم وبيانهم وضروب فصاحتهم ، ولاجل هذابحث في البلاغة لتكون عونا لمن يريد دراسسة القرآن الكريم ، وقد ذكر في مقدمة الكتاب انه لم يجمع هذه الفوائد الا بعد ان اطلع على تتب المتقدمين والمتأخرين كالبديع لابن المعتز، والحالي والعاطل ، والمحاضرة للحاتمي، وكتاب الصناعتين للعسكري ، واللمع للعجمي ، والمثل السائر والجامع وكتاب الصناعتين للعسكري ، واللمع للعجمي ، والمثل السائر والجامع

⁽١) تنظر ترجمته في كتاب ابن قيم الجوزية ص ٥٦ - ٨٦ .

⁽٢) ينظر الفوائد ص ٢٦ ٠

الكبير لابن الاثير ، والبديع في نقد الشعر لابن منقذ ، والعمدة ، ونظم القرآن للزنجاني ، ونهاية التأميل في كشف اسرار التنزيل لابن الزملكاني ، وبديع القرآن لابن أبى الاصبع ، واضاف الى ذلك كله فوائد مستعذبة ، وفرائد حسنة المساق مستغربة ، نقلها عن الائمة والاعلام والاكابر ، وما تفضل الله به ومنح ، من مهمل أبانه ، ومجمل فكمستكه ، وشارد قيده (١) .

وهذه دعوى عريضة أطلقها المؤلف ، لانه في الواقع لم يضف الى البلاغة شيئا الا بعض الجزئيات التي هي في الحقيقة أمثلة وليست مسائل مستقلة ، والا بعض التقسيمات والتفريعات ، ولكنه في كثير من الاحيان يرجح رأيا على رأى ، ويرى بعض ما يوحيك له ذوقه ، ويمليه عليه وجدانه ، يقول بعد ان ذكر أقوالا في تعريف البلاغة : « ويجوز عندي ان يكون الكلام البليغ الذي بلغ جودة الالفاظ ، وعذوبة المعانى الى غاية لا يبلغ الى مثلها إلاً مثله »(٢) ،

وقسم كتابه الى اثنين وثلاثين ومائة قسم منها أربعة وعشرون في المجاز ، وأربعة وثمانون فيما يخص المعانى ، واربعة وعشرون فيما يتعلق باللفظ ، ويبدو في كتابه تقسيمان واضحان للبلاغة ، فقد بحث في قسم الفصاحة الاستعارة ، والتشبيه ، والمجاز ، والتقديم والتأخير ، والايجاز والاختصار ، وتكلم في الثانى على ما يختص بالمعانى ، وذكر فيه الكناية ، والتعريض ، والموضوعات التى اعتبرها السكاكي محسنات فيه الكناية ، وقد أولع بالتفريعات والتقسيمات حتى لنراه يشعب المسألة الواحدة عدة مسائل ،

واتفرد عن غيره من علماء البلاغة في عصره ، فهو يضع منهجا لكل موضوع ثم يشرع بعد ذلك في الكلام على كل نقطة ذكرها في مطلع

⁽۱) الفوالد ص ۸ .

⁽٢) الفوائد ص ٩ .

الفصل المعقود من أجله ، يقول في بحث الاستعارة : « واذا تقرر هـــذا الكلام فالكلام في الاستعارة على وجوه :

الاول: هل هى نوع من انواع المجاز أم لا ؟ الثانى: في حدهـــا ٠

الثالث: في أقسامها •

الرابع: في اشتقاحاً ٠

الخامس: فيما تنهيأ به الاستعارة وما لا تنهيأ •

السادس: في الاستعارة التخييلية •

السابع: في الاستعارة المجردة •

الثامن: في الاستعارة المرشحة •

التاسع: في الاستعارة الحسنة .

العاشر: في الاستعارة القبيحة •

الحادي عشر: في بيان ما يظن انه استعارة وليس باستعارة •

الثاني عشر: في الاستعارة بالكناية •

الثالث عشر : فيما تتنزَّل به الاستعارة منزلة الحقيقة »(١) .

ثم يقول بعد ذلك: «أما الاول ٠٠٠٠ واما الثانى ٠٠٠٠ ويمضي في بحثه نقطة نقطة ، وهو في ذلك يضع الهيكل العام ، والخطة الواضحة ، ثم يأخذ في بناء ذلك الهيكل وتطبيق تلك الخطة ، ويبدو تأثر ابن قيم الجوزية بابن الاثير واضحا ، فهو كثيرا ما يعتمد على كتابه « الجامع الكبير » بصورة خاصة ، وعلى المثل السائر في كثير من الاحيان ،

ويلاحظ ان المؤلف قد توسع في بحث المجاز، وأدخل فيهالتشبيه، والمجاز بانواعه المعروفة، والايجاز، والاختصار، والحذف، والتقديم والتأخير، وهذا ما لا نجده عنه غيره، وفرَصِيَّل في بحث المجاز

⁽۱) الفوائد ص ۳٪ ۰

فمن النوع الاول الذي ذكره الخطيب في المحسنات المعنوية: الاستطراد ، والتورية ، والاحتجاج النظرى (المذهب الكلامي) ، والهزل الذي يراد به الجد ، والتجريد .

ومن النوع الثاني الذي ادخلـه في المعانى: التكميل ، والتتميم ، والاعتراض ، والاطناب ، والتكرار ، والالتفات .

ومن النوع الثالث الذي ادخله جلال الدين في البيان: الكناية ، والتعريض ، وذكر ابن الجوزية في هذا الباب موضوعات اعتبرها القزويني ملحقة بالبديع وهي: حسن المطالع والمبادى ، وبراعة الاستهلال ، وحسن التخلص والاقتضاب والاقتباس ، وفي هذا الباب موضوعات لم يتكلم عليها البلاغيون في كتبهم البلاغيان والتشبيب ،

وعقد الفن الثاني من فنون كتابه الفوائد لبحث ما يتعلق بالالفاظ من الفصاحة ،وقد قال عن الموضوعات التي ذكرها في هذا الفن : «وهذا الفن يسمى أيضا البديع ،والبديع علم يبحث فيه عن احوال اللفظ المؤلف من حيث لا يمكن ان يؤتى به إلا "بحسن النظام »(۱) • وقد تكلم فيه على موضوعات كثيرة أدخل القزويني بعضها في البديع كالاشتقاق ، والتسجيع ، والترصيع ، والتوشيح ، ولزوم ما لا يلزم ، ورد العجز على الصدر ، وتكلم على موضوعات لم يدخلها القزويني في البديع كالكلام على التهذيب ، والانسجام ، والجزالة ، والرذالة ، والسهل كالكلام على التهذيب ، والانسجام ، والجزالة ، والرذالة ، والسهل المتنع ، والرشاقة ، والجهامة • وبذلك يكون هذا الفن عند ابن قيم الجوزية أوسع افقا من البديع الذي وضع السكاكي خطوطه العامة ،

⁽١) الفوائد ص ٢١٨.

وأرسى القزويني قواعـــده واصوله •

وختم الكتاب بفصل في ذكر ما اشتق منه القرآن والسورة والآية والكلمة والحرف وبيان معانيها ، وأردفه بفصول أخر في ذكر اعجاز القرآن العظيم ، وذكر أوجه ذلك ، وانتهى الى ان « الاقرب من هذه الاقاويل الى الصواب قول من قال إن اعجازه بحراسته من التبديل ، والتغيير والتصحيف ، والتحريف ، والزيادة والنقصان ، فانه ليس عليه ايراد ولا مطعن » (۱) .

هذا منهج ابن الجوزية في «الفوائد» ، وهو يختلف كلّ الاختلاف عما وجدناه عند القزويني ، ولعل تأثره بابن الاثير ، وابن أبي الاصبع من كبار مدرسة مصر والشام البلاغية دعاه الى هذا الابتعاد عن منهج السكاكي والقزويني ، ولكنه مع ذلك مولع بالتحديد ، والتقسيم، والتفريع الذي يكاد يبعث على السامة والضجر ، وقد يجد الباحث شبها في بعض المسائل بين كتاب الفوائد وكتب السكاكي والقزويني ، ولكننا لا نستطيع ان نجزم انه تأثر بهما ، مع انه عاصر القزويني وعاش في بيئته ، ولعل سر ما نجد من تشابه هو استفادة ابن قيم الجوزية من كتاب « نهاية الايجاز » للرازي الذي كان من أهم مصادر السكاكي في « مفتاح العلوم » •

وخلاصة القول ان بين الرجلين اختلافا واضحا في المنهج والهدف ، لان القزويني وان اعتمد على الشاهد القرآنيالا انه لم يوضح انهدفه فهم اعجاز القرآن الكريم ، واظهار ما فيه من روعة وتأثير وجمال ، ولم يشر الى ما اشار اليه السكاكي من أوجه الاعجاز بينما كان هدف ابن الجوزية فهم الاعجاز ، وخدمة القرآن ، ومن هنا سمى كتابه « الفوائد المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان » وان كنا نحمد للرجلفاننا نحمد الشارته الى موضوعات تحدث عنها النقاد وأشاروا اليها،أما رجال البلاغة

⁽۱) الفوائد ص ۲۵۵ ·

الكلامية كالسكاكي ، والقزويني فلم يذكروها ، ولم يتحدثوا عنهالانها تخرج عن تقسيمهم الثلاثي الذي فرضوه على البلاغة فرضا ، ومن هذه الموضوعات الطريفة كلامه على الجزالة ، والرذالة ، والسهل الممتنع ، والرشاقة ، والجهامة ، وحبذا لو فكسكل القول فيها ، وعرض أمثلتها الرائعة في القرآن وكلام العرب ، ولكنه أله بها الماما سريعا ، وعرضها عرضا موجزا لا يغني الناقد والمتذوق ، وان كانت فيه فائدة لا تنكر ،

ومن فصول الكتاب الطريفة بحث التكرار ، وقد أحسن المؤنف في بحث ، وأجاد اجادة كبيرة ، وذكر الفائدة التي يؤتى به من اجلها ، وذكر ما يتهيا فيه التكرار الحسن منه والقبيح (١) ، وأحسن في بحث الكناية ، وأدخل فيها الارداف ، لانها عنده أربعة اقسام : التمثيل ، والارداف ، والمجاورة ، وغير هذه الانواع الثلاثة (٢) ، وهو يتابع في تقسيمها ابن الاثير في كتابه « الجامع الكبير » ، واعترف ابن الجوزية نفسه بهذا الاخذ ، ورأى ان ما ذكره ابن الاثير آثر ما ذكر عن الكناية ، وبحث الاشارة على انفراد (٣) ، وفصلها عن الكناية مع ان الاشارة التي ذكرها جعلها القزويني وغيره من الكناية مثل « فلان طويل النجاد ، رفيع العماد ، كثير الرماد» ، وتكلم على الايماء ، وأدخل في الاشارة المعميات والالغاز والتورية ، وفرَّق بين الاشارة والكناية ، وهي عنده في الحسن ، اما الكناية ففي القبيح (١) ، وأفرد التعريض عن الكناية وعقد له فصلا خاصا (٥) ، بينما تكلم القزويني عليه في فصل الكناية ، ولم يكن حديث عنه كحديث ابن الجوزية ، لانه جاء مقتضا ،

⁽۱) الفوائد ص ۱۱۱ ۰

 ⁽۲) القوائد ص ۱۲۱ - ۱۲۲ .

⁽٣) الفوالد ص ١٢٥٠

⁽٤) الفوائد ص ١٢٦٠

⁽٥) الفوائد ص ١٣٣٠

وخالف ما تعارف عليه المتأخرون من بحث تجـــاهل العارف في البديع ، فقد بحثـه في فصل الاستفهـــام ، وذكر أمثلته التي ذكرها المتأخرون (١) وفي الوقت الذي جعل القزويني المقابلة قسما من المطابقة وأدخلها فيها ، نجد ابن قيم الجوزية يفر ق بينهما ويقول : « فالفرق بين المقابلة والطباق من وجهين :

الاول: ان الطباق لا يكون الا ضدين غالبا مثل قوله تعالى: « وهو الذي أحياكم ثم يُميتكم ، ثم يُحييكم » (٢) ، واشباه ذلك ، والمقابلة تكون غالبا بالجمع من اربعة اضداد ضدين في صدر الكلام ، وضدين في عجزه وتبلغ الى الجمع من عشرة أضداد ، خمسة في الصدر، وخمسة في العجز ،

الثاني: لا يكون الطباق الا بالاضداد، والمقابلة تكون بالاضداد وغيرها (٣) .

وهذا ليس بالقليل من رجل عاش في فترة كسد فيها الادب ، وخبا نجم النقد وأفل ، ويكفيه فخرا انه كان حر الفكر والتعبير ، لم يتقيد بموازين عصره ومناهج البحث فيه ، وانما اختط لنفسه طريقا آخر فيه تحليق في أجواء الادب ورحاب الفن ، ولعل ابن الجوزية لو اتاحت له الايام حياة مستقرة كالقزويني لاتى بكل عظيم عجيب في هذا الفن ، ولكنه رجل كان يسعى وراء الحق فناله من ذلك أذى كأستاذه الشيخ ابن تيميه وسجن وطورد ، وسيبقى ابن الجوزية خالدا في دنيا الحق والعلم ، مشارا اليه في عالم البلاغة والنقد ، وان في كتابه الفوائد ما يجعل النقاد والمتأدبين يرجعون اليه ، ويضعونه في مكانه اللائق حينما يؤرخون للنقد والملاغة .

* *

⁽۱) الفوائد ص ۱۵۹ ـ ۱٦٠ .

٢) سورة الحج ، الآية ٢٦ .

⁽٣) الفوائد ص ١٤٨.

هذه حالة البلاغة والنقد في عصر القزويني ، وهؤلاء أهم معاصريه في البيئة العربية • ويتضح لنا من هذا العرض ان القزويني لم يتأثر بمن حوله كثيرا ، وبقي يدور في فلك السكاكي مع ان عصر المماليك لم يكن عصر جمود كما تصوره لنا بعض المصادر وانما كان النشاط بادياللعيان في كثير من مجالات الحياة • ولا يعدم هذا العصر كاتبا ، أو ناقدا ، أو بلاغيا له صولات وجولات ، وله وجهة نظر ان لم تكن جديدة فانها تدل على احساس مرهف ، وذوق أدبي صلف • ولا ندري لم أتجه القزويني هذا الاتجاه مع انه عاصر نقاداً وبلاغيين استفادوا من التراث الضخم القديم ، وبنوا عليه آراءهم وكتبهم ، فاخرجوا لنا مؤلفات تشهد لهم بالاطلاع الواسع ، والاستفادة من القدماء • فكانوا بحق امتدادا للعصور الذهبية الزاهرة ولمدرسة البلاغة الادبية او بلاغة العرب •

ولعل الامثلة الثلاثة السابقة تكفي للتدليل على ما نذهب اليه ، وتؤيد ما لمسناه من ان القزويني يكاد يكون غريبا في يئة مصر والشام فيما كتب وألف في البلاغة ، وقد كان من الممكن ان يستفيد من ابن الاثير ، وابن ابي الاصبع، ولكنه رجل شغل نفسه بالمفتاح وألم "بكتب عبد القاهر ، فأخرج لنا « الايضاح » الذي لا يمكن ان ينكر فضله في الدراسات البلاغية على مدى الاحيال ،

واذا كان القزويني لم يتأثر بمعاصريه او يؤثر فيهم تأثيرا واضحا، فانه اثر في تلامذته ومن عاصرهم أو جاء بعدهم الى هذا اليوم، وكانت البلاغة العربية كلها تقريبا امتدادا لمدرسته التي بدأت بشرحالتلخيص، والتعليق عليه، ونظمه، وشرح شواهده،أو شرح الايضاح وتلخيصه، ولم يخرج البلاغيون عن منهجه وآرائه حتى عصرنا الحديث،

ولكي نبين أثره في البلاغة سنعرض شروح التلخيص ، لنرى مدى تأثيره ، وسيطرته على مناهج البحث البلاغي .

وقد استطاع القزويني بذوقه وتضلعه في علم اللغة العربية ان يختصر القسم الثالث من « مفتاح العلوم » ويشرحه في « الايضاح » مضيف اليهما معلومات كثيرة أغفلها المكاكي ، وثارت حركة تأليف واسعة بعد أن ظهر تلخيص القزويني ، وأخذ الناس يتدارسونه ، ويشرحونه ، ويعلقون عليه ، وكان المشرق الاسملامي من أكثر البيئات تعلقا به ، وانكبابا عليه وبذلك حظي باهتمام ، وعناية لم ينلها كتاب بلاغي آخر ،

وكان المشرق سبّاقا الى شرحه والاهتمام به ، وان الشروح التي وصلت الينا أو وصلتأسماؤها تدلدلالةواضحة على ان الكتاب تداولته الايدى في بيئة خوارزم وأقصى الشرق العربي قبل أية بيئة اخرى ولعل شرح محمد بن مظفر الخطيب الخلخالي (١٤٧هـ) المسمى «مفتاح تلخيص المفتاح » أقدمها بعد ايضاح القزويني الذى كسان أول شرح للكتاب وهذه الشروح جميعا ليست ذات قيمة كبيرة ، لانها كانت نسخة واحدة او تكاد ، لا يخرج المتأخر عن المتقدم ولا يبتعد آخر عن أول في منهجه وعرضه موضوعات البلاغة .

وسارت قافلة الشروح الى البيئة العربية ، فدخلت العراق، والشام، ومصر ، غير انها لم تعجب اهل هذه البيئة ، لانهم كانوا يجنحون الى تربية الملكة الادبية ، ويميلون الى تحكيم الذوق ، وقد رسم بهاءالدين السبكى أحسن صورة واجلاه لهذه الشروح ، فقال وهو يتحدث عن

شروح ، رحم الله مصنفيها ، فانهم ماتوا وهم أخيار وبيض وجوههم في الآخرة كما سودهم بالمعالي في هذه الدار • لا تنشرح لبعضها الصدور الضيقة ، ولا تنفتح عندها معلقة ، ولا ينقدح فيها زناد الفكر عن مسألة محققة . يتناولون المعنى الواحد بالطرق المختلفة ، ويتناوبون المشكل والواضح على اسلوبواحد ، كلهم قدألفه لا يخالف المتأخر منهم المتقدم الا بتغيير العبارة ، ولا يجد له على حل ما أشكل على غيره أو استشكال ما اتضح جسارة ، ولا يطمع أن يذوق ما في الاستدراك من اللذة • ولا تطمح نفسه لان يقال برز على من سبقه وبُذَّه ، بل يسري خلف من تقدمه حتى في الكلمة الفذة ، ويسير أثره لقائليها ، ويوسع الدائرة بمالا يقام له وزن من تكميل ناقصها، أو انشاء ما قبلها وما يليها ، وينشر للراغب مفردات الالفاظ من واقع كلام العرب، ويذكر ما لا حرج على مخانفه من اصطلاحات لبعض أهل الادب • ولا يزيد في شرح عبارة المصنف على الايضاح زينا وجد فيــه أم شينا ، فلو نطق التلخيص لتلا ما جئتم به هذه بضاعتنا ردت الينا ، هذا والشرح يطول ، والوقت ينفق ولم يكتب لطالب البيان وصول » (١) •

ولا نجد وصفا أبدع من قول السبكي في وصف هذه الشروح وما فيها ، ويمضي في وصف مؤلفيها ، وما استفرغوا من قوى أفكارهم في تأليفها فيقول: «قد استفرغوا في ذلك قوى أفكارهم ، واستوعبوا مدى أعمارهم ، فليت شعري وقد انقضى العمر متى يسبحون في اللجة ويجنحون الى بياض المحجة ؟ أبعد أن يشيب الغراب ، ويرجع الشباب الحائل ، أم يصيرون الى ان تعود الى الدنيا القرون الاوائل ،

وحتى يؤوب القارظان كلاهما وينشر في القتلى كليب ووائل م

⁽۱) عروس الافراح ج۱ ص ٦٠

وفي أية مدة يصلون الى تلك اللطائف ، ويحصلون على تلك الحقائق التى طاف بأركانها وبيتها مسان له حجر سليم ومقام كريم كل طائف ٠

لولا العقول لكان أدنى ضيعم أدنى الى شرف من الانسان

فكم من معضلة في الكتاب يمرون عليها ، وهم عن حلاوة حلها معرضون ؟ ومشكلة يصححون ألفاظها وهم للمعانى ممرضون ؟ وكم اوردوا اسئلة ، وصارخ من التوفيق يناديهم لو قيل :

« ما هكذا تورد يا سعد الابل » • وكم هتف بطائرهم هاتف مسن العقل بصوت شجي : هيهات ما هذا بعشك فادرجي • وكم عاود النظر في شيء من هذه الشروح على سبيل التنزل مطالع ، ثم ثنى طرفه وهو يقول يا خيبة المطامع، ويحلف صادقا أنها لم تكن تكتب الا باطراف الاصابع ، هنالك يعلم الطالب انه أملى له فيما أملى عليه ، وانه في مهمه مهمل لا يجاب داعيه ولا يلتفت اليه •

فلو أنشدت نعشاً هناك بناته لمات ولم يسمع لها صوت منشد (١)

وأي وصف أصدق من هذا الوصف الذى دبجته براعة السبكي وليد البيئة المصرية العربية ؟ وأي نقد أكثر تجريحا من هذا النقد الذي سطره أحد شراح التلخيص ؟ وان الباحث في اثر القزويني في البلاغة العربية لتهوله كثرة شروح التلخيص واكداس التلخيصات والتقريرات ويحار فلا يدرى ماذا يقرأ وماذا يدع ، وهذه الكتب كلها لا تخرج عما خطه السبكي في مفتاح العلوم ، وقرره القزويني في تلخيصه وايضاحه ، فلا المنهج واحد ، والهدف مشترك لا يحيد متأخر عن متقدم ، ولا يأتي أحدهم الابما فيه اثقال كاهل البلاغة ، وقصم ظهر النقد ومقايسه الادبية الفنيسة .

۱) عروس الافراح ج۱ ص ٦ - ٧ ٠

ولكي نظهر أثر القزويني لا بد ان نتعرض لهذه الشروح ، ونلقى عليها نظرة عابرة لنرى ما فيها ، وان العمر ليقصر عن تتبعها كلها ، والاحاطة بما أثاره القزويني من حركة بلاغية على مر القرون، واذا كان ليس من الممكن الاحاطة بكل شيء فليس من الصحيح ان تترك بعض ما يستطيع الانسان ان يلم به ويجعله ميدانا يعرض فيه افكاره ، ومجالا يثبت فيه ما ينبغي اثباته وتأكيده في الدراسات البلاغية ،

لقد حاولنا جاهدين أن نحيط بكل ما خلفته القرون ولكنا شعرنا بعبء ما نحن مقدمون عليه ، وهالنا ما رأينا من كتب طبع بعضها ، وما يزال بعضها الآخر ينتظر النور ، وقد أجلنا الفكر ، ودققنا النظر في شروح التلخيص فخرجنا بنتيجة وهي ان معظمها نسخ مكررة لكتاب واحد الا ما نجده من عبارات تضاف ، وجمل تحذف ، ولهذا لن نقف عندها جميعا بل سنكتفي بالبحث في بهاء الدين السبكى (٧٧٧ هـ) ، والتفتازاني (٧٩٢ هـ) ، والشريف الجرجاني (٨١٦ هـ) ، وابن يعقوب المخري (١١٠ هـ) ، والدسوقي (١١٠ هـ) ، والسيوطي (١١٠ هـ) وعصام الدين الاسفراييني (١٥٥ هـ) ، وعلة ذلك ان كل واحد منهم يمثل بيئة معينة واتجاها محددا وزمانا معلوما ، فالسبكي يمثل البيئة الفارسية في القرن نفسه ويتبعه الشريف الجرجاني والمغربي والدسوقي ممن وضعوا الحواثي والشروح على كتابيه المطول والمختصر ، ويمثل السيوطي ييئة مصر في القرن العاشر ، بينما يمثله العصام في البيئة الفارسية ،

ولم يقف أثر القزويني في الشروح ، والتلخيصات ، والحواشي ، والتقريرات ، بل تعداه الى كتب اتجهت اتجاها آخر ليس فيه تحديد القزويني ، وتقسيماته ، ولا ضبطه وقواعده ، إنه اتجاه الى البديع الذى نفقت سوقه في عصر جلال الدين ومابعده ، وقد نظمت قصائد في البديع وألفت شروح عليها ، وهسذه الكتب كلها لم تتقيد بمنهج السكاكي والقزويني ، وانها اتجهت الى فنون البلاغة اتجاه الاوائل السكاكي والقزويني ، وانها اتجهت الى فنون البلاغة اتجاه الاوائل

كأبن المعتز ، وقدامة ، وأبي هلال فلا معانى ولا بيان ولا بديع ، وانما الكل فن واحد هو البديع بمعناه الواسع • ولعل ابن حجة الحموي (٨٣٧ هـ) خير من يمثل هذا الاتجاه ، وهو ان سلم من تأثير منهج القزويني فانه لم يسلم من آرائه وتوجيهاته ، ولكننا لن نتحدث عنه في هذا الفصل لامرين :

الاول: اننا تكلمنا عليه سابقا في فصل علم البديع ، وقد وضحنا عمله في البلاغة وعلاقته بالقزويني •

والثانى: أن هذا الفصل يبحـــث في شروح التلحيص، وليست « خزانة الادب » للحموي شرحا لاحد كتب القزويني، ولذلك تركنا الكلام عليه بالتفصيل مكتفين بما ذكرناه سابقا، وان كان الحموي بحتاج الى دراسة اوسع، ونظرة اعمق.

ولنبدأ الآن بشراح تلخيص المفتاح وهم :

بهاءالدين السسبكي

كان القزويني ايذانا باتجاه البلاغة في مصر والشام وجهة لم تكن لها يوم كانت في خوارزم بيئة السكاكي ومفتاحه وكان تلخيص القزويني وايضاحه بادرةطيبة اثمرت فيما بعد كتبا لها طابع خاص وتوجيهات جديدة وان كانت لم تخرج عما رسمه السكاكي والقزويني في المنهج وموضوعات البلاغة وقد مزجت هذه الكتب بين فلسفة البلاغة الكلامية وبلاغة العرب من الادباء البلغاء ، وكونت مدرسة جديدة هي مدرسة مصر البلاغية التي كانت تجنح الى مجافاة الفلسفة والتعصب للعرب وتحكيم الذوق في الادب ونقده .

ومن أشهر بلاغيي همذه المدرسة وأكبرهم بهاء الدين السبكي المولود بالقاهرة في ليلة العشرين مسن جمادي الاخرة سنة ٧١٩ هـ (١٣١٩ م) والمتوفى بمكة المكرمة في ليلة الخميس سابع عشر من شهر رجب عام ٧٧٧ هـ (١) • وكان السبكي معجبا بتلخيص القزويني ايسا اعجاب ، ويعده من اهم كتب البلاغة وانفعها ، يقول:

 ⁽۱) تنظر ترجمته في الدرر الكامنة ج! س ٢١٠ ، والنجوم الزاهرة ج١١ ص ١٢١ والدارس في تاريخ المدارس جا س ٣٨٠ ، وحسن المحاضرة حا ص ٢٠٤ ، وبفية الوهـ اذ ص ١٤٨ والمبدر الطالع حا ص ١٨٠ والمبهل الصانى جا ص ٣٨٥ ، وغيرها .

وأجمع مختصر على مقدار حجمه الف »(١) •

وقد شرح التلخيص عدة مرات في البيئة الفارسية ، ووصلت الشروح الى مصر والشام ، واطلع عليها السبكي فلم تعجبه ، ورأى أن اصحابها يتناولون المعنى الواحد بالطرق المختلفة ، ويتناوبون المشكل والواضح على اسلوب واحد ، كلهم قد ألفه لا يخالف المتأخر منهم المتقدم الا بتغيير عبارة ، او تفسير كلمة ، أو توجيه رأي ما ، وكان عمل هؤلاءالشراح محفزا له ، يقول :

« فحداني ذلك على أن أشد جياد الحزم ، وأمد ركاب العزم الى شرح للتلخيص يُحيي من هــــذا العلم الرفات ، ويدرك منه ما فات ويمتطي من معاليه اقصاها ، ولا يغـــادر صغيرة ولا كبيرة من أعمال مصنفية الا احصاها ويجمع من شتاته ما تفرق شغر بغر^(۲) ، ويفيم من شذوره الذهبية ما ذهب ايدي سبأ ، وتمزق شذر مذر^(۳) و

وقد اراد المؤلف الالبحال هذا الشرح واسطة بين مفتاح المشرق للسكاكي، ومصباح المغرب لبدر الدين بن مالك، خليا من العصبية حريا بالنسبة الى مصر «فانها بقعة من عند الله مباركة طيبة، لا شرقية ولا غربية »، فكتابه وليد بيئة مصر التي حباها الله الجمال، وبعث في واديها الخصب والبركة، وأكسب أهلها رقة وظرفا ،

مصادره

وضع السبكي كتابه «عروس الافراح» بعد أن اطلع على كتب كثيرة ، يقول: «واعلم انني لم اضع هذا الشرح حتى استعنت عليه بنحو من ثلثمائة تصنيف ، فانه تضمن الخلاصة من مائة تصنيف في هذا العلم منها ما وقفت على كلام من وقف عليه وقال انه جمع بين طرفيه •

⁽۱) عروس الافراح ج۱ ص ٤ ٠

⁽٢) شغر الناس: تفرقوا ، يقال: «تفرقوا شغر بفر » أي: ذهبوا في كل وجه .

⁽٣) عروس الافراح ج اص ٨ . يقال : «تفرقوا شذر مدر» اي : ذهبوا في كل وجه.

واني اختصرت فيه أكثر من خمسين مصنفا في علم البلاغة وقفت عليها لم اترك منها الا ما هو خارج عن هذا العلم أو قليل الجدوى فيه ، أو هو في غاية الوضوح ، أو شواهد لا حاجة لها لكثرتها ، أو ما زاغ البصر عنه ، أو ما إن تأملته علمت أنه فاسد لا ترتضيه »(١) .

وأهم مصادره التي اعتمد عليها دلائل الاعجاز لعبد القاهر ، والبديع لابن المعتز ، واعجاز القرآن للرماني ، والوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني ، والبديع في نقد الشعر لابن منقذ ، وسر الفصاحة لابن سنان ، والعمدة لابن رشيق ، والعدة في اختصار العمدة للصقلي ، وكنايات البلغاء لاحمد بن محمد الجرجاني ، وحلية المحاضرة للحاتمي ، ومنهاج البلغاء وسراج الادباء لحازم القرطاجني ، وكتاب الصناعتين للعسكري ، ونهاية الايجاز في دراية الاعجاز للرازي ، والمعيار للزنجاني ، وقوانين البلاغة لعبد اللطيف البغدادي ، ومفتاح العلوم للسكاكي وبعض شروحه ، وروض الاذهان والمصباح لبدر الدين بن مالك ، والاقصى القريب للتنوخي ، والمثل السائر والجامع الكبير لابن الاثير ، والفلك الدائر على المثل السائر لابن أبي الحديد ، وبعض شروح القرآن وتحرير التحبير لابن أبي الاصبع ، وبعض شدروح التلخيص والايضاح للقزويني ، والطريق الى الفصاحة للرئيس ابن وبديع وقيرها ، ويمكن تقسيم المصادر التي اعتمد عليها قسمين : قسم أدبى وآخر كلامى ،

بين الادب والفلسفة:

وقد مزج السبكي في كتابه عروس الافراح بين البحوث الفلسفية، والادبية الذوقية ، والروح الفنية الصادقة ، وبين قواعد الاصول ، والمقاصد المنطقية والكلامية ، وأضاف اليه ما استخرجه بذهنه ورآه ببصيرته ، يقول : « ولقد احتوى هذا الشرح بحسد الله تعالى من

⁽١) عروس الافراح ج1 ص ٢٩٠

المباحث التي هي من بنات فكري فلم اسبق اليها ، ومن هبات ذكرى فما عثر أحد فيما علمت من أهل هذا الفن عليها ، على جملة لا اعقد لها عددا حتى افرغ من عد النجوم ولا اعهد لها مددا سوى الهام الحي القيوم • وكَأَين فيه من شاهد يرد على هذا العلم ما يدعيه من حق ضائع ، ويثبت له عرفا يحفظ طيب الثناء بعرف ضائع • ويأمن من الاسقاط ، فاني استخرجته بالفكرة وعدلته بتزكيتي العقل والنقل عند قاض من التأمل ليست عنده فترة ، واجلست به في مجانس العلماء فاثبتوا فخره واطلت البحث عنه ، ولم اجده في كتاب ، ولم اسمعه من ذي فطرة • واعلم أنّي مزجت قواعد هـذا العلم بقواعـد الاصول العربية ، وجعلت نفع هذا الشرح مقسومــــا بين طالبي العلوم الثلاثة وأكاد أقول بالسوية • واضفت اليه من اعراب الآيات الواقعةفيه ماهو محرر وان كان رقيق الحاشيية • ومن ضبط الفاظ أحاديثه النبوية ما كانت خباياه من الجامع الازهر الصحيح في زاوية ، وضمنته شــيئا من القواعد المنطقية ، والمقاصد الكلامية ، والحكمة الرياضية أو الطبيعية ، واتحفته من فوائد الوالد وتحقيقه، ومن فوائد علمه الطارف و التالد » (١) •

دعوة الى السنوق:

وتطالعنا في اول الكتاب دعوة السبكي الى الذوق والرجوع اليه في نقد الكلام يقول: «أما أهل بلادنا فهم مستغنون عن ذلك بماطبعهم الله تعالى عليه من الذوق السليم، والفهم المستقيم، والاذهان التي هي ارق من النسيم، والطف من ماء الحياة في المحيا الوسيم، أكسبهم النيل تلك الحلاوة، وأشار اليهم باصابعه فظهرت عليهم هذه الطلاوة، فهم يدركون بطباعهم ما افنت فيه العلماء فضلا عن الاغمار، ويرون في مرآة قلوبهم الصقيلة ما احتجب من الاسرار خلف

⁽۱) عروس الافراح ج۱ ص ۲٦-۲۸ .

الاستار »(١) • ولذلك صرفوا همهم الى العلوم التي هي نتيجة او مادة لعلم البيان كاللغة ، والنحو ، والفقه ، والحديث ، وتفسير القرآن •

وكان من المنتظر ان يثور على الدراسات البلاغية في عصره ، ويصلح منهج دراستها ، وينقذها مما فيها من مسائل غريبة اقحمت فيها اقحاما ، ولكنه لم يعمل شيئا ذا تفع عظيم ، بل نراه يفخر بأنه مزج قواعد البلاغة بقواعد الاصول ، وضمن كتابه شيئا من القواعد المنطقية والمقاصد الكلامية ، والحكمة الرياضية والطبيعية ، وحشر من كلام ابيه مسائل كثيرة تدعو الى السأم في كثير من الاحيان .

ان السبكي _ وان دعا الى تحكيم الذوق في البلاغة والنقد _ لم يطبق كلامه ، وأنتى له أن يخرج عن النطاق الذى ضربه « مفتــاح العلوم » وتلخيصاته وشروحه على الدراسات البلاغية ؟ انه لم يستطع ان يخرج عن منهج السكاكي والقزويني وان اضاف الى كتبهما كثيرا مما تركاه ، او لم يطلعا عليه وينتبها اليه ، وما خطر بذهنه من تحقيقات .

ولن يستطيع الباحث في بلاغته أن يؤمن ايمانا قويا بدعوته الى الذوق بعد أن يقرأ الكتاب ويطوف فيه ، لان نزعته نزعة عقلية أو نزعة يغلب عليها الجسانب العقلي بتعبير أدق • وقد أكثر من التقسيمات العقلية وملأ كتابه بها • ومن امثلة هذه التقسيمات ما ذكره في موضوع الفصل والوصل ، ولكي نستطيع أن نتبين نزعته في التقسيم ننقل بعض كلامه في هذا الموضوع يقول: « اما ان يكون بين الجملتين تناسب او لا ، فان لم يكن فاما ان يحصل الاتحاد في المسندين أو في احدهما وفي طرف احدهما • واقسام ذلك مائتان واربعون قسما • اولا يحصل الاتحاد في شيء من ذلك فصارت الاقسام مائتين وواحد واربعين على كل منهما • فاما أن يكون العطف بالواو أو بغيرهما ، واما ان يكون للاولى محل اولا • هذه اربعة اقسام مضروبة فيما سبق تبلغ تسعمائة

⁽١) عروس الافراح ج١ ص ٥٠

واربعة وستين على كل منهما • اما ان يكون بينهما كمال الانقطاع أو كمال الاتصال أو شبه كمال الانقطاع أو شبه كمال الاتصال اومتوسطة. هذه خمسة تضرب فيما سبق تبلغ اربعة آلاف وثمانمائة وعشرين وعلى كل منها اما ان يحصل بالقطع ايهام غير المراد أو لا • قسمان مضروبان فيما سبق تبلغ تسعة آلاف وستمائة واربعين كلها يمتنع فيها الوصل الا ما كان في تركه ايهام المراد كل ذلك اذا لم يكن بينهما جامع ، واذا كان بينهما جامع جاء مثل هذه الاقسام • ثم نقول على كل من أقسام الجامع ، اما أن يكون الجامع عقليا وهو الاتحاد او التضايف ، أو وهميا وهو شبه التماثل أو التضاد أو شبهه أو خاليا . فهذه سبعة نص المصنف عليها تضرب في اقسام الجامع السمائق وهي تسعة آلاف وستمائة واربعون ، تبلغ سبعا وستين الفا واربعمائة وثمانين ، وتضاف اليهــــا أقسام عدد الجامع السابقة وهي تسعة آلاف وستمائة واربعون تبلغ سبعا وسبعين الفا ومائة وعشرين • وعلى كل امسا أن يكون ما وقع الاتحاد فيه في الطرفين ضميرين أو ظاهرين ، أو الاول ضمير والثاني ظاهر أو عكسه أربعة أقسام تضرب فيما سبق تبلغ ثلثمائة الف وثمانية آلاف واربعمائة وثمانين على كل منها . أما أن تكون الجملتان متناسبتين بالاسمية أو الفعلية أو غير متناسبتين ، فهذا قسمان يضربان فيما سبق تبلغ ستمائة الف وستة عشر الفا وتسعمائة وستين قسما . ويمكن تضعيفها بحسب الاصناف الى ما لا يعلمه إلا الله »(١) .

وليس هذا المثل الوحيد في كتابه الضخم الكبير ، واننا لنجد مثيله في بحث اقسام المجاز العقلي ، ويقول بعد أن يذكر أنواعه :

« تنبيه : هذه الاقسام الثمانية هي دائرة بين الفعل وفاعله ، ولا شك أن الفعل يلابس فضلات باعتبار المفعول والحال وغيرهما • وذلك باعتبار الحقيقة أو المجاز ، فنقول : كل واحد منهما قد يكون في نفسه مجازا افراديا ، وقد يكون حقيقيا • فهذه اربعــة احوال تضرب في

⁽۱) عروس الافراح ج٣ ص ٦٠

الثمانية أعني الاقسام الاربعة الحقيقية والاقسام الاربعة المجازية تبلغ اثنين وثلاثين قسما • وتأتي في المفعول الثاني اربعا وستين وفي الثالث مائة وثمانية وعشرين وتتضاعف بالتوابع والحال والمصدر والغرف ونحوه • فعليك باعتبار ذلك ، وافعل ما تقتضيه القواعد السابقة» (١) •

متعددة ، وقد حاول الكــــاتبي والخطيبي في شرح المفتاح تعدادها فذكراها على وجه قاصر • وها أنا اذكرهــــا على التّحرير أن شاء الله تعالى فاقول: المخاطب أما عالم بفائدة الخبر ولازمها معا ؛ أو خـــال منهما ، أو طالب لهما ، أو منكر لهما ، أو عالم بالفائدة خال من اللازم ، أو عالم بالفائدة طالب للازم ، أو عالم بالفائدة منكر للازم • أو عالم باللازم خال من الفائدة ، أو عالم به طالب للفائدة ، أو عالم بــه منكر للفائدة ، او خال من اللازم طالب للفائدة ، أو خال من اللازم منكر للفائدة ، أو خال من الفائدة طالب للازم ، أو خال منها منكر للازم، أو طالب للفائدة منكر للازم ، أو منكر للفائدة طالب للازم يبطل منها عالم باللازم خال من الفائدة أو خال من الفائدة منكر للازم أو خال من الفائدة طالب للازم • فالثلاثة مستحيلة ، ومنها ثلاثة ممكنة ان حملنا اللازم على الاعتقاد مطابقا كان أو لم يكن وهو عالم باللازم متردد في الفائدة ، أو عالم به منكر للفائدة ، أو منكر للفائدة طالب للازم • وان حملنا اللازم على الاعتقاد المطـــابق للخارج سقط الثلاثة أيضا • فعلى الاولى تبقى الاقسام الممكنة ثلاثة عشر كل منها اما أن تأخذه على كل واحد من الاوجه العشرة السابقة ، ولا تأخذه على كل شيء من الستــة التي قلنا ان ثلاثـة منها مستحيلة قطعا ، وثلاثة مستحيلة على أحد الاحتمالين ، لان الستة هنا مستحيلة على الاحتمالين معا ، فتضرب ثلاثة عشر في عشرة تبلغ مائة وثلاثين يسقط منها ثلاثة عشر وهو كل مخاطب من هؤلاء الثلاثة عشر فرضناه عالما بالفائدة ،

۱۵ عروس الافراح ج۱ ص ۱۵۴ ۰

واللازم فانا لا نخاطبه » '(١) .

وهذا ما يجعلنا نؤمن ايمانا قويا بأن الرجل خرج عن هدفه وعلى ما أدَّعَاه في كتابه من عزوف عن الفلسفـــة وعلومها ، وجنوح الى تحكيم الذوق في البلاغة والنقــد .

منهجه في الشرح:

وطريقة السبكي في الشرح تختلف الى حد ما عن طريقة الاخرين ، فهو يأخذ جملة أو أول فقرة أو عبارة ، ثم يتكلم على ذلك الموضوع ذاكرا الاوجه المختلفة في المسألة ، محققا ما وسعه التحقيق أما الآخرون كالتفتازاني والمغربي فطريقتهم أن يأخذوا الكلمات واحدة واحدة ، أو جملة جملة ، ويربطوها بكلمات أخر ، كأن يضيفوا مفعولا ، أو حرف جر ثم يعرضون الآراء ويناقشون ان كان ثمة نقاش ، ومن هنا كان شرح السبكي ذا اصالة وروح ادبية لا نجدها في الشروح الاخرى .

متى الفسيه ؟

ولا نعلم متى بدأ السبكي شرح التلخيص ، ولكننا نعرف انهانتهى منه سنة ٧٥٨ هـ جاء في خاتمته : « قال المؤلف _ رحمه الله _ فرغت منه بين المغرب والعشاء من ليلة الاثنين عاشر جمادي الاولى سنة ثمان وخمسين وسبعمائة والحمد لله كما يحب ربنا ويرضى ، وصلى الله على نبيه المصطفى ، وعلى آله وصحبه ، وسلم تسليما كثيرا » (٢) ، وهذا ما يدعونا الى القول بانه اطلع على شهرح التفتازاني ، ولا سيما الشرح المطول ، وأن كان لم يذكره مع شروح التلخيص الاخرى ، ودليلنا في ذله أمران :

الاول: أن السعد انتهى من الشرح المطول ، وتقله الى البياضيوم

⁽۱) عروس الافراح ج١ ص ٢١٦ - ٢١٧ ٠

⁽۲) عروس الافراح ج} ص ۲ا٥٠

الاربعاء الحادي عشر من صفر سنة ٧٤٨ هـ بهراة وكان الافتتاح يوم الاثنين من رمضان سنة ٧٤٦ هـ ، بجرجانيةخوارزم ، وانتهىمن الشرح المختصر سنة ٧٥٦ هـ في غجدوان • وليس من المعقول ان المطول لم يصل الى مصر والشام قبل تأليف عروس الافراح •

والثاني: أن السبكي لمح باسم التفتازاني بقوله بعد كلام طويل في نقد شروح التلخيص: « وكم اوردوا اسئلة وصارخ في التوفيق يناديهم لو قيل: « ما هكذا تورد يا سعد الأبل »(١) .

خصائصه:

وامتاز شرح السبكي بنواح ٍ كثيرة (٢) منها:

كراهية الفلسفة ، وقد ذكر أنه طهير كتابه من اصول الفلاسفة ، يقول في بحث اسمية الجملة والفرق بينها وبين الفعلية: « وقد ذكر المصنف في الايضاح وجها آخر ، وذكر أنه أشبه باصول الفلاسفة وقد قصدت تطهير هذا الكتاب منه »(٢) ، ولكننا نجده يعتز بأنه ضمن كتابه شيئا من القواعد المنطقية ، والمقاصد الكلامية ، أو الحكمة الرياضية أو الطبيعية (٤) وهذا قليل بالنسبة الى ما نجده عند شراح البيئة الفارسية أو الشراح المتأخرين ، ومن هنا نجده يثور على حكم اليونان ويدعو عليها بتمزيقها (٥) ، وهو في ذلك متأثر بوالده الذي كان ينفر من الفلاسفة والمتكلمين ، وقد اظهر السبكي ذلك عندما نقل عن ابيه كلامه في احكام «كل » يقول : « فهذا هو السر في الفرق بين عن ابيه كلامه في احكام «كل «كل ذلك لم يكن كل ذلك » واستقام به كلام اللغويين

۱) عروس الافراح ج۱ ص ۷ .

⁽۲) ینظر مناهج تجدید ص ۲۶۸ - ۲۵۲ ·

⁽٣) عروس الافراح ج٢ ص ١٠٧ - ١٠٨ ٠

^(\$) عروس الافراح ج اص ۲۸ ۰

⁽٥) عروس الافراح ج١ ص ٢٠

والنحويين ، وكلام المنطقيين وظهر أن العرب ادركت بعقولها السليمة وطباعها الصحيحة ما تعب فيه اليونان دهرهم ، بل زادوا عليه في تحرير دلائل «كل»(١) •

وفي شرح قوله تعالى: ليس كمثله شيء » يقول: « الخامس: لبعض المتكلمين أن نفى المثل له طريقان نفيه ونفى مثله لان من لازم المثل ان له مثلا ونفى اللازم يدل على نفى الملزوم فتحمل الآية على نفى المثل بهذا الطريق من غير زيادة ولا مجاز • وهذا معنى صحيح غير ان العربي الطبع يمجه مسن غير تأمل ، ويصان القرآن والكلام النصيح عنه »(٢) •

وكان اتجاه السبكي بالبلاغة اتجاها عمليا ، فهو يجهر بمزجه قواعد علم البلاغة بقواعيد الاصول ، وقد سيطرت عليه النزعة الاصولية وذهب الى ان «علمي اصول الفقه والمعاني في غاية التداخل، فان الخبر والانشاء اللذين يتكلم فيهما المعاني هميا موضوع غالب الاصول ، وأن كل ما يتكلم عليه الاصولي من كون الامر للوجوب ، والنهي للتحريم ، ومسائل الاخبار ، والعموم والخصوص ، والاطلاق والتقييد ، والاجمال والتفصيل ، والتراجيح ، كلها ترجع الى موضوع علم المعاني ، وليس في اصول الفقه ما ينفرد به كلم الشارع عن غيره الا الحكم الشرعي والقياس وأشياء يسيرة » (") ،

وكان يستعين بعلم الاصول في دعم آرائه وتأييدها ، ومن أمثلة ذلك مناقشته للسكاكي وغيره في علم البيان ، يقول : « قال السكاكي فلما كان علم البيان شعبة مسن علم المعاني لا ينفصل عنه الا بزيادة اعتبار ، كان كالمركب وعلم المعاني كالمفرد • ثم ان بعضهم قال ان علم البيان باب من ابواب علم المعاني وفصل من فصوله ، وانما افرد كما

⁽١) عروس الافراح ج١ ص ٣٦٦٠

۲۳٦ — ۲۳۶ ص ۲۳۵ — ۲۳۲ ٠

⁽٣) عروس الافراح ج۱ ص ٥٣ ٠

يفرد علم الفرائض عن الفقه ، وهذا الكلام فيه نظر ، لانه صرح بانعلم البيان مركب وعلم المعاني مفرد ، والباب أو الفصل من العلم كالفرائض ليس مركبا بالنسبة الى العلم ، لان الفقه مثلا ان كان اسما لجميع! بوابه على سبيل انكل المجموعي فالفرائض جزء للفقه، فالفقه مركب لا باعتبار الاعم والاخص ، بل باعتبار الجمع والمفرد بخلاف علم المعاني فأنه عندهم مفرد كالجنس ، وعلم البيان مركب كالنوع وان كان الفقه مثلا كليا يصدق على كل باب منه وينفصل بعضها عن بعض بخاصة ، فلا يصح أن يقال حد المعاني يخرج حد البيان كما فعلوه ، لان حد الجنس لا يجوز أن يكون مخرجا للنوع كما ان حد الحيوان لا يجوز أن يخرج النائل اغتر بقول السكاكي : «شعبة منه» والشعبة الانسان ، ولعل هذا القائل اغتر بقول السكاكي : «شعبة منه» والشعبة كالباب ، وغفل عن قوله انه منفصل عنه بزيادة اعتبار ، فانه اشار الى انه ليس كالباب بل كالنوع فان الانسان شعبة من الحيوان ينفصل عنه بزيادة النطق » (۱) ،

ونقل السبكي عن الاصوليين بعض آرائهم ومصطلحاتهم ، وأهمما نقله عنهم قواعد اصولية فيما يفهمه الكلام وما يراد به ، وآراء الائمة الاصوليين كفخر الدين الرازى الذى ذهب الى ان مسلمالول الخبر بالنسبة لاثبوتها ، وعلل ذلك قائلا : « والا لم يكن الكذب خبرا »(۲) .

ونقل عنهم استعمال المجاز ، وآراء من ينكر الحقيقة والمجاز العقليين يقول: « ان كثيرا من الاصوليين اطلق ان المجاز استعمال اللفظ في غير موضوعه » (٣) ، وقال وهو يتكلم على الاسناد الحقيقي والمجاز «هذا التقسيم مبني على ثبوت الحقيقة والمجاز العقليين ، وقد أنكره ابن الحاجب تصريحاً في أماليه ومختصره الكبير ، واستبعادا في مختصره الصغير في الاصول » (١) ، وذكر رأيهم في المجاز العقلي واتخذ

⁽۱) عروس الافراح ج٣ ص ٢٦١ - ٢٦٢٠

⁽٢) عروس الافراح ج١ س ١٩٤٠

⁽٣) عروس الافراح ج ا ص ٢٢٥٠

⁽٤ عروس الافراح ج ا ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .

عبارة « انبت الربيع البقل » محورا لعرض الآراء المختلفة فقال بعد ذلك ملخصا كلامه: « تلخص في نحو « انبت الربيع البقل » اذا لم يكن من كافر ولا كذبا، وفي نحو « حمل زيد الجبل العظيم » أقوال:

أحدها : ان المجاز في « انبت » ، وهو رأي ابن الحاجب • الثاني : انه في الربيع ، وهو رأي السكاكي •

الثالث: انه في الاسناد، وهو رأى عبد القاهر والمصنف.

الرابع: انه تمثيل فلا مجاز في الاسناد ولا في الافراد ، بل هوكلام أورد ليتصور معناه فينتقل الذهن منه الى انبات الله تعالى وهو اختيار الامام فخرالدين »(١) .

ونقل عنهم كلامهم في مدلول ادوات الشرط ، يقول: «أما الاصوليون فانهم جعلوا اسماء الشرط كلها عامة من غير فرق بين متى ومتى ما وغيرهما »(٢) ، و 'فَرَ "ق ' بين استعمالها ومعانيها عندهم وعند الفقهاء والبدلغيين .

وربط بين استعمال الاصوليين ، والبلاغيين في القول بالموجب ، يقول : « ان القول بالموجب في البديع قريب مـــن القول بالموجب في الاصول والجدل ، وهو تسليم الدليل مع بقاء النزاع »(٣) .

وتقل عنهم رأيهم في عطف الخاص على العام ، وطرفي التشبيه ، والتفاوت بين ادوات التشبيه ، واشار الى ان للاصوليين خلافا في أن المجاز موضوع اولا .

ونقل بعض امثلتهم في المجاز المرسل ، ورأيهم في المجاز اذا كانت له علاقتان (٤) .

⁽۱) عروس الافراح ج٢ ص ٢٧١ ـ ٢٧٢ .

⁽٢) عروس الافراح ج٢ ص ٩٠٠

⁽٣) مروس الافسراح ج} ص ٢٠٦ .

⁽٤) عروس الافراح ج٢ ص ٢١٧ ، ٢٩٨، ٣٩٣ وج٤ ص ١٣ ، ٣٧ ، ٥٤ ، ١٧٩ .

ونقل رأي الفقهاء في الكناية يقول بعد ان تكلم عليها: «ما ذكرناه من الكناية هو باصطلاح البيانيين ، أما الفقهاء فقد ذكروا الكنايات والظاهر انها عندهم مجاز • فاذا قدال الزوج: «أنت خلية » مريدا الطلاق ، فهو مجاز • ويسميه الفقيه كناية ، فلو اراد حقيقة اللفظ لكونه لازما للطلاق »(۱) • واخذ عليهم عدم تعرضهم للفرق بين الكناية والتعريض الافي باب اللعان ، فانهم ذكروا التصريح ، والكناية ، والتعريض اقساما •

ومن خصائص كتاب السبكي ربط البلاغة بقواعد اللغة والنحو ، وهذا لا نجده واضحا عند غيره ، ولعل سبب ذلك أنه كان على اطلاع واسع باللغة والنحو فأراد ان يستفيد منها في شرح التلخيص ويمزج بين علوم اللسان العربي ، وقد نقل عن علماء اللغة كأبن سيده والجوهري والزمخشري معاني الكلمات والمفردات ، وشرحها ، وعلق عليها ، و نقل وجهات النظر المختلفة ، وربط بين النحوي والبلاغي ، يقول : « ولعلك تقول أي فائدة لعلم المعاني فان المفردات والمركبات علمت بالعلوم الثلاثة ، وعلم المعاني غالبا من النحو ، كلا أن غاية النحوي أن ينزل المفردات على ما وضعت له ويركبها عليها ووراء ذلك مقاصد لا تتعلق بالوضع مما يتفاوت به اغراض المتكلم على اوجه لا تتناهى ، وتلك الاسرار لا تعلم الا بعلم المعاني ، والنحوي وان ذكرها فهو على وجه اجمالي يتصرف فيه البياني تصرفا خاصا لا يصل اليه النحوي ، وهذا احمالي يتصرف فيه البياني تصرفا خاصا لا يصل اليه النحوي ، وهذا كما إن معظم اصول الفقه من علم اللغة والنحو والحديث وان تنان مستقلا بنفسه »(٣) «

ومن امثلة ذلك كلامه على المرسن ، يقول : « والمرسن يفتح الميم مع فتح السين وكسرها حكاهما ابن سبيدة وقال الجوهري انه بكسر

⁽١) عروس الافسراح ج٤ ص ٣٧٤٠

⁽٤) عروس الافراح ج١ ص ٥١ - ٥٢ .

الميم وهو وهم »(١) • ويقول عن لفظة « افرنقعوا »: «وقال الزمخشري: افرنقعوا مأخوذ من حروف الفرقة مع زيادة العين • وفيه نظر، لان العين ليست من حروف الزيادة • وجعله الجوهري مشتقا من فرقعة الاصابع فوزنه على هذا « افعنللوا » وعلى الاول « افعنلعوا »(٢) •

ومن مسائله اللغوية الاخرى بحثه في استعمال « لم آل » ومعنى « فصيح » في قول الشاعر :

وتحت الرغوة اللبن الفصيح

ومعاني « خلوص » عند تعليقه على تعريف الفصاحة ، وكلامه عن « الهعخع » والآراء الاربعة فيها •

وتكلم على المعاني التى يحدثها تغيير الكلمات والفرق بين «صفد» و «اصفد» ومعنى « نفذ » و «اللجين» و «الاصيل » و «التسديير في الامر » ومعنى كلمة « عقيم »(۲) •

ومن بحوثه النحوية الجيدة كلامه على التأكيد ، وقد بين معناه ، وذكر أدواته والآراء المختلفة فيه ، والفرق بين الأدوات في التأكيد⁽¹⁾ .

وله تحقیقات لا بأس بها في «لو» واستعمالاتها ، وقد دعاه الی تحقیق ذلك ما جاء من اختلاف الآراء فیها ، یقول : « أورد كثیر من العلماء علی قولهم أن «لو» حرف امتناع لامتناع مواضع یسیرة قد یظن أن جواب «لو» فیها غیر ممتنع ، وأشكلت هده المواضع علی الشلویین من النحاة ، وعلی الخسروشاهی من الاصولیین ، حتی ادعیا ان «لو» لمجرد الربط ، وعلی ابن عصفور حین ادعی !نها فیها بمعنی

⁽۱) عروس الافسراح ج۱ ص ۸۷ ۰

⁽۲) عـروس الافراح ج۱ ص ۸۷ .

 ⁽۳) عروس الافراح جا ص ۹۵ ، ۷۰ ۷۷ ، ۷۷ ، ۱۹۲ ، ۱۹۸ وج۲ ص ۶۷ می ۹۷ .
 ۵۲ ، وج۳ ص ۱۲۶ ـ ۷۲۲ ، ج۶ ص ۸۲ ، ۱۰۱ - ۱۰۲ .

⁽٤) عروس الافراح ج١ ص ٢١٩ وما بعدها ٠

ومن مباحثه النحوية الاخرى كـلامه على دخول «من» على افعل التفضيل ، واستعمال «لم » عند النحاة (٢) ، واعراب « تسكب» في قول العبـاس بن الاحنف :

سأطلب بعد الدار علكم لتقربوا وتسكب عيناي الدموع لتجمدا

يقول: « تنبيه: يجوز في قوله «وتسكب» النصب عطفا على بعد من باب:

للبس عباءة وتقرُّ عيني أحبُّ اليُّ من لبس الشفوف

احدها: تصريح جماعة كالخطيبي في مغنى اللبيب بأنه اراد طلب سكب الدموع .

الثاني: أنه المطابق للنصف الاول .

الثالث: انه لا يحسن أن يقول: ستسكب عيناي الدموع والغرض انها ساكبة ، كما ان الدار بعيدة ، وانما تجدد طلبه لهما »(٣) .

وبحث في الالف واللام ، والتعريف والتنكير والابدال ، وضمير الفصل ، واستعمال «كل» و «لا» العاطفة وانفصال الضمير بعد «انما» والجمل التي لها محل من الاعراب والتي لا محل لها ، وتحدث عن اختلاف النحاة في جواز عطف الجملة الاسمية على الفعلية وعكسه ، وبحث في الواو العاطفة والحالية (٤) ،

عروس الافراح ج٢ ص ٧٢ ٠

⁽۲) عروس الاقراح ج۱ ص ۲۶ ، ٥٠ ـ ١٥ .

⁽٣) عروس الافراح ج اس ١١٢٠٠

⁽٤) عروس الافراح ج1 ص ٣٣١ ، ٣٥٥ ، ٣٧٥ ، ٣٨٥ ، ١٩٤٤ وج٢ ص ١٨٧ ⁴ ١٩٤١ وج٢ ص ٨٥ ، ١١٠ ، ١١٨ .

وتكلم على أدوات ِ التشبيه واحدة واحدة وبّين الفروق بينها في قـــوة المعنــي •

وقد غلبت على الجزء الاول من عروس الافراح النزعة الاصولية ، وعلى الثاني الاتجاه النحوي واللغوي ، وعلى الثالث والرابع النزعة البلاغية المحضة ، ولعل سر ذلك ان الجزءين الاولين يتعلقان ببحث علم المعاني ، وهو مبني كله على النحو ، أو هو علم النحو بمفهومه الواسع،

وليس هذا كل ما في عروس الافراح فقد امتاز السبكي عن غيره من شراح التلخيص بنزعته الادبية والفنية ، وساق كثيرا من المسائل التي تدل على رهافة حسه وشعوره الفني • ولعل بحثه في الفصاحة ، والاستعارة ، والالتفات وغيرها يدل دلالة واضحة على هذه النزعة، ومن هنا دعا الاستاذ الخولي الى أن « يكون هذا الكتاب كتاب السدرس الموسع للبلاغة العربية فيكون المر الموصل للدراسة الادبية الناضجة » (١) • واننا بوافقه على هنذه الدعوة ، لان الكتاب يمثل اتجاه مصر في البلاغة العربية ومشاركتها القوية في الاستفادة من مدرسة المشارقة ومدرسة العرب البلغاء ، على شرط ان لا تنحصر دراسة البلاغة في هذا الكتاب وحده ، وانما ينبغي أن ندرس الى جانبه كتبا البلاغة في هذا الكتاب وحده ، وانما ينبغي أن ندرس الى جانبه كتبا بلاغية اخرى ذات طابع ادبى محض كالمثل السائر لابن الاثير •

هذا هو كتاب عروس الافراح للسبكي ويتضح سما تقدم أنه لم يخرج عن منهج السكاكي، لانه لم يكن الا شارحا لكتاب تلخيص المفتاح، وان منهجههو منهج القزويني الذي اتبع السكاكي، فلقدقسم البلاغة الى معان وبيان وبديع ، واعتمد على ركني الجملة في بحث المعاني، وعلى الدلالات العقلية في تقسيم البيان، وقاسسم البديع الى محسنات معنوية ولفظية، وأولع بالتقسيمات الى حد الافراط كما أولع السكاكي والخطيب وفاقهما كثيرا، ولكن هل كان السبكي مقلد! للقزويني في كلما ذهب اليه ؟.

⁽۱) مناهج تجدید س ۲۵۲

اداء السميكي:

لقد خاض السبكي بحث البلاغة وهو مسلح بثقافة واسعة ، فكان لا بد أن يظهر أثر هذه الثقافة في شرح تلخيص المفتاح ، وأن تبدو شخصيته واضحة جلية ، وكانت له آراء في البلاغة كما كانت له ردود على علماء البلاغة وغيرهم من اللغويين والنحاة والمتكلمين والفقهاء .

ومن آرائه التي بثها في كتابه الفخم تعميمه الفصل والوصل في المجمل والمفردات واجراء كل صور الجمل في المفردات ، يقول: «قد علم حكم الجملتين في الوصل والفصل ، أما المفردات فلم يتعرضوا لها في ذلك ، والغلاه رافهم انما تركوا ذلك لانه في الغالب واضح ، أو لانه يعلم حكمه من الجملتين ولذلك تجد في امثلة المفتاح وغيره حين يمثل بوصل احدى الجملتين بالاخرى كثيرا مسن المفردات ، والذي ينبغي التعرض لذنك فنقول: الاصل في المفردفصله مما قبله ، لان ما قبله أما عامل فيه مثل « زيد قائم » فلا يمني المعمول على عامله أو معمول فلا يعطف العامل على معموله أو كلاهما معمول والفعل يطلبهما طلبا واحدا فلا يمكن عطفه لانه يلزم قطع العامل عن والثاني مثل « علمت زيدا قسائما » ونحو ذلك » (١) ، ويمضي يضع القواعد فيقول انه اذا اجتمع مفردات وامكن من جهة الصناعة عطف الحدهما على الآخر فان كان بينهما جسامع وصلت والا فصلت وهو اقسام ، ، و ،)

وأشار السبكي الى الفصل والوصل بين الجملة والمفرد يقول: « اذا علمت حكم الوصل والفصل بالنسبة الى الجملتين وبالنسبة الى المفردين فلا يخفى عليك حالهما بالنسبة الى جملة ومفرد ، وقد جَوَّزَ أكثر النحاة عطف الفعل على الاسم ، وعطف الاسم على الفعل اذا كان

عروس الافراح ج٣ ص ١١٣ - ١١٤ .

⁽٢) ينظر عروس الافراح ج٣ ص ١١٣ - ١١٥٠

كل منهما في تقدير الآخر • وقال السهيلي يحسن عطف الفعل على الاسم اذا كان اسم فاعل ، ويقبح عطف الاسم على الفعل قال فمثل : « مررت برجل يقوم قاعد » ممتنع الاعلى قبح ، وجوزه الزجاج كعطف الفعل على الاسسم ، والاكثرون على الجواز قسال تعالى : « صافات. و يَقَابِضَنْ) » (١) •

وكان عبد القاهر والقزويني قدذهباالى ان الفصلوالوصل لايكونان الا بين الجمل ، فجاء السبكي وأثبت خلاف ذلك ورأى انهما إيعمان الجمل والمفردات .

ومن ارائه الطريفة اعتباره احكام الفصل والوصل فيمــــا يخص الاحوال البلاغية اللغوية، واعتباره الايجازوالاطناب فيما يعم الحروف.

مع القزويني:

ولا يقف الامر عند هذا فقد ناقش السبكي الخطيب القزويني ، ورَرَد عليه ، وصحَّح اخطاء انزلق اليها بعضهم • واذا ما ارده ان تتكلم على السبكي والقزويني فليس لنا الا ان نعرض مناقشاته وردوده مع اتباع طريقته ومنهجه في التأليف ولنبدأ بعلم المعاني •

علم المساني:

لقد تصدى السبكي للقزويني قبل أن يتكلم على علم المعاني ، وخطأه في تسمية كتابه بالتلخيص ، وقال : ان في هذا نظرا من وجوه منها : انه ليس تلخيصا للمفتاح بل للقسم الثالث منه ، وان التلحيص يؤذن بالاقتصار والموافقة وهو قد خالفه كثيرا وزاد عليه ، وأنه جعله مختصرا في المقدمة والاختصار والتلخيص متنافيان فالاختصار تقليل اللفظ وتكثير المعنى ، والتلخيص الشرح وهو عكس الاختصار ومادته

⁽۱) سورة الملك ، الآية ۱۹ ، وهي : « او لم يروا الى الطير فوقهم صلاحات ويقبض ما يمسكهن الا الرحمن ، انه بكل شيء بصير » ، عروس الافزاح ج٣ ص ١١٥ ،

ترجع الى البسط (١) •

وأفاض السبكي في بحث الفصاحة ، وذكر الآراء المختلفة و رَدَّ على الكثيرين ، وأرجع بعض اراء القزويني الى ابن سنان وابن الاثير . وللسبكي في هذا البحث تحقيق التحسنة جيدة ، ولعله من احسن الذين بحثوا الفصاحة وشروطها بعد الخطيب .

وتكلم على البراعة التي اهملها الجمهور والقزويني، وهي مما يوصف به الكلام والكلمة وقد ذكرها القاضي أبو بكر في الانتصار مع الفصاحة والبلاغة، وحدّه الما يقرب من حد البلاغة (١٠) ورد على القزويني في تعريف الفصاحة ، ورأى انه من الاحسن اجتناب لفظ (الخلوص » في قول القزويني لغلبة استعماله في الانفكاك عن الشيء بعد الكون فيه، وليس المراد هنا كذلك (١) ومضى في بحث شروط الفصاحة، وتحدث بالتفصيل عن التنافر، وضعف التأليف، والغرابة، ومخالفة القياس، والكراهة في السمع و وركه عليه في الغرابة ، لانه فسرها تفسيرا يتعلق بغرابة المعنى لا غرابة الكلمة (١) و ورد عليه في مخالفة القياس ، لان كثيرا من الكلمات خالفت القياس ، ولكنها مع ذلك فصيحة لورودها في انقرآن الكريم (٥) و وركة عليه في تعليقه على بيت أبي تمام :

كريم" متى أمدحه أمدحه والورى معي ، واذا ما لمته لمته و حدى

ذهب القزويني الى أن في « امدحه » ثقلا لما بين الحاء والهاء من التنافر ، ولكن السبكي يتول : « فيما قاله من ثقل « امدخه » نظر ، فأن اجتماع الحاء والهاء فصيح لوروده في القرآن قال الله تعالى : «ومن

⁽۱) عروس الافراح ج۱ ص ٦٢ ــ ٦٥ .

⁽٢) عروس الافراح ج ا ص ٧٥٠

⁽٣) عروس الافراح ج١ ص ٧٧.

⁽٤) عروس الافراح ج١ ص ٨٧٠

ه) عروس الافراح ج۱ ص ۸۸-۸۸ .

الليل فَسَبَتِحُهُ " (١) ، وانما جاء الثقل هنا من تكرار « امدحه » (٢) .

ومع ان السبكي سار على منهج القزويني نراه ينقده في بعض المواضع فيقول: « فذكر المصنف الاسناد ، والمسند اليه والمسند ، ثم المتعلقات، ثم القصر الذي يعم الاسناد والتعلق ، ثم ذكر الانشاء ، وكان ينبغي تأخير القصر عنه ، لان القصر يدخل في الانشاء كما يدخل في الخبر» (٢٠) •

ووافقه على حصر الكلام في الخبر والانشاء ، غير أنه ذكر أن منهم من يخص الانشاء بما لا طلب فيه ، وقسسه الى خبر وطلب وانشاء ، ومنهم من جعله ثلاثة أقسام : خبر ، وانشاء وهو ما دل على الطلب دلالة اولية ، وتنبيه ويدخل في الاستفهام، والتمني ، والترجي، والقسم، والنداء ، وهو اصطلاح الامام فخر الدين الرازي ، ومنهم من جعل الكلام خبرا وطلبا ، وهو رأي ابن مالك في الكافية ، ومنهم من ربع الاقسام وقال : خبر ، واستخبار ، وطلب ، وانشاء (3) ،

وررد عليه في المجاز العقلي ، فقد ذكر القزويني ان مثال اسناده الى المصدر قولهم « شعر شاعر » فان «شاعر» اسند الى ضمير الشعر، يقول السبكي عنه : « وليس مثالا صحيحا ، لا « شعرا » في قولنا « شعر شاعر » المراد به المشعور وهو نفس المنظوم ، لا الشعر الذي هو المصدر ، والمثال الصحيح :

سيذكرني قومي اذا جَدَّ جدهم وفي الليلة الظلماء ينه ْتتقد البدر م

وكذلك قول تعالى: « فاذا تُفخ في الصُّورِ نَفْخَةٌ واحدة " () •

⁽١) سورة ق ، الآية ٠٤ ، وسورة الطور ، الآية ٢٩ .

⁽٢) عروس الافراح ج١ ص ١٠١ ٠

⁽٣) عروس الافسراح جا ص ۱۷۲ .

⁽٤) عروس الافراح ج١ ص ١٧٣٠

 ⁽a) سورة الحاقة ، الآية ١٣ . عروس الافراح جا ص ٢٣٦ .

ويرى السبكي ان يسمى المجاز العقلي « مجاز الملابسة » ولا يقال مجاز اسناد ، لغلبة استعمال الاسناد بين الفعل وفاعله أو ما قام مقامه فقط (۱) وع تقب على رد القزويني على السكاكي في المجاز العقلي ، وناقشه ، ونقل آراء كثيرة في الموضوع ، يقول : « قال السكاكي : الذي عندي نظمه في سلك الاستعارة بالكناية في قولهم « أنبت الربيع البقل» وأورد عليه المصنف ما أورده وفيه نظر ، أما قوله أنه يلزم أن يكون المراد برعيشة » في قوله « عيشة راضية صاحبها » فليس كذلك بل لنا في تصحيح كلامه طريقان :

احداهما: ان راضية في معنى الصفة الجارية على غير من هي له في المعنى لا من حيث الصناعة كأن قال: « راض صاحبها » لا على أحد التقادير السابقة ، فان ذلك تقدير لفظي وهسندا معنوي ، فانا نجعل الاسناد الى ضمير العيشة وهي صفة جارية في اللفظ على العيشة ، وفي المعنى على صاحبها ، والمعنى «في عيشة رضى صاحبها » و فضمير راضية يعود على العيشة ، وهو استعارة بالكناية ، والمسند وهو اسم الفاعل استعارة تخييلية قارنت المكنية ،

فان قلت: كان السكاكي مستغنيا عن هذا بان يجعل الاسناد الى صاحبها الحقيقي كما هو أحد التقادير السابقة ، ولا حاجة الى الاستعارة بالكناية ، قلت: تفوت المبالغة المقصودة .

الثانية: انه يلتزم ما ذكره المصنف ، وأن المراد بعيشة صاحبها ولا يلزم أن يكون الشيء في نفسه ويجعل العيشة وضميرها المستتر في راضية اريد بهما صاحب العيشة فتكون العيشة استعارة بالكناية والمسند في راضية استعارة تخييلية ، ولابدع ان يكون صاحب العيشة الحقيقي في صاحبها المجازى على سبيل الاستعارة للمبالغة ، فان قلت: المصنف لا يرى ان الاستعارة بالكناية اريد بها غير موضوع اللفظ فكيف يقول

⁽١) هروس الافراح ج١ ص ٢٥٤ ٠

يلزم السكاكي أن يكون المراد بعيشة صاحبها • قلت : الزمه برأيه ،لان السكاكي يرى ان الاستعارة بالكناية مجاز باطلاق لفظ المشبه وارادة المشبه به مدعيا ان المشبه به فرد من افراد المشبه وقد خبط كثير من الناس في هذا المكان والتحقيق ما قلناه والله اعلم »(۱) •

وأضاف السبكي الاستغراق في الاضافة ، وهو مما اهمله غيره ، يقول : « عجيب من اهل هذا الشأن كيف لم يذكروا ارادة الاستغراق من اسباب الاضافة قهي من ادوات العموم • كما أن اداة التعريف كذلك ، بل عموم الاضافة ابلغ • • • ولم يتعرضوا لما اذا خلا ذلك من اعتبارات مناسبة »(٢) •

ولم ينسسَق في هواه ، فأنصف القزويني في بعض المسائل فقال في بعث التنكير « والسكاكي خلط التعميم بالتنكير والتحقير بالتقليل ، والذي فعله المصنف أصوب لانه لا تلازم بينهما ٣(٣) . واعتذر له في اسباب التقديم قائلا: « وذكر السكاكي من اسباب التقديم أن يكون ضمير شأن أو قصة ، وتركه المصنف ، لانه يدخل في ارادة التشويق (٤).

وللسبكي التفاتات طيبة في بحث المسند اليه ، وقد أجاد في بحث حذف المسند اليه وذكره ، والتعريف بالموصولية واسم الاشارة (٥) .

وله تحقيقات لا بأس بها في الالتفات ، فقد وجد أن معظم من بحثه لم يوضح العبارة عن حقيقته ، وربما توهم قوم أنه لفظي ، وربما شكل التمييز بين حقيقته وحقيقة التجريد ، وحقيقت وضع انظاهر موضع المضمر وعكسه ، ثم في كونه حقيقة أو مجازا • وأثبت أن النقل في الالتفات معنوى لا لفظي فقط ، وفرَّق بين الالتفات والتجريد وذكر

⁽۱) عروس الافراح ج۱ ص ۲۹۶ - ۲۹۷ .

⁽٢) عروس الاقراح ج١ ص ٣٧٤٠

⁽٣) عروس الافراح ج١ ص ٥٥٥.

⁽٤) عروس الافراح ج1 ص ٣٩٥ ·

⁽٥) عروس الافراح ج۱ من ۲۷۳ ، ۲۸۲ ، ۳۱۳ ، ۳۱۳ .

أن بينهما عموما وخصوصا من وجه فيوجد التجريد دون الالتفـــات كقولنا « رأيت منه اسدا » وقول امرىء القيس :

ويوجد الالتفات دون التجريد في نحو:

تكلفني ليلي وقد شط وليها وعادت عواد بيننا وخطوب

ونحو قوله تعالى: « والله الذي أرسل الريساح فتثير سحابا فسقناه »(١) ، والتفات وتجريد في نحو « فكصسل لربك »(٢) ولا واحدا منهما كغالب القرآن • والالتفات عنده حقيقة « حيث كان معه تجريد وحيث لم يكن »(٣) •

ولم يتطرق القزويني لهذه النواحي ، وقد كان بحث السبكي اكثر طراوة والصق باساليب العرب ، ولعل لثقافته الادبية الواسعة أثرا في ذلــــك .

وختم البحث باستدراكات على القزويني في بحث اتيان الكلام على خلاف مقتضى الظاهر يقول:

« أهمل المصنف أموراً كثيرة من اتيان الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ، كل منها يصلح أن يكون من ابواب المعاني اذا اعتبرت فيه نكتة لطيفة » (٤) .

والامور التي استدركها عليه هي : انتقال الكلام من خطاب الواحد أو الاثنين أو الجمع لخطاب الآخر وهو ستة أقسام :

⁽۱) سورة فاطر ، الآيــة ۱ .

⁽٢) سورة الكونسر ، الآيسة ٢ .

⁽٣) عروس الافراح ج۱ ص ۷۷؟ .

⁽٤) عروس الافراح ج۱ ص ٤٩٢٠

الاول: الانتقال من خطاب الواحد لخطاب الاثنين كقوله تعالى: « قالوا أَجْنَتُنَا لِتَكُفِّتُنَا عَمَّا وَجَدَّنا عَلَيه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرضُ » (١) •

الثاني: الانتقال من خطاب الواحد الى الجمع كقول م تعالى: « يا أيثُها النبيُ ۗ إِذا طلتَقتُم ُ النساء ۗ (٢) . •

الثالث: من الاثنين الى الواحد كقوله تعالى: « قال: فَمَن ْربُكُما ۗ يا موسى »(۲) •

الرابع: من الاثنين الى الجمع كقوله تعالى: « وأ وحينا الى مُوسى وأخيه أن تَبَوَّءا لقوم كما بِمصْرَ بيوتاً واجْعلوا بيوتكم قبلةً »(٤) .

الخامس: من الجمع الى الواحد كقوله تعالى: «وأقيموا الصئلاة وَ الشَّرِ المُؤْمِنينَ » (•) •

السادس: من الجمع الى التثنية كقوله تعالى: « يا معْشَر الجِنِّ والإِنْسِ إِنْ استَطْعتُم » (٦) ، الى قوله تعالى: « فبأي آلاء ربكما تُككذبان ِ » ٠

ومنها التعبير بواحد من المفرد والمثنى والمجموع والمراد الآخر والفرق بين هذا والذي قبله ، ان الاول لم يعبر فيه عن جمع او تثنية ولا عكسه ، بل استعمل كل في معناه ثم انتقل عنه لغيره ، وما نحن فيه عبر فيه بأحد الاساليب الثلاثة واريد غيره وهو أقسام :

الاول: التعبير بالمفرد وارادة التثنية ، وجعل منه الحاتمي في

⁽۱) سورة يونس ، الآية ۲۸ .

⁽٢) سورة الطلاق ، الآية ١ .

⁽٣) سورة طه ، الآية ٤٩ .(٤) سورة يونس ، الآية ٨٧ .

⁽ه) سورة يونس ، الآية ٨٧ ٠

⁽٦) سورة الرحمن ، الآية ٣٣ .

حلية المحاضرة قسول الاعشى:

فرجي الخير وانتظري ايابي اذا ما القارظ العنزي آب

وانما هما قارظان من عنزة ، وانما قالواكذلك لانهماصاراكالشيئين اللذين لا يغني احدهما عن الآخر فانهما يعبر عنهما بصيغة المفرد، اما في المسند كقولهم «عينه المسند كقولهم «عينه حسنة » أو في المسند اليه كقولهم «عينه حسنتان »، ومنه:

ومية اجمل الثقلين جيدا وسالفة وأحسنه قدالا

الثاني: التعبير بالمفرد وارادة الجمع ووجهــه ما ســـبق انشـــد الحاتمي:

وذبيان قد ز ُلگت ْ باقدامها النَّعـُـٰلُ ُ

وجعل منه استعمال « مَن ° » الموصولة لجمع •

الثالث: التعبير بالمثنى عن المفرد ووجهه ارادة التأكيديتقسيم الشيء الى شيئين وتسمية كل منهما باسمه والاشعار بارادة تكرار الفعل وان الفعلين امتزجا وصار حضور احدهما حضورا للآخر وجعلوا منه:

أأطعمت العراق ورافديه فزاريا أحذ يد القميص

عشية سال المربدان كلاهما عجاجة صوت بالسيوف الصوارم

الرابع: التعبير بالمثنى عن الجمع وجعل النحاة منه « حنانيك » واخواته .

الخامس: التعبير بالجمع عن المفرد مثل قولهم «شابت مفارقه» وقول

امرىء القيس:

من صهواته ويلوى باثواب العنيف المشتقيل

يُزرِلُ ۗ الغلام ُ الخف عن صهواته

السادس: التعبير بالجمع عن التثنية ، ووجهه ما سبق إلا أنه يجوز أن تكون قصدت المبالغة بتقسيم كل من الشيئين الى اشياء ، أو أن تكون قصدت المبالغة في أحدهما بتقسيمه دون الآخر ، لان الجمع يحصل بثلاثة ، ومنه: المناكب والمرافق والحواجب وانما هما منكبان.

ومنها تذكير المؤنث وعكسه ، فالاول لتفخيمه كقوله تعالى: « فمن جاءه موعيظكة " من ربه ِ » (١) ولــــذلك يجوز تذكير كل مؤنث مجازي ومنه:

ولا ارض أبقل إبقالها

لانه اراد تفخيم الارض فعبر عنها بما يعبر به عن المكان .

والثاني: لارادة تسمية كل جزء منه باسمه ومنه « جاءته كتابي فاحتقرها » اشارة الى أنه جاءه منه كتاب في معنى الكتب المتعددة ، والنحاة يقولون: انته على ارادة الصحيفة .

ومنها نفي الاخص ، والمراد نفى الاعم وعكسه .

وبذلك خرج السبكي عن الدائرة التى رسمها القزويني ، واستفاد من ابن الاثير ، والتنوخي ، والحاتمي وغيرهم في بحث هذه الموضوعات الجديرة بالبحث والنظر العميق ، ولا ندري لماذا أهملها القزويني معأنه كان مطلعاً على معظم هذه الكتب .

ونقده في بحث التغليب ، يقول وهو يتكلم على « إن » الشرطية ومعناها : « لما توهم المصنف أن ما سبق محتمل للتغليب استطرد لذكر باب التغليب ، وليته لم يذكره هنا لعدم ثبوت ان ماسبق من التغليب ، وليته لم يذكره هنا لعدم ثبوت ان كليب ، وليته لم يذكره هنا لعدم ثبوت ان التغليب ، وليته لم يذكره هنا لعدم ثبوت ان كليب ، وليته لم يذكره هنا لعدم ثبوت ان كليب ، وليته كليب ، وليب ، وليته كليب ، وليته كليب ، وليب ، ولي

⁽١) سورة البقرة ، الآية ٢٧٥ .

⁽۲) عروس الافسراح ج۲ ص ۱۵ •

ولكنه بحث التغليب فيموضوع « ان متابعا » القزويني •

هذا ما يتعلق ببحث المسند اليه ، أما بحث المسند فقد عقب عليه وهو يتحدث عن التقديم في بيتي حسان وهو يمدح رسول الله (ص):

له همِم لا منتهى لكبـــارها وهمته الصغرى أجَلُ من الدهـ له واحة والمواتدة المواتدة المواتدة المواتدة والمواتدة المواتدة المواتدة

يقول: «ويمكن ان يقال التقـــديم هنا أما للاختصاص، واما للتفاؤل ومسرة السامع مثل «عليه من الرحمن ما يستحقه» أو عكسه كما تقدم في المسند اليه وان كان المصنف أهمل هــــذا القسم هنا ولاوجه لاهماله» (١) .

ونقده في باب أحوال متعلقات الفعل يقول: «هذا الباب لاحوال متعلقات الفعل و ولم يستوعبها المصنف بل ذكر منها الفاعل والمفعول، وذكر الفاعل فيه نظر، لانه مسند اليه فكان ذكر أحوال بباب المسند اليه أليق و ثم الاحوال التي يريدها هي الذكر والترك والتقديم والتأخير فقط، والترك لا يتأتى في الفاعل لانه لا يحذف »(٢) .

وليس في هذا البحث ردود كثيرة ، ولكنه اختلف عنه في الشرح ، فبعد أن أوجز القزويني هذه الموضوعات نرى السبكي يبسط القول فيها ويذكر الامثلة الكثيرة .

وتابع القزويني في طرق القصر ، غير أنه اضاف الى ما ذكر أنواعا اخرى منها الفصل ، ومنها ذكر المسند اليه ، ومنها تعريف المتبدأ مثل « المنطلق زيد » على قول ، ومنها تعريف الخبر في نحو « زيد المنطلق» ومما يذكر من ادوات الحصر مثل « جاء زيد نفسه » ومنها « ان زيدا لقائم » ومنها قلب بعض حروف الكلمة فأنه يفيد الحصر على ما نقله

⁽۱) عروس الافراح ج۲ ص ۱۱٦٠

⁽٢) عروس الافراح ج٢ ص ١١٩ - ١٢٠ .

الزمخشري في الكشاف عند الكلام على قوله تعالى: « والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبد وها » (1) فأن القلب للاختصاص بالنسبة الى لفظ الطاغوت ، لان وزنه على قول « فعلوت » من الطغيان كملكوت ورحموت ، قلب بتقديم اللام على العين فوزنه « فلعوت » • وفيسه مبالغات كتسميته بالمصدر والتاء تاء مبالغة والقلب وهو للاختصاص اذ لا يطلق على غير الشيطان • ومنه نحو « قائم » في جواب « زيد اما قائم أو قاعد » ، وعسد بعضهم من تراكيب القصر « زيد قام ولم يقم غيره » أو « لم يقم أحد غير زيد » ، ومنها تقديم المعمول في نحو «زيدا ضربت » ومنها « أنما » بالفتح ، ومنها حذف المسند لادعاء التعيين أو للتعيين مثل « يعطي بدرة ويفعل ما يشاء » (٢) •

وانتقل السبكي الى بحث الانشاء ، ولم يعجب بتقسيمهم الانشاء الى طلب وغيره ، والاحسن ان يقال : « الى طلبي وغيره »(٣) ٠

ورد على من أدخل مثل « نعم الرجل زيد » و «ربما نصحك عمرو» و «كم غلاما شريت » و « عسى أن يجيئك » في غير الطلبى ويرى أن هذه من اساليب الخبر ، ودلل على ذلك بما لا يجعل الشك في برهانه ، يقول : وقد عدوا في غير الطلبى ، « نعم الرجل زيد » و « وربما نصحك عمرو » و « كم غلاما شريت » و « عسى أن يجيء زيد » • وفيه نظر ، لان الاول قد يقال أنه خبر وقول كثير من النحاة أن نعم وبئس لانشاء المدح والذم لا ينافي ذلك لجواز أن يريدوا دلالتها على ذلك الناشئة بالاخبار • قال الطيبي في شرح التبيان قال الاستراباذي في كون فعلي التعجب وفعلي المدح والذم وكم الخبرية انشاء نظر ، لاحتمالها الصدق والكذب باعتبار نفس الخبر وأن لم يحتملا باعتبار المدح والذم • ومن ثم لما بشر أعرابي ببنت فقيل « نعمت المولودة » ، قال :

⁽١) سورة الزمر ، الآية ١٧ ٠

⁽٢) عروس الافراح ج٢ ص ١٩٧ وما بعدها .

⁽٣) عروس الافراح ج٢ ص ٢٣٤٠

« والله ما هي بنعمت المولودة » • قال الجرجاني وهم ، لان هذه الافعال لا تحتملها باعتبار النسبة التي يحصل بها الكلام • ومما يدل على انهما خبران وقوع نعم خبر «إنَّ » في قوله تعالى: «إنَّ الله نعماً يعظّ كُم به » (١) • ووقوعها جواب القسم في قوله تعمالى: « ولبئس ما شكروا به المتقين » (٢) وكسذلك بئس قال تعمالى: « ولبئس ما شكروا به أنسسهم » (٣) • وأما « ربما نصحك عمرو » فلا اشكال في كونه خبرا ، وكذلك كم الخبرية قال ابن الحاجب في أماليه: « كم رجال عندي » يحتمل الانشاء والاخبار ، أما الانشاء فمن جهة التكثير ، لان المتكلم عبر عما في باطنه من التكثير بقوله: «رجال » والتثير معنى محقق ثابت في عبر عما في باطنه من التكثير بقوله: «رجال » والتكثير معنى محقق ثابت في وان نم يطابق فك ذ ب ، ويحتمل الصدق والكذب فهو كلام محتمل الامرين باعتبار الاحتمالين المذكورين المختلفين » (٤) •

وأما « عسى ان يجيء زيد » فهو عند السبكي ترج كالتمني، ومن الانشاء غير الطلبي صيغ العقود ٠

واضاف الى ما ذكره القزويني من خروج الامر عن معناه وجوها أخر ، وكان القزويني قد ذكر تسعة منها هي:

الاول: الاباحة نحو: « جالس الحسن أو ابن سيرين » •

الثاني : التهديد مثل : « اعْمَلُوا مَا شَـُنْتُم ﴾ (٥) ٠

الثالث : التعجيز كقوله تعالى: « فأتوا بسُورةْ مِن مِثْلُهِ » (٦) •

الرابع : التسخير نحو قوله تعالى : «كونوا قيرَ دَهُ خَاسئين َ» (٢) •

⁽١) سورة النساء ، الآية ٨٥ .

٣٠ سورة النحل ، الآية ٣٠ .

⁽٣) سورة البقرة ، الآية ١٠٢ .

 ⁽³⁾ عروس الافراح ج٢ ص ٢٣٤ وما بعدها .

⁽٥) سورة فصلت ، الآیة ، ٤٠ .

⁽٦) سورة البقرة ، الآية ٢٣ .

⁽Y) سيورة البقرة ، الآبية ه ٦٠ ·

الخامس : الاهانة كقوله تعالى : «كونواحِجارة اوحديد!» (١). السادس : التسوية كقوله تعالى: «فاصْبِروا أو الاتكصْبِروا» (٢). السابع : التمني كقول امرىء القيس :

ألا أيُّها الليل ُ الطويل ُ ألا انجل ِ بصبح ٍ وما الا صباح منك بأمثل ِ

الثامن: الدعاء وهو الطلب من الاعلى على سبيل التضرع مثل: « اللهم اغفر لي » •

التاسع: الالتماس وهو الطللب من المساوى كقولك بلا استعلاء لمن يساويك رتبة « اسقنى ماء »(٣) .

هذا ما ذكره القزويني ، وقد ذكر السبكي أن بعضهم قد زاد على اغراض الامر المجازية وجوها أخرى هي :

الندب : كقوله تعالى : « فكاتبوهم »(١) .

والارشاد: كقوله تعالى: «واستشهدوا شكيدين من رجالكم» (٥٠٠ والانذار: نحو « قل تمتعوا » (٦٠ و

والامتنان : نحو « فكلوا مما رزقكم الله » (۲) •

والاكرام: كقوله تعالى: « ادخلوها بسلام » (^) •

والتكوين : كقوله تعالى : «كن فيكون » (٩) •

⁽١) سورة الاسراء ، الآية ٥٠ .

⁽٢) سورة الطور ، الآية ١٦ .

 ⁽٣) الايضاح ص ١٤٣ ـ ه١٤٠ ، وعروس الافراح ج٢ ص ٣١٢ وما بعدها .

⁽٤) سسورة النور ، الآيــة ٣٣٠

⁽٥) سورة البقرة ، الآية ٢٨٢ .

⁽٣) سيورة ابراهيم ، الآية . ٣٠ .

⁽Y) سورة النحل ، الآية ١١٤ ·

⁽A) سورة الحجر ، الآية ٦٦ .

⁽١) سورة الانسام ، الآيسة ٧٣ .

والخبر : نحو : « اذا لم تستح فاصنع ما شئت » • وبمعنى الانعام مثل : « كلوا من طيبات ما رزقناكم »(۱) ϕ

والتفويض: كفوله تعالى: « فاقْضِ ما أنت قاضٍ » (٢) . والتعجب: كقوله تعالى: «كونوا حجارة »(٣) . وقوله: «انظر كيف ضربوا لك الإمثال »(٤) .

والامر: بمعنى التكذيب كقوله تعالى: «فاتوا بالتوراةفاتلوها» (٥) وقول تعالى: «قل هكتُم شتهداءكم الذين يكشهدون أن الله حرًم هذا » (٦) .

وبمعنى المشورة : مثل « فانظر ماذا ترى »(٧) .

والامر : بمعنى الاعتبار كقوله تعـالى : « انظروا الى ثمره اذا اثمر » (^) .

والتحريم : كقوله تعالى : « قل تمتعوا فان مصيركم الى النار »(٩) و التعجب : نحو : « أحسن يزيد » •

ومعظم هذه المعاني نقلها عن علماء البلاغة والاصوليين، ورَدَّ على كثير منها ، وختم بحثه فيها بقوله : « وغالب هذه المعاني فيها نظر» (١٠٠٠ م

واهمل القزويني انواعا من الانشاء الطلبي كالترجي ، والقسم ، وقد اضافهما السبكي ورد عليه في العرض ، يقول : « واما العرض فهو

⁽١) سورة البقرة ، الآية ١٧٢ .

⁽۲) سـورة طه ، الآيــة ۲۲ .

⁽٣) سورة الاسراء ، الاية ٥٠ .

⁽١٤) سورة الاسراء ، الآية ٨٨ .

⁽٥) سورة آل عمران ، الآية ٦٣ .

⁽٦) سورة الانعام ، الآية ١٥٠ .

⁽Y) سورة الصافات ، الآیة ۱۰۲ .

⁽A) سسورة الانعام ، الآية ۹۹ .

⁽٩) سورة ابراهيم ، الآية ٣٠ .

۱۱) عروس الافراح ج۲ ص ۳۲۲ .

إنشاء ، وقد جعله مولدا عن الاستفهام • ويرد عليه أنه كان ينبغي أن يجعل العرض قسما من أقسام الاستفهام كما جعل التحضيض قسما من التمني أو يجعلهما قسمين برأسهما ، لان حرف الاستفهام في كل منهما لان في كل منهما اداة استفهام اتصل بها « لا » بل أولى لان « هلا » استعملت فيها « هل » التمنى • وأمام ألا تنزل عندنا » فاستمر فيها عنده معناها المجازى من التمنى • وأمام ألا تنزل عندنا » فيا الهمزة لم تنتقل عن الاستفهام قبل العرض لغيره » (اد م

وحمل السبكي على القزويني وغيره في الفصل والوصل ، لانه نظر في كلامهم في هـــذا الباب فوجد اقساما متداخلة ، بين كثير منها عموم وخصوص من وجه ، وبعضها يدفع بعضا ، ووجدهم قرروا فيه قواعد لا تخلو من اشكال ، وذكروا أمورا غير الصواب من جعل ماليس له محل من الاعراب ذا محل وعكسه وقد دفعه هذا الخلط والاضطراب الى ابتداع قاعدة وتقسيم لهذا الباب يسهل به تعاطيه ، وقد فعل ذلك ولكن غالب ما ذكره من هذه القواعد ليس فيه مخالفة للسكاكي اذا تأمله الباحث حق التأمل ، وانما وقع الخلل في كلام من بعده لانهم لم يتأملوا كلامه (٢) .

وكان من المؤمل أن يبسر هذا الباب ، ويجعله سهل التناول ،ولكنه أضك تفسه ، وأضك القاريء بكثرة التقسيمات التى نقلنا طرفامنها ، وبذلك لم يأت الا ببعض الاشارات القليلة التى لا تفيد كثيرا .

ونقد القزويني في بعض المواضع ، وهو نقد لا يصحح قاعدة ، ولا يضيف شيئا ذا قيمـــة .

⁽۱) عروس الافراح ج۲ ص ۳۳۸ .

⁽۲) عروس الاقراح ج٣ ص } .

الموضوعات نظرة اكثر تحررا من نظرة القزويني ، وأكثر فنية واستجابة للاساليب . وله نظرات تقدية في هـ ذه البحوث لا بأس بها . واضاف انواعا من ايجاز القصر ، منها باب القصر به « الله » سواء أكان الاستثناء مفرغا نحو « ما قام الا زيد » أم تامل نجو « ما قام احد الا زيد » ، لان الاول موجز ، والشاني موجز من وجه مطنب من وجه . أو القصر بـ «انما» نحو « انما زيد قائم » ، أو بالتقديم نحو « أنا قمت » ، لان في كل منها نابت الجملة مناب جملتين حكم في أحداهما على المستثنى ، وفي الاخرى على المستثنى منه • وكذلكجميع انواع القصروليس شيء من ذلك بايجاز حذف لان الكلام مستوفى الاجزاء لم ينقص منهشيء ، ومنها نحو « قام زيد وعمرو » فانه في معنى « وقـــام عمرو » وحصل بالواو الايجاز والاغناء عن تقدير الفعل على مذهب البصريين • ومنها الاقتصار على المبتدأ وطرح الخبر لفظا . ومنه نحو « أقائم الزيدان ؟» لان « قائم » مبتدأ لا خبر له ، ومنها باب « علم ت انك قائم » فاذا جعلنا الجملة سادة مسد المفعولين ، فان الجملة تنحل لاسم واحد سد مسد اسمين مفعولين من غير حذف ، ومنها باب النائب عن الفاعل في « ضرب زید » ف « زید » دل علی الفاعل باعطائه حکم ه ، وعلی المفعول بوضعه ، ومنها باب التنازع ، ومنها طرح المفعول ، بمعنى: استعمال المتعدى لازما ؛ ومنها جميع باب اسماء الاستفهام واسماء الشرط • ومنها الالفاظ الملازمة للعموم مثل احد وديار • ومنها لفظ الجمع فان الزيدين يغني عن زيد وزيد وزيد(١) .

علم البيان:

ولا يختلف منهج السبكي في علمه البيان عن منهج السكاكي والقزويني ، وأن عالجه معالجة أقرب الى روح البلاغة العربية ، يقول: « قال جماعة : ان هذا العلم أخص من علم المعاني ، وأن علم المعاني

⁽۱) عروس الافراح ج٣ ص ١٨٩ _ ١٩٠ .

كالمفرد والبيان كالمركب • فان صح على ما فيــه من البحث فهو متأخر عنه طبعا ، فلذلك أخر عنه وضعا »(١) •

وناقش من ذهب الى ان علم البيان أخص من المعاني ، وانه بمنزلة المركب والمعاني بمنزلة المفرد ، و ر د على من ذهب الى انه باب من ابواب علم المعاني ، وقال عن علم البيان : « لا شك ان الايراد الواحد للمعنى الواحد بالطرق المختلفة لا يمكن ، فلو قال المصنف، « باحدى طرق » لشمل الايراد الواحد وكان احسن لان قوله « بطرق» لا يتأتى الا عند تعدد الايراد ، وليس القصد منحصرا في ذلك » (٢) ،

وتكلم على الدلالات التي حشرها البلاغيون في علم البيان حشراً ، ولم يفصل فيها ، ويشعب مسائلها كما فعل ابن يعقوب المغربي ، فقد اكتفى بعرضها ملخصة مهذبة ، وذهب الى ان الكناية حقيقة بينما دهب القزويني الى انها ليست حقيقة ولا مجازا وفرق بينها وبين المجاز ، لان غالب المصنفين في البلاغة خبط فيه ، ولم يحققه ، ولكنه مع ذلك نه يخرج عن نطاق التمحلات الفلسفية ، ولم يستطع أن يعطينا الدليك الواضح الملموس في الغرق بينهما ، وبقي ينتقلل في كلامهم من لازم وملزوم ، وملزوم ولازم كما فعل السكاكي من قبل "،

ورك على القزويني في تقديم المجاز على الكناية ، وفي تحليل بعض أمثلة التشبيه • ولعل أهم مساحره السبكي في التشبيه بحث ادواته التي اهمل القزويني تحريرها ، وبحث التفاوت بينها ، يقول السبكي : « ولم يحرر البيانيون معنى هذه الادوات فظاهر كلامهم ان معناها واحد »(أ) • وليس الامر كذلك فان الكاف وكأن ومثل للتشبيه في أي شيء كان لا تختص بنوع دون آخر • وذكر السبكيان

۱) عروس الافراح ج٣ ص ٢٥٨ .

⁽٢) عروس الافراح ج٣ ص ٢٦٢٠

⁽٣) مروس الافراح ج٣ ص ٢٨٣ وما بعدها .

⁽٤) هروس الافراح ج٣ ص ٣٩٣٠

بين صيغ التشبيه تفاوتا لم يتعرض القزويني ولا غيره للفرق بينها بل يقتضي كلامهم أن معناها واحد وأن رتبتها متساوية والتحقيق في ذلك أن يقال ان كان شيء من هذه الصيغ يدل على المشابهة من كل وجه فهو أبلغ الصيغ وهذا البحث من اجل بحوث السبكي ، وفيه مادة خصبة تدل على اطلاع واسع .

ونبه على اهمال القزويني أحد انواع التشبيه المجمل ، يقول : « واعلم ان المصنف سكت عن القسم الرابع وهو ما ذكر فيه وصف المشبه يقتضي ان يكون وجه الشبه فيه اتم منه في المشبه به والحسال بالعكس ممنوع ، لانا نقول ذكره في المشبه لا يستدعي ان يكون فيه أتم فقد يكون طوى ذكره في المشبه به لانه فيه اشهر واتم »(۱) ، ورد عليه في التشبيه المؤكد فقد جعل القزويني منه قول الشاعر :

والريح تعبث بالغصون وقد جرى ﴿ ذَهُبُ الْأُصِيلُ عَلَى لُجِينَ الْمَاءِ

ويرى السبكي أكن هذا المشال غير صحيح ، لأنه استعارة لا تشبيه (٢) .

ولم يك تك السبكي في بحث مراتب التشبيه بالرتب الثمانية التي ذكرها القزويني ، بل ذكر أن الصيغ الممكنة في التعبير عن ذلك ثماني عشرة ، يقول : « وقد علم أن للتشبيه اربعة اركان المشبه والمشبه به والاداة ووجه الشبه ، فالصيغ الممكنة في التعبير عن ذلك ثماني عشرة :

احداها: ان تذكر الاربعة كقولك « زيد كالاسد في الشجاعة » .

الثانية: أن يحذف المشبه فقط كقولك «كالاسد في الشجاعة »أي زيد ، وليس لواحدة من هــاتين الصورتين شيء مــن القوة لعدم الموجـب لهـا .

⁽۱) عروس الافراح چ٣ ص ٠ }} .

⁽۲) عروس الافراح -۳ س ۲۵ .

الثالثة : ان تحذف الاداة فقط كفولك « زيد أسد في الشجاعة » وفيه نوع قوة لجعل المشبه في ظاهر اللفظ هو المشبه به ٠

الرابعة : ان يحذف وجه الشبه فقط كقولك « زيد كالاسد» وفيها نوع قوة ليس في التي قبلها لان وجه الشبه عند حذفه عام في الظاهر.

الخامسة: ان يحذف المشبه به وهذا القسم لم يتعرضوا له توهما منهم أنه متعذر ، وليس كذلك بل مثاله كقولك « زيد مثل في الشجاعة» أى : مثل الاسد بقرينة تدل على ارادة الاسد والظاهر أنه لا قوة لهذا .

السادسة : ان يحذف اثنان وهما المشبه وكلمة التشبيه كفولك « اسد في الشجاعة » أي زيد ولها نوع قوة ٠

السابعة: ان يحذف المشبه والمشبه به كقولك: «مثل في الشجاعة» أي زيـــد .

الثامنة : ان° يحذف المشبه ووجه الشبه ، كقولك «كالاســـد» وهي كقولك : «زيد كالاسـد» •

العاشرة : أن تحذف الاداة والوجه كقولك « زيد أسد » وهو أقوى الجميع لاثبات المشبه به في الظاهر للمشبه وحذف الوجه فقد اجتمع فيه القوتان •

والحادية عشرة: ان يحذف المشبه به والوجه كفولك « زيد مثل» وذلك يكون في الجواب من الاستفهام عن مماثل الاسد او عن حكم زيد مع الاسد فتقول: مثل •

الثانية عشرة: ان يحــذف ثلاثة وهي المشبه والاداة والمشبه به ، كقولك: « في الشجاعة » مريدا: « زيد كالاسد في الشجاعة » فيجواب

من قال : في أي شيء يشبه زيد الاسد ؟

الثالثة عشرة : ان يحذف ثلاثة وهي:المشبهوالاداة والوجه كقولك « الاسد » في جواب : ما الذي يشبهه زيد ؟

الرابعة عشرة : أن يحذف المشبه والمشبهبه والوجه كقولك «مثل» في جواب من قال : ما حكم زيد مع الاسد ؟

الخامسة عشرة : أن تحذف الاداة والمشبه به والوجه كقولك « زيد » في جواب : من يشبه الاسد ؟

السادسة عشرة: أن يحذف المشبه والمشبه به والوجه ويقتصر على الاداة كقولك « مثل » في جواب ما شأن زيد مع عمرو؟ ويلاحظ ان هذا مكرر مع الصورة الرابعة عشرة .

السابعة عشرة : أن يحذف الجميع كالتشبيه المعاق على شرط فانه يحذف اكتفاء بدليله في نحو قوله :

عزماته مثل النجوم ثواقبا لولم يكن للثاقبات أفول

فان تقديره على مذهب البصريين : لو لم يكن للثاقبات أفول لكانت عزماته كالثاقبات • وكذلك قوله :

بلد لها شرف سواها مثلها لو كان مثلك في سواها يوجد ً

الثامنة عشرة : أنيذكر المشبه ولازم المشبهبه ،كالاستعارة بالكناية والتخييل في قول :

واذا المنية انشبت اظفار ها الفيت كل تميمة لا تنفيع على رأى القرويني (١) ٠

وفي الوقت الذي نريد أن نقلل من التقسيمات ، نجدالسبكي يفرع

⁽١) عروس الافراج ج٢ ص ٧٠ ــ ٧٣ .

تفاوت التشبيه الى هذه الاقسام الكثيرة ، وأن أغلبها مكرر كما في الوجه الرابع عشر والسادس عشر او لا قيمة لها ، ولكنه يصر على أن ما ذكره الصواب يقول : « ثم اذا تقرر ذلك فاعلم أن المصنف وغيره لم يذكروا من رتب التشبيه الا ثمانية وحصروه فيها لعدم اعتبارهم حذف المشبه به والصواب ما ذكرناه »(۱) •

وقوة التشبيه عند السبكي منحصرة في امرين :

احدهما : أن تكون اداة التشبيه محذوفة •

والثاني: أن يكون وجهه محذوفا •

فحيث حصل حــــذفها فهو أقوى الاقسام ، وحيث حصل حذف أحدهما حصل نوع قوة ، وحيث انتفيا فلا فوة ،

ويرى أن تعريف القزويني للمجاز المرسل غير صحيح ، وأن الصواب أن يقال : هو ما بينه وبين موضوعه علاقة غير المبالغة في المشابهة (٢) .

ورَدَ عليه في المجاز المرسل ، ولكن ردوده لا تتعلق بقيمة هذا الفن واهميته في التعبير ، وانما تتعلق بأمور جزئية ، وذكر انواعااخرى من المرسل يقول: «قد ذكر المصنف تسع علاقات وذكر قبلها الراوية للمزادة وهي من مجاز المجاورة وكأنه استغنى بمثاله عن ذكره فحاصل ما ذكره عشرة الا أن الاخرى منها هي السابعة ، وقد زاد غيره علاقات كثيرة تقارب ما ذكرناه أكثر من ثلاثين ، وبعضهم يعددها عسلاقات ، وبعضهم يعدد أقسام المجاز بحسبها »(٣) ، وهذا يدلنا على ان المجاز المرسل يمكن التوسع به ، وهو ما نراه عند ابن قيم الجوزية والمغربي، المرسل يمكن التوسع به ، وهو ما نراه عند ابن قيم الجوزية والمغربي،

ورد على القزويني في الاستعارة وتعليقه على قول الشاعر:

۱) عروس الافراح ج٣ ص ٢٧٤ ٠

⁽٢) عروس الافراح ج ٤ ص ٣٢٠٠

⁽٣) عروس الافراح ج ٤ ص ٣٤ ٠

فان تعافوا العدل والايمانا

وقبول الآخر:

وصاعقة من نصله تنكفي بها على أرؤس الاقران حَمْس محائب

وفي الاستعارة المطلقة وغيرها الموان التي اهمال القزويني لتفاوت الاستعارة الله يقول: «لم يتعرض المصنف للتفاوت بين انواع الاستعارة والذي يظهر ان الاستعارة بالكناية ابلغ من التصريحية وبه صرح الطيبي ولا اشكال فيه على رأي السكاكي فانها كالجامعة بين الاستعارة والكناية وأما على رأي المصنف فان وافق ذلك كان هذا واردا عليه في قوله «ان المجاز ابلغ من الحقيقة» و «ان الاستعارة ابلغ من التشبيه »الان الاستعارة بالكناية عند المصنف تشبيه وحقيقة لا مجاز الا أن يقول الاستعارة بالكناية انما تكون ابلغ لاشتمالها على المجاز العقلي كما اقتضاه كلام المصنف في هذا الباب لا كما اقتضاه كلامه في علم المعاني حين تكلم على المجاز العقلي وأما الاستعارة بالتمثيل فالظاهر انها ابلغ منهما كما المحتفية وأما الاستعارة بالتمثيل فالظاهر انها ابلغ منهما كما يقتضيه كلام الزمخ شري عند قوله تعالى: « وما قد روا الله حسق قد من هذه الاستعارات الثلاث الى ييمينه »(۱) و ثم تتفاوت كل واحدة من هذه الاستعارات الثلاث الى ييمينه »(۱) و ثم تتفاوت كل واحدة من هذه الاستعارات الثلاث الى ييمينه »(۱) و ثم

علم البديع:

ورد السبكي ما قاله السكاكي والقزويني عن البديع ويرى أنه لا يشترط فيه مطابقة الكلام لمقتضى الحال ولا وضوح الدلالة ، يقول : « والحق الذي لا ينازع فيه منصف ان البديع لا يشترطفيه التطبيق ولا وضوح الدلالة ، وأن كل واحد من تطبيق الكلام على مقتضى الحال ومن الايراد بطرق مختلفة من وجوه التحسين قد يوجد دون الآخرين

۱۱) سورة الزمر ، الآية ۲۷ .

⁽٢) عروس الافراح ج } ص ٢٨١ ـ ٢٨٢ ٠

وأول برهان على ذلك انك لا تجدهم في شيء من امثلة البيان يتعرضون الى بيان اشتمال شيء منها على التطبيق ، ولا تجدهم في شيء من أمثلة البديع يتعرضون لاشتماله على التطبيق والايراد ، بل تجد كثيرا منها خاليا من التشبيه والاستعارة والكناية التي هي طرق علم البيان ، هذا هو الانصاف وان كان مخالفا لكلام الاكثرين »(۱) .

وقسهم وجوه تحسين الكلام الى معنوي ولفظي ، ورد على بدر الدين بن مالك وأن لم يصرح باسمه لانه قسمها انى ثلاثة أقسام ، يقول : « واورد ان الاقسام ثلاثة فان منها ما يرجع اليهما ، وقسد يجاب عنه بان ما يرجع اليهما يدخل في القسمين لانقسامه الى كل منهما »(٢) وقسم بعضهم المعنوي الى نوعين :

احدهما: ما يزيد المعنى حسنا لزيادة تنبيه . الثانى: ما يزيده تناسب .

وكان القزويني قد اطلق المعنوي ليدخل فيه النوعان منه من غير تمييز بينها ٠

وقد امتاز السبكي عن القزويني في هذا البحث بدقة ملاحظته ، واستفادته من علماء البديع كأبن ابي الاصبع المصري الذي اتخذه اماما في البديع • ويرى ان القزويني وقف بالبديع فذكر ثلاثين ضربا من المعنوي ، وسبعة انواع من اللفظي، وذكر بينهما أمورا ملحقة بهايصلح أن تعد انواعا أخر ، ونبه على التداخل في بعضه •

واضاف السبكي انواعا كثيرة هي : التوقيف ، والتسميط ، والتغاير ، والقسم ، والسلب ، والايجاب ، والاستدراك ، والتلفيق ، وجمع المختلفة والمؤتلفة ، والتوهم ، والاتساع ، وسلامة الاختراع من الابتداع ، والتوليد ، والنوارد ، والالجاء ، والتخير ، والتنظير ،

⁽۱) عروس الافراح ج٤ ص ٢٨٤ .

⁽٢) عروس الاقراح ج ٤ ص ٢٨٥٠

والاستقصاء ، والتشكيك ، والبراءة ، والتسليم ، والافتنان ، واثبات الشيء للشيء بنفيه عن غيره ، والترديد ، والتعطف ، والتوسع ، والتطريز ، والمؤاخاة ، والاستطراد ، والاشارة ، والاقحام ، والاقصال، والبسط ، والتنبيم ، والتوشيح ، والتكرار ، والمراجعة ، والتذييل ، والاعتراض ، والمتابعة ، والتعريض ، والتهكم ، والائتلاف ، والخطاب العام ، والتغليب ، واللغز ، والابداع ، والكلام الجامع ، وارسال المثل ، والترقي ، والاقتباس ، والمواربة ، والهجاء ، والتخيير ، وحصر الجزئي في الكلي (۱) .

ويلاحظ أن بعض هذه الانواع كالتتميم ، والتكرار ، والتذييل ، والاعتراض ، والتغليب ، والخطاب العام ، قد ادخلها القزويني في علم المعاني ، وأن بعضها الآخر كارسال المثل تكلم عليه في مجاز التمثيل ، وتحدث عن الاقتباس في ملحق علم البديع .

ومهما يكن من شيء فان بحث السبكي في البلاغة احسن من بحث القزويني ، وانه استطاع أن يتمثل البلاغة الكلامية والادبية ويمزج بينهما ويخرج لنا كتابا ـ ان لم يكن رائعا حقا ـ فهو اكثر فائدة من كتابي الخطيب القرويني •

 ⁽۱) ينظر عروس الافراح ج ٤ ص ٢٦٧ _ ٤٧٤ .

التفتازاني

لم تحتضن بيئة مصر العربية وحدها «مقتاح العلوم» و «تلخيصه» وانما احتضنته بيئة السكاكي ، ومناطق بلاد فارس ، وما وراء النهر ، ومناطق تركستان ، وكان فيها كثير من العلماء الذين شرحوا مفتاح العلوم وتلخيصه كالتفتازاني الذي يقول عنه ابن خلدون وهو يتحدث عين الحضارة في هذه المنطقة :

« وبقي بعض الحضارة في ما وراء النهر ، لما هناك من الحضارة بالدولة التي فيها ، فلهم بذلك حصة من العلوم والصنائع لا تنكر ، وقد دلنا على ذلك كلام بعض علمائهم من تآليف وصلت الينا الى هذه البلاد وهو سعد الدين التفتازاني ، وأما غيره من العجم فلم نر لهم من بعد الامام ابن الخطيب ونصير الدين الطوسي كسلاما يعول على نهايته في الاصابة » (۱) ،

وهذا العالم الجليل ، سعد الـــدين مسعود بن عمرو المشهور بالتفتازاني(٢٩عهـ)(٢) • كان عالما بالنحو، والصرف، والمنطق، والبلاغة،

⁽۱) مقدمة أبن خلدون ص ٥٤٥ .

⁽٢) تنظر ترجمته في البدر الطالع ج٢ ص ٣٠٣ ، وبفية الوعاة ص ٣٩١ ، ومفتاح ا٣٩٠ ، ومفتاح السعادة ج١ ص ١٦٥ ، ودائرة المعارف الاسلامية ج٥ ص ٣٣٩ ، والاعلام ج٨ ص ١١٣ ، ورايخ الادب العربي في العراق ج١ ص ١٨٩ وتاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالهاص١٥١ ، وهديه العارفين ج٢ ص ٣٠٠ .

والاصول ، والتفسير ، وله في البلاغة شرح القسم الثالث من « مفتاح العلوم » وشرح التلخيص : المطول والمختصر ،

كتاباه:

وكتاباه المطول والمختصر من خيرة الكتب التي تمثل الاتجاه الكلامي في البلاغة و فعندما كان في جرجانية خوارزم لمعت في ذهنه فكرة شرح تلخيص مفتاح العلوم و لانه وجده مختصرا و جامعا لغرر اصول هذا الفن وقواعده و حاويا لنكت مسائله وعوائده و محتويا على حقائق هي لباب آراء المتقدمين و منطويا على دقائق هي تتائج افكار المتأخرين و مائلا عن غاية الاطناب و نظرية الايجاز و لايحاء عليه مخايل السحر ودلائل الاعجاز:

نفي كل ِ لفظ منه روض" من المنى وفي كل سطر منه عقد "من الدر (١)

وانكب على شرح التلخيص ساهرا الليسالي ، متجرعا غصص العيش حتى اناخ بهراة ، وفيهاتهيا له الفراغ من نقل الشرح الى البياض في يوم الاربعاء الحادي عشر من صفر سنة ٧٤٨ هـ ، وكان الافتتاحيوم الاثنين الثاني من رمضان سنة ٧٤٨هـ بجرجانية خوارزم، وهذا هو الشرح المطول على التلخيص ، وعمله فيه كما شرحه بقوله:

« وبذلت الجهد في مراجعة الفضلاء المشار اليهم بالبنان ، وممارسة الكتب المصنفة في فن البيان ، لا سيما « دلائل الاعجاز » و « أسرار البلاغة » ، فلقد تناهيب في تصفحهما غاية الوسع والطاقة ، ثم جمعت لشرح هذا الكتاب ما يذلل صعاب عويصاته الادبية ، ويسهل طريق الوصول الى ذخائر كنوزه المخفيّة ، وأودعته فرائد نفيسة وشحت بها القدماء ، وفوائد شريفة سمحت بها اذهان الاذكياء ، وغرائب نكت

١١) المطول ص ٣٠

اهتديت اليها بنور التوفيق ، ولطائف قد اتخذتها من حين التحقيق ، وتمسكت في دفع اعتراضاته بذيل العدل والانصاف ، وتجنبت في رد ما اورد عليه مذهب البغي والاعتساف ، وأشرت الى حل اكثر غوامض المفتاح والايضاح ، ونبهت على بعض ما وقع من التسامح للفساضل العلامة في شرح المفتاح وأومأت الى مواضع زليّت فيها اقدام الآخذين في هذه الصناعة ، واغمضت عما وقع لبعض متعاطي هذا الكتاب من غير بضاعة ، ورفصت التأسي بجماعة حظروا تحقيق الواجبات ، وما فرضت على نفسي سننهم في تطويل الواضحات » (۱) .

وألكح عليه كثير من الفضلاء أن يختصره ، ويقتصر على بيان معانيه وكشف استاره ، فوضع كتبابا آحر هو الشرح المختصر على التلخيص او الشرح الصغير ، وقد انتهى منه في غجدوان سنة ٧٥٦ هـ، وأهداه الى ابي المظفر السلطان محمود جاني بك خان » (٢) .

منهجه:

ولا يخرج الكتابان عما اختطه السكاكي ، ورسمه القزويني، وقد اتبع خطة الشراح السابقين ، وهي أن ويخذ العبارة او الكلمة ويشرحها وقد يخرج عن الشرح فيفند رأيا ، أو يقبل آخر ويدعمه ، ودافع عن السكاكي والقزويني، وفندبعض آرائهما في كثير من الاحيان واسلوبه فيهما ركيك تشوبه العجمة ، وتفقد طراوته المصطلحات الفلسفية ، والنظرات العقلية ، والعبارات الكلامية التي تجعل الكلام صعبا ، وتجعل الاسلوب معقدا ، ولم يستطع التفتازاني ان ينجومن سيطرة النزعة العقلية والفلسفية ، وقد افست المجال لها لتفسد البلاغة وتجور عليها ، وإلا فاي معنى لقوله في التشبيه : « والحركة عند المتكلمين حصول الجسم في مكان بعد حصوله في مكان آخر ، اعني انها عبارة

⁽۱) المطول ص } .

۲۱ الخنصر ج۱ ص ۳۰ ۰

عن مجموع الحصولين ، وهذا مختص بالحركة الاينية ، وعند الحكماء هو الخروج من القوة الى الفعل على سبيل التدريج » (١) .

ومثل هذا كثير في شرحه ، ولا غرابة في ذلك ، فقد كان راسخ القدم في علم الكلام ، وأصول الفقه ، يقول ابن خلدون :

« ولقد وقفت بمصر على تآليف متعددة لرجل من عظماء هراة من بلاد خراسان يشهر بسعد الدين التفتازاني ، منها في علم الكلام ، وأصول الفقه ، والبيان ، تشهد بان له ملكة راسخة في هذه العلوم ، وفي اثنائها ما يدل على ان له اطلاعا على العلوم الحكمية ، وقدما عالية في سائر الفنون العقلية » (٢) ،

ولم يقتصر شرحه على مفتاح العلوم وتلخيصه ، وانما اعتمد على آراء المتقدمين من علماء العربية والبلاغة كالمبرد ، والمرزوقي ، وعبد القاهر ، والزمخشري ، والرازي ، وابن سينا ، وابن الاثير ، ورجح آراءهم احيانا ، غير أنه لم يخرج عن منهج السككاكي والقزويني ، وبحثهما البلاغي ، لانه لم يكن في الواقع إلا شارحا لتلخيص « مفتاح العلوم » ، وقد اشتهر بهذين الشرحين ، وبقي الكتابان عمدة الدرس حتى العصر الحددث ،

اعجابه بالقزويني:

والتفتازاني مُعْجَبٌ بالقزويني ، مُعَنظُّمٌ له ، يقول عنه :

« الامام العلامة عمدة الاسلام ، قدوة الانام ، أفضل المتأخرين ، أكمل المتبحرين ، جلال الملة والدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب بجامع دمشق » (٦) • ويرى أن كتاب التلخيص من أروع كتب البلاغة وأحسنها ، لذلك عكف على شرحه ، وايضاح مبهمه بعد

⁽۱) المطول ص ۳۱۳ .

⁽٢) مقدمة ابن خلدون ص ٨١ ٠

⁽٣) المطول ص ٣ ٠

أن رأى اكثرهم حرموا توفيق الاهتداء الى ما فيه من مطويات الرموز والاسرار • ولكنه قسا عليه ، ورجّح آراء عبدالقاهر والسكاكي ، يقول في تفنيد أحد أقواله:

« فكأنه لم يتصفح دلائل الاعجاز حق التصفح ، ليطلع على ما هو مقصود الشيخ »(١) • وسنقف عند بعض آرائه لنرى مدى اتفاقهما واختلافهما •

مع القزويني:

نجد التفتازاني يتصدى للقزويني منذ اول الكتاب ، فيقول عنه :

« ولعمري لقد أفرط المصنف في وصف القسم الثالث بان فيه حشواً ، وتطويلاً ، وتعقيدا ، تصريحا أولا وتلويحا ثانيا على ما ذكرنا ، وتعريضاً ثالثا حيث وصف مؤلفه بانه مختصر ، منقح ، سهل المأخذ ، أي : لا تطويل فيه ، ولا حشو ، ولا تعقيد كما في القسم الثالث »(٢).

الفصاحة:

واختلف عنه في بعض الامور المتعلقة بالفصاحة تارة ، ووجَّه كلامه تارة اخرى • فقد ذكر القزويني أن بعضهم يرى أن من فصاحة المفرد : خلوصه من الكراهية في السمع نحو :

مبارك الاسم أغر" اللقب° كريم الجرشكي شريف النسب°

ولكنه يقول ان في هذا نظراً ، ولم يوضحه ، فيأتي التفتازاني ويوجه كــــلامـــه قــــائلا :

« وفيه نظر ، لانها داخلة بحت الغرابة المفسرة بالوحشية لظهور ان الجرشتى اما من قبل « تكأكأتم »و « افرنقعوا » و« الجحيش »و

المطول ص ۲۸ .

١٢) المطول ص ١٢٠ .

« اطلخكم » • وقد ذكرِ ههنا وجوه :

الأول: انها ان ادت الى الثقل ، فقد دخلت تحت التنافر ، وإلا فلا تخل بالفصاحة .

الثاني: ان ما ذكره هذا القائل في بيان هذا الشرط ان اللفظ من قبيل الاصوات فاسد ، لان اللفظ ليس بصوت بل كيفية له ، وضعف هذين الوجهين ظاهر .

الثالث: ان الكراهية في السمع راجعة الى النغم ، فكم من لفظ فصيح يُستكره في السمع اذا أدي بنغم غير متناسبة ، وصوت منكر ، وكم من لفظ غير فصيح يستلذ اذا أدي بنغم متناسبة وصوت طيب ، وليس بشيء المقطع باستكراه « الجرشي » دون النفس سواء أدي بلحن حسن أو غيره عوكذا « جفخت » و « ملع » ، دون « فخرت » و « علم » ، دون « فخرت »

والرابع: ان مثل ذلك واقع في التنزيل كلفظ « ضريزى » (١) و « دُسْر » (٢) و نحو ذلك (٣) ٠

ووجه كلام القزويني في نقد بيت أبي تمام :

كريم متى أمَّدحه امدحه والورى معى واذا ما لمُتهُ لمته و حمَّدي

يقول: قال المصنف فان في « امدحه » ثقلا لما بين الحاء والهاء من القرب ، ولعله اراد ان فيه شيئا من الثقل والتنافر ، فاذا انضم اليه « امدحه » الثاني تضاعف ذلك الثقل ، وحصل التنافر المخل بالفصاحة، ولم يرد أن مجرد « امدحه » غير فصيح ، فان مثله واقع في التنزيل نحو « فسبحه » (1) ، والقول باشتمال القرآن على كلام غير فصيح مما لا

⁽۱) قال تعالى في صورة النجم الآية ٢٢ • « تلك انن قسمة ضيزى » •

⁽٢) قال تعالى في سورة القمر ، الآبة ١٣ : « وحملناها على ذات الواح دسر » .

⁽٣) المطول ص ١٩ ٠

⁽٤) قال تعالى في سورة ق ، الآية . ٤ : « ومن الليل فسبحه وادبار السجود » .

یجتریء علیه المؤمن »(۱) .

و َرَدَّ عليه في كثره التكرار وتتابع الاضافات ، لانه ورد عن الرسول الكريم (ص) وفي شعرالفحول ، وهذا ما أشار انيه عبدالقاهر، والقزويني نفست .

ومما يحمـــد للتفتازاني انه يرجع كثيرا من معرفة الفصاحة الى الذوق ، وان ما يعده الذوق نافرا أو غريبــا أو وحشيا ، فهو المخل بالفصاحة ، وبذلك يعود الى ما صرح به ابن سنان وابن الاثير .

علم المعاني:

ولم يوافق القزويني في تعريف المعاني ، وفي رده على السكاكي هذا انتعريف ، ويرى ان تعريف السكاكي احسن وأكثر دلالة ، وهذاحق فقد أبان السكاكي في تعريفه خير ابانة عن هذا العلم، اما تعريف القزويني فلم يوضح علم المعاني توضيحا كاملا ، ولذلك يقول التفتازاني: «والعجب من المصنف وغيره كيف خفي عليهم هذا المعنى مع وضوحه، وكيف ظنوا بالسكاكي انه أخذ في تعريف بلاغة المتكلم تراكيب البلغاء فعرف الشيء بنفسه ، ومفاسد قلة التأمل مما يضيق عن الاحاطة بها نطاق البيان »(٢) وبعد هذا يرى أن : « الاوضح في تعريف علم المعاني ، انه علم يعرف به كيفية تطبيق الكلام العربي لمقتضى الحال »(٣) .

ولم يعجب بتقسيم القزويني لمباحث علم المعاني لذلك يقول:

«هذا كله ظاهر ، لكن لا طائل تحته ، لان جميع ما ذكر من القصر، والوصل والفصل ، والايجاز ومقابليه انما هي من احوال الجملة ، أو المسند اليه او المسند ، فالذي يهمه ان يبين سبب افراد هذه الاحوال عما سبق ، وجعل كل منها بابا برأسه ، والا فنقول :كل من المسند والمسند

⁽۱) المطول ص ۲۰ .

⁽٢) المطول ص ٢٦ .

⁽٣) المطول ص ٣٦ .

اليه مقدم ، أو مؤخر ، معرف او منكر ، الى غير ذلك من الاحوال . فلم لم يجعل كل من هذه الاحوال بابا على حدة ؟ ومن رام تقدير هذا بالترديد بين النفي والاثبات ففساد كلامه أكثر واظهر ، فالاقربان يقال : اللفظ اما مفرد ، أو جملة ، فاحوال الجملة هي الباب الاول ، والمفرد اما عمدة او فضلة ، والعمدة المسند اليه او المسند ، فجعل هذه الاحوال الثلاثة أبوابا ثلاثة تمييزا بين الفضلة ، والعمدة المسند اليه او المسند ، ثم لما كان من هذه الاحوال حالة مزيد غموض ، وكثرة أبحاث ، وتعدد طرق ، وهو القصر أفرد بابا خامسا ، وكذا أحوال الجملة ما له مزيد شرف ولهم به زيادة اهتمام وهو الفصل والوصل ، واحوال الفصل والوصل ، وكان له شيوع وتفاريع كثيرة ، جعل بابا سابعا، وهذه كلها أحوال يشترك فيها الخبر والانشاء ، ولما كان ههنا ابحاث راجعة الى الانشاء خاصة جعل الانشاء بابا ثامنا ، فانحصر في ثمانيدة أبواب »(۱) ،

ولا يرى ما يراه القزويني من ان المجاز العقلي من مباحث المعاني، لان علم المعاني يبحث عن الاحوال المذكورة من حيث انها يطابق بها اللفظ مقتضى الحال • وظاهر ان البحث في الحقيقة والمجاز العقلين ليس من هذه الحيثية ، فلا يكون داخلا في علم المعاني ، والا فالحقيقة والمجاز اللغويان أيضا من احوال المسند اليه أو المسند (٢) • وان تعريفه للسناد المجاز العقلي غير تام لانه خرج من تعريفه للاسناد المجازي امران .

أحدهما: وصف الفاعل على المفعول بالمصدر نحو « رجل عدل »، و « فانما هي اقبال وادبار » •

والثاني: وصف الشيء بوصف محدثه وصاحبه مثل « الكتاب

١١ المطرل ص ٣٧ ــ ٣٨

٢٠) المطرل ص ٥٤ .

الحكيم » ، و « الاسلوب الحكيم » • فان المبني للفاعل قد اسند الى المفعول ، لكن لا الى المفعول الذي يلابسه ذلك المسند ، بل فعل آخر من افعاله مثل « نشأت الكتاب » •

ويوجه كلام القزويني قائلا :

« ويمكن الجواب عن الاول بانه ليس عنده بمجاز ، كما انه ليس بحقيقة ، وعن الثاني بان الملابسة اعم من ان يكون بواسطة حرف او بدونها • وهذه الصور من قبيل الاول اذ الاصل « هو حكيم في اسلوبه» و « كتابه » و « بعيد » و « أليم في ضلاله وعذابه » ، فيكون مما بني للفاعل، واسند الى المفعول بواسطة ، فتأمل وقيس عليه نظائره » (١) •

علم البيان:

وعندما جاء التفتازاني الى بحث علم البيان التفت التفاتة حسنة الى تعريفه وتقسيم مباحثه ، ورأى ان ادخال الدلالات في هذا البحث لا قيمة له ، يقول بعد ان تحدث عنها :

«هذا هو الكلام في شرح علم البيان على ما اخترعه السكاكي ، وانت خبير بما فيه من الاضطراب ، والاقرب ان يقال ، علم البيان : علم يبحث فيه عن التشبيه ، والمجاز ، والكناية ، ثم يشتغل بتفصيل هذه المباحث من غير التفات الى الابحاث التي اوردها في صدر هذا الفن» (٢) ، وهذه التفاتة حسنة منه ، ولذلك نجده ينقد السكاكي ، ومن سنر على منهجه في التبويب والتقسيم ، يقول وهو يتكلم على وجه انشبه وتقسيماته : « واعلم ان امثال هذفه التقسيمات التي لا تتفرع على اقسام أحكام متفاوتة قليلة الجدوى ، وكأن هذا ابتهاج من السكاكي باطلاعه على اصطلاحات المتكلمين ، فلله در الامام عبد القاهر واحاطت باسرار كلام العرب وخواص تراكيب البلغاء ، فانه لم يزد في هذا المقام باسرار كلام العرب وخواص تراكيب البلغاء ، فانه لم يزد في هذا المقام

⁽۱) المطول س ۸۵ .

۱۱) المطول ص ۳۱۹ .

. .

على التكثير من امثلة إنواع التشبيهات وتحقيق اللطائف المودعة فيها» (١) .

ونقد القزويني في تحديده أنواع العلاقة في المجاز المرسل ، فقد ذكر منها تسعة غير ما في اطلاق اليد على النعمة ، والقسدرة بعلاقة السببية الصورية ، واطلاق الراوية على المزادة بعلاقة المجاورة ، ويرى ان العلاقة المعتبرة كثيرة ترتقي على ما ذكره علماء البلاغسة الى خمسة وعشرين ، ونبه الى سهو القزويني في أحد انواع المجاز المرسل ، فقد ذكر ان من امثلة تسميته السبب باسم المسبب قولهم « فلان أكل الدم» أي : الدية المسببة عن الدم ، وهو سهو بل هو من تسميسة المسبب باسم السبب المه من تسميسة المسبب باسم السبب » نه المدين ، وهو سهو بل هو من تسميسة المسبب باسم السبب » المدين ، وهو سهو بل هو من تسميسة المسبب باسم السبب » المدين ، وهو سهو بل هو من تسميسة المسبب السبب » المدين ، وهو سهو بل هو من تسميسة المسبب السبب » المدين ، وهو سهو بل هو من تسميسة المسبب » السبب » المدين ، وهو سهو بل هو من تسميسة المسبب » المدين ، وهو سهو بل هو من تسميسة المدين ، وهو سهو بل هو من تسميسة المسبب » المدين ، وهو سهو بل هو من تسميسة بالسبب » المدين ، وهو سهو بل هو من تسميسة بالسبب » المدين ، وهو سهو بل هو من تسميسة بالمدين ، وهو سهو بل هو من تسميسة بالمدين ، وهو سهو بل هو من تسميسة بالسبب » المدين ، وهو سهو بل هو من تسميسة بالمدين ، وهو سهو بل هو من تسميسة بالسبب » المدين ، وهو سهو بل هو من تسميسة بالمدين ، وهو سهو بل هو من تسميسة بالمدين ، وهو سهو بل هو من تسميسة بالمدين ، وبدين ، وبدين

ور دَ عليه في تعريف الاستعارة والاستعارة بالكناية ، يقول: «ولكن تفسير الاستعارة بالكناية بما ذكره المصنف لا مستندله في كلام السلف ، ولا هو مبني على مناسبة لغوية ، ومعناها المأخوذ من كلام السلف هو ان لا يصرح بذكر المستعار ، بل بذكر رديفه ولازمله الدال علمه »(٦) .

علم البديع:

وليس في بحثه للبديع جديد ، ولكنه اضاف ثلاثة اقسام الى « رد العجز على الصدر » ، وذلك ان التفتازاني قسمه الى ستة عشر نوعا حاصلة من ضرب اربعة في اربعه ، وقد اورد القزويني ثلاثة عشر واهمل ثلاثة ، يقول التفتازاني : « واما الامثلة الثلاثة التي اهملها المصنف ، فمثال ما يقع احد الملحقين اللذين يجمعهما شبه الاشتقاق في آخر البيت والملحق آخر صدر المصراع الاول قول الحريري :

ولاح َ يلحي على جري العنان الى للهجي ، فسحقاله من لائح ٍ لاح ِ

١) المطول ص ٣١٩ .

۲۱: المختصر ج٤ ص ٢٨ ـ ٣٩ -

⁽٣) المختصر ج } س ١٥٨ .

فالاول ماضي يلوح ، والآخر اسم فاعل من لحاه . ومثال ما وقع الملحق الآخر في آخر المصراع الاول قوله :

ومضطلع بتلخيص المساني ومطَّلع الى تخليص عساني فالاول من عنى يعني، والثاني من عنا يعنو • ومثال ما وقع الملحق الآخر في صدر المصراع الثاني قول الاخر:

لعمري لقد كان الثريا مكانه ثراء فاضحى الآن شواه في الثرى

ويذكر في البديع بعض ما تركه القزويني كالتحسين في الحط ، والموصل، والمقطع ، والخيفاء ، والرقطاء ، والحذف ، والترديد ، والتعسديل أو سياق الاعداد ، والايضاح ، وحسن البيان .

السبيد الشريف

وقد أثار التفتازاني حركة قوية في التأليف في البيئة الفارسية علي والبيئة العربية ، وكان من معاصري التفتازاني في البيئة الفارسية علي ومحمد بن علي السيد ابو الحسن الحسيني الجرجاني الاسسترابادي الشهير بالسيد الشريف (٨١٦ هـ) (١) • كان محبا للتفتازاني ، وكتب حاشية على شرحه المطول ، وكان « في مبادىء التأليف يغوص في بحار تحقيقه وتحريره ، ويلتقط الدرر من تدقيقه وتسطيره ، ويعترف برفعة شأنه ، وجلالته ، وقدر فضله ، وعلو مقامه »(٢) • ولكنه خاصمه وناوأه ، وجرت بينهما مناقشة عنيفة في بلاط تيمور لنك سنة ٧٩١ هـ ، وكان مقدما عنده ولكن تيمور كان يرجح السيد ويقول : « لو فرضنا انهما مقدما عنده ولكن تيمور كان يرجح السيد ويقول : « لو فرضنا انهما السيد على التفتازاني وأول مناظرة جرت بينهما في مسألة كون ارادة الانتقام سببا للغضب أو الغضب سببا لارادة الانتقام ، فالتفتازاني يقول بالاول ، والشريف يقول بالثاني • واختلف الناس في عصرهما، وفيما بعده من الحق في جانب الشريف قول بالثاني • واختلف الناس في عصرهما، وفيما بعده الحق في جانب الشريف (٤) • وجرى بينهما بحث في اجتماع الاستعارة الحق في جانب الشريف (٤) • وجرى بينهما بحث في اجتماع الاستعارة الحق في جانب الشريف (٤) • وجرى بينهما بحث في اجتماع الاستعارة الحق في جانب الشريف (٤) • وجرى بينهما بحث في اجتماع الاستعارة الحق في جانب الشريف (٤) • وجرى بينهما بحث في اجتماع الاستعارة المتعارة المتعارف المتعارة المتعارة المتعارة المتعارة المتعارة المتعارة المتعارف المتعارة المتعارف المتعارة الم

⁽۱) تنظر ترجمته في بغية الوعاة ص ٣٥١ ، والبدر الطالع ج٣ ص ٨٨} ، ودائسرة المارف الاسلامية ج٢ ص ٣٣٣ والقواعد البهبة ص ١٣٥ ، وروضات الجنات ص ٢٧) ، وهديه العارفين ج١ ص ٧٢٨ .

⁽٢) الفوائد البهية ص ١٣٦٠

⁽٣) الفوالد البهية ص ١٢٨٠

الغوائد البهية ص ١٢٩ ـ ١٣٠ .

التبعية والتمثيلية في كلام الزمخشري في قوله تعالى: «اولئك على هدى من ر بسمم »(١) • وكان الحكم بينهما نعمان الدين الخوارزمي المعتزلي فرجح السيد ، واشتهر عند الخواص والعوام غلبة السيد بالافحام فاغتم لذلك التفتازاني ، فلم يبق بعد هذه الواقعة الاقليلا ومات بسمرقند سنة ٧٩٧هـ(٢) •

وكتبت عن هذه المناظرة بحوث بقي لنا اثنان منها محفوظان بدار الكتب بالقاهرة هي « مسالك الخلاص في مهالك الخواص »لطاشكبري زادة ، ورسالة في تحقيق الاستعارة التمثيلية ، ونقل ما جرى فيها من البحث بين السعد والسيد الشريف .

وللسيد الشريف كتابان في البلاغة هما: «شرح القسم الثالث من مفتاح العلوم » و «حاشية على الشيرح المطول على التلخيص » للتفتازاني ، انتقد فيهما مواضع كثيرة من كلام السعد ، ولكن انتقاداته في الواقع لم تكن ذات قيمة ، وقد صدق محمد الكافيجي حينما قال: « ان السيد وقطب الدين الرازي التحتاني لم يذوقا علم العربية ، بل كانا حكيمين »(٣) ، وان مشاركته في التأليف في العربية لم تكن في الواقع مشاركة لها قيمتها واثرها ، ولا نذهب بعد ان درسال حاشيته كما ذهب اليه طاشكبري زادة حينما قال معلقا على كلام محمد الكافيجي السابق: «هذا الكلام خروج عن الانصاف ولا يلزم من عدم انفرادهما بعلم العربية ، ومشاركتهما لسائر العلوم عدم معرفتهما فانظر بالانصاف تجد في تصانيفهما مباحث تتعلق بالعربية قد عجز عنها القدماء من ارباب العلوم العربية » ،

وضع الجرجاني حاشيته على شرح السعد ، ليوضح مقاصده ، وينبه على مزالته يقول : « وبعد فهذه حواش على الشسرح المشهور لتلخيص المفتاح ، كنت قد قيدتها عليه مجملة حالما قرأه علي " بعض

⁽۱) سورة البقرة ، الآية ه .

⁽٢) مفتاح السعادة ج١ ص ١٦٧٠

⁽٣) مفتاح السعادة ج١ ص ١٦٧٠

أحبتي فسألوني بعد أمد ان أفصلها ، وانقدها ، ففعلت مستعينا بالله ، ومتوكلا عليه ، فجاءت بحمد الله تعالى مشتملة على فوائد منها ما هو توضيح لمقاصده ، وتنقيح لدلائله ، ومنها ما هو تنبيه على مزاله، وتبيين لوجوه اختلاله ، ومنها ما هو ذكتة متعلقة بذلك المقام وان لم يكن مما يساق اليه الكلام ، وعساك اذا تأملت فيها ، متمسكا بذيل الانصاف ، ومتجنبا عن ذلك مسلك الاعتساف ظفرت بما تستعين به على تحقيق اصول من البلاغة في مواضع شتى ، وتتسلق به الى فروعها كما تحب وترضى ، وانكشفت لك مطالب جليلة من عبارات القوم قد زلَّ عنها اذهان اقوام تاهوا فيها خصوصا في مباحث التعريفات ، وتحقيق أقسام الوضع ، ومعنى الحرف ، وأنواع الدلالات ، وفي الكشف عن زبدة التعريض ، وحقائق الاستعارات » (۱) ،

واذا حققنا في هذه المسائل التي اشار اليها ، رأينا انه وفي بوعده في تحديد التعريفات وضبطها ، وكيف لا يفعل هذا وهو مؤلف كتاب التعريفات الذي حدد فيه المعاني الاصطلاحية للالفاظ العربيسة على مصطلح العلوم في أيامه .

اما تحقيقاته فلا قيمة لها في نظرنا ، وهي لا تخرج عسا ذكره السكاكي والقزويني والتفتازاني ، وان كان يخالفهم احيانا • ولعسل احسن ما ذكره في الحاشية قوله عن البحث في اللذة والالم في بساب التشبيه ، يقول : « تعريف اللذة والالم بما ذكره منقول عن الاشارات ، ولا يخفى عليك ان ايراد امثال هذه التحقيقات في امثال هذه المقامات مما لا يجدي للمتعلم نفعا ، بل ربما زاد حيرة في تفاصيل هذه المعاني ودقائق العبارات ، فالاولى بحال هذه العلوم ان يقتصر فيها عنى الامور العرفية وما يقرب منها • ولعل ذلك افتخار منه باطلاعه على العلوم العقلية وما ذكر فيها من التدقيقات » (٢) •

⁽۱) حاشية السيد الشريف ص ٣ ـ ٥ .

⁽٢) حاشية السيد الشريف ص ٣١٤٠

ابن يعقوب المضربي

الجزائر شرحا على مختصر سعدالدين التفتازاني سماه « مواهب الفتاح في شرح المفتاح » • ألفه بطلب واشارة من مولاه محمدبن اسماعيل(١) • وقد وضعه بعد أن رأى في الشرح المختصر للسعد غموضا وابهاما . يقول وهو يتكلم على التلخيص: « ثم ان الامام سعد الدين رحمه الله تعالى ممن صرف عنان العناية لشرح معانيه ، وتصدى لاستخراج لطائف مبانيه ، فوضع عليه مختصراً ومطولا ، وكان المختصر من الشرحين لمتعاطيه ملجأ ومعولا، ولما وقفت معونالله تعالى لقراءة ذلك الشرحمررت فيه على غوامض ربما تعتاص على بعض الافهام ، ومحال كثيرة تفتقر لا محالة الى مزيد من الكلام ،وأكثرها لا يكفى فيه ما في المطول بل يحتاج الى خارج عما في ذلك الشرح من بيان ، او زيادة بها يتكمل . مرأيت أن اضع عليه شرحا يكون لذلك المختصر مجاريا لقصد بيان عويصه مع زيادة فوائد وأبحاث تتعلق بالحل تكميلا لتحقيقه وتلخيصه، فيكون للمتن شرحا ، وللشرح بسطا وفتحا »(٢) . وكان الفراغ من تأليفه بمكناسة يوم الجمعة منتصف النهـــار في الرابع والعشرين من المحرم سنة ١١٠٨ هـ ٠

⁽۱) مواهب الفتاح ج ا ص ؟

⁽۲) مواهب 'لفتاح ج۱ س ٤ _ ٥ .

والمغربي في هسندا الشرح يقتفي خطوات السعد ، ولا يحيد عن منهج السكاكي و وله بعض الآراء والردود ولكنها تنف متفرقه في كتابه الضخم ، ولعل أهم ما فيه مناقشته للتقسيم الدي سار عليا البلاغيون ، وخالفهم في الاعتبار الذي بنوا عليه ترتيب المعاني والبيان والبيان والبيان جزء من المعاني لانه داخل في مطابقة مقتضى الحال ، وهذه التفاتة حسنة ولكنه لم يطبقها ، ولم يؤلف كتابا في البلاغة ينهج فيه نهجا جديدا ، واكتفى بخدمة تلخيص مفتاح العلوم و

ومن بحوثه الطريفة بحث الايجاز والاطناب ، وكان هذا البحث عميقا ، وأضاف الى القزويني وغيره اضافات جديدة • وأهمها البحث في النسبة بين أنواع الاطناب ، وقد أجاد فيها ، وأحسن • ووقف كثيرا عند بعض الموضوعات وشرح وجهات النظر المختلفة ، وعلل بعضها تعليلا فلسفيا محضا ، وهو لذلك يعتذر عن اطنابه قائلا : «وقد أطنبت هنا لما في المحل من الحاجة الى مزيد تدقيق وبسط ، فليتأمل » •

وناقش نقاشا طويلا في تعريف الحقيقة ، وبين أن كثيرا من التعريفات التي ذكرت في حدها فاسدة ، وذكر وجوه ذلك الفساد والتمحل(١) .

ومن التفاتاته الحسنة ذهابه الى ان الاستعارة يمكن ان تكون مجازا مرسلا(٢) •

واطنب في بحث الاستعارة التبعية، وأجاد في تحقيق كون الاستعارة في الفعل تبعية (٢)، واحسن في بحث الاستعارة بالكناية والتخييلية، واجاد في شرح رد القزويني على السكاكي • وقال بعد ان انتهى «هذا تمام ما اورده المصنف في المباحثة على السكاكي ، وقد بسطت فيها القول

⁽١) مواهب الفتاح ، ج} ص ٨ وما بعدها .

⁽٢) مواهب الفناح ، ج٤ س ٢٦ ،

⁽٣) مراهب الفتاح . ج٤ ص ١١٢ ـ ١١٣ .

لتتبين ، اذ فيها غرض محتاج لهذا البسط »(١) •

ويغلب على كتاب مواهب الفتاح الطابع اللغوي ، فالمغربي يشرح الكلمات ، وببين اشتقاقها ، وما فيها من آراء .

مع القزويني:

وقد اثنى على تلخيص القزويني في مطلع الكتاب يقول : «ثم أن من احكم كتبه المتداولات الكتاب المسمى بتلخيص المفتاح ، فان فيه من اللطائف والمعاني ما لا تحيط بتحريره الحواشي والشراح (7) •

ولكنه مع ذلك لم يتفق معه في كثير من المسائل ، فرد عليه في المجاز العقلي ، فقد ذهب عبد القاهر الى انه ليس من اللازم ان يكون للفعل فاعل ، ولكن الخطيب القزويني يرى انه قد خفي الامر على عبد القاهر ، وقد تبع الرازي في هذه الناحية حيث قال : إن كل فعل لا بد له من فاعل لاستحالة صدوره بلا فاعل ، يقول المغربي :

« فاعتقد المصنف صحة هذا الكلام فقدر الفاعل في المثالين الله تعالى ، لانه الفاعل الحقيقي $^{(7)}$ •

ورد اعتراضاته على السكاكي في المجاز العقلي يقول: «واذاتمهد هذا وعلم ان الاعتراضات لا تتم الا بكون المراد بالفاعل المجازى هو الفاعل الحقيقي حقيقة ، واما ان اريد الفاعل الحقيقي بالادعاء سقطت الاعتراضات ، لان المراد بالمجازي نفسه ، إلا انه ادعى فيه انه غيره ، فاللازم على ذلك في نفس الامر كاللازم على عدم الادعاء اندفعت هذه الاعتراضات عن مذهب السكاكي اذا حقق ان مذهبه فيما ذكر الاطلاق على الفاعل الادعائي لا الحقيقي ، وهذا المذهب صرح به ، فتندفع به على الفاعل الادعائي لا الحقيقي ، وهذا المذهب صرح به ، فتندفع به على الفاعل الاعتراضات » (3) .

⁽۱) مواهب الفتاح ، ج٤ ص ٢٢٠ .

⁽۲) مواهب الفتاح ، ج۱ ص ٤ .

⁽٢) مواهب الفتاح ج١ ص ٢٦١ ٠

⁽٤) مواهب الفتاح ، ج١ ص ٢٧٠ .

ونرى المغربي يرجح كلام السكاكي على كلام القزويني في بحث فصر التعيين ، ويذكر ان في كلام القزويني خبطا ، والصواب ما عند السكاكي من اسقاط الشرطين اللذين ذكرهما القزويني • ورد على القزويني في الجامع العقلي والوهمي(١) •

وفي الوقت الذي يرى ان البيان جزء من المعاني نراه يسرف، في بحث الدلالات ويذكر أن تخصيص اسم الوضعية بالدلالة على تمام الموضوع له دون الدلالة على الجزء واللازم اصطلاح غير الناطقة ،وأما المناطقة فالوضعية اذا كانت لفظية عندهم فللوضع فيها مدخل ، فتدخل ذات الجزء واللازم وهي مقابلة عندهم للعقلية المحضة والطبيعية لا لذات الجزء واللازم (٢) و واستمر في هذا الشرح والتفريق بين كلام المناطقة وغيرهم ، ورد على من يحصر الوضوح في الدلالات العقلية ، وهذا اسراف في اسراف ، وان علم البيان لبعيد عن هذا كله .

ورد على القزويني كما رد على غيره في «أكل فلان الدم» ، لانه اتخذه مثالا لتسمية السبب باسم المسبب في المجاز المرسل ، وهو بحسب الظاهر سهو اذ الدم اسم السبب واطلق على مسببه الذي هو الدية الحاصلة عن الدم (٢) .

ورد عليه في الاستعارة التي في قوله تعالى: « فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عكوا و حَزَنا » (٤) ، لانه يذهب الى انها تصريحية على اعتبار ان التبعية عنده من التصريحية ، وجعل متعلق معنى الحزن هو المجرور ، يقول: « وهو غير مستقيم على ما ذهب اليه المصنف من ان الاستعارة في ذلك تصريحية ، ودلك لان المذكور في التصريحية يجب أن يكون هو المشبه به سواء كانت تبعية أو اصلية » (٥) .

⁽۱) مواهب الفتاح . ج٣ ص ٨٢ ، ١٠٧ – ١٠٨ ، ١٨١ .

⁽٢) مواهب الفتاح ، ج٣ ص ٢٦٥ .

⁽٣) مواهب الفتاح ، ج ٤ ص ٣٩ .

⁽١) سورة القصص ، الآية ٨ .

⁽٥) مواهب الفتاح ، ج ٤ ص ١٢١ .

وكرر المغربي ما قاله التفتازاني من ان ما فسلم به القزويني الاستعارة بالكناية وهو اضمار التشبيه في النفس شيء لا مستند له في كلام السلف، ولا هو منبى على المناسبة اللغوية ، يقول: «أما عدم بنائه على المناسبة اللغوية فلان اضمار التشبيه ليس فيه نقل لفظ الى غير معناه فيكون مناسبا لان يسمى بالاستعارة كما يناسب نقل اللفظ الذى هو المجاز اللغوي ، واما كونه لا مستند له في كلام السلف فلانه لم ينقل عن احد منهم مثل ما ذكر المصنف ، نعم الشيخ عبد القاهر ذكر فيما سماه المصنف تخييلا ما يناسب ما ذكره المصنف فقال: في « يلد الشمال » ان اليد ثبتت للشمال مع انها ليست مسن لوازمه لا لمعنى الشمال » ان اليد ثبتت للشمال مع انها ليست مسن لوازمه لا لمعنى ولكن لم يستم التشبيه الذي جعلت « اليد » دليلا عليه استعارة لا ولكن لم ينستم التشبيه الذي جعلت « اليد » دليلا عليه استعارة لا بالكناية ولا بغيرها ، وانما قال: « اليد استعارة » ولكن لا لشيءيشار اليه اشارة حسية او عقلية ، بل استعير ليدل على التشبيه » (۱) .

وذكر ان مذهب السكاكي في قول الشاعر:

واذا المنية أنشبت اظفارها ألفيت كُلُّ تميمة لا تنفع

هو انه جعل المنية استعارة بالكناية لانها استعيرت للسبع ادعاء ، وجعل التخييلية هي الاظفار على انها نقلت لصورة وهمية .

وذكر مذهبا ثالثا في الاستعارة بالكناية وهو ان ايجاد الاستعارة بالكناية بأن يكون ثم لفظ قصد استعارته بعد المبالغة في التشبيه،ولكن لا يصرح بذلك اللفظ بل يذكر رديفه الدال عليه الملازم له ، لينتقل من الى ذلك المستعار على قاعدة الكناية في ان ينتقل من اللازم المساوي الى الملزوم ، فقولنا « اظفار المنية نشبت بفلان » يقصد بالاظفار فيه ان تكون كناية عن السبع المقصود استعارته للمنية كاستعارة « أسد »

⁽۱) مواهب الفتاح ج؟ ص ۱۵۸٠

للرجل الشجاع ، فاذا استعمل هذا القصد فقد صح انا لم نصرح بالمستعار المقصود الذي هو السبع بل كنينا عنه ، ونبهنا عليه بمرادفه لينتقل منه الى المقصود استعارته ، فيتحقق بهذا الاعتبار هنا مستعار منه ، وهو حقيقة الاسد الذي هو الحيوان المفترس والمستعار له وهو المنية واللفظ المستعار وهو لفظ السبع الذي لم يصرح به ، ولكرن كنتينا عنه برديفه ، فلفظ السبع يناسب ان يسمى استعارة على هذا ، لانه منقول حكما ، وكونه بالكناية ومكنيا عنه برديفه أمر واضح على هذا ،

ويرى المغربي ان هذا المذهب اقرب المذاهب ، وأنسبها بالتسمية اللغوية ، وهذا هو الرأي الذي صرح به الزمخشري في الكشاف كما فهمه عن الاقدمين (١) .

ووافق السكاكي في اعتبار الاستعارة التمثيلية من الاستعارة التحقيقية ، وعلق على ذلك قائلا: « واجيب عن هذا باذ السكاكيانما عد التمثيل من مطلق الاستعارة الشاملة للافرادية والتركيبية ، لان مكلف الاستعارة التصريحية التحقيقية أعم من الاستعارة التي هي مجاز في المفرد ، واذا كان العكث انما هو من مطلق الاستعارة الشاملة لما يوجد فيه التركيب فعد التمثيل منها صحيح اذ غايته ان مطلق الاستعارة تكون تمثيلا مستئرما للتركيب وهو صحيح لصحة ملاقاتها حيئية للتركيب ، وانما يرد البحث لو عكاها من الافرادية » (*) ،

ووافقه في مجاز الحذف ، لان السكاكي يرى ان الموصوف بالتجوز المذكور والمسمى بلفظ المجاز هو الاعراب نفسه ، فالنصب في « القرية » في قوله تعالى : « واسأل القرية » يوصف بانه تجوز فيه بنقله لغير محله ، لان القرية بسبب التقدير في محل جر ، وقد اوقع

⁽۱) مواهب الفتاح ، ج} ص ۱۵۸ ، والكشاف ج۱ ص ۹۰ .

٢١. مواهب الفتاح ، ج} ص ١٨٧ .

فيها النصب، ويسمى ذلك الاعراب بنفسه مجازاً لما وقع التجوز فيها النصب، يقهول:

« وما ذكره المصنف من ان المسمى بالمجاز الموصوف بالتجوز هو الكلمة المعربة لا اعرابها هو الاقرب لوجهين :

أحدهما: كون مدلول لفظ المجاز في الموضعين هو الكلمة بخلاف اطلاقه على الاعراب، فانه يقتضي مخالفة في المدلولين اذ يكون لفظ المجاز هنا كيفية الكلمة لا تفسها، ومدلولها فيما تقدم نفس الكلمة.

وثانيهما: ان اطلاق لفظ المجاز على الاعراب كما هو ظاهر كلام السكاكي ، سببه كما تقدم ان الاعراب وقع في غير اصله ، وذلك ربما يدعى ظهوره في النقصان لان المقدر كالمذكور فالقرية في قوله تعالى: « واسأل القرية » حكمها الجر بتقدير المضاف ، فقد وقع النصب في محل الجر الذي هو كالذكر ، فكمك من الاعراب في النقصان الذي يستدعي التقدير واقع في غير محله ، فيسمى مجازا » (۱) ،

ووافق القزويني في ادخال المقابلة في الطباق ، ورأى ان ما ذهب اليه السكاكي وآخرون من جعلها قسما مستقلا من المحسنات المعنوية لا وجه له كما يشهد به تفسير الطباق بالنظر انى تفسير المقابلة وأمثلتها ، وقد علل دخولها في الطباق قائلا:

« وانما دخل ما يسمى بالمقابلة في الطباق ، لان فيه الجمع بين معنيين متقابلين في الجملة اي من غير تفصيل وتعيين لكون التقابل على وجه مخصوص دون آخر ، لان ذلك لا يشترط في الطباق حتى يمكن اخراج المقابلة عن الطباق فصدق حده عليها » (٢) .

وخلاصة القول: ان ابن يعفوب المغربي كان أحسن من التفتازاني

⁽۱) مراتب الفناح ، ج} ص ۲۳۱ _ ۲۳۰

⁽٣) مراعب الفتاح ، ج٤ ص ٢٩٧ .

واضرابه ممن عاشوا في البيئة الفارسية ، وقد استطاع بما أوتي من سعة الاطلاع ، وتذوق للبلاغة ان يكتب كتابه « مواهب المقتاح » بروح جديدة ، فيها تحديد القزويني وتقسيماته ، وفيها النظرة الفنية التي تنبه الى ما في كلام المتأخرين من خلط واضطراب ، ومما يؤسف، له أن المغربي لم يطبق ما دعا اليه في بعض المواضع مما ذكرناه سابقا ، ولم يخرج على ما كتبه القزويني ، وشراح تلخيصه ، ولذلك جاء كتابه نسخة موسعة من الكتب السابقة ، فيها الفلسفة ، والمنطق ، والتمحل في التعليل ، والاغراق في التقسيم والتحديد ، وربط البلاغة بما لا يست اليه الله المها بصلة ،

ألدسوقى

وجاء اخيرا محمد بن محمد عرفه الدسوقى (١٢٣٠ هـ) ووضع حاشية على مختصر السعد على تلخيص المفتاح ، وذكر فيها فوائد شريفة ، وتقييدات لطيفة أخذها من تقارير شيوخه المحققين كالعدوي ، والشهاب الملوي ، وعطية الاجهوري ، والحفني واللقاني وغيرهم ممن ذكرهم في حاشيته ، ومن زبد أرباب الحواشي والشارحين ، وتقلعنابن يعقوب المغربي ، وعصام الدين صاحب « الاطول » ، وكان الانتهاء منها يوم الجمعة لثمانية وعشرين من شهر شوال سنة ١٢١٠ هـ ،

وطريقته في الشرح هي أن يأخذ العبارة ، ويشرح مفرداتها ، ويذكر القياسي والسماعي منها وما فيها من شذوذ واختلافات ، ثم يعرب الجملة وما فيها من ألفاظ ، وبعد ذلك يبين ما في العبارة من فنون بلاغية وهذه ميزة لا نجدها عند اصحاب الشروح والحواشي الاخرين ، ومن هنا كانت لحاشيته أهمية لغوية ونحوية وبلاغية .

وأبسط مثال لذلك شرحه « بسم الله الرحمن الرحيم » فقد كان شرحا لا نجده عند التفتازاني، والسيد الشريف ، والسبكيواضرابهم، لقد طبق عليها فنون البلاغة الثلاثة ،ويئن ما فيها من مجاز ،واستعارة، ومذهب كلامي ، والتفات ، وادماج ، واستخصدام ، يقول في مطلع كتابه : « ينبغي التكلم عنى هذه الجملة بما يتعلق بها من الفنون الثلاثة التي صنف فيها هذا الكتاب كما هو اللائق بالشارع في كل فن لما قيل التي صنف فيها هذا الكتاب كما هو اللائق بالشارع في كل فن لما قيل

ان ترك الكلام عليها اما تقصير او قصور » (١) .

ولا تقف أهمية الحاشية عند البحوث البلاغية واللغوية ، وانسا تتعداها الى غيرها ففيها تعريف بالكتب ككتاب الحماسة (٢) ، وفيها مباحث تاريخية كحديثه عن سوق عكاظ ، واجتماع الشعراء والفرسان والناس فيه (٦) ، وفيها تراجم للشعراء الذين يذكر شعرهم فيقول عن ابن العجاج مثلا «هو رؤبة عبدالله البصري بن العجاج التميمي السعدي، هو وأبوه راجزان مشهوران ، لكل واحد منهما ديوان رجز ليس فيه سوى الاراجيز ، سمع عن ابيه العجاج ، وأبوه سمع ابا هريرة رضي الله عنه » (٤) ، ونجد هذا الاتجاه في كلامه عن أسر المتنبي ، وترجمة الفرزدق ، والعباس بن الاحنف ، والجساحظ ، والصلتان العبدي ، والراوندى (٥) ، وكان كثير الاهتمام بتكملة أبيات الشعر وذكرع وضها ووزنها يقول عن ابيات المتنبي التي أولها :

فهمت الكتاب أبر الكتب فسمعا لأمر آمير العكرب

« وهي من المتقارب وعروضها وضربها محذوفان »(٦) .

وفي الحاشية تحقيق للمدن والاماكن ، يقول عن منف مدينـــة فرعون : « والمراد بالمدينة مدينة فرعون كما في الجلالين ، وليس المراد بمنف البلدة المشهورة الان ، بل بلدة كــانت بناحية الجيزة فخربت بدعوة موسى عليه السلام ، وهي بالقرب من البلدة المعروفة بمنيــة رهينة باقليم الجيزة »(٧) .

⁽۱) حاشية الدسوقي ج١ ص ٢ - ٢ ٠

[.] $V^{\pi} = V^{\pi} = V^$

⁽٣) حاشية الدسوقى ج٢ ص ٢٨.

^(}) حاشية الدسوقي ج ا ص ١٨٠

⁽٥) حاشية الدسوتي ج ا ص ٩٠ ، ١٠٤ ، ١٠٩ ، ١٩٢ ، ١٩٢ .

٢٦٠ حاشية الدسيوقي ح ا س ٩٠ .

⁽Y) حاشية الدسوقي كرج ا ص ٢٤٨ .

وأهتم بذكر القصص والتاريخ ، وتحدث بالتفصيل عن قصة الزباء مع جذيمة ، وما حصل له منها(١) • وأهتم بذكر الحوادث التاريخية والادبية وذكر رثاء أبي ذؤيب الهذلي لابنائه الخمسة الذين هلكوا في عام واحد ، وكانوا فيمن هاجر الى مصر • وذكر استشهاد معاوية ، بهذه القصيدة في مرضه ، وتحدث عن ابي ذؤيب واخباره(٢) •

ولا نجد هذا في شرح او حاشية اخرى ، ومن هنا كانت لحاشية الدسوقي اهمية لفوية ، وتاريخية ، وأدبية الى جانب اهميتها البلاغية ،

أما البحوث البلاغية فلعل أهم ما في الحاشية بحث المعاني المجازية التي ذكرها البلاغيون في علمي المعاني والبيان ، او التي اهملوها ولم يتكلموا عليها ، فقد عد اعتبر الخروج في النداء الى الاستعانة والى الاختصاص، وخروج النهي الى الدعاء والالتماس والتهديد ، والخروج في الأمر الى الدعاء والالتماس والتمنى والتسوية والتحقير والاهانة والتسخير والتهديد والأباحة ، وخروج الاستفهام الى التهويل والتحقير والهزء والسخرية والانكار وغيرها من اغراض الانشاء والخبر ، وقد اعتبر كل هذه مجازا مرسلا له علاقة ، وبذلك و ستع مفهوم المجاز المرسل ، وأدخل فيه ما كان مبعثرا في علم المعاني او البديع (٢) ، وكان التفتازاني قد اشار الى ذلك فقال متحدثا عن ادوات الاستفهام:

«كثيرا ما تستعمل في غير الاستفهام مما يناسب المقام بمعونسة القرائن و وتحقيق كيفية هذا المجاز وبيان انه من أي نوع من أنواعه مما لم يحم أحد حوله »(!) و ولم يتعرض لعلاقة المجاز في هذه الانواع مع ان الاصوليين تعرضوا لها و واستفاد الدسوقي منهم و ووستع بحث الموضوع وأدخل معظم هذه المعاني في المجاز المرسل ، وذكر علاقاتها و

⁽۱) حاشية الدسوتي • ج٣ ص ١٧٤ •

⁽٢) حاشية الدسسوقي ، ج} ص ١٥٦ = ١٥٤ .

⁽٣) حانسية الدسمسوقى ج من ٢٩٥ ، ٢٠٥ ، ٣٠٣ ، ٣١٣ ، ٣١٣ و ١٦٨ و ١٣٥ و ١٣٠ و ١٣٠

⁽٤) المطـول س ٢٣٥٠

ولذلك نراه يذهب الى ان مباحث الامر والاستفهام ليست من فن المعاني ، وليس منه الا نكات العدول من الحقيقة الى التجوز بالامر والاستفهام » (۱) ، ويقول عن التهويل في الاستفهام « استعمال اداة الاستفهام في التهويل مجاز مرسل علاقته المسببة ، لانه اطلق اسم المسبب واريد السبب ، لان الاستفهام عن الشيء مسبب عن الجهل به ، والجهل مسبب عن كونه هائلا ، لان الامر الهائل من شأنه عدم الادراك حقيقة أو ادعاء » (۲) ، وبذلك أبعد البلاغة عن النحو قليلا وجعل لمباحثها قيمة أكثر مما هي في بحوث النحو ،

ومن تحقيقاته البلاغية بحثه في بناء المجاز وذهابه الى ان الاختلاف في وضوح الدلالة وخفائها موجودة في التشبيه ، ولذلك فهو من علم البيان « قصدا وان توقف عليه بعض ابوابه ، لان توقف، بعض الابواب على بعض لا يوجب كون المتوقف عليه مقدمة للفن »(٣) .

وبحث النسبة بين انواع الاطناب •

والدسوقي في هذه البحوث الكثيرة يوافق القزويني مرة ويعارضه، أو يرد عليه في كثير من الاحيان ، لقد ايده في اعتبار البديع علما مستقلا مع ان القدماء لم ينظروا اليه هذه النظرة كالزمخشري المديع ، وكالسكاكي البديع ليس علما مستقلاواطلق على الاستعارة اسم البديع ، وكالسكاكي الذي اعتبره ذيلا لعلمي المعاني والبيان ، فلماذا اعتبره القزويني فنا بذاته وجعله مع فني البلاغة الاخرين من اجل العلوم ، يقول الدسوقي: «واحيب بان الحق مع المصنف في عده له علما ، أذ البديع له موضوع يسيز به عن موضوع علم البلاغة بالحيثية المعتبرة في موضوعات العلوم، وليس له غاية ايضا ، فجعه علما مستقلا من العلوم الادبية أوجه »(٤).

⁽۱) حاشية الدسوقي ج٢ س ٣١٢ ـ ٣١٣ .

٢٠. حاشية الدسرتي ج٢ ص ٣٠٥.

⁽٣) حاشية الدسوقي ج٣ ص ٢٩٠٠.

⁽٤) حاشية النسوتي ج١ ص ٩} .

«اعلم ان التقديم والتأخير ، والذكر والحذف ، مثلا من احوال كل من المسند اليه والمسند ومتعلقات المسند ، فلذا ذكرت في كل من باب احوال المسند اليه واحوال المسند واحوال المتعلقات ، ومثل التقديم والتأخير ، والذكر والحذف ، في الها احوال للثلاثة القصر ، فهو تارة يتعلق بالمسند اليه ، وتارة بالمسند ، فكان المناسب ان لا يخص بباب بل يذكر في باب المسند اليه ، والمسند ، والمتعلقات مثل التقديم والتأخير ، والذكر والحدف ، والفصل والوصل ، من أحوال الجملة الخبرية ، فالمناسب ان يذكرا في احوال الاسسناد كالتأكيد ، والحقيقة العقلية ، والمجاز العقلي ، ولا يخصهما بباب ، وكل واحد من الايجاز والاطناب والمساواة تارة يتعلق بالجملة ، وتارة يتعلق بالمسند ، فالمناسب ذكر هذه الثلاثة في باب الاسناد ، وفي باب المسند اليه ، والمسند ولا يخصها بباب ،

اذا علمت هذا فيقال: كان الاولى للمستف ان لا يلتفت لبيان الحصر ، لأنه معلوم بالاستقراء ، بل الاولى له ان يلتفت لتخصيص كل من هذه الامور الثلاثة بباب على حدته ، والى هذا اشار الشارح بقوله:

« وهذا اى دليل الحصر اعني قول المصنف ، لأن الكلام اما خبر أو انشاء ، الى آخر ما ذكره في دليل الحصر » (١) •

واشار الى اهمال القزويني امورا كثيرة من خلاف مقتضى الظاهر منها: الانتقال من خطاب الواحد او الاثنين او الجمع لخطاب الاخر، والتميير بواحد من المفرد والمثنى والمجموع (٣) ، وهذه هي التي اشار اليها السبكي في «عروس الافراح» ، وأشار الى مخالفة القزويني للنحاة في تقدير الشرط في الانشاء ، فقد ذكر ان الامور التي يقدر الشرط بعدها اربعة امور مع ان النحاة عدوها خمسة بزيادة العرض وتساءل الدسوقي قائلا: « فما وجه مخالفة المصنف لهم ؟ » ، وأجاب:

^(!) حاشية الدسوتيج! ص ١٧٢٠

⁽٢) حاشية الدسوتي ج١ ص ٩١١٠

« وحاصل الجواب ان العرض لما كان مولدا من الاستفهام وليس مستقلا كان داخلا فيه فذكر الاستفهام مُنفَن ٍ عنه ، والنحاة نظروا الى التفصيل فعدوها خمسة ، وان كانت ترجع لاربعةعلى جهة الاجمال» (١) ه وأشار الى اهمال بعض معاني الاستفهام المجازية كالامر في نحو « فهل انتم° مسلمون »(٢) أي اسكتوا ، والزجر نحو « أتفعل هذا ؟ » أي انزجر ، والعرض نحو « الا تنزل عندنا ؟ »(٣) .

وكان القزويني قد أهمل أحد انواع المجاز المرسل ، وتكلم على استعمال اسم الكل في الجزء وسكت عن اسم الكلى اذا استعمل في الجزئي، ولعل سبب اهماله مافيه من اختلاف وهو هل يكون مجازا أو لا؟ فقد ذهب الكمال بن الهمام ومن وافقه الى انه حقيقة مطلقا ، وعللهبان اللام في قولهم في تعريف الحقيقة « الكلمة المستعملة فيما وضعت له » لام التعليلولاً شك ان اسمالكلي انماوضع لاجل استعماله في الجزئي، وعلله غيره بان المجاز هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له اولا ، والجزئي ليس غير الكلي ، كما انه ليس عينـــه . وذهب بعضهم الى التفصيل ، وحاصله أن استعمال الكلي في الجزئي أن كان من حيث اشتماله على الكلى فهو حقيقة ، وان كان استعمالا فيه لا بالنظر لـــا ذكر بل من حيث ذاته كان مجازا(٤) ، وليس وراء هـذا الخلاف جدوی ، وقد احسن القزوینی صنعا حینما ترکه .

« المطول » و « المختصر » ، ويتضح لنا ان البيئة العربية حولتهما الى مادة صالحة لدراسة البلاغة بمد ان كان فيهما غموض والتواء وانصراف الى الفلسفة والمنطق ، وبذلك خدمت مصر البلاغة العربية وحفظتت المدرسة الكلامية وغند ًتها •

حاشية الدسوقي ج٢ س ٣٢٩ .

سورة هود 6 الآية ١٤ .

حاشية الدسوقي ج٢ ص ٣٠٦ ٠

حاشية الدسوقي ج} ص ٣٧ ٠

عصام الدين الاسفراييني

ولم يكن التفتازاني آخر من شرح التلخيص في البيئة الفارسية ، وأنما سار على منهجه آخرون كانت لهم جولات في هذا الميسدان . وترك المشرق علما من هؤلاء الاعلام هو ابراهيم بن محمد بن عربشاه عصام الدين الاسفراييني (١٥٥ هـ) (١) صاحب التلخيص المسمى بالاطول الذي نقد فيه كثيرا من بحوث التفتازاني في « المطول » وهو شرح ممزوج كشروح التلخيص الاخرى ، وقد كتبه بعد أن اطلع على شرح التفتازاني ، وحساشية السيد الشريف ، وكتب عبد القاهر ، والرضي ، والزمخسري ، وابن الاثير ، وكان اهتمامه بآراء التفتازاني والسيد الجرجاني اكثر من اهتمامه بغيرهما ، واستفاد من آرائهما وأيد بعضها ، ونقدها في كثير من المواضع ، واكثر من الرد على التفتازاني مع بعضها ، ونقدها في كثير من المواضع ، واكثر من الرد على التفتازاني مع وقد رجعنا الى ردوده في الكتاب فلم نجد فيها فائدة ، أو قيمة بلاغية ، لان اكثرها ردود فلسفية بعيدة كل البعد عن مقاييس الفن الذوقية ،

وقد رد عليه في الاصوات ، والمجاز العقاي ، وحذف المسند اليه، والاستغراق ، والقصر ، والاستفهام ، والفصل والوصل ، والتشبيه ،

⁽۱) تنظر ترجمته في شذرات الذهب ج Λ ص ۲۹۱ ومعجم المطبوعات ج Λ ص ۲۳۰ وناريح علوم البلاغة والتعريف برجالها ص ۱۷۹ وكشف الظنون ج Λ ص Λ

۲) الاطول ج۱ ص ۳ .

وتتجلى في هذا الشرح العقلية المشرقية التي تعتمد على المنطق والفلسفة ، وتبتعد عن تحكيم الذوق والمقاييس الفنية في النقد والبلاغة • فبعد ان رأينا بهاء الدين السبكي يمزج الادب بالاصول والفلسفة ، نجد عصام الدين يبتعد ابتعادا تاما عن النزعة الادبية ، ويسرف اسرافا عظيما في التمحلات والتأويلات وادخال كل غريب في البلاغة • ويبدأ كل فصل من فصول الكتاب بابتهال ودعاء يشمل موضوعات الفصل ، يقول _ مثلا _ قبل الشروع في بحث علم المعانى: « ولما فرغنا من شرح المقدمة وحان الشروع في شرح علم المعاني نقول متضرعا متذللا سائلا الالهام الرباني الهي نعوذ بك عن الملاهي ، ونلوذ بأوامرك في الاجتناب عن المناهي ، ونسألك التمتع بأسرار المثاني وفهم معانيه الاول والثواني ، واحراز ما وعدته بقراءة كل حرف من حروف المبانى • ونبتهل اليك في التخصيص بفهم مزايا أودعتها فيها للخواص وبالعمل بما يعرف عنها الاجتهاد ، مقرونا بكمال الاخلاص ونطلب منك التوفيق لتحقيق اسناد جميع الكائنات اليك في كل حال ، ولضبط كل مسند الى خير مسند اليه نبى الرحمة من الافعال والاقوال ومفسازا بمراتب علية هي متعلقات الافعال والاعمال ، ونرجو منك قصر أنظارنا على انشاء ما يوجب الوصل الى موجبات معرفتك والفصل عما يوجب خفة موازيننا بل مساواتها والانقطاع عن مغفرتك • الهي اغننا بايجاز جوامع الكلم في المسألة عن الاطناب ، والهمنا رشدنا واهدنا الصراط المستقيم في جميع الابواب »(٢) .

لقد ذكر عصام الدين في هذا الابتهال موضوعات علم المعاني ،وهو حصر لا نرى له موجبا وهو الى سخف الكلام أقرب .

⁽۱) الاطول ج1 ص ۲۱ و ٦٩ ر ٧٥ و ٧٦ و ١٠٣ و ١٠٣ و ١٩١ ر٢١٧ وج٢ صر ٨ و ١ و ٢ و ١١ ره٩ و ١٥٦ -

⁽٢) الاطول ج ١ ص ٣٨٠

ويقول في اول علم البيان: « الهي هب لنا معرفة واحد تعدد فيه بطرق مختلفة واضحة الدلالة ، متباعدة عن التشبيه والتمويه ، ونجنا بظهور الحقيقة عن الاطمئنان بالمجاز ، ونجنا بايضاح كنايات البيان وتلخيصها عما يحول بيننا وبين المجاز ، واجعل وجوداتنا المستعارة فرائن البقاء في الزلفي ، ووفقنا للتيمن بسم الله الرحمن الرحيم من الاساء الحسنى »(١) .

ولا نجد هذا السخف في الشروح التي عرضناها سابقا ، ولا نجد عندهم الاعتماد على النصوص الفارسية لتوضيح قاعدة بلاغية ، فقد أدخل عصام الدين بعض العبارات لتأييد رأي أو ترجيح آخر ، وقد يقال أن هذا حسن منه ، ولكننا نرى أنه لم يأت بشيء ذي فائدة لانه اقتصر على أمثلة معينة ولم يعمم هذا في كتابه ليكون بحثا في البلاغة المقسارنة .

ويتصف الشرح الاطول بعد هذا كله بانه ركيك العبارة، فيهاخطاء لغوية ونحوية كثيرة ، وفيه تعقيد ، وقد فاق التفتازاني واضرابه في هذا ، وليس هذا بالعجيب لانه كان في عصر مظلم وفي بيئة لا تعرف للعربيسة طعما .

وفي الاطول اشارات مفيدة ومن أهمها ما يتعلق بخروج الاستفهام والامر عن معانيهما الى المعاني المجازية ، ويرى أن الخروجلا يجوز الا « لمعرفة القرائن والعلاقات اذ لو فات شيء منهما خرج استعمالك من حيز اللطف والسداد الى مزلقة العنف والفساد »(۲) •

ويقول في خروج الخبر عن معناه: « فالخبر في هذه الصور مجاز الاستعمالها في غير ما وضع له ويحتمل بعضها الكناية • هذا وفيه ان اللفظ لا يكون محتملا للمجاز والكناية ، لانه ان وجدت القرينة المانعة عن ارادة الحقيقة فمجاز بلا شبهة والا فكناية »(٣) •

⁽١) الاطول ج٢ ص ٥٠ ٠

⁽٢) الاطول ج ا ص ٢٤٢٠

⁽٣) الاطول ج١ س ٢٥٢ ٠

وله بعض التحقيقات والآراء التي نذكر منها على سبيل المثال ، رأيه في اشتقاق القصر ، يقول : « في القاموس القصر اختلاط الكلام ولا يبعد أن يكون النقل منه، لانه في القصر الاصطلاحي اختلاط الحكم الايجابي بالسلبي »(۱) .

وله تحقيقات في القصر ، والفصل والوصل ، غير أنها تحقيقات لا فائدة فيها .

وذكر أن البلاغيين فاتهم الاطناب في قسم لم يضبطوه وهوالاجمال بعد التفصيل ، ولم يسمه ابهاما بعد الايضاح اذ لا يصير ما يعقب الايضاح مبهما(٢) .

ولعل من أهم ما يلفت النظر أنه يرىأن الاستعارة بالكناية استعارة مقلوبة مبنية على التشبيه المقلوب لكمال المبالغة في التشبيه فهو أبلغمن المصرحة ، فكما قولنا أن السبع كالمنية تشبيه مقلوب يعود الغرض منه الى المشبه به ، كذلك «أنشبت المنية أظفارها» استعارة مقلوبة استعير بعد تشبيه السبع بالمنية للسبع الادعائي وأريد بالمنية معناها بعد جعلها سبعا تنبيها على إن المنية بلغت في الاغتيال مرتبة ينبغي ان يستعير السبع عنها اسمها دون العكس (٢) .

وكان عصام الدين معجبا بالقزويني لذلك وضع شرحه الاطول على تلخيص المفتاح ، ولم يسلم منه فقد نقده ، وفند بعض آرائه ، وكان يفضل أحيانا رأيا للزمخشري ، أو السكاكي ، أو التفتازاني ، او السياد الشريف .

ودافع عن القزويني عندما رأى بعضهم انه اسرف في نقد مفتاح العلوم وأيده في تعريف علم المعاني وفي المجـــاز العفلي وغيرها ، ورد

⁽١) الاطول ج٢ ص ٢١٢٠

⁽٢) الاطول ج٢ ص ٤٠ ٠

۳) الاطول ج۲ ص ۱٤۹ – ۱۵۰ .

عليه في تسمية الخبر الابتدائي فقال: « انما سمي به لانه ابتداء كلام من غير سبق طلب أو انكار ، كذا نقل عن المصنف وتبعه السيد السند في شرح المفتاح ، والاظهر انه احداث صورة نسبة في المخاطب من غير سبق حضورها في نفسه »(۱) .

ونقده في اقتضاء التقديم وجعل الفعل مسندا ، واوجــه التنكير والقصر والايجاز والاطناب والتتميم وغيرها .

الاطول ج۱ ص ۲۲ ٠

السيوطي

وينبغي ألا ننسى في هذا المقام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (٩١١ هـ) (١) الذي يقول عــن نفسه: « ورزقت التبحر في سبعة علوم: التفسير ، والحديث ، والفقه ، والنحو ، والمعاني ، والبيان ، والبلغتاء لا على طريقة العجم وأهل الفاسفة» (٢) ، وله في البلاغة: « نكت على التلخيص» يسمى الافصاح و « عقود الجمان في علم المعاني والبيان » ، وشرحه ، « وشرح أبيات تلخيص المفتاح » ومختصره ، « و نكت على حاشية المطول » للفنري ، و حاشية على المختصر » ، والبديعية المسماة « نظم البديع في مدح خير شفيع » وشرحها ، عارض بها بديعية ابن حجة وأولها:

من العقيق ومن تذكار ذي سكلم براعة العين في استهلالها بدم

وهو في هذه الكتب ينحو منحى القزويني من غير أن يضيف شيئا الى البلاغة وقد بحث في كتابه « المزهر» الفصاحة والحذف والاختصار والحقيقة والمجاز والاستعارة والعام والخاص » (٣) .

⁽۱) تنظر ترجمته في حسن المحاضرة ج۱ ص ١٩٠ والفوائد البهية ص ١٣ وروضات الجنات ص ٣٣ والخطط الجديدة ج ١٢ ص ١٠٥٠ .

⁽٢) حسن المحاضرة ج1 ص ١٩٠٠.

⁽٣) المزهر ج1 ص ١٨٤ ـ ١٩٧ و ٣٣١ ـ ٣٤٥ و ٥٥٥ ـ ٣٦٨ .

وتكلم على علوم البلاغة بايجاز في كتاب « النقاية» وشرحها «اتمام الدراية لقراء النقاية » ، وهو في هذين الكتابين وغيرهما يتجه اتجاه القزويني في العرض والتقسيم والامثلة ، ولعل بحثه بعض المسائل البلاغية في « الاتقان في علوم القرآن » كان احسن من بحثه لها في كتبه المتقدمة ، لانه تحرر قليلا من سيطرة منهج القزويني ، وقد تكلم على الحقيقة ، والمجاز ، والتشبيه ، والاستعارة ، والكناية ، والتعريض ، والخبر ، والانشاء ، وعرض بعض الآراء ولم يتقيد بمنهج من تقدموه من شراح التلخيص ، ولعل سبب تحرره مسن منهج القزويني أنه لم يبحث في البلاغة وانما كان يكتب في علوم القرآن الكريم ، ومن هنا حاول الابتعاد عما يضيق سبيله ، ويشغله عن القرآن الكريم ، وروعته ، ولكنه لم يكن مع ذلك صاحب فكرة طريفة ، ومنهج جديد واضح ،

ولعل كتاب «شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان » أقرب كتب السيوطي الى بلاغة القزويني ، لان هذا الكتاب شرح لارجوزته المسماة «عقود الجمان » التي نظم السيوطي فيها تلخيص القزويني ، واولهـا:

وهذه أرجوزة مثل الجمان الخصت فيهاماحوى التلخيص مع ما بين اصلاح لما ينتقد وضم ما فرقسه للمشبه وان يزكي عملي ويعرضا

ضمنتها علم المعاني والبيان ضم زيادات كامشال اللمع وذكر أشياء لها يعتمد والله ربي أسال النفع به عن سؤله وان ينيلنا الرضا

ورتب موضوعات البلاغة فيها كما ذكرها القزويئي في التلخيص ، فقد كان السيوطي معجباً بالرجل ايما اعجاب ، وكان يحتفظ بنسخة من التلخيص بخط مؤلفه ، يقول : « والتلحيص تأليف قاضي القضاة جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني ، وعندي نسخة بخط

مؤلفه ، وترجمته بسطتها في طبقات النحاة » (١) •

ورأى السيوطي ان هذه الارجوزة بحاجة الى شرح وتعليق لينتفع بها ، فوضع كتابه «شرح عقود الجمان » ، وفيه اوضح ما غمض في الارجوزة ، واشار الى الآراء المختلفة ، وختم بحث البديع ببديعية ابن حجة الحموي ، ليكون كل بيت منها على تسمية النوع الذي فيه على سيل التورية .

وليس في هذا الكتاب آراء جديدة ، والتفاتات نقدية لها قيمتها وأهميتها ، وهو ككتبه الاخرى جمع للاراء ، وعرض للموضوعات • وبذلك نجد السيوطي في هذا الكتاب قد خدم القزويني وكتبه ، أكثر من خدمته للبلاغة •

⁽١) شرح عقود الجمان ص ٣٠٠

قيمة الشروح:

هذه أهم شروح التلخيص ، وقد رأينا أن كتاب تلخيص مفتاح العلوم للقزويني كان ميدانا رحبا للمؤلفين يجربون في شرحه أقلامهم ، ويقدحون أذهانهم في فهم عباراته وربط جملة بجملة ، أو تعلق حرف يكلمة ، وأصبح دافعال اللي الشرح والتحشية ، فكانت البلاغة في القرون : السابع والشامن والتاسع ، متنا هو التلخيص وشرحا عليه ، وكانت حواشي على الشروح في القرون : العاشر والحادي عشر والثاني عشر ، وكانت تقريرات على الحواشي في القرنين الشاني عشر والثالث عشر ، وهي حلقات أقل ما يقال فيها انها مفرغة لا تقع فيها ، ونعل الذي وجه البلاغة هذه الوجهة أمران :

الاول: موت الملكات الادبية والمواهب الفنية بسبب ما أصاب الحياة من تدهور في جميع نواحيها .

والثاني ; ان معظم هؤلاء الشراح كانوا معلمين يجلسون الى طلابهم يشرحون لهم علوم اللغة العربيسة ، ولم تكن طريقتهم في التدريس يومذاك الا قراءة المتن والتعليق عليسه • ومن هنا جاءت الشروح والحواشي والتقريرات الكثيرة ، وأصبحت البلاغة طلاسم والغاز! يحار في فهمها الدارسون •

وجميع هذه الشروح ملأى بمسائل فلسفية استعارها الشراح من الفلسفة ، ومفعمة بمسائل أصولية أخذوها من علم الاصول ، وما تحدث فيه أصحابه من بحوث الخبر والانشاء ، والحقيقة والمجاز ، أما النقد الصحيح والذوق المرهف والاحساس المدرك فلا نجده فيه الاقليلا كشرح السبكي الذي كان مزيجا لبقا من البحوث الادبية والفلسفية ، ومن هنا يرى بعض نقادنا: «أن من يطيل النظر في هذه الشروح والتفاسير تفسد ملكته ، ويفسد ذوقه الادبي ، ويفقد كل قدرة على المتعة بروائع الشعر والنشر وتبين ما فيها من حسن وجمال » (۱) ، وذلك لما فيها من غريب لا يمت الى البلاغة بصلة ، ولان اسلوبها ضعيف ركيك فيه مخالفة للقواعد الصرفية والنحوية واللغوية ،

ولهذه الشروح والحواشي قيمسة نحوية ، فكثيرا ما نجد الاراء المختلفة في المسألة الواحدةلنحاة متعددين ضاعت كتب بعضهم ، ونلاحظ هذه الناحية واضحة جلية في كتاب «عروس الافراح» للسبكي ، الذي فيه كثير من آراء الكوفيين كالكسسائي ، والفراء ، وتعلب ، وآراء المبرد ، والاخفش ، وابن السراج ، والفارسي ، وأبي البقاء ، وآراء البحريين كسيبويه ، وآراء أهل الاندلس كأبن مالك ، وابن عصفور ، والشلوبين ، وأبي حيان النحوي الاندلسي ، وأن النحوي ليستطيع ان ستخرج من هذا الشرح معلومات كثيرة ، مفيدة في النحو ،

وللشروح بصورة عامة أهمية بالغة في دراسة النحو بمعناه الواسع، لان بحثها لعلم المعاني كان مفصلا ، ويمكن الاستفادة منها بهذا الصدد كالحذف والذكر ، والتقديم والتأخير ، والقصر ، والفصل والوصل ، وبذلك نعيد للنحو اعتباره ونجعله علما له اصالته ، أما النحو بمعناه المتأخر فليس نحوا ، وانما هو دراسة الاعراب والبناء .

وفيها الى جانب ذلك معلومات تأريخية وأدبية قد لا نجدها في

⁽۱) النقد للدكتور شوقي نسبف ص ١٠٦٠

غيرها من الكتب • وقد نقل لنا السبكي عدن ابيه كثيراً من آرائه واقواله مما لا نجده في غير « عروس الافراح » ، وبذلك قدام لابيه خدمة جلى ، وحفظ آراءه وأقواله ، وقدام للاجيال المتعاقبة بحوثا كادت تضيع وتعصف بها الايام •

ولعل أهم ما في الشروح بعد هذا كله ، انها تفتح الذهن على مسائل كثيرة قد يغفل عنها الباحث: لانها تذكر وجهات النظر المختلفة ، وقد يكون الدارس ساهيا أو لا يستطيع أن يستخرج الآراء المختلفة من كتب أصحابها ، ولكنه يستطيع بكل سهولة ويسر أن يقف عليها في الشروح ، ويستطيع بعدد ذلك أن يعود الى مصادرها ليرى الآراء بالتفصيد .

واذا ما أردنا أن نستفيد من هذه الشروح ، فان عروس الافراح للسبكي ، ومواهب الفتاح للمغربي من خيرة هذه الكتب في البلاغة المتأخرة ، ففيها عرض للافكار والآراء المختلفة في المسألة الواحدة ، وفيها نقاش مهما يكن شكليا فله أهميته وقيمته في دراسةالبلاغة ، ومن أجل هذا نرى أن على المجدد اذا ما أراد ان يعيد الى البلاغة رونقها وبهاءها أن يقتل هذين الشرحين درسا وبحثا ويقف على الآراء المختلفة فيأخذ منها ما فيه النفع وانارة السبيل ، ويدع ما لا قيمة له ، وما فيه ابتعاد عن البلاغة والنقد الادبى ،

وهكذا كان لتلخيص القزويني وايضاحه أثر كبير في الحركية البلاغية ، وسيطر هذان الكتابان على مناهج الدرس والتأليف ، وقد صدق القلقشندي حينما قال : « واكثر اعتمياد أهل الزمان فيه على تلخيص المفتاح للقاضي جلال الدين القزويني فأغنى ما وضع فيه عين ايراده هنا » (١) ، وقال فيه في موضع آخر . « وأعظمها شهرة بالديار

⁽۱) صبح الاعشى ج1 ص ١٨٥٠

المصرية تلخيص المفتاح لقاضي القضاة جلال الدين القزويني وعليه عدة شروح $^{(1)}$.

واستمر التأليف على غرار تلخيص القزويني وايضاحه ، لا يخرج المؤلف عن عبارته ، أو عبارة السكاكي ، وأصبحت الكتب المتأخرة خدما للتلخيص لا للبلاغة ، ولم يكأ ت أحد بجديد ، وانصرفت الهمم الى حفظ ما أثر عن المتقدمين حتى بدأت طلائع النهضة الحديثة .

⁽١) صبح الاعشى ج اص ٢٦٩ .

الفزوين والبكاغة الحذيثة

٩

ظلت البلاغة العربية على الحالة التي اطننا الكلام علبها في الفصول السابقة ، وبقي التلخيص والايضاح محور الدراسات البلاغية والنقدية حتى أطل فجر النهضة الحديثة على أمة العرب ، فأحس الناسأنه لا بد أن تتغير طرائق التدريس ، ولا بد أن تتجدد مناهج البحث والتأليف فأخذ الدارسون يحيون تراثهم ويخرجون بحوثا فيها طرافة وتجديد وكان للبعثات العلمية منذ عهد محمد علي أهمية كبيرة في اتصال العرب بالغرب والاطلاع على مناهج بحثه ، وطرق تأليفه ، وقد أشاع المبعوثون مفاهيم جديدة في البلاغة بعد أن رأوها في الغرب قد تخلصت من رواسب الماضي ، واتجهت اتجاها جديدا فيه نفع في تقييم الادب والسب الماضي ، واتجهت اتجاها جديدا فيه نفع في تقييم الادب وادمجت في «علم أوسع شأنا وأعظم خطرا ، هو علم الاسلوب الحدبث وفيه اتسعت النظرة وعني بالوجوه الجمالية التي ساعدت على صدق الكاتب واصالته ، وشملت ميادين فسيحدة جديدة لم تكن لتخطر الملاغيين من قبل على بال » (۱) •

⁽١) المدخل الى النقد الحديث ص ٢٥٢٠

وبقيت بلاغتنا كما كانت في عصور الشروح والحواشي ، ليس فيها نفع وفائدة في نقد الادب وتقديره واستفاد المؤلفون العرب مما رأوه عند الاوريين ، وأخذوا يخرجون كتبا فيها عمق الكتب العربية القديمة واصالتها ، وفيها طرافة البحوث الجديدة .

الازهر والبلاغية:

وكان الازهر الشريف أول من حمل لواء التجديد في البلاغة بعد الاصلاحات الكثيرة التي ادخلت في مناهجه وطرق تدريسها ، فقدكانت تدرس في الازهر علوم لغوية مختلفة قبل نظام الازهر لسنة ١٣١٤ هـ تدرس في الازهر علوم لغوية مختلفة قبل نظام الازهر الى الخديوي ١٨٩٦م ، وقد جاء بيانها في رسالة مقدمة من شيخ الازهر الى الخديوي في سنة ١٣١٠هـ ١٨٩٦م ، وقد اشتملت هذه الرسالة على الموضوعات الآتية : علم التوحيد ، والتصوف ، والتفسير ، والتجويد ، والقراءات، والحديث ، ومصطلح الحديث ، وفقه المذاهب الاربعة ، وأصول الفقه، واللغة ، والنحو ، والصرف ، أما البلاغة فقد كانت تدرس في تلخيص واللغة ، والنحو ، والصرف ، أما البلاغة فقد كانت تدرس في تلخيص القزويني بشرح السعدو السيد الجرجاني ، والجوهر المكنون الاخضري بشرح الدمنهوري ، وعقود الجمان وشرحه للسيوطي ، ومنظومة ابن شحنة ، والرسسالة البيانية الصبان والسمر قندية () ،

ولما وضع قانون سنة ١٣١٤ هـ ـ ١٨٩٦ م كان يدرس من علوم البلاغة في السنة الثامنة « الجوهر المكنون » ، وفي التاسعة والعاشرة « شرح السعد المطول » بحاشية الدسوقي (٢) ، وعندما وضع نظام سنة ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م) نالت البلاغة بعض التطور والتجديد في تدريسها وكتبها ، فكان يدرس من علم البيان في السنة الثالثة رسالة الدردير أو السمرقندية ، وفي الثامنة القسم الثاني من السعد على التلخيص ، ويدرس من علم المعاني في السنة السابعة القسم الاول من التلخيص ، ويدرس من علم المعاني في السنة السابعة القسم الاول من

⁽١) ينظر تاريخ الاصلاح في الازهر ص ٥٤ .

⁽۲) تاریخ الاصلاح نی الازهر ص ۱۲ .

السعد على التلخيص • وكان القسم الثالث من السعد على التلخيص يدرس في السنة الثامنة • ووضعت دراسية جديدة تسمى البلاغة التطبيقية يدرس منها في السنة التاسعة « دلائل الاعجاز » ، وفي العاشرة « أسرار البلاغة » أو « كتاب الصناعتين » لابي هلال العسكري (١) •

وكان هذا التطور بفضل الشيخ الامام المرحوم محمد عبده الذي اخذ يحيي كتب السلف النافعة وعلومهم ، ويقو م ما اعوج من مناهج التأليف وطرائق التدريس ، وقد انصرف الاستاذ الامام الى تدريس كتابي « دلائل الاعجاز » و «أسرار البلغة » لعبد القاهر ، ففت اذهان الطلبة ، وقو ي مداركهم ومواهبهم ، لانهم وجدوا في تدريس الامام غير ما ألفوه ، وبذلك كان الجامع الازهر أول معهد من معاهد التعليم الاسلامي والعربي قريء فيه « دلائل الاعجال » و «أسرار البلغة » درسا لطلاب البلاغة ، ولاجله طبع الكتابان وانتشرا في معاهد التعليم ، ولكن اساتذة الازهر أحجموا بعد الامام عبده عن تدريسهما البلاغية بعده ، وكادت تموت ،

وتخرج في الازهر الشريف في مطلع العصر الحديث جيل فيه عزم على البحث ، وفي روحه اندفاع الى التجهديد و وانشأ الخديوي اسماعيل دار العلوم سنه ١٢٨٩ هـ (١٨٧٢ م) باشارة من علي مبارك ناظر ديوان المدارس ، وكان الغرض من انشائها أن يتعمق الطلبة في الدراسات الاسلامية والعربية و وقد صانت هذه الدار اللغة العربية حتى أن الامام محمد عبده اعجب بها فكتب عنها في تفريره عن امتحانها النهائي الذي رأسه سنة ١٩٠٤ م « واني انتهز هذه الفرصة للتصريح بكانة هذه المدرسة في نفسي وما اعتقده من منزلتها في البلاد المصرية ومن اللغة العربية ، واهمال اهلها في تقويمها ، ويوجهون اللوم الى الحكومة لعدم عنايتها بأمرها واهلها في تقويمها ، ويوجهون اللوم الى الحكومة لعدم عنايتها بأمرها و

⁽ز) تاريخ الاصلاح في الازهر ص ٧٧ - ٧٨٠

ولم اسمعهم قط ينصفون هـــذه المدرسة ، ولا يذكرونها من حسنات الحكومة • فان باحثا مدققا لو اراد ان يعرف أين تموت اللغة ، واين تحيا لوجدها تموت في كل مكان ، ووجدها تحيا في هذا المكان »(١).

وكان بعض طلاب الازهر ممن تتلمذوا على الشيخ محمد عبده اساتذة في هذه الدار فبعثوا في البلاغة روحا جديدا

كتب جديدة:

ومن الكتب المؤلفة في فجر النهضة الحـــديثة وما قبلها بقليــل كتاب « حسن الصنيع في علم المعاني والبيان والبديع » لجامعه الشيخ محمد البسيوني البيباني (١٣١٠ هـ)(٢) • وقد وضعه استجابة لرغبة خيري باشا ناظر المعارف يومذاك ، ويعتبر هذا الكتاب حسنة من حسنات ذلك العصر الذي لم تكن للمؤلفين فيه وجهة سوى تأليف الصواشي والتقريرات ، مع عنايتهم بالبحوث اللفظية لا تسميل العلوم وضبط مسائلها • والكتاب صورة مصغرة من كتاب الايضاح للقزويني مع اختلاف قليل في المنهج ، فقد غيَّر قليلا في منهج مباحث علم المعاني ، ولم يوزع موصوعات الحذف والذكر ، والتقديم والتأخير ، وغيرها على المسند اليه والمسند، وانما جمع كلُّ موضوع في فصل واحد، فبحث تقديم المسند اليه والمسند في مبحث ، وحذف المسند والمسند اليه في مبحث آخر ، وهكذا في جميع المباحث ، وهذا عمل يحمد عليه المؤلف. وبحث المجاز العقلي في علم البيآن كما فعـــل السكاكي ، وبذلك خالف القزويني من هذه الناحية • وكان البسيوني في علم البديع أوسع افقا من القزويني حيث بحث موضوعات خاتمـــة التلخيص والايضاح في البديع ، فتكلم في المحسنات المعنوية على براعة الاستهلال ، والتلميح ،

⁽۱) نشأة النقد الادبي الحديث في مصر ص ٥٢ ، ومستقبل الثقافة في مصـــر ص ٢٧٩ ، ٢٩٠ ، والتعليم في مصر ص ٢٥ ، ٨١ .

⁽٢) تنظر ترجمته في تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها ص ٢١١ .

الكتاب بادرة طيبة من البسيوني واضرابه لانه نبه الناس الى التأليف في البلاغة والنقد ، وعدم التمسك بالشروح والحواشي والتقريرات ، أو التمسك بمنهج السكاكي والقزويني • ويمكن القول ان البسيوني لو استطاع أن يفلت من منهج القزويني وبلاغته لاتى بكل طريف رائع •

وكتب حفني ناصف (١٣٣٧ هـ) (١) « قواعد اللغة العربية »وهو مجموعة في النحو ، والصرف ، والبلاغة ، ويشبه القسم البلاغي منه كتاب البسيوني ، لان حفني ناصف وزملاءه خالفوا القزويني في مباحث علم المعاني في الامور التي خالفه فيها البسيوني ، وبقي الكتاب ردحا من الزمن العمدة في تعليم اللغة العربية مع ما فيه من اختصار ،

وعاد الشيخ أحمد الحملاوي (١٣٥١هـ - ١٩٣٢ م) (٢) في كتابه « زهر الربيع في المعاني والبيان والبديع » الى منهج القزويني ، وقسسم علم المعاني كما قسمه ، وذكر المجاز العقلي فيه ، وسار على خطاه في نوزيع مباحث علم البيان إلا أنه خالفه بعض المخالفة في علم البديمع ، ورتب فنونه كما رتبها أصحاب البديعيات ، واطال في ذكر انواعها وامثلتها ، وتبدو استفادته واضحة من كتاب « عروس الافراح » للسبكي و « خزانة الادب » للحموي ، وأضاف الى بعض فصول الكتاب تمرينات لا تخلو من فائدة ، والكتاب حلقة جديدة في التأليف بعد الجمود الذي اصاب الدراسات البلاغية والنقدية ، وما يستال يدرس في بعض المعاهد ويطبع كل حين ،

وللاستاذ علي عبدالرازق «أمالي في علم البيان وتاريخه » و والجديد في هذا الكتاب قسمه الاول الخاص بتاريخ علم البيان ، فقد استعرض المؤلف هذا العلم منذ نشأته حتى الفترة المظلمة ، وخصص القسم الثاني لدراسة موضوعات البيان وهي : التشبيه ، والمجاز ، والاستعارة ، والكناية ، وعرض الآراء المختلفة في كل موضوع ، ولكنه

⁽١) تنظر ترجمنه في تاريخ علوم البلاغة ص ٢١٣٠

⁽٢) تنظر ترجمته في تاريخ علوم البلاغة ص ٢١٧ .

لم يخرج عسا رسمه السكاكي والقزويني و ولو تجاوز المؤلف بلاغة القزويني لاستطاع أن يأتي بكل طريف ، لانه كان ذا عقلية ناضجة واحساس مرهف ، وله بعض الالتفاات القيمة في منهج السكاكي وتمحلات البلاغيين في تحديد مباحث علم البيان ، واستعانتهم بالدلالات العقلية وكان هذا الكتاب مدعاة للتفكير في اعادة النظر في مفاهيم البلاغة القديمة ، فاستفاد منه الاستاذ احمد مصطفى المراغي في نقد منهج السكاكي وأوحى الى الدكتور بدوي طبانة كتاب «البيان العربي» الذي كان نسخة موسعة منه مع تجديد في العرض ، واضافة ملاحظات لها قيمتها وأهميتها و

وللاستاذ أحمد الهاشمي كتاب «جواهر البلاغة »، وقد نهج فيه نهجا قريبا من منهج القزويني ، إلا أنه اختلف عنه في بحث الانشاء وحقيقته بعد أن تكلم على الخبر ، ثم ذكر أحوال المسند اليه ،والمسند، ومتعلقات الفعل ، والقصر ، والفصل والوصل ، والايجاز والاطناب والمساواة واما البيان والبديع فقد سار فيه على خطاه ، واضاف اليه بحث التصحيف ، والمواربة ، وائتلاف اللفظ مع اللفظ ، والتسميط ، والانسجام ، والسمهولة ، والاكتفاء ، والتطريز ، وختم الكتاب بالبحث في السرقات وما يتبعها ، وأضاف اليه تمرينات ليستفيد منها الطلبة ، ويتمرنوا على الاساليب ، وكتاب جواهر البلاغة من الكتب المدرسية الجيدة ، ولا يزال يدرس في المعاهد والثانويات ،

ووضع الاستاذ احمد مصطفى المراغي (١) « علوم البلاغة » على غرار تلخيص القزويني وأيضاحه ، مع ترتيب آخر لمباحث علم المعاني ، فقد قسمها الى الخبر، والانشاء، والذكر والحذف ، والتقديم والتأخير، والتعريف والتنكير، والتقييد، والخروج عن مقتضى الظاهر ، والقصر، والفصل والوصل ، والايجاز والاطناب والمساواة ، وبذلك رتيب موضوعاته و كم شتاتها تحت باب واحد وسار على خطا القزويني في

⁽١) تنظر ترجمنه في تاريخ علوم البلاغة ص ٢١٩.

تقسيم علمي البيان والبديع ، وجمع في كتابه بين طريقة عبد القـــاهر ومنهج السكاكي والقزويني ، واستفاد من امثلة الاول وتعليلاته ،وأخذ عن الآخرين منهجهما وتقسيماتهما مع تغيير قليل .

واهم كتب البلاغة الحديثة « البلاغة الواضحة » للاستاذين على الجارم ، ومصطفى امين(١) • وقد كان هـذا الكتاب حلقــة الاتتقال بالبلاغة من طابعها القديم المعتمد على تقرير القواعد ، وحفظ القوالب الى الاهتمام بالتحليل • وقد اتبع المؤلفان طريقة تربوية جـــديدة في التأليف، فكانت الامثلة تأتي قبل الشرح والقواعد، ثم تحلل ويشرح ما فيها من فنون بلاغية • وينتقل المؤلفان بعدها الى تقنين القواعد ، ثم عرض التمرينات • وقد سارا فيه من علم البيان، فالمعاني ، فالبديع • ولم يدرسا من الاخير الا الجناس ، والاقتباس ، والسجع ، والتورية ، والطباق ، والمقابلة ، وحسن التعليل ، وتأكيد المدح بما يشبه الـذم ، وعكسه ، وأسلوب الحكيم • ولعل أهـم ما يمتاز به كتاب البلاغة الواضحة البحث في الاسلوب وهو « المعنى المصوغ في الفاظ مؤلفة على صورة تكون أقرب لنيــــل الغرض المقصود من الكلام وافعل في نفوس سامعيه »(٢) • وقسماه آلى: الاسلوب العلمي ، والاسلوب الادبي ، والاسلوب انخطابي ، وبذلك كان هذا الكتـــاب من اوائل الكتب التي بحثت في الاسلوب في العصر الحاضر • وكانت هذه الكتب عماد دراسة البلاغة في مصر والاقساليم العربية الاخرى ، مع وجود مؤلفات عربية ككتاب « الخواطر الحسان في المعاني والبيان » للاستاذ جبر ضومط و «المبسط في علوم البلاغة» للاستاذ محمد طاهر اللاذقي.

هذه أهم كتب البلاغة التي أتجه فيها اصحـــابها الى القزويني ، يأخذون منه منهجه ، وطريقة عرضه وامثلته . وقد رأينا انها لم تقــدم

 ⁽۱) تنظر ترجمتهما في تقويم دار العلوم العدد الماسي ص١٦٢ ، ٢٠٥ والبيان العربي
 (الطبعة الثالثة) هامش ص ٢٦٣ .

⁽٢) البلاغة الواضحة ص ١٢ ٠

للبلاغة العربية الحديثة شيئًا ذا نفع ، ولم تغير منهج البحث والتأليف .

ونبغ كثيرون من خريجي الازهر ودار العلوم ، وكانت لهم كتب فيها تجديد ، ونزعة ادبية وكان الاستاذ احمد مصطفى المراغي من خيرة اساتذة دار العلوم في بحث البلاغة حيث الف كتاب «علوم البلاغة» الذي أشرنا اليه ، و « تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها » وهو بحث موجز في تاريخ البلاغة العربية ، وترجمه أهم رجالها الاعلام ، وفيه آراء قيمة ، ونظرات صائبة في منهج السكاكي ، ونلمراغي كتاب « بحوث وآراء في علوم البلاغة » وهو البحوث التي ذكرها فيما بعد مبوبة مهذبة في كتابه : « تاريخ علوم البلاغة » وان اختلفت طريقة العرض والتأليف ،

الجامعة والبلاغة:

ولما انشئت الجامعة المصرية سنة ١٩٠٨ م، قام اساتذتها يجددون في بحوثهم ، مستهدين بتراثهم القديم ، ومناهج الغربيين • وكان للبلاغة نصيب ليس بالقليل من هذا التجديد ، وتطبيق المنساهج الجديدة ، والاستفادة مما وصل البه الاوربيون في العصر الحاضر •

ولعل الاستاذ الدكتور طه حسين كان من اوائل الذين نادوا ببعث البلاغة انعربية ، وببحثها بحثايقوم على تفهم مرامي القدماء ومقاصدهم، وعلى الموازنة والمقارنة ببلاغة اليونان ، وذلك ببحثه القيم « البيان العربي من الجاحظ الى عبد القاهر » الذي القاه في مؤتمر المستشرقين باللغة الفرنسية في ليدن ١١سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٣١م ، ونشرمترجما بقلم الاستاذ عبد الحميد عبادي في مقدمة كتاب نقد النثر سنة١٩٣٩م، وقد قرر الدكتور طه حسين أن البيان العربي في اول نشأته وفي عهد الجاحظ تنبين فيه ثلاثة عناصر مختلفة هي : العنصر العربي ، والعنصر الفارسي، والعنصر اليوناني ، وقد بلغ ذروته على يدي الشيخ عبدالقاهر ولم يتقدم بعد، بل أخذ على العكس من ذلك في التأخر والانحطاط ، والجديد في هذا البحث أن الدكتور طه نبيه الى أثر ارسطو في البلاغة والجديد في هذا البحث أن الدكتور طه نبيه الى أثر ارسطو في البلاغة

العربية ، وبذلك قرر ان البيان العربي كان في جميع اطواره وثيق الصلة بالفلسفة اليونانية أولا ، وبالبيان اليوناني أخيراً ، ولهم يكن ارسطو المعلم الاول للمسلمين والعرب في الفلسفة وحدها ، ولكنه الى جانب ذلك معلمهم الاول في علم البيان ،

وكان لهذا الرأي أثر كبير فأخذ البساحثون يتلمسون ما أوجزه الدكتور طه ، ويقارنون بين بلاغة العرب وبلاغة اليونان ، فألف الدكتور ابراهيم سلامة بحثا قيما هو « بلاغة ارسطو بين العرب واليونان »أثبت فيه ما ذكره طه حسين ، وتتبع البلاغة العربية منذ الجاحظ ، متلمساأثر ارسطو ، وموضحاً فهم العرب لكتابي « الخطابة »و « الشعر » وخرج بنتائج طيبة فكان كتابه أهم بحث في هذا الميدان ، لولا وقوفه عند عبد القاهر ، واهماله السكاكي ، والقزويني ، وابن حازم القرطاجني ، وشراح التلخيص ، وعيرهم ممن كان تأثير الفلسفة ، وعلم الكلام ، ومنطق ارسطو ، اوضح فيهم ، واكثر ظهورا .

واشتغل الاستاذ امين الخولي في البلاغة وكان له أثر في توجيه طلابه نحو البحث الحربما ألقى من محاضرات ، وقدام من بحوث كبحث « البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها » و « البلاغة وعلم النفس » و «مصر في تاريخ البلاغة » ومقالته عن البلاغة في دائرة المعارف الاسلامية وكتابه « فن القول » الذي رسم فيه مناهج بحث الفن الادبي والبلاغة واخيرا كتابه « مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والادب » الذي ضم مقالاته المنشورة قديما .

وكتب الاستاذ أحمد الشايب في البلاغة والنقد ، وأخرج كتاب « الاسلوب » الذي يعد دراسة بلاغية تحليلي الذي كان محاول الادبي » الذي كان محاول الادبي » الذي كان محاول موفقة للجمع بين التراثين ، العربي والغربي ، في النقد ، وتفهم مسائله ،

وكانت نتيجة الجهود التي قـُـد مها شيوخ الازهر ، وأساتذة دار

العلوم ، والجامعة أن وظهرت دراسات جامعية في البلاغة لها اصالتها ، ولها اسلوبها الجديد ككتاب « البلاغة العربية في دور نشأتها» للدكتور سيد نوفل ، وكتابي «ابو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية» و « قدامة بن جعفر والنقد الادبي » للدكتور بدوي طبانة ، وكتابي « أثر القرآن في تطور النقد العربي الى اواخر القرن الرابع الهجري » و « ضياء الدين بن الاثير وجهوده في النقد » للدكتور محمد زغلول سلام ، وكتاب « ابن ابي الاصبع المصري بين علماء البلاغة » للدكتور حفني محمد شرف ، و « البلاغة عند السكاكي » للمؤلف ، و « مشكلة السرقات في النقد العربي » للاستاذ محمد مصطفى هدارة ، وألفت كتب أخرى منها « فن التشبيه» و « فن الجناس » و « البلاغة الغنية » للاستاذ على الجندي ، و « البيان العربي » و « السرقات الادبية » للاستاذ على الجندي ، و « البيان العربي » و « السرقات الادبية » للدكتور بدوى طبانة ،

اتجاه نفسي:

وظهر اتجاه نفسي في دراسة الادب ونقده في السنوات الاخيرة ، ومن البحوث المهمة في هذه الناحية مقالة « البلاغة وعلم النفس » للاستاذ امين الخولي ، وكتاب « علم النفس الادبي » للاستاذحامد عبد القادر ، وكتاب « من الوجهة النفسية في دراسة الادب ونقده »للاستاذ محمد خلف الله احمد ، وهذه الكتب والبحوث ـ وان لم تكن جديدة كل الجدة ـ تعتبر خطوة هامة في هذا الاتجاه، لان العرب ـ وان اشاروا الى الاثر النفسي في الاتساح الادبي ونقده ـ لم يستطيعوا ان يظهروا لنا هذا الاثر كما اظهره المحدثون بعد ان اطلعوا على دراسات علم النفس الحديثة ، وما كتب في هذا الميدان من دراسات تقدية وادبية، علم النفس الحديثة ، وما كتب في هذا الميدان من دراسات تقدية وادبية،

مناهج جديدة:

وقد حاول بعض المحدثين أن يضع مناهج بحث البلاغة الحديثة بعد أن وضعها القزويني وضعها الاخير ، ومنهم الاستاذ المرحوم طه

ابراهيم الذي لم تطبع محاضراته في البلاغة ، والاستاذ امين الخولي الذي يرى أن التقسيم القديم للبلاغة الى المعاني والبيان والبديع لا اساس له ولا غناء فيه ، لانه ينبغي أن يشمل البحث البلاغي : الكلمة والجملة ، والفقرة ، والقطعة ، لا البحث في الجملة والجملتين ، وان ما حشدته طريقة العجم وأهل الفلسفة في البلاغة من مقدهات منطقية ، واستطرادات فلسفية مختلفة ، ينبغي أن تبعد ، وتضم الى البلاغة مكانها مقدمات جديدة لا بد منها لدراسة فنية تقوم على الاحساس بالجمال والتعبير عنه ، وهذه المقدمات تتعلق بعلم النفس وأثره في التعبير الادبي والوجدان وعلاقته بمظاهر الشعور من ناحية العمل الفني ، وبالخيال ، والذاكرة ، والاحساس ، والذوق ، ثم نبدأ بعدها بدراسة البلاغة دراسة جديدة تقوم على منهج صحيح بشرط أن لا نفرط بدراسة البلاغة دراسة جديدة تقوم على منهج صحيح بشرط أن لا نفرط بتراثنا وبلاغتنا القديمة ، لان التجديد ليس معناه هدم القديم ، وانما هو البناء بعد الاستعانة به، وبما وصلت اليه الحضارة في هذه الايام (۱) ،

وتجمعت جهود الخولي في كتابه « فن القول » الذي كان توجيها منهجيا شاملا لبحث البلاغة ، وخلق مدرسة بلاغية جديدة ، فهو يرى أن بحوث فن القول ينبغي أن تقسم الى ثلاثة ابواب هي : المبادىء ، والمقدمات ، والبحوث ، وندرس في الاول تعريف فن القول ، وغايته ، وصلته بغيره من الدراسات ، وندرس في الثاني مقتبسات من القضايا النفسية التي تعيننا كثيرا في فهم الادب وتذوقه ، والاحساس بما فيه من روعة وجمال ، أما البحوث فتضم البحث في الكلمة الواحدة من حيث هي عنصر لغوي ، وما فيها من جمال وجرس موسيقى له اثر في التعبير ، وتضم البحث في الجملة وما يحدث فيها من تقديم وتأخير ، وحذف وذكر ، وايجاز واطناب ، وتضم البحث في الفقرة وما فيها من

⁽۱) ينظر فن القول ص ٢١٥ ـ ٣٢٣ ومقالة البلاغة العربية واثر الفلسفة فيهــــا ص ١٧ ، ومقالة البلاغة وعلم النفس ص ١٤٨ ، ومادة بلاغة في دائرة المعارف الاسلامية ج؟ ص ٧٢ ، وكتاب مناهج تجديد ص ٢٦٨ ، ٢٦٨ ، وص ٣٢٣ وما بعدها .

فصل ووصل ، وما تؤدي من صور • وتضم البحث في صور التعبير كالتشبيه ، والاستعارة ، والكناية ، والرمز ، والايحاء ، والتورية • وتضم القطعة الادبية ، وقد تكلم فيها على عناصر العمل الادبي ، وما بين اللفظ والمعنى من علاقة • واخيرا ندرس الاساليب الفنية في الادب وانواعها كالاسلوب الرمزي ، والفكاهي ، والتهكمي • وبهذا المنهج الواسع الذي يشمل معظم مباحث البلاغة القديمة ، وكثيرة من الفنون الحديثة ، نستطيع أن ندرس البلاغة دراسة جديدة ، تقوم على تفهم الفن الادبي ومقاييسه البلاغية والنقدية •

وكان كتاب « الاسلوب » للاستاذ أحمد الشهاب ثمرة خبرة عميقة في درس البلاغة وتدريسها ، وقد وضع على ضوء هذه الخبرة والتجارب منهجه الجديد ، ويرى أن ينحصر موضوع علم البلاغة في بابين أو كتابين : الاسلوب ، والفنون الادبية ، فندرس في الاسلوب القواعد التي اذا اتبعت كان التعبير بليغا أي واضحا مؤنرا ، فندرس الكلمة والصورة والجمئة والعبهارة ، والاسلوب من حيث انواعه وعناصره وصفاته ومقدماته وموسيقاه ، وفي هذا القسم نضع البلاغة العربية فعلم المعاني يدخل في بحث الجملة ، وعلم البيان واغلب البديع يدخل في باب الصورة ، وتبقى المباحث الاخرى مهملة في هذه الكتب التي انتهت اليها الدراسة البلاغية ، وفي الفنون الادبية وقد تسمى قسم الابتكار _ ندرس مادة الكلام من حيث اختيارها ، وتقسيمها ، وتنسيقها ، وما يلائم كل فن من الفنون الادبية ، وقواعد هذه الفنون وتنسيقها ، والمقالة ، والوصف ، والرسالة ، والمناظرة ، والتاريخ ،

وبالموازنة بين بحوث البلاغة كما دونتها الكتب العربية الاخيرة ، وموضوعها كما يجب أن يكون ، انتهى الاستاذ الشايب الى أن نصف البلاغة النظرية مفقود في اللغة العربية ، أكثره في قسم الفنون الادبية وباقية في باب الاسلوب ، وان شطرا من الاسلوب قد درس تحت عنوان المعاني ، والبيان ، والمديع ، وهو شطر على خطورته يعوزه التنسيق ،

ولسنا بحاجة الآن الى هذه الاسماء التي تسمى علوما خاصة لاجل فصول بلاغية يسيرة ، وان البلاغة العربية في حاجة الى وضع علمي جديد ، يشمل هذه الابواب والفنون ، ويصل بينها وبين الطبيعة الانسانية وملابساتها الزمانية والمكانية حتى يخدم الادب ، وأن الادباء هم أولى الناس بدرس البلاغة حتى يخلصوها من اساليب الفلاسفة ومذاهبهم وألغازهم ، فذلك هو الذي افسد بلاغتنا و حواكها بحوث لفظية عقيمة أشبه بالرياضة والكيمياء (۱) .

ويرى الاستاذ عبد الله العلايلي أن ننهج في دراسة البيان الجديد أحد وجهين :

الاول: الغاء كل مباحثه واصطلاحاته سوى التشبيه ، والكناية ، فان ما بقي يرجع اليهما من أقرب الطرق اذا انصفنا التطييق ولم نتحرج عليه بتمحل محض • فهذه الاستعارة بالكناية يمكن أن ترد الى التشبيه الكنائي فيقال في مثل:

واذا المنية أنشبت اظفاركها ألفيت كُلَّ تميمة ٍ لا تنفع ً

شبهنا المنية بشيء له اظفار ، وأرسلناه كناية عن الامساك في دقة وشدة تعلق • وما وراء هذا من التخييل تخييل • أو بلا ملحظ التشبيه اصلا وانما من اول الامريقال: جعل للمنية اظفارا كنايةعن دقة التعلق وعسر الخيلاص •

والثاني: الى حقيقة ومجاز، وكل منهما كناية، وتجريد، والكناية الحقيقية تشمل الكناية البسيطة، والتشبيه، والمجساز المرسل، والمجاز المركب، والكناية المجازية تشمل كل كناية انبنت على تشبيه، والكنساية المركبة،

اما علم المعاني فلم كان للغة بمثابة المنطق ، فيرى أن لا يدرس في

۱۱) الاسلوب ص ۲۸ – ۳۱ .

كتب القواعد كعلم ، بل يدرس على نهجه في كتب الادب كما نجد عند عبد القاهر في « دلائل الاعجاز » ، وعند الزمخشري في التفسير ، مع تهذيب مباحثه لتكون أدخل في الذوق ، وأقرب مناطا بالنفس •

ويدرس علم البديع كما يدرس علم المعاني(١) •

وتكلم الاستاذ أدور مرقص في مقالته « نظرة في قواعد علوم اللغة العربية وآدابها » على انواع البديع المقترحة يقول: « وقد فكرت في ذلك مليا ، وقلت إنَّ هذا الفن اصبح معرضا لناموس رد الفعل ، فهو الآن محتاج الى شيء من الاندغام ، والاندماج ، عوض ما وقع فيه من التمدد المفرط المحسوب مضلة ومتاهة ، ومن ثم اجتهدت في رد انواعه الى اجناس قليلة يدخل تحت كل جنس منها عدة انواع » (٢) •

وامهات الاجناس البديعية التي تنبه اليها: الموافقة ، والمخانفة ، والترتيب ، والمبالغة ،والاستدراج، والتلميح ،وحسن التعليل،والايهام، والتدقيق ، والتوليد ، والكلام الجامع .

أما الموافقة فتنطوي على نواع الجناس ، والمراجعة ، والتوشيح ، وتشابه الاطراف ، والتفويف ، والتصدير ، ومراعاة النظير ، والتمثيل والتوجيه ، والترديد ، والتكرار ، والمناسبة ، والتشبيه ، والتفصيل ، والمشاكلة ، والجمع ، والتصريع ، وتشبيه شيئين بشيئين ، والاشتقاق ، والاتفاق ، والمماثلة ، والتسهيم ، والتطريز ، والترجيع ، والتفريع ، والسجع ، والتسميط ، والالتزام ، وائتلاف اللفظ مع المعنى ومع الوزن، وائتلاف المعنى مع المعنى ، والحذف ، والتدبيج ،

و آما المخالفة فينطوي تحتها: الطباق ، والمقابلة ، وايهام التضاد ، والمناقضة ، والعكس ، والتفريق ، والسلب والايجاب ، والرجوع ، والاستحداك .

⁽۱) مقدمة لدرس لفة العرب ص ٣٤ ـ ٥٤ .

⁽٢) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق مجلد ١٩ ص ٨١٠ .

وأما الترتيب فينطوي تحته الترتيب ، والطي ، والنشر ، وايهام التناسب ، والاطراد ، والتقسيم ، والتفسير ، والايضاح ، وحسسن النسق ، والتشطير ، والتعديد ، وجمع المؤتلف والمختلف ، والمزاوجة ، والجمع مع التقسيم ، والجمع مع التفريق .

واما المبالغة فتشممل على التبليغ ، والاغراق ، والغلو ، والقسم ، وتجاهل العارف ، والاستثناء ، وحصر الجزئي والحاقه بالكلي .

وأما الاستدراج فيشتمل على الافتنان ، والتذييل ، والاستتباع ، والادماج ، وحسن التخلص ، وعتاب المرء نفسه .

وأما التلميح فيدخل في دائرته: التلميح ، والاشارة ، والاكتفاء ، والتوجيه ، والاقتباس ، والتضمين ، والابداع ، والالغاز ، وبراعـــة المطلـــب .

وأما حسن التعليل ففيه حسن التعليل ، والالتفات ، والمسلمه الكلامي ، والاتساع ، والمغايرة .

وأما الايهام ففروعــه الابهام ، والمدح في معرض الذم ، والذم في معرض المدح ، والتورية ، والاشتراك ، والاستخدام .

وأما التدقيق فاقساميه التشريع ، والايغال ، والاعتراض ، والاحتراس ، والفرائد ، والتنكيت ، والتكميل .

وأما التوليد ففروعه التوليد، وسلامة الاختراع، وحسن الاتباع، وأما الكلام الجامع ففيه الكلام الجامع، وارسال المثل،

واضاف جنس الكناية وهو _ عنده _ الكنايـة ، والتعريض ، والارداف ، والايضاح ، والقول بالموجب .

ويلاحظ أن هذه الاجناس المنطوية على هذه الانواع لا تقتصرعلى الانواع المختصة بفن البديع كما عرفه البكاغيون ، بل تتناول معظم الاساليب البليغة التي تشير اليها فنون البلاغة الثلاثة • وقد وسع

الباحث مفهوم هذه الفنون ، ونظر اليها نظرة لغوية الى جانب كونها مصطلحات فنية ثابتة ، وبذلك استطاع ان يتصرف فيها هذا التصرف الحسن ، وينظر اليها هذه النظرة الواسعة .

ويرى الاستاذ أنيس المقدسي أن تبويب موضوعات البلاغة القديم لا يفيد فائدة كبيرة ، ولذلك وضع ترتيبا آخر يكون أقرب الى واقع اللغة ، يقول : « رأينا أن مقاييس البلاغة لم توضع اعتباطا ولا توقيفا ، بل ترجع الى اعتبارات نفسية عامة • وقد اهتم علماء العربية قديما بهذه المقاييس ، وتدارسوها في أقسامها الثلاثة المعاني والبيان والبديع، وافتن الشعراء والمنشئون في التأنق بصورها • على أن العلماء مع توفرهم على درسها ، وشرحها ، لم يعنوا بتبويها تبويبا منطقيا يسهل على الباحث فهم حقيقتها والرجوع الى اصولها » (۱) •

وقد بوبها تبويبا جديدا وحصرها في ستة أبواب هي:

باب التعادل ، ويراد به تماثل الفقرات في الجمل وزنا وتركيبا وقد يسمى الازدواج ، ويدخـــل فيه التوازن ، والممــاثلة ، والسجع ، والتسميط ، والترصيع ، والتزاوج .

وباب التواطئ واللفظي ، وهو أن تكون الالفاظ على جرس واحد، أو من أحرف متشابهة سواء اختلفت في المعنى أم لم تختلف ، وتقوم بلاغتها على تنبيه الذهن الى المعنى بمعارضة اللفظين المتجانسين ، وعلى ما فيها من حلاوة موسيقية ناشئة عن تجانس الحروف وتآلفها ، ويدخل فيه الجناس ، والتورية ، والتصدير ، والعكس ، والجمع مع التفريق ، والمجاورة ، والطى ، والنشر .

وباب التواطؤ المعنوي ، ويتناول ما كان فيه مشابهة بين شيئين . ومنه التشبيه ، والتمثيل ، والاستعارة ، ومراعاة النظير ، وتجاهل العارف .

١١٠ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق مجلد ٣٠ ص ٣٠٠.

وباب المغايرة، وهو عكس المشابهة ، ويراد بها الجمع بين المتضادات أو اشباهها • ويدخل فيه المقابلة ، والمطابقة ، والطرد ، والعكس ، والتهكم ، والاستفهام البياني ، والتغاير ، والسلب ، والايجاب ، وقد يدخل تحت هذا الباب المناقضة ، والاستدراك ، والاستثناء ، والمجاورة، والترديد ، وغير ذلك من هذه المقابلات •

وباب الخروج عن المعتاد ، ويشمل المجاز المرسل ، والتجريد ، والالتفات ، وتقديم ما حقه التأخير ، وبالعكس ، وتأخير المتقدم ، والغلو ، والميالغة .

وباب الايمــاء الى غرض ، ومما يدخل فيه الكناية ، والتوجيه ، والاكتفاء ، والاتفاق ، والاشــارات اللغوية والعلمية ، والادماج ، والتنميـم ٠

واذا رجعنا الى هذه الاتجاهات في تجديد البلاغة رأينا آن منها الخولي أقرب الى واقع البلاغة وواقع اللغة العربية ، لما امتاز به منجمع شتات البلاغة ، وتوزيعها توزيعا جديدا ، ويلاحظ أنه استفادمن بلاغة السكاكي في رسم منهجها ، ووضع اصولها ، ولم يخرج رأي الاستاذ الشايب عن رأي الخولي في قسمه الاول الخاص بالاسلوب ، أما القسم الآخر فلا نرى مبررا لادخاله في البلاغة ، وانما يكون موضعه دراسات خاصة تتعلق بالفنون الادبية المختلفة ، أما رأي العسلايلي فنرى فيه قضاء على كثير من صور التعبير ، وابتعادا عن البلاغة العربية قد يحرمنا ما في تراثنا من فائدة في بناء البلاغة التي نريدها ، والمجدد هو من قتل التراث القديم درسا وتحقيقا ، واطلع على مناهج البحث الحديثة فاخرج لنا جديداً لهصلة عميقة بالتراث القديم ، وارتباط عظيم بالحاضر الذي نحياه ،

ونحن لن نقبل أيـــة دعوة جديدة غير مبنية على اساس قوي ؛ تدعمها الحجج القوية وواقع اللغة العربية • ولن نؤمن بأي مجدد يبني

اصوله على الحديث وحده بحجة ان المحدثين اكثر اطلاعا من القدماء ، وأوسع افقا منهم وكثيرا ما نرى الجديدلا يحتفظ دائما بصفة الجودة كما يزعم دعاته ، بل ان اصحابه الاصليين كثيرا ما ينشككون فيه وهذا ستانلي هايمان من اكبر النقاد الغريين يرى أن النقد الادبي الذي كتب بالانكليزية في مدى الربع الماضي من هذا القرن مختلف من حيث النوع عن أي تقد سبقه ، وسواء سمي هذا تقدا جديدا أم نقدا علميا أم نقدا عاملا أم نقدا حديثا ، فان صلته الوحيدة بالنقد العظيم في العصور الماضية لا تعدو الصلة بين الخالف والسالف و فليس القائمون به أشد ألمعية أو اكثر تنبها للادب من اسلافهم بل انهم في الحق به أشد ألمعية أو اكثر تنبها للادب من اسلافهم بل انهم في الحق وكولردج (۱) وكولردج (۱) و

ومثل هذا يقال فيما ذكره الاستاذان أدوار مرقص وأنيس المقدسي، ويبدو انهما اطلقا هذين الرأيين من غير ملازمة طويلة للبلاغة والنقد وان وفقا بعض الشيء فيما ذكراه ، إلا انهما لم يصلا الى ما ذكره الخولي الذي خبر كتب البلاغة ، وغاص في أعماقها ، وسبر أغوارها ، وعرف منهج البلاغة عند الغربيين الذي يصفه بانه « واضح المعالم ، متميز القسمات ، سليم الاساس ، لا يخشى ان تشوبه شوائب مغيرة ، أو تناله انحرافات مؤثرة » (٢) .

هذه أهم اتجاهات البلاغة الحديثة وأهم آراء الباحثين في دراستها ، وقد عرضنا لها لانها مبنية على ما تركه القزويني وشراح الخيصه ويحن هنا نقف لنسأل ما قيمة بلاغة القزويني وشروح التلخيص في همذا التجديد ؟ وما أهم الموضوعات انتي يمكن الاستفادة منها ؟ وما الموضوعات التي يجب أن تجرد البلاغة منها لتكون صالحة في تقييم الادب ونقده ، واظهار ما فيه من روعة وجمال ؟.

⁽١) ينظر النقد الادبي ومدارسه الحديثة ج١ ص ٩ .

٢) فن القول ص ١٠٦ ٠

النهج

جاء القزويني في عصر استقرت فيه علوم اللغة العربية ، وصنور للباحثين انها اخذت شكلها الاخير أو كادت ، ولم يبق أمامهم الا ان يعكفوا على القديم يدرسونه ، ويختصرونه ، او يشرحونه ، ويفصلون القول فيه تفصيلا ، أو ان ينكبوا على العلوم ليجمعوا الاشباه والنظائر، وينسقوا الموضوعات ، وكان عصر القزويني عصر الموسوعات ، ففيه وضع ابو الفضل محمد بن علي الافريقي المصري جمال الدين المعروف بابن منظور (١١١ هـ) اضخم موسوعة لغوية هي « لسان العرب » ، ووضع احمد بن عبدالوهاب المعروف بشهاب الدين النويري ووضع احمد بن عبدالوهاب المعروف بشهاب الدين النويري ابن فضل الله العمري (١٩٤٩هـ) « مسالك الابصار في ممالك الامصار»، وتابعهم في هذا الاتجاه احمد بن علي القلقشندي (١٩٦٨هـ) فوضع وتابعهم في هذا الاتجاه احمد بن علي القلقشندي (١٩٦٨هـ) فوضع أكدت على نواح معينة في صناعة الانشا » وهذه الكتب وإن أكدت على نواح معينة فيها الفائدة ،

وما كان للقزويني الذي نشأ في هذا العصر أن يأتي بكل جديد طارف ، وما كان له ان يخرج على المألوف بعد ان رأى اتجاه قومه الى التراث القديم يخدمونه بتلخيصاتهم وشروحهم ، وقد نهز معهم بدلوه

فاتجه الى مفتاح العلوم ولخص قسمه الثالث ، بعد ان رأى فيه حشوا ، وتطويلا ، وتعقيدا ، فاراد أن يختصره ، ويهذبه ، ويرتبه ترتيبا أقرب تناولا من ترتيبه ، ورأى أن هذا الكتاب كـان مختصرا غير واف بالغرض ، فوضع شرحا عليه هو : « الايضاح »الذي وقفت البلاغة عنده، ولم يكتب لها بعده التطور والتجديد ،

الفصاحة:

لقد قسم القزويني البلاغة الى مقدمة ومقاصد ، والمقدمة في الكشف عن معنى الفصاحة والبلاغة ، ومن المقاصد ما يعرف به وجه الاحتزاز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد وهو «علم المعاني» ، وما يحترز به عن التعقيد المعنوي وهو «البيان» ، وما نعرف به وجوه التحسين وهو «البديع» ، وبهذا التقسيم و رَوَّع القزويني بحوث البلاغة ، وهو تقسيم لا نراه مجديا في دراسة البلاغة العربية .

لقد أخرج بحث الفصاحة عن مقاصد البلاغة وجعلها مقدمة و جرّ هذا الى نقاش واختلاف في معنى المقدمة ، يقول السبكي « فان اراد انها مقدمة الكتّاب فهي جزء منه ، وان اراد انها مقدمة العلوم فهي ذريعة اليها بدليل انه سيذكر هذه العلوم مستقلة ، ويجوز ان تكون جزء لكل من الثلاثة ، فلذلك قكمها عليها ، فالراجح انها جزء على التقديرين خلافا لقول الخطيبي انها ذريعة »(۱) ، و جرت هدة المقدمة شراح التلخيص الى الخوض في معناها ، واشتقاقها ، وما الى ذلك من أمور لا تهم الدارس ، وجاءوا بكلام أبعد ما يكون عن فن البلاغة ودرسها ، وهذا أمر لا نوافق القزويني عليه، لان الكلمة المفردة هي العنصر الاساس في عمل فني اداته الكلمة ، وان البحث فيها ومعرفة خصائصها لمن اوائل ما يبدأ به الدارس في تفهم البلاغة ونقد الكلام .

ان البحث في فصاحة الكلمة المفردة والكلام المركب وفصاحة المتكلم،

۱) عروس الافراح ج۱ ص ۲۷ .

لامر ضروري في دراسة البلاغة ، ولا يمكن المضي في تحسس مواطن الجمال في الكلام ما لم نُول ِ الكلمة الاهتمام اللازم •

وكان القدماء أحسن منهجا ، وأصح تفكيرا حينما درسوا الفصاحة دراسة عميقة واسعة واهتموا بالكلمة اهتماما كبيرا ، ولو مضينا تتصفح كتب البلاغة والنقد منذ القديم لوجدنا الكلمة وفصاحتها تشغل بال النقاد والمفكرين ، فالجاحظ وهو من أقدم الذين بحثوا في البلاغة أولاها اهتماما ظاهرا، وتكلم على تنافر الحروف والكلمات ، واستحسن ما حقه الاستحسان ، واستهجن ما بدت فيه الهجنة واضحة للعيان .

وعقد معظم البلاغيين فصولا فيها ، وادار ابن سنان الخفاجي كتابه «سر الفصاحة » على بحث اللفظة الواحدة ، والكلام في الالفال المؤلفة ، ووضع لها شروطا ، وقسم ابن الاثير المشلل السائر الى مقالتين : في الصناعة اللفظية ، والصناعة المعنوية ، وقد تكلم في الاولى على اللفظة المفردة ومتى تحسن ومتى تقبح، وعلى الالفاظ المركبة كالسجع، والتصريع ، والتجنيس ، والترصيع ، ولزوم ما لا يلزم ، والموازئة ، واختلاف صيغ الالفاظ واتفاقها ، والمعاظلة اللفظية، والمنافرة بين الالفاظ في السبك ،

لقد بحث هذان الناقدان البلاغيان الفصاحة بحثا مفصلا ، وادارا عليها كتبهما البلاغية ، ولم ينظرا اليها هذه النظرة الضيقة ، ولم يجعلاها مقدمة لعلم البلاغة ، وانما هي جزء مهم ، بل هي نصف الدراسات البلاغية كما نجد عند ابن الاثير .

ولعل الذي دعا القزويني الى جعل الفصاحة مقدمة انه رأى السكاكي لم يهتم ببحثها ، وانما اشار الى انقسامها الى فصاحة لفظية ، وفصاحة معنوية بعد انتهائه من بحث البيان ، وبذلك قتل هذا الفن واحالم رميما ، وقد لا يكون السكاكي ملوما في هذا ، لانه عاش في بيئة اعجمية لا تفقه أمر الفصاحة ، ولا تعرف لها قيمة ، ولانه كان يتتبع خطا

عبد القاهر الذي لم يجعل للفظة المفردة أهمية ومكانة في الكلام ،وانما اهميتها عندما تلتئم مع الكلمات الاخرى مكونة جملة أو عبارة ، وقد دفعه الى هذا اعجابه بالنظم وارجاع كل ميزة للكلام اليه ، وقد يكون السكاكي معذورا لهذه الاسباب ، أماً القزويني الذي عاش في بيئة عربية ، وكان على اطلاع بما كتب بلاغيو هذه البيئة وتقادها ، فلن تلتمس له العذر ما دام قد حاول ان يغير في بلاغة السكاكي بعض التغيير كما اشار اليه في مقدمة « التلخيص » و « الايضاح » ، وكان السبكي أحد شراح تلخيصه اسلم منهجا ، وأصفى ذوقا عندما اهتم بهذه المقدمة ، وبحث الفصاحة بحثا يعتمد على كتب البلاغة المتقدمة كسر الفصاحة والمثل السائر والجامع الكبير وغيرها من الكتب التي اعطت الموضوع حقه ،

إن دراسة حسن اللفظة _ من حيث جرسها الصوتي ، ومن حيث اداؤها لمعناها ودلالتها اللغوية وغير ذلك مما يتعلق بدراسة الكلمة _ لضرورية في دراسة البلاغة ، وقد أولاها الغربيون في العصر الحديث أهمية بالغة قدرسوها دراسة عميقة ، واستفاد المعاصرون مما كتب العرب فيها وما نمقه الغرب فأولوا هذا البحث أهمية ، وقرر الاستاذ الخولي أن أول ما ينبغي دراسته في بحوث البلاغة «الكلمة » ، ووضع منهجدراستها من حيث هي عنصر لغوي ومنحيثهي جزءمن الجملة (١) منهجدراستها من حيث هي عنصر لغوي ومنحيثهي جزءمن الجملة (١) .

واذا اردنا ان نبحث الكلمة على خطة الخولي فلن يكلفناذلك عناء. كبيرا لان العرب تكلموا عليها ، وليس لنا الا ان نعود الى الكتب القديمة نستخلص منها ما يخص الكلمة باوضاعها المختلفة ، وننظر في الدراسات النقدية الحديثة لنضم القديم الى الجديد ، ونخرج منها دراسة نقدية تكون ذات قيمة في الدراسات الجديدة .

ولاهمية دراسة الفصاحة والكلمة لا نرى لعمل القزويني معنى في

⁽١) ينظر فن القول ص ٢١٧٠

جعلها مقدمة واخراجها من مقاصد البلاغة ، لان الكلمة المفردة عنصر اساسي في عمل فني أداته الكلمة ، ولانها من مقاصد الفن البياني لا من مقدماته • ولكننا مع ذلك نستطيع ان نستفيد مما كتبه عن الفصاحة وصفات الكلمة ، ونضمه الى ما كتب غيره من النقاد •

علم اللعاني:

اما موضوعات البلاغة فقد قسمها الى ما يحترز به عن الخطأ وهو «علم المعاني »، وما يحترز به عن التعقيد المعنوي وهو «علم البيان» ، وما يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال وفصاحته وهو «علم البديع» •

وقد عرف المعاني بقوله: « هو علم يعرف به احوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال $\mathbb{P}^{(i)}$ • وسار على منهج السكاكي في تقسيم بحوثه ، مع اختلاف يسير في بعض القضايا ، وحصره في ثمانية ابواب هي: احوال الاسناد الخبري ، واحوال المسند اليه ، وأحوال المسند ، واحوال متعلقات الفعل ، والقصسر ، والانشاء ، والفصل والوصل ، والايجاز والاطناب والمساواة •

ووجه الحصر ان الكلام أما خبر او انشاء ، لانه امسا ان يكون لنسبته خارج تطابقه او لا تطابقه ، او لا يكون لها خسارج ، الاول الخبر ، والثاني الانشاء ، ثم الخبر لا بدلسه من اسناد ومسند اليه ومسند ، واحوال هذه الثلاثة هي الابواب الشسلانة الاولى ، ثم المسند قد يكون له متعلقات اذا كان فعلا ، او متصلا به ، او في معناه كأسم الفاعل ونحوه ، وهذا هو الباب الرابع ، ثم الاسناد والتعلق كل واحد منهما يكون اما بقصر او بغير قصر ، وهذا هو الباب الخامس ، والانشاء هو الباب السادس ، ثم الجملة اذا قرنت باخرى فتكون الثانية اما معطوفة على الاولى او غير معطوفة وهذا هو الباب السابع ،

⁽۱) الايضاح س ۱۲ .

ولفظ الكلام البليغ اما زائد على اصل المراد لفائدة ، أو غير زائد عليه، وهذا هو الباب الثامن »(١) .

بهذا الاسلوب حصر القزويني بحوث علم المعاني ، وهو حصر لا نرى له ما يبرره ، لان الفن الادبي لا يحصر هذا الحصر ، ولا يحد بهذه الحدود العقلية ، وان تقسيمه الكلام الى حبر وانشاء لا نرى له فائدة في البلاغة لانه بحث فلسفي أخذه البلاغيون عن أصحاب المنطق ، وقد عرض ارسطو لاساليب الخبر والطلب في بحوثه المنطقية ، وذكر في كتاب المقولات ان الجملة الموجبة او السالبة ، هي المحتملة للصدق والكذب ، وأما الالفاظ غير المؤلفة فليس شيءمنها صادقاولا كاذبا كابيض ويحضر ويظفر ، وذكر في كتاب « العبارة » انه ليس كل كلام بجازم « انما الجازم القول الذي وجد فيه الصدق والكذب وليس ذلك بموجود في الاقاويل كلها ، ومثال ذلك الادعاء فانه قول ما ، لكنه ليس بصادق ولا كاذب » (٢) .

وأخذ البلاغيون هذه القضايا مسلما بهامع ان ارسطو نفسه لا يرى في دراسة الامر ، والرجاء ، والاستفهام فائدة أو قيمة في الشعر ، انما هي امور تتعلق بالممثل والخطيب ، ولاجل هذا يرى انه لا قيمة حقيقية للنقد الذي يوجه الى الشاعر بانه يعرف أو يجهل هذه الامور ، يقول « ٠٠ اذ كيف نسلم باللوم الذي وجهه فروتاغوراس الى هوميروس بانه ساق العبارة في صيغة الامر وهو يعتقد انه رجاء حين قال : « انشدي ايتها الربة في غضبة » اذ قال فروتاغوراس ان القول بفعل كذا او عدم فعله هو أمر ، ولهذا يجب علينا ان نطرح هذه المسألة جانبا ، لانها من شأن علم آخر وليست من شأن فن الشعر » (٣) .

وأحس القدماء انفسسهم بهذا فقالوا بعد هذا الحصر تعليقا على

⁽۱) ينظر الايفساح ص ۱۳ .

⁽۲) منطق ارسطو ج۱ ص ۲ ، ۹۳ .

⁽٣) فن الشعر ص ٥٤ .

كلمة القزويني: إِنَّ الخبر لا بد له من مسند اليه ، ومسند ، واسناد ، والمسند قد يكون له متعلقات اذا كان فعلا او في معناه ، وقالوا انه لا وجه لتخصيص هذا الكلام بالخبر ، لان الانشاء لا بد له مما ذكر أيضا (١) ، وحاول الدسوقي ان يصحح تعبير القزويني فقال : « فكان على المصنف ان يقول : وكل من الخبر والانشاء لابد له من مسند» (٢) ،

ولا يفيد هذا التعليق في التخلص من اضطراب القزويني في هذا الحصر ، وتقسيم الكلام الى خبر وانشاء ، لان القدماء انفسهم لم يتفقوا عليه فيرى بعضهم ان الكلام انواع كثيرة يقول السبكي: «وذكر المصنف حصر الكلام في الخبر والانشاء وهو كذلك ، الا ان منهم من يخص الانشاء بما لا طلب فيه ويقسمه الى خبر ، وطلب ، وانشاءومنهم من يجعله ثلاثة اقسام : خبر وانشاء ، وهو ما دل على الطلب دلالة أولية ، وتنبيه ويدخل فيه الاستفهام ، والتمني ، والترجي ، والقسم ، والنداء ، وهو اصطلاح الامام فخر الدين ، قلت : ومنهم من يجعل الكلام خبرا وطلبا وهو ابن مالك في الكافية ، ومنهم من يربيع الاقسام فيقول خبر ، واستخبار ، وطلب ، وانشاء » (٣) ،

وتقسيم القزويني الكلام الى خبر وانشاء ، أقربهذه الاقسام الى الدقة كما نرى ، ولكننا مع ذلك لا نريد للمجددين ان يقسموه هذا التقسيم ، لان هذا عمل فلسفي لا يجدي تفعا وقد أخذه البلاغيون من الهل المنطق وعلى رأسهم ارسطو، ونرى ان يلغي هذا التقسيم ، لان الانشاء فرع من الخبر والى ذلك اشار السبكي وهو يعلل تقديم الخبر عليه بقوله: « وانما قدم الخبر لانه اكثر بحثا ، ولان كشيرا من الانشاء فرع من الخبر كالجملة التي يدخل عليها ليت ، ولعل ، والاستفهام »(٤) ، وقد

⁽¹⁾ المختصر ج اص ١٧٠ ، وحاشية الدسوقي ج ا ص ١٧٠ .

⁽٢) حاشية الدسوقي ج١ ص ١٧٠ ٠

۳) عروس الافراح ج۱ س ۱۷۲ .

⁽٤) عروس الافراح ج اس ١٧٢٠

اشار عبد القاهر الى ان ما يحصل للانشاء يكون للخبر ، يقول: «واعلم ان معك دستورا لك فيه ان تأملت غنى عن كل ما سواه ، وهو انه لا يجوز ان يكون لنظم الكلم وترتيب اجزائه في الاستفهام معنى لا يكون له ذلك المعنى في الخبر ، وذلك ان الاستفهام استخبار ، والاستخبار هو طلب من المخلطب ان يخبرك ، فاذا كان كذلك كان محالا ان يفترق الحال بين تقديم الاسم وتأخيره في الاستفهام فيكون المعنى اذا قلت : «أقام زيد » ثم لا يكون المعنى اذا قلت : «أقام زيد » ثم لا يكون هل الافتراق في الخبر ، ويكون قولك « زيد قام » و « قام زيد» سواء » (۱) ، ويقول في موضع آخر : « واذ قلد عرفت الحكم في الابتداء بالنكرة في الاستفهام فابن الخبر عليه » (۲) ،

وأحس القزويني نفسه بان هـذا التقسيم غير منجد في بحث البلاغة ، لذلك تكلم على الفصل والوصل ، والايجاز والاطناب والمساواة بعد ان تكلم على الخبر والانشاء، لانهالا تخص واحدا منهما وانما هي من صفاتهما معا ، ولكنه كـان لا بد ان يتكلم على الخبر والانشاء اولا ، ثم يشرع في بحث ما يحدث لهما من تقديم وتأخير ، وذكر وحذف ، وتعريف وتنكير ، وقصر ، وفصل ووصل ، وايجاز واطناب ومساواة ، وغيرها من الموضوعات التي ادخلها في علم المعاني وبذلك يسلم منهجه من الاضطراب .

واختلف القدماء في انحصار الخبر في الصادق والكاذب ، فذهب معظمهم الى انه منحصر فيهما ، ثم اختلفوا فقال الاكثر منهم صدقه مطابقة حكمه للواقع ، وكذبه عدم مطابقة حكمه له ، ولعل النظام استاذ الجاحظ كان من اوائل الذبن تحدثواعن الخبر والطلب ، وحددوا معناهما ، وضبطوهما بمقياس الصدق والكذب يقول: ان صدق الخبر مطابقة حكمه لاعتقاد المخبر صوابا كان او خطأ ، وكذبه عدم مطابقة

⁽١) دلائل الاعجاز ص ١٠٨٠

⁽٢) دلائل الاعجاز ص ١٠٩ ٠

حكمه له ، فقول القائل « السماء تحتنا » معتقدا ذلك ، صدق ، وقوله « السماء فوقنا » غير معتقد ، كذب »(١) .

واحتج لهــذا الرأي بوجهين :

أحدهما: ان من اعتقد أمرا فاخبر به ثم ظهر خبره بخلاف الواقع يقال: ما كذب ولكنه اخطأ ، كما روي عن عائشة رضي الله عنها انهاقالت: فيمن شأنه كذلك: « ما كذب ولكنه وهم » •

والثاني: قوله تعالى « والله مي يكشهك إن المنافقين كاذبون (٢) كذبهم في قولهم « إِنَّكُ لرسول الله م (١) وان كان مطابقا للواقع لانهم لم يعتقدوه ٠

وأجاب القزويني عن هذا الكلام بوجوه :

احدها: ان المعنى نشهد شهادة واطأت فيها قلوبنا السنتنا ، كما يترجم عنه «إن » و « اللام » ، وكون الجملة اسمية في قولهم « انك لرسول الله » فالتكذيب في قولهم « نشهد » وادعائهم فيه المواطأة لا في قولهم « انك لرسول الله » •

وثانيها: ان التكذيب في تسميتهم اخبارهم شهادة ، لان الاخبار اذا خلا عن المواطأة لم يكن شهادة في الحقيقة •

وثالثها: ان المعنى لكاذبون في قولهم « انك لرسول الله » عند انفسهم لاعتقادهم انه خبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه (٤) ٠

وأنكر الجاحظ انحصار الخبر في القسمين وزعم انه ثلاثة اقسام: صادق ، وكاذب ، وغير صادق ولا كاذب ، لان الحكم اما مطابق للواقع مع اعتقاد المخبر له أو عدمه ، واما غير مطابق مع الاعتقاد او عدمه ،

المطول ص ۳۹ .

⁽٢) سورة المنافقون ، الآية ١ .

⁽٣) سورة المنافقون ٤ الآيــة ١ .

⁽٤) الايضاح ص ١٤٠

فالاول أي المطابق مع الاعتقاد هو الصادق ، والثالث أي غير المطابق مع الاعتقاد هو الكاذب و والثاني والرابع أي المطابق مع عدم الاعتقاد وغير المطابق مع عدم الاعتقاد كل منهما ليس بصادق ولاكاذب فالصدق عنده مطابقة الحكم للواقع مع اعتقاده والكذب عدم مطابقته مع عدم اعتقاده وغيرهما ضربان: مطابقته مع عدم اعتقاده وعدم مطابقته مع عدم اعتقاده واحتج بقوله تعالى « أفْتَرَى على الله كذ با أم به جنته "(۱) فانهم واحتج بقوله تعالى « أفْتَرَى على الله كذ با أم به جنته "(۱) فانهم حصروا دعوى النبي صلى الله عليه وسلم الرسالة في الافتراء والاخبار حال الجنون ، بمعنى امتناع الخلو ، وليس اخباره حال الجنون كذبا ، لجعلهم الافتراء في مقابلته ، ولا صدقا ، لانهم لم يعتقدوا صدقه ، فثبت ان من الخبر ما ليس بصادق ولا كاذب (۲) .

ولم يكبر القزويني الى هذا الحديث إلا "تقسيمه الكلام الى خبر وانشاء ، وانحصار الخبر في الصدق والكذب او في غيرهما ، وبالغاء هذا التقسيم نخلص من هذه الامور الغربية في البلاغة ونخليها من كل ما يعيقها عن اداء مهمتها ، وهي نقد الكلام ، واظهار ما فيه من روعة وجمال ، او اسفاف وابتذال ، وليس من الصحيح ان نعتمد في بحث المعاني على ركني الجملة ، لان هذا يؤدي انى توزيع موضوعاته في أبواب متفرقة ، فالتقديم مثلا بحثه في المسند اليه مرة وفي المسند تارة اخرى ، وكان عليه ان يكثم " شتات الموضوع الواحد ، فيبحث التقديم والتأخير في فصل واحد ، والحذف والذكر في فصل آخر ، والتعريف والتنكير في ثالث وهكذا ، ولا تخص هذه الموضوعات الخبر وحده ، والتنكير في ثالث وهكذا ، ولا تخص هذه الموضوعات الخبر وحده ، والنبواب ليس كله مختصا بالخبر ، بل كثير منه حكم الانشاء فيه حكم الابواب ليس كله مختصا بالخبر ، بل كثير منه حكم الانشاء فيه حكم الغبر ، ويقول التفتازاني : « ان الاسناد الانشائي أيضا اما مؤكد

⁽١) سورة سبأ ، الآية ٨ .

⁽٢) الايضاح س ١٤ - ١٥.

⁽٣) الايضاح س ١٤٧٠

أو مجرد عن التأكيد ، وكذا المسند اليه اما مذكور او محذوف ، مفديم او مؤخر ، معرف او منكر ، الى غير ذلك ، وكذا المسند اسم او فعل مطلق أو مقيد بمفعول أو بشرط او غيره ، والمتعلقات اما متقدمة أو متأخرة ، مذكورة او محذوفة ، واستناده وتعلقه أيضا اما بقصر ، او بغير قصر ، والاعتبارات المناسبة في ذلك مثل ما مر في الخبر ، ولا يخفى عليك اعتباره بعد الاحاطة بما سبق »(١) ،

ولكن ً القزويني سحر بالسكاكي مع ما في منهجه من اضطراب ، وسار عليه من غير أن يحاول اصلاحه الا ما كان من ملاحظات لا تبعد البلاغة عن جوهر منهج السكاكي .

علم البيان:

اما علم البيان فقد حصره بقوله: «هو علم يعرف به ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه »(٢) واستفاد من الدلالات العقلية في حصر مباحثه فقال بعد ان تكلم على دلالة اللفظ وانواعها: «ثم ايراد المعنى الواحد على الوجه المذكور لا يتأتى بالدلالة الوضعية، لان السامع ان كان عالما بوضع الالفاظ لم يكن بعضها أوضح دلالة من بعض ، والا لم يكن كل واحد منها دالا ، وانما يتأتى بالدلالات العقلية لجواز ان يكون للشيء لوازم بعضها أوضح لزوما من بعض »(٢) .

وقسمه على هذا الاساس الى قسمين: المجاز والكناية وأدخـــل التشبيه فيه ، وقدَّمه ، لان الاستعارة مبنية عليه ، وقدَّم المجاز على الكنـــاية لنزول معناه من معناهـا منزلة الجزء من الكل • وبذلك ضيَّق القزويني مباحث البيان كما ضيقها السكاكي من قبل •

وكان من الممكن ادخال صور بيانية اخرى تكلم عليها المتـــأخرون

المطـول ص ٢٤٦٠

⁽٢) الايضاح ص ٢١٢٠

۲۱۳ - ۲۱۲ - ۲۱۳ (۳)

في البديع كالتجريد ، والقلب ، واسلوب الحكيم ، والمبالغة ، والتورية والاستخدام ، وغيرها من صور التعبير التي ذكرها الخولي في مباحث فن القول^(۱) • فتحديد فنون البيان على هذه الصورة لا يفيدنا في دراستنا الحديثة ، لان الفن اوسع من هذا التحديد ، وأبعد عن هذه التمحلات العقلية •

وقسيم كل فن من هذه الفنون الى أنواع كثيرة ، يته فيها الدارس ، ولا يخرج بنتيجة وأغلب هذه التقسيمات عقلية لا علاقة لها بالفن البلاغي ، حتى ان عصام الدين صاحب الشرح الاطول يرى أن تقسيم التشبيه للتمثيل وغيره من تقسيم الشيء الى نفسه والى غيره ، لان التمثيل يرادف التشبيه كما يشهد لذلك كلام «الكشاف» حيث يستعمله استعمال التشبيه (٢) .

وحاول الدسوقي اد, يدافع عن القزويني فقال: « واجيب بان التمثيل مشترك بين مطلق التشبيه وبين ما هو اخص منه ، فما هومقسم المعنى الاعم ، والقسم هو المعنى الاخص ، وحينتذ فلا اشكال »(٣) .

ومما يؤاخذ عليه القزويني الى جانب هذه التقسيمات اخراجه المجاز العقلي من علم البيان ، وبحثه في المعاني ، على اعتبار ان الاسناد منه حقيقة عقلية ومنه مجاز عقلي • وهو رأي لا نوافقه عليه ، لان انواع المجاز الاخرى لا تخرج عن المسند والمسند اليه ، وكان لزاما عليه ان يبحثها في علم المعاني •

ونرى ان نضم المجاز العقلي الى بحث المجــــاز اللغوي ليكونا موضوعا واحداً له أهدافه في التعبير • ولن يجدي تعليل عصام الدين في عدوله عن ترتيب السكاكي حيث يقول: « وقد عدل المصنف عن

⁽١) ينظر فن القول ص ٩٩.

⁽٢) الاطول ج٢ ص ٩٩ .

⁽٣) حاشية الدسوقي ج٣ ص ٣٢٤ .

ترتيب المفتاح حيث قدم المجاز العقلي ، لانه المقصود بالبيان في فن البلاغة المشار اليه بالبنان ، لان تقديم المجاز العقلي يوجب فضلا كثيرا بين الحقيقة والمجاز لكثرة ما يتعلق به »(١) • نقول: لن يجديه هذا التعليل ، لان انواع المجاز الاخر اهم من المجاز العقلي الذي نظمه السكاكي في سلك الاستعارة بالكناية ، ولكننا مع هذا كله نستطيع ان نستفيد من تقسيمات القزويني لمباحث علم البيان لانطباق كثير منها على الاساليب العربية ، وان كنا لا نؤمن بكثير من توجيهات القزويني لامثلة التشبيه والاستعارة والكناية •

علم البديع:

أما البديع فقد قال عنه انه «علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة »(٢) وقسمه الى ضربين: ضرب يرجع الى المعنى ، وضرب يرجع الى اللفظ ، وتكلم على سبعة واربعين فنا من هذين الضربين ،

ومبلغ تجديد القزويني فيه انه جعله علما مستقلا عن المعاني والبيان، وسار البلاغيون على خطاه ولم ينظروا اليه نظرة صادقة ، لانه يأتي بعد مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، وبعد ايراده بطرق مختلفة، وبذلك يكون البديع تابعا للمعاني والبيان ، ومع ان السبكي سار على خطا القزويني في هذا التقسيم غير انه نقده قائلا « والحق الذي لا ينازع فيه منصف ان البديع لا يشترط فيه التطبيق ولا وضوح الدلالة ، وان كل واحد من تطبيق الكلام على مقتضى الحال ومن الايراد بطرق مختلفة ، ومن وجوه التحسين قد يوجد دون الاخرين ، وأول برهان على ذلك انك لا تجدهم في شيء من أمثلة البديع يتعرضون لاشتماله على التطبيق والايراد ، بل تجد كثبرا منها خاليا عن التشبيه ، والاستعارة ، والكناية التي هي طرق علم البيان ، هذا هو الانصاف وان كان مخالفا لكلام التي هي طرق علم البيان ، هذا هو الانصاف وان كان مخالفا لكلام

١١: الاطول ج ا ص ٧١٠

۳۳٤ ص ۱۲یضاح ص ۳۳۵ ۰

الاكثرين » (١) ، وبذلك يكون البديع فنا له أثره في التعبير ، وليس تابعـا للفنون الاخرى .

وتقسيمه البديع الى محسنات لفظية ومعنوية غير دقيق ، لان اكثر هذه المحسنات متداخل وقد تنبه القدماء الى ذلك فقال المغربي وهو يشرح كلام القزويني أن المحسن المعنوي منسوب الى المعنى بالذات ، بمعنى ان ذلك التحسبن قصد ان يكون تحسينا للمعنى وذلك بالقصد بكونه تحسينا للفظ فيكون ثانيا وبالعرض ، وانما قلنا هكذا لان هذه الاوجه قد يكون بعضها محسنا للفظ ، لكن القصد الاصلي منها انما هو الى كونها محسنة للمعنى كما في المشاكلة ، اذ هي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبة ذلك الغير كقوله :

قالوا اقترح شيئًا نجد لك ط بخه قلت اطبخوا لي ج بُبَّة وقميصا

فقد عبر عن الخياطة بالطبخ لوقوعها في صحبته ، فاللفظ حسن لما فيه من ابهام المجانسة اللفظية ، لان المعنى مختلف واللفظ متفق ، لكن الغرض الاصلي جعل الخياطة كطبخ المطبوخ في اقتراحها لوقوعها في صحبته ، فان تعلق الغرض بتحسينه اللفظي المشار اليه فهو بالعرض على وجه المرجوحية ، وقيل ان الحسن فيه لفظي ، لان منشأه اللفظ ، وكما في العكس في قونهم « عادات السادات سادات العادات » ، فان في اللفظ شبه الجناس اللفظي لاختلاف المعنى ففيه التحسين اللفظي ، والغرض الاصلي الاخبار بعكس الاضافة مع وجود الصحة ، واللفظي تحسين للفظ بالذات وال يتبع ذلك تحسين المعنى ، لانه كلما عبر عن معنى بلفظ حسن استحسن معنى معنى بلفظ حسن استحسن معنى ما ندلك هو المقصود ويتبعه المعنوي ايضا ان كونه بالذات معنى حسن تبعه حسن تبعه حسن اللفظ دائما ؟ لانه كلما أفيد باللفظ معنى حسن تبعه حسن اللفظ الدال عليه (٢) .

۱۱) عروس الافراح ج٤ ص ٢٨٤ .

٢٠) بنظر مواهب الفتاح ج} ص ٢٨٥٠

فالمعنوي راجع الى تحسين المعنى اولا وبالذات ، ولكنه يفيد تحسين اللفظ كما في مثال المشاكلة المتقدم ، واللفظي راجع الى تحسين اللفظ اولا وبالذات ، ولكنه يفيد تحسين المعنى ايضا ، وما دام الامر كذلك فاية فائدة في هذا التقسيم الثنائي للبديع او التقسيم الثلاثي الذي ذكره بدر الدين بن مالك في المصباح ، ان اي نوع من فنون البديع لا تكون له قيمه الا اذا كان المعنى يتطلبه ويستدعيه ، يقول عبد القاهر : « انك لا تجد تجنيسا مقبولا ، ولا سجعا حسنا ، حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه ، وساق نحوه ، وحتى تجده تجنيسا مقبولا لا تبتغي به بدلا ولا تجد عنه حولا ، ومن هنا كان أحلى مقبولا لا تبتغي به بدلا ولا تجد عنه حولا ، ومن هنا كان أحلى تجنيس تسمعه ، وأعلاه ، وأحقه بالحسن ، وأولاه ، ما وقع من غير قصد المتكلم الى اجتلابه وتأهبه لطلبه او ما هو لحسن ملاءمته وان مطلوبا بهذه المنزلة وفي هذه الصورة »(۱) .

ويقول القزويني: « وأصل الحسن في جميع ذلك _ اعني القسم اللفظي _ كما قال الشبخ عبد القاهر هو ان تكون الالفاظ تابعة للمعاني، فان المعاني اذا ارسلت على سجيتها، وتركت وما تريد ، اطلبت لانفسها الالفاظ، ولم تكتس الا ما يليق بها • فان كان خلاف ذلك كان كما قال ابو الطيب:

إذا لم تشاهر عير حسن شياتها وأعضائها فالحسن عنك معيب

وقد يقع في كلام بعض المتأخرين ما حمل صاحبه فرط شغفه بامور ترجع الى ما له اسم في البديع على ان ينسى انه يتكلم ليفهم ، وبقول ليبين ، ويخيل اليه انه اذا جمع عدة من أقسام البديع في بيت فلا ضير!ن يقع ما عناه في عمياء وان يوقع السامع من طلبه في خبط عشواء» (٢) .

⁽١) اسرار البلاغة ص ١٥٠

⁽٢) الايضاح ص ٠٠٤ ٠

وهذه التفاتة طيبة منه ، ولكنه لم يطبق ما دعا اليه ، وظل يدور في فلك السكاكي ، وما رسمه للبلاغة ، واننا لنرفض هذا التقسيم وندعو الى ان تبحث موضوعات البديع كما تبحث فنون البلاغة الاخرى على ان تهمل الانواع التي ليس لها تأثير في التعبير ، ولا تبعث في السكلام رونقا وطلاوة ، وتضفي عليه جمالا وبهاء ، ويترتب ما يبقى منها ، ويتهذب ، بحيث تكون مناسبة للاساليب العربية وكلام البلغاء .

ولا نأتي بجديد اذا ما قررنا هذا ، فابن المعتز ــ مثلا بحث فنون البديع الى جـانب الاستعارة ، والتشبيه • وابو هلال ، وابن رشيق ، وابن سنان ، وابن الاثير بحثوا البديع كما بحثوا الاستعارة والكناية ، والتقديم والتأخير ، ونم يفرقوا بين محسن معنوي وآخر لفظي ، فمـاكان له روعة أثبتوه وبحثوه ، وماكان مجردا عن ذلك كله تركوه •

ولذلك نرى ان يعاد النظر في فنون البديع التي ذكرها القزويني وغيره من المتأخرين فيؤخذ منها ما له قيمة في التعبير، ويترك ما كان لعبا بالالفاظ، أو تعمية وألغازاً ويقول الدكتور أحمد أحمد بدوي: «ينبغي ان يؤسس البديع اولا وقبل كل شيء على الدراسة النفسية التي تهدي الى بيان السر في تأثير لون بديعي دون الدراسة الصورية، وتلمس الاقسام العقلية التي لا تزيد ثروة الاحساس والشعوروان نؤمن بأن المعنى هو الذي يقود العبارة الى صورتها، وان كل محسن بديعي لا يكون له نصيب من الجمال الا اذا كان المعنى هو الذي يتطلبك ويؤدي اليه وأما التلاعب بالالفاظ، وبذل الجهد للاغراب في الصناعة فمما لا يسعى اليه أديب فنان ولهذا نضرب صفحاً عن كل مثان صنع مجتلبا ليصور لونا من الوان البديع دون ان ينبض بالحياة، ويزخر مجتلبا ليصور لونا من الوان البديع دون ان ينبض بالحياة، ويزخر بالعاطفة، ومن غير ان تكون هذه الصناعة فد جاءت، لان المعنى وحده والذي تطائبها من ناحية انها تصور الاحساس النفسي »(۱) .

⁽١) مقدمة كتاب ابن ابى الاسبع المصري بين علماء البلاغة ص : ز .

ولما كانت صور البديع مهمة في التعبير والاداء ، فليس من الصحيح تركه واهماله ، وان ما كتبه القزويني يمكن أن يعد نموذجا لدراست مع التوسع في العرض ، والامثلة ، والتحليل ، اما الانواع الكثيرة التي ذكرها المتأخرون فنأخذ منها ما اتفق وذوق العربية ، ونترك ما كان عبثا ولغوا على شرط ان لا نقسمها كما قسمها السكاكي والقزويني ، او كما قسمها بدر الدين بن مالك ، وتبحث امسا في موضوع اللفظ والمعنى فنثبت في صفات الالفاط ما كان قريبا اليها او شديد الصلة بها ، ونضع في صفات المعاني ما يخص المعنى بالدرجة الاونى ،

وان تقسيم القزويني ليسهل لنا هذه المهمة ، فما كان في المحسنات اللفظية ادخل في بحث الالفظية ادخل في بحث المعاني، ولنا فيما كتبه قدامة بن جعفر اسوة حسنة في هذا الميدان، وبدلك المعاني، ولنا فيما كتبه قدامة بن جعفر اسوة حسنة في هذا الميدان، وبدلك نخلص البديع من تمحلات القدماء ، و نقاشهم في الحسن العرضي والذاتي، او ان نوزعه كما وزعه الاستاذ الخولي فذكر الجناس، والسجع، والترصيع، والتصريع ، ورد العجز على الصدر ، ولزوم ما لا يلزم في بحث تناسب الصوت والمعنى ، ووضع الطباق في بحث النظم أو تأليف الجمل وذلك حين تتقابل معاني اجزاء الجملة أو الجمل ، فيكون لذلك أثر في حسن الكلام ، ووضع القسم الآخر في صور التعبير وهي عنده قسمان: صور والسلوب الحكيم ، والمبالغة ، والاستعارة ، والكناية ، والتجريد، والقلب، والسلوب الحكيم ، والمبالغة ، وتأكيد المدح بما يشبه الذم ، والتدبيج، والالهاب ، والتهكم بجملة ، والفكاهة في جملة ، والتورية ، وصور التعبير المظللة كالرمز ، والاسساء ، والالغاز ، والتورية ، والاستخدام ، والاسساع ، والاستخدام ، والاسساع ، والاستخدام ، والاسساع ، والاستخدام ، والاسساء ، والاسساء ، والاسساء ، والاسساء ، والاستخدام ، والاسساء ، والاسساء ، والاستخدام ، والاسساء ، والاستخدام ، والاسساء ، والاستخدام ، والاسساء ، والاسساء ، والاسساء ، والاسساء ، والاسساء ، والاستخدام ، والاسساء ، والاسساء ، والاستخدير المؤلوب ، والاسساء ، والاسساء ، والاستخدير المؤلوب ، والاسساء ، والاسساء ، والاستخدير المؤلوب ، والاسساء ، والاستخدير المؤلوب ، والاسساء ، والاستخدير المؤلوب ، والاستخدير ، والاستخدير

الخاتمـة:

وختم القزويني كتابه بفصلين في السرقات وما يتصل بها ، والقول في الابتداء ، والتخلص ، والانتهاء ، وقد حيّر شراح التلخيص بهذه

⁽¹⁾ فن القول ص ۲۱۷ ، ۲۲۰ ، ۲۲۱ ، ۲۲۲ .

الخاتمة ، فذهب بعضهم الى انها خاتمة الكتاب كله فهي بذلك خارجة عن الفنون الثلاثة كالمقدمة ، وذهب آخرون الى انها خاتمة للفن الثالث معتمدين على قول القزويني في الايضاح: «هذا ما تيسرباذن الله تعالى جمعه وتحريره من اصول الفن الثالث ، وبقيت اشياء يذكرها فيه بعض المصنفين ، منها ، ما يتعين اهماله لعدم دخوله في فن البلاغة نحو ما يرجع في التحسين الى الخط دون اللفظ مع انه لا يخلو من التكلف ككون الكلمتين متماثلتين في الخط ، وكون الحروف منقوطة أو غير منقوطة ، ونحو ما لا أثر له في التحسين كما يسمى الترديد ، أو لعدم جدواه نحو ما يوجد في كتب بعض المتأخرين مما هو داخل فيما ذكرناه كما سماه الايضاح فانه في الحقيقة راجع الى الاطناب ، او خلط فيه، كما سماه حسن البيان ، ومنها ما لا بأس بذكره لاشتماله على فائدة وهدو شيئيان :

احدهما: القول في السرقات الشعرية ، وما يتصل بها . والثاني القول في الابتداء والتلخص والانتهاء . فعقدنا فيهما فصلين ختمنا بهما الكتاب »(١) .

وعلل المغربي جعلها خاتمة لا بابا في البديع بقوله: « وانما جمع هذه الاشياء في الخاتمة ولم يجعلها بابا من البديع او يجعل كل واحد منها بابا على حدة لوجهين:

احدهما: ان كلا منها ليس امراً يعم كل كلام ويغلب مكان جريانه في كل موطن ، أما في السرقات فظاهر لخروج النثر ، وكذا فيما يتصل بها لاختصاصها بالاخذ عن الغير ، واما في الابتداء والانتهاء والتخلص فلخروج ما ليس في تلك المحال وهذا الوجه بعينه يمكن ان يجعل هو السر في جمعها لاشتراكها فيه ،

والوجه الثاني: ان الحسن فيها دون الحسن في غيرها مع سهوك

⁽١) الايضاح ص ٤٠١ .

التناول ، فلم تجعل بابا لقلة الاهتمام بشأنها ويسرها باعتبار غيرها وان كان الناس يهتمون بامورها ، اما في السرقات فلما علم من ان الابتداع أرفع واصعب من الاتباع وان كان فيه تغيير ما ، وكذا فيما يتصل بها، واما في الابتداء وما والا، فلما علم من أن رعاية تمام الحسن في جميع اجزاء الكلام أعلى واصعب ، ويمكن جعل همذا ايضا هو السر في جمعها »(١) ،

ومهما يكن من شيء فاننا لا نوافق القزويني على جعل السرقات خاتمة لعلم البديع او للبلاغة كلها لانها فن واسع له أثره وقيمته في الدراسات النقدية وقد اولاها علماء البلاغة والنقد اهتماما عظيما قبل القزويني، وافردوا لها كتبا خاصة ، وعقدوا فصولا طويلة في كتبهم وانه لمن المفيد ان يفرد لهذا الموضوع باب واسع في الدراسات البلاغية والنقدية، وان يستعان بما ذكر القزويني ونقاد العرب ، ومثل هذا يقال في حسن الابتداء ، والتخلص ، والانتهاء ، فهي فنون قائمة بذانها وقد أجاد الاقدون كابن الاثير في بحثها ، ونظروا اليها نظرتهم الى سائر الفنون البلغية و البلغية و

رأي:

واذا ما اتضح هذا جليا فاننا لن نستفيد كثيراً من منهج القزويني في البلاغة ، لاننا لا نؤمن بهذا التقسيم الثلاثي او الثنائي لاضطرابه ، وتداخل الموضوعات ، ويتضح هذا الاضطراب والتداخل في عسدم استقرار بعض الموضوعات ، فهي من المعاني عند بعضهم ومن البيان او البديع عند آخرين ، فالمجاز العقلي بحثه السكاكي في علم البيان وانكره و وتكلم عليه القزويني في علم المعاني ، وذكر ان الاسناد منه حقيقة عقلية ، ومنه مجاز عقلي ، و ركا على السكساكي ، لانه نظم المجاز العقلي في سلك الاستعارة بالكناية ، واوضح سبب ذكره في المعاني المجاز العقلي في سلك الاستعارة بالكناية ، واوضح سبب ذكره في المعاني

⁽١) مواهب الفتاح ج} ص ٧٥٠ .

بقوله: « اننا لم نورد الكلام في الحقيقة والمجاز العقليين في علم البيان كما فعل السكاكي ومن تبعه ، لـــدخوله في تعريف علم المعاني دون تعريف علم البيان »(١) •

ومنهج القزويني أسلم من منهج السكاكي ، لانه حاول ان يجمع الاشباه وينسق الموضوعات فتحدث عن الايغال ، والتتميم، والتكميل، والاعتراض ، والالتفات في علم المعاني ، ولم يعدها في علم البديع كما فعل السكاكي حيث ذكر الالتفات في المعاني مرة ، وفي البديع تسارة اخرى ، ومع ذلك فقد جرزأ موضوعات التقديم والتأخير ، والحذف والذكر ، والتعريف والتنكير ، وبحثها في أكثر من باب ، وكان مسن الدقة المنهجية ان يلم شتاتها ، ويجمعها في فصول متناسقة ، فيعقد لكل منها فصلا ، وانه لعظيم من القدماء ان ينتبهوا الى انه لا حد بين المعاني والبيان وقد جعل السكاكي الثاني شعبة من الاول ، يقول : «ولما كان علم البيان شعبة من علم المعاني لا تنفصل الا بزيادة اعتبار، جرى منه مجرى المركب من المفرد لاجرم آثرنا تأخيره »(۲) ،

فالسكاكي يقرر ان البيان شعبة من المعاني ، ولا ينفصل عنه الا بزيادة اعتبار ، ولكنه لم يوضح هذه الزيادة • وعلى كل حال فهناعتراف منه بان لا حاجة الى فصل المعاني عن البيان ، لانهما مرتبطان أشد الارتباط ، متداخلان أعظم التداخل • وقد اشار السبكي الى هذا التداخل فقال : « ان علم البيان باب من ابواب المعاني ، وفصل " من فصوله ، وانما افرد كما يفرد علم الفرائض عن الفقه » (٣) • وقال متحدثا عن اتيان الكلم على خلاف مقتضى الظاهر : « لعلك تقول غالب ما سبق أو كله من انواع المجاز ، ومحله علم البيان كما سيأتي • فالجواب ان الامر كذلك ، ولكن جرت عادة أكثرهم بذكر هذه الانواع فالجواب ان الامر كذلك ، ولكن جرت عادة أكثرهم بذكر هذه الانواع

⁽۱) الايضىاح ص ۳۱ .

⁽٢) مفتاح العلوم ص ٧٧ .

⁽٣) عروس الافراح ج١ ص ٢٦١ .

في هذا العلم فتبعناهم ، وتداخل علم البيان وعلم المعاني كثير »(١) .

ولن يفيدهم قولهم « ان البيان جرى من المعاني مجري المركب من المفرد » ، لانهم أقروا بانهما متداخلان ، وان علم البيان شعبة من علم المعاني • وقد صرح القزويني بهذا ، واعترف بأن كثيراً من الناس يسمي المعاني والبيان والبديع « علم البيان » ، وبعضهم يسمي الاول « علم المعاني » والثاني والثالث « علم البيان » والثلاثة : « علم البديع » (٢) • وهذه عودة الى منهج الاوائل الذين نظروا الى البلاغة نظرة واسعة ، واعتبروها فنا واحدا ، ولكسن القزويني أبى إلا ان تنابع السكاكي في التقسيم ، ويغرق معه في التمحل والتأويل •

هذا ما نراه في منهج القزويني ،اما مادة بلاغته فمنها ما ينبغي تركه، ومنها ما يمكن الاستفادة منه في بناء صرح البلاغة العربية الجديدة ،فما الذي ينبغي ان نظرحه وما الذي يجب ان نأخذه ونستفيد منه ؟

⁽۱) عروس الافراح ج1 ص ۲۹۳ ·

⁽٢) الايضاح ص ١٢ ٠ والتلخيص ص ٣٧ ٠

الموضوعات

مسائل فلسفية:

لقد أثرت الفلسفة وعلم الكلام في كل جانب من جوانب الحياة الثقافية ولم يسلم منها علم من علوم العربية ، واستفاد المؤلفون منها في مناهج بحثهم ، وأخذوا مصطلحاتها وعباراتها ، وأدخلوها في كتبهم ، وهذا امر طبيعي بعد ان استقر العرب وبنوا دولتهم العظمى واتصلوا بغيرهم من الاقوام والامم ،

وكان نصيب البلاغة عظيما منها ، وبدأ الاتصال بين البلاغة والفلسفة منذ عهد مبكر ، وازداد هذا الاتصال بمرور الايام حتى أصبح ارتباطا وثيقا لا انقصام له على يد رجال البلغة المتأخرين كالسكاكي ، والقزويني ، وشراح التلخيص، وكان نتيجة هذا الاتصال والارتباط ان زخرت كتب البلاغة بمباحث الفلسفة ، والمنطق ، وعلم الكلام حتى ان الباحث ليستطيع ان يستخلص مادة فلسفية غزيرة من كتب البلاغة المتأخرة ، ومع ان البلاغيين استفادوا من هذه العلوم في تجديد منهجهم ، ورسم مصطلحاتهم غير ان البلاغة لتأبى كل الاباء ان تكون خاضعة لعلوم غريبة عنها ، دخيلة عليها ، لانها فن من الفنون ، والفن حريقبل التطور والتجديد ، وينطلق الى أبعد الغايات ، وقد كان هذا شأن البلاغة والنقد قبل ان يسيطر منهج السكاكي وقد

زخرت الكتب بكل طريف عماده الذوق ، والتربية الفنية ، وذهب المؤلفون في بحوثهم مذاهب شتى ، وطو ًفتُوا في آفاق نقدية بعيدة المدى ، ولكن المتأخرين أسرفوا في اقتباس العقليات ، واغربوا في استخدام مصطلحات المناطقة وأساليبهم ، فصارت البلاغة على يدي السكاكي والقزويني ومن لتّ لفهما ألغازاً ، ومعميات يتسابق الدارسون الى حل مشكلة من مشاكلها ، ويعدون تفهمها عملا عظيما يجيزون به العلماء ، ويقدرون الخريجين حين يستطيعون أخذ معنى من عبارة ، ويبينون مرجع ضمير ، ومشار اليه في اشارة ، او مضافا محدفونا .

وما كان لهذه الكتب ان تبلغ هذا المبلغ لولا استخدام الاساليب الغريبة عن البلاغة واقحام مباحث بعيدة كل البعد عنها كتلك التي حشروها في بحث الخبر والانشاء ، والوصل والفصل ، وتقسيم مباحث علم البيان ، ولم يكن من السهل اليسير ان ينجو القزويني من هذه السيطرة وقد عاش في فترة جنحت فيها الحياة الفكرية الى الجمود ، وأصبح المؤلف لا يعيش الا على مناقشة الاخرين ،

وقد كان مفتاح العلوم ومنهجه مسيطرا على التفكيرالبلاغي وقتئذ، فاتجه القزويني يتلمس البلاغة على ضوئه ، ويسلك في بحثها مسلكا لا يكاد يختلف عن مسئك السكاكي الا قليلا ، ومع ان القزويني عاش في بيئة عربية هي بيئة مصر والشام التي يقول السبكي فيها وهو يتحدث عن شروح التلخيص: «أما أهل بلادنا فهم مستغنون عن ذلك بما طبعهم الله تعالى عليه من الذوق السليم ، والفهم المستقيم ، والاذهان التي هي أرق من النسيم ، وألطف من ماء الحياة في المحيا الوسيم ، الكسبهم النيل تلك الحلاوة واشار اليهم باصبعه فظهرت عليهم هذه الطلاوة ، فهم يدركون بطباعهم ما أفنت فيه العلماء فضلاعن الاغمار ، ويرون في مرآة قلوبهم الصقيلة ما احتجب من الاسرار خلف الاعمار ، ويرون في مرآة قلوبهم الصقيلة ما احتجب من الاسرار خلف

الاستـار» (۱) •

نقول مع انه عاش في هذه البيئة ، غير انها لم تؤثر فيه ، ولم تكسبه هذه الطلاوة ، فعكف على ما كتبه السكاكي يهذّبه ، ويبوبه لعله يقدم للدارسين ما فيه النفع وانارة السبيل .

ويجد الباحث في كتابي القزويني الفلسفة وأساليب المناطق ومصطلحاتهم ماثلة امامه مما يعيق سبيل الانتفاع من بلاءته في صقل الاذواق وتربيتها • وقد أعترف القزويني نفسه ان بعض مسائل البلاغة اشبه باصول الفلاسفة (٢) •

تظيـة:

واذا ما اردنا ان نستفيد مما كتب القزويني وشراح تلخيصه فليس لنا الا ان نخليها مما لا فائدة فيه ، ومن ذلك حديثه عن الملكة وهي «فسم من مقولة الكيف التي هي هيئة قارة لا تقتضي قسمة ولا نسبة ، وهو مختص بذوات الانفس ، راسخ في موضوعه »(٢) ولا تفسر الملكة هذا التفسير الغامض ، وأتمى لطالب الفن الادبي ان يفهم هذا التعريف أو هذا الكلام ؟ وقد حاول شراح تلخيصه ان يفسروا هذا القول فاسرفوا في الاغراب ، وجاؤا بكل ما يأباه الذوق الادبي ، وتنفر عنه الاذواق ، والطباع السليمة ، والنفوس الصافية ، وشرعوا في تفسير الكيف فقال عصام الدين : « وأحسن ما رسم به الكيف عرض لا يتوقف تصوره على تصور غيره ، ولا يقتضي القسمة واللا قسمة في محله اقتضاء اوليا »(٤) .

واسرف الدسوقي في شرح هذا الكلاماسرافا عظيما يقول: انالمتكلمين حصروا الموجودات الحادثة في الجوهر والعرض • وقسسهم الحكماء

⁽¹⁾ عروس الاقراح ج اص ٥٠

⁽٢) الايضاح ص ١٠٠٠.

⁽٣) الايضاح ص ٩ .

⁽٤) الاطول ج ١ ص ٢٨ . وينظر المطلوب ص ٢٤ .

العرض الى أقسام تسعة وهي الكم ، والكيف ، والاضافة ، والمتى ، والاين ، والوضع ، والملك ، والفعل ، والانفعال ، وسموا هذه التسعة مع الجوهر المقولات العشر أي المحمولات العشرة وقسموها الى نسبية، وغير نسبية ، فغير النسبية الجوهر ، والكم ، والكيف ، وما عدا هذه الثلاثة فهو نسبة يتوقف تعقلها أي تصورها على تعقل الغيروتصوره (١) ، ويمضي في شرح هذه المصطلحات ناسيا انه يبحث في البلاغة او فن القول،

وأدخل من الفلسفة الادبية الكلام على الصدق والكذب يقول: « اختلف الناس في انحصار الخبر في الصادق والكاذب ، فذهب الجمهور الى انه منحصر فيهما ثم اختلفوا • فقال الاكثر منهم: صدقه مطابقة حكمه للواقع ، وكذبه عدم مطابقة حكمه له • هذا هو المشهور وعليه التعويل » (٢) • وعرض رأي النظام والجاحظ وناقشهما ، وكان هذا ميدانا رحبا لشراحه فصالوا ، وجالوا فيه ، وأفاضوا في شرح قوله: « ووجه الحصر ان الكلام اما خبر او انشاء لانه إما ان يكون لنسبته خارج تطابقه او لا تطابقه ، او لا يكون لها خسارج • الاول الخبر ، والثاني الانشاء » وحشروا مذهب الحكماء والفلاسفة فيه •

وخاض الدسوقي في بحث النسب وقسمها الى ثلاثة: كلامية ، وذهنية ، وخارجية • فالاولى تعلق احمد الطرفين بالآخر المفهوم من الكلام ، وتصورها وحضورها في ذهن المتكلم هو النسبة الذهنية، وتعلق أحد الطرفين بالاخر من الخارج خارجية • ومضى يضرب الامثلة على ذلك ، ويشرحها شرحا بعيدة عن البلاغة ونقد الكلام (٢) •

وتدخل الفلسفة الالهية في بحث المجاز العقلي ، ويمضي القزويني وشراح تلخيصه في الكلام على الفاعل الحقيقي بالنسبسة للمؤمن والدهري ، فيجعل للمؤمن كلاما ، وللكافر كلاما ، وللمعتزلي كلاما ،

⁽١) حاشية الدسوقي ج١ ص ١١٨٠

⁽٢) الايضاح ص ١٣٠٠

⁽٣) حاشية الدسوني ج1 س ١٦٤ ٠

وللجاهل كلاما • ويتضح هذا الانجاه في قوله حينما يفسم الحقيقة الى أربعة اضرب هي : ما يطابق الواقع واعتقاده كقول المؤمن « انبت الله البقل » و « شفى الله المريض » • وما يطابق الواقع دون اعتقاده كقول المعتزلي لمن لا يعرف حاله وهو يخفيها منه « خالق الافعال كلها هو الله تعالى » • وما يطابق اعتقاده دون الواقع كقول الجاهل «شفى الطبيب المريض » معتقداً شفاء المريض من الطبيب • وما لا يطابق شيئا منهما كالاقوال الكاذبة التي يكون القائل عالما بحالها دون المخاطب (1) •

يقول الدكتور بدوي طبانة معلقا على هذا الكلام: « وكأنه نفذ الى العقول ، ووصل الى مكامن القلوب والشعور. وكلهذه العبارات كما ترى يقولها المؤمن كما يقولها غير المؤمن مدفوعاً في قولها بهــــذه العلائق الظاهرة ، وتلك الملابسات التى لا تنفصم بين الاثر والمؤثر» (٢).

ويشتد النقاش حينما يعرضون لمثل قولهم « انبت الربيع البقل»، فان انبات البقل في الواقع لله تعالى وفي اعتقاد الجاهل للربيع ويعرضون لآراء المعتزلة مما يطول نقله (٦) ولم يدفعهم الى هذا الا النظرة الدينية ، والا ايمانهم ان لكسل معلول علة ، وان لكل مسبب سببا ولذلك يصرح القزويني قائلا « ان الفعل المبني للفاعل في المجاز العقلي واجب ان يكون له فاعل في التقدير اذا اسند اليه صار الاسناد حقيقة » (٤) وقد يكون ظاهرا كما في قوله تعالى « فما ر بحت تجارتهم » وقد يكون خفيا لا يظهر تجارتهم » وقد يكون خفيا لا يظهر وقت رؤيتك » أي سرني الله وقت رؤيتك، وقد ول الشاعر :

⁽۱) الايضاح ص ۲۱ - ۲۲ ۰

⁽۲) البيان العربي ص ۲۸۹ ۰

 ⁽٣) ينظر المطول ص ٥٤ وما بعدها ، والاطول ج١ ص ٦٩ ، وشروح التلخيص ج١
 س ٢٢٤ ومـا بعدهـا .

⁽٤) ينظر دلائل الاعجاز ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠ .

⁽٥) سورة البقرة ﴾ الآيــة ١٦ .

أي : وصيرني الله لهواك وحالي هذه ، اي : اهلكني الله ابتلاء بسبب هواك .

وكما في قول الآخر:

ادًا ما ز دته نَظَرا

يزيدك وجهه حسن

أي: يزيدك الله حسنا في وجهه ، وهو في ذلك يتابع فخرالدين الرازي ، والسكاكي • وكان عبد القاهر قد و جُه المجاز العقلي هذه الوجهة الدينية وان لم يوجب ان يكون للفعل فاعل في التقدير اذا نقل الفعل اليه عاد الى الحقيقة (١) •

وتكلم القزويني في بحث الفصل والوصل على الجامع وأنواعه ، وهو عقلي ، ووهمي ، وخيالي ، وشرع في شرحها فقال : « واما العقلي فهو أن " يكون بينهما اتحاد في التصور ، أو تماثل ، فان العقل بنجريده المثلين عن التشخيص في الخارج يرفع التعدد ،

أو تضايف كما بين العلة والمعلول ، والسبب والمسبب ، والسفل والعلو ، والاقل والاكثر ، فان العقل يأبي ان لا يجتمعا في الذهن .

وأما الوهمي فهو ان يكون بين تصويريهما شبه تماثل كلون بياض ولون صفرة ، فان الوهم يبرزهما في معرض المثلين ولذلك حسن الجمع بين الثلاثة التي في قولنه :

ثلاثة" تُشْرِقَ الدنيـــا ببهجتها شَمَـْسُ الضحى ، وأبو اسحاق ، والقَـمَـرُ *

أو تضاد كالسواد والبياض ، والهمس والجهارة ، والطيب والنتن،

⁽۱) ينظر دلائل الاعجاز س ۲۲۹ ــ ۲۳۰ .

والحلاوة والحموضة ، والملاسة والخشونة ، وكالتحرك والسكون ، والقيام والقعود ، والذهاب والمجيء ، والاقرار والانكار ، والايمان والكفر • وكالمتصفات بذلك كالاسود والابيض ، والمؤمن والكافر •

أو شبه تضاد كالسماء والارض والسهل والجبل ، والاول والثاني، فان الوهم ينزل المتضادين والشبيهين بهما منزلة المتضايفين • فيجمع بينهما في الذهن ، ولذلك تجد الضد أقرب خطورا بالبال مع الضد •

والخيالي ان يكون بين تبصوريهما تقارن في الخيال سابق، وأسبابه مختلفة ، ولذلك اختلفت الصور الثابتة في الخيالات ترتبا ووضوحا . فكم صور تتعانق في خيال ، وهي في آخر لا تتراءى ، وكم صورة لا تكاد تلوح في خيال وهي في غيره نار على علم »(١) .

الا ان لصاحب علم المعاني فضل احتياج الى التنبيه لانواع الجامع لا سيما الخيالي • وينتهي القزويني ويمضي الشراح في هذا الاحتجاج مستخصدمين وسائلهم واساليبهم المعهودة ، فيقولون از التماثل في اصطلاح الكلامي الاتحاد في النوع ، والتجانس الاتحاد في الجنس ، والتشابه الاتحاد في العرض (٢) • وهذا كلام بعيد كل البعد عن مفهوم البلاغة ، وخارج عن كل فن ادبي •

ويذهب ابن يعقوب المغربي الى مدى أبعد فيقدم لهذا البحث الفلسفي بمقدمة فلسفية في القوى الباطنية المدركة ، وهي عند الحكاء اربع: القوة العاقلة ، والقوة الوهمية ، وقوة الحس المشترك ، والقوة المفكرة ، ويسضي في شرح القوى الاربع قائلا: « فاما القوة العاقلة فزعموا انها قائمة بالنفس او بالقلب تدرك الكليات والجزئيات المجردة عن عوارض المادة المعروضة والابعاد كالطول والعرض وانعمق ، لانها

⁽١) الايضاح ص ١٦٢ _ ١٦٣ .

⁽٢) المطول ص ٢٦٨ ، وشروح التلخيص ج٣ ص ٩٢ وما بعدها والاطول ج٢ ص ١٠

مجردة ولا يقوم بها الا المجرد • وزعموا ان لها خزانة هي العقل الفياض المدر لفلك القمر •

واما الوهمية فهي القوة المدركة للمعاني الجزئية الموجودة في المحسوسات بشرط ان تكون تلك المدركات الجزئيات لا تتأدى الى مدركها من طرق الحواس ، وذلك كادراك الصداقة والعداوة وكادراك الشاة معنى هو الايذاء في الذئب مثلا ، ولذلك يقال ان البهائم لها وكميم" تدرك به كما ان لها حسا ، وتحكم تلك القوة احكام كاذبة ، ثم تلك القوة أعني الوهمية قائمة باول التجويف الاخر من الدماغ و وذلك ان للدماغ تجاويف أي بطونا ، واحدها في مقدم الدماغ وآخر في وسطه ، فزعموا ان الوهم باول التجويف الاخر، وله خزانة تسمى الذاكرة ، والحافظة قائمة بمؤخرة تجويف الوهم ،

واما المفكرة فهي قوة تتصرف في الصور الخيالية وفي المعــاني الجزئية الوهمية ، وهي دائما لا تسكن يقظة ولا مناما •

واذا حكمت بين تلك الصور وتلك المعاني فان كان حكمها بواسطة العقل كان صوابا ، وان كان بواسطة الوهم والخيال كان غالبا كاذب كالحكم بان رأس الحمار ثابت على جثة الانسان والعكس ، ولا ينتظم تصرفها بل تنصرف بها النفس كيف اتفق ، وهي انما تسمى مفكرة في

الحقيقة ان تصرفت بواسطة العقل وحده او مع الوهم ، وان تصرفت بواسطة الوهم وحده او بالخيال وحده أو بهما خصت باسم المتخيلة او المتوهمة • ولم يذكروا لها خزانة بل خزائنها خزائن القوى الأخر •

وقد تقرر بهذا ان هناك في الباطن سبعـــة أمور: القوة العاقلـة وخزانتها ، والوهمية وخزانتها ، والحس المشترك وخزانته ، والمفكرة ، وبها أعني هذه السبعة ينتظم أمر الادراك .

وقد صرح بعض الحذاق من المحققين بان النفس هي المدركية بواسطة هذه القوى ، وان نسبة الادراك اليها كنسبة القطعالي السكين في يد صاحبه ، وهذا كله عند الحكماء » (١) .

لقد نقلنا هذا كله لنظهر خروجهم عن البلاغة ، والا فما علاقة هذا الكلام بها ؟ وكيف يستفيد منه الاديب او المتذوق في نقد الادبواظهار حساله .

وأدخلوا في علم البيان الدلالات وتكلموا عليها كلاما طهويلا ، وقسموها الى ثلاثة أنواع: دلالة المطابقة وهي دلالة اللفظ على تمام ما وضع له ، وقد سميت بذلك لتطابق اللفظ والمعنى أي توافقهما او لتطابق الفهم والوضع بمعنى ان ما فهم هو ما وضع له اللفظ ، ودلالة التضمن ، وهي دلالة اللفظ على جزء ما وضع له أو جزء مسماه مع دخوله فيه ، وقد سميت بذلك لان الجزء المفهوم من اللفظ هوفيضمن المعنى الكلي فيفهم عند فهمه ،

ودلالة الالتزام وهي دلالة اللفظ على معنى خارجي عن مسماه لازم له وقد سميت بذلك ، لان المدلول فيها لازم للمعنى الموضوع له وتسمى دلالة المطابقة عند علماء البيان دلالة وضعية ، لان السبب في حصولها عند سماع اللفظ أو تذكره هو معرفة الوضع دون حاجة الى

⁽۱) مواهب الغتياح ج٣ س ٨١ .

شيء آخر • أما دلالتا التضمن والالتزام فتسميان دلالتين عقليتين ، لان حصولهما بانتقال العقل من الكل الى الجزء في الاولى ، ومن الملزوم الى اللازم في الثانية بمعنى ان الواضع وضع اللفظ ليفيد جميع المعنى ، غير ان العقل اقتضى ان الشيء لا يوجد بلا جزئه ولازمه (١) •

وقد بنى البلاغيون المتأخرون تقسيم البيان على هذه الدلالات فاخرجوا التشبيه ، لان دلالته وضعية ، والدلالة الوضعية لا يمكن بها ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة ، يقول القزويني «ثم ايراد المعنى الواحد على الوجه المذكور لا يتأتى بالدلالة الوضعية ، لان السامع إن كان عالما بوضع الالفاظ لم يكن بعضها أوضح دلالة من بعض ، وإلا لم يكن كل واحد منها دالا ، وانها يتأتى بالدلالات العقلية لجواز ان يكون للشيء لوازم بعضها أصح لزوما من بعض » (٢) ، فانحصر علم البيان في المجاز والكناية ، ولما كانت الاستعارة تبنى على التشبيه على التشبيه على التعرضله ، فانحصر المقصود في التشبيه ، والمجاز والكناية ، والمجاز منه الاستعارة ، وهي ما تبنى على التشبيه ، والمجاز على الكناية لنزول معناه من معناها منزلة على التشبيه ، وقدم المجاز على الكناية لنزول معناه من معناها منزلة الجزء من الكل» (٢) ، وأسرف شراح التلخيص في بحث الدلالات، مع أن القزويني اشار اليها اشارة عابرة ، وكانت هذه البحوث ويلا وثبورا على البلاغة العربية ، لانها اخرجتها عن هدفها الفني ،

وكان بحث التشبيه مجالا لتسابق القزويني والشراح في ادخال البحوث الفلسفية • وقد تكلموا في الالوان ، والطعوم ، والروائح ،

⁽۱) ينظر مفتاح العلوم ص ١٥٦ ، والطراز ج١ ص ٢٤ - ٣٦ ، والايضاح ص ٢١٢ والمطول ص ٢٠٠ وشروح التلخيص ج٢ ص ٢٥٦ وما بعدها ، والاطول ج٢ ص ٥٠ وما بعدها رفن التشبيهج١ ص ١٨ - ١٩٠ .

⁽٢) الايضاح ص ٢١٢٠

⁽٣) الايضاح ص ٢١٣٠

والحركات، والمحسوسات، والكيفيات النفسية، والبحث في الله والالم، والخيال، والمفكرة، والوجدان، والماهية، والكلام على حرارة الحروف، وبرودتها، ورطوبتها، ويبوستها، وأسرف المعربي في الكلام على اللذة والالم والبصر واقوال حكماء التشريح، والكلام على الاشكال والحركة واختلاف المتكلمين والحكماء فيها، وتفسير السمع، والذوق، والطعوم، والصلابة، واللين، والخفة والثقل، وأسرف في الحديث عن الكيفيات النفسية من الذكاء، والعلم، والغضب، والحلم، والغرائز (۱)، والمغربي في هذا كله يقارن بين اقوال المتكلمين واراء الحكماء،

ونجد التفتازاني عندما يتكلم على وجه الشبه يقول: « مما يدرك بالبصر وهو قوة مرتبة في العصبتين المجوفتين اللتين تتلاقيان وتفترقان الى العينين . . .

وبالحركات،وهي الخروج من القوة الى الفعل على سبيل التدريج وفي جعل المقادير والحركات من الكيفيات ٠٠

او بالسمع ، والسمع قوة رتبت في العصب المفروش على سلطح باطن الصماخين يدرك بها الاصوات من الاصوات القوية والضعيفة ، والتي بين بين و والصوت يحصل من التموج المعلول الفرع المنبي هو احساس عنيف ، والقلع الذي هو تفريق عنيف بشرط مقاومة المقروع للقارع والمقلوع للقالع و ويختلف الصوت قوة وضعفا بحسب قوة المقاومة وضعفها .

أو بالذوق ، وهو قوة منبثه في العصب المفروش على جرم اللسان من الطعوم كالحراقة ، والمرارة ، والملوحة ، والحموضة ، وغير ذاك .

أو بالشم ، وهي قوة رتبت في زائدتي مقددم الدماغ المشبهتين بحلمتي الثدي من الروائح .

⁽١) مواهب الفناح ٣٠ س ٢٢٠ وما بعدها .

أو باللمس ، وهمي قوة سارية في البدن يدرك بها الملموسات» (١) •

ونجد الخلاف على أشده بين المذاهب في المسائل المفحمة ، فهذا المغربي يقول في بحث وصف المسند اليه متكلما على الجسم الطويل: «ثم ان تفسيره بما ذكر انما هو على المذهب الاعتزالي ، واما عند الحكماء فالجسم هو المركب من الهيولي أي الجواهر المفردة ومن الصورة ، وعند أهل السنة هو ما تركب من جوهرين فاكثر ، والفرق بين المذهب السني ومذهب الحكماء ان الصورة عند الحكماء لها دخل في التركيب ، وهي جزء الجسم ، وعند أهل السنة ان التركيب للجواهر والصورة عرض اعتباري أو حقيقي ، ولا مسدخل لها في جزئية الجسم » (۲) ،

وقد كان القدماء أنفسهم يشعرون بثقل هذه المادة على البلاغة وغرابتها ، ولكنهم جاروا المتقدمين ، وانغمسوا فيها • يقول المغربي بعد ان تحدث عن اللذة والالم ، والاشكال ، والسمع ، والذوق : « وقد اطنبت قليلا فيما يتعلق بهذه الكيفيات على حسب ما فسرها الشارحمما هو من تدقيقات الحكماء بعد تفسير بعضها بما هو أقرب الى الفهم قصد الايضاح وزيادة في الفائدة وان كان تفسيره كما قيل لا يناسب هذا الفن ولا يسهل على المتكلم بل يزيده حيرة • ولكن حيث ارتكب ذلك وجب مجاراته مع زيادة ما يوضح الغرض من بيان اصطلاحهم ازالة للحيرة عن المتعلم » (٦) •

ونجد عصام الدين يقول بعد ان تكلم على الحواس ؛ والكيفيات، والحركات : « واعلم انه لم يك المصنف بما وعد في ديباجة الكتاب من حذف الحشو ، والتطويل ، والتعقيد ، ونسي عنه في هذا المقام ، لان

¹⁾ المختصر ج٢ س ٢٣٢ وما بعدها .

⁽٢) مواهب الفناح ج١ س ٢٦١٠

⁽٣) مواهب الفتاح ج٢ ص ٢٤٢٠

هذه التقسيمات ما لا تقع له في هذا الفن ، بل يوجب تحير الافهام وايقاع المبدئين في الظلام حتى ان الشارح قال كأنه ابتهاج من السكاكي باطلاعه على اصطلاحات المتكلمين ، فهو من التطويل المشكلة على المبتديء فيجب حذفه لمن الزم تنقيح الكلام عن التطويل والتعقيد ، وكأنه منع المصنف حذفه لاتقائه من الاتهام بانه لم يعرف على اصطلاحات المتكلمين ، فحذفه لعدم فهمه مقاصد المفناح في هذا المقام لكونه عاريا عن معرفة مصطلحات الكلام »(۱) ، وبذلك نرى أن القدماء أنفسهم احسوا بما في هذه البحوث من ثقل على الدراسات البلاغية ، ولكنهم يذكرونها خوفا من ان يتهموا بعدم الاطلاع عليها ، وقد دفعهم هذا الاحساس والشعور الى البحث فيها ، واقحامها في البلاغة ، واتخاذها دليلا على ثقافتهم الواسعة ، واطلاعهم على اساليب الفلاسفة والمتكلمين ،

وكان لمصطلحات المنطق أثر في كتابي القزويني ، ففيهما التأسيس، والموجبة ، والمهملة ، والمعدولة ، والسالبة المهملة ، والسالبة الكلية ، والسالبة الجزئية ، والمسورة ، والتصور ، والتصديق ، وغيرها (٢) . ونجد في شروح التلخيص المصدوق والماصدق ، ومصطلحات الحكماء والاصوليسين .

ولم يقف الامر عند هذا بل استفاد القزويني من أساليب الفلاسفة والمتكلمين في البحث ، والشرح ، والتعليل ، يقول في تعريف فصاحة المتكلم : « واما فصاحة المتكلم : فهي ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ صحيح ١٠٠٠ وقيل «ملكة» ولم يقل «صفة» ليشعر بان الفصاحة من الهيئات الراسخة حتى لا يكون المعبر عن مقصوده بلفظ فصيح فصيحا الأ اذا كانت الصفة التي اقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح راسخة فيه وقيل « يقدر بها » ولم يقل « يعبر بها » ليشمل حالتي النطق

⁽۱) الاطول ج۲ س ۷۷ .

⁽۲) الايضاح ص ٦٤ ــ ٦٥ والتلخيص ص ٨٤٠.

وعدمه ، وقيل: « بلفظ فصيح » ليعم المفرد والمركب » (۱) و وقال بعد ان عرف علم المعاني: « وقيل: « يعرف » دون « يعلم » رعاية لما اعتبره بعض الفضلاء من تخصيص العلم بالكليات ، والمعرفة بالجزئيات ، كما قال صاحب القانون في تعريف الطب: « الطب علم يعرف، به أحوال بدن الانسان » • وكما قال الشيخ ابو عمر رحمه الله: « التصريف علم باصول يعرف بها أحوال ابنية الكلم » (۲) •

وهذا الاسلوب وان كان معروفا عند المتقدمين ، إلا "انهم لم يسرفوا فيه هذا الاسراف ، ولم يستعملوه في ميدان البحث البلاغي وقد غالى شراح تلخيص المفتاح في هذا الاتجاه ، فقال عصام السدين شارحا معنى «علم » في تعريف البيان : « وهو علم أي مسائل معلومة عن الادلة ، أو تصديقات بها حاصلة عن الادلة، او ملكة هذه التصديقات أعني كيفية راسخة يتمكن بها من التصديق بمسألة مسألة تفصيلا من غير حاجة الى تجشم كسب جديد ، وانما قيدنا معاني العلم بالحصول عن الدليل وان اطلقها الناظرون في هذا المقام لما حققت من أن منجمع مسائل العلم بالتقليد لا يسمى عالما ، وتصديقاتها لها لا يسمى علما ، واستعمال لفظ العلم في التعريف مخل » (٣) .

ويستعمل القزويني في اظهار الحسن البلاغي الاساليب الفقهية ، والفلسفية في التعليل ، فيقول بعد ان انتهى من بحث موضوعات البيان: « اطبق البلغاء على ان المجاز ابلغ من الحقيقة ، وان الاستعارة ابلغ من التصريح بالتشبيه ، وان التمثيل على سبيل الاستعارة أبلغ من التمثيل لا على سبيل الاستعارة ، وان الكناية ابلغ من الافصاح بالذكر» (٤) .

ولكن لماذا ؟ لم يذكر القزويني وغيره من المتأخرين سبب ذلك

⁽۱) الايضاح ص ۱ ۰

⁽٢) الايضاح ص ١٢٠

⁽٣) الاطول ج٢ س ٥٠٠

⁽٤) الايضار ص ۲۲۸ - ۲۲۹ .

ووجهة النظر البلاغي ، وانما « السبب في ذلك ان الانتقال في الجميع من الملزوم الى اللازم فيكون اثبات المعنى به كدعوى الشيء ببينة ، ولا شك ان دعوى الشيء ببينة أبلغ في اثباته دعواه بلا بينة »(١) •

ولا يخرج تعليله في تأكيد المدح بما يشبه الذم عن هذا التعليل ، يقول : فالتأكيد فيه من وجهين :

أحدهما: انه كدعوى الشيء ببينة .

والثاني: ان الاصل في الاستثناء ان يكون متصلا ، فاذا نطق المتكلم به (الا » أو نحوها توهم السامع قبل ان ينطق بما بعدها ان ما يأتي بعدها مخرج مما قبلها فيكون شيء من صفة الذم ثابتا، وهذا ذم ، فاذا أتت بعدها صفة مدح تأكد المدح ، لكونه مدحا على مدح ، وان كان فيه نوع من الخلابة »(٢) .

لقد احس القزويني ان في هذا نوعا من الخلابة ولكن ما هي ؟ لم يستطع ان يشرح لنا هذه الخلابة ، ويبين أهمية استعمال هذا الاسلوب وقيمته في التعبير الا ما كان من دعوى الشيء ببينة • فالتعليلان الفقهي والنحوي لا يجديان في اظهار جمال هذا الاسلوب ، وقد صرح المغربي ان في هذا التعليل تمحلا وان قال عن الشاني انه ابلغ • وانه توجيه يستملح ويثلج به الصدر في افادة التأكيد حقيقة ، والاول انما أفساد التأكيد بامر تخييلي (٣) •

ويرى الاستاذ الخولي ان السر النفسي لجمال هذا الاسلوب ما فيه من معنى المباغتة والمفاجأة التي تكسبه طرافة ، وتثير حولب تنبيها ، سواء أكانت هذه الطرافة تقوم على اتصال الاستثناء أم يتحول معهمنقطعا ، فان المباغتة هي الاصل ، لا ملاحظة الاستثناء وحالته (٤) .

⁽۱) الايضاح ص ۳۲۹ ۰

⁽٢) الايضاح ص ٣٧٣٠

⁽٣) مواهب الفتاح ج} ص ٣٨٩٠

⁽١) مناهج تجديد ص ١٩٧٠

ونحن لا نستطيع ان نأخذ هذه التعليلات دليلا على روعية الاساليب الادبية لانها لا تفيدنا كثيرا ، ولا تفتح الطريق أمامنا لتلمس مواطن الجمال وتحسس ما تثيره في النفوس .

وننتهي من هذا كله الى ان النزعة الفلسفية والجدلية تسيطر على بلاغة القزويني وقد رأينا هذا في المنهج ، والتبويب ، وبيان المعاني البلاغية ، واستخدام المصطلحات ، والاساليب الكلامية والفلسفيية والاصولية ومن هنا لا نرى فائدة في العكوف على بلاغة القزويني ، وانه لمن المفيد ان نجرد بلاغتنا الجديدة مما علق بها من غريب وانه لمن المفيد ان نجرد بلاغتنا الجديدة مما علق بها من غريب .

وليس هذا وحده ما ينبغي تخليته من البلاغة فهناك موضوعات اقحمت فيها اقحاما كالدراسات النحوية التي تغلهر باجلى صورها في فصول علم المعاني الذي احاله السكاكي والقزويني ومن جاء بعدهما الى ميدان للجدل في تقدير الفاعل او المفعول • او البحث في استعمال ادوات الشرط ، وأحوال التعريف ، وتقسيم القصر باعتبار المقصور الى قصر موصوف على صفة ، وقصر صفة على موصوف ، وباعتبار حال المخاطب به الى قصر افراد ، أو قصر قلب ، أو قصر تعيين • أو البحث في أدوات الاستفهام ، والتمني ، والنداء ، والامر ، والنهي ، والبحث في واو الحال وغيرها مما أشرنا اليه في كلامنا على السبكي الذي كان شرحه ميدانا لعرض الاراء النحوية ، ووجهات النظر المختلفة •

ونرى أن نعيد هذه المباحث الى النحو ونضمها الى فصوله ، لتعود اليه الحياة بعسد ان سلبوه كل شيء ، وجعلوه يتعلق بأواخر الكلمات من رفع ونصب او بناء ، واعراب • وقد اشار القدماء الى ان كثيرا من هذه الموضوعات ليست من علم المعاني • يقول عصام الدين عن الامر : « ولا يخفى عليك ان مباحث الامر كالاستفهام ليس من فن المعانى ، وليس منه الا نكات العدول من الحقيقة الى التجوز بالامر» (١) •

⁽۱) الاطول ج۱ ص ۲۶۸ .

واننا اذ ندعو الى اخراج هذه الموضوعات من البلاغة نهدف الى أمــريــن:

الاول: تخليص البلاغة من كل غريب لا علاقة له بالفن الادبي ، وانما اقحم عليها اقحاما افقدها قيمتها والغرض الذي من اجله درسها القدماء .

والثاني: تخليصها من هذا الاضطراب المنهجي والانتقال مسن اسلوب الى اسلوب، فهم يتخذون تارة اساليب الفلاسفة وأهل المنطق عندما يناقشون، ويتخذون أسلوب الفقهاء حينما يعللون، ويظهرون روعة الاساليب تارة اخرى، ويتخذون اسلوب النحاة حينما يعرضون لموضوعات النحو ويفصلون القول فيها وما أحوج البلاغة الى تجريدها من هذا كله لتبقى خالصة للفن، وليبقى أسلوبها منسقا ليس فيه هذا الانتقال الذي نحتمه طبيعة كل نوع من هذه الموضوعات المختلفة في الهدف والاسلوب،

ونحن حينما ندعو الى اخراج الغريب من البلاغة كالنحو ، والمباحث اللغوية ، لا نعني بذلك انها عديمة الفائدة ، بل بالعكس نرى أن لها قيمة في فهم الادب ، وتذوقه ، ومعرفة ما فيه ، ومن هنا نجد الاقدمين وعلى رأسهم البلاغي الناقد ابن الاثير يعتبرهامن مكملات ثقافة الاديب والباحث في البلاغة ، وذكر في أول « المثل السائر » و « الجامع الكبير » أن الانسان ليحتاج اليها ، وانها المفتاح الذي يفتح أبواب البلاغة ، ولكن على شرط ان لا تمتزج بحوثها بفصول البلاغة ، بل تدرس على اساس انها علوم مستقلة تفيد الاديب في تنمية ثقافت اللغوية والنحوية ، وتقوي مداركه ، وتعينه في نقد الكلام ، وتمييز حسنه من رديئه ،

ما ينبغي أخله:

هذا ما ينبغي اخراجه من بلاغة القزويني ، أما ما يمكن الاستفادة منه في البلاغة الحديثة فهو غير ما ذكرنا واننا لواجدون عند القزويني كثيرا من البحوث الصالحة للبقاء ، من ذلك مصطلحات البلاغة التي نشأت في اول عهدها نشأة لغوية ، ثم اخذت تتطور على مدى الايام حتى استقرت ، وتحصدت معانيها ومضاهيمها على يد السكاكي والقزويني

المسطلحات:

واننا اذ ندعو الى الاخذ بمصطلحات القزويني البلاغية انما نريد التخلص من الفوضى التي دخلتها ، والاضطراب الذي اصابها ، ولو رجعنا الى أي مصطلح منها ، وتابعناه منذ أول نشاته حتى القزويني لوجدنا الاختلاف واضحا والتحديد غير متفق عليه ، وقد بدا هذا جليا في موضوعات البديع ، نتي تسابق البلاغيون في تفريعها ، وأوصلوها الى اكثر من مائة ، وانه لمن اليسير أن يضم كثير منها الى انواع معينة ، ولكن غرامهم بالبديع وتفاخرهم بالسبق دعاهم الى هذا مع ان السكاكي الذي عاش في عصر متأخر لم يذكر منه الا أنواعا قليلة ، ولكن أصحاب البديعيات ، كالحلي ، والموصلي ، والحموي أوصلوها الى ما وصلت الينا ، وقد بدأ الولوع بهذا مبكرا حتى أن ابن الانير يقول : « اعلم الينا ، وقد بدأ الولوع بهذا مبكرا حتى أن ابن الانير يقول : « اعلم

أنه قد اختلف أرباب هذه الصناعة في تسمية أنواع علم البيان حتى ان أحدهم يضع لنوع واحد اسمين اعتقادا منه أن ذلك النوع نوعان مختلفان ، وليس الامر كما وقع له ، بل هما نوع واحد ، فممن فعل ذلك الغانمي فانه ذكر في كتابه بابا من ابواب علم البيان وسماه التبليغ، وهو أن يأتي الشاعر بالمعنى في البيت تاما من غير أن يكون للقافية فيها ذكر صنع ، ثم يأتي بها لحاجة الشعر اليها حتى يتم وزنه فيبلغ بذلك الغاية القصوى في الجودة ٠٠٠ ثم أنه ذكر بعد هذا الباب بابا آخر وسماه الاشباع فقال : هو أن يأتي الشاعر بالبيت معلقا بالقافية على آخر اجزائه ، ولا يكاد بفعل ذلك الاحد ق الشعراء وذلك ان الشاعر اذا كان بارعا جلب بقدرته وذكائه وفطنته الى البيت وقد تمتّ معانيه، واستغني عن الزيادة فيه قافية متممة لاعاريضه ووزنه فجعلها نعتاللمذكور من الاحوال » (۱) .

وقد جمع العسكري هذين النوعين في فن واحد أطلق عليه اسم الايغال وذكر امثلتهما وبذلك قلل المصطلحات (٢) • وأيده ابن الاثير فقال: « وهذا أقرب أمراً من الغانمي ، لانه ذكره في باب واحد وسماه باسم واحد ولم يذكره في باب آخر كما فعل الغانمي وحمه الله وليس الاخذ على الغانمي في ذلك مناقشة على الاسماء ، وانما المناقشة له على أن ينتصب لايراد علم البيان ، وتفصيل أبوابه ويكون أحدد الابواب التي ذكرها داخلا في الآخر فيذهب عليه ذلك ، ويخفى عنه ، وهو أشهر من فلق الصبح » (٦) •

وادَّعى بن ابي الاصبع المصري انهاخترع ثلاثين نوعا بديعيا، والمنتبع لهذه الانواع يرى أنها لم تسلم له كلها ، وانما كان بعضها مسبوقا اليه

 ⁽۱) الجامع الكبر ص ۲٤٠ ـ ۲٤١ .

⁽٢) كناب الصناعتين س ٣٨ وما بعدها .

٣٠) - العجامع الكسير من ٣٤٣ - والمثل السمائر ح٢ من ٣٥٠ = ٣٥٠ .

كالتخير ، والتدبيج ، والاستقصاء والبسط ، والتشكيك ، والتهكم ، والتندير ، والفرائد ، والالغاز ، والتعمية ، والنزاهة ، والمراجعة ، والسلب والايجاب ، والابهام ، والمقارنة ، والمناقضة ، وحسن الخاتمة ، ولم يسلم له الا التمزيج والهجاء في معرض المدح، والعنوان ، والايضاح، والحيدة ، والانتقال ، والشماتة ، والاسجال بعد المغالطة ، والتصرف، والتسليم ، والافتنان ، والقول بالموجب ، وحصر الجزئي والحساقه بالكلي ، والابداع ، والانفصال (۱) .

ولم يدفعه الى هذا الا تفريعاته واطلاق المصطلحات الخاصة على فنون قد تكون نوعا واحدا ، فالبسط عنده ليس الا الاطناب الذي عرفه البلاغيون منذ اول عهدهم بالتأليف وهكذا الامر في الفنون الاخر ولكي نظهر اختلاف البلاغيين في المصطلحات واطلاقهم الاسماء المختلفة على فن بلاغي واحد نذكر أمثلة منها : تسسميتهم التجنيس بالجناس والمجانس ، وان بعض البغداديين يسمي تساوي اللفظتين في الصفة مع اختلاف المعنى التماثل (٢) وتسسميتهم التورية بالايهام والتوجيه والتخيير (٦) ويرى ابن حجة أن التورية أولى في التسمية لقربها من مطابقة المسمى ولانها مصدر وريت الخبر تورية اذا سترته وأظهرت غيره (١) وتسمية التشبيه المقلوب بغلبة الفروع على الاصول الطرد والعكس (٥) وتسمية المنصف بالاستدراج، لاسندراجه! لخصم الى الاذعان والتسليم (١) والتوجيسه بمحتمل الضدين (٧) وتسمية الى الاذعان والتسليم (١) والتوجيسه بمحتمل الضدين (٧) وتسمية

⁽۱) تنظر هذه الفنون في بديع القرآن وينظر الفصل الرابع في كتاب ابن أبــــى الاصبع المصري بين علماء البلاغة .

⁽٢) سر الفصاحة ص ٢٢٦ ، ٢٢٨ .

⁽٣) التلخيص ص ٧٦. والابضاح ص ٣٥٣ والمطول ص ٢٥١ وشروح التلخليص ج٤ س ٣٢٢ ٠

⁽٤) خزانة الادب ص ٢٣٩٠

ه) المثل السائر ج1 ص ٢١) والجامع الكبير ص ٩٧ والفوائد ص ٥٧ و ٥٩ و ٥٥ والحصائص ج1 ص ٢٠٠ .

⁽٦) الطول ص ١٦٥٠

٧١) المطول ص ٢٤٣ وشروح التلخيص ج٤ ص ٠٠٠ ٠

الارصاد بالتسهيم والتوشيح. وقد نقد ابن الاثير أبا هلالفقال: «ورأيت أبا هلال العسكري قد سمي هـــذا النوع التوشيح وليس كذلك بل تسميته بالارصاد أولى وذلك حيث ناسب الاسم مسماه ولاق به وأما التوشيح فانه نوع آخر من علم البيان »(١) • وتسمية لزوم ما لا يلزم بالالزام والتضمين والنشديد والاعنسات والتضييق (٢) والتشريع بالتوشيح وذي القافيتين (٢) وتسمية التكميل بالاحتراس ، وعللوا هذه التسمية فقالوا: ويسمى هذا النوع من الاطناب الاحتراس أيضا أي زيادة على تسميته بالتكميل • أما تسميته بالتكميل فلتكميله المعنى يدفع خلاف المقصود عنــه • وأما تسميته بالاحتراس فهو من حرس الشيء ضغطه وهذا فيه حفظ المعنى ووقايته من توهم خلاف المقصود لان ما أتى به فيه يتحرز به عن خلاف المقصود(١) ورد العجز على الصدر بالتصدير ، وكان القاضي قد ذكر بابا باسم « رد الاعجاز على الصدور» خارجا عن باب التجنيس وهو ضرب منه وقسم من جمله (٥) وتسمية المطابقة بالطباق والتضاد والتطبيق والتكرافؤ (٦) والتشريع بالتوأم والتوشيح (٢) وتجاهل العارف بسوق المعلوم مساق غيره وقد سماه السكاكي بالاسم الاخير يقول: « ولا أحب تسميته بالتجاهل »(^) وتسمية مراعاة النظير بالتناسب والتوفيق (٩) والمذهب الكلامي بالاحتجاج النظري وقد اكثر ابو حيان النحوي الاندلسي من استعمال

⁽۱) المثل السائر ج٢ ص ٣٥٠ وينظر التلخيص ص ٣٥٦ والابتسساح ص ٣٤٧ والمطبول ص ٣٠٦ .

⁽٢) شروح التلخيص ج٤ ص ٣٦٤ والمطول ص ٥٨٤ والفوائد ص ٢٣٤ .

⁽٣) المطول عن ٥٥٨ والمختصر ج٤ ص ٢٦١ .

⁽٤) مواهب الفتاح ح٢ س ٢٣١ .

⁽٥) الجامع الكبير ص ٢٥٨ والمثل انسالر ج١ ص ٢٥١ _ ٢٥٠ .

 ⁽٦) التلخيس س ٢٤٨ والايضاح س ٣٣٤ والمطول س ١٧٤ وشروح التلخيسيس
 ج٤ س ٢٨٦ والغوائد ص ١٤٥ والمثل السائر ج٢ س ٢٧٩ .

٧٧ التلخيص ص ٤٠٥ والبلاغة العنبه ص ١٦٢ .

٨١٠ منتاج العلوم ص ٢٠٢ والاينساح ٣٧٨ والبلخيص ص ٣٨٥٠.

المصطلح الشاني في نفسيره للقرآن الكريم ولكـــن البلاغيين أطلقوا عليه الاول(١) .

هذه أمثلة لاختلافهم في المصطلحات ، وهي تدلنا دلاله واضحة على ان فنون البلاغة ومصطلحاتها بقيت تتطور على مدى العصور ومن هنا جاء هذا الاختلاف ، ولكنها بقيت ثابتة بعد ان وضع القزويني كتابيه التلخيص والايضاح ، ولو أردنا ان نستقصي تطور المصطلحات لطال بنا الكلام ولعل في العودة الى المشمل السائر وبديع القرآن وخزانة الحموي ما يغني عن الكلام ، لان هذه الكتب قد جمعت الاراء المختلفة في كل موضوع وذكرت مصطلحات الفن الواحد .

ونحن في بلاغتنا الجديدة لا يمكن ان نبقى مضطربين في هذه المصطلحات ، وانما ينبغي ان ننسقها ، ونوحدها ، ونضم بعضها الى البعض ، ونستعمل منها ما هو اكثر دلالة على الفن البلاغي الذي نبحث فيه ، ونرى ان نستفيد مما ذكره القزويني ، لانه جمع زبدتها في كتابيه وقد كان موفقا الى حد كبير في بحث البديع فادخل بعض فنونه في بعض وبذلك قلل المصطلحات ، وقلل انواع البديم الذي أسرف المتأخرون في تنويعها ، ولكن لن نقف عند القزويني في هذه الناحية وانما ينبغي ان نستفيد من غيره فنأخذ ما هو أجدى من مصطلحات ، واكثرها دلالة ، وأقربها الى الفهم والذوق السليم ،

الفصاحة:

ومن الموضوعات التي ينبغي أن نستفيد منها ، مقدمته في الفصاحة وهي ليست مقدمة لدراسة البلاغة _ كما يزعم _ وانما هي من صميم الدراسات البلاغية ، وأن كان عبد القاهر لم يكر لها مزية ، لانه شغل بالنظم وبرهن على أن القرآن معجز به ، لا بالالفاظ التي يتسماوى

⁽۱) ينظر البحر المحيط ج٢ ص٨٩ و ٢٠٥ وج٤ ص ٣٩٣ وج٥ ص ٣٥٠ والتلخيص ص ٣٧٤ والإيضاح ص ٣٦٦ والفوائد ص ١٣٦ وشروح التلخيص ج٤ ص ٣٦٩ ٠

فيها القرآن وغيره من كلام العرب ، ولم تكسب شيئا جديدا لم يكن لها قبل ان توضع في آيات الكتاب المبين وقد اهتم بها القدماء كأبن سنان وابن الاثير وغيرهما ، ورأوا أن الاديب يحتاج في تأليفه الى ثلاثة أشباء: اختيار الالفاظ المفردة ، وحكم ذلك حكم اللآلي المبدد فانها تتخير وتنتقي قبل النظم و ونظم كل كلمة مع اختها المشاكلة لها لئلا يجيء الكلام قلقا نافراً عن موضعه ، وحكم ذلك حكم العقد المنظوم في اقتران كل لؤلؤة منه باختها المشاكلة نها والغرض المقصود من ذلك الكلام على اختلاف أنواعه ، وحكم ذلك حكم الموضع الذي يوضع فيه العقد المنظوم فتارة يجعل اكليلا على الرأس ، وتارة يجعل قلادة في العنق ، وتارة يجعل شنفا في الأذن ولكل موضع من هذه المواضع هيئة من الحسن تخصه ،

وينتهي ابن الاثير آنى أن هـذه الامور الثلاثة لا بـد للخطيب والشاعر من العناية بها ، وهي الاصل المعتمد عليه في تأليف الكلام من النظم والنشر • فالاول والشاني من هـذه الثلاثة المذكورة هما المراد بالبلاغة • وذهب الى أن للالفاظ في الاذن نغمة لـذيذة كنغمة أوتار ، وصوتا منكرا كصوت حمار ، وأن لها في الفم حلاوة كحلاوة العسل ، ومرارة كمرارة الحنظل ، وهي على ذلـك تجري مجرى النغمات والطعوم (۱) •

وأهتم المعاصرون بالبحيث في اللفظ الموحي ، واللفظ القوي ، واللفظ المؤنس والعذب في تآلفه مع الجملة ، وكيف يعبر عن الانفعال أو الفكرة ، وكيف يحدت صورة ، وأن اختيار الكلمة الواجبة المؤثرة هي أول خطوة للبناء انفني ، وذهب بعض النقاد المحدثين الى ان اللفظ « عنصر على جانب كبير من الاهمية ، وقد يقوم به القصيد دون حاجة الى صورة خيالية ، او موسيتى جياشة ، فان الالفاظ وصوتها ودلالتها ،

⁽١) ينظر المثل السائر جا س ١٤٢ - ١٥٠

وجوها ، وتآلفها كافية لأبداع القصيد البديع »(١) .

الايجاز والاطناب:

ومنها بحث الايجاز والاطناب والمساواة ، فقد جمع فيه القزويني جودة التقسيم مع روعة العرض والتحليل ولم يضطرب فيه كمااضطرب المتأخرون فجعلوا بعض أقسامه من البديع كالتكميل ، والتتميم ، والايغال ويمكن ان نضم الى هذا البحث ما كتبه رجال المدرسية الادبية كابن رشيق ، وأبن الاثير وبذلك تكون لنا مقاييس جيدة في نقد الكلام ونمييز الاساليب المختلفة ، ونرى أن هذا الفصل يكون بعد هذا كله من خيرة بحوث الاسلوب التي يهتم بها المعاصرون .

بتصوث أخرى:

ولن نهمل من بلاغة القزويني بحوثه في التشبيه ، والاستعارة ، والكناية ، والبديع ، فهي من البحوث الجيدة التي تشهد له بسعة الاطلاع والتذوق • ولكننا لن نأخذ تقسيماته الكثيرة ، وانما نقبل منها ما يفيدنا مع الاهتمام تقليل الاقسام ، والابتعاد عن تعليلاته ، واعجابه بالتشبيهات الغريبة التي أكثرمنها ابن المعتز وامثاله من الشعراء المترفين •

السرقات:

اما خاتمة كتابيه المتعلقة بالسرقات الشعرية ، وحسن الابتداء ، والتخلص والانتهاء ، فهي ضرورية في دراسة البلاغة ، ونخص بالذكر منها السرقات التي تلعب دورا كبيرا في الاحكام النقدية الحديثة ، وهي ليست خاتمة للبلاغة أو تابعة لاحد فنونها ، وانما هي فن له اهميته في الدراسات البلاغية ، ولهذا اعتنى العرب بها قديما ، وأفردوا لها كتبا ، وعني بها المحدثون وأولوها اهتماما كبيرا لانها تثنير السبيل للناقد في

⁽۱) الشعر الماصر على ضوء النقد الحديث ص ٥٧ وينظر النقد الادبى من خلال تجاربي ص ٨١ وما بعدها .

دراسة ابداع الاديب، واسفاف ، ومعرفة جديده، ومقدار أخذه عن الآخرين .

التفاتات:

وللقزويمي التفاتات طيبة منها ايمانه بالتجديد ، فهو ينقل عسن الجاحظ قوله: «قال الجاحظ وكلام كثير جرى على ألسنة الناس ،وله مضرة شديدة ، وثمرة مرة ، فمن أضر ذلك قولهم: «لم يدع الاول للآخر شيئا » ، فلو ان علماء كل عصر منذ جرت هذه الكلمة في اسماعهم تركوا الاستنباط لما لم ينته اليهم عمن قبلهم لرأيت العلم مختلا »(١) ،

وله التفاتات نقدية مثبتة في بحوثه البلاغية الصرفة ، وتتجلى مظاهر النقد عنده فيما ورد في تضاعيف « الايضاح » من الدراسات والآراء التي عقب بها على النصوص الشعرية فأظهر محاسنها أوعيوبها، أو في معرض الدفاع عن اصحابها بالرد على من عابوها ، او في سبيل تقرير مبدأ يزول به الوهم عن أذهان المعترضين ، ويتجه نقده في بعض الاحيان الى أسلوب الموازنة بين شعر وشعر ، أو بين رأي وآخر ، وقد تجلى هذا في بحث السرصات بصورة خاصة ، لان بعثها يقوم على الموازنية .

: الشـــكلية

وتطغى الشكلية في كثير من الاحيان على نقده ، وتحليله ، ومقارناته ، وأوضح مثال لذلك مقارنته بين قوله تعالى : « ولكم في القصاص حياة » (٢) • وبين قول العرب : « القتل انفى للقتل » يقول وهو يتكلم على ايجاز القصر : « ايجاز القصر وهو ما ليس بحذف كقوله تعالى : « ولكم في القصاص حياة » فانه لا حدف فيه مع أن معناه كثير يزيد على لفظه لان المراد به أن الانسان اذا علم انه متى

⁽۱) الايفساح س ١٦.

١٦) سورة البقرة ، الآية ١٧٩ .

فتل قتل كان ذلك داعيا له قويا الى ان لا يقدم على القتل فارتفع بالقتل الذي هو قصاص _ كثير من قتل الناس بعضهم لبعض و كان في ارتفاع القتل حياة لهم (١) وهذا تعليق حسن منه و فيه توضيح لمعنى الآية الكريمة ولكنه يغرق في الشكلية عند المقارنة فيضع النقاط الواحدة بعد الاخرى فيقول: « وفضله على ما كان عندهم أوجز كلام في هذا المعنى وهو قولهم « القتل أنفى للقتل » من وجوه:

أحدها: أن عدة حروف ما يناظره منه وهو « في القصاص حياة » عشرة في التلفظ وعدة حروفه أربعة عشر •

وثانيها: ما فيه من التصريح بالمطلوب الذي هو الحياة بالنص عليها ، فيكون أزجر عن القتل بغير حق لكونه ادعى الى الاقتصاص • وثالثها: ما يفيده تنكير «حياة » من التعظيم او النوعية •

ورابعها : اطراده ، بخلاف قولهم ، فان القتل الذي ينفي القتل هو ما كان على وجه القصاص لا غيره ٠

وخامسها: سلامته من التكرار الذي هو من عيوب الكلام بخلاف قولهـم ٠

وسادسها: استغناؤه عن تقدير محذوف بخلاف قولهم فان تقديره: القتل أنفى للقتل من تركبه ٠

وسابعها: أن القصاص ضد الحياة ، فالجمع بينهما طباق • وثامنها: جعل القصاص كالمنبع والمعدن للحياة بادخال « في » عليه(٢) •

ويمكن تطبيق ما تقدم على شروح التلخيص ، فنرفض منها ما رفضناه من بلاغة القزويني ، ونقبل ما أخذناه من التلخيص والايضاح ، وبذلك نبني بلاغتنا على أسس قديمة أبدع القدماء في ارسائها ، وعلى أسس حديثة تتطلبها حياتنا الجديدة .

⁽۱) الايضاح ص ۱۸۲ .

⁽٢) الايضاح ص ١٨٢ ــ ١٨٣ ٠

تحلية:

ولن تكون البلاغة العربية صالحة في النقد الا اذا استفدنا من كتب البلاغة القديمة كلها ومن السدراسات الحديثة ومن أهمها الدراسات النفسية التي اهتم بها المحدثون اهتماما بالغا ، واستخدموها في النقد ودراسة الفنون الادبية وكان العرب منذ أول عهدهم بالتأليف قد لمحوا الصلة بين النفس والادب ، وفي كتبنا نماذج تدل على هذه اللمحة كما في كتساب « الشعر والشعراء » لابن قتيبة الذي ذكر أن للشعر دواعي تحث البطيء ، وتبعث من المتكلف ، منها : الشراب ، والطرب ، والطمع ، والغضب ، والشوق ووصف الاماكن ، والاوقات التي يسرع فيها أتي "الشعر ه

وفي كتاب « الوساطة بين المتنبي وخصومه » للقاضي الجرجاني اشارات كثيرة الى ذلك • ومما فطن له الجرجاني رجوع القاريء الى نفسه عند انشاد الشعر الرقيق ، وتفقد ما يتداخلها من الارتياح ، ويستخفها من الطرب ، ويتصور تلقاء ناظرها من سابق ذكرياتها اذا سمعت هذا الشعر (۱) •

واهتم عبد القاهر بهذه الناحية حينما بحث صور الخيال من تشبيه، واستعارة ، ومجاز ، وكناية ، ولكن اهتمامه بالتقسيم والجدل المنطقي غطى عليها ، وطمس من ملامحها .

ويسكن ان نتلمس الاثر النفسي في بلاغة القزويني فهو عندما يتكلم على بلاغة الكلام يقول . « وأما بلاغة الكلام فهي مطابقته لمقتضى الحال مختلف ، فخطاب الذكي الحال مختلف ، فخطاب الغبي ،

⁽١) ينظر من الوجهة النفسية س ١٩ وما بعدها .

۱۰ الاعتساح س ۹ .

ونلمح هذا الاثر في تعريفه لبلاغة المتكلم حيث يفول . « وأما بلاغة المتكلم فهي ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ» (١) وهـــــــذا تعريف نفسي محض ٠

ونلمح الاثر النفسي في كلامه على أضرب الخبر ، فان كان المخاطب خالي الذهن من الحكم بأحد طرفي الخبر على الآخر والتردد فيه استغنى عن مؤكدات الحكم ، وان كان متصور الطرفين مترددا في اسناد أحدهما الى الآخر طالبا له حسن تقويته بمؤكد ، وان كان حاكما بخلافه وجب توكيده بحسب الافكار ، وقد أطلقوا على النوع الاول مسن الخبر ابتدائيا والثاني طلبيا والثالث انكاريا ،

وتحدث عن الامزجة الانسانية في الفضائل البشرية المختلفة وأثرها في صوغ العبارات ، و فرس قي بين المولدين والعرب ، ورأى ان بنساء الكلام للمزاج الاعرابي يخالف بناءه للمزاج الدخيل المستعرب ، ومن المثلة ذلك ما ذكره من قصة بشار المشهورة ، فقد روي عن الاصمعي انه قال : « كان ابو عمرو بن العلاء وخلف الاحمر يأتيان بشار فيسلمان عليه بغاية الاعظام ثم يقولان : يا ابا معاذ ما احدثت ؟ فيخبرهما وينشدهما ويكتبان عنه متواضعين له حتى يأتي وقست الزوال ثم ينصرفان فأتياه يوما فقالا : ما هستذه القصيدة التي احدثتها في ابن ينصرفان فأتياه يوما فقالا : ما هو قالا : بلغنا انك اكثرت فيها من الغريب وقل : نعم ، ان ابن قتيبة يتباصر بالغريب فأحببت ان أورد عليه ما لا يعرف ، قالا : فانشدناها يا أبا معاذ فأنشدهما :

بكرا صاحبتي قبل الهجير إن ذاك النجاح في التبكير

حتى فرغ منها فقال له خلف: لو قلت يا أبا معاذ مكان « ان ذاك النجاح » بكرا فالنجاح كان أحسن ، فقال بشار: انما بنيتها اعرابية

⁽۱) الايضياحس ۱۱

وحشية فقلت: « ان ذاك النجاح » كما يقول الاعراب البدويون ، ولو قلت: « بكرا فالنجاح » كان هذا من كلام المولدين ولا يشبه ذلك الكلام ولا يدخل في معنى القصيدة • قال: فقام خلف فقبل عينيه • وختم القزويني هذه القصة بقوله: « فهل كان ما جرى بين خلف وبشار بمحضر من أبي عمرو بن العلاء وهم من فحولة هذا الفن الاللطف المعنى في ذلك وخفائه » (١) •

واعترف القزويني بان للاحساس من التحريك للنفس وتمكين المعنى ما ليس لغيره ، يقول وهو يتكلم على اسباب جمال التشبيب والتمثيل: « ومن السدليل على ان للاحساس من التحريك للنفس وتمكين المعنى ما ليس لغيره انك اذا كنت أنت وصاحب لك يسعى في أمر على طرف نهر وأنت تريد ان تقرر له انه لا يحصل من سعيم على طائل فأدخلت يدك في الماء ثم قلت له : « انظر هل حصل كفي من الماء شيء ؟ فكذلك أنت في أمرك » كان لذلك ضرب من التأثير في النفس وتمكين المعنى في القلب زائد على القول المجرد(٢) • لقد احس القزويني أن النفس تتأثر ، وتحركها الهواجس أو الحواس ، ولكنه لم يوضح هذا التأثير في النفس ، وتمكينه في القلب لانشغاله بالبحث في التقسيم، والتحديد ، والقضايا الفلسفية والمنطقية • وسار على هذه السبيل شراح تلخيصه فملأوا كتبهم بالتصديقات ، والمقولات ، والدلالات العقلية ، والوضعية ، وكان الاولى بهم ان ينصرفوا عنها الى درس علاقة النفس بالانتاج الادبى وتقديره ونقده •

ولما أطل فجر النهضة الحديثة اتجه النقاد الى الاستفادة من علم النفس في النقد والدراسات البلاغية ، وقد بدأ النقد الحديث المعتمد على التحليل النفسي في الادب حين نشر فرويد كتاب تفسير الاحلام سنة

⁽۱) الايضاح ص ۲۰ ، وينظر الاغاني ج٣ ص ١٩٠ ودلائل الاعجاز ص ٢١٠ ومفتاح العلوم ص ٨٢ ، والبلاغة وعلم النفس ص ١٣٩ .

⁽٢) الايضاح ص ٢١٧ .

١٩٠٠ م وكتب ثلاث دراسات طويلـــة هي: ليوناردو دافنشي وهي دراســة نفسية مبيِّنة لذكريات طفولية ، ومقــالة عن دوستويفسكي وجريمة قتل الاب ،ودراسته لقصة المانية مغمورة عنوانهاغراديفاومؤلفها فلهلم ينسن ، وبهذه الدراسات الثلاث أقام فرويد منهجين من التحليل:

الاول: الباثوغرافيا أو دراسة المريض عصبيا أو الشخص المريض نفسيا مع اتخاذ آثاره الفنية دليلا هاديا في هذه الدراسة •

والثاني: نقد أدبي متصل حقا بالتحليل النفسي ، أو دراسة الاثر الادبي مع استعمال الآليات التي تستعمل في التحليل النفسي مفاتيح لهذه الدراسة ،

وسرت هذه النغمة الى العالم العربي فكتب الاستاذ الغولي بحث المريفا عن « البلاغة وعلم النفس » • ورأى أن تقدم بين يدي الدرس البلاغي مقدمة نفسية هي أمس به ، والزم له مما اقتبس من بحوث اصولية او منطقية أو فلسفة طبيعية مما اقحم فيه وحفلت به كتبه • ويرى أن تدرس في هذه المقدمة القوى الانسانية بعامة وما له منها أثر فني بخاصة ، فنعرف غير قليل من الوجدان وعلاقته بمظاهر الشعور الاخرى من ناحية عمله الفني ونعرف مثل ذلك عن الخيال والذاكرة والاحساس وعن الذوق • ويجب أن نعرف الكثير عن أمهات الخوالج الانسانية من حب ، وبغض ، وحزن ، وفرح ، وغيرة ، وانتقام ، وماالى ذلك مما هو مادة المعاني الادبية الكبرى في الآداب الانسانية كلها ، ولما الخبرة بحركات النفس فيه واتجاهاتها يقوم النقد الفني ذو الاساس ، بل ان البصر بذلك هو مادة النبوع الفيد ، وسبيل خلود الآثار الادبية للمنشئين والناقدين (۱) •

وكان هذا مدعاة الى صدور كتب في هذا الاتجاه منها كتاب : «من الوجهة النفسية في دراسة الادب ونقده» للاستاذ محمد خلف الله احمد،

⁽١) البلاغة وعلم النفس س ١٤٧ ومناهج تجديد س ١٩٣٠.

وقد أوضح فيه اتنفاع الناقد الحديث بنتائج الدراسات النفسية بعد ان انتفع القدماء منها ، ومنها « الميزان الجديد » للدكتور محمد مندور الذي كان ميدانا رحبا لتطبيق وجهة نظره في تحليل النصوص ،مستعينا بالدراسات النفسية والذوق الادبي السليم •

واستفاد النقاد الآخرون من علم النفس في فهم كثير من القضايا الادبية كالدكتور طه حسين في كتابه « مع المتنبي » ، والدكتور شوقي ضيف في دراسته لعمر بن ابي ربيعة (۱) ، والعقاد في دراسته لابي نواس وكتب الدكتور مصطفى سويف كتابا في « الاسس النفسية للابداع الفني في الشعر خاصة » ، وهو دراسة موفقة الى حد كبير •

وما تزال هذه الخطوة في اولها مع اهتمام النقاد بالدراسات الفنية حديثا، وحثهم على الالمام بعلم النفس والتحليل النفسي ليمدا الناقد بتفسير لماهية الشاعر او الاديب ويساعداه على تذوق عملهما الادبي والذي نخشاه ان يستبد علم النفس بالبلاغة والنقد فيحيلهما الى ميدان رحب لتطبيق أفكاره وآرائه، وادخال مصطلحاته، وبذلك يضيع النقد، وتذهب البلاغة كما ذهبت يوم غزتها بحوث المنطق والفلسفة وعلم الكلام فأخرجتها عن هدفها الذي درست لاجله واننا حين ندعو الى الاستعانة بعلم النفس في الدراسات النقدية، انما نريد ان يكون تناولنا له تناولا رقيقا، نأخذ منه ما يعيننا على تحليل النصوص الادبية وتذوقها، وتترك مصطلحاته وأفكاره التي يتيه فيها علماء النفس فضلا عن الناقد الادبب و

وننضف الى هذا كله الذوق الادبي السليم ، وبغيره لا يمكن دراسة الادب ونقده ، وقد أولى القدماء الذوق اهتماما ، وارجعوا اليه تلك الروعة التي يحسونها في الآثار الادبية، وكان النقد العربي في اول نشأته يعتمد على الذوق ، يسمع الرجل بيتا او قصيدة فيهتز طربا وتأخذه

⁽١) ينظر التطور والتجديد في الشعر الاموى س ١٨٦ وما بعدها .

نشوة عظيمة ، واذا ما سئل عن سر اعجابه لم يستطع ان يجد له تعليلا ، وانما هي النفس يستخفها الطرب فتنفعل ، وتظهر اعجابها وسرورها ٠

وبقى النقاد يؤكدون عليه حتى في عهد سيطرة القواعد البلاغية ، والاهتمام بالتحديد والتقسيم ، وقد عقد عبد القاهر فصلا في الذوق ختم به كتابه « دلائل الاعجاز » ، وذهب الى ان العمدة في ادراك البلاغة الذوق والاحساس الروحاني مع ذكاء لماع يدرك الفروق الدقيقة بين العبارات والمعاني • وهذا يتفق مع أحدث اتجاهات النقد الادبى فقد سأل احدهم الشاعر ت • س • اليوت عن المنهج النقدي الذي يسير عليه الناقد فأجاب بان المنهج الوحيد هو ان تكون ذكيا جدا(١) • وذهب السكاكي الى أبعد من هذا ، فرأى ان شأن اعجاز القرآن عجيب يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن تدرك ، ولا يمكن وصفها ، وكالملاحة يقول : « ومدرك الاعجاز عندي هو الذوق ليس الا ، وطريق اكتساب الذوق خدمة هذين العلمين »(٢) • اي المعاني والبيان • وتابع القزويني عبد القاهر والسكاكي في انه لا بد من الطبع والذوق في البلاغةوالنقد، وردد ما قاله السكاكي من أنه ليس من الواجب في صناعـــة ان يكون الدخيل فيها كالناشيء عليها في استفادة الذوق منها ، فلا على الدخيل في صناعة علم المعاني ان يقلد صاحبه في بعض فتاو اه ان فاته الذوق هناك الى ان يتكامل له على مهل موجبات ذلك الذوق • ولخص كلام عبد القاهر في ان دارس البلاغة لا يمكن ان يفهمها ، ويستفيد منها حتى يكون من أهل الذوق والمعرفة ، وحتى يكون ممن تحدثه نفسه بأن لما تومىء اليه من الحسن اصلا فيختلف الحال عليه عند تأمل الكلام ، فيجد الاريحية تارة ويعرى منها أخرى ، واذا عجبته تعجب ، واذا نبهته لموضع المزية انتبه • فأما من كانت الحالان عنده على سواء وكان لا يتفقد من أمر النظم الا الصحة المطلقة ، والا اعرابا ظاهرا فليكن عندك بمنزلة من

⁽۱) ينظر النقد الادبي من خلال تجاربي ص ١٥٣٠

⁽٢) مفتاح العلوم ص ١٩٦٠.

عدم الطبع الذي يدرك به وزن الشعر ويميز به مزاحفه من سالمه(١) .

وبذلك لا يغفل القزويني أثر الذوق الذي عليه العمدة في بلاغتنا المجديدة التي ينبغي ان تتخذفي دراستها المنهج الادبي الفني الذي ايس فيه اضطراب القدماء ، وفلسفتهم ، وبعدهم عن روح البلاغة ومقاييس النقد الصحيح وأن تكون أحكامها فنية خالصة ، لانها كما يقول الاستاذ الخولي « فن من الفنون ، وأنها شقيقة الموسسيقي وقسم من الفنون الصوتية و فالحكم الذي يصدر في مثل هذه الدراسة هو الحكم الفني الذي يثبت الحسن والجمال ، او يثبت القبح والدمامة »(٢) و

* *

هذا هو القزويني ، وهذه جهوده وأثره في البلاغة العربية ، ولعلنا القينا ضوء عليه ، ومهدنا السبيل لدراسة البلاغة من جديد ، واقامتها على اسس صحيحة تعتمد اول ما تعتمد على تحكيم الذوق والمقاييس الفنية .

ومن الله العون والتوفيق •

⁽١) ينظر الايضاح ص ١٥ ــ ١٦ ٠

⁽٢) فن القول ص ٨١٠



التالية

من هذا كله نرى ان البلاغة العربية نشأت مسائل متفرقة في كتب التفسير والادب الاولى ، واخذت تنمو على مر الايام حتى استوت علما له اصوله وقواعده ، وانقسمت البلاغة الى اتجاهين واضحين :

الاول: المدرسة الادبية ، او مدرسة العرب البلغاء ، وهي التي كانت تنحو منحى ادبيا بعيدا عن تمحلات الفلسفة ومصطلحات علم الكلام .

والثاني: المدرسة الكلامية ، او مدرسة الفلاسفة والعجم ، وهي التي اتجهت الى العلوم العقلية ، تقتبس من مناهجها ومصطلحاتها حتى اصبحت قواعد جامدة ، وتقسيمات تورث الحيرة ، وتبعد الاديب عن مقاييس البلاغة والنقد الصحيحة .

وظهرت في القرن السادس وما بعده ثلاثة اتجاهات واضحة :

والثاني: اتجاه المغاربة الذين جنحوا الى بلاغة ارسطو ومنطقه ، يقتبسون منه آراءه في نقد الادب وتقييمه ، ويمثل هذا الاتجاه حازم القرطاجني صاحب « منهاج البلغاء » •

والثالث: اتجاه مصر والشام ، وهو التيار العربي الذي كان ينحو منحى ادبيا خالصا ، وقد بدأ هذا الاتجاه واضحا منذ عهد ابن سنان . ومضى الزمن به حتى بلغ ذروته على يدي ضياء الدين بن الاثير صاحب « المثل السائر » ولم يَب ق اتجاه مصر واشام خالصا للفن والادب ، فقد غزا « مفتاح العلوم » هذه البيئة في النصف الشاني من القرن السابع ، وقد بحثنا طويلا لنعرف تاريخ دخوله في مصــر والشام ، ولم نوفق الى ذلك ، وكل ما استطعنا ان تؤكد عليه ان هذا الكتاب عرف على يدي بدرالدين بن مالك حينما اختصر القسم الثالث بكتابيه «روض الاذهان » و « المصباح » • وبذلك أخذت مدرسة السكاكي الكلامية تغزو مجالس الدرس ، ومعاهد العلم ، واخذت الكتب تؤلف على غراره. وكان أعظم من اهتم بهذا الاتجاه جلال الدين الخطيب القزويني الدي اختصر القسم الثالث من مفتاح العلوم بكتاب سماه «التلخيص» • ولم يكن هذا الكتاب تلخيصا للمفتاح وحده ، وائما كان خطوة جــديدة لمدرسة السكاكي ، فقد غير القزويني قليلا في منهج السكاكي ،وهذَّبه واضاف فصلين لم يذكرا في المفتاح هما: السرقات الشعرية ، وحسن الابتداء والتخلص والانتهاء ، وكان هذا امرا طبيعيا بعـــد ان اتصل القزويني بكتب البيئة العربية في مصر والشام •

وقد حاولنا ان نوضح سيرة مؤلف التلخيص ووفقنا الى حد كبير في ذلك ، بعد ان بحثنا طويلا في كتب التاريخ والطبقات ، ونستطيع بعد هذا كله ان نقرر ان الصورة التي رسمناها للقزويني تكاد تكون قريبة الى الواقع ، وان كانت لا تزال تحتاج الى دراسة اعمق تكشف جوانب اخرى من سيرته لم تسعفنا بها المصادر التي بأيدينا ، ولعل الايام تظهر مصادر اخرى تمدنا بمعلومات جديدة .

ومضينا في البحث نعرض بلاغة القزويني ، ومنهجه، وأثره في البلاغة العربية ، وانتهينا الى ان بعض بحوثه غير صالح لبناء بلاغتنا الجديدة . وقد وضحنا هذا في الفصل الاخير من الرسالة وفيه رسمنا الخطوط العامة لما ينبغي اخذه ، وما يجب رده من بلاغة القزويني .

ويمكن تلخيص عملنا بما يأتي:

المنظمة المسادس، وضوح اتجاهات البلاغة العربية بعد القرن السادس، واستخلصنا الصفات العامة لهذه الاتجاهات ، فكان اهل المسلملين يجنحون الى تحكيم العقل دائما في الدراسات البلاغية ، ويولعون بالتقسيم ، والحصر المنطقي الدقيق الذي يبتعلم عن الفن الادبي ومقايسه البلاغية ، واتجه المغاربة الى الاستفادة من بلاغة ارسطو في كتابيه الشعر والخطابة ، اما اهل مصر والشام فقد امتسازت بلاغتهم بخصائص اهمها : عدم تقسيم البلاغة الى علومها الثلاثة ، والابتعاد عن الفلسفة وعلم المنطق في تحديد بحوثها ، واللجوء الى الذوق في تحليل النصوص الادبية واعطاء الحكم فيها ، وكان تتيجمة ذلك ان تكونت مدرسمة بلاغيمة مصرية كان لها حظ الاستفادة من السكاكي ومنهجه ومن اعلام المدرسة الكلامية ، وقد شاركت مصروالشام مشاركة فعالة في بناء صرح هذا الاتجاه ،

٢ - صورنا سيرة القزويني تصويرا قد يكون قريبا الى الواقع ،
 وكنتًا أوَّلَ من عرض لهذا الموضوع الذي كان عبارات مبعثرة في المصادر الكثيرة ، واستطعنا ان نصور أسرته ، وحياته الاولى ، وثقافته ،
 واساتيذه ، وعلاقته بالحياة والناس .

٣ ـ جمعنا المعلومات الكثيرة عن كتابيـــه « التلخيص » ، و « الايضاح » ، وعرضنا منهجه عرضا مفصلا ، وتحدثنا عما أثار من حركة فكرية كانت ثمرتها مئات الشروح والتقريرات ، وقد استطعنا ان نقر عن شروح التلخيص وان نضم بعضها الى بعض ٠

٤ ــ ارجعنا آراء القزويني البلاغية الى منابعها الاولى ؛ ووضحنا

علاقته بعلماء البلاغة قبله ، وانتهينا الى انه استفاد كثيرا من عبد القاهر، والزمخشري ، والسكاكي ، وكانت بلاغته زبدة آرائهم •

٥ ـ قمنا بموازنة بين بلاغة القزويني وغيره من علماء البلاغـــة الاعلام ، وانتهينا الى انه لعب دورا كبيرا في تنسيق بحوث البلاغة ، واعطائها شكلها الاخير وصورتها النهائية التي وقفت عندها • وقـــد حاولنا ان نشير في اثناء الفصول الى ما في آرائه من فائدة ، وكنا كثيرا ما نوجه آراءه ، ونعرضها عرضا واضحا •

٣ ـ مخضنا شروح التلخيص ، واخرجنا زبدتها ، واشرنا الى قيمتها التاريخية واللغوية والنحوية والادبية والبلاغية ، وانتهينا الى ان هذه الكتب لا تنفع كثيرا في دراسة البلاغة المعتمدة على الذوق ، لانها حشرت مصطلحات الفلاسفة والمناطقة ، واصطنعت اساليب المتكلمين والاصوليين فخرجت عن هدفها ، ورأينا اننا اذا ما اردنا ان نبني بلاغتنا الجديدة فينبغي ان نستخلص منها ما فيه النفع ، أما الزبد فيذهب جفاء،

٧ ـ واستطعنا بعد هذا كله ان نحصر الغريب في بلاغة القزويني وشروح تلخيصه وان نشير الى ما فيه الفائدة • وكانت نتيجة دلك ان طالبنا بتخلية البلاغة من :

١ _ تقسيم البلاغة الى علومها الثلاثة ، والاعتماد على الدراسات الحديثة في بحثها ، وتنسيق موضوعاتها .

٢ ــ مصطلحات الفلاسفة واهل المنطق ، واساليب المتكلمين في العرض ، والتوجيه ، والتعليل .

٣ _ تخليصها من الدلالات العقلية والوضعية في تقسيم بحوث علم البيان ٠

وطالبنا بأخذ ما يأتى من بلاغة القزويني:

١ ــ مصطلحاته البلاغية ، لانها أكثر استقرارا واوضح دلالة من غيرها .

- ح مقدمته في الفصاحة ، والاستفادة من الدراسات الحديثة
 المتعلقة بالالفاظ في توجيه تقسيماته والتفاتاته النقدية .
 - ٣ ـ بحوثه في الايجاز ، والاطناب ، والمساواة .
 - ٤ ـ بحوثه في صور البيان الخيالية ٠
- ٥ فنون البديع التي تضفي على الكلام جمالا ، وقوة ، وسحرا.

اما من حيث منهج البلاغة الجديد ، وطريقة بحثها فلا نزال على رأينا الذي قلناه في كتابنا « البلاغة عند السكاكي » ، وهي ان يلغى التقسيم الثنائي او الثلاثي للبلاغة ، وان نعتبرهاكلها فنا واحد! ، وان تتجاوز البحث في الجملة والجملتين ، ونضم البحث في الكلمة وما فيها من جمال وجرس موسيقي له أثره في التعبير ، ونضم البحث في الجملة وما يحدث بين اجزائها من فصل ووصل ، وحذف وذكر وتقديم وتأخير، وغيرها من البحوث التي ذكرها السكاكي والقزويني في علم المعاني ، ونضم البحث في صور التعبير المختلفة كالتشبيه والاستعارة والكناية والتورية وغيرها من فنون البيان والبديع التي نها قيمتها في التعبير واداء والتورية وغيرها من فنون البيان والبديع التي نها قيمتها في التعبير واداء ذكره القدماء كعبد القاهر ، وابن الاثير ، والسكاكي ، والقزويني ، فرم التخيص ،

أما مصطلحات البلاغة فينبغي تقليلها ، والاكتفاء بأهمها وأكثرها دلالة على الاساليب العربية ، فالمجاز _ مثلا _ لا حاجة الى تقسيمه الى انواع كثيرة ، وانما نكتفي بتقسيمه الى لغوي وعقلي كما فعل عبد القاهر والقزويني ، او ان نعتبره لغويا كله كما فعل السكاكي ، ونكتفي في الاستعارة بمصطلحات قليلة ، ولتكن الاستعارة التصريحية والمكنية، ونرد جميع أنواعها الى هذين الاصلين ،

ونهتم في بحث البلاغة بالناحية الادبية ، واختيار الامثلة والقطع الرائعة من القرآن الكريم ، وكلام العرب البليغ ، ونهتم بتحليل الامثلة تحليلا ادبيا يعتمد على الادراك والاحساس الفني .

ولن تكون البلاغة مفيدة على هذا الوجه ما لم نبع دما ادخله القدماء فيها من فلسفة ، واصول ، ومنطق ، ونستعين ببعض الدراسات النفسية ، وما لها من أثر في الفن الادبي • ولكن لا الى الحد الذي تتجاوز فيه البحث البلاغي وتطغى عليه كما طغى علم المنطق وعلم الكلام على بلاغة القدماء فأخرجها عن غايتها التي من اجلها درست • وبذلك نبعث في البلاغة العربية الروح من جديد لتكون صالحة في نقد الادب ، وانشائه ، وتكون ملائمة للفن الادبى المتطور •

احمسد مطلوب

مَصَادِ رُالبِحُثِ وَمَلْجِعُهُ

- (۱) ابن ابي الاصبع المصري بين علماء البلاغة ـ الدكتور حفني محمد شرف ـ الطبعة الاولى ١٩٦٢ ـ القاهرة .
- (۲) ابن تیمیة ـ الدکتور محمد یوسف موسی ـ ۱۳۸۱ ـ ۱۹۶۲ ـ ۱۹۹۲ ـ ۱۹۲ ـ ۱۹
- (٣) ابن تيمية ـ حياته وعصره ، آراؤه وفقهه ـ محمد ابو زهرة ـ ١٩٦٢ ـ القاهرة .
- (٤) أبن دقيق العيد ـ علي صافي حسين ـ ١٩٦٠ ـ دار المعــارف القاهرة .
- (o) ابن ســـناء الملك ومشكلة العقم والابتكــار في الشــعر ـــ الدكتور عبدالعزيز الاهواني ــ ١٩٦٢ ــ القاهرة .
- (٦) ابن قيم الجوزية _ عصره ومنهجه وآراؤه في الفقه والعقائد والتصوف _ عبدالعظيم عبدالسلام شرف الدين _ الطبعة الاولى ١٣٧٦ هـ _ ١٩٥٦ ٠
- (٧) ابن نباتة المصري أمير شعراء المشرق ـ عمر موسى باشا ـ دار المعارف .

- (N) ابو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية ــ الدكتوربدوي طبانة ــ الطبعة الثانية ١٩٦٠ ــ القاهرة •
- (٩) اتجاهات البلاغة العربية _ الدكتور احمد مطلوب _ بحث نشر في مجلة كلية الآداب (جامعة بغداد) العدد الخامس ١٩٦٢ .
- (١٠) الاتقان في علوم القرآن ـ جلال الدين السيوطي ــ ١٣٦٨ ــ مطبعة حجازي ــ القاهرة ٠
- (١١) اتمام الدراية لقراء النقاية _ جلال الدين السيوطي _ مطبوع على حاشية مفتاح العلوم للسكاكي _ الطبعة الاولى ١٣١٧ هـ _ القاهرة .
- (۱۲) آثار البلاد واخبار العباد ــ زكريا بن محمد بن محمود القزويني ١٣٨٠ هـ ــ ١٩٦٠ م ــ دار صادر ــ بيروت
- (١٣) أثر الفلسفة في البلاغة العربية _ الدكتور احمد مطلوب _ بحث نشر في مجلة المعلم الجديد العدد الثاني ١٩٦١ م ، المجلد ٢٤ ٠
- (١٤) أثر القرآن في تطور النقدالعربي الى اواخرالقرن الرابع الهجري دكتور محمد زغلول سلام ـ الطبعة الاولى ـ دار المعـارف القاهرة .
- (١٥) أثر القرآن في نشأة البلاغة الدكتور احمد مطلوب بحث نشر في مجلة المعلم الجديد التالث المجلد ٢١ سنة ١٩٥٨ .
- (١٦) أثر المعلمين في البلاغة _ الدكتور احمد مطلوب _ بحث نشر في مجلة المعلم الجديد العدد الثالث المجلد ٢٤ سنة ١٩٦١
 - (۱۷) احياء النحو _ ابراهيم مصطفى _ ١٩٥١ _ القاهرة •
- (١٨) ادب الحروب الصليبية _ الدكتور عبداللطيف حمزة _ الطبعـة الاولى ١٩٤٩ _ القاهرة ٠
- (١٩) ادب الكاتب _ ابن قتيبة _ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد الطبعة الثالثة _ ١٣٧٧ هـ _ ١٩٥٨ _ القاهرة ٠

- (٢٠) الاستدراك في الرد على رسالة ابن الدهان المسماة بالمآخذالكندية من المعاني الطائية _ ضياءالدين بن الاثير _ تحقيق حفني محمد شرف _ ١٩٥٨ _ القاهرة .
- (٢١) اسرار البلاغة ـ عبدالقاهر الجرجاني ـ تحقيق احمد مصطفى المراغى ـ الطبعة الاولى ١٣٦٧ هـ ـ ١٩٤٨ ـ القاهرة ٠
- (٢٢) اسرار التمثيل بين الطريقة الادبية والتقريرية _ عبدالمتعال الصعيدي _ الطبعة الاولى ١٣٧٤ هـ _ ١٩٥٥ م _ القاهرة .
- (٢٣) الاسس الجمالية في النقد العربي ـ عرض وتفسير ومقارنة ـ الدكتور عزالدين اسماعيل ـ الطبعة الاولى ١٩٥٥ ـ القاهرة ٠
- (٢٤) اسس النقد الادبي عند العرب ــ الدكتور احمد احمد بدوي ــ المرك ــ القاهرة •
- (٢٥) الاسلوب _ احمد الشايب _ الطبعة الثالثة ١٩٥٢ _ القاهرة . (٢٦) اصول النقد الادبي _ احمد الشايب _ الطبعة الرابعة ١٣٧٣هـ _ (٢٦)
 - (٢٦) أصول اللقاء الأدبي ما أحمد الشايب ما الطبعة الرابعة ١٣٧٣هـ. ١٩٥٣ ما القاهرة •
- (۲۷) الاشباه والنظائر في النحو _ جلال الدين السيوطي _ الطبعة الثانية _ حيدر اباد _ ١٣٥٩ هـ ٠
- (۲۸) الاطول (الشرح الاطول على التلخيص) ــ ابراهيم بن محمد بن عربشاه الاسفراييني ــ المطبعة السلطانية ١٢٨٤ هـ ــ تركيا ٠
- (۲۹) اعجاز القرآن _ ابو بكر محمد بن الطيب الباقلاني _ تحقيق السيد احمد صقر _ دار المعارف _ القاهرة .
 - (٣٠) الاعلام _ خيرالدين الزركلي _ الطبعة الثانية •
- (٣١) اعلام الكلام ـ شرف الدين القيرواني ـ الطبعة الاولى١٣٤٤هـ . ١٩٢٦ م ـ القاهرة .
 - (٣٢) الاغاني _ ابو الفرج الاصفهاني _ دار الكتب _ القاهرة •

- (٣٣٣) الاقصى القريب في علم البيان ــ الامام زين الدين التنوخي ــ الطبعة الاولى ١٣٢٧ هـ ــ القاهرة •
- (٣٤) الى طه حسين في عيد ميلاده السبعين _ جمع الدكتورعبدالرحمن بدوي _ دار المعارف ١٩٦٢ _ القاهرة •
- (٣٥) أمالي علي عبدالرازق في علم البيان وتاريخه ـ مطبعة مقداد ١٣٣٠ هـ ـ القاهرة ٠
- (٣٦) انباه الرواة في أنباه النحاة القفطي ـ طبعة دار الكتب في القاهرة (٣٦) الامناء في حالما النام التعميد
 - (٣٧) الايضاح في علم المعاني والبيان ـ جلال الدين القزويني
- ١- طبعة محمد محيى الدين عبدالحميد مطبعة السنة المحمدية القاهرة وهي التي اعتمدنا اليها في البحث، اما النسخ الاخرى فقد اشرنا اليها في الهامش مع ذكر الطبعة)
 - ٢ مخطوطة معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية رقم ١٣٠
 ٣ طبعة محمد على صبيح الثانية _ القاهرة ٠
- ٤ ـ طبعة محمد عبدالمنعم خفاجي الاولى ١٣٦٨ هـ ١٩٤٩ ـ
 القاهرة •
- (٣٨) ايضاح الايضاح _ جمال الدين محمد بن محمد الاقصرائي _ مخطوطة دار الكتب بالقاهرة رقم ٢ بلاغة ٠
- (٣٩) الايضاح في شرح مقامات الحريري _ المطرزي _ طبعة حجرية _ ايران •
- (٤٠) ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ــ اسماعيل باشا بن محمد امين البغدادي ــ طبع وكالة المعارف بتركيا ١٣٦٤هـــ ١٩٤٥٠
- (٤١) البحر المحيط _ ابو حيان النحوي الاندلسي _ الطبعــة الاولى ١٣٢٨ هـ _ القاهرة ٠
- (٤٢) بحوث وآراء في علم البلاغة ـ احمد مصطفى المراغي ١٣٥٩ هـ ١٩٤٠ م ـ القاهرة ٠

- (٤٣) البداية والنهاية _ ابن كثير القرشي الدمشقي _مطبعة السعادة_ القاهرة .
- (٤٥) البديع_ابن المعتز_طبعة المستشرق كراتشكوفسكي لندن١٩٣٥٠
- (٤٦) بديع القرآن ـ ابن ابي الاصبع المصري ـ تحقيق حفني محمد شرف ـ الطبعة الاولى ١٣٧٧ هـ ١٩٥٧ ـ القاهرة •
- (٤٧) البديع في نقد الشعر _ اسامة بن منقذ _ تحقيق الدكتورين احمد احمد بدوي وحامد عبدالمجيد _ ١٣٨٠ _ ١٩٦٠مالقاهرة.
- (٤٨) بغية الايضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة _ تحقيق عبدالمتعال الصعيدي _ القاهرة .
- (٤٩) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ـ جلال الدين السيوطي الطبعة الاولى بمطبعة السعادة ـ ١٣٢٦ هـ ـ القاهرة •
- (٥٠) بلاغة ارسطو بين العرب واليونان ــ الدكتور ابراهيم سلامة ــ الطبعة الثانية ١٣٧١ هـ ــ ١٩٥٢ ــ القاهرة ٠
- (٥١) البلاغة بين اللفظ والمعنى من عصر الجاحظ الى عصر ابن خلدون نعيم الحمصي ـ بحث نشر في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٤٩ وما بعدها .
- (٥٢) البلاغة تطور وتأريخ ــ الدكتور شوقي ضيف ــ القاهرة ــ دار المعارف ١٩٦٥ .
- (٥٣) البلاغة العربية في دور نشأتها ــ الدكتور سيد نوفل ــ ١٩٤٨ ــ القاهرة ٠
- (٥٤) البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها ـ امين الخولي ـ بحث نشر في صحيفة الجامعة المصرية العدد الخامس مايو ١٩٣١ .
- (٥٥) البلاغة عند ابن الاثير _ الدكتور احمد مطلوب _ بحث نشر في

مجلة المعلم الجديد العدد الخامس سنة ١٩٥٩ المجلد ٢٢ .

- (٥٦) البلاغة عند السكاكي ــ الدكتور احمد مطلوب ــ الطبعةالاولى بغداد ١٣٨٤ هـ ــ ١٩٦٤ م ٠
- (٥٧) البلاغة الغنية _ على الجندي _ ١٣٧٥ هـ _ ١٩٥٦ _ القاهرة ٠
- (٥٨) البلاغة الواضحة _ علي الجارم ومصطفى امين _ الطبعة العاشرة ١٣٧٠ هـ _ ١٩٥١ م _ القاهرة ٠
- (٥٩) البلاغة وعلم النفس ــ امين الخولي ــ بحث نشر في مجلة كليــة الآداب (جامعة القاهرة) مجلد ٤ ج٢ سنة ١٩٣٦ ٠
- (٦٠) يبان اعجاز القرآن _ ابو سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم الخطابي _ طبع ضمن كتاب ثلاث رسائل في اعجهاز القرآن تحقيق الاستاذ محمد خلف الله احمد والدكتور محمد زغلول سلام _ دار المعارف _ القاهرة .
- (٦١) البيان العربي ــ الدكتور بدوي طبانة ــ الطبعة الثانية ١٣٧٣ هــ ١٩٥٨ ـ القاهرة ٠
- (٦٣) البيان العربي من الجاحظ الى عبدالقاهر ــ الدكتور طهحسين بحث نشر في مقدمة كتاب نقد النثر المنسوب الى قدامة بن جعفر •
- (٦٣) البيان والتبيين _ الجاحظ _ طبعة محمد عبدالسلام هارون _ القاهرة ٠
 - (٦٤) تاريخ ابن خلدون _ دار الكتاب اللبناني _ بيروت ٠
- (٦٥) تاريخ آداب اللغة العربية _ جرجي زيدان _ تحقيق الدكتور شوقى ضيف _ دار الهلال _ القاهرة ٠
- (٦٦) تاريخ الادب العربي في العراق _ عباس العزاوي _ طبعة المجمع العلمي العراقي ١٣٨١ هـ _ ١٩٦١ م _ بغداد ٠

- (٦٧) تاريخ الاصلاح في الازهر وصفحات من الجهاد في الاصلاح ـ عبدالمتعال الصعيدي ـ الطبعة الاولى ١٣٦٢هــ ١٩٤٣ القاهرة.
- (٦٨) تاريخ الامم والملوك _ محمد بن جرير الطبري _ ١٣٥٧ هـ _ ١٩٣٩ م _ القاهرة ٠
 - (٦٩)، تأريخ بغداد الخطيب البغدادي طبعة القاهرة •
- (٧٠) تاريخ التربية الاسلامية _ الدكتور احمد شلبي _ الطبعة الثانية الامريخ القاهرة ٠
 - (٧١) تأريخ الحكماء _ القفطي _ طبعة القاهرة •
- (٧٢) تاريخ الخلفاء _ جلال الدين السيوطي _ تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد _ الطبعة الثانية ١٣٧٨ هـ _ ١٩٥٩م _ القاهرة •
- (۷۳) تاریخ الدول الاسلامیة _ ابن طباطبا _ ۱۳۸۰ هـ _ ۱۹۶۰ دار صادر _ بیروت .
- (٧٤) تاريخ زين الدين عمر بن الوردي ــ المطبعة الوهبية ١٢٨٥ هـــ القاهرة •
- (٧٥) تاريخ الشعوب الاسلامية _ كارل بروكلمان _ ترجمة امينفارس ومنير البعلبكي _ الطبعة الثالثة ١٩٦١ _ بيروت ٠
- (٧٦) تاريخ العراق بين احتلالين _ عباس العزاوي _ الطبعة الأولى _ بغداد ج١ سنة ١٣٥٥ هـ ١٩٣٦ م ، ج٢ سنة ١٣٥٤ هـ ١٩٣٦ ٠
- (۷۷) تاریخ علوم اللغة العربیة _ طه الراوي _ الطبعة الاولی١٣٦٩هــ الرديخ علوم اللغة العربیة _ طه الراوي _ الطبعة الاولی١٣٦٩هــ الرديخ علوم اللغة العربیة _ طه الراوي _ الطبعة الاولی١٣٦٩هــ
- (٧٩) تأريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها _ احمد مصطفى المراغي_

- الطبعة الاولى ١٣٦٩ هـ ــ ١٩٥٠ ــ القاهرة ٠
- (۸۰) تاریخ مختصر الدول ـ ابن العبري ۱۳۰۸هــ۱۸۹ ـ بیروت.
- (٨١) تاريخ مصر (بدائع الزهور في وقائع الدهور) محمد بن احمد ابن اياس الحنفي_الطبعة الاولى _ ببولاق ١٣١١هـ _ القاهرة .
- (۸۲) تاریخ الموصل ـ سلیمان صائغ الموصلي ـ ج۱ المطبعة السلفیة بالقاهرة ۱۳۶۲ هـ ـ ۱۹۲۳ م ج۲ المطبعة الكاثولیكیــة ببیروت سنة ۱۹۲۸ م ٠
- (۸۳) تأويل مشكل القرآن ـ ابن قتيبة ـ تحقيق السيد احمد صقر ـ القاهرة •
- (٨٤) التبيان في علم البيان المطلع على اعجاز القرآن _ ابن الزملكاني_ تحقيق الدكتور احمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي _ بغداد. ١٣٨٤ هـ _ ١٩٦٤ م .
- (٨٥) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنشر وبيان اعجاز القرآن _ابن ابي الاصبع المصري _ تحقيق الدكتور حفني محمد شرف _ القاهرة ١٣٨٣ هـ _ ١٩٦٣ م •
- (٨٦) تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار (رحلة ابن بطوطة) ١٣٥٨ هـ ـ ١٩٣٨ ـ القاهرة •
- (۸۷) ترجمان البلاغة (باللغة الفارسية) محمـــد بن عمر الرادوياني ـــ تحقيق احمد اتشي ١٩٤٩ م ــ استانبول ٠
- (۸۸) التطور والتجديد في الشعر الاموي ــ الدكتور شوقي ضيفــ ١٩٥٢ ــ القاهرة
- (۸۹) التعليم في مصر في سنتي ١٩١٥ ، ١٩١٥ ـ امين سامي ـ القاهرة ١٩١٧ •
- (٩٠) تقي الدين بن حجة الحموي _ محمود رزق سليم _ ١٩٦٢ _ دار المعارف _ القاهرة ٠

- (٩١) تلخيص البيان في مجازات القرآن ـ الشريف الرضي ١٣٧٥ هـ ١٩٥٥ مغداد .
- (٩٢) التلخيص في علوم البلاغة _ جلال الدين القزويني _ تحقيق عبدالرحمن البرقوقي _الطبعة الثانية ١٣٥٠ هـ _ ١٩٣٢م القاهرة
 - (٩٣) تهذيب الايضاح ــ هذبه ورتبه عزالدين التنوخي مطبعة جامعة دمشق ــ ١٩٤٧هـ ــ ١٩٤٨ م •
- (٩٤) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور ضياءالدين ابن الاثير تحقيق الدكتورين مصطفى جواد وجميل سعيد مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٣٧٥ هـ ١٩٥٦ م بغداد ٠
- (٩٥) جواهر البلاغة في المعانيوالبيان والبديع ــ احمــد الهاشمي ــ الطبعة العاشرة ١٣٧٨ هـ ــ ١٩٦٠ ــ القاهرة .
- (٩٦) جولة في دور الكتب الامريكية _ كوركيس عواد_١٩٥١_بغداد (٩٦) حازم القرطاجني ونظريات ارسطو في الشعر والبلاغة _الدكتور عبدالرحمن بدوي _ ١٩٦١ _ القاهرة •
- (۹۸) حاشية الدسوقي على شرح السعد ــ طبع على حاشية كتاب شروح التلخيص ۱۹۳۷ ــ القاهرة .
- (٩٩) حاشية السيد الشريف على المطول ـ طبع على حاشية الشرح المطول على التلخيص ١٣٣٠ هـ ـ تركيا
- (١٠٠) حدائق السحر في دقائق الشعر _ رشيد الدين الوطواط _ ترجمة الدكتور ابراهيم الشواربي ١٣٦٤ هـ _ ١٩٤٥م_القاهرة٠
- (١٠١) الحركة الفكرية في العصرين الايوبي والمملوكي الاول_الدكتور عبداللطيف حمزة ب الطبعة الاولى ١٩٤٧ ــ القاهرة ٠
- (١٠٢) حسن الصنيع في علم المعاني والبيان والبديع ــ محمد البسيوني البيباني ــ الطبعة الاولى ــ القاهرة .

- (١٠٣) حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة ـ جلال الدين السيوطي المراه ملى الماهرة ٠
- (١٠٤) حسن التوسل الى صناعة الترسل شهاب الدين محمود الحلبي طبعة القاهرة •
- (١٠٥) حل الاعتراضات التي اوردها صاحب الايضاح على المفتاح ـ يحيى بن احمد الكاشاني مخطوطة دار الكتب بالقاهرة رقم١٩٦٠
- (١٠٦) الحياة الادبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام الدكتور احمد احمد بدوي ١٩٥٤ القاهرة ٠
- (١٠٧) الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصروالشام_الدكتور احمد احمد بدوي _ مطبعة نهضة مصر ١٩٥٢ _ القاهرة ٠
- (۱۰۸) حياة القيروان وموقف ابن رشيق منها ــ الدكتور عبدالرحمن ياغي ــ الطبعة الاولى ١٩٦١ ــ دار الثقافة ببيروت ٠
- (١٠٩) الحيوان _ الجاحظ_تحقيق محمدعبدالسلامهارون _القاهرة.
- (١١٠) الحوادث الجامعة في المائة السابعة ـ المنسوب الى كمال الدين ابن الفوطي البغدادي ـ تحقيق الدكتور مصطفى جواد ١٣٥١هـ ـ ١٩٣٢ ـ بغداد ٠
- (۱۱۱) خريدة القصر وجريدة العصر ــ العماد الاصفهاني الكاتب ــ تحقيق الدكتور شكري فيصل ــ ١٣٧٥ هـ ــ ١٩٥٥م ــدمشق٠
- (١١٢) خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء مصر) العماد الاصفهاني الكاتب تحقيق الدكاترة احمد امين وشوقي ضيف واحسان عباس القاهرة •
- (١١٣) خزانة الادب وغاية الارب ـ تقي الدين ابو بكر المعروف بابن حجة الحموي ـ الطبعة الاولى ١٣٠٤ هـ ـ القاهرة ٠
- (١١٤) الخصائص _ ابو الفتح عثمان بن جنى _ تحقيق محمد علي النجار _ دار الكتب بالقاهرة ١٣٧١ هـ _ ١٩٥٢ م ٠

- (١١٥) الخطابة ــ ارسطو ــ ترجمة الدكتور ابراهيم سلامة .
- (١١٦) الخطط الجديدة التوفيقية لمصر القاهرة ـ علي باشا مبارك _ الطبعة الاولى ببولاق ١٣٠٦ هـ ـ القاهرة
 - (١١٧) خطط الشام _ محمد كرد علي _ مطبعة الترقي _ دمشق ٠
 - (١١٨) الخطط والآثار في مصر والقاهرة ـ تقى الدين المقريزي .
- (١١٩) خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر _ محمد المحبى _ 1٢٨٤ هـ _ القاهرة ٠
- (١٢٠) خلاصة اليومية _ عباس محمود العقاد _ الطبعة الاولى ١٩١٢م القاهرة . . .
- (۱۲۱) الخواطر الحسان في المعاني والبيان _ جبر ضومط _ ١٩٣٠_ بيروت ٠
 - (١٢٢) دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة العربية والانكليزية) .
 - ١ ــ مادة بديع مع تعليق عبدالوهاب حمودة عليها .
 - ٢ _ مادة التفتاز أنى _ ستوري
 - ٣ ــ مادة الجرجاني ــ بروكلمان •
 - ٤ ــ مادة بلاغة ــ شاده وامين الخولى
 - ہ _ مادۃ السبكى _ ايوار •
 - ٦ _ مادة السكاكي _ كرنكوف ٠
 - ٧ _ مادة شام _ لامانس ٠
- (١٢٣) الدارس في تاريخ المدارس _ عبدالقادر بن محمد النعيمي الدمشقي _ تحقيق جعفر الحسني مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٣٦٧ هـ _ ١٩٤٨ م •
- (١٢٤) دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبدالقاهر في التشبيه والتمثيل والتقديم والتأخير _ عبدالهادي العدل ١٩٥٠هـــ١٩٥٠ـالقاهرة
- (١٢٥) دراسات في تاريخ المساليك البحرية في عصر الناصر محمد بوجه

- خاص ــ الدكتور علي ابراهيم حسن ــ الطبعة الثانية ١٩٤٨ مــ القاهرة .
- (١٢٦) دراسات في الادب الاسلامي ــ الاستاذ محمد ُخلف الله احمدــ (١٢٦) دراسات في الادب القاهرة .
- (١٢٧) دراسات في نقد الادب العربي من الجاهلية الى نهاية القرن الثالث _ الدكتور بدوي طبانة _ الطبعة الثانية ١٣٧٣ هـ _ الثالث _ القاهرة .
- (١٢٨) الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة ــ ابن حجر العسقلاني ــ الطبعة الاولى ــ حيدر آباد ــ الدكن ١٣٥٠ هـ ٠
 - (١٢٩) دفاع عن البلاغة _ احمد حسن الزيات _ ١٩٤٥ _ القاهرة
- (١٣٠) دلائل الاعجاز _ عبد القاهر الجرجاني _ الطبعـة الخامسة المحاسة ١٣٧٢ هـ _ القاهرة .
- (١٣٢) ديوان ابن نباتة المصري الطبعة الاولى مطبعة التمدن في القاهرة . ١٣٢٧ هـ - ١٩٠٥ .
 - (۱۳۳) ديوان البحتري ــ طبعة صادر ــ بيروت •
 - (١٣٤) ديوان جرير _ تحقيق محمد الصاوي _ القاهرة •
- (١٣٥) دولة بني قلاوون في مصر ــ الدكتور محمد جمال الدين سرورــ ١٣٦٦ هــــ ١٩٤٧ ــ القاهرة •
- (١٣٦) رأي في البلاغة العربية ـ الدكتور احمد مطلوب ـ بحث نشر في مجلة الكتاب التي تصدرها جمعية المؤنفين والكتاب العراقيين العدد الاول سنة ١٩٦٢ .
- (۱۳۷) رحلة ابن جبير _ تحقيق الدكتور حسين نصار ١٣٧٤ هـ _

- ١٩٥٥ _ القاهرة .
- (١٣٨) الرسالة الحاتمية فيما وافق المتنبي في شعره كلام ارسطو في الحكمة ـ ابو علي بن الحسن بن المظفر البغدادي تحقيق فؤاد افرام البستاني ١٩٣١ م ـ بيروت •
- (١٣٩) رفع الاصر عن قضاة مصر _ احمد بن علي بن حجر العسقلاني تحقيق الدكتور حامد عبد المجيد ومحمد المهدي ومحمد اسماعيل الصاوي _ ١٩٥٧ م _ القاهرة .
- (١٤٠) روض الاذهان في علم المعاني والبيان ـ بدرالدين بن مالك ـ مخطوطة نيدن .
- (١٤١) روضات الجنات في احوال العلماء والسادات ــ الخوانساريــ طبعة ايران الحجرية .
- (١٤٣) زهر الربيع في المعاني والبيان والبديع ــ احمـــد الحملاوي ــ ١٣٧٩ هــــ ١٩٥٩ م ــ القاهرة .
- (١٤٣) سجع المطوق ابن نباتة المصري مخطوطة دار الـــكتب بالقاهرة رقم ١٧٠ ادب • ومخطوطة الاوقاف ببغداد رقم ١٢٣٣١٠
- (١٤٤) سر الفصاحة _ ابن سنان الخفاجي _ تحقيق عبد المتعال المعيدي _ ١٣٧٢ هـ ١٩٥٣ م _ القاهرة .
- (١٤٥) سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر ــ محمد خليل المراديــ مطبعة بولاق ١٣٠١ هـ ــ القاهرة .
- (١٤٦) شذرات الذهب في اخبار من ذهب ـ ابن العمادالحنبلي ١٣٥١هـ القاهرة .
- (١٤٧) شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك _ بهاءالدين عبدالله بن عقيل تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد الطبعة السادسة ١٣٧٠ هـ _ 190١ _ القاهرة •

- (١٤٨) شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان ـ جلال الدين السيوطي القاهرة ـ ١٣٥٨ هـ ـ ١٩٣٩ م ٠
- (١٤٩) شرح المفتاح _ قطب الدين الشيرازي _ مخطوطة مكتبة الأوقاف العامة ببغداد رقمها ١٦٤٤ ٠
 - (١٥٠) شرح نهج البلاغة _ ابن ابي الحديد _ طبعة القاهرة ٠
- (١٥١) شروح التلخيص_مطبعة عيسى البابي الحلبي_١٩٣٧_القاهرة.
 - (١٥٢) الشعر والشعراء _ ابن قتيبة _ طبعة ليدن •
- (١٥٣) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث _ مصطفى عبداللطيف السحرتي ١٩٤٨ _ القاهرة •
- (١٥٤) الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ــ احمد بن فارس ١٣٢٨ هـ ــ ١٩١٠ م ــ القاهرة •
- (١٥٥) صبح الاعشى في صناعة الانشا _ ابوالعباس احمد القلقشندي _ دار الكتب بالقاهرة ١٣٤٠ هـ _ ١٩٢٢ ٠
- (١٥٦) الصورة الادبيـــة ــ الدكتور مصطفى ناصف ــ ١٣٧٨ هـ ١٩٥٨ م ــ القاهرة ٠
- (١٥٧) ضياءالدين بن الاثير وجهوده في النقد ــ الدكتور محمد زغلول سلام ــ القاهرة ٠
 - (١٥٨) الضوء اللامع _ شمس الدين السخاوي ٠
- (١٥٩) طبقات الشافعية الكبرى ـ تاجالدين ابو نصر عبدالوهاب بن
 - تقى السبكي _ الطبعة الاولى _ القاهرة •
- (١٦٠) طَّرَاز الحلة وشفاء الغلة ابو جعفر احمد بن يوسف بن مالك الرعيني الغرناطي ــ مخطوطة الاوقاف في بغداد (رقم ١٢١٤٢) ومخطوطات دار الكتب في القاهرة (رقم ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٨٢ للغة) •

- (١٦١) الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز ـ يحيىبن حمزة العلوي ـ مطبعة المقتطف ١٩١٤ ـ القاهرة .
- (١٦٢) عبدالقاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية _ الدكتور احمد احمد بدوى _ ١٩٦٢ _ القاهرة .
- (١٦٣) عبدالقاهر والبلاغة العربية _ محمد عبدالمنعم خفاجي _ الطبعة الاولى ١٣٧١ هـ _ ١٩٥٢ م _ القاهرة .
- (١٦٤) عروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح ــ بهاءالدين السبكيــ طبع مع شروح التلخيص ــ ١٩٣٧ ــ القاهرة •
- (١٦٥) عصر سلاطين المماليك وتتاجه العلمي والادبي ــ محمود رزق سليم ــ القاهرة .
- (١٦٦) العقد الفريد _ ابن عبد ربه ١٣٥٣ هـ _ ١٩٣٥ _ القاهرة (١٦٦) علم النفس الادبي _ امين الخولي _ بحث نشر في مجلة علم
- (١٦٧) علم النفس الادبي ــ امين الخولي ــ بحث نشــر في مجلة علم النفس يونيو ١٩٤٢ ــ القاهرة •
- (١٦٨) علوم البلاغة _ احمد مصطفى المراغي _ الطبعة الثالثة _ القاهرة (١٦٨) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده _ ابن رشيق القيرواني حقيق محمد محيى الدين عبد الحميد _ الطبعة الثانية ١٣٧٤ هـ ١٩٥٥ _ القاهرة •
- (۱۷۰) عيار الشعر _ محمد بن احمد بن طباطب العلوي _ تحقيق الدكتورين طه الحاجري ومحمد زغلول سلام _ ١٩٥٦ القاهرة . (١٧١) فصول في النقد _ محمد عبدالمنعم خفاجي _ الطبعة الاولى ١٩٥٣ _ القاهرة .
- (۱۷۲) الفلك الدائر على المثل السائر ـ ابن ابي الحديد ـ طبعة بيروت. (۱۷۳) فن الاسجاع ـ على الجندي ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة. (۱۷۶) فن التشبيه ـ على الجندي ـ الطبعة الاولى ١٩٥٢ ـ القاهرة.

- (١٧٥) فن الجناس _ على الجندي _ ١٩٥٤ _ القاهرة •
- (١٧٦) فن الشعر ـ ارسطو ـ ترجمة الدكتور عبدالرحمن بدوي ـ القاهرة
 - (١٧٧) فن القول ــ امين الخولي ١٣٦٦ هـ ـ ١٩٤٧ ــ القاهرة ٠
- (۱۷۸) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ــ الدكتور شـــوقي ضيف ـــ الطبعة الثالثة ١٩٥٦ ــ بيروت ٠
- (۱۷۹) الفن ومذاهبه في النثر العربي ــ الدكتور شوقي ضيف ــالطبعة الثانية ١٩٥٦ ــ بيروت ٠
 - (۱۸۰) فهارس دار الكتب بالقاهرة ٠
 - (١٨١) فهرست ابن النديم _ مطبعة الاستقامة _ القاهرة
 - (١٨٢) فهرس ااخزانة التيمورية بالقاهرة •
 - (۱۸۳) فهرست کتب کتابخانه مبارکه استان قدسی رضوی ۰
- (١٨٤) فهرس المخطوطات المصورة في جامعة الدول العربية بالقاهرة .
 - (١٨٥) فهرس مكتبة البلدية بالاسكندرية ٠
- (۱۸۶) فوات الوفيات _ محمد بن شاكر بن احمد الكتبي _ تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد _ ١٩٥١ _ القاهرة .
- (١٨٧) الفو ائد البهية في تراجم الحنفية _ محمد بن عبدالحي اللكنوي الهندي _ الطبعة الاولى ١٣٢٤ هـ _ القاهرة .
- (۱۸۸) في تاريخ النقد والمذاهب الادبية ــ الدكتور طــه الحاجري ــ ۱۳۷۲ هـ ــ ۱۹۵۳ م ــ الاسكندرية ٠
- (١٨٩) في الميزان الجديد _ الدكتور محمد مندور _ الطبعة الثانية _ القاهرة •
- (١٩٠) في النقد الادبي _ الدكتور شوقي ضيف ١٩٦٢ _ القاهرة (١٩٠) قدامة بن جعفر والنقد الادبي _ الدكتور بدوي طبانة _ الطبعة الثانية _ ١٣٧٨ هـ _ ١٩٥٨ _ القاهرة .

- (١٩٢) قراضة الذهب في نقداشعار العرب ــ ابن رشــيق القيرواني ــ الطبعة الأولى ١٣٤٤ هـ ١٩٢٦ م ــ القاهرة
 - (١٩٣) قضايا الشعر المعاصر _ نازك الملائكة _ ١٩٦٢ _ بيروت .
- (١٩٤) قو اعد الشعر _ ثعلب _ تحقيق محمد عبدالمنعم خفاجي _ 19٤) ما ١٣٦٧ هـ _ ١٩٤٨ _ القاهرة .
- (١٩٥) قواعد اللمة العربية _ حفني ناصف وجماعته _ الطبعة العاشرة المطبعة الاميرية ١٣٤٤ هـ _ ١٩٢٥ م _ القاهرة .
- (١٩٦) قواعد النقد الادبي ـ آسل ابر كرومبي ـ ترجمـة الدكتور محمد عوض محمد ١٩٥٤ ـ القاهرة .
 - (١٩٧) الكامل في التاريخ _ ابن الاثير _ طبعة القاهرة .
- (۱۹۸) الكامل في اللغة والادب ــ المبرد ــ طبعة الدكتور زكيمباركـــ الماله في اللغة والادب ــ المبرد ــ طبعة الدكتور زكيمباركـــ القاهرة •
- (١٩٩) كتاب الايمان _ تقي الدين ابو العباس احمد بن تيمية _ الطبعة الاولى ١٣٢٥ هـ _ القاهرة •
- (۲۰۰) كتاب التشبيهات _ ابن ابي عون _ تحقيق محمد عبد المعين خان ، كمبردج ١٣٦٩ هـ _ ١٩٥٠ .
- (۲۰۱) كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك _ تقيالدين احمد بن علي المقريزي _ نشره الدكتور محمد مصطفى زيادة ١٩٤٢_القاهرة.
 - (۲۰۲) كتاب سيبويه _ مطبعة بولاق _ القاهرة .
- (٢٠٣) كتاب الصناعتين _ ابو هلال العسكري _تحقيق محمدالبجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم _ الطبعة الاولى ١٣٧١هـ _ ١٩٥٢ _ القاهرة •
- (٢٠٤) كتاب الفوائد المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان ـ ابن قيم الجوزية الحنبلي ـ الطبعة الاولى ١٣٢٧ هـ ـ القاهرة •

- (٢٠٥) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل محمود بن عمر الزمخشري ـ الطبعة الثانية ١٣٧٣ هـ ـ ١٩٥٣ القاهرة •
- (۲۰۶) الكشاف عن مخطوطات خزائن الاوقاف _ الدكتور محمداسعد طلس _ ۱۳۷۲ هـ _ ۱۹۵۳ _ بغداد
- (۲۰۷) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ــ مصطفى بن عبدالله الشهير بحاجي خليفة ــ ١٣٦٠ هـ ــ ١٩٤١ ــ تركيا ٠
- (۲۰۸) كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام _ ابن حجة الحموي المطبعة الانسية ١٣١٣ هـ _ بيروت .
- (۲۰۹) الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ـ نجم الدين الغزي ـ تحقيق جبرائيل سليمان جبور ـ ١٩٤٥ ـ بيروت ٠
 - (٢١٠) لسان العرب _ ابن منظور ٠
- (٢١١) المبسط في علوم البلاغة _ محمد طاهر اللاذقي الطبعة الاولى ١٩٦٢ _ بيروت •
- (٢١٢) المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر _ ضياءالدين بن الاثير تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد ١٣٥٨ هـ ١٩٣٩ القاهرة •
- (۲۱۳) مجاز القرآن _ ابو عبيدة معمر بن المثنى _ تحقيق الدكتور محمد فؤاد سزكين _ الطبعة الاولى ١٣٧٤ هـ ١٩٥٥ القاهرة.
- (٢١٤) المجازات النبوية _ الشريف الرضي _ تحقيق محمود مصطفى_ 1٣٥٦) المجازات النبوية _ القاهرة ٠
 - (٢١٥) مجلة المشرق السنة ١٦ العدد ٧ تموز ١٩١٣ ٠
- (٢١٦) محاضرات في النقد الادبي _ الدكتورة سهير القلماوي _الطبعة الاولى ١٩٥٥ _ القاهرة .
- (۲۱۷) المختصر على شرح التلخيص ـ سعدالدين التفتازاني ـ مطبوع

- مع شروح التلخيص ١٩٣٧ ــ القاهرة .
- (٢١٨) المختصر في اخبار البشر ـ عماد الدين اسماعيل ابو الفـدا ـ ١٣٢٥ هـ ـ القاهرة ـ وعليه تذييل تاريخ ابن الوردي ٠
- (۲۲۰) المدخل الى النقد الادبي الحديث ــ الدكتور محمد غنيمي هلال ١٩٥٨ ــ القاهرة ٠
- (٢٢١) المذاهب النقدية _ الدكتور ماهر حسن فهمي-١٩٦٢_القاهرة.
- (٢٢٢) مرآة الجنان وعبرة اليقظان ـ عفيف الدين اليافعي اليمني ــ الطبعة الاولى بحيدر آباد الدكن ١٣٣٩ هـ •
- (٣٢٣) المزهر في علوم اللغة وانواعها _ جلال الدين السيوطي الطبعة الثالثة _ القاهرة .
- (٢٣٤) مسالك الخلاص في مهالك انخواص ـ الطاشكبري ـ مخطوطة دار الكتب بالقاهرة رقم ٣٠٨ .
- (٢٢٥) المستدرك على الكشاف عن مخطوطات خزائن كتب الاوقاف _ عبدالله الجبوري _ الطبعة الاولى ١٣٨٥ هـ _ ٩١٦٥م_بغداد .
- (٢٢٦) المسوغات العقلية للبلاغة _ انيس المقدسي _ بحث نشر في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق المجلد ٣٠ سنة ١٩٥٥ م ٠
- (٣٢٧) مشكلة السرقات في النقد العربي ــ محمد مصطفى هـــدارة ـــ الطبعة الاولى ١٩٥٨ ــ القاهرة .
- (٣٢٨) المصباح في علم المعاني والبيان والبديع ــ بدرالدين بن مالكـــ الطبعة الاولى ١٣٤١ هـــ القاهرة .
- (٢٢٩) مصر في تاريخ البلاغة _ امين الخولي _ بحث نشر في مجلة كلية

- الآداب بجامعة القاهرة المجلد الذنبي ج١ مايو ١٩٣٢ .
- (٢٣٠) مصر في العصور الوسطى ــ الدكتور علي ابراهيم حسن الطبعة الرابعة ١٩٥٤ ــ القاهرة •
- (۲۳۱) المطول على التلخيص ـ سعدالدين التفتازاني ـ ١٣٧٠هـــتركيا . (۲۳۲) معالم الكتابة ومغانم الاصابة ـ عبدالرحيم بن علي بن شــيث القرشي، تحقيق الخوري قسطنطين الباشا المخلصي ١٩١٣ ـ بيروت.
- (۲۳۳) معاني القرآن ـ الفراء ـ تحقيق محمد علي النجار واحمديوسف نجاتي ـ طبعة دار الكتب بالقاهرة ـ ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٥ م
- (۲۳٤) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص عبدالرحيم بن احمد العباسي ـ تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد ١٩٤٧هـ١٩٤٧ م القاهرة •
- (٣٣٥) معجم البلدان _ ياقوت الحموي _ الطبعة الاولى ١٣٢٤ هـ _ ١ ١٣٥٥ م _ القاهرة .
- (٣٣٦) معجم المطبوعات العربية والمعربة _ يوسف اليان سـركيس _ ١٣٤٦ هـ ـ ١٩٣٨ _ القاهرة .
- (٣٣٧) معجم المؤلفين ـ عمر رضا كحالة ـ ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٠ ـ دمشق (٣٣٧) المعيار في نقد الانسعار ـ محمد بن احمد الاندلسي ـ مخطوطة دار الكتب بالقاهرة رقم ١١١٤ •
- (٢٣٩) المغني في أبواب التوحيد والعدل ـ القاضي أبوالحسن عبدالجبار الاسد آبادي تحقيق امين الخولي القاهرة ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦٠م •
- (۲٤٠) مفتاح السعادة ومصباح السيادة ـ احمـــد مصطفى المعروف بطاش كبرى زاده ـ الطبعة الأولى بحيدر اباد ٠
- (٣٤١) مفتاح العلوم _ السكاكي _ الطبعة الأولى ١٣٥٦_١٩٣٧ _ القاهرة •

- (٢٤٢) مفتاح العلوم _ السكاكي _ الطبعة الاولى _ القاهرة ١٣١٧هـ .
- (٣٤٣) المقابسات ابو حيان التوحيدي _ تحقيق حسن السندوبي _ الطبعة الأولى _ ١٣٤٧ هـ _ ١٩٢٩ _ القاهرة .
 - (۲٤٤) مقدمة ابن خلدون _ دار الكشاف بيروت ٠
- (٣٤٥) مقدمة في تاريخ البلاغة العربية _ محمد بن تاويت وهي مقدمة كتاب دلائل الاعجاز لعبدالقاهر الجرجاني طبعة المغرب •
- (٢٤٦) مقدمة الدرس لغة العرب _ عبدالله العلايلي المطبعة العصرية _ القاهرة •
- (٢٤٧) من بلاغة القرآن ـ الدكتور احمد احمدبدوي الطبعة الثانية ـ القاهرة •
- (٣٤٨) من الوجهة النفسية في دراسة الادب ونقده _ الاستاذ محمد خلف الله ١٣٩٥ هـ ١٩٤٧ _ القاهرة ٠
- (٢٤٩) مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والادب امين الخولي العجر القاهرة .
- (٣٥٠) مستقبل الثقافة في مصر الدكتور طه حسين دار المعارف في القاهرة ١٩٤٤ •
- (٢٥١) منطق ارسطو _ تحقيق الدكتور عبدالرحمن بدوي _دارالكتب بالقاهرة ١٩٤٨ •
- (٢٥٢) منهاج البلغاء وسراج الادباء ، حازم القرطاجني ـ مخطوطة دار الكتب ـ القاهرة ، وقد طبع في تونسعام ١٩٦٦ بتحقيق الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة ،
- (٣٥٣) منهج السكاكي في البلاغة _ الدكتور احمد مطلوب _ بحث نشر في مجلة المجمع العلمي العراقي ١٩٦٣ ٠

- (٢٥٤) المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ـ جمال الدين ابو المحاسن يوسف بن تغري بردى الاتابكي ٠
 - ١ مخطوطة دار الكتب ـ القاهرة .
- ٢ طبعة احمد يوسف نجاتي ١٣٧٥هـ ١٩٥٦ القاهرة .
- (٢٥٥) الموازنة بين الطائيين _ ابو القاسم الحسن بن بشر الآمدي _ تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد _الطبعة الثانية_١٣٧٣ هـ _ ١٩٥٤ _ القاهرة •
- (٢٥٦) مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح ــ ابن يعقوب المغربيــ مطبوع في شروح التلخيص ١٩٣٧ ــ القاهرة .
- (۲۵۷) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ـ جمال الدين يوسف بن تغري بردى الاتابكي ــ ۱۳۲۱ هـ ــ ۱۹٤۲ م ــ القاهرة .
- (٢٥٩) نزهة الالباء في طبقات الادباء ـ ابن الانباري ـ تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي ـ ١٩٥٩ م ـ بغداد ٠
- (۲٦٠) نظرية عبدالقاهر في النظم_الدكتور درويش الجندي_١٩٦٠_ القاهرة ٠
- (٢٦١) نظرة في قواعد علوم العربية وآدابها ــ ادور مرقص بحث نشر في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق المجلد التاسع سنة ١٩٢٩ •
- (٢٦٢) نشأة النقد الادبي الحديث في مصر _ عزالدين الامين ١٣٨١هـ ١٩٦٨
- (٢٦٣) النظم في دلائل الاعجاز ــ الدكتور مصطفى ناصف ــ بحث نشر في مجلة كلية الآداب بجامعة عين شمس المجلد الثالث يناير ١٩٥٥٠

- (٢٦٤) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسأن الدين ابن الخطيب _ احمد بن محمد المقري _ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ١٣٣٩ هـ _ ١٩٤٩ _ القاهرة •
- (٢٦٥) النقاية (متن اتمام الدراية) ـ جلال الدين السيوطي ـ مطبوع على حاشية مفتاح العلوم للسكاكي الطبعة الاولى ١٣١٧ هـ ـ القاهرة .
- (٢٦٦) النقد ـ الدكتور شوقي ضيف ـ دار المعارف ١٩٥٤ ـ القاهرة (٢٦٦) النقد الادبي ـ احمد امين ـ الطبعة الثانية ١٣٧٦ هـ ١٩٥٧ ـ القاهرة .
- (٣٦٨) النقد الادبي من خلال تجاربي _ مصطفى عبداللطيف السحرتي ١٩٦٢ _ القاهرة .
- (٢٦٩) النقد الادبي ومدارسه الحديثة ـ ستانلي هايمان ـ ترجمــة الدكتورين احسان عباس ومحمد يوسف نجم ـ ١٩٥٨ـ بيروت.
- (۲۷۰) النقد الادبي ومصادره ـ عباس العزاوي ـ بحث نشر في مجلة المجمع العلمي العراقي بالمجلد السابع ١٣٧٩ هـ ١٩٦٠ م
- (۲۷۱) نقــــد الشعر ــ قدامة بن جعفر ــ تحقیق س٠ أ ــ بونیباکر ۱۹٥٦ ــ بویل لیدن ٠
- (۲۷۲) نقد النشر المنسوب الى قدامة بن جعفر ـ تحقيق الدكتور طـــه حسين وعبدالحميد العبادي ١٩٣٨ ـ القاهرة .
- (٣٧٣) النقد المنهجي عند العرب ــ الدكتور محمد مندور ــ الطبعــة الثانية ــ القاهرة •
- (٢٧٤) النكت في اعجاز القرآن _ ابو الحسن علي بن عيسى الرماني طبعت ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن _ تحقيق الاستاذ محمد خلف الله احمد _ ومحمد زغلول سلام _ دار المعارف _ القاهرة •

- (٢٧٥) نكت الهميان في نكت العميان الصفدي _ القاهرة •
- (٢٧٦) نهاية الارب في فنون الادب ــ شهاب الدين النويري ــ دار الكتب ــ القاهرة .
- (۲۷۷) نهاية الايجاز في دراية الاعجاز _ فخر الدين الرازي _ ١٣١٧هـ القاهرة .
- (۲۷۸) هدية العارنين ـ اسماعيل البغدادي ـ ١٩٥٥ ـ استانبول (۲۷۸) الوافي بالوفيات ـ صلاح الدين خليل بن ايبـك الصفدي ـ ١٩٥٥ ـ دمشق •
- (۲۸۱) الوسيلة الادبية الى العلوم العربية _ حسين المرصفي ج١ الطبعة الثانية ١٣٤٤هـ _ ١٣٤٤م _ القاهرة ١٩٢٦م م القاهرة ١٩٢٦م م القاهرة ١٩٢٦م م القاهرة ١٩٢٩م م القاهرة ١٩٤٩م م القاهرة ١٩٣٩م م القاهرة ١٩٨٩م م القاهرة ١٩٨٩م م القاهرة ١٩٨٩م م القاهرة ١٩٨٩م م القاهرة ١٩٩٩م م القاهرة ١٩٨٩م م القاهرة ١٩٨٨م م القاهرة ١٩٨٩م م القاهرة ١٩٨٨م م القاهرة ١٩٨٩م م القاهرة ١٩٨٨م م القاهرة ١٩٨م م القاهر ١٩٨م م القاهر ١٩٨٨م م القاهر ١٩٨م
- (۲۸۲) وفبات الاعيان وانباء ابناء الزمان _ ابن خلكان _ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد _ الطبعة الاولى بالقاهرة ١٣٦٧ هـ _ ١٩٤٨ م •

الفتهايس



الموضوعات

عزيزي القاريء ٠٠٠٠٠٠ عزيزي

•									
11	•	•	•		ي	لماو	ر الق	ة سهي	تقديم للدكتور
۱۷	•	•	•	•	•	•	•	•	المقدمة
					J	<u>۔۔</u>	تما		
					94	1000	27	•	
79	•	•	•	٠	•	٠		زويني	البلاغة قبل الق
49	•	•	•	•	•	•	•		دراسات بلاغية
٣١	•	•	•	•	•	•	•	•	أثر القرآن
444	•	•	•	٠	٠	•	•		أثر المفسرين
44	٠	•	•	•	•	٠	•	•	أثر الكتاب
45	•	•	•	•	•	•	•	•	أثر الشعراء
45	•	•	•	•	•	•	•	•	أثر الفلسفة
40	•	•	•	٠	•	•	•	تان	مدرستان بلاغيا
**	•	•	٠	•	•	•	٠		دوافع التأليف

- VIO -

4.	•	•	•	•	•	•	•	المؤلفات الاولى
٤٠	•	•	•	•	•	*	٠	اتجاهات بلاغية •
٤ ١	+	•	•	•	•	•	•	الوطواط •
27	•	•	•	٠	•		•	أثر مذهب المشارقة
24	•	•	•	•	•	•	•	الرازي ٠
٤٥	•	•	•	*	•	٠	٠	المطرزي ٠
٤١	· •	•	•	•	•	•	•	مذهب المغاربة
٤١	/ +	•	•	•	•	•	•	حازم القرطاجني
٤٩	•	•	•	•	•	•	•	الاندلسي ٠ ٠
0	•	•	•	•	•	٠		مذهب مصر والشام
07	• •	•	•	٠	•	•	•	ابن سنان الخفاجي
"	•	•	•	٠	•	•	٠	ابن منقــذ •
4,	۲ +	•	•	•	•	*	•	ابن شيث القرشي
71	<i>(</i> •	٠	•	•	•	•	•	ابن الاثير •
Y4	•	•	•	•	•	•	•	ابن الزملكاني
٧/	•	•	•	•	•	•	ِي	ابن ابي الاصبع المصر
٨,	٠ •	*	•	•	•	•	•	خصائص ومميزات
٨٤	•	•	•	•	•	•	•	بدرالدين بن مالك

الباب الاول

القزويني وآثاره

787-90

٩٧	•	•	•	٠	٠	٠	يني	القزو	بب	الفصل الاول ـ الخط
ዲ ለ	•	٠	•	٠	٠	٠	•	٠	•	جلالالدين
٩٨	•	•	٠	٠	•	٠	•	•	٠	نسبه
99	•	•	٠	٠	•	•	•	•		آل دلف
1+7	•	•	٠	٠	٠	•	•	•	•	امامالدين
1+0	•	•	•	*	è	تی	۽ وم	دين	إلى ال	أين والد جلا
1.7	٠	•	•	•	•	٠	•	كبة	النـــ	الموصل أيام
1.4	•	•	•	•	•	٠	ق	دمشر	م و	الى بلاد الرو
1+9	•	•	•	•	•	•	•	٠	•	ثقافته •
117	•	•	•	•	٠	•	•	٠		أساتيذه
118	•	٠	٠	•	٠	•	•	٠	•	شـعره ۰
117	•	•	•	٠	٠	٠	•	٠	•	نثره ٠
119	•	•	٠	•	٠	٠	•	٠	٠	أخلاقه
17+	•	•	•	•	•	٠	•	•	٠	طلابه •
171	•	•	•	•	•	•	•	•	•	أصدقاؤه

111	•	•	•	•	•	•	•	صاربه ٠
178	•	•	٠	•	٠	•	•	مناصبه • •
177	•	٠	٠	•	•	•	•	الى القاهرة •
171	•	•	•	•	•	•	•	الى دمشق • •
179	•	•	•	•	•	•	•	عود الى القاهرة
14+	•	•	•	•	•	•	٠	عبث اولاده •
147	•	•	•	•	٠	•	٠	عود الی دمشق
145	•	•	•	•	•	•	•	وفاتــه • •
144	•	•	•	•	٠	•	•	اولاده ٠ ٠
14.	•	•	•	•	•	٠	•	مدائح ومراث ٠
101	•	•	٠	•	•	٠	•	كلمات فيه ٠ ٠
1								الفصل الثان تثاره معنعصا
104	•	•	•	•	•	•		الفصل الثاني ـ آثاره ومنهجه
104	•	•	•	•	•	•	•	نشأة وازدهار
100	•	•	•	4	•	•	•	منهج السكاكي
17+	•	•	•	*	•	•	٠	مؤلفات القزويني
177	٠	٠	•	•	•	•	•	التلخيص •
177	•	•	•	•	•	•	•	دوافع التأليف •
174	•	•	•	•	•	•	•	متى ألف ؟
178	•	•	•	•	•	•	•	منهجه ۰
179	•	•	•	•	•	•	•	مخطوطاته
141	•	•	•	•	•	•	•	طبعاته ۰ ۰ •
104	•	•	•	•	•	٠	•	شروحه ۰ ۰ ۰
//0	•	•	•	•	•	•	•	حواش ٍ على المطول
771	•	•	•	*	•	*		حواش ٍ على المختصر
۱۷۸	•	•	•	•	•	•		مختصرات التلخيص

۱۸۰	•	•	٠	•	•	•	منظومات التلخيص
\\\	•	•	•	•	٠	•	شرح أبيات التلخيص
۱۸۳	٠	٠	٠	٠	٠	٠	الايضاح ٠٠
١٨٣	•	•	•	•	•	•	متى ألفه • • •
١٨٤	•	•	•	•	•	•	منهجه ۰ ۰ ۰
112	•	•	•	•	•	٠	مخطوطاته ۰ ۰ ۰
۱۸۲	•	•	•	•	•	٠	شروحه ۰ ۰ ۰
\A Y	•	•	•	•	•	•	حواش على الايضاح
144	•	•	•	•	•	٠	طبعاته ٠ ٠ ٠
•							·
191	٠	•	•	٠	•	٠	الفصل الثالث ـ مصادره
197	•	•	•	•	•	•	مع القاضي الجرجاني
194	•	•	٠	•	٠	•	مع الرماني ٠ ٠ ٠
198	•	•	•	٠	•	•	مع العسكري • •
190	• .	•	•	•	•	•	ادعاء • • •
۱۹٦	•	•	•	•	•	•	مع ابن سـنان •
199	٠	•	•	•	•	٠	مع ابن الاثير • •
7+1	•	•	•	•		.ي	مع ابن أبي الاصبع المصر
7+0	•	•	•	÷	•	•	مع بدرالدين بن مالك
۲.۸	•					٠	القزويني وعبدالقاهر
, 4,4	Ψ,	Ť	·	•			
۲+۸	•	•	•	•	•	•	كتابا عبدالقاهر
71+	•	•	•	•	•	•	الفصاحة • •
717	•	•	•	•	•	•	النظم • • •
714	•	•	•	٠	•	•	اللفظ والمعنى • •
418	•	•	٠		•	*	تقديم المسند اليه
717	•	٠	•	•	•	•	الحذف • • •

717	•	•	•	•	•	•	خروج الاستفهام
717	•	•	•	٠	•	•	مفعول المشيئة 🗼 •
717	•	•	\$	•	•	•	الاستعارة • • •
717	•	•	٠	•	•		التمثيل والمجاز المركب
719	•	٠	٠	•	•	•	القزويني والزمخشري
77.	•	•	٠	•	٠	٠	الالتفات ٠ ٠ ٠
777	•	•	٠	•	•	•	لو ٠٠٠٠
777	٠	•	•	•	• -	٠	تقييد الفعل بالشرط
475	•	•	•	•	•	•	موضع الفاء والواو •
377	•	•	•	•	•	•	الأطناب بالتذييل •
778	•	•	٠	•	•	*	وجه الشــبه • •
770	٠	•	•	•	•	•	المجاز المركب • •
777	•	•	•	•	•	•	الكناية والتعريض •
777	•	•	•	•	•	•	فنون بديعية • •
777	•	•	•	•	٠	•	القزويني والسكاكي •
744	•	•	٠	•	٠	•	تعريف المعاني •
744	•	•	•	•	•	•	الخبر ٠٠٠٠
741	•	•	٠	•	•	•	المجاز العقلمي • •
744	•	•	٠	•	•	•	أسرار ذكر المسند اليه
Lhh	•	•	• -	٠	•	•	التعريف بالموصولية
744	+	• -	•	٠	٠	٠	التعظيم والتكثير •
347	•	•	•	•	•	•	کل ۰۰۰
740	•	•	•	•	•	•	التقديم للاختصاص
740	٠	•	•	•	•	•	الالتفات • • •
747	•	•	•	٠	٠		

749	•	•	•	•	•	•	•	•	•	•	التقديم
721	•	•	*	•	•	•	•	•	٠	٠	القصر
737	•	•	•	•	•	•	•		سل	والوه	الفصل و
737	٠	•	•	•	•	•	•		طناب	والا	الايجاز
724	•	•	•	•	•	•	•	*	*	•	التمثيل
722	•	•	•	•	•	•	•		از	والمج	الحقيقة
722	•	•	•	٠	٠	٠	•	٠	•	•	البديع
724		•	•	•	•	•	•	•	٠	•	انفراد
										*	
							-				

الباب الشاني

بلاغة القزويني ۲٤٧ ـ ٤٩٩

789	•	•	•	•	•	•	الفصل الاول ـ الفصاحة •
729	•	•	•	•	•	•	رأي الجاحظ • •
701	•	٠	•	•	•	•	رأي ابن قتيبة
404	•	•	•	•	•	•	رأي عبدالقاهر •
404	•	•	•	•	•	•	رأي ابن الاثي <i>ر</i> •
701	•	•	•	•	•	•	رأي ابن خلدون •
Yox	•	•	•	•	٠	٠	آراء الغربيين • •
709	•	•	•	•	•	•	رأي ابن طبابا • •
709	•	•	•	•	•	•	رأي ابن رشيق
۲ ٦+	•	•	•	•	•	•	الصلة بين اللفظ والمعنى
777	•	•	•	•	•	•	الاهتمام باللفظ •
778	•	•	•	•	•	•	رأي القُزويني •
~14	•	•	•	٠	•	•	فصاحة اللفظة المفردة
77	•	•	•	٠	٠	•	التنافر ٠ ٠ ٠ ٠
۲ ۲۸	•	•	•	•	•	•	الفرابة ٠ ٠ ٠ ٠

177	•	•	•	•	•	•	ي	للغو	س اا	القيا	خالفة	A	
774	•	•	•	•	•	•			رم	الكا	صاحة	ف	
474	٠	•	*	•	•	•	٠		ف	لتألي	نىعف ا	ė	
۲۷٤	•	•	•	•	•	•	٠	•	•		لتنافر	١	
アマブ	•	•	•	•	•	•	•	•	•		لتعقيد	1	
77.7	٠	•	•	•	•	•	كبة	۔ المر	الفاظ	, بالا	با يتعلق	۰	
<u>የ</u> ለ٤	•	•	•	*	•	•	•	•	•	•	لمعنى	.1	
۲۸Ÿ	•	•	•	•	•	•	•	Ļ	المعانم	علم	اني ـ	ل الث	الفص
791	•	•	٠	•	•	•	•	•	•	٠	ساؤل	ڌ	
790	•	•	•	•	•	•	٠	٠	•	*	لجملة	1	
447	٠	٠	٠	•	•	٠	•	•	•	٠	موذج	ز	
4+0	•	•	•	•	•	٠	•	•	صل		لفصل ا		
414	•	•	•	•		اة	لمساو	، وا	'طناب	والا	لايجاز	1	
۲۲۱	•	•	•	•	•	•	•	ان	البيا	علم	ئالث ــ	ل الذ	الفص
474	•	•	•	•	•	÷	•		لات	الدلا	دخال ا	}	
449	•	•	•	•	•	•	٠	٠	•	*	لتشبيه	١	
mmy	•	•	٠	٠	٠		نىيە	للتث	ويني	القزو	عريف	;	
444	٠	•	٠	•	•	•	•	٠		4	قسيمات	;	
727	•	•	•	•	•	•	يل	لتمث	يه وا	تش:	همية ال	Ī	
40+	•	•	•	•	•	•	•	٠	•		لمجاز	1	
40+	•	•	•	•	•	•	•		ائل	الاوا	قسيم ا	3	
404	•	•	•	•	•	•	•		••		تقسيم		
400	٠	•	٠	•	•	•	•	٠	•	•	لمجاز اا		
474	•	•	•	•	•	•	•	٠	ل	لمرس	لمجاز ا	1	
449	٠	•	٠	•	٠	•	•	•		۵,	لاستعا	1	

۴۸ 0	•	•	•		بن	لطرفيا	ار !!	باعتبا	مارة ب	لاست	انقسام ا	
ፖሊጓ	٠	•	•	•							ا انقسام اا	
۲۸۸	•	•	ć	لجامع							۱ انقسام ا	
49.	•	•		•							۱ انقسام ا	
491	•	•		•							۱ انقسام ا	
٣٩٣	•	•		•	•						ا الاستعار	
497	•	٠									الاستعار	
497	•	•	•	•	٠	•	•				خسن اا	
٤+٣	•	•	•	*	٠	•					ا أنواع ا	
\$+0	٠	•	•	•	•	•					مجاز ال	
₹ + ∀	•	•	•	•	•	هر					 الخروج	
٤+٩	•	•	٠	•	•		•				الانشاء	
٤١٢	٠	•	•	•	٠		•	•	•		التغليب	
٤١٣	•	•	•	•	•		•	•	•		 الكناية	
213	•	٠	•	•	•	•	•	٠	. 4		۔ رأي الق	
٤٣٠	٠	٠	•	•	•	٠	•	•			أهمية ا	
274	_											
	•	•	•	•	•	•	•	Ĉ	البدي	علم	الرابع ــ	الفصل
٤٢٣	•	•	•	•	•	•	٠	•	•	ď	في اللغا	
272	•	•	•	•	•	٠	•		لديع	والبا	الرواة	
270	•	•	•	•	•	•	٠	ديع	في الب	ناب أ	أول كت	
277	•	•	•	•	•	•		كاكى	السكا	عند	البديع	
473	•	•	•	•	•	•					البديع	
143	•	•	•	•	•	•	•				المتأخر	
244	•	•	•	•	•	٠	•	•	•		نموذج	
٤٣٣	•	•	•	•	•	•	•	•	•		التقسي	
247	•	•	•	•	•	•	•	•	•	1	 الجناس	

११०	•	•	•	•	•	البديعيات ٠ ٠ ٠
१०५	•	•	•	•	•	الفصل الخامس ـ السرقات
६०५	٠	•	•	٠	٠	الابتداع والاتباع • •
٤٦٠	•	•	•	•	•	السرقات قديمة 🔹 ٠
277	•	•	•	٠	٠	كتب قديمة في السرقات •
٤٦٢	•	•	•	•	•	ابن طباطبا وآلسرقات
१५१	•	•	•	•	•	الجرجاني والسرقات •
\77	•	•	•	•	•	الآمدي والسرقات • •
٤٦٧	•	•	•	•	•	العسكري والسرقات •
१५९	•	•	•	٠	•	ابن رشيق والسرقات •
٤٧١	•	٠	•	•	•	عبد القاهر والسرقات
٤٧٥	•	•	•	٠	•	ابن منقذ والسرقات •
٤٧٦	•	•	•	•	•	ابن الاثير والسرقات • •
443	•	•	٠	•	•	السرقات في عصر القزويني •
٤٨٤	•	•	•	•	•	القزويني والسرقات • •
£AA	٠	•	٠	\$	•	ما السرقة ؟ • • •
٤٨٩	•	٠	•	•	•	أقسام السرقة • • •
						1

•

¥

الباب الثالث

شروح التلغيص ٥٠١ - ٦٨٢

0.4	•	•	•	•	•	•	U	لفصل الاول ـ شروح التلخيم
0.4	•	٠	•	•	ي	زوينم	ِ الق	النقد والبلاغة في عصر
0+9	•	•	٠	•	•	٠	•	الشهاب الحلبي
0+9	•	•	•	•	•	•	•	العلوي • •
017	•	•		•	•	•	•	ابن قيم الجوزية
710	•	•	•	•	•	•		بهاء الدين السبكي
079	•	•	•	•	•	٠	٠	مصادره •
140	•	٠	•	•	•	•	•	بين الادب والفلسفة
٥٣٢	•	•	•	•	•	•	•	دعوة الى الذوق
047	٠	٠	•	•	•	•	•	منهجه في الشرح •
٥٣٦	٠	•	٠	•	٠	٠	•	متى ألفه ؟ •
٥٣٧	•	•	•	•	•	•	•	خصائصه ٠ ٠
0 2 0	٠	•	٠	•	٠	٠	•	آراء السبكي •
०१५	•	•	•	٠	٠	٠	٠	مع القزويني •
०१५	•	•	•	•	•	•	٠	علَّم المعاني • •

	170	•	•	•	•	•	•	•	علم البيان •
	٧٢٥	•	•	•	•	•	•	•	علم البديع
	۰۷۰	٠	•	•	•	•	•		التفتسازاني
	٥٧١	•	•	•	•	•	•	•	کتاباه ۰ ۰ ۰
	۲۷٥	٠	•	•	•	•	•	•	منهجه ۰ ۰
	٥٧٣	•	•	•	٠	٠	•	•	اعجابه بالقزويني
	٥٧٤	•	•	•	•	•	•	•	مع القزويني •
	٥٧٤	•	•	•	•	•	•	•	الفصاحة .
	٥٧٦	•	•	•	•	•	•	•	علم المعاني • •
	٥٧٨	•	•	•	•	•	•	•	علم البيــــان •
	04+	•	•	•	•	•	•	•	علم البديع • •
	۱۸ه	•	•	•	•	•	•	•	السيد الشريف
	340	•	•	•	•	•	•	•	ابن يعقوب الغربي
	٥٨٦	٠,	•	•	•	•	•	•	مع القزويني •
	790	•	•	•	•	•	•	•	النسوقي
	۸۵٥	٠	٠	•	•	•	•	ئي	عصامالدين الاسفرايين
	7.5	•	•	•	•	•	•		السيوطي
	4+4	•	•	•	•	•	•	•	قيمة الشروح •
	71.	•	•	٠	•	يثة	الحد	لاغة	الفصل الثاني ـ القزويني والبا
٠	711	•	•	•	•	•	•	•	الازهر والبلاغة •
	714	•	•	•	•	•	•	•	كتب جديدة
	717	•	•	•	•	•	•	•	الجامعة والبلاغة
	714	•	•	•	•	•	•	•	اتجاه نفسي ٠ ٠
	719	•	•	•	•	•	•	•	مناهج جديدة

177	•	•	•	•	•	•				لنهج	3	
479	٠	٠	•	•	•	•	•	•	•	فصاحة	J)	
744	٠	•	•	•	•	•	•	٠	•	لم المعاني	٠ .	
ላ ሦሉ	•	•	•	•	•	•	•	•	•	لم البيان	٤	
٦٤٠	• •	•	•	•	•	•	•	٠	•	لم البديع	` ء	
737	•	٠	•	•	•	•	•	•	•	خاتمة	II .	
٦٤٦	•	٠	•	•	•	•	•	•	•	أي •		
789	•	٠	•	•	•	•				لوضوعات	H	
५ १९	•	•	•	•	•	•	•		ية	سائل فلسف	.a	
401	•	•	•	•	•	•	•	٠	٠	خلية ٠	ะ	
444	•	•	•	•	•	•	•		ذه	ا ينبغي أخ	م	
777	•	٠	•	•	•	•	•	•	•	لصطلحات	U	
٦٧٠	•	٠	•	•	•	•	•	•	•	لفصاحة	11	
777	•	•	•	•	•	•	•	<i>(</i>	طناب	لايجاز والا	Ti .	
777	•	•	•	•	•	•	•	•	C	حوث أخرى	ب	
777	•	•	•	•	•	٠	٠	•	•	لسرقات	11	
774	•	•	•	٠	٠	•	•	•	•	لتفاتات	11	
440	•	•	٠	\$	•	•	•	•	•	لشكلية		
770	•	•	•	•	•	•	•	•	•	حلية ٠	ື	
۳۸۳	•	•	•	•	•	•	•	•			خات هــــة	
ገ ለዓ	•	•	•	•	•	•	•		482	حث ومراج	مصادر الب	3

القوافي الهمـزة

الصفحة	القافيلة	أول البيت
118	الشعراء	أنا أشعر
٣٤٨	العطاء	بذل
**	وماء	وما
٤٦٣	السماء	کل
१५० ६ १५५	أعدائه	أأحبه
٤٨٨	لقياء	كأن
٥٦٣	الماء	والريح
	الباء	
११ ४ १ ४ ९ १ ७ ७ ७ ७ ७ ७ ७ ७ ७ ७ ७ ७ ७ ७ ७ ७ ७ ७	قواضب	يمدون
~	المهذب	ولست
٨٥	كذبه	كلفتمو نا
۲۸	كلابا	فغض
140	يطيب	قد سبك
۲ /۲ ، ۲۲۲ ، ۲۸۲	يقاربه	وما مثله
144	شعوب	ولا فضل

الصفحة	القافية	اول البيت
740	تقضبا	تذكرت
740	فمثقبا	وحل
727	مشيب	طحايك
747	وخطوب	يكلفني
747	ومرهوب	ما أن
727	مقروب	إِن° تسألوا
77	النسب	مبارك
7.77	شهاب	إِن يقتلوك
7.47	قارب	قتلنا
۲۰ ۸	غاربي	ملكته
414	لأب	أكسبته
٣٤٠	تسكب	تشابه
٣٤٥	وضريب	دان
٣٤٦	ثاقبا	كالبدر
٣٨٥	سحائب	وصاعقة
የ ለጓ	الغيهب	يتراكمون
499	عنابا	أثمرت
٤٠٠	التعب	بصرت
٤• A	مقروب	إن
787 6 844	مغيثب	إذا
٤٣٨	مصابه	ولا تله
٤ ٣٨	ذاهبه	إذا
2 2 1	أريب	يعيش
224	أريب مذهب	ذهبت
१५५	الحبيب	إذا

الصفحة	القافيــة	أول البيت
٤٧٩	متضارب	إذا
٤٩١	وحاجباً	خلقنا
٤٩١	حواجبا	خلقنا
१९ ٢	المذاب	وجرم
٤٩٤	خضاب	ومن ٔ
{ \ £	يسلبوا	سلبوا
£1	غضابا	إذا
00\	وخطوب	تكلفني
904	T با	فرجي
٥٧٤	النسب	مبادك
٥٩٣	العرب	فهمت
	التساء	
777	الحنات	وأكره
۲ ٩٨	جلت	سأشكر
72	اليواقيت	ولازوردية
٤١١	تقل <i>ت</i> تقلت	أسيئي
£ £ 7	ثابت	וֹצ
.	وحناتها	أعانق
	الثاء	
41145		ابادر
٤٣٦	العابث	J-9,
	الجيم	
Y Y	اللهيج مسرجا	من راقب
٣٧ 0 (٢٦٩	مسرجا	وفاحما
	\\\\\	

الصفحة	القافيسة	اول البيت
٤١٨	الحشرج	إن
£9+ 6 £A+ 6 £7+	اللهج	من
	الحاء	
711 6 711	ملاح	وظلت
۳۸۷۲۳۰۸ ، ۲۰۱ ۲۱۷	الاباطح	أخذنا
707	الصالح	ما عاتب
057 6 770	الفصيح	وتحت
777	بمنتزاح	وأن ت
۲۸•	_ رو حي	بالنار
477	یر اح پر اح	ان
٣٤٨	يمتدح	وبدا
٤١٠	راح	ألستم
१४९	الجوانح	إن"
٤٧٨	مطرح	ومن
044	$ abla_{eta}$	ولاح
	الدال	
001:740:41.00	ترقد	تطاول ليلك
০৭	العوادر	أعز علي"
184	وتنكيد	- حاشاك
141	الرشاد	الحمد لله
198	كدا	والعيش
7+4 6 4+4	بالايادي	قلت
Y+\$	للاعادي	وإخوان
024 (777 (71+	لتجمدا	سأطلب

الصفحة	القافية	أول البيت
7A+ 4 7 1 1 ·	مجتهد	ويعرف
704	 نجد	وي ر وانجدتم
* * * * * * * * * * * * * * * * * * *	المعدود	حجج
۲۷ ٨	لجمود	.بي ألا أن
٣٠١	خالد	لو شئت
717	احيد	بغاني
444	تصعد	و كأنّ
. 444	ندي	كلنا
mmd	حداد	وأرى
720	خسود	واذا
70 7 \$ 70 7	والجدا	وتحيي
የ ኢፕ	الوادي	لم "
. ٤+٢	الاسد	ولم أر
٤١٧	الحقد	فاتبعتها
{ Y +	سعيد	اً ب <i>ین</i>
272	بسأعد	هم
	مرد	ھم سأطلب
१५०	الخدود	بياض
१५०	خدود	والورد
£ ٩ + 	وتجلد	وقوفا
2 Y Y	مودود	الشيب
£9+ 6 £VV	لمعبد	أجاد
£9+ 6 EVV	لمعبد	محاسن
१४९	بتعريد	إن•
7.93	البلاد	مقيم

القافيــة	أول البيت
غاد	واني
مغمد	يبس
واحد	ليس
المهند	مفيد
وساد	ٳۣڶ°
منشد	فلو
وحدي	كريم
يوجد	بلد
الراء	
ذكور	ومن العجائب
الجسور	من راقب
الدائرا	المثل السائر
النوار	لما نظرت
وطره	ذاد
بالبشرى	تبدلت
أزاهره	سقى
أعذرا	عجبت
قبر	وقبر
الغار	ثاني ه
خياره	يا علي
ٔ نارا	وما أنــا
كالدنانير	سالت
الغار	ثانيه
قبر	
	غاد واحد المهند وساد منشد وساد يوجد يوجد الجسور ذكور الجسور الدائرا العارا النوار النوار النوار النوار النوار غذرا أزاهره الغار

آلصفحة	القافيــة	اول البيت
Y / ٩	اغتفار	تبيت
٣•٢	تفكرا	 'فلم يبق
٣•٨	بمقدار	م وقال
71 17	القطر	واني
m,	نورا	وقد لاح
٣٤٠	الصافر	أسد
٣٤٠	الامر	رق
737	الزنابير	تقول
414 c 401	وادبار	ترعى
708 6 471 6 408	نظرا	يزيدك
404	الضفر	تناسى
milh	البدر	سيذكرني
475	المشافر	فلو
٣٧٦	النشر	أكلت
, ۳۸۳	القمر	لا تعجبوا
٣٨٧	الزائد	واذا
447	بكر	ينازع <i>ني</i>
٤١٨	ظاهره	لعبد
\$7\$	المصفرا	نضحن
£ ٣٤	حرها	فوجهك
१४०	ماندر <i>ي</i>	فقال
٤ ٣٨	الشعر	والحسن
१०५	النجار	بكروا
٤٦+	شعري	Y
£ 4 + 6 £A+ 6 £4+	الجسور	من

الصفحة	القافيــة	أول البيت
٤٦ ٨	البدرا	قفاه
٤٧٨	النصر	فتى
٤٧٨	الصغر	لم
٣٨٣	طيري	أطالع
894	العنبر	وريحها
894	الخمار	فلا
१९०	ستمار	وترى
०१८	البدر	سيذكرني
oy\	الدر	ففي
0∧+	الثرى	 لعمري
५०१	والقمر	ثلاثة
	السين	
۲۸+	شرس	دان
444	تفسي	قامت
441	الشموسا	واقرى
	الصاد	
thd	الدعص	فرعاء
٥٥٣	القميص	أأطعمت
	الضاد	
774 6 71	يرضي	أبكاني
१५०	يرضي بعض	عشية
	الغلاء	
337	أيقاظا	تقري

المفحية .	التافية	أول البيت
	العين	
77V 6 177	أصنع	قد اصبحت
7 - 2 6 7 - 4	لو ي عي	إِن قال
774	واصطناعها	ذممت
778	باعها	أبى
772	أطاعها	اذا ه ي
790 6 747	تقنع	والنفس
744	تصرعوا	إِن الذين
701	وقعا	أيتها
708	اخدعا	تلفت
705	أخدعي	واني
7A\ 6 7A+	ومستمع	حمامة
79.	بسريع	سريع
. W.+	واع	شجو
٣٠١	اوسع	ولو شئت
, hhh	ابتداع	وكأن
455	الاصابع	فاصبحت
۷۶۳ ، ۵۶۵ ،۸۸۵،۶۲۶	لا تنفع	واذا
540	نفعوا	قوم .
£ £ £ •	الوقوعا	ممنعة
٤٨٠	دموعها	إذا
٤٨٠	صنيعا	أألوم
٤٨٠	انفع	هو
1.23	مو دعي	لم :
493	ذراعا	ولم
٤٩٣	اوسعا	وليس

. WY -

الصفحة	القافية	أول البيت
	الفاء	
10+	عطافا	كسان ي
101	الصحف	هذا الأمام
194	انصرنها	والحب
***	اكنافهم	قم
799	مختلف	نحن
٣١٠	إلاف	زعمتم
777	اكافا	إنَّ
{ 	شاف	هل
٤٧٩	مؤتنفا	تدعى
०१४	الشفوف	للبس
	القاف	
702	خرقك	يا دهر
thh	يعشق	ولقد
pp.	عقيق	كأن
٤•٨	مرزوقا	کم
٤٩١	تعشق	وآني
O+7	معانقي	حتى
0+7	بعاشق	أبعدته
0+Y	خافق	يكفيه
	الكاف	
7/7	مالكا	فلما
344	شمالكا	ألم تك
٤٠٢	الفلكا	ألم تك أتتني

الصفحه	القافية	أول البيت
٤• ∧	دعاكا	الهي
₹+ A	بذلكا	۽ مي تعاللت
£ 74	فبكى	¥
१५९	قفاكا	باً ب <i>ي</i>
	الــــلام	
\$1. 6 777 6 77	اغوال	أيقتلني
٣.	بال	ايساي إلا أنني
Y **	. در البالي	ءِ کأن قلوب
٨٥	بصقال	و. والسيف
٨٦	مثقالا	۔ لو ان تغلب
180	أم لا	ان طيفا
١٤٨	مآله	کل خي
140	بالتعطيل	كم لها"
Y•1	منزلي	أتت
794 ° 747	 الرحل	الله
70+	الرجال	لا تحسبن
70+	السؤال	كلاهما
707	الهطل	وفوها
707	النحل	کما
77.	ومرسل	غدائرها
771	المجزل	الحمد
***	الجليل	هل معین
747	الغاسل	الطيب
7**	العسل	يدي
	\AM	

الصفحة	القافيــة	أول البيت
YA•	صل	أقل
۲۸۰	الهزال	فسد
4+4	مثلا	قد طلبنا
*1	طويل	قال
٣١٠	لا تبخلي	زعم
that e the	 قاتلە	اصبر
344	شمالكا	ألم تك
724 6 727 6 727	الغزال	فان
740	شىمائلا	لهفي
727	المتطاول	وان
708 6 471 6 401	المثل	وصيرني
474	بخلا	یا خیر
የ ለዩ	الجمال	نحن
የ ኢኒ	خصل	لو
444	الرحل	وجعلت
***	بكلكل	فقلت
491	المال	غبر
448	رواحله	صحا
٤٠٠	العمل	У
1+3	بدلا	Ļ
113	بأمثل	זע
٤١٨	الفصيل	وما
\$4\$	ماثل	فما
£44	غفل	فما
£4%	سبيل	وسميته

الصفحيه	القافيــة	أول البيت
££4	قلاقل	فقلقلت
£74°	رحلا	فبان
£77	سبيل	أريد
4+ 6 277 6 274	وتجمل	وقونها
٤٧٠	طبولا	باشرت
٤٧٠	طبول	إذا
£ ¥ £	المقبل	يغشون
٤٧٧	طائل	لقد
£94 6 £44	گامل	واذا
٤٧٩	بمنجلي	ولما
٤٨٩	يعقل	إذا
٤٨٩	أول	لعمر ك
1.83	لبخيل	هيهات
٤٩١	بخيلا	أعدى
294	البصل	واذا
294	طائل	لقد
१५०	نواهل	وقد
070	و ائ ل	وحتى
. 004	قذالا	ومية
005	المثقل	يزل
००१	ابقالها	ولا
070	أفول	عزماته
	الميسم	
23	الخضم البشام	ياباني
77	البشام	أ تذك ر
	V41	

الصفحه	القافية	اول البيت
40	بعظامه	لانت معاطفه
٨٩	أمامي	أقمت
1+1	الايام	عني
117	نظامه	والمجد
121	الدراهما	قاض
124	المعالم	وكادت
10+	تهمي	وسقى
** **	العظاما	غالطتني
777	ميسما	ولو غير
770	زمامها	وغداة
701	شمم	في كفه
701	يتسم	يفضي
705	حمام	هن
700	كالدمى	ومن
YV1	الايم	حلت
771	وايم	يشق
777	الحما	قواطنا
770	رميم	رم تني
777	ساجمه	وفاؤكما
~ +₩	العظم	وكم
₩•٧	كريم	لا والذي
**•	تعيم	وتظن
717	نعيم همي بنائم	أتينا
770 6 707	هبي	لقد
410 6 401	بنائم	حارث

	** 41**19*	11 1.5
الصفحه	القافيــة	أول البيت
۳0٧	الملاغم	سقاها
44 £ 6 44.	زمامها	ورياح
444	الدراهم	تشرتهم
447	تقلم	لدى
{**	نعم	قولي
2/4	ضرام	أر <i>ى</i>
250	سلم	إن
733	الكلم	بطيبة
£ £Y	العلم	بواعة
٤٤٧	العلم	لبي
200	كالعلم	في
703	دمي	خسن
703,	بالديم	يا منزل
ξογ	ألمي	يا حسن
274	المكوم	متى
\$	اللوم	اجد
٤٧١	الدم	¥
٤٧٥	الأجسام	واذا
٤٨٠	بدم	جذلان
٤٨٠	الجهام	ومن
894	والاظلام	وعلى
१९०	اللوم	أجد
900	الصوارم	عشية
4.4	بدم	من العقيق

	2 242.84	11. [.]
الصفحه	القافية	أول البيت
	النون	
1+9	والتبيين	يحر
1\$1	يبرين	يا بروقا
707	معينا	ان الذين
707	ولقينا	غيضن
2226 707	اودعاني	او دعاني
700	الدوران	لو الفلك
777	عنا	واذا
***	الجاهلينا	الا
ም ሌ0	نيرانا	فان
٤١٧	الاضغان	الضاربين
٤٣٨	لنا	كلكم
१०।	الغنى	ولقد
{ \(\ \ \ \ \	العجان	اذا
٤٦٣	نعني	وٳۣ۬ڹ°
٤٦٣	النازلينا	أحب
\$ '\ '\	مكان	ملك
१५९	سر ني	ما
१४९	مني	و لق د
٤٧٩	يزين	حذرا
193	أحيانا	یا ق <i>و</i> م
7.83	سمطين	وقائلة
٥٢٦	الانسان	لولا
٥٦٧	نيرانا	فان
٥٨٠	عاني	ومضطلع
4+\$	والبيان	وهذه
_ Y.E.E _		

الصفحه	القافيــة	أول البيت
	الهاء	
7 %	فيبليها	تر <i>ی</i>
844	مواليها	صارت
£TA	عبدالله	ما
0+7	اليهما	زر
	اليساء	
٤١٤ ، ٢٢٦	تقاضيا	وحسبك `
700	التقاضيا	اذا
477 (401	العشي	اشاب
\$ ٣٦	مهنيا	غير

.

الاعسلام

الهمزة آ احمد أمين: ٧٤ . أفوش الافرم: ١٢٦ أاحمد الجرجاني: ٣١ . الأمدي : ٥٥ ، ٥٩ ، ٥٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٧ ، احمد الحملاوي : ٦١٤ . احمد الشايب: ٦١٨ ، ٦٢١ ، ٢٢٦ . . 879 الابنجى: ١١٣ . احمد بن فارس: ۳۵۹ . ابراهيم سلامة (الدكتور) : ٦١٨ . احمد المخزومي: ٧٧ . ابراهيم النظام: ١٨٩ . احمد مصطفى المراغي: ٦١٥ ، ٦١٧ . ابن أبي الاصبع المصري: ١٧ ، ٢٣ ، ١٥ ، احمد مطلوب (الدكتور) : ٥ ، ٩ ، ١٤ ، 1191 6 AA 6 A1 6 A. 671 6 07 6 07 . 744 6 77 6 17 6 10 ٠ ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٠ ، ٢٠٠ ، ٢٤٦ ، احمد الهاشمي : ٦١٥ . ٣١٤ ، ٥٤٥ ، ٥٣٠ ، ١٧٥ ، ٥٠٠ ، [احمد بن يوسف: ١٩٥ ، ٢٧٢ ، ٢٤٦ . الاخفش: ٣٤ ، ٦.٧ . . 777 6 071 6 07. الاخنس بن شهاب : ٧٩ . ابن ابي الحديد: ٧٤ ، ٧٥ ، ٣١ . أدور مرقص: ٦٢٣ ، ٦٢٧ . ابي ابي عون: ٣٢٩ . الارجانسسي: ١١٤، ١٦٠، ١٦١، ٢٠٣، الابيوردى: ٩٩ . ابسن الاثير: ١٧ ، ٢١ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٣٧ . {41 6 {01 6 } 74. 10 3 70 3 30 3 00 3 70 3 77 أرسطو: ۲۱ ، ۲۹ ، ۳۳ ، ۷۷ ، ۹۹ ، ۵ ، . AE . YY . YE . YT . Y. . 79 . TTT 4 TIA 4 EYO 4 AE 4 VI السامة بن منقذ: ۲۱ ، ۵ ، ۲۰ ، ۲۱ ، 199 6 194 6 197 6 174 6 171 . or1 6 EVO 6 VV (TTO 6 TOV 6 TET 6 TTT 6 T.. ٢٦٩ ، ٢٧٩ ، ٢٨٥ ، ٢٩٦ ، ٣١٧ ، أبو استحاق الصابي : ٣٤٠ . اسحاق المجاهد: ١٠٦ . 177 > 277 > 777 > 313 > 613 ٢٠ ، ٤٧٦ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٦ ، الاسفراييني : ١٠١ . ١٨٧ ۽ ١٩٤ ، ١٠٠ ، ١١٥ ، ١١٥ ، الاستوي : ١٠١ ، ١٠٠ ، ١٢٠ . .۲۰ ۱ ۳۱ ، ۷۳ ، ۹۸ ، ۹۳ ، آشجع : ۹۳ . 788 6 771 6 777 6 770 الاشجعي: ٣٦] . الاشهب بن رميلة: ٢٤} . ابن الاثير (المؤرخ): ١٠٠ .. احمد احمد بدوى (الدكتور): ٧٥] . الاصفهاني : ٩٩ .

الاصمعي: ٣٤ ، ٧٧ . . TAE 6 OT1 6 OT. 6 O17 6 O1. الاعشى: ٢٥٢ ، ٣١٢ ، ٥٥٣ . إبدوي طبانسه (الدكتور): ٣٧١ ، ٢٥ ؛ **افلاطون : ۳٦ ، ۷۱ ، ۸۶ .** . 707 6 719 6 011 الافوه الاودى: ٥٩٥ . البراء بن عازب: ١٠٥. امام الدين الرافعي : 101 . البرزالي : ١١٣ . امام الدين القزويني : ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، إبرهان الدين بن الفركاح : ١١٠ . 170 (177 (118 (117 (1.) البروسي : ١٦٩ . امرؤ القيس: ٣١ ، ٣٢ ، ٥٩ ، ٣٧ ، ٢٢٠ ، [البسيوني: ٦١٣ ، ٦١٣ . ۸۲۱ ، ۱۳۱ ، ۲۳۲ ، ۲۸۸ ، ۲۱۱ ، ایشاد : ۲۷ ، ۲۰۱۹ ، ۲۲۱ ، ۲۲۱ ، ۲۲۱ ، ۲۲۱ 6 001 6 89. 6 8YY 6 87A 6 811 **.** {97 · {9. · {A. . 001 6 008 البشتكي: ١٤٧ . الامير قوصون: ١٣٠ پ بشر بن یحیی : ۲۲٪ . أمير بكتمر: ١٣١ . البعيث المجاشعي: ٦٠ . أمين الخولي: ٨٤ ، ١٦٣ ، ٢١١ ، ١٦٨ ، ١١٨ ، أبو البقاء: ٦٠٧ . ٦١٩ ، ٦٢٠ ، ٦٢٦ ، ٦٣١ ، ٦٦٣ ، أبو بكر الصديق (رضي) : ٩٩ ، ١٢٩ . . 781 6 778 ابن بنت الاعز : ١٠٨ . أمية بن أبي الصلت : ٧٩ . تاج الدين الشيرازي: ١٠٤ . الانبابي: ٣٩٦. ابن تفری بردی : ۲۵ ، ۱۰۷ . انیس القدسی: ۹۲۵ ، ۹۲۷ . التفتازاني: ١١ ، ٢٥ ، ١١٥ ، ١٥٤ ، ١٨٢، أوس بن حجر: ٢٥١ . * \$17 6 \$.\$ 6 TY7 6 TY0 6 TYT ابن ایاس: ۲۰ ، ۱۳۰ . · ox. - oy. · ory. · or7 · ory ايدمر الخطيري: ١٣١. 6 09. 6 0AA 6 0AE 6 0AT 6 0AT الایکی: ۱۱۲ ، ۱۱۳ . . TII 6 09A 6 09Y التلمساني: ١٢١ . أبو تمام: ٧١ ، ١٦١ ، ١٩٨ ، ٢٥٢ ، ٢٥٢ ، البساء . 7.7 6 777 6 778 6 771 6 777 ابن بابك : ٢٨١ . (ETO 6 E19 6 E.1 6 E.. 6 TEE الباقلاني: ٧٩ ، ٣١٧ . 373 > 473 > 773 > 733 > 703 > البحتري: ٧١ ، ٨٥ ، ١٦١ ، ٢٥٤ ، ٢٦٠ ، 6 EV4 6 EVY 6 EVY 6 EV. 6 ETY 6 TEE 6 T.T 6 T.1 6 T. 6 TV1 £97 6 £91 6 £9. 6 £A1 6 £A. 6 EE1 6 EE. 6 ETV 6 TAO 6 TET . 040 6 084 6 041 6 840 173 3 AV3 3 AA3 4 AA3 4 FA3 تورى: ٥٢٥ . بدر الدين بن جماعة: ١٠٣ ، ١٢٩ . ابن تيمية : ١٢٦ ، ١٢٥ ، ٢٢٥ ، ٣٥٠ . بدر الدين الحنبلي: ١٢٦ بدر الدين القزويني: ١٣٥ ، ١٣٦ . الثساء بدر الدين لؤلؤ: ١٠٥ ، ١٠٦ . بدر الدين بن مالك : ١٩ ، ٢١ ، ٢٣ ، ١٥ ، أعلب : ٣٩ ، ٦٠٧ .

٢٢٩ ، ٢٦٦ ، ٣٦٩ ، ٣٠٥ ، ابن جابر الاندلسي : ٢٦٦ .

6 1.7 6 94 6 91 6 9. 6 89 6 08 6 7.4 6 7.7 6 7.0 6 197 6 17.

الجاحظ: ١٧ ، ٢٩ ، ٣٤ ، ٣٩ ، ٥٠، ١٥٥ الحكم بن عقبال: ٥٠٠ . ٠ (١٨٩ ، ١٩٥ ، ٢٥١)، ٢٥١ ، (الحلسي : ١٨٩ ٢٦١ ، ٢٧٤ ، ٢٧٩ ، ٣٠٥ ، ٣٠٩ ، أبو حيان الاندلسي : ٧٧ ، ٧٠ ، ٧٠ ، ٧٠ ، . 717 6 098 6 571 6 575 . 779 6 7.4 ابن جيارة : ٥٠٧ ، ٨٠٥. أبو حية النميري: ٢٥٥ . جريسر: ٢٨ ، ٢٥٥ ، ١١٤ ، ٢٩٦ ، ٢٤ ، . 198 6 194 الخساء جعفر بن حمدان : ۲۲} . ابن جماعة : ۱۰۸ ، ۱۳۳ الخالدي: ۲۱۱ ، ۲۸۱ . جمال الاسدى: ٥٦ . الخديوي: ٦١١ . جمال الدين الزرعي: ١٢٧ . الخطيبي أ ٥٣٥ ، ٦٢٩ . جوبير: ۲۵۷ . الخطيب الخلخالي : ٢٤٥ . الجوهـري: ١١٥ . الخطيب المقدسي : ١٢٥ . ابن خلدون: ۳۲، ۵، ۱۹۲، ۲۱۹، ۲۱۸، ۲۵۸، . 044 الحياء الغنساء: ۳۱ ، ۳۵۲ ، ۲۹۱ . حاتم : ۲۲۲ . أبن الخويسي: ١٢٥ . الحاتمي : ٤٧ ، ٥٠ ، ٦٠ ، ١١٥ ، ٥٥٠ . ابن الحاجب: ٢٣١ . السدال الحارث بن حلزة: ١٩٤. حازم القرطاجني: ٧٧ ، ٩٩ ، ٥٠ ، ٥١٥ ، النسوقي: ١١٥ ، ٥٠٠ ، ١١٦ ، ٣٩ ، . 314 حامد عبدالقادر: 719. . 701 6 748 حامد عبدالجيد: ٧٥ . . دعبل: ٤٦٣ . حبيب بن عمر: ١٦٩. الدمنهوري: ٦١١ . الحجاج: ١٨٤. أبو دلف العجلي: ١٣ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ابن حجــر : ١١٠ ، ١٣٨ . . 101 ابن حجة الحموي: ٢٤ ، ٦٢ ، ٨٩ ، ٣٣٤ ، دوستويفسيكي: ٦٧٨ . ٢٠٤ ، ٢٠٤ ، ٨١٤ ، ٥٠ ، ٢٥ أ إبن دويدة المفربي : ٢٠.٢ . . 7.7 074 6 600 6 605 6 607 الديري: ١٠٨.

السذال

أبو ذؤيب الهذلي: ٣٩٤ ، ٩٩٥ .

ديك الجن: ٨٨ : ١٦١ ، ٢٨٠ .

السراء

حفتي محمد شرف (الدكتور) : ۲.٥ ، ارؤبة بن العجاج : ۲۷۲ ، ۳۵۳ ، ۳۲۰ . ۲۱۹ . ۳۱۹ .

الحريري: ۳۹۱ ، ۲۳۸ ، ۷۹۰ .

حسن الطوخي: ١٧١ .

حسن الفزي : ١٣١ . الحسن بن وهب : ٣٤ .

حسين بن اينبك: ١٦٩ . الحسين بن على: ١٢٩ .

الحسين بن مطير : ٦٣٤. .

حسان بن ثابت : ۳۱ ، ۳۰ ، ۷۶ ، ۵۵۰ .

الرازي: ١٨ ، ١٩ ، ١٩ ، ٣٤ ، ٥٤ ، ٧٧ ، أالسبكي ، (بهاد الدين) : ٢١ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢١ ، ٥ CTV4 CTTA-6 TT. 6 TTY 6 TTY 6 TT 6 OVT 6 OT1 6 OT. 6 O11 6 O1. . "\" الراعي النميري: ٨٦ . ائراغب الاصفهاني : ۲۲۳ ، ۲۶۳ رافع بن خدیج: ۱۰۲ . الراوندى: ٩٣٥ . ربيعة الرقى: ربيعة بن مقروم: ٢٣٥. رشيد الدين الفارقي: ١٢٢ . رشيد الدين الوطواط: ١١ ، ٣٤ ، ٢٣] . ابن رشيق : ٧٧ ، ٥٠ ، ٦٠ ، ٢٥٩ ، ١١٠ ابن السكية : ٦٦٢ . ٣٣١ ، ٣٤٢ ، ١٠٤ ، ٢٦٠ ، ٢٦٩ ، ١٣٤ ، ١٣١ ، ٢٦١ ، ٢٦١ ، ٢٦١ ، . OTI 6 EV. الرضي: ٥٩٨ . الرماني : ٢٣ ، ٥٠ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢٤٦ ، إسيد نوفل (الدكتور) : ٦١٩ . . 041 6 140 ابن الرومي : ٣٤٨ ، ٢٠١ ، ٣٩٩ . .

السزاي

الزرعي الحنيلي: ١٢٢ .

الزمخشري: ۱۸ ، ۲۲ ، ۲۳ ، ۶۰ ، ۱۶ ، ۱ 177 3 777 3 377 3 677 3 777 3 6 01. 6 897 6 877 6 819 6 891 16 090 6 089 6 047 6 070 6 010 . 344 6 094 ابن الزملكاني: ٢١ ، ١٥ ، ٥٣ ، ٧٧ ، إلابن سيده : ٥٤١ . . o1. 6 179 6 17A 6 YA انزنجاني: ٣١٥ . زهير بن أبي سلمى: ٢٦٩ ، ٣٩٢ ، ٣٩٤ . اسيف الدين المنصور: ١٠٣ . الزواوى : ١٠٣ .

السين

أبن السراج: ٦٠٧. الساوي : ١٦٠ .

زياد الاعجم : ١١٨ .

6 11. 6 1.W 6 97 6 A0 6 A1 6 YV 6 1AT 6 1YT 6 1TY. 6 1TO 6 1T. 6 770.6 771 6 197 6 197 6 191 6 077 6 070 6 078 6 0.V 6 0.7 7.4 6 097 6:079 - 079 6 074 . 70. 6 78. 6 788 6 789 6 7.4

السبكي (متقى الدين) : ١٧٠٠ . ستانلی هایمان: ۲۲۷.

السكاكي : (مر ذكره في معظم صـــفحات الكتـاب ،

السيد الشريف الجرجاني : ٢٧ه ، ٨١ه . 044

ابن سناه الملك: ٧٩ ، ٥٠٥ .

ابن سنان الخفاجي: ٢١ ، ٢٣ ، ٥٠ ، ٥٣ ، 36 3 00 3 70 3 40 3 40 3 70 3 172 4194 4 197 4 197 4 178 4 AF 4 7Y 737 3 OF7 3 PF7 3 197 3 797 3

. Tr. (orl / ETT (TYY (TYO ٢٢ ، ١٧٢ ، ١٩٣ ، ٢١٩ ، ٢٠٠ ، إسهير القلماوي (الدكتسورة) : ٩ ، ١١ ٠

. 17 6 17 ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٣٥٠ ، ٢٩١ ، ٣٥٩ ، السيوطي : ٢٥ ، ٣٥ ، ١٥ ، ٧٧ ، ٨١ ، £ {00 6 {1Y 6 {.0 6 1A1 6 17A . 711 6 7.0 6 7.8 6 077

سيبويه: ۲۹۰ ، ۲۰۷ .

السيرافي: ٢٨٧ . سيف الدين قطبك : ١٢٦ .

ابن سينا: ٣٦ ، ٧١ ، ٤٩ ، ٨٤ ، ٨٥ . 044

الشين

أشارلتن: ۲۵۸ . [الشافعي: ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١٦١ . /الطرماح: ۲۷۲ ، ۴۹۳ . ابن الشحنة الموصلي: ٩١١ 6 ١١١ ٠ طفيل الفنوي: ٣٨٧ . طويس: ٤٧٧ .

العسين

عائشة (رضي) : ٣٠٣ ٠ العباس بن الاحنف: ٢١٠ ، ٢٧٨ ، ٥٤٣ ، . 094 عباس العزاوي: ١٧٠ ، ١٨٦ ، عدالحميد الكاتب: ٦٢ . عبدالحميد يونس (الدكتور) : ٩٠ ، ١٥ . عبدالرحمن البرقوقي: ١٧٢ . عبداالرحمن بن حسان : ۲۲۳ . عبدالرحيم العباسي: ١٨١ . عبدالرحيم القزويني: ١٣٧ . ابن عبدالظاهر: ١٠٨٠ عبدالعزيز الاهواني (الدكتور) ٩ ، ١٥ . الزبير بن بكار: ٢٦٢ .

عبداللطيف البغدادي : ٥٦ ، ٥٣١ . عبدالله بن جدعان : ۲۷۹ . عبدالله العلايلي: ٦٢٦ ، ٦٢٦ . عدالله القزويني: ١٣٦ . عبدالله بن همام السلولي : ٣١٢ . عبدالمتعال الصعيدي : ٥٦ ، ١٨٨ ، ٢٧١ . عبيدالله بن سليمان: ١٠٠٠ . أبو عبيدة : ٣٢ ، ٣٩ ، ٣٩ ، ١٥٣ . عثمان بن عفان (رضی) : ۱۲۹ . عثمان بن على الخزرجي: ٥٣ . العجاج: ٢٦٩ ، ٣٧٥ .

> أبو عدي القرشي : ٣٦ . |عروة بن الورد: ١٩٤ . عزالدين التنوخي : ١٦٤ ، ١٨٩ .

الشريشي: ٧٧ . الشريف الرضى: ٥٩ . الشلوبين: ٦٠٧ . شمسالدين الاصفهاني: ١٣٧ . شميم الحلى: ٥٢ . شهاب الدين احمد بن فضل الله: ١٣١ . عائشة الباعونية: ٥٥٥ . شهاب الدين بن جهبل: ١٢٢ . شهاب الدين الحلبي : ٨١ ، ٥٠٩ . شوقي ضيف (الدكتور) : ٦٧٩ . ابن شيث القرشي: ٢١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٦٢ ه . AT . TY . TT

الصاد

أبو الشيص: ٢٧١ ، ٢٦٦ ، ٩٥١ .

الصاحب بن عباد: ٣٠٢ ، ٣٤٠ .

أم الصالح: ١٠٨٠ الصالحي: ١٢٨ . الصبان: ٦١١ . ابن صصرى : ١٠٣ ، ١٢٩ ، ١٢٩ ، ١٢٩ ، عبدالقاهر الجرجاني : (مر ذكره في معظم . 179 الصفدي: ٧٥ ، ١٢٢ ، ١٣٧ ، ١٥١ ، ٨٦٤ ، عبدالكريم القزويني: ١٣٧ . . 0.4 6 0.4 صفى الدين الحلى: ٥١٥ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ . الصقلي: ٥٣١ . ابن الصلاح: ١٠١ . الصلتان العبدي : ٥٩٣ .

الطياء

طاشكېري زاده : ۸۸۲ . أبو طالب الرقى: ٣٣٣ . طه ابراهیم: ٦١٩ . طه حسين (الدكتور): ٣٥٦ ، ٢١٧، ٢١٨ العجمى : ٦٠ . . 779 ابن طباطيا : ٢٥٩ ، ٢٦٤ ، ٢٦٤ . الطرابلسي: ١٢٢ . طرفة بن العبد: ٦٨٤ ، ٧٧٤ ، ٩٠٠ . ﴿ عزالدين بن عبدالسلام: ٥١ ، ٣٣١، ١١٧ .

عزالدين بن القلانسي : ١٢٥ . عزالدين الموصلي: ٤٤٧ . ابن عساكر: ١٢٠ . عصام الدين الاسفراييني: ٢٥ ، ١١٥ ، ٣٣٨، 7.7 6 094 6 097 6 077 6 8.0 . 77. العقاد: ٦٧٩ . ابن عقیل : ۱۲۰ ، ۱۳۳ ، ۱۳۷ . العكوك: ٩٩. علاءالدين سنجار: ١٠٦ . علاءالدين الوادعي: ٨٣] . أبو العلاء المعري: ٥٤٥ . علقمة الفحل: ٣١ ، ٢٣٦ . العلوي (يحيي بسن حمزة) : ١٩ ، ٢٤ ، 0.9 6 EAD 6 TOT 6 TIV 6 YY · 018 · 017 · 017 · 011 · 01. على بن أبي طالب (رضي): ١٢٩ ، ١٢٥ ، . 017 على الامين: ٧٦ .

علي الامين: ٧١ .
علي الجارم: ٦١٦ .
علي الجارم: ٦١٦ .
علي الجندي: ٣٢٩ ، ٦١٩ .
علي بن الجهم: ٣٥ .
علي بن محمد البغدادي: ٧٥ .
ابن عماد الحنبلي: ١٠١ .
عمر بن ابي ربيعة: ٣٥٥ ، ٢٧٩ .
عمر بن الخطاب (رضي) : ٣٦٩ .
عمرو : ٨٦ ، ٥٠٠ .
ابن العميد : ٣٨٠ .
ابن العنبري: ٣٨٠ .

الفين

غازان المفولي : ١٠٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ . الفانمي : ١١٥ ، ٦٦٧ . الفزالي : ٣٧٣ .

عيسى بن النوشرى: ١٠٠٠ .

الفياء

الفارابي: ٣٦ ، ٧١ ، ٨٤ . الفارسي: ٦.٧ . الفاروتي : ۱۱۲ ، ۱۱۳ . أبو الفتح : 38 . أبو الفدا: ٩٨ : ١٠٢ . الفراء: ٣٩ ، ١٥٣ ، ٢٠٧ . ابن الفرات : ۲۸۷ . الفرزدق: ۱۹۸ ، ۲۲۲ ، ۲۷۷ ، ۳۵۷ ، ۲۷۶ . 098 6 87. 6 877 فرعون: ۹۳۳ . الفزاري: ١٣٦. الفضل بن الربيع : ٣٢ . فضلالله العمرى: ١٥١ ، ٦٢٨ . فلهلم ينسن : ٦٧٨ . الفنري: ٦٠٣ . الفيروز ابادي: ٩٩.

القاف

القاضي الجرجاني: ١٤ ، ٣٣ ، ١١٤ ، ٢٩٢ ، ٢٩٢ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ ، ٢٩٤ ، ٢٩١ ، ٢٩١ ، ٢٩١ ، ٢٩١ ، ٢٩١ ، ٢٩١ ، ٢٩١ ، ٢٩١ ، ٢٩١ ، ٢٩١ ، ٢٩١ ، ٢٩١ ، ٢٩١ ، ٢٩١ ، ٢٩٠ ، ٢٩٠ ، ٢٩٠ ، ٢٩٠ ، ٢٩٠ ، ٢٩٠ ، ٢٩٢ ، ٢٩٢ ، ٢٩٢ ، ٢٩٢ ، ٢٩٢ ، ٢٩٠ ، ٢٩٠ ، ٢٩٠ ، ٢٩٠ ، ٢٩٠ ، ٢٩٠ ، ٢٩٠ ، ٢٩٠ ، ٢٩٠ ، ٢٩٠ ، ٢٩٠ ، ٢٩٠ ، ٢٩٠ ، ٢٩٠ ، ٢٩٠ ، ٢١٠ ، ٢١٠ ، ٢٩٠ ، ٢١٠ ، ٢٠٠ ، ٢٠٠ ، ٢٠٠ ، ٢٠٠ ، ٢٠٠ ، ٢٠٠ ، ٢٠٠ ، ٢٠٠ ، ٢٠٠ ، ٢٠٠ ،

الكاف

الكاتبي : ٣٥٠ . كثير : ٣٩١ ، ٤٦١ ، ٣٦١ .

محمد القزويني: ١٣٨ . محمد الكافيجي : ١٨٥ . محمد مصطفى هداره (الدكتور) .: ٦١٩ . محمد مندور (الدكتون) : ۸۸۱ ، ۸۱۱ ، ۹۸۲ ، ۸۹۲ محمد بن وهيب: ٣٤٨ .. محمود الاصبهائي: ١٢١ . محمود السنجاري: ٧٥ . محيى الدين عبدالحميد: ١٨٢ ، ١٩٠. المراغى: ١١٣ ، ١١٤ . ابن المرحل: ١١٣. المرزوقي : ٧٧٥ . المرسى السلمى: ٥٢ .. مسلم بن الوليد: ١٤٦٤ ، ٧٩١ . مصطفى أمين: ٦١٦. مصطفى سويف (الدكتور): ٦٧٩. مصطفى الصاوي الجويني (الدكتور): ٢٢٦ مصعب بن الزبير: ٣١٢ . المطرزي: ٥١٥ ، ١١٥ . معيد: ٧٧٤ . ابسن المعتسز: ۱۷ ، ۳۹ ، ۳۹ ، ۱۱ ، ۸۸ * TTE + TA1 + T11 + 170 + 10" · { 70 · 444 · 44. · 444 · 444 773 3 0A3 3 A70 3170 3 737 . المعلوط: ٢٥٢ . مفلطای : . المقدمي: ١٢١ . المقسري: ١٣٩. المقريزي: ۲۵ ، ۱۳۳ . ابن المقفع: ٦٢ . الملك الصالح: ١٠٦،١٠٦ . الملك الناصر: ١٢٩. المناوي: ١٣٣. منصور الكازروني: ٨١٠ .

ابن کثیر: ۲۵ ، ۱۰۸ ، ۱۲۱ ، ۱۲۵ . كراي المنصوري: ١٢٣ . أبو كريمة: ٦٨٤ . الكسائي: ٦٠٧. كمال الدين عبد الرزاق: ٩٩ . ابن كناسة: ٤٦٢ . الكونوي : ١٣٤ .

السلام

لبيد : ۳۹۶ ، ۳۸۰ ، ۳۹۶ . ليورناردو دافنشي : ٦٧٨ .

الميسم

ابن مالك : ٦.٧ . مالك بن رفيع: ٣١٢ . المأمون: ٩٩ . المسرد: ۲۲ ، ۳۹ ، ۱۵۳ ، ۱۹۲ ، ۲٤٥ ، معاوية بن أبي سفيان : ۱۲۹ . . 7.7 . 074 . 474 . 477 متى بن يونس: ۲۸۷ . عبدالفني النابلسي: ٥٦] . المتنبي : ۷۱ ، ۱۹۹ ، ۲۵۷ ، ۲۷۲ ، ۲۷۳ ، . ٣٦٦ 6 ٣٤٦ 6 ٢٨. 6 ٢٧٨ 6 ٢٧٦ ٠ ٣٠٠ : ١١٤ ، ٢٦٤ ، ٢٦٤ ، ١٤٠١ ، المعتز بالله : ٣٠٠ . . ٩٩ : المعتصم : ٩٩ ، ٤٧١ ، ٤٧٩ ، المعتصم ١٠٠ : ١٠٠ ، ٩٦٢ ، ٩٩٤ ، ٩٩٤ ، المعتضد : ١٠٠ . . 787 6 094 مجدالدين التونسي: ١٢٣. مجنون لیلی: ۳۲۲ . مجير الدين بن تميم: ٨٣] . محمد بن احمد الاندلسي : ٩٩ . محمد خلف الله احمد: ٦١٩. محمد زغلول سلام (الدكتور) 719 . محمد زمان : ۱۷۰ . محمد بن زید العلوی : ۱۰۰ . محمد بن عبدالملك الزيات: ٣٤ . محمد عبدالمنعم خفاجي : ١٨٨ . محمد عيده (الامام): ١٧٤ ، ٢١٢ . أبو محمد الفقمي : ٢٤} .

منصور النمري : ٢٤] .

ا ابن منقد : ۵۳ ، ۲۲ ، ۸۳ ، ۱۹۱ .

ابن منظور: ٦٢٨.

المنوفي : ١٢٠ . الموصلي : ٨٤٤ . ابن ميادة : ٣٤٣ ، ٩٥٥ .

النون

النابغة النبياني: ۳۱ ، ۷۳ ، ۲۷۳ . الناصر محمد: ۱۱۹ ، ۱۲۷ ، ۱۲۸ ، ۱۲۹ . ناظر الجيش : ۱۲۰ . أبن ناقيا البغدادي : ۳۲۹ .

ابن نباتــة المصري : ۱.۹ ، ۱۱۹ ، ۱۳۹ ، ۱۶۱ ، ۱۶۳ ، ۱۶۷ ، ۱۶۸ ، ۱۶۸ ، ۱۶۹ ، ۱۵۲ ، ۱۸۲ ، ۱۶۹ ، ۵۰۰ ، ۸۰۰ .

نودييه : ۲۵۷ . النويري : ۸۱ ، ۲۲۸ .

الهاء

ابن هرمة: ٢٤٤ . أبو هلال العسكري: ١٧ ، ٣٨ ، ٣٨ ، ٣٠ ١٩٢ ، ١٩٤ ، ١٩١ ، ٢٦٢ ، ٣٥٢ ، ١٦٢ ، ٥٠٠ ، ١١٤ ، ٣٥٤ ، ٧٢٤ ، ١٢٤ ، ١١٥ ، ٨٢٥ ، ١٣٥ ، ١١٢ . هولاكو: ١٠١ ، ١٠٧ .

السواو

ابن الورذي : ٩٨ . ابن وكيع : ٤٧ ، ١٨٤ . آل وهب : ٣٧ .

اليساء

ابن الياس: ١٢٢ . ابن يسمي : ١٩٥ ، ٢٧٢ . ابسن يعقوب المغربسي : ٢٥ ، ١٨٢ ، ٣٦٣ ، ١٣٣ ، ٥٠٤ ، ٣٣٤ ، ٧٧٥ ، ٢٦٥ ، ٥٨٤ .

الهمزة

ابن أبي الاصبع المصري بين علماء البلاغة أبو هلال العسكري ومقاييسه البلافيس والنقدية: ٦١٩ .

الاتقان: ٨١. أنهام الدراية: ١٠٤٠ اثر القرآن في النقد العربي: ٦١٩ -الاستدراك: ٧٦ ، ٦٩ ، ٢٧١ ، ١٨١ . أسرار البلاغة: ١٢ ، ٢٣ ، ١١٥ ، ١٥٢ ، بدائع الزهور : ٢٥ ١٨٢ ، ٢٠٨ ، ٢٠٦ ، ٢٢٦ ، ٢٧١ ، البحر المحيط : ٧٧ . · {V1 · {T7 · {T. · TOV · TT

> . 717 6 041 6 011 6 897 الاسس المنفسية للابداع الفني: ٦٧٩ . اسفار الاصباح عن ضوء المصباح : ٩٢ . الاسلوب: ١١٨ ، ١٢١ . الاشارة الى الايجاز: ٥٠ .

> > الاشساه والنظائر: ٧٧ .

أصول النقد الادبي: ٦١٨ .

الاطول: ۲۵، ۲۲ ، ۹۸۰، ۸۹۸، ۲۰۰

اعجاز القران: ٥٢١ . الإغاني: ٩٩٠

الاقتصار: ٥٠٨ .

الاقصى القريب: ٥٣١ .

أنواع الرقاع في الاسجاع: ٥٢ . أمالي على عبدالرازق: ٦١٤ ٠

الايضاح (للقزويني): ٢١ ، ٢٦ ، ٨١ ، ٩٧، 6 191 - 1AT 6 178 6 17. 6 118 191 3 877 3 007 3 873 3 133 3 · 771 · 779 · 078 · 018 · 887 . 710 الايضاح (للمطرزي) : ٥ ،

البساء

بحوث وآراء في علوم البلاغة : ٦١٧٠ البداية والنهاية: ٢٥٠

البديع: ٣٩ ، ١١ ، ٦٠ ، ١٥٤١٥٥٠٠ البديع في نقد الشعر: ٥٠ ، ٦٠ ،٧٧٠ · 071 6 840 6 14

بديع القرآن: ٢٣ ، ٥١ ، ٧٨ ، ٧٩ ، 4870 4 787 4 197 6 AA 6 A.

> . 041 بفية الأيضاح : ١٨٨٠

بلاغة ارسطو : ٦١٨ . البلاغة العربية في دور نشئاتها :٢١٩. البلاغة العربية واثر الفلسفة فيها:

. 711

البلاغة وعلم النفس: ٦١٨ ، ٦١٩ ، · 774

البلاغة عند السكاكي: ١٦٠ ، ١٦٩ ،

الحياء

حاشية على الدسوقى: ٢٥. حاشية السيد الجرجاني ١٥٩٨،٢٥٠ حاشية على الشرح المطوّل: ٥٨٢ . الحالى والعاطل: ٦٠ ، ٧٥ . حدائق السحر ودقائق الشعن: ١٤ حسن التوسل في صناعة الترسل: 0.9611 حسن الصنيع: ٦١٣٠ الحلة السيرا: ٢١) حواش على المطول: ١٧٥٠

الخياء

١٦٢ – ١٨٢ ، ١٩١ ، ١٩٨ ، | الخراج وصناعة الكتابة: ٢٧٩ . ٢٠٢ ، ٢٨٥ ، ٢٦٩ ، ٤٤١ ، إخزانة الادب: ٢٤ ، ٢٣٢ ، ٨٤٤ ، · 07A 6 800 6 88 الخطابة: ٢٩ ، ١١٨ الخطط: ٢٥

الملاال

دلائل الاعجاز: ۱۲، ۲۳، ۷۵، ۷۷، ላ እን እላን **ነ 31**7 ነ 77<u>7 ፣</u> 6011 6 897 6 897 6 891 · 71. 6 717 6 071 6 071

المسراء

رسالة البلاغة: ٢٥٠ الرسالة ألسانية: ٦١١٠ الرسالة الحاتمية: ٧٥ ٠

اللاغة الفنية: ٦١٩ . البلاغة الواضحة: ٦١٦. البيان والتبيين: ٣٩٠ البيان العربي: ٦١٩ .

التساء

تاريخ علوم البلاغة : ٦١٧ . تأويل مشكل القرآن: ٣٩ ، ١٥٣ ، التبيان في علم البيان: ٧٥ ، ٧٧ ، حسن المحاضرة: ٢٥ ، ٥٣١ . . 01. 67.06 17. تحرير التحبير: ٢٣، ١٨، ٧٨ ، ٧٩٠ حواش على الايضاح: ١٨٧ . ٨٠ /١٩٢، ٢٤٦ ، ٢٤٦ ، ٥٣١،٤٤٥] حواش على المختصر: ١٧٦ . التدوين في أخبار قزوين ١٠٢٠ . ترجمان البلاغة: ١١ . تقديم أبي بكر: ٢٤٧ ، ٨٤٨ . تلخيص آلمفتاح: ١٦ ، ١٨ ، ٢٦،٢٢٠ ٩٧ ، ١١٤ ، ١١٥، ١٦٠ ، خبر الشعير : ٨٦٨ ، ٨٥٠ . · 07 · · 07 · 01 · · (08 · {87 · 717 (710 التنبيهات على عجائب الاشياء: ٥٦٠

التنبيه ات على ما في التبيان من التمونهات: ٧٨ . تهذيب الإيضاح: ١٨٩، •

الجيسم

الجامع الكبير: ١٥ ، ١٥ ، ٥٥ ، ٥٩، 6 84. 6 199 6 V. 6 79 6 7V 4 01X 4 24X 4 2X1 4 2Y1 . 041

الجمان في تشبيهات القرآن: ٣٢٩ جواهر آلبلاغة : ٦١٥ • الجوهر السنى: ٢٤٦ . الحوهر المكنون: ٦١١٠ .

رسامه الدرديو : ٦١١ . رساله في تحفيق الاستعارة . ٥٨٢ . روض الاذهان : ٨٩ ، ٩٢ ، ١٦٠ ، ٢٢٩ ، ٥٠٣ ، ٣٨٣ ، ٣٨٣ . روض الازهار : ٩٢ .

الزاي

زش الربيع: ٦١٤٠

السلوك: ٢٥.

السمر قندية: 111 .

اسين سجع المطوق: ١٥٢ ، ١٥٢ ، ١٥٢ . ١٥٥ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ١٣٢ ، ٥٦ ، ٥٥ ، ٥٥ ١٣٥ ، ٦٣٠ . السرقات الادبية: ٦١٩ . سرفات البحتري: ٦٢٤ . سرقات الكبير: ٦٢٤ . السرقات الكبير: ٦٢٤ . سرقات الكبير: ٦٢٤ .

السين

الشدر المرجاني: ١٦٠ ، ١١٤ .

شرح أبيات التلخيص: ١٨١ ، ٦٠٣٠ ، شرح الفية ابن مالك : ١٢٠ . شرح الفية ابن مالك : ١٢٠ . ١٦٨ ، ١٦٨ ، ١٠٨ ، ١٠٨ ، ١٠٨ ، ١٠٨ ، ١٠٨ . شرح العكبري: ٥٧ . . شرح مقامات الحريري: ٥٤ ، ٧٧ . شروح التلخيص : ١٧٤ . شروح الشعراء: ١٧٥ .

الصاد

الصاحبي: ٣٥٦ . صبح الاعشى: ٦٢٨ .

الضاد

ضوء المصباح: ٥٠٤.

ضياءالدين بن الاثير وجهوده في النقد:

الطاء

الطراز: ۱۹ ، ۷۷ ، ۳۱۶ ، ۳۰۵ ، ۰.۵ ، ۱۵ ، ۱۵ ، ۹۱۵ ، طراز الحلة: ۶۶۲ . الطريق إلى الفصاحة: ۲۲ ، ۳۱۰ .

ألعسين

الفيان

غراديفا : ٦٧٨ .

اللفتح المبين : ٥٥٥ .

الفساء

الفلك الدائر على المثل السائر: ٧٤ . ١٣٥ . فن التشبيه: ٣٢٩ ، ٦١٩ . فن الجناس: ٦١٩ . فن الشعر: ٢٩ ، ٦١٨ . فن القول: ٦١٨ ، ٦١٠ .

القياف

القاموس: ٩٩.

قدامة بن جعف والنقد الادبي. ٦١٩. المختصر في أخبار البشر: ٩٨ . قراضة الذهب: ٤٦٩ ، ١٠٤٧٠٠ المزهن: ٦٠٣ . قواعد الشمر: ٣٩. قواعد اللغة العربية: ٦١٤. قوانين البلاغة : ٢٥ ، ٣١ .

السكاف

الكافية البديعية: ٥٤٥ . الكامل (للمبرد) : ٣٩ . كتاب الاجناس: ٦٧. كتاب التشبيهات : ٣٢٩ كتاب الشفاء : ٨٥٠ كتاب الصناعتين: ٢٣ ، ٥٠ ، ٦٠ ، معالم الكتابة: ٦٢ . ٢٤٦ ، ٣٩ ، ٢٢٧ ، ٢٤٦ ، معاني القرآن : ٣٩ . . 717 6 041 6 847 الكشاف: ۲۳ ، ۳۳ ، ۲۳ ، ۱۷۲ ، (01. (798 (791 6 719 . 019 كنايات البلغاء: ٥٣١ .

اللام

لسان العرب: ٣٢٦ ، ٣٢٨ . اللمع: ٥٠٠٠ .

الميسم

المثل السائر: ٢٣ ، ١٥ ، ٥٥ ، ٥٥ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ٧٧ ، ٨٨ ، ٩٢ ، ٧٠ مناهيج تحديد : ١٦٨ ٦ ١٨٠ ١٦٨ ، ١٦٨ ، ١٩٩ ، منظومات التلخيص : ١٨٠ 16 847 6 84. 6 487 6 441 16 011 6 01. 6 ERA 6 ERY . 716 . 770 . 081 مجاز القرآن: ۳۲، ۳۹. مجمع الفرائد: ١١٦. المحاضرة: ٧٥٠. المختصر : ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٧٥ ، الميزان الجديد : ٢٧٩ . . 094 6 041 مختصرات التلخيص: ١٧٨٠

مسالك الابصار: ١٥١ ، ١٢٨ . مسالك الخلاص: ١٨٥ . مشكلة السرقات: ٦١٩. المصياح: ١٩، ٩٠، ٨٩، ٢٣، ١٩ 6 017 6 01. 6 0.8 6 0.4 · WE 6 081

اللطول: ٢٥، ٢٦، ١٨٢، ٧٢٥، 6 0 × 1 × 0 × 1 × 0 × 1 × 0 × 1 · 711 6 09 A 6 09 V

معاهد التنصيص: ١٨١٠ مع المتنبي: ٦٧٩. المعيار في نقد الاشعار: ٤٩ ، ٥٣١ . مفتاح (لعلوم: ۱۲ ، ۱۶ ، ۱۹ ، ۱۲ ، (976 9. 6 19 6 0) 6 27 6 74 6 177 6 17. 6 107 6 94 6 078 6 07. 6 017 6 0.8 4 70. 4 OVT 4 OV.1 4 OT1

المفـــردات في غريب القرآن: ٢٣ ، . 787 منهاج البلغاء: ٧٤ ، ٧٧ ، ٥٣١ ،

. WE

من الوجهة النفسية: ٦١٨ ، ٦٧٨ . الموازنة بين الطائيين : ٥٠ ، ١٥ ، ٥٥ ، ٥٥ ، . \$77 6 4.7

مواهب الفتاح: ٢٥، ٢٦، ١٨٢، . J.A 6 091 6 0AE

النون

النتائج الالهية: ٢٦} . النجوم الزاهرة: ٢٥. نسمات الاسحار: ٢٥٠. نشر المثل السائر: ٧٥ نصرة الثائر: ٥٠٨ ، ٥٠٨ . نظرة في قواعد علوم اللغة العربيـة: | همع الهوامع: ٧٧ نظم البديع : ٥٥٥ ، ٦٠٣ . نظم الدر . ٨٠٥ النقالة: ٦٠٤ نقد لشعر: ۳۱ ، ۰.۸

نهاية الايجاز: ٣٤ ، ٥٥ ، ٧٧ ،٢٩٢٠ 071607.601.

انهاية الارب: ١٨٠ انهج البلاغة: ٧٤ .

الهساء

الواو

الوساطة بين ألمتنبى وخصومه: ٢٣ ، 47876 1986 1986 1186 o. كت على التلخيص : ٦٣ / ٢٩٦ ، ٩٩١ ، ٩٩٠ . ٩٧٠ . نكت على حاشية المطول : ٦٠٣ الوشي المرقوم في حل المنظوم : ١٩٩ ، النكت في اعجاز القرآن: ٢٢ ، ٢٤ .

الاتابكية: ١٣٧ اذربيجان: ١٠٥ الازهر: ۱۱۱، ۱۱۲، ۱۱۲، ۱۱۸ اصيهان: ١٠٠٠ الامينية: ١٠٨ ، ١٢٥ ، ١٢٨ الاندلس: ٦.٧ ايوان: ١٨٥

البصرة: ٣٢، ٥٠٤ 0.8 4.14. 4 1.4 بلاد الروم: ۱۰۷ بلاد فارس : ٣٩

التساء

تبريز: ۱۰۲ ، ۱۰۵ تو قا**ت : ١٦٩**

الجيم

148 6 179 جامع بكر افندي: ١٧٠

جامع دمشق: ۵۷۳ حامقة بفداد: ٩ جامعة ألدول العربية: ١٨٥ ١٨٤ حامعة القاهرة: ٩ ، ١٥ ، ٢٠ جامع القلمة : ١٣٠ الحامعة المصرية: ٦١٧ جامعة ييل: ١٨٥ حرجان: ١١٤ الجيزة: ٥٩٣

الحاء

حلب : ۱۲۸٬۵۲ ، ۱۳۵

الخاء

خانقاه سعيد السعداء: ١٢٧ خزانة كوبرلي: ١٨٦ خزانة ولي : ١٧٠ ، ١٨٥ خوارزم : ١٨ ، ١٩ ، ١٠ ، ١١٤ ، 041 , 044 , 014 السعال دار العدل: ۱۲۹ ، ۱۳۲ ، ۱۳۴.

دار الكتب المصرية: ١٦٩ ، ١٨٤ ، · 171 الجامع الاموى: ١١١ ، ١٢ ، ١٣٦ ، دمشق : ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، 371 3071 3 771 3 771 3

١٢٨ ، ١٣٠١،١٦٩ ، ١٣٤٠١٣٢، العراق: ٣٧ ، ٣٩ ، ٧٧ ، ٥٠ ، ١١٣ 278 375

190 الديار المصرية: ١٢٥ ، ١٢٩

الفين

غجدوان: ٥٣٧

الفزالية: ١٠٣، ١١٣، ١٢٥، ١٢٥، . 177

السين

61A06 178 6 18A 61846 180

سورية: ١٢٥ سوَّقَّ عكاظ: ٣١ السمساطية: ١١٣

الفساء

فارس : ۲۰ ۱۰۱۰

الشن

الشيام: ۲۰ ، ۲۱ ، ۳۷ ، ۵۰ ، ۶ ، ۷۶ ، (AT(VT (TT (OT (O) (O. 6 1.A 6 1.V 6 1.E 6 1.T 6171617.617V 6 170 6 17E · 127 · 127 · 178 · 177 6 0.8 6 ETV 6 TT9 6 178 6 047 6 018 6 014 6 0.0 . Tho (TAE (To. الشامية الجوانية: ١٢٩ ، ١٣٧

القياف

القاهرة: ١٠٤، ١٢٩، ١٢٩ ١٣٣٥ 61796171 6 17-6177 6 1TE (O.A (ERO (1A7 (1V) P70 > 7A0 القدس: ١١٣ القرافة: ١٠٤ قزوین : ۱۰۰ ، ۱۰۱ ، ۱۰۲ ، ۱۰۵ القيمرية: ١٠٣

الصياد

صنعاء: ٥٠٥

اللام

الكاف

ليدن: ۹۲ ، ۲۱۷

کلکته: ۱۷۲

الكو فة: ٣٩

الطاء

طبرستان: ١٠١

الميسم

مدرسة الخياط : ١٧٠ مصر: ۲۰ ، ۲۱ ، ۲۲ ، ۳۷ ، ۳۷ ، ۶ ، (776 07 6 07 6 01 6 0. 6 87 VY > 7A > 7K > 3A > AA>PA> 6 118 6 1.A 6 3V 6 3Y 6 31 6 179 6 17 6 177 6 170

الظياء

الظاهرية: ١١٣ انظاهرية البرانية: ١٠٥ ، ١٠٥

العين

العادلية: ١٠٣ ، ١٢٨ ، ١٣٧

| 61786 177 6 17 6 178 6 177 النون (0.7 (277) 179 (171 0.0 110 3 370 3 770 3 النيل: ۸۵ ، ۱۳۱ ، ۱۳۱ ، ۱۳۲ ، 6 094 6 044 6 044 6 04. 70.6047 . The 6 TAE To. المفرب: ٤٠ ، ٢٢٩ مكة : ٢٩٥ مكتبة الاوقاف ببفداد: ١٧٠ ١٨٥١، 0.8 6 147 مكتبة جامع الباشا: ١٧٠ مكتبة المشهد الرضوي: ١٧ ، ١٨٥ الواو مكناسة: ٨٤٥ منف: ۹۳۳ اليساء منية رهينة: ٥٩٣ الموصل: ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٠ ، ١٨٥ . اليمن: ٧٧ ، ٥٠٩ ، ١١٥

- ١ ــ ولد يوم الاحد ٢٥ تشرين الاول ١٩٣٦م الموافق ١٠ شعبان ١٣٥٥هـ بتكريت ، واكمل دراسته الابتدائية فيها سنة ١٩٤٧ ، ودرس الثانوية في كربلاء وبغداد وتخرج في ثانوية الكرخ سنة ١٩٥٧ والتحق بكلية الآداب (قسم اللغة العربية) وتخرج فيها بدرجة امتياز خاصة سنة ١٩٥٦ ، وحصل على الماجستير بدرجة جيد جدا سنة ١٩٦١ وعلى الدكتوراه بمرتبة الشرف الاولى في ١٤ تموز ١٩٦٧ من كلية الآداب بجامعة القاهرة ،
- اعتقل في معتقل السعدية ابان العدوان الثلاثي سنة ١٩٥٦ ، ثم عين مدرسا في ثانوية كركوك فاعدادية التجارة ببغداد ، واعيد معيدا في كلية الآداب بعد ثورة تموز ١٩٥٨ ثم رقي الى مدرس في اول حزيران ١٩٦٦ ، والى استاذ مساعد في اول حزيران ١٩٦٥ وعين رئيسا لقسم الصحافة في كلية الآداب سنة ١٩٦٦ •
- م ين في سنة ١٩٦٤ مديرا عاما للصحافة والارشاد في وزارة الثقافة والارشاد ، فمديرا عاما للثقافة واصبح عضوا في اللجنةالتنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي العربي ، فعضوا في مجلس ادارة المؤسسة الثقافية العمالية •
- ٤ ــ مثل العراق في مؤتمر التضامن الاسيوي الافريقي في غانا (أكرا) سنة ١٩٦٥ وشارك في اللجنة التحضيرية لمؤتمر الادباء ألعرب الخامس الذي انعقد في بغداد سنة ١٩٦٥ ، وكان احد اعضاء الوفد العراقي فيه •
- د ـ عضو في جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين، وفي لجان ثقافية كثيرة.
- ٦ ــ وضع أكثر من عشرين كتابا بين دراسة وتحقيق وكتب مدرسية •
- استوزر للثقافة والارشاد في ١٠ مايس ١٩٦٧ لاول مرة في الوزارة
 التي شكلها الفريق عبدالرحمن محمد عارف برياسته ٠

للمؤلف

أولا ـ دراسات:

- ١ _ البلاغة عند السكاكي بغداد ١٩٦٤ •
- ٢ ــ القزويني وشروح التلخيص بغداد ١٩٦٧
 - ٣ _ عبدالقاهر الناقد •
 - ٤ _ فن التشبيه في القرآن الكريم •
 - ه _ ابن الاثير ومقاييسه البلاغية والنقدية .

ثانيا _ تحقيق:

- ٣ _ ديوان القطامي (بالاشتراك) بيروت ١٩٦٠ •
- ٧ ــ شعر عروة بن حزام (بالاشتراك) بغداد ١٩٦١ •
- ٨ ـ ديوان قيس بن الخطيم (بالاشتراك) . بغداد ١٩٦٢
- هـ التمام في تفسير شعار هذيل مما أغفله ابو سعيد السكري
 لابن جني (بالاشتراك) بغداد ١٩٦٢ ٠
 - ١٠ _ فوح الشذا بمسألة كذا لابن هشام بغداد ١٩٦٣ •
- ۱۱ _ النبيان في علم البيان المطلع على اعجاز القرآن لابن الرائد الزملكاني (بالاشتراك) بغداد ١٩٦٤ ٠
 - ١٢ _ البخلاء للخطيب البغدادي (بالاشتراك) بغداد ١٩٦٤ .
 - ١٣ _ ديوان ديك الجن (بالاشتراك) بيروت ١٩٦٦ .

- ١٤ من شعر أبي حيان الاندلسي (بالاشتراك) بغداد ١٩٦٦ . ١٥ البرهان في وجوه البيان لابن وهب (بالاشتراك) بغداد
 - + 1477
- ١٦ الجمان في تشبيهات القرآنلابن ناقيا البغدادي (بالاشتراك) تحت الطبع •
- ١٧ ديوان أبي حيان الاندلسي (بالاشتراك) تحت الطبع ٠

نالثا _ كتب مدرسية:

- ١٨ النصوص الادبية للصفوف الرابعة التجارية (بالاشتراك).
 بغداد ١٩٥٧ .
- ١٩ ـ قواعد اللغة العربية للصفوف الرابعة التجارية (بالاشسراك) بغداد ١٩٥٧ .
- ٢٠ ــ قواعد اللغة العربية للصفوف الخامسة التجارية (بالاشتراك)
 بغداد ١٩٥٨ .
- ٢١ لغتي للصفوف الخامسة الابتدائية (بالاشتراك) بغداد ١٩٥٩ (طبع عدة مرات) •
- ٢٢ لغتي للصفوف السادسة الابتدائية (بالاشتراك) بغداد ١٩٥٩ (طبع عدة مرات) ٠

الغطا والصواب

السطر	الصفحة	لصواب ا	`	للغاا
١٣	11	طوق		طرق
٤	27	التفريق		التعريف
17	٤٨	وكان المنتظم الخيالات	للخيالات	وكأن المنتظم
٣	٤٩	ان		انه
۲	٧٣	يرون		لا يرون
/0	٧٦	الايجاز		اي جـاز
٩	٨٠	المواربة		المواردة
1+	11+	بانه		على انه
هامش(٤)	148	ابن الور دي		ابن الار دي
١٠	101	السنمر		السنحر
14	14+	أما الثالث		أما الث اني
٣	177	المطلوب بها		مطلو ب بھا
17	١٦٨	ملابِس		ملابكس
٣	141	الدمنهوري		منهور ي
٩	191	کتابیه کتابیه		كتابه
هامش(۲)	4.4	المنافقو ن		البقرة
1	710	حرف		صرف

السطر	صفحة	الصواب ال	انخطأ
17	77+	قط	فقط ا
٦,	777	لطويل القامة	لطول القامة
£	74.	في	عن
	74.	على ان قوله	على قوله
7	741	بأحدهما	باحداهما
¥		واستعماله بهذا المعنى	واستعمالهله بهذا المعنى
•		في الشر استعارة اذ	في الشر استعارة اذ
14 6 12	744	اصله ان يستعمل	اصله يستعمل في الخبر
71	744	الرحمان	الرحمة
•	747	التفات	التفاوت
19	744	والتعيير	والتعبير
٩	720	فأصله	فاصلة
*	721	وتعلقه	وتعلق
71	727	في	الى
٤	702	ألسنة	لسنة
\٧	707	انصار َه ُ	انصاره ً
٥	770	ضوؤه	ضوءه
Y	777	ان	انها
(t)	79.	ترد	تسرد
*	٣٠٠	قرينة	قرينه
۲	۲•٤	كبير	كبيير
٣	4.5	ألتم	ألقم
٥	٣١١	لقفت	لففت
14	٣١٧	والتكرار	ولتكرار
71	454	بالقابض	بالقبض

 السطر	الصفحة	الصواب	الخطا
٩	409	اباسجح	باسجع
14	479	راضية	، مب ح راضية
٧	444	وتسمية	وتسميته
٣	474	نفس	
19	444	أنصاره	أنصاره ً
١	٤٠٤	اذ َو َي	د َو کی
10	٤٣٨.	اختلفا	اختلفنا
10	254	بالتجنيس	بالتجنس
1	173	اسلم	اسلم
٣	\$70	ا يمكن	يكمن
٦	१७७	نسيبا	نسبيا
٥	٤٧٩	خلوت ً	خلوت
٦	٤٨٠	أن°	اِن°
*	077	السكاكي	السبكي
11	079	جمادي	جمادي
44	044	بغيرها	بغيرهما
١٠	0 2 1	منهما	منها
1	050	مفردان	مفردات
10	· 0 \$ A	لان	¥
١	000	« ان » متابعا	« ان متابعا »
٧	001	الطلب	الطللب
14	009	بزيدكم	يزيد
٤	977	أشار	وأ شار
1+	०९०	موجود	م وجودة
70	771	و باقیه	و باقية
		•	

لسطر	الصفحة	الصواب	الخطأ
٦	7771	انلتمس	نلتمس
19	५०१	تشرق	شرق ً
٥	77.	الهيولى	لهيولي
. ۲۲	777	ابن	ن
77	777	والمتتبع	المنتبع
	779	سمى	سمي
٣	144	دلالة	VI
•	171	المبددة	لبىد
•	17/	وتنتقى	تنتقي
•	7.4.2	والشام	لشام
		•	

